



مجلة العلوم الإجتماعية

Journal of Social Science

دورية دولية علمية محكمة تصدر عن المركز الديمقراطي العربي
للدراسات الإستراتجية والسياسية والإقتصادية ألمانيا - برلين

العدد 05 أوت 2018



V.R33616
ISSN 2568-6739



المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتحية والسياسية والإقتصادية
برلين-ألمانيا
ISSN 2568-6739 V.R33616

المركز الديمقراطي العربي

للدراسات الاستراتجية والسياسية والاقتصادية

مجلة العلوم الاجتماعية

دورية دولية علمية محكمة

الإيداع القانوني V.R33616

ISSN 2568-6739

أوت 2018

الــعــدد الخامس (05)

مجلة العلوم الاجتماعية

دورية دولية علمية محكمة

تصدر من ألمانيا- برلين- عن المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية

الهيئة العلمية والاستشارية.

شروط النشر:

مجلة العلوم الاجتماعية مجلة دولية علمية محكمة تعنى بنشر الدراسات والبحوث في ميدان العلوم الاجتماعية باللغات العربية والانجليزية والفرنسية على أن يلتزم أصحابها بالقواعد التالية:

- أن تكون المادة المرسلة للنشر أصيلة ولم ترسل للنشر في أي جهة أخرى ويقدم الباحث إقرارا بذلك.

-أن يكون المقال في حدود 20 صفحة بما في ذلك قائمة المراجع والجداول والأشكال والصور.

- أن يتبع المؤلف الأصول العلمية المتعارف عليها في إعداد وكتابة البحوث وخاصة فيما يتعلق بإثبات مصادر المعلومات وتوثيق الاقتباس وإحترام الأمانة العلمية في تهميش المراجع والمصادر.

-تتضمن الورقة الأولى العنوان الكامل للمقال باللغة العربية وترجمة لعنوان المقال باللغة الإنجليزية، كما تتضمن اسم الباحث ورتبته العلمية، والمؤسسة التابع لها، الهاتف، والفاكس والبريد الالكتروني وملخصين، في حدود مائتي كلمة للملخصين مجتمعين،(حيث لا يزيد عدد أسطر الملخص الواحد عن 10 أسطر بخط simplified Arabic 12 للملخص العربي و Times New Roman 12 للملخص باللغة الانجليزية)، أحدهما بلغة المقال والثاني باللغة الانجليزية على أن يكون أحد الملخصين باللغة العربية.

-تكتب المادة العلمية العربية بخط نوع simplified Arabic مقاسه 12 بمسافة 1.00 بين الأسطر، بالنسبة للعناوين تكون Gras، أما عنوان المقال يكون مقاسه 14.

-هوامش الصفحة أعلى 2 وأسفل 2 وأيمن 2 وأيسر 3 ، رأس الورقة 1.5، أسفل الورقة 1.25 حجم الورقة مخصص(16 23.5X).

-يجب أن يكون المقال خاليا من الأخطاء الإملائية والنحوية واللغوية والمطبعية قدر الإمكان.

-بالنسبة للدراسات الميدانية ينبغي احترام المنهجية المعروفة كاستعراض المشكلة، والإجراءات المنهجية للدراسة، وما يتعلق بالمنهج والعينة وأدوات الدراسة والأساليب الإحصائية وعرض النتائج ومناقشتها.

-تتبنى المجلة نظام توثيق الرابطة الأمريكية لعلم النفس.(APA)، ويشار إلى المراجع داخل المتن بذكر الاسم الكامل للمؤلف ثم سنة النشر والصفحة بين قوسين، أو ذكر الإسم الكامل للمؤلف، السنة بين قوسين.

-يشار إلى ذكر قائمة المراجع في نهاية البحث وترتيبها هجائيا وفق نظام الرابطة الأمريكية لعلم النفس، المؤلف(السنة) ، عنوان الكتاب؟، ط(الطبعة إن وجدت)، دار النشر، مكان النشر، البلد، أما المقال: للمؤلف(السنة)، عنوان المقال، المجلة، م(المجلد)، ع(العدد)، مصدر المجلة(الجامعة أو المخبر مثلا)، مكان النشر، البلد.

-المقالات المرسلة لا تعاد إلى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر.

-المقالات المنشورة في المجلة لا تعبر إلا على رأي أصحابها.

-يحق لهيئة التحرير إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدمة متى لزم الأمر دون المساس بالموضوع.

- يقوم الباحث بإرسال البحث المنسق على شكل ملف مايكروسوفت وورد، إلى البريد الإلكتروني:

sciences@democraticac.de

كلمة العدد

تصدر مجلة العلوم الاجتماعية في عددها الخامس بمقالات متنوعة ومتميزة في جل حقول المعرفة الاجتماعية التي سينهل منها القارئ والتي ستمثل مرجعا للكثير، وبذلك تواصل المجلة المسيرة بخطى ثابته تحت شعار التميز والإبداع الأمر المنشود والهدف المبتغى، والذي يحتاج الكثير من الجهود المبذولة والسواعد المرصودة في سبيل تحقيق ذلك، بالإشتراك مع جل الباحثين ومختلف هيئات المجلة بحثا عن تقديم المجلة على أكمل صورة وفي أبهى حلة حفاظا على تفرد المجلة ورقيها وتطورها بعد أن أضحت قبلة الكثير من الباحثين في مختلف الأطياف الدولية.

لقد تم نشر الكثير من البحوث لمختلف الناشرين من طلاب المعرفة والباحثين والأكاديميين وهو ما يجعل مجلة العلوم الاجتماعية تسير نحو التأسيس للمعرفة أين كان الرهان الوحيد هو عامل الجودة ومدى تقديم الإضافات والمساهمات في المعرفة بصفة شاملة، وبذلك تقدم المجلة فرصة للجميع أين تسعى أن تعطي الفرصة للنشر لأكبر عدد ممكن من الباحثين والأكاديميين الذين ترقى بحوثهم ودراساتهم للنشر في المجلة.

رهانات كثيرة تنتظر المجلة وتحديات كثيرة تواجهها، وفي ظل كل ذلك تصدر المجلة في كل عدد بحلة جديدة وميزة فريدة لتؤكد للجميع أنها تؤمن بمبدأ التشارك وتريد من خلال مبدأ الشفافية أن تحقق الأهداف المسطرة من قبل القائمين عليها.

إننا بقدر ما نشكر كل من ساهم في نشر أبحاثه ضمن هذا العدد المتميز، فإننا نأمل وفي إنتظار أعداد قادمة أن نسير على نفس المسيرة التي رسمت من أول عدد، خاصة وأننا نراهن دائما على التميز والإبداع، وهو هدف نحاول أن نرسمه في كل مرة لغاية تحقيقه في ظل الأقلام الفريدة من نوعها التي تساهم في كل مرة في تطوير المجلة.

د. بحري صابر

رئيس التحرير

مجلة العلوم الاجتماعية

المركز الديمقراطي العربي، العدد 05 أوت 2018

فهرس المحتويات

صفحة

إدارة الجودة الشاملة في التعليم- نظرة عامة في متطلبات التطبيق ومعوقات التحقيق-

Total Quality Management in Education - An Overview at the Application Requirements and Obstacles to Investigation –

أ. سلوى عزوز، جامعة باجي مختار عنابة – الجزائر

ملخص: هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على إدارة الجودة الشاملة في التعليم، حيث أخذ هذا المفهوم حيزا كبيرا من اهتمام الباحثين والمختصين، كونه أحدث نقلة جديدة في مبادئ الإدارة، ولأهمية هذا الموضوع تناولناه في أربع محاور رئيسة، بدءا بعرض لبعض مفاهيم الجودة وإدارة الجودة الشاملة، ثم عرض لبعض متطلبات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات التعليمية، ليُعرض فيما بعد المعوقات التي تحول دون تحقيق إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات التعليمية، وأخيرا تم إلقاء الضوء على بعض المقترحات والتوصيات التي تساعد على التغلب على العراقيل والصعوبات التي تواجه تحقيقها.

الكلمات المفتاحية : إدارة الجودة الشاملة، التعليم، متطلبات التطبيق، معوقات التحقيق

Abstract: The aim of this study is to identify Total Quality Management (TQM) in education. This concept has taken a great deal of interest from researchers and specialists as it is the latest change in the principles of management. Owing to the importance of this subject, we dealt with it in four main axes, starting with a presentation of some concepts of quality and TQM. Then, we moved to the presentation of some requirements of the application of TQM in educational institutions as well as the obstacles hindering the achievement of TQM in those institutions. Finally, we shed light on some suggestions and recommendations that help to overcome the obstacles and difficulties facing their achievement.

Key Words: total quality management, education, application requirements, achievement obstacles

مقدمة:

إن تحسين التعليم والنسق التربوي ككل من أجل مواكبة التغيرات السريعة التي يشهدها العالم في الآونة الأخيرة في المجال العلمي والتكنولوجي، يُعد من أهم المطالب التي ينادي بها التربويون والأكاديميون، حيث أجبروا المؤسسات التعليمية على النهوض بمستوى التعليم بما يتماشى وهذه التطورات، خاصة وقد انتشر مفهوم الجودة وإدارة الجودة الشاملة في التعليم الذي تبنته معظم الدول الغربية وحتى العربية منها.

فحسب(محمد عبد الرازق إبراهيم، 2003، ص118) فإن العنصر الرئيسي في إدارة الجودة يتمثل في التركيز على العميل، وتحسين التنظيم، ويتحقق ذلك من خلال فعاليات الأفراد والجماعات، وتحقيق المستويات داخل المؤسسة والعمل على تحليل المشكلات، واختيار أفضل البدائل لتحسينه، عن طريق تدعيم النشاط وتحقيق الأهداف، وجودة الخدمات، ويتم ذلك كله في عملية تفاعلية بين العمليات داخل المؤسسة، بحيث تؤدي إلى منتجات ومخرجات عالية الجودة.

ويبين(أبو الرب وآخرون، 2010، ص143)، في دراسة بعنوان: "أثر إدارة الجودة الشاملة في تحسين أداء المؤسسة التعليمية"، أن إدارة الجودة الشاملة هي ثقافة وسلوك وتطبيق، وتبعا لذلك فإن من الضروري النظر إليها على أنها نظام جديد ومحسن ومطور للإدارة يتسم بالديمومة، إن هذه النظرة لا يمكن أن تحدث ما لم تكن هناك قناعة راسخة من الإدارة العليا بأهمية ودور إدارة الجودة الشاملة من أجل تفعيل ممارسة الجودة تفعيلا يُكتب له النجاح والبقاء.

وانطلاقا من هذا العرض الموجز يتبين لنا مدى أهمية نشر ثقافة الجودة الشاملة وإدارتها في المؤسسات التعليمية، لتأتي هذه الدراسة وتجيب على الأسئلة التالية:

- ما المقصود بالجودة الشاملة؟ وما المقصود بإدارة الجودة الشاملة؟
- ما هي المتطلبات الضرورية التي يجب توفرها لتطبيق إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات التعليمية؟
- ما هي المعوقات التي تحول دون تحقيق إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات التعليمية؟
- ما هي المقترحات والتوصيات للتغلب على معوقات تحقيق إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات التعليمية؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في أهمية موضوعها في حد ذاته، فالجودة أصبحت ضرورة ملحة تفرضها متطلبات العصر، لما يترتب عن هذه الأخيرة من تحسين وتطوير يُمكّن المنظمة أو المؤسسة من إحراز التميز والنجاح.

أهداف الدراسة: هدفت هذه الدراسة إلى:

- التعرف على مفهوم الجودة الشاملة، ومفهوم إدارة الجودة الشاملة.
- التعرف على بعض المتطلبات الضرورية التي يجب توفرها لتطبيق إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات التعليمية.
- التعرف على المعوقات التي تحول دون تحقيق إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات التعليمية.
- إعطاء بعض المقترحات والتوصيات للتغلب على معوقات تحقيق إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات التعليمية.

الإطار النظري للدراسة:

أولا. مفاهيم الجودة الشاملة وإدارة الجودة الشاملة

مفهوم الجودة الشاملة:

ترجع بدايات هذه المرحلة إلى نهاية فترة الثمانينيات من القرن المنصرم حيث لم يعد مفهوم الجودة هو التفتيش على المنتجات ومراقبة العمليات واكتشاف الأخطاء وتصحيحها، كما أنه لم

يعد هو منع الأخطاء وتفادي إنتاج مخرجات بها عيوب أو لا تلاءم متطلبات المستفيدين، وإنما أصبحت الجودة عملية شاملة بمعناها الواسع، فهي شاملة لمدخلات النظام وعملياته ومخرجاته، وهي شاملة لكل من ينتمون للمؤسسة على اختلاف مستوياتهم، وشاملة لكل الأنشطة والبرامج، وشاملة لمختلف العناصر البشرية والمادية والتكنولوجية (محمد عطوة مجاهد، 2008، ص23).

وقد انتقل مفهوم الجودة الشاملة إلى مجال التعليم في الولايات المتحدة على يد Malcolm Baldirg الذي شغل منصب وزير التجارة في حكومة ريجان عام 1981. وظل هذا الرجل ينادي بتطبيق مفهوم الجودة الشاملة حتى وفاته عام 1987. ومد اهتمامه للتعليم. وأصبح تطبيق الجودة في التعليم حقيقة واقعة حينما أعلن "رونالد براون" عام 1993 أن جائزة "مالكولم" في الجودة قد امتدت لتشمل قطاع التعليم إلى جانب الشركات الأمريكية العملاقة.

وكان تطبيق مبادئ الجودة الشاملة في التعليم الذي اهتم بها "مالكولم" تعني مجموعة مبادئ من أهمها ما يلي:

- أن الإداريين وأعضاء هيئة التدريس يجب أن يسعوا جميعا من أجل تحقيق الجودة.
- التركيز يجب أن يتم على منع الطلاب من الفشل بدلا من دراسة الفشل بعد وقوعه.
- استعمال الضبط الإحصائي بدقة لتحسين عمليات الإدارة والعائد من الطلاب.
- التدريب الأولي هام جدا لإدارة الجودة، وكل فرد في المؤسسة يجب أن يدرب من أجل الجودة.
- ضرورة الاتفاق على معايير واضحة تحدد سنويا جودة العمليات والمخرجات.

وفي المملكة المتحدة، انتقل هذا المفهوم إلى مجال التعليم وطبقت معايير الجودة الشاملة فيه مع بداية التسعينات حينما قامت لجنة نواب رؤساء الجامعات ومديري المدارس بإنشاء (وحدة فحص أكاديمي) "Academic Quality Audit Unit" لدراسة الجودة الأكاديمية في الجامعات البريطانية وفي هذه الآونة أيضا مدت المنظمة البريطانية العالميةISO 9000 اهتمامها إلى قطاع التعليم. وبالتالي أصبح التعليم في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا واليابان مجالا لدراسة الجودة وإدارة الجودة الشاملة (حسن حسين البيلاوي وآخرون، 2006، ص27-28).

1.مفهوم إدارة الجودة الشاملة:

تعرف إدارة الجودة الشاملة في التعليم على أنها توجه جميع العاملين والنظم والسياسات والمناهج والعمليات من أجل خلق ظروف مواتية للإبداع والابتكار لضمان تلبية المتطلبات التي تهيئ للمخرج بلوغ المستوى المرجو من التميز وللمستفيد الانتفاع والرضا(سهيلة محسن كاظم الفتلاوي، 2008، ص29).

ويرى Oakland(2001): بأنها منهج شامل لتحسين التنافسية والفاعلية والمرونة من خلال التخطيط، والتنظيم، وفهم كل نشاط وإشراك كل فرد في كل مستوى. وهي تتضمن تبني الإدارة نظرة إستراتيجية للجودة وتركز على المنع لا المعالجة للمشاكل، وهي تتطلب في الغالب الاهتمام بالتغير لإزالة الحواجز الموجودة (أبو الرب وآخرون، 2010، ص117).

ويرى Tunks(1992): بأنها التزام وتعهد كل من الإدارة والعاملين ترشيد الأعمال بحيث تلبي بصورة متناسقة لتوقعات المستهلك أو ما يفوقها (أبو الرب وآخرون،2010، ص117).

ويرى **Jablonski:** بأنها استخدام فرق العمل بشكل تعاوني لأداء الأعمال بتحريك المواهب والقدرات لكافة العاملين في المنظمة لتحسين الإنتاجية والجودة بشكل مستمر (صالح ناصر عليمات، 2004، ص18).

ويشير Lawrence(1997): على أنها عملية تطبيق مجموعة من المواصفات التعليمية والتربوية اللازمة لرفع مستوى المنتج التعليمي (طالب، فصل، مدرسة، مرحلة تعليمية) من خلال العاملين في مجال التربية والتعليم (سهيلة محسن كاظم الفتلاوي، 2008، ص26).

أما دليل إدارة الجودة الشاملة الصادر عن وزارة الدفاع الأمريكية، فقد عرًفها على أنها مجموعة المبادئ الإرشادية والفلسفية التي تمثل التحسين المستمر لأداء المؤسسة من خلال استخدام الأساليب الإحصائية والمصادر البشرية لتحسين الخدمات والموارد التي يتم توفرها للمؤسسة(سهيلة محسن كاظم الفتلاوي، 2008، ص28).

وتعرفها هيئة المواصفات البريطانية(BSL): أنها مجموع الصفات وملامح وخواص المنتج أو الخدمة التي تحمل نفسها عبء إرضاء الاحتياجات الملحة والضرورية (محمود داود الربيعي وآخرون، 2014، ص20).

من خلال ما سبق يمكن الخروج بتعريف شامل لإدارة الجودة الشاملة على أنها عملية لها جملة من المواصفات والمبادئ والمدخلات والمخرجات، تتطلب فريق عمل متضامن ومتعاون لتحقيقها، وهدفها الأسمى هو التحسين والتطوير والتميز والنجاح ويظهر ذلك من خلال رضى العميل(المستفيد).

ثانيا. متطلبات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات التعليمية

انطلاقا من القائمة التي أوردها معهد إدارة الجودة الشاملة الفيدرالي ومن آراء العديد من الباحثين حول ماهية وعدد وترتيب هذه المتطلبات يمكن القول أن أهم متطلبات تطبيق إدارة الجودة الشاملة تتمثل في:

- قناعة ودعم وتأييد الإدارة العليا لإدارة الجودة الشاملة.
- تبني الإدارة والعاملين فلسفة إدارة الجودة الشاملة وتعاونهما في تطبيقها.
- وجود أهداف محددة مشتقة من احتياجات العملاء وسعي الإدارة و العاملين معا لتحقيقها.
- منح العاملين الثقة وتشجيعهم على أداء العمل وتقدير المتميز منهم دون التدخل في كل كبيرة وصغيرة.
- الابتعاد كليا عن سياسة التخويف والترهيب.
- قياس الأداء للوقوف على جوانب العمل ومعدلات الإنتاج ومستويات الجودة في ضوء أهداف خطة التحسين.
- استخدام نتائج تقييم الأداء في محاسبة المديرين والعاملين.
- توفير البيانات الدقيقة التي ترشد عملية اتخاذ القرارات.
- استخدام وتطوير أساليب ونماذج حل المشكلات وتدريب المديرين والعاملين عليها مع الحرص على إعادة التدريب في ضوء ما تفرغه نتائج تقييم الأداء.
- إزالة الحواجز والعقبات من أمام جهود تحسين الجودة والإنتاجية.
- اعتبار تحسين وتطوير الجودة عملية مستمرة لا تتوقف بانتهاء مشروع أو مرحلة عمل ما(ديمنج وروبيرت هاغستروم، ترجمة هند رشدي، ص86-87).

ثالثا. مراحل تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات التعليمية: تمر إدارة الجودة الشاملة في التعليم بعدة مراحل مهمة هي:

مرحلة الإعداد: وهي مرحلة جمع المعلومات والبيانات الصحيحة عن كل من يتعلق بالمؤسسة وتحديد المشكلات وتحليلها واتخاذ القرارات الملائمة والصائبة تجاه فهم آراء ووجهات النظر للإدارة العليا ومتلقي الخدمة والموردين وجميع العاملين.

مرحلة الفهم الإداري: وهي تفهم جميع المستويات الإدارية لهذا الموضوع وهذا التغيير في المهارات الإدارية حيث أنها لن تطبق بوقت قصير أي أن تكون القناعة التامة والفهم الكامل لمبادئ وعناصر تقنيات إدارة الجودة الشاملة.

مرحلة التطور والتحسين المستمر: وهي إخضاع جميع الموظفين والعاملين إلى دورات تدريبية تعنى بالموضوع، وكذلك تشخيص المعوقات وتلافيها وتوفير التمويل المناسب لذلك.

مرحلة التحليل والتقييم: وهي الحصول على مستوى التقدم الذي عمل للمؤسسة وتحديده لفهم الحاجات والمتطلبات الأخرى لتقديم جودة أفضل للمستفيدين(محمود داود الربيعي، 2014، ص77).

رابعا. خطوات تطبيق إدارة الجودة الشاملة:

التمهيد: وهي مرحلة تهيئة العاملين بالمؤسسة التعليمية لتقبل مفهوم الجودة الشاملة، والالتزام بهذا المفهوم وما يتطلبه من إجراءات ومتطلبات في العمل، وتتضمن هذه العملية الممارسات الآتية:

- توضيح مفهوم الجودة الشاملة وأسسها ومقوماتها لجميع العاملين.
- تشجيع العاملين على المشاركة في مناقشة تلك الأسس والمقومات.
- تحديد احتياجات العملاء الداخلين (المتعلمين) أو الخارجين (احتياجات مؤسسات الأعمال المختلفة في القطاعين العام والخاص والمؤسسات الخدمية وغيرها).
- تحديد معايير الجودة التي ينبغي الوصول إليها في كل نشاط أو مجالات التعليم بالمؤسسة التعليمية.
- تحديد خطوات العمل وإجراءاته في كل مجال بدقة.
- تحديد المهام والمسؤوليات اللازمة لتنفيذ الأعمال المختلفة.
- توضيح الخصائص والصفات الواجب توافرها في القائمين بالعمل في مختلف الأقسام والمجالات بدقة من حيث المؤهلات العلمية والمهارات الشخصية.
- توفير الموارد المالية والمعلومات اللازمة لبداية التنفيذ.

التنفيـــذ: ويتضمن الممارسات الآتية:

- توزيع المهام والمسؤوليات على الأفراد بما يتفق مع قدراتهم وإمكاناتهم.
- تحديد السلطات المناسبة لكل فرد بما يتفق مع مسؤولياته.
- زيادة القدرات والمهارات اللازمة للتنفيذ من خلال عمليات التدريب المستمر سواء بالنسبة لأعضاء هيئة التدريس أو الإداريين.

التقويـــم: تجدر الإشارة إلى أن هذه العملية لا يقصد بها فقط التقويم النهائي للحكم على نجاح وجودة التغيير الذي تم إنجازه، ولكن تصاحب هذه العملية كل مراحل العمل السابقة سواء التمهيد أو التنفيذ، وذلك للاستفادة من التقويم المستمر في ترشيد عمليات إدارة الجودة في المرات الآتية، ومن أبرز الممارسات التي تتضمنها تلك العملية:

- المراقبة المستمرة للأداء من مرحلة التمهيد حتى نهاية مرحلة التنفيذ.
- مقارنة الأداء بمعايير الجودة التي تم تحديدها في مرحلة التمهيد.
- تقييم أداء العاملين ووضع رتب لأدائهم.
- إعادة توجيه العمل نحو المتطلبات الجديدة للعميل، وتحديد الأخطاء والانحرافات عن الهدف الموضوع، وتقديم الخبرات اللازمة لتصحيح الأخطاء والتحسين المستمر.
- المراجعة المستمر للجودة بغرض التأكد من مدى فاعلية نظام إدارة الجودة الشاملة ومدى مناسبته بطبيعة العمل(صالح ناصر عليمات، 2004، ص102-104).

ويوجد من يرى أن هناك مجموعة من الخطوات التنفيذية للأخذ بنظم الجودة في الإدارة التعليمية هي:

- الفهم العميق لإدراك فلسفة الجودة ونطاقها.
- التفهم والتلاؤم الذهني لفلسفة التغير المستمر ومتطلباته.
- وضع القيم المستهدفة للجودة وبرامج تنفيذها وبرامج وأساليب المراقبة التنظيمية للتأكد من تحقق القيم والأهداف.

- تطوير نظام جودة شامل يتضمن: سياسة الجودة، خطة إستراتيجية للجودة، خطة تنفيذية، خطة تدريبية، التنظيم والهيكل، الخطوات للأداء الصحيح.
- إعداد الأفراد للتغير، وتزويدهم بقيم ثقافة الجودة، تدريب الأفراد للعمل كفريق(محمد عطوة مجاهد، 2008، ص61).

اتجاهات تطبيق الجودة في مجال التعليم: هناك أكثر من اتجاه لتطبيق مفهوم الجودة في التعليم وإدارة نظم التعليم ومناهجه هي:

الاتجاه الذي ينظر إلى الجودة كتميز: يبنى هذا الاتجاه على اعتبار أن المؤسسة التعليمية لها ما يميزها عن غيرها من المؤسسات التعليمية من حيث مستوى انجازها وما تقدم، وما تتمتع به من قدرات إدارية ومستوى متميز للعاملين فيها. وعندما تتمتع المدرسة أو المعهد أو الجامعة بهذه الصفة فهذا يعني أنها جيدة وأن مفهوم الجودة تتضمنه طبيعة المدرسة أو المؤسسة التعليمية وخصائصها التي تميزها عن غيرها. فعلى سبيل المثال تكون هناك مدارس ومؤسسات وجامعات مميزة، لها معايير خاصة تتعلق بمواصفات العاملين فيها، ومواصفات الطلبة الذين يقبلون فيها، ومواصفات إدارتها ومرافقها وما تقدم من برامج وخدمات تعليمية فتقوم سياستها على:
- أن يكون المدرسون فيها ممن يشهد لهم بالتميز من مدرسي المدارس الأخرى.
- أن يكون الطلبة الملتحقون بها من أفضل الطلبة في تحصيلهم وقدراتهم.
- توفير أفضل المصادر للمعومات.

الاتجاه القائم على أن الجودة تعني الكمال والخلو من العيوب: ويتسم هذا الاتجاه بأنه يشدد على العمليات التي تقوم بها المؤسسة التعليمية ويحدد المواصفات التي تؤدي إلى الكمال وتجنب وقوع أي خطأ أو عيب في الخدمة التعليمية ويقوم ذلك على:
- تبني مبدأ منع الأخطاء وعدم وجود أي خطأ في العمل.
- تبني مبدأ الحصول على نتائج صحيحة من أول مرة من دون المرور بأية محاولة تغطى إلى نتائج معيبة.

وفي ضوء هذا الاتجاه فإن الخدمة أو المنتج الذي تحققه المؤسسة التعليمية هو المطابق للمواصفات المحددة، بمعنى أن منتج الجودة في ظل هذا الاتجاه مخرجات خالية من العيوب.

الاتجاه القائم على أن الجودة ملائمة الهدف لأغراض المستفيدين: يهتم هذا الاتجاه بملائمة التعليم لأغراض المتعلمين والمجتمع من خلال:
- ملائمة مواصفات الخدمة التعليمية للمستفيدين منها بمعنى أن تكون نتائج العملية التعليمية ملائمة للمواصفات المحددة ويتأسس هذا على أن تكون شروط العملاء (المستفيدين) محددة بدقة وأن يكون الناتج مطابقا لهذه الشروط.
- رضا المستفيدين (العملاء) وإشباع حاجاتهم وفق ما توقعوا من المؤسسة التعليمية.

وهذا يعني أن المؤسسة يجب أن تعكس احتياجات العملاء وتوقعاتهم، وأن رضا العملاء يعد مؤشرا على ملائمة الجودة لغرض العميل أو المستفيد وفي ضوء هذا فإن المؤسسة التعليمية التي تتبنى مفهوم الجودة يجب أن تحقق أهداف المتعلمين وأهداف المجتمع وأن تعكس احتياجات سوق العمل من حيث الخصائص والشروط التي ينبغي أن تتوفر في المتخرجين وذلك يتطلب معرفة دقيقة من المؤسسة التعليمية للشروط والخصائص التي يتطلبها سوق العمل، وعمل المؤسسة على تحقيق هذه الشروط والمواصفات.

الاتجاه القائم على أن الجودة نتاج لرقابة عالية: إن هذا الاتجاه مبني على أساس أن الجودة هي ناتج لنظام رقابة عالية لذا فهو يتطلب تحديد مواصفات منتج الجودة وأن الجودة تتطلب تحقيق المواصفات في المنتج وفق المعايير التي وضعتها الجهات المعنية لضمان الجودة وتقويمها. فالجودة وفق هذا الاتجاه نتاج لرقابة عالية تتضمن إخضاع المؤسسة التعليمية إلى مستويات أداء

محددة وهذا يتطلب وجود فرق خاصة لتُقوِّم الأداء، ومعايير تتسم بالارتفاع والاستمرار لضمان الرقي والتقدم المستمر للجودة في المؤسسة وهذا يتطلب توفر أساليب إدارية حديثة تضمن التحسين والتطوير المستمر لأداء المؤسسة وتحسين قدرتها على إدارة الجودة بنجاح وهذا يتطلب أن تكون الجودة جزءا من المؤسسة التعليمية. وهذا يعني أن جودة نظام التعليم مسؤولية مشتركة بين جميع العاملين في المؤسسة التعليمية (محسن علي عطية، 2008، ص 36-37).

خطوات تطبيق الجودة الشاملة في المؤسسات التعليمية: هناك العديد من المتطلبات الضرورية لتطبيق الجودة الشاملة وهي:

- خلق بيئة عمل مناسبة بصورة متدرجة لتطبيق الجودة الشاملة.
- استشعار أهمية التدريب قبل وأثناء الخدمة.
- أهمية استثمار العقول البشرية المتوافرة.
- أهمية بناء وتشكيل فرق العمل.
- أهمية مبدأ التحفيز للعاملين.
- عمل أدلة إرشادية عملية لجميع الأعمال داخل القطاع التعليمي.
- إيجاد قاعدة معلومات وبيانات إحصائية داخل المؤسسة التعليمية.
- التنسيق بين الجهات التعليمية وغيرها كمنظومة متكاملة.
- معايير تقييم قبل وأثناء وبعد أداء العمل في القطاع التعليمي.
- اعتماد العمل بالدراسات القائمة على البحث العلمي المتقن.
- دراسة تجارب الآخرين والاستفادة منها يتناسب مع الواقع (رافدة الحريري، 2011، ص 41-42).

فوائد تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات التعليمية:

- ضبط وتطوير النظام الإداري نتيجة وضوح الأدوار وتحديد المسؤوليات.
- الارتقاء بمستوى الطلاب في جميع الجوانب الجسمية والعقلية، والاجتماعية، والنفسية، والروحية.
- ضبط شكاوى ومشكلات الطلاب وأولياء أمورهم والإقلال منها ووضع الحلول المناسبة لها.
- زيادة الكفاءة التعليمية ورفع مستوى الأداء لجميع الإداريين والمعلمين العاملين.
- توفير جو من التفاهم والتعاون والعلاقات الإنسانية السليمة بين جميع العاملين.
- رفع مستوى الوعي لدى الطلاب وأولياء أمورهم تجاه الجامعة من خلال إبراز الالتزام بنظام الجودة.
- الترابط والتكامل بين جميع الإداريين والمعلمين والعمل بروح الفريق.
- تطبيق نظام الجودة بمنح الجامعة الاحترام والتقدير المحلي والاعتراف العالمي (محمد بن محمد الحربي، 2008، ص 32).

الآثار الايجابية من تطبيق الجودة الشاملة:

تحقق زيادة في الإقليمية: إن التحسين المستمر للإجراءات له الأثر الكبير على التقليص من المنتج المرفوض وبالتالي إعادة الأعمال مرة أخرى أو تصحيح المسارات وبالتالي توفر وقت جيد للعاملين للإنتاج بشكل منتظم.

التحسين في رضاء العملاء والموظفين: حيث أن المنشأة بتطبيقها للجودة الشاملة فإنها تقوم بإتباع أسلوب التحسين المستمر **"الديمنج"** وبالتالي فإن عملية إخراج المنتج من السلع أو الخدمات تقوم على أساس الإطلاع على رغبات العملاء وذلك بمعرفة احتياجاتهم وما يفي بمتطلباتهم مما يؤدي تلقائيا إلى الحصول على رضا العملاء.

كذلك الحال بالنسبة للموظفين فبمشاركتهم في عملية التحسين المستمر وحل المشكلات وإيجاد الحلول المناسبة واختيار البدائل واتخاذ قرارات التحسين له الأثر في ارتفاع الروح المعنوية وبالتالي رضائهم عن المنشأة التي يعملون بها.

انخفاض في تكلفة الجودة: من المعلوم أن عمليتي إعادة الأعمال التي يتم أدائها صحيحة من المرة الأولى وسحب المنتج المرفوض يشكلان عبئا على المنشأة في زيادة التكاليف، أما عملية إخراج المنتج بشكل صحيح ومقبول من المرة الأولى وبدون أخطاء وبما يرضي العميل فإن ذلك له الأثر في خفض التكلفة.

الوفورات المالية: إن مراجعة الأداء واحتساب الإقليمية والذي يوفرانها عملية تطبيق الجودة الشاملة لها الأثر في ارتفاع نسبة المتوفرات المالية.

تحسين في الأداء العام: من شأن المراجعات المستمرة الهادفة إلى تحسين الإجراءات والأعمال بشكل شامل يؤثر طردا على الأداء العام في المنشاة.

زيادة القدرة التنافسية: حيث أن التحسين المستمر للأعمال والإجراءات (والذي يؤدي إلى تحسين المنتج وارتفاع في نسبة رضاء العملاء) والذي لا يكون اعتباطا بل يتم عن طريق دراسة الأسواق والتعرف عن كتب على المنتجات المنافسة المتاحة في سوق المحلية والدولية وبالتالي ارتفاع جودة المنتج إلى أفضل قدر ممكن من شأنه إتاحة الفرصة للمنشأة لرفع مستوى القدرة التنافسية لها حيث جودة منتجاتها(محمود أحمد عبد الفتاح،2012، ص32-34).

ثانيا: معوقات تحقيق إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات التعليمية قبل الحديث عن المعوقات التي تحول دون تحقيق إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات التعليمية، لا بأس أن نعرج على بعض المؤشرات التي تدل على تدني الجودة في مؤسسة ما.

مؤشرات تدني الجودة في المؤسسة: هناك مؤشرات كثيرة يمكن أن يُستدل بها على تدني الجودة في المؤسسة الإنتاجية أو الخدمية منها:

- التأخير وضياع الفرص، والتأجيل.
- الشكاوي التي تثار.
- هدر الموارد والازدواجية.
- الإلغاءات، وإعادة العمل.
- الأخطاء في المدخلات أو النتائج.
- شيوع أسلوب الإدارة بالأزمات.
- العمل الإضافي، ولوم العاملين.
- الاختناقات والأزمات.
- الفصل والاستقالات والتنقلات.
- تباطؤ الإنتاج.
- انخفاض المعنويات.
- الغياب، وإضراب العمال.
- تعدد جهات الرقابة والمضايقات المركزية.
- إعادة تدريب العاملين(محسن علي عطية، 2008، ص47-48).

معوقات تحقيق إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات التعليمية: هناك العديد من الصعوبات التي تقف في طريق تحقيق إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات التعليمية لتشكل عائقا يحول دون ذلك، وأهم هذه الصعوبات ما يلي:

- عدم ملائمة الثقافة التنظيمية السائدة في المؤسسات التعليمية التي تتفق ومتطلبات تطبيق الجودة الشامة وذلك على مستوى الإبعاد والثقافة التنظيمية(القيادة، الهياكل والنظم، التحسين المستمر، الابتكار).
- المركزية في اتخاذ القرارات التربوية، فإدارة الجودة الشاملة تتطلب المرونة والسرعة مما يستوجب تطبيق أسلوب اللامركزية في الإدارة.
- عدم مشاركة جميع العاملين في تطبيق إدارة الجودة الشاملة.
- عدم استقرار الإدارة وتغيرها الدائم.
- التركيز على الأهداف قصيرة المدى.
- تبني طرق وأساليب لإدارة الجودة الشاملة لا تتوافق مع خصوصية المؤسسة.
- صعوبة تحديد معايير قياس مدى جودة الخدمات.
- عدم الربط بين المفاهيم الدراسية والتخصصات بالجامعات وقطاع سوق العمل من حيث (مدى تطور المناهج طبق متطلبات سوق العمل).
- انعدام التساوي في الأهداف والأغراض.
- التركيز على تقييم الأداء وليس على القيادة الواعية التي تساعد على جودة أعلى.
- عدم ملائمة الخدمة التعليمية المقدمة للطلبة ومستوى جودة الخدمة التي تتفق مع رغباتهم وتوقعاتهم وذلك فيما يخص(الكتاب المدرسي أو الجامعي، أداء هيئة التدريس، أساليب التقويم المتبعة، كفاءة نظام تقديم الخدمة ورعاية الطلبة).
- ضعف النظام المعلوماتي.
- عدم اتساق سلوكيات القادة مع أقوالهم.
- إهمال تحقيق التوازن بين الأهداف قصيرة الأجل وطويلة الأجل.
- ندرة توفير المعلومات والبيانات على نحو سريع ودقيق من النظام التعليمي.
- تسيب العاملين وعدم التزام بعضهم في أداء أدوارهم بالمؤسسة التعليمية.
- اعتماد نظام المعلومات في المجال التربوي على الأساليب التقليدية.
- عدم توفير الكوادر المدربة والمؤهلة في مجال إدارة الجودة الشاملة في العمل التربوي.
- التمويل المالي: يحتاج إلى تطبيق نظام الجودة الشاملة في العمل التربوي إلى ميزانية كافية.
- الإرث الثقافي والاجتماعي هو ثقل الموروث التربوي التقليدي وعدم تقبل أساليب التطور والتحسين.
- عدم تحويل التزام الإدارة لتطبيق البرنامج وتدريب العاملين فيها إلى حيز الواقع وغياب مشاريع التطوير.
- تشديد المؤسسة على تبني طرق وأساليب إدارة الجودة الشاملة التي لا تتفق مع نظام إنتاجها وموظفيها.
- مقاومة التغيير والتطوير بسبب نقص في ثقافة الجودة لدى المديرين والعاملين في المؤسسة.
- عدم تركيز النظام ككل والاقتصار على أساليب معينة في إدارة الجودة.
- تخويف بعض العاملين من تحمل المسؤولية إزاء معايير حديثة غير مألوفة لديهم.
- اعتماد برنامج الجودة الشاملة على خبراء بالجودة أكثر من اعتمادها عل الأفراد العاديين في المؤسسة التعليمية.
- توقع نتائج فورية وليست على المدى البعيد، فقد تقوم بعض المؤسسات بتكثيف في المؤسسة التعليمية.
- عدم التزام الإدارة العليا بتطبيق برنامج إدارة الجودة الشاملة، وعدم علمها بخطوات وإجراءات هذا البرنامج (محمود داود الربيعي، 2008، ص79-81).

- معارضة كثير من رجال التعليم للجودة الشاملة بسبب مضامينها التي يعدونها متعارضة مع طبيعة المؤسسات التعليمية، ويشككون في إمكانية تطبيق الجودة الشاملة في إدارة المؤسسات التعليمية لارتباط بعض المصطلحات والمسميات بالجوانب التجارية والصناعية وعدم موافقتها مع النطاق الأكاديمي (طارق عبد الحميد السامرائي، 2013، ص114).

رابعا: توصيات ومقترحات عامة للتغلب على المعوقات: للتغلب على العوائق التي قد تعترض تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشامة في القطاع التربوي، ولنجاح تطبيق إدارة الجودة الشاملة في هذا الميدان يمكن العمل على ما يلي:

- تأسيس نظم معلومات وأوعية حفظ فعالة توظف التقنيات الحديثة ووسائط الاتصالات المتطورة، التي تتيح لصانعي القرار والعاملين في المؤسسات التربوية إمكانية الحصول على البيانات الضرورية لتطبيق هذا النموذج الذي يعتمد على المعلومة السريعة والدقيقة.
- إعداد الكوادر التدريبية المؤهلة عن طريق دورات مكثفة تعقد لغرض تأهيل هذه الكوادر وتدريبها على تطبيقات نموذج إدارة الجودة الشاملة، لتصبح فيما بعد نواة الأجهزة التدريبية التي ستقوم بتدريب العاملين في المؤسسات التعليمية المختلفة.
- التوسع في تفويض الصلاحيات والمسؤوليات في المناطق التعليمية في الميدان، وإبقاء الدور الإشرافي والتوجيهي للوزارة / المركز.
- تصميم برامج لإدارة الجودة الشاملة تتوافق مع البيئة العربية من حيث قيمها، ومعتقداتها، وتقاليدها، وعاداتها.
- إنشاء وحدات تعنى بأمور الجودة وإلحاقها بإدارات التعليم في الميدان تكون مهمتها الرئيسة الإشراف على تطبيق أساليب إدارة الجودة الشاملة وتقديم المساعدة الفنية لغايات تحقيق أهدافها.
- إعادة النظر في أساليب التقويم التربوي ووسائله للوصول إلى وسائل لا يهمها التصنيف بقدر ما يهمها تحقيق التحسن المستمر والجودة والنوعية في الأداء.
- ضرورة التعرف على حاجات ورغبات المستفيدين من خدمات القطاع التربوي: الطلبة، وأولياء الأمور والمجتمع، وبذل الجهود لتلبيتها على نحو يحقق الرضا والارتياح.
- إعادة صياغة الإطار الفكري للعمل التربوي لتغدو المدارس مؤسسات تربوية لا تعتمد على عملية ضخ المعارف وحشوها في أذهان الطلبة فقط، بل تتعدى ذلك إلى حشد الطاقات الفكرية والقدرات الإبداعية لديهم وتنميتها.
- إعادة تعريف مفاهيم القيادة التربوية والأطر التي تعمل المدارس والمؤسسات التربوية في ضوئها، قبل البدء بتطبيق مفاهيم وأساليب إدارة الجودة الشاملة (محمد عوض الترتوري وأغادير عرفات جويحات، 2006، ص68-69).
- تطبيق الإدارة اللامركزية في مستوى المؤسسة.
- تحسين كفاءة المدارس واستخدام مبدأ المحاسبة.
- يجب أن يخلق كل أفراد الجماعة المدرسية قيما للجودة واضحة ومرئية.
- تشجيع المشاركة والإبداع بالمؤسسة.
- تشجيع المشاركة الشخصية المنتظمة لكل أفراد المؤسسة.
- تبني إدارة الجودة على أساس تجميع واستخدام المعلومات وذلك لتحديد وتحليل المشكلة.
- يجب على المدير أن يؤمن بأن تطبيق الجودة الشاملة بالمؤسسة ضروري لتقليل شكاوى العملاء.

ماذا نستفيد من إرساء ثقافة الجودة الشاملة؟

- تفعيل إنتاجية المؤسسة.
- تدعيم مسيرة الإصلاح.

- تأكيد الالتزام الخلقي والتميز لدى الإدارة والمعلمين والتلاميذ.
- تنظيم دافعية وحيوية المعلمين والتلاميذ.
- زيادة الوعي بالأولويات التي ينبغي إنجازها.
- ضمان تحقيق الجودة التربوية من خلال تطبيق المعايير العالمية في: - طرائق التعليم/التعلم. – المحتوى والمصادر التعليمية. – أدوار المؤسسة والشراكة مع البيئة. - المبنى المدرسي. – المسؤولية والمساءلة (ديمنج وروبيرت هاغستروم، ترجمة هند رشدي، د س، ص57-58).

خاتمة:

من خلال ما عرض من عناصر حول إدارة الجودة الشاملة في التعليم، نستطيع القول بأنها أصبحت مطلبا ضروريا لا يُستغنى عنه في جميع المنظمات والمؤسسات، بما في ذلك المؤسسات التعليمية، ومهما تضاربت الاتجاهات بين معوقات التحقيق ومتطلبات التطبيق فلابد من التغلب على جميع العراقيل التي تحول دون تحقيقها، والسعي وراء نشر ثقافة الجودة الشاملة من أجل تطوير وتحسين المؤسسة والوصول بها إلى العالمية والتميز

قائمة المراجع:

1. حسن حسين البيلاوي وآخرون(2006)، الجودة الشاملة في التعليم بين مؤشرات التميز ومعايير الاعتماد، ط1، دار المسيرة، عمان، الأردن.
2. ديمنغ وروبيرت هاغستروم، ترجمة هند رشدي، إدارة الجودة الشاملة، كنوز للنشر والتوزيع، قصر النيل، القاهرة.
3. رافدة الحريري(2011)، الجودة الشاملة في المناهج وطرق التدريس، ط1، دار المسيرة، الأردن.
4. سهيلة محسن كاظم الفتلاوي(2008)، الجودة في التعليم(المفاهيم- المعايير- المواصفات- المسؤوليات)، ط1، دار الشروق، الأردن.
5. صالح ناصر عليمات(2004)، إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات التربوية (التطبيق ومقترحات التطوير)، ط1، دار الشروق، الأردن.
6. طارق عبد الحميد السامرائي(2013)، الجودة التعليمية الحديثة، ط1، دار الابتكار، الأردن.
7. عماد أبو الرب وآخرون (2010)، ضمان الجودة في مؤسسات التعليم العالي بحوث ودراسات، دار صفاء، عمان.
8. محسن علي عطية(2008)، الجودة الشاملة والمنهج، دار المناهج، الأردن.
9. محمد بن محمد الحربي(2008)، متطلبات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم_العالي، وزارة التعليم العالي، جامعة الملك سعود، كلية التربية، قسم الإدارة التربوية.
10. محمد عبد الرازق إبراهيم(2003)، منظومة تكوين المعلم في ضوء معايير الجودة الشاملة، ط1، دار الفكر، الأردن.
11. محمد عطوة مجاهد(2008)، ثقافة المعايير والجودة في التعليم، دار الجامعة الجديدة.
12. محمد عوض الترتوري واغادير عرفات جويحات (2006)، إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي والمكتبات ومراكز المعلومات، ط1، دار المسيرة، الأردن.
13. محمود أحمد عبد الفتاح(2012)، إدارة الجودة الشاملة، ط1، المجموعة العربية للتدريب والنشر، مدينة نصر، القاهرة، مصر.
14. محمود داود الربيعي وآخرون(2014)، إدارة الجودة الشاملة في التربية والتعليم، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان.

فقه الإصلاح النبوي وأثره في تحقيق التغيير الاجتماعي معالم التنظير وعوائق التطبيق

The jurisprudence of prophetic reform and its impact on achieving social change: aspects of the theory and obstacles to application

د. عبد الكريم القلالي، دكتوراه في العقيدة والفكر الإسلامي-المغرب.

ملخص: يهدف البحث إلى بيان معالم الإصلاح النبوي، وأهمية الاستفادة منه فيما أتى بعده وما هو آت من الدعوات الإصلاحية، والكشف عن خصائصه ومميزاته التي جعلته نموذجا فريدا، وأثره في تحقيق التغيير الاجتماعي المنشود، كما يتناول أسباب فشل الكثير من الدعوات الإصلاحية، وإبراز مكامن الخلل ومواطن القصور فيها، مع بيان المخرج وتيسير السبيل أمام المصلحين لتحقيق مقاصد الإصلاح.

الكلمات المفتاحية: الإصلاح النبوي، التغيير الاجتماعي، فقه الإصلاح، الإصلاح.

Abstract: This research aims at prsenting aspects of the prophetic reform, presenting its ifluence on the subsequent reform trends, unveiling its unique characteristics, and accounting for its impact on the desired social change. The research also tackles the reasons behind the failure of some reform trends. This is done by highlighiting the drawbacks of these trends and by ,also, illumintaing the way for these trends to achieve the objectives of the reform.

Keywords: prophetic reform, social change, jurisprudence of reform, reform.

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

الإصلاح ضرورة إنسانية وفريضة شرعية، وهو رغبة من رغبات الإنسان المتطلع نحو الأحسن والأفضل، الساعي إلى التقدم والتطور في مختلف شؤون الحياة، كانت دينية أو اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو غيرها، وقد برزت في التاريخ دعوات إصلاحية عدة تعمل على شاكلتها ولكل منها وجهتها، تختلف مواردها ومشاربها.

إشكالات البحث: يتكرر السؤال دوما عن أسباب فشل الكثير من دعوات الإصلاح؟ وعن سلامة منهجها الإصلاحي أصلا؟ وهل للإصلاح منهج ينبغي أن يتبع أم تختلف مناهجه بحسب البيئات؟ وإذا كانت تجارب بعض المصلحين تعتبر إلهاما لكل من رغب الإصلاح؛ فهل استفاد المصلحون من منهج سيد البشرية محمد صلى الله عليه وسلم في الإصلاح؟ وكيف استطاع في ظرف وجير لا يعد في حساب الزمن شيئا أن يغير الجزيرة العربية ويحول أهلها من رعاة غنم إلى رعاة أمم؟

ويتناول البحث الآثار المترتبة عن انصراف الكثير من الدارسين نحو المجال النظري فقط وإغفال سبل التنزيل والتطبيق، والغلو في التنظير دون مراعاة إمكانية التنزيل.

أهداف البحث: حرصا على بيان مكامن الخلل وأوجه القصور في كثير من دعوات الإصلاح، جاءت هذه الورقات البحثية لتناول هذا الموضوع بالإجابة عما طرحناه آنفا من مشكلات، ولو إيماء وإشارة إلى بعض جوانبه؛ ذلك أن تفصيله عمل جماعة وليس عمل فرد، وغرضنا هو استشكاف بعض مكامن الخلل والإشارة إلى سبل العلاج، وحسبنا أننا نستدعي بعض علل الإصلاح التي أوهنته، طمعا في مخرج يرفع عن الأمة ما حاق بها من الضعف والهوان،ولتحقيق مقاصد البحث وأهدافه، ضمنته العناصر التالية:

المطلب الأول: تعريف مصطلحات البحث.

المطلب الثاني: معالم التنظير الإصلاحي وأهميته في التغيير الاجتماعي.

المطلب الثالث: معوقات تطبيق الإصلاح وأثره على التغيير الاجتماعي.

المطب الأول: تعريف مصطلحات البحث

مفردات البحث التي نرى أنها تحتاج إلى تحديد المقصود منها هي: "فقه، وإصلاح، وتغيير"وإليك بيانها:

أولا:تعريف الفقه

الفقه لغة: من معانيه: الفهم، قال ابن منظور: الفقه العلم بالشيء والفهم له وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلم (ابن منظور، د ت، ج: 13، ص522). فإذا ورد مطلقا لا ينصرف إلا إليه، وهو العلم المعروف.

وفي الكتاب العزيز ورد الفقه بمعنى الفهم؛ كما في قوله تعالى (حكاية عن نبي الله موسى عليه السلام) ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ (سورة طه، الآية: 28) يقول الإمام الطبري: يفقهوا عني ما أخاطبهم وأراجعهم به من الكلام (الطبري، 2000، ج:18، ص300)، وفي قوله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾(سورة الإسراء، الآية:44) أي: لا تفقهون تسبيحهم أيها الناس؛ لأنها بخلاف لغتكم (ابن كثير، 1999م، ج: 5، ص75) فكلتا المفردتين في الآيتين يرجع معناهما إلى الفهم.

الفقه اصطلاحا: عرفه الإمام الغزالي (رحمه الله) بقوله: «عبارة عن العلم بالأحكام الشرعية الثابتة لأفعال المكلفين خاصة» (الغزالي، 2000، ج:1، ص5) وتعاريفه متعددة عند العلماء نكتفي بهذا الذي أوردناه، إذ ليس هو المقصود.

ثانيا: تعريف الإصلاح

الإصلاح لغة: مأخوذ من صَلُحَ: والصلاح: ضد الفساد, ورجل صالح في نفسه من قوم صلحاء، ومصلح في أعماله وأموره, وقد أصلحه الله, وأصلح الشيء بعد فساده: أقامه، و(الإصلاح) ضد الإفساد. و(المصلحة) واحدة (المصالح) و(الاستصلاح) ضد الاستفساد (ابن منظور، د ت، ج: 2، ص516).

والصلاح والفساد غالبا ما يطلقان في الاستعمال على الأفعال، قال الله تعالى: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صالِحًا وَآخرَ سَيِّئًا﴾ (التوبة:102) وقال سبحانه: ﴿إليه يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (سورة فاطر، الآية: 10) والإصلاح والفساد مفردتان تقترنان ببعضها غالبا، حيث يصعب فهم وتعريف إحداهما دون فهم وتعريف الأخرى، فمن الناحية اللغوية يصعب الاستدلال على معنى الفساد دون اعتباره حالة تتنافى مع مبدأ الصلاح والإصلاح (الزبيدي، 2005، ص11)، ومما سبق يتبين أن الصلاح ضد الفساد، وأن صلاح الفرد معناه صدور كل فعل حسن عنه.

الإصلاح اصطلاحا: عرف الإصلاح بتعاريف كثيرة، منها:

الإصلاح، هو: الرجوع إلى الإسلام، ويصحب ذلك منهج كامل متكامل يشمل الأفراد والمجتمعات، يصلح العقيدة والفكر والثقافة، ويصلح السلوك والعبادة، فهو إصلاح اجتماعي واقتصادي وسياسي، وهو إصلاح دعوي تربوي تنظيمي شامل متكامل (محمود علي عبد الحليم، 1994، ص15).

وعرف أيضا بأنه: «هو تصويب ما اعوج في ممارسة أمور الدين والدنيا عند المسلمين، والعودة بها إلى الأصل الذي لم يلحقه زوائد ومحدثات» (بلقزيز عبد الله، 1997، ص15).

والمتأمل في هذين التعريفين يرى أنهما يعتمدان في مفهوم الإصلاح الرجوع إلى الأصل.

وقد ذكر الله تعالى الإصلاح في قوله تعالى (حكاية عن نبي الله شعيب) ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود: 88) والإصلاح ضد الإفساد، وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم «لإكمال الإصلاح الذي بدأه الأنبياء من قبله»(ابن عاشور، 1984، ج: 2، ص320).

والتعريف الذي أختاره لمفهوم الإصلاح هو أنه: تغيير تدريجي جزئي، يرمي إلى تحقيق المصالح ودفع المفاسد؛ كما في قوله صلى الله عليه وسلم: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»(مسلم، دت، ج:1، ص97).

ثالثا: تعريف فقه الإصلاح النبوي: المقصود بفقه الإصلاح النبوي هو: ما يجب معرفته وفهمه من أسس وقواعد الإصلاح التي سلكها النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته.

رابعا: تعريف التغيير:التغيير لغة يدور على معنى الانتقال من حال إلى حال، وعلى إحداث شيء لم يكن من قبل أو تبديل هيأة بأخرى (ابن منظور، د ت، ج: 5، ص34).

مفهوم التغيير الاجتماعي، المقصود بالتغيير الاجتماعي ما يطرأ في المجتمع من تحولا وتطورات سواء كانت عقدية أو فكرية أو سلوكية.

والمقصود بمعالم التنظير: معالم جمع معلم، والمعلم الإشارة التي تدل على الشيء.

والمقصود بعوائق التطبيق: الصوارف والموانع التي تحول دون تحقق التطبيق تحققا أمثل.

المطلب الثاني: معالم التنظير الإصلاحي وأهميته في التغيير الاجتماعي

إن السير على آثار النبوة واقتفاء منهج السنة التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عصمة من كل فتنة، وأمان من كل خوف، وحق لا يداخله شيء من الباطل، وهي تبيان كتاب ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (سورة فصلت، الآية:42) ورسول الهدى صلى الله عليه وسلم يعلمنا ويبصرنا فيقول: «العلماء ورثة الأنبياء» (أبو داود، دت، ج:

2، ص341) والوارث إنما يأخذ إرثه ممن ورثه، فالعلماء ورثة الأنبياء في الاستمرار في تبليغ الرسالة وأداء الأمانة والنصح للأمة.

وفي المنهج الذي سلكه النبي صلى الله عليه وسلم بصيرة للمصلحين من بعده «ويوم أن كانت بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم- كانت الأرض قد ظهر فيها الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، ونخرت الأرض بالضلالات. حتى آذن الله تعالى بإشراق شمس الإسلام التي بددت الظلمات المتكاثفة بعضها فوق بعض، وكانت البعثة النبوية إيذانا ببزوغ فجر جديد ليضيئ بنوره الخافقين» (منير الغضبان، 1992، ص30)، فكان إصلاحه إصلاحا شاملا لم يتكرر نظيره في التاريخ، سوى ما كان من استمرار لمنهجه الإصلاحي خلال فترة الخلافة الراشدة، وبعض المناهج التي كانت قريبة من ذلك في فترات أخرى متفرقة من التاريخ الإسلامي؛ فمن له أهلية تنظير وتنزيل مثل ذلك الإصلاح، في هذه الليالي الحالكة والفترات الحرجة من تاريخ الأمة؟.

ولا يخفى أن الإصلاح لا يمكن أن يدعيه من هب ودب كان فردا أو جماعة؛ بل لابد من: توفر الأهلية واستجماع شروط المصلح من فقه وعلم ودراية بالتنزيل والوقائع، والنبي صلى الله عليه وسلم لما أراد بعث معاذ إلى اليمن أراد أن يتأكد من أمره وحاله، فقال له: «بم تحكم؟ فقال معاذ: بكتاب الله. قال: فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فإن لم تجد في سنة رسول الله؟ قال: أجتهد رأيي ولا آلو؛ فضرب النبي صلى الله عليه وسلم على صدره وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله» (الدارمي، 1995، ج: 1، ص72)، إنه المنهج الذي لا بد منه لكل آخذ بسياسة الناس، أو عامل في مجال إصلاحهم، أو ساع في تبصيرهم ودعوتهم؛ فيتخير من حوله من له أهلية حمل الأمانة، بوضع الرجل المناسب في الموضع المناسب.

ولابد من علم أحوال وعوائد الفئة التي يراد إصلاحها فهاهو صلى الله عليه وسلم في وصيته لمعاذ يبصره ويبين له المنهج، ويعطيه المفاتيح التي يصل بها إلى الغاية ويحقق النجاح، يقول له عليه الصلاة والسلام: «إنك تأتي قوما أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإن هم أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، فإن هم أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، وإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» (البخاري، 2000، ج:6، ص373) وهكذا نجد هذا المنهج في منطلقات الإصلاح بينا واضحا، أساسه الإيمان، وحكمه وضابطه الإسلام، وحاديه تقوى الله سبحانه وتعالى، وطريقه اتباع المصطفى صلى الله عليه وسلم باعتماد التدرج ومعرفة حال المصلحين.

ويضاف إلى ذلك وضوح الرؤية وتبين الأهداف وإعلان المراد، وهذا مثل قرآني يجمع صورة عملية لهذه المنطلقات وتطبيقاتها في شأن الإصلاح، وهو في قصة نبي الله شعيب عليه السلام في خطابه لقومه: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾(سورة هود، الآية: 88) هذه صورة متكاملة ومنهج واضح وتطبيق عملي في خطاب يعلن المبادئ ويبين المسالك، ويظهر الاعتماد والقاعدة التي يكون منها الانطلاق (إِنْ كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي) فلا انطلاق قبل وضوح الرؤية، وقبل بيان الحكم، وقبل معرفة الحق من الباطل، ثم التزام الإصلاح ومطابقة القول العمل، ومن مقتضيات العلم بفقه الإصلاح أن يكون المصلح على بينة مما يلي:

أولا: البينة الواضحة في الحكم الشرعي بأدلته من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهو العلم قبل القول والعمل؛ كما بوب ذلك الإمام البخاري في صحيحه "باب العلم قبل القول

والعمل" (البخاري، 2000، ج: 1، ص37) لقول الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (سورة محمد، الآية: 19).

ثانيا: الاجتهاد الخالص المخلص فيما يظن أنه يترتب على الفعل من المصالح والمفاسد والموازنة بينهما، فما رجح من المصالح على المفاسد كان الأولى فعله، وما رجحت مفاسده على مصالحه فالأولى تركه وإن كان مباحا أو جائزا، بل ربما يكون مندوبا أو في بعض الأحوال واجبا، لكنه في حال يترتب عليه مفاسد كبرى قد يكون فعله مع تصور ذلك محرما، مع كونه في الأصل واجبا «فالمصالح والمفاسد الراجعة إلى الدنيا إنما تفهم على مقتضى ما غلب، فإذا كان الغالب جهة المصلحة، فهي المصلحة المفهومة عرفا، وإذا غلبت الجهة الأخرى، فهي المفسدة المفهومة عرفا، ولذلك كان الفعل ذو الوجهين منسوبا إلى الجهة الراجحة، فإن رجحت المصلحة، فمطلوب، ويقال فيه: إنه مصلحة، وإذا غلبت جهة المفسدة، فمهروب عنه، ويقال: إنه مفسدة، وإذا اجتمع فيه الأمران على تساو، فلا يقال فيه أنه مصلحة أو مفسدة على ما جرت به العادات في مثله» (الشاطبي، 2006م، ج: 2، ص26).

وهذا فقه أصله رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما ترك أمورا لئلا تترتب عليها مفاسد، كما روى البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لولا أن قومك حديثو عهد بإسلام لنقضت الكعبة وأعدت بناءها وجعلت لها بابين» (مسلم، د ت، ج: 2، ص968) ومن فوائد هذا الحديث أنه يمكن أن تترك المصلحة إذا خشي أن تكون هناك مفسدة أعظم، وذلك مبثوث في كثير من المواقف التي كانت في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، ولعل من أبينها وأظهرها أنه عليه الصلاة والسلام اعتمر وطاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة في عمرته الشهيرة بعمرة القضاء في العام السابع من الهجرة، والكعبة حولها الأصنام، وعلى الصفا والمروة إساف ونائلة، فهو عليه الصلاة والسلام لم يهدم من تلك الأصنام صنما، ولم يبصق عليها ولم يسفهها، لكننا نوقن أنه كان يبغضها، وكان يتمنى لو أزالها، لكنه كان عليه الصلاة والسلام يعلم أن لكل حادث وقته، والتدرج سنة كونية، وقد كان صلى الله عليه وسلم في عهد وصلح مع كفار قريش، فالتزم ميثاقه وأوفى بعهده، ولما تيسر له الأمر ومكن له جاء فاتحا يطعن هذه الأصنام وتتهاوى وتتكسر، ورسول الهدى صلى الله عليه وسلم يعلن ما أمره الله به ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (سورة الإسراء، الآية:81).

ومن أهم معالم فقه الإصلاح النبوي:

أولا: التعليم والإرشاد، فإن الناس قد عمهم -إلا من رحم الله- جهل كبير بكتاب الله وبسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وبمعرفة أحكام الإسلام ومقاصده الكبرى وقواعده العظمى، وموازينه وضوابطه التي يعرف بها الترجيح بين الأدلة عند تعارضها واختلافها، والترجيح بين المصالح والمفاسد، وغير ذلك من الأمور المهمة التي ينبغي أن يشيع علمها في عموم الأمة، وأن تكون موضع اهتمام ورعاية وتعمق وتخصص عند علمائها ودعاتها والمتصدرين فيها لأي أمر من أمور الخير والإصلاح والدعوة والإرشاد.

ثانيا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الخير، ورسول الهدى صلى الله عليه وسلم يقول: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» (مسلم، دت، ج: 1، ص79)، وقد وضع العلماء لتغيير المنكر شروطا معروفة لا بد للمصلح أن يهتدي بها وإلا كان ضرره أكبر من نفعه.

ثالثا: التدرج وحسن سياسة الناس؛ فإن الأمور لا تأتي مرة واحدة، وإن الإصلاح لا يأتي دفعة، وإن هذا الذي يمكن أن يظن أنه يصلح في كثير من الأحوال عندما لا يأخذ بالهدي النبوي والنهج القرآني يفسد ولا يصلح.

وقد ورث الصحابة رضوان الله عليهم عن النبي صلى الله عليه وسلم هذا المنهج فعن ابن عباس قال: كنت أقرئ رجالا من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف، فبينما أنا في منزله بمنى، وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجة حجها؛ إذ رجع إلى عبد الرحمن، فقال: لو رأيت رجلا أتى أمير المؤمنين اليوم، فقال: يا أمير المؤمنين، هل لك في فلان، يقول: لو قد مات عمر، لقد بايعت فلانا، فوالله ما كانت بيعة أبى بكر إلا فلتة، فتمت، فغضب عمر، ثم قال: إني إن شاء الله لقائم العشية في الناس، فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم، قال عبد الرحمن: فقلت: يا أمير المؤمنين، لا تفعل، فإن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم، فإنهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيرها عنك كل مطير، وأن لا يعوها، وأن لا يضعوها على مواضعها، فأمهل حتى تقدم المدينة، فإنها دار الهجرة والسنة، فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس، فتقول ما قلت متمكنا، فيعي أهل العلم مقالتك، ويضعونها على مواضعها(البخاري، 2000، ج:5، ص250).

وفي قول عبد الرحمن لعمر حين أراد أن يقوم في الموسم دليل على جواز الاعتراض على السلطان في الرأي إذا خشي من ذلك الفتنة واختلاف الكلمة. وقوله: "إني أخاف ألا يعوها ولا يضعوها مواضعها" فيه دليل أنه لا يجب أن يوضع دقيق العلم إلا عند أهل الفهم له والمعرفة بمواضعه. وقوله: "يطيرها عنك كل مطير" دليل أنه لا يجب أن يحدث بكل حديث يسبق منه إلى الجهال الإنكار لمعناه، لما يخشى من افتراق الكلمة في تأويله. وقوله: "أمهل حتى تقدم المدينة" الفضل كله فيه، وفيه دليل على أن أهل المدينة مخصوصون بالعلم والفهم، ألا ترى اتفاق عمر مع عبد الرحمن على ذلك ورجوعه إلى رأيه. وفيه: الحرص على المسارعة إلى استماع العلم، وأن الفضل في القرب من العالم (ابن بطال، 2003، ج: 8، ص453).

وهذا الرأي من عبد الرحمن من فقهه الإصلاحي وتحريه ونظره في المآلات، وهو دال على فقه إصلاحي لدى عبد الرحمن، ودراية بمنهج إصلاح الرعية والمحافظة على الاستقرار الفكري والأمني، ومن أجل هذا اقتنع عمر بقول عبد الرحمن وإن خالف سياسة عمر في اهتمامه بأحوال رعيته وبحث شكاويهم، والتعجيل بعرضها على الناس، رفعا للاختلاف ودرءا للنزاع، وهذا الاختلاف في التقدير لما كان محكوما بمواثيق أخلاقية وقيم إسلامية وأصول إصلاحية أفضى إلى التوافق وتحقيق المصلحة العامة، لأنها غايتهم جميعا، ولما يخلو الاختلاف من هذه القيم والأصول المنظمة له يفضي إلى التناحر والتنافس والصراع، وتترتب على ذلك مفاسد ومضار، ومكارم الأخلاق من أهم عناصر السيادة وتحقيق الإصلاح. وتأمل كيف راجع عبد الرحمن بن عوف عمر بأدب جم، وخلق رفيع في الحوار، بين فيه لعمر دواعي اختيار الزمان والمكان لمناقشة الأمر، والحرص على تقدير الأمر بما يحقق المصلحة العامة، ومثل هذا التعاون في أمر الإصلاح والسمع والطاعة والشورى في الأمر كفيل بأن يجعل الأمر تتحقق مصلحته.

أسس وركائز الإصلاح النبوي: أسس الإصلاح النبوي على مجموعة من الأسس والركائز منها:

أولا: اعتبار ترك الإصلاح نقض للإصلاح: بين النبي صلى الله عليه وسلم خطورة ترك الفساد في المجتمع وذكر آثاره، تحذيرا للأمة من الوقوع في ذلك؛ فعن أم حبيبة بنت أبي سفيان عن زينب بنت جحش رضي الله عنهن أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعا، يقول: لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها، قالت زينب بنت جحش: فقلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثر الخبث» (البخاري، 2000، ج: 8، ص412)، وهذا من السنن الكونية التي لا تحابي أحدا، وفي القرآن الكريم ما يشير إلى اعتبار سلامة المجتمع مرتبطة بوجود فعل الإصلاح وعدم الاستسلام للفساد فيه؛ كما في قوله تعالى: «وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ» (سورة هود، الآية: 117) فالصلاح لا يكفي للنجاة من الهلاك بل لا بد من الإصلاح.

ثانيا: اعتبار أمر الإصلاح مسؤولية مشتركة: شبه النبي عليه الصلاة والسلام حال الناس في المجتمع صالحهم وطالحهم بالسفينة التي تحمل الجميع وأن مصير الفريقين مشترك، فقال عليه الصلاة والسلام: «مثل القائم على حدود الله، والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة؛ فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها؛ فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم؛ فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا؛ فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا»(البخاري، 2000، ج: 6، ص322) فحبل النجاة مرتبط بيقظة الطرف الذي إن فرط في واجب محاصرة الفساد غرقت السفينة بكل من عليها، ولم يلعن بنو إسرائيل إلا لكونهم كانوا لا يتناهون عن المنكر؛ فيستشري فيهم الفساد ويعم الظلم والخراب والطغيان، قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (سورة المائدة، الآية: 79) .

ثالثا: اعتبار ترك محاربة الفساد منذرا بالعقاب: ويحذر عليه الصلاة والسلام من الركون والتقاعس عن الإسهام في محاصرة الفساد الاجتماعي وعاقبة ذلك العذاب العام الذي يحل بالجميع، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم» (الترمذي، دت، ج: 4، ص468)، فيكون من آثار ذلك الترك والإهمال الذي قد يؤدي بالمجتمع إلى مهالك حسية ومعنوية.

رابعا: اعتبار التساهل في الإصلاح مؤذن بالخراب: ويبدو ذلك جليا في غضبه عليه الصلاة والسلام في واقعة السرقة التي حدثت في زمانه، حيث أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فكلمه أسامة؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتشفع في حد من حدود الله، ثم قام: فاحتطب وقال: إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» (البخاري، 2000، ج: 8، ص586).

وقد أوتي المجتمع اليوم من هذا الباب الذي تغيب به المساواة وتنتهك الحقوق، والمنهج النبوي الشريف في الإصلاح الاجتماعي بقدر ما كان شاملا لكل المجالات نجده قد وجه إلى المسؤولية المجتمعية في مقاومة فساد الضمير الفردي وفساد الوعي الجماعي وفساد التدبير المؤسساتي، وأن هذا المنهج قد ركز على المقاربة الأخلاقية في توجيه هذا الإصلاح نظرا لمركزية الأخلاق وأهميتها في تغيير العقليات، وأن منهجية التنزيل النبوي لهذا الإصلاح في واقع الأمة كانت تؤكد تجلي خاصية الصلاحية لكل زمان ومكان، وأنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يخاطب الذين عاصروه فقط بل أيضا الذين يأتون من بعده، حيث كان يؤدي ذلك بمنتهى الحكمة التي علمه الله تعالى إياها.

خامسا: التدرج: ومن ركائز الإصلاح التدرج، وهو سنة كونية قامت عليها السماوات والأرض ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ (سورة الحديد، الآية: 4) وعلى هذا سارت دعوة النبي صلى الله عليه وسلم في مختلف مراحلها المكية والمدنية.

سادسا: الشورى: ومن أسس فقه الإصلاح الحرص على الحوار والشورى وهي من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام، وقد ذكرت في القرآن مع الإيمان وإقام الصلاة؛ فهي ركيزة بني عليها الإصلاح النبوي، سيما القضايا الكبرى التي لا يكون فيها نص من الوحي قاطع؛ «لأن أمر التشريع إن كان فيه وحي فلا محيد عنه ...»(ابن عاشور، 1984، ج:3، ص383).

سابعا: اعتماد الوسطية: كان عليه الصلاة والسلام حريصا على الوسطية والاعتدال واليسر وقد يتجنب القيام ببعض الأعمال مخافة أن تفرض؛ فيجتنبها رفعا للمشقة والحرج عن الأمة. ولما دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: السام عليكم فهمت ذلك عائشة؛ فقالت: عليكم السام واللعنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مهلا يا عائشة فإن الله يحب الرفق في الأمر كله». فقلت يا رسول الله أو لم تسمع ما قالوا ؟ قال رسول الله صلى الله عليه و سلم «فقد قلت وعليكم» (البخاري، 2000، ج: 5، ص2308).

المطلب الثالث: معوقات تطبيق الإصلاح وأثره على التغيير الاجتماعي

تحديات تنزيل فقه الإصلاح متعددة ومتنوعة، ويمكن تقسيمها إلى قسمين: الأول: معوقات نفسية وفكرية تتعلق بالإيمان والعقيدة والعوامل النفسية وطرق التفكير، الثاني: معوقات مادية وواقعية فرضتها حوادث تاريخية أو ظروف حالية.

القسم الأول: المعوقات النفسية والفكرية

أولا: الجهل بمنهج الإصلاح النبوي والتشكيك في قدرته على مواكبة متطلبات العصر الحديث؛ إذ يظن من لا علم له بحقيقة الإصلاح النبوي أنه عاجز اليوم عن الوفاء بالمستجدات والنوازل، وأنه إن ناسب تلك المرحلة من التاريخ فإنه لن يناسب هذه المرحلة بدعوى التطور الحاصل، وهذه الظنون مبناها على الجهل بحقيقة الشريعة وفقه الإصلاح النبوي، وخاصيته المناسبة لكل زمان ومكان.

ثانيا: الشعور بالهزيمة النفسية، وهذه الهزيمة تتمثل في جانبين:

الأول: عدم الثقة في موعود الله تعالى بنصره للمسلمين إذا ما تمسكوا بدينهم وعادوا لشريعتهم مصداقا لقول الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾ (سورة النور، الآية: 55).

الثاني: عدم الثقة في أحكام الشريعة ولمزها بدعوى عدم مواكبة التطور وتنظيم أحوال المجتمعات وما طرأ عليها، والوفاء بحاجات الناس وحل مشاكلهم ومنازعاتهم.

والجهل بآثار ومميزات الإصلاح النبوي له أسباب متعددة، بعضها نفسي عقائدي يتعلق ببعد المسلمين عن دينهم ومنهج نبيهم، وتأثرهم بالفكر العلماني وفكرة فصل الدين عن الدولة، وترديد خرافة أن الدين مصدر التخلف، وبعضها يتعلق بأسباب تاريخية وواقعية؛ لما مني به المسلمون من هزائم وما هم عليه من تخلف.

كل هذه الأسباب أدت إلى ضعف إيمان كثير من المسلمين وتغلغل الهزيمة النفسية في أعماقهم حتى ظنوا أنه لا سبيل لهم للخروج من هذا الهوان إلا بتتبع الغرب والتنكر لتاريخهم وتراثهم، والإصلاح لن يفلح ما لم يراع خصوصيات الأمة قبل التنزيل والتطبيق؛ لأن الإصلاح «منهج جديد للحياة، وعملية التغيير هي عملية ذات محورين، الأول: يعتمد رفض الواقع، ومحور يعتمد تنزيل البديل منزلته» (عبد المجيد النجار، 1995، ص77) وهذا التنزيل حتى يسلم ويؤتي أكله لابد من توفر شروطه.

ثالثا: انعدام الثقة في النخبة الإسلامية: إن انعدام الثقة في بعض من تولى الإصلاح ودعى إليه ثم لم يؤت نتائج تحمد، أدى إلى فقد الناس الثقة في المنهج وليس في الشخص، وتلك مغالطة لا ينبغي أن تكون، ولئن كانت هناك بعض الممارسات الخاطئة لبعض الدعاة والمفكرين والداعين إلى الإصلاح فهذا لا يضير الشريعة ولا يعيبها؛ وإنما العيب في الأشخاص وممارساتهم الخاطئة، وعليه فيجب التفرقة في الحكم بين الإصلاح كمنهج والداعي إلى الإصلاح كفرد، ومزالق الفرد لا يتحملها المنهج أبدا.

رابعا: التأثر بفكر أدعياء المستغربين: من معوقات تنزيل فقه الإصلاح النبوي التأثر ببعض الذين يتهمون نظام العقوبات الإسلامي وتشريعات الحدود بالقسوة وانتهاكها لحقوق الإنسان. وهذا نابع من عدم الفهم الصحيح لحقيقة نظام العقوبات في التشريع الإسلامي، والجهل بحكمتها وتعدد أغراضها وتنوعها لتحقيق الزجر والردع للمفسدين بحسب نوع الجرم المرتكب، فما كانت مفسدته عظيمة كانت عقوبته عظيمة، وما كانت مفسدته يسيرة فعقوبته يسيرة، وما كانت مفسدته مختلف فيها بحسب اختلاف الزمان والمكان فتقدير عقوبته متروك لولي الأمر، وقد تولى الله عز وجل بحكمته وعلمه ورحمته تقدير عقوبات بعض هذه الجرائم نوعا وقدرا لما فيها من المفسدة الثابتة التي لا تتبدل مهما اختلف الزمان والمكان رفعا منه عز وجل للحرج وإزالة للاختلاف، فله الحمد والمنة.

خامسا: التعصب المذهبي والفكري بين المسلمين: التعصب المذهبي والفكري لدى بعض المسلمين جعلهم يتشددون في المسائل الخلافية، ويثربون على مخالفيهم، ويوصدوا باب الاجتهاد، فنجم عن هذا إساءة الظن بالشرع، والرضا بالقوانين الوضعية بديلا عن الشريعة. يقول الدكتور عمر سليمان الأشقر: «والذي زاد الطين بلة: جمود المتفقهة المفتين والمعلمين والواعظين على نصوص كتب متبوعيهم المتأخرين، بدون تبصر وإعمال روية، ورجوع إلى أصول الشريعة وأقوال السلف، وجهلهم بمقتضى الزمان والعمران، ونفورهم من كل جديد بدون أن يزنوه بميزان الشريعة، ومناوأتهم المجددين بدون إصغاء إلى براهينهم»(عمر سليمان الأشقر، 1992، ص36).

القسم الثاني: المعوقات المادية والواقعية

أولا: التبعية السياسية والاقتصادية: والتبعية في حقيقتها من آثار ما بقي من الغزو حتى تحكم البلدان الغازية سيطرتها السياسية والاقتصادية على هذه البلاد وتحول بينها وبين تقرير مصيرها بإرادتها الحرة، ولذلك تختار من بني جلدتنا من ينوب عنها في نشر هذا الفكر حتى يكون باطنه غير ظاهره.

ثانيا: طبيعة المناهج الدراسية: لا شك أن المناهج التعليمية النظامية في كثير من البلاد الإسلامية أدت إلى طمس هوية الطلبة والدارسين، بل وتعطيل وقتل مواهبهم، وإعلاء شأن المفسدين منهم، واعتبار كل متمسك بدينه متخلفا رجعيا، فسميت الأشياء بغير أسمائها، ووصفت بعكس أوصافها، حتى أنكر الصالحون أنفسهم، وانكسرت قلوبهم، وماتت هممهم نحو الإصلاح.

ثالثا: تعدد الأحزاب السياسية وتشعب توجهاتها: فتعدد الأحزاب الضعيفة يعني بالضرورة تعدد السياسات والبرامج وتشعب توجهاتها، وهو ما يستتبع -في الغالب- الأعم الاختلاف والتناحر والتمزق؛ فإنه لا تكاد توجد قضية واحدة تتفق عليها عدة أحزاب، وإذا وجدت هذه القضية فمن المؤكد أن هذه الأحزاب لن تتفق على تفصيلاتها والجوانب المتعلقة بمعالجتها في الواقع العملي، وينعكس هذا على قضية تنزيل الإصلاح، إذ عملت كثير من الأحزاب السياسية على اتخاذ هذه القضية مطية لجمع المؤيدين وتحقيق أهدافها السياسية بالوصول إلى سدة الحكم، تارة برفضها وتارة بوضع خطط منهجية لقبولها تؤدي في النهاية لعدم تطبيق الشريعة.

رابعا: الدعوة الخاطئة إلى تطبيق أحكام الشريعة: إن المنهج الخاطئ الذي يسلكه بعض الدعاة في دعوتهم الناس إلى الإصلاح من أهم معوقات تنزيل ذلك الإصلاح؛ حيث يختزل بعض الدعاة قضايا الإصلاح في جوانب ضيقة محددة، دون التعرض لغير ذلك من المسائل المدنية ومسائل الأحوال الشخصية والأمور التكافلية الاجتماعية والنظم السياسية والقضائية، فإن الشريعة تمثل منهجا شاملا متكاملا لحياة الأفراد ونظم الدولة في كل جوانبها وفي كل صورها وأشكالها.

هذا فضلا عن أن البعض حين يعرض لقضية العقوبات الشرعية وإقامة الحدود يقتصر على الدعوة لتطبيقها دون بيان حكمتها ومحامدها، والخوض في دواعيها وأسبابها وأغراضها وأهميتها

في حياة الأفراد، وغير ذلك من جوانب تفصيلية ينبغي إبرازها وبيانها مع أصل القضية، خصوصا في زمن قضمت فيه التكنولوجيا علة مختلف أنواع البعد المادي والحواجز المكانية، وبعد أن ذابت الحدود فيما جدران وسائل التواصل والاتصال، وكل ذلك وإن يسر سبل التبادل الثقافي والفكري بما توفر من وسائل؛ فإنه باتت المهة الفكرية للأمم أكثر صعوبة؛ إذ كيف لأمتنا أن تحقق معادلة التوازن مع جيش عرمرم مجهز بأعتى وسائل الغزو الفكري.

ومن أجل تنزيل الإصلاح تنزيلا عمليا ينبغي:

أولا: إعادة تهيئة المجتمع وتوجيهه نحو محاسن الشريعة، وآثار تطبيقها في الحياة العملية.

ثانيا: إعداد جيل يستطيع النهوض بمهمة تطبيق الشريعة إذا ما تم تعليمه وتثقيفه وإعداده على نحو يملك معه مقومات الاجتهاد ليحقق مقاصد الاجتهاد الفقهي الذي نحن في أشد الحاجة إليه في العصر الحاضر للتعامل مع النوازل بما تقتضيه مرونة الشريعة وصلاحيتها لكل زمان ومكان، وتحقيق الشهادة على الناس المنوطة بهذه الأمة، سيما وأن بعض المناوئين لا يتهمون الإسلام مباشرة «وإنما يتهمون عماء الأمة بالجمود في فهم نصوص الدين وإغلاق باب الاجتهاد وهذه الدعوة ظاهرها فيه الرحمة وباطنها فيه العذاب، لأنهم يريدون فتح باب الاجتهاد لكل غاد ورائح»(نصار أسعد نصار،2007، ص481).

ولما كانت بعض هذه المعوقات تحول دون التنزيل، وجب النظر في أسبابها، وفي بعض المعالم النظرية للإصلاح والتي تكون غير قابلة للتطبيق أصلا، أو لا تناسب مرحلة من المراحل.

خاتمة: وفي الختام نخلص إلى:

ضرورة تخصيص فقه الإصلاح النبوي بالدراسة والتأليف، ووضع أسسه ومناهجه الخاصة به، مع الحرص على سلامة التنزيل والتطبيق، لما له من أثر في تحقيق التغيير الاجتماعي.

لا نجاة للأمة إلا بالرجوع إلى فقه الإصلاح النبوي وتطبيقه وليس التبرك به أو الاكتفاء بالتنظير والتندر به، بل إن ذلك يستدعي تنزيلا عمليا يخرج الأمة من تخلفها وهوانها، ولا سبيل إلى ذلك، إلا بدراسة أصول هذا الإصلاح، ثم فقه المحل الذي ينزل فيه الإصلاح، فهذا الفقه أو التنزيل قد لا يكفيان دون فقه المرحلة، وطبيعة الإصلاح الذي يناسبها.

كما ينبغي التمييز بين تجارب بعض الحركات الإسلامية التي قد تدعي اعتمادها على الإصلاح النبوي في خطواتها الإصلاحية، وبين حقيقة الإصلاح، فالأخطاء التاريخية من أي صدرت لا يتحمل وزرها إلا صاحبها، ولا يمكن أن يحمل وزر مصلح لمنهج الإصلاح ذاته، ولو زعم اعتماده على قاعدة من قواعده، ذلك أن سلامة تنزيل فقه الإصلاح تقتضي جملة من الشروط والضوابط، ينبغي مدارستها من مختلق الحيثيات.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

قائمة المصادر والمراجع

1. ابن بطال(2003)/ شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار الرشد، الرياض، السعودية.
2. ابن عاشور(1984)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس.
3. ابن كثير(1999)، تفسير القرآن العظيم، ط2، دار طيبة، الرياض، السعودية.
4. ابن منظور(دت)، لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان.
5. أبو داود (دت)، سنن أبي داود، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
6. البخاري(2000)، صحيح البخاري، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان.
7. بلقزيز عبدالله (1997)، الخطاب الإصلاحي في المغرب، ط1، دار المنتخب، بيروت، لبنان.
8. البيهقي (1994)، سنن البيهقي الكبرى، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، السعودية.
9. الترمذي (دت)، سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
10. الدارمي (1995)، سنن الدارمي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

11.الزبيدي باسم(2005)، الإصلاح جذوره ومعانيه وأوجه استخدامه، جامعة بيرزيت، فلسطين.
12.الشاطبي(2006)، الموافقات في أصول الشريعة، دار الحديث، القاهرة، مصر.
13.الطبري (2000)، جامع البيان في تأويل القرآن، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
14.عبد المجيد النجار(1995)، تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت، ط: الثانية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيريندن، فيرجينيا.
15.عمر سليمان الأشقر(1992)، معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية، ط1، دار النفائس، عمان، الأردن.
16.الغزالي(2001)، المستصفى في علم الأصول، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
17.مجموعة من الباحثين والأكاديميين(2016)، الإصلاح المجتمعي، ط1، دار غيناء، الرياض، السعودية.
18.محمود علي عبد الحليم(1994)، فهم أصول الإسلام في رسالة التعاليم، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر.
19.مسلم(د.ت)، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
20.منير الغضبان(1992)، فقه السيرة، ط1، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية.
21.نصار أسعد نصار(2007)، إصلاح الأمة في ضوء الكتاب والسنة، ج: 23، ع1، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، دمشق، سوريا.

التحول الثقافي والفكري لمنطقة ڨورارة في الجنوب الجزائري خلال القرن 11ه/17م بحث في أسباب التحول واستخلاص لنتائجه

The cultural and intellectual transformation of the region of Gourara from the south of Algeria during the eleventh century AH / 17 AD Research the causes of transformation and draw conclusions

أ. محمد الفاطمي، جامعة تلمسان ـ الجزائر

ملخص: شهدت منطقة ڨورارة من الجنوب الجزائري خلال القرن العاشر الهجري حركية استقرار وتحضر جراء التحولات الاقتصادية التي طرأت على طرق القوافل التجارية في الصحراء، إذ أصبحت المنطقة محور تتقاطع فيه المسالك التجارية الهامة التي تعبر الصحراء من وإلى بلاد السودان، فاستقطبت التجار والعمال وكذا العلماء الذين استقروا ووضعوا لبنة حركة فكرية غيرت واقع المنطقة، حتى توارثت أسر بكاملها تقاليد العلم ورعاية أهله واشتهرت به كأمثال أولاد القاضي بأولاد سعيد قرب تيميمون، والشيخ أبو القاسم بن الحسين الجراري، والشيخ موسى التسفاوتي، كما ربطت المنطقة علاقات ثقافية مع مختلف الحواضر المحلية والإسلامية.

الكلمات المفتاحية: منطقة ڨورارة، التحول الثقافي، الأسر العلمية.

Abstract: Gourara from the south of Algeria within the vast territory of Touat, By the ninth century AH, the movement of urbanization and stability in the region, which was the locus of the invaders, began to flourish in the desert road linking the north and the south to and from Sudan. Controlling the region controls the nerve of the desert trade, and the axis of exchange. As a result of the scientific movement, it was a sign of the emergence of the scientific movement in the region, that the children inherit the inheritance of the fathers, and that science becomes a tradition in some scientific families of gourara as the example of oulad-elquadi in Awlad Said, Sidi Hadji Belkacem, Sidi Moussa El-Tasfawati and Abdelkabir Al-Matarafi.

Keywords: Gourara, scientific movement, scientific houses.

مقدمة:

شهدت منطقة ڤورارة الواقعة جنوب الجزائر تحولات تاريخية هامة خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين، سيكون لها أثر في حدوث تحول فكري أدى إلى ظهور حركة علمية مزدهرة مع حلول القرن الحادي عشر الهجري، وقد كان لمجموعة من الأسر دور بارز في قيادة هذا الحراك العلمي، إذ استغرق الأمر زمنا طويلا لإظهار الشكل الحضاري الجديد للمنطقة، لتشع من خلاله أنوار التنافس العلمي، زالت من خلاله آليات الفرقة والصراع المجال لتفسح المجال لصرير الأقلام وحناجر العلماء، وتغيرت نظرة الآباء تجاه أبنائهم، بدفعهم إلى التعليم أسوة بمن تقدموا الصفوف، ونالوا المفاخر، وشدوا الرحال إلى بقاع مختلفة طلبا للعلوم والمعارف.

فما هي آليات حدوث هذا التغير الذي قلب واقع المنطقة من ركود الصراع والشحناء، إلى عبق التنافس العلمي والمجامع الفقهية وحلقات الدرس، حتى أصبح الشرف مقرون برتب العلم التي يتنافس فيها الشريف والغني والفقير على حد سواء؟

وللإجابة عن الإشكالية الرئيسية ندعمها بالأسئلة التالية:

أين تقع منطقة ڤورارة وما أصل تسميتها وواقع بنيتها الاجتماعية ؟

ما هي أهم بوادر ظهور الحراك العلمي بالمنطقة ؟

ما هي أهم نتائج هذا الحراك الفكري ؟

أولاً. ڤورارة المجال الجغرافي والوَسْم التاريخي:

يطلق المصطلح على المنطقة الواقعة في المجال الجغرافي بين تبلكوزة كأقصى نقطة من الشمال الشرقي، إلى قصر باحمو من منطقة طلمين، أقصى نقطة غرباً ونحو أوفران جنوبا، على الحدود من واحات تسابيت التي تشكل بداية توات، (A.G.P. Martin, 1908, p245) (عبد الرحمان بن خلدون، 2000، ص77)، وتضم المنطقة كل من زاوية الدباغ، تيميمون، أولاد سعيد، وشروين، وطلمين، وأولاد عيسى، وأوڤروت، والمطارفة، وفاصل المسافة بين منطقة وأخرى في نحو 70 كم، أما تسميتها التاريخية مرتبطة باستقرار السكان بالمنطقة، حيث مارسوا الزراعة في مناطق العرق بين كثبان الرمال، لسهولة الحصول على الماء لقربه من السطح، ووجود الينابيع، فغرسوا النخيل، وزرعوا المحاصيل في مناطق ضيقة متفرقة خاصة، أطلق عليها أسم أَڤرُوا، ومنها ظهر أصل التسمية من المنطوق الزناتي، وتعني التجمع، جمعها تِيـڤُورَاوِين أي التجمعات، ومع مرور الوقت تم تداول الكلمة وحورت إلى تيـڤورارين.

ثانيا. بـــــوادر تغير الواقع الثقافي لمنطقة ڤـــــورارة إبان القرن 11ه/17م:

يعتبر القرن الحادي عشر الهجري فترة ازدهار وانتعاش فكري للمنطقة، ولان لكل شيء سبب، فلابد لحركة بهذه الأهمية التي غيرت واقع منطقة بأكملها خلال فترة زمنية ليست بالقصيرة عوامل أسهمت في ذلك، ووفرت الأسباب الكافية لهذا التغيير التاريخي الذي طال الواقع الثقافي، والاجتماعي، والسياسي للمنطقة، وغير مجرى تاريخها، فالتغيرات السياسية المتسارعة أسهمت بشكل مباشر في تفعيل دور المنطقة كمركز حيوي اقتصادي استقطب التجار والسياح، وخلق الوفرة في المنتج والسلعة، ناهيك عن توفر العمل فكانت قبلة المحتاج، وفي نفس الفترة ازدهرت الحركات الصوفية بالمنطقة، وتكدست الزوايا والمدارس التعليمية التي تأوي المتعلمين وتُوفر المعلمين، ودائرة الجذب ظلت تتسع بالمزيد من طلبة العلم، فاستقر المعلمون وامتلكوا الدور والبساتين، ومن الطلبة من تحول بعد إتمام دراسته من متعلم إلى معلم في مكانه، بعدما استهوته المنطقة لاستقرارها، ووفرة مورد العيش بها، وازدهرت حركة النسخ بظهور الناسخين المحليين، ناهيك عن تجارة الورق والحبر المرتبطة بذلك، حتى أصبحت المدارس وملحقاتها من زوايا الاستقبال والإطعام تقليدا لا تخلو منه منطقة مهما صغرت، بل باتت المناطق تنافس بعضها، وحتى أبناء المدارس، فمن المدرسة الواحدة تتفرع عدة مدارس، كما حدث مع

المدرسة البوبكرية من قصر أولاد سعيد، والتي تفرعت منها مدارس بدريان وتزليزة إذ تبعد الثانية عن المدرسة الأم نحو 20 كلم, أما الثالثة تأسست على بُعد 70 كلم عن المدرسة الأم الأصلية، وعلى شاكلتها تفرعت المدرسة الجنتورية للشريف الحاج لحسن، وتأسست نظيرتها من أحفاده بقصر كالي على بعد 40 كلم، وظلت كل مدرسة تنافس وتباهي الأخرى بقوة الاستيعاب، وتنوع العلوم، وقدرة المعلمين في التعاطي مع مختلف العلوم، وسعة مكتباتها وتنوع كتبها وأهميتها، وقوة أوقافها ومواردها المادية، كلها عوامل سنتطرق لها بالشرح والتوضيح لإبراز دورها في تفعيل وظهور الحركة العلمية بالمنطقة بداية من القرن العاشر الهجري وازدهارها خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين، ومن أبرز بوادر وأسباب التحول الثقافي والفكري للمنطقة ما يلي:

1. **ڨورارة المرفأ الحضاري على طريق القوافل**: تقع المنطقة على مفترق طرق تربط أطراف الصحراء الكبرى الشاسعة، وتربط الشمال بالجنوب، فالعبور من مدن الجزائر وتلمسان وورقلة وبني عباس نحو بلاد توات ومنها إلى السودان يتم عبر مسلك وحيد هو منطقة ڨورارة، وحتى سكان مدن المغرب الأقصى كمراكش، فاس و تفيلالت يعبرون من خلالها في رحلاتهم التجارية، والحجية، والعلمية، كما تحط القوافل بها لعرض مقتنياتها والتزود بحاجياتها، ومما جعل المنطقة سوقا تجارية مزدهرة توفر للوافدين منتجات التمر والجلود والصوف والقمح والخضروات الجافة، ولابن خلدون في ذلك إشارة إلى أن فواكه بلاد السودان تأتي من توات وتيكورارين ووركلان، (ابن خلدون، 2000، ص93) بالإضافة إلى المنسوجات الصوفية واللحوم المجففة والأعلاف والملح، كما عرفت صناعة الحدادة رواجاً كبيرا في المنطقة وتلقى منتجاتها إقبالاً واسعا، تنتج الأزاميل والمطارق والسكاكين والمسامير التقليدية، ناهيك عن صناعة الحبال بليف النخيل، وقد كانت في المنطقة عدة أسواق كبرى مزدهرة أهمها سوق تيميمون وكان يومي، وأسواق أولاد سعيد وأولاد عيسى وأوقروت(عبد المالك الصوفي، 2016، مقابلة شفوية)، بينما تجلب إليها القوافل منتجات بلاد السودان كالذهب والأخشاب، ومن مصر وتونس والحجاز يجلب الحجاج الورق من دكاكين الوراقين، ويعتبر الورق سلعة رائجة مطلوبة بشدة ومربحة، حيث لم يرد ما يدل على أن المنطقة شهدت هذا النوع من الصناعة، وكانت الكتابات والرسائل تكتب على الجلود، وكان الحجاج يتزودون منها في ذهابهم بالطعام والماء وفي إيابهم يقتنون الهدايا، والمرور بالمنطقة ليس خيارا بل ضرورة بحكم صعوبة المسالك الصحراوية وخطورتها، بينما كانت المنطقة تنعم بالأمن نسبيا مقارنة بطرق أخرى، لأنها تجمع بين وفرة الماء ووجود الساكنة والعمران، وتمر عبرها الكثير من القوافل وهو ما يقلل خطورة التعرض لسطو من طرف اللصوص الذين يتحينون فرص الطرق الخالية لقلة العبور من خلالها بعيدا عن مراكز المدن العامرة المحروسة، التي كانت تعرف بطرق الصعاليك(عبد المجيد القدوري، 1991، ص94) وهي طرق مختصرة لكنها خطيرة، فالأفضل هو زيادة طول المسافة وضمان الأمن، خير من تقصير الطريق والمغامرة أمام تهديد اللصوص، وقد لعب التبادل التجاري دورا فعالا في ربط المنطقة بمناطق مختلفة في الصحراء والتل، فموقع المنطقة الجغرافي الواقع على طريق القوافل الرابط بين مراكز علمية مختلفة كبجاية ومليانة وتلمسان نحو تمنطيط وتوات وبلاد السودان، كان يتوسط شبكة من الطرق التي تتقاطع كلها بـڨورارة نظرا لظروف الموضع الجغرافي، ويعتبر واد أمـڨيدن المسلك الأكثر شهرة، ويتوفر على أبار الماء المعروفة والمشهورة(عبد الله بن محمد العياشي، 2012، ص07)، والتي بدونها قد تهلك بسبب العطش(AGP Mrtin, 1903, p4).

2.الرحلات العلمية والحجية: الرحلة عماد التعلم فمنطلق ظهور الحياة العلمية بالمنطقة مرتبطة أساسا بقدوم كثير من العلماء الذين وفدوا إلى المنطقة، وبالمقابل الكثيرون انطلقوا منها إلى مناطق مختلفة طلباً للعلم داخل الإقليم التواتي وخارجه، فالشيخ الحاج بلقاسم الجورراري هاجر

إلى المغرب الأقصى بالضبط نحو بلدة تادلة وكذلك فعل كل علماء المنطقة لعدم وجود الجامعات، وممن وفدوا إلى المنطقة أعلام كان لهم دور فاعل في تحريك عجلة الحركة العلمية كأمثال الجنتوري وابن أُبَّ المُزَمِرِي(ضيف الله بن أب المزمري، 1161ه/1748م، ص13)، ونجد في الأثر الكثير من الرحلات العلمية كرحلة الشيخ عبد الكريم بن أحمد التزدايتي من بلدة أولاد سعيد، الذي رحل إلى فاس ودرس على يد أعلامها في القرويين وحصّل السند العلمي المتصل بالشيخ محمد بن عبد الله الدقاق الفاسي، يقول في شأنه حفيده عبد الرحمان الجوزي :

ليهِ يَنْتَهِي الشُيُوخُ بِالعَدَدِ مِن أَهْلِ بَلْدَةِ تَواتْ فِي اْلمَدَدِ

فَهُوَ الْذِي ارْتَوى بِعِلْمِ فَاس ثُم أَجْتَبَى تَعْلِيمَه لِلنَّاسِ(عبد الرحمان الجوزي ، د ت ن، ص15.)

قلما نجد عالما لم يرحل طلبا للعلم خارج مسقط رأسه، وفي ذلك رغبة في التحصيل الجاد، وتحصيل العلم من علماء مشهورين في مدن بعيدة خارج الإقليم التواتي كتلمسان وفاس أو أبعد من ذلك نحو مصر وتونس، فمَلَكة الاستحكام والرسوخ في العلوم لا تتأتى إلا بالاحتكاك والمقابلة المباشرة فلقاء العلماء وتعددهم يفيد في تنوع الاصطلاحات، ويصحح المعارف، فالرحلة لابد منها في طلب العلم،(عبد الرحمان بن خلدون، 2000، ص618) فليس من رأى كمن سمع، وترد الأبيات الشهيرة على اختلاف نسبتها بين الإمام علي كرم الله وجهه والإمام الشافعي رضي الله عنه وهي أبيات تردد كثيرا وتضرب كمثل لحث على السفر في طلب العلم:

تَغَرَّب عَنِ الأَوطانِ في طَلَبِ العُلى وَسافِر فَفي الأَسفارِ خَمسُ فَوائِدِ

تَفَرُّيجُ هَمٍ وَاِكتِسـابُ مَعيشَـةٍ وَعِلمٌ وأدبٌ وَصُحبَةُ ماجِدِ

فَإِن قيلَ فِي الأَسفارِ ذُلٌّ وَغُربَةٌ وَقَطعُ فَيَافٍ وَاِرتِكابِ الشَدائِدِ

ومن أشهر الرحلات الذي مرت بالمنطقة:

رحلة العياشي: رحلة حجية هامة جدا قام بها **العياشي عبد الله بن محمد** المغربي، عام 1072ه/1662م، مر عبر ڨورارة، وخلال مروره عابراً إلى الحج استطاع هذا الرحالة المبدع أن يصف لنا واقع المناطق التي مر بها بشكل دقيق بنية الرحالة التي يصف بدقة شديدة تكاد تجعلك تعيش الواقع،(عبد المجيد القدوري، 1991، ص95)، وله فضل ذكر مجموعة من العلماء لا يمكن ذكرهم لولا رحلته، فلن يرد إلينا خبر العالم محمد بن إسماعيل الجراري الذي لم نسمع عنه شيئا إذ لولاه لكان صفحة منسية طويت مع الزمن ولا يرد إلينا خبرها، كما مر بالعالم الشيخ عبد الله بن طمطم بمنطقة الدغامشة التي تضم أولاد راشد والمطارفة وأولاد محمود، وذكر خبر الشيخ عمر بن صالح الأوقروتي،(العياشي عبد الله بن محمد، 2006، ص107) وكانت رحلته من أجود الرحلات توثيقا لدقة وصفها، ومتانة سردها، وكثرة شواهدها حتى أنك تشعر بتصور الحدث وكأَنَّ العياشي لم يخرج للحج بل خرج لكتابة الرحلة.

رحلة ضيف الله بن محمد بن أُبَّ المُزَمِرِي: رحلة علمية داخلية، سماها الرحلة إلى قبر الوالد قام بها صيف سنة 1161ه/1748م لزيارة قبر والده المقبور بمقبرة سيدي عثمان بتيميمون، ويقول أنه جاء ليزور قبر والده، ويتواصل مع أصدقائه، وأثنى على أهل تيميمون الذين حفظوا الود والاحترام اعتزازا بعالم فذ رحبوا له أشد ترحيب، حتى طاب له المقام، المهم في الرحلة قدرة ضيف الله على الوصف الدقيق إذ ذكر وقائع وأماكن هامة، وصفه بلغ من حيث الدقَّة تحديد المواقع على صغرها والحدود والمحيط، ووصف الشخص من سماته الجسدية إلى أفعاله وتصرفاته، ووصف حتى طبيعة المنتجات الزراعية، ونمط الغذاء، وشكل الطهي، فكانت رحلة هامة بامتياز(تم تحقيق الرحلة من طرف أحمد جعفري بالصافي، 2014، جامعة ادرار).

رحلة ابن أبي محلي: أما الرحلة الثالثة لابن أبي محلي هو أحمد بن عبد الله بن القاضي بن أبي محلي السجلماسي، رحلة علمية وحجية وسياسية، مر بالمنطقة قاصدا رحلة الحج، والترويج

لمشروعه السياسي، (عبد المجيد القدوري، 1991، ص ص 37، 51)، كان غزير الإنتاج شاعرا وكاتبا وفقيها، لاذع اللسان، من رضي منه مدحه، ومن سخط يذمه أشدَّ الذم، مزاجه متقلب لا يثبت على رأي، لكن كتبه تعتبر من أهم المصادر للفترة من واقع المعايشة، عاش الحدث ووصفه بنفسه، يتمتع بالدقة الزمنية، ومن كتاباته ذكر عدد هائل من العلماء والوقائع والأحداث التي أرخت للفترة، يذكر على سبيل المثال الشيخ الحاج بلقاسم الجراري، ويصفه بذي المواهب واللطائف، ذكره في نحو أربع مرات وصفه بالولي العارف السني وارث شيخه الأسمى الحاج أبو القاسم الجراري وشيخه المذكور سيدي على بن إبراهيم، كما وصفه بالإمام المؤتمن، ومرة أخرى ذكره بالقدوة السني الأواه الجراري الخليفة الجزولي الطريقة، فلم نجد هذا الكم من المعلومات في مصدر أخر غيره، خاصة وانه عاصر الفترة، (ابن أبي محلي السجلماسي، مخطوط، ص258)، كما يؤرخ للغزو السعدي ويذكر مجئ أحمد بن الحداد من تيقورارين في حياة المنصور، ويؤرخ لمجي الشرفاء من تلمسان نحو المنطقة، ويسهب في ذكر خبر أسرة آل القاضي ذكرا مفصلاً، ينفرد بتفاصيل لم يذكرها غيره إلى حد ذكر أسماء دقيقة وأماكن يصعب الوصول إليها، كحديثه عن أعيان تيڤورارين منهم أبو زيد عبد الرحمان بن أحمد، وشيوخ حيحا وشيخ ودغاغ علي بن موسى، يذكر الشيخ عباد صديق الحاج بلقاسم وتلميذه، تحدث عن ركب الحج، وعلماء مصر لذا تعتبر كتابات ابن أبي محلي من أهم المصادر لولا أن الكاتب تجنب الحياد في كثير من الأحيان لكونه صاحب مشروع سياسي(عبد المجيد القدوري، 1991، ص95)، كما كان يبحث عن الدعم في ادعاء المهداوية وكان مهووسا كثير الذم في حق من يعارضه، مادحا لمناصريه الذين انقلب عليهم بعدما عارضوه في مهدويته، وهو ما يجعل الشك ينتابنا في صدقية كتاباته والتحفظ في التعامل معها.

3.ظهور المد الصوفي: بَساطة الإنسان بالمنطقة لم تمنعه من إكرام الضيف والعناية به، خاصة إذا كان من أهل العلم والتقوى، فكانت العناية بالعلماء وطلبة العلم غاية في الإكرام، وهو ما لفت انتباه رجال كثر من أهل العلم، الذين ضاقت بهم السبل أو رغبوا في الاستقرار والأمن والتمتع بالاهتمام الزائد الذي يصل أحيانا درجة التبجيل، خاصة إذا كان الوافد عالما وجيها، أو من النسب الشريف، وكان الإنسان الڤـوراري تواقاً للمعرفة، وقد شهدت المنطقة خلال القرن العاشر الهجري توافد عدد كبير من المتصوفين(رشيد بليل، 2008، ص357)، فعادةً ما اعتبر الصوفيون البيئة القاسية مجالاً مناسبا لإظهار تعلقهم بالله سبحانه وتعالى من خلال التنازل عن متع الدنيا وزخرفها، إلى الاختلاء بالنفس مع ربها (عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، 2009، ص517)، ما سيعتبره الناس في مناطق كثيرة تشدداً وتحاملاً على النفس الضعيفة، فساكنة الصحراء بطبعهم الخشن ومعاشهم الصعب، جعلهم في العادة والطبع على مقاس ما يصبو إليه المتصوف، دون أن يرى نفسه غريباً، ناهيك عن سبل كسب العيش في الصحراء التي لا تكون إلا بمشقة وصعوبة، أما سبل المتع واللهو والفرجة محصورة، والمحيط الشاسع تذكرة مجانية للتأمل والتدبر في عظمة الخالق سبحانه، إذ بمجرد أن تقف على تلٍ صغير ترى أمامك أفق لا يمكن حصره، يجعلك تحقِّر نفسك مدركاً صغر حجمك أمام ما تراه عيناك، كما يحسب للمد الصوفي علاقته المباشرة في كبح جماح الصراعات المتعددة التي كانت تعيشها المنطقة، فلم يرضخ سكان ڤورارة لغازٍ بالقوة، لكنهم ركنوا إلى رجال التصوف، وشهدت المنطقة بفضلهم بوادر الأمن والاستقرار(رشيد بليل، 2008، ص157) .

4.ظهور المدارس التعليمية: كان لطبيعة النظام الذي منح متسعا من الحريات في مزاولة التعليم،(محمد عادل عبد العزيز، 1987، ص5) وإنشاء المدارس التعليمية التي انتشرت بربوع القطر الجزائري بسبب تعطش السكان لعلوم الدين والاعتراف بفضل الفقهاء والعلماء وهو ما دفع إلى إكرامهم وتيسير أمورهم، وكانت حق التعليم الحر مكفول للجميع بالمجان، وكان كل طفل

يجد مكانا لتعلم، والشائع أن كل متخرج مجاز كان يبدأ بالتعليم لصقل مواهبه وإظهار قدراته، وكان التعليم مصدر رزق جيد بسبب تخصيص أوقاف خاصة به في كل بلدة، فتجد نظام الإنفاق على التعليم من خلال الأوقاف، يشمل بناء المدارس، وترميمها، وتيسير نفقات التلاميذ، ودفع أجور المعلمين، بينما في القرى الصغيرة يتولى المعلم كسب رزقه من عمل خاص، أو يتولى أهلها ضمان نفقته من خلال تقديم إعانات أسبوعية تشمل بعض المال، والحطب، والطعام لقاء تعليم أبنائهم، كل على حسب مقدرته، وفي حال وجود أوقاف المدارس يخصص له وقف دائم ينتفع من خلاله، وفي كل قصور المنطقة توجد هذه الأوقاف إلى يومنا هذا.(عبد الرحمان الجوزي، د ت ن، ص442)

5.تأسيس الزوايا: يقال انزوى بنفسه بمعنى انفرد بخاصة نفسه، الزاوية في الاصطلاح هي مؤسسة دينية(محمد باي بن العالم، 2015، ص340)، اجتماعية، وثقافية، يقصده الطلبة والمريدون لتلقي العلم والتمكن في الطريقة على يد شيخ عارف، يلتزم فيها المتعلم المريد بنهج سبيل التحصيل القائم على حفظ القران أساسا كله أو بعضه، ثم التفقه في علوم الدين والدنيا، فضلا عن كسب أسس الطريقة على نهج شيخ تنتسب إليه الزاوية(الجمعية المغربية للبحث التاريخي، 1997، ص97)، وفي منطقة ڨورارة الزاوية لها مفهوم عامي يقصد بها تلك الدار التي تتولى رعاية إرث الشيخ المؤسس، مهمتها رعاية الزوار، وإكرام الضيف، ورعاية ملاحق الزاوية الموقوفة عليها، ينصب لها شيخ متفق عليه يرعى شؤونها، وتبقى الزاوية مرتبطة قدسيتها بولي من الأولياء الصالحين، تخصص لتدريس العلوم الدينية، يأوي إليها الطلبة، والضيوف، والمريدين، لها نظام خاص يكاد يتشابه بين كل الزوايا، يتوارث الإشراف عليها حفدة المؤسس لها، وهناك من يقسمها صنفين: زوايا التعليم وهي التي تخصص دخلها للطلبة الذين يأتون بغرض التعليم وحفظ القرآن والتفقه في الدين بالإضافة إلى إيواء الضيوف وعابر السبيل كزاوية بدريان، أما الصنف الثاني هي زوايا الإيواء والضيافة لعابر السبيل والمريدين كزاوية سيدي الحاج بلقاسم، وهناك من يقسمها إلى ثلاث، زوايا علمية تقوم بدور التعليم، وزوايا اجتماعية تتولى إيواء الفقراء والمساكين وعابري السبيل، وتتولى مهمة الإصلاح بين الناس ونشر قيم التكافل، وأما النوع الثالث فهو الزوايا الصوفية التي تستقبل المريدين لتلقين الأوراد والطريقة(محمد باي بن العالم، 2015، ص339).

دور الزوايا في الحراك العلمي للمنطقة:

يرتبط تاريخ ظهور الزوايا في ڨورارة بظهور التصوف، وسميت العديد من القصور والقرى باسم زاوية، منها زاوية الحاج بلقاسم، زاوية بدريان، زاوية الدباغ، زاوية سيدي عمر بن صالح، وغيرها، تأسست الزوايا بالمنطقة لتؤدي دورها في عملية التعليم، وقد استطاعت تحقيق هدفها بسبب نظام التدريس المتبع فيها، حيث كانت تفتح أبوابها للمتعلمين يوميا من صلاة الصبح إلى الزوال، ومن بعد صلاة الظهر إلى ما بعد صلاة العصر، ومن بعد صلاة المغرب إلى صلاة العشاء(التهامي غيتاوي، 2013، ص115)، مع تخصيص وقت الاستراحة بين الفترة والأخرى، ويستمر هذا النظام يومياً، باستثناء يومي الخميس والجمعة، الفترة الصباحية من كل يوم تخصص لكتابة ألواح الطلبة وتصحيحها من قبل المعلم ، ثم تمرين الطلبة على قراءة اللوح من خلال ترتيل ما هو مكتوب فيها أكثر من مرة، في حين خصصت الفترة المسائية لاستظهار ما تم حفظه على المعلم، أما الفترة الليلية فاقتصرت على قراءة حزبين من القرآن الكريم، وشيئا من متون الفقه واللغة والمدح والعقيدة، وقد ساعد هذا النظام على تخرج العديد من الطلبة، ممن حفظوا القرآن الكريم كما ساهم في تعليم الأميين، وحفظهم من خلال المواظبة على قراءة الحزب اليومي(محمد باي بن العالم، 2015، ص324)، أما باقي العلوم الأخرى، من فقه ونحو وصرف، فقد كان الطالب يدرسها بعد استكماله لحفظ القرآن في المرحلة الأولى، وبعد ذلك ينتقل الطالب

لدراسة علم الحديث والتفسير، وقد يتعدى دور الزاوية التعليم لتشمل مجالات أخرى كالمساهمة الاجتماعية لدعم الفقراء، والحث على التكافل والتعاون في مختلف الأنشطة كتنظيم الأعراس والاحتفالات الدينية والوعظ، كما كانت تعمل على غرس قيم التضامن والتكافل وفض المنازعات بالصلح ودعم نظام الجماعة، فضلا عن تعبئة أفراد المجتمع للجهاد والمقاومة ضد الغزاة، ولزوايا دور كبير في نشر الثقافة العربية الإسلامية والنحو وفقه اللغة.

6.الوقف أهميته الاجتماعية ودوره التعليمي : يعتبر الوقف من أهم دعائم النهوض بالحركة العلمية في المنطقة، تنوعت أشكاله في المنطقة في جميع التخصّصات، فمنها ما هو مختص بتحقيق الأمن والسلامة العمومية، وذلك كحبس الزاوية بادريان الذي يخصص أجرة لكل من يقوم على نظافة أزقة القصر، ويقتل العقارب المتسللة ليلاً إلى محيط تواجد السكان، ومنها ما هو مختص بالتكافل الاجتماعي لإعانة الفقير الذي ألم به خطب كمأتم أو فرح وغيرها، وكذلك حبس بزاوية الشيخ عمر بن صالح بأوڤروت المختص بعمال الزاوية القائمين على شؤونها يقتسمون دخله لإعالة أسرهم لقاء عملهم بالزاوية، ومنها ما هو مختص بالإضاءة والإنارة كحبس بزاوية بني مهلال يعرف بحبس "أجدل انتفتيلت" أي بستان الفتيلة، وتصرف عائداته قديما لشراء الفتيل والزيت للإنارة، واليوم تصرف في شراء المصابيح واللوازم الكهربائية، ومنها ما هو مختص بتزكية النفس والتربية الروحية، وذلك كحبس بزاوية الحاج بلقاسم الذي هو تحت يد عائلة بن الشيخ، هذا الحبس يُعرف بـجنان الذاكرين تصرف عائداته سنوياً على المصلين الذين يحافظون على الذكر بالمسجد للمحافظة على تلاوة الأوراد(عبد الرحمان الجوزي، د.ت.ن، ص15)

ثالثاً. علاقـــــــة ڤـــــــورارة بالحـــــــواضر العلميـــــــــة الكبرى:

لإظهار المكانة العلمية لأي منطقة لابد من استظهار دورها بين الحواضر ومدى تفاعلها معها، فهي علاقة تأثير وتأثر فيما بينها، وخاصة إذا كانت هذه الحواضر سببا مباشرا في خلق الحراك العلمي بالمنطقة، فهل استطاعت ڤورارة بناء شخصياتها وميزتها ومكانتها العلمية الخاصة أم بقيت دائما تحت تبعية وتأثير الحواضر الأخرى الخارجية والداخلية، وكيف كانت هذه العلاقة العلمية وما هي انعكاساتها؟.

1.الحواضر المحلية: كانت حواضر بجاية وتلمسان والجزائر وتوات مرجعية يلجأ إليها طلبة العلم من ڤورارة، وبفضل تأثيرها اكتسبت المنطقة شخصيتها العلمية، وبرز لها علماء متخصصون لا يقل شأنهم عن كبار علماء الحواضر الأخرى، تكونوا في المدارس المحلية في توات الكبرى كتنيلان وملوكة وتمنطيط ثم أولاد سعيد، وأوقروت، وتزلالغت، واقسطن، والمطارفة وغيرها، ومن ثَـمَّةَ أَدَّى الازدهار العلمي في الإقليم التواتي عامة إلى ظهور وجوه علمية جديدة وبارزة، كأمثال الشيخ أبو زيد عبد الرحمان بن إبراهيم الجنتوري، والعلامة الفقيه مولاي عبد العلي بكالي، والقاضي محمد الطاهر الفاعوني، والأديب الشيخ محمد بن أُبَّ المُزمري، والفقيه محمد بن أحمد المسعدي وغيرهم. وتولد تنافس علمي بين فقهاء المنطقة وغيرهم من فقهاء العالم الإسلامي، ونستشهد بالعلاقة بين الشيخ أمحمد عبد الله بن عبد الكريم بن أحمد الجوراري وشقيقه الشيخ عبد الحكم بالعلامة المجاجي الجزائري محمد بن علي بن بهلول مفتي إفريقية المتوفى عام 1008هـ/1599م .(عبد الرحمان الجوزي، د.ت.ن، ص108) ومما يُوحي بتوطد هذه العلاقة تلك المرسلات الخاصة بالفتوى وأحكام القضاء الشرعية التي كانت تتردد بين الطرفَيْنِ بفضل شيوخ حققوا حلقة الوصل والواسطة منهم سعيد بن إبراهيم المشهور باسم قدوره والفقيه الثائر ابن أبي محلي السجلماسي (ابن أبي محلي السجلماسي، ص267) والشيخ عبد القادر بن محمد والشيخ أبي القاسم الفجيجي والشيخ سعيد المقري التلمساني الذين كانوأ بمثابة همزة الوصل بين الشمال والجنوب.

العلاقة مع حاضرة تلمسان: ظهرت دولة بني زيان إلى جانب الدولتين الحفصية، والمرينية، على أنقاض دولة الموحدين التي انشطرت إلى دويلات ثلاث، وكانت هذه الدويلات تغالب بعضها بغية السيطرة وبعث مجد الموحدين باسم الغالب الجديد، وبالرغم من الصراع السياسي إلا أن المنافسة شملت وجها محموداً إذ تسابق المرينيون والزيانيون في استقطاب العلماء، والفقهاء، والأدباء، وأجزلوا لهم العطايا، وقربوهم من مجالس الحكام، ورفعوا من شأنهم، وهو ما أدى إلى تسارع ازدهار الحركة العلمية، فكان السلطان أبو تاشفين مولعاً بالفن والعمران، والأمير أبي عبد الله بن عثمان بن يغمراسن فقيهاً، وأبو حمو موسى الثاني كان شاعراً وأديباً، وخلال الاحتلال المريني لتلمسان أنشأ أبو الحسن المريني مدرسة العباد سنة 748ه/ 1348م إذ عرف عنه أنه كان فقيها وعالما، ومن الصدف أن لجأ الأمير أو السلطان المهزوم الفار من تلمسان أبو حمو موسى بن عثمان الزياني الذي حكم مابين 697 و718ه/1298 و1318م إلى منطقة ڤورارة في أرض توات، وبقي بها بعدما هزمه السلطان المريني الذي احتل تلمسان عبد العزيز بن أبي الحسن، ولم يعد إلى تلمسان إلا بعد وفاة هذا الأخير، (عبد العزيز الفشتالي، 1972، ص74) هرب إلى بوسمغون حيث أراد تجديد مقاومته لكنه انهزم وفقد كنوزه وحريمه وفر إلى تيقورارين. (A.G.P. Martin, 1903, p112)

بحكم هذا التقارب فقد كانت تلمسان قبلة الطلبة من توات وڤورارة لينتهلوا من العلوم في مدارسها العامرة، المدعمة بتزايد العلماء الوافدين من أرض الأندلس التي استولى عليها الأسبان، وضيقوا على المسلمين ليدفعوهم إلى الهجرة، خاصة بعد 1492م تاريخ ضياع أخر معاقل الإسلام بالأندلس، وكان الأندلس حضارة عامرة زاهرة، امتدت سبعة قرون من الزمن، برع فيها المسلمون في تقفي آثار التحضر الإنساني وصنعوا أمجادهم، لذا كان الوافدون الأندلسيون على تلمسان وغيرها من بلدان المغرب عامة كنوزا عامرة، جلبوا العلوم، والصنائع، والحرف، والعمارة الهندسية الراقية، وأسبغوا على المجتمع سمة النظام والرقي، كما أنَّ هناك عامل آخر يتمثل في الرحلات نحو المشرق الحجية والعلمية، التي أسهمت في جلب أمهات الكتب كمختصر أبن الحاجب في الفروع الذي جلبه إلى المغرب أبو علي المشدالي المتوفى سنة 646ه/1248م، ومختصر خليل الذي جاء به الفقيه محمد بن الفتوح التلمساني المتوفى سنة 818ه/1415م، وبفضل الاحتكاك والتقاطع بين طلبة العلم المغاربة في مدارس تلمسان، والقرويين بفاس، والأزهر الشريف، يمكن اعتبار العهد الزياني بالمغرب الأوسط من أكثر العصور ازدهارا وتأثيرا على الحركة العلمية بمنطقتي ڤورارة وتوات. (مبروك مقدم، 2011، ص47).

لم يكن الاحتكاك الفكري العلمي وحده وجها لهذه العلاقة بل كان للعامل الاقتصادي دور فاعل خاصة ما تعلق بالتجارة البينية من خلال طريق القوافل الرابط بين تلمسان وبلاد السودان مرورا بمنطقة ڤورارة، كان له دور كبير وهام في تفعيل هذا الترابط، حيث اتخذت القوافل لمسلكها هذه الطريق الآمنة والمزدهرة، فكانت تضرب عصفورين بحجر، تؤمن لنفسها الأسواق العامرة لبيع العروض التي تحملها، كما ينضم للقافلة تجار كُثر، حيث تزيد من طولها وقوتها، وتظهر مهابتها لإخافة الطامعين، وكانت قافلة المقّري المشهورة القادمة من تلمسان تجمع تجار منطقتي توات وڤورارة وتلمسان، خاصة وأنهم يتحدثون بلسان واحد من خلال الانتماء المتمثل في قبيلة زناته البربرية وبالتالي فهو دعم تحكمه الإثنية القبلية والمصلحة الاقتصادية. (Reda Brixi, 2013, page103).

ومن العوامل الهامة أيضا في هذه العلاقة ما وجدته من خلال رحلة محمد بن مسايب الحجية، حيث أظهر الكاتب في نصها مكانة هامة للشيخين أحمد بن يوسف الملياني وعبد الرحمان الثعالبي(BEN CHENEB, 1900, page 259) وكلاهما له مكانة عند سكان وعلماء المنطقة، فبلا شك فمن خلال زيارتهم يحدث الاحتكاك بين علماء المنطقتين، وفي البستان لابن

مريم المليتي قصة وقعت للشيخ عبد الله بن منصور الحوتي بن يحي بن عثمان المغراوي، الذي كان معاصرا لسيدي أحمد بن الحسن الغماري، وهذا الأخير كان يوصي به أصحابه ويصفه بالساقية، يروي عنه بعض جيرانه في درب الأندلسيين قوله أنه سافر إلى الصحراء قاصدا بلاد السودان بلغ في طريقه قصر تيـڤورارين، وهي المنطقة التي تشمل اليوم منطقة تيميمون، فلم يجد شعيرا ليشتريه كعلف لخيله، طلب منه رجل الجمل والحصان ليذهب بهما إلى الشط الظهراني ويشتري منه الشعير وكان على مسافة يومين من الشط الظهراني، عاد الرجل ليلاً راكبا الحصان لكنه فقد الجمل سأله عبد الله عن الجمل فقال له ضاع مني، ورد عليه لا حول ولا قوة إلا بالله، إلا أن الجمل وجده في الصباح عاد بمفرده(ابن مريم، 2014، ص266).

فعلاقات المنطقة بتلمسان فرضها منطق العبور كممر وطريق نحو بلاد السودان كما سبق، ومكان للتزود والاستراحة، وبلا شك المنطقة استفادت كثيرا من ذلك لتكوين حاضرتها العلمية بقدوم العلماء المسافرين من وإلى بلاد السودان ومن أصقاع مختلفة، نذكر كذلك مراسلات العصنوني من تمنطيط في شأن اليهود بتوات مستفتيا علماء تلمسان في نازلة اليهود كما أوردها الونشريسي(أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي، 1981، ص214)، وفي هذا اعتراف بالفضل والمشيخة لعلماء البلاد، لكن الحاضرة التلمسانية بدخول الأتراك إليها تراجع وهجها العلمي لصالح الحاضرة الجديدة فاسكانت تنافس تلمسان في اكتساب مكانتها العلمية من خلال الاهتمام بالمدارس، واستقطاب العلماء، وقد هاجر الكثير من علماء تلمسان البارزين حينها إلى فاس، ومعهم طلبة العلم من شتى الأنحاء خاصة طلبة توات وڤورارة، يصف أبو العباس أحمد بن محمد المقَّري تلمسان بعد ما أصبحت في يد الأتراك العثمانيين بنحو ثلاثون سنة، فيقول: " أن الحاضرة بدأت تفقد أهميتها العلمية والسياسية، وهاجر الكثير من علمائها وأدبائها، وشرفائها نحو فاس التي كانت مع تلمسان كفرسي رهان يتنافسان الريادة مدنياً وسياسيا وحضاريا"(أحمد بن محمد المقَّري، 1983، ص7).

العلاقة مع حاضرة توات: في ترجمة وردت في مخطوط "إعلام الإخوان بأخبار بعض السادات الأعيان" حول شخص عبد الحق بن عبد الكريم بن محمد البكري، أين كانت وصية والده لأمه أن مات قبلها، عليها أن لا تمنع أبنها من الذهاب إلى الحاج أبو أمحمد البوبكري الجزولي صاحب تبلكوزة بتنركوك، وهي من قرى ڤورارة إذَا بعث في طَلَبِهِ تُرسله إليهِ، وبعد موت الوالد بعث الشيخ في طلب الابن عبد الحق بن محمد وهو صغير، أرسل إليه رسولاً من قبيلة المحارزة ومع الرسول كتابا لأخويه يطلب فيه تمكين الابن للرسول، وأعلمهم أن والده ترك له عنده أمانة، وخشية اقتراب أجله فهو يطلبه ليسلمه أمانة أبيه، توجه الأخوة إلى أمهم لإبلاغها عن طلب الشيخ ومشاورتها، فقالت لهم نعم إن والده قد أوصاني أن لا أمنعه من الذهاب إلى الشيخ الحاج أبو أمحمد إذا طلبه، فسلموه للرسول، وذهب به، ولما وصل تبلكوزة تسلم الشيخ الطفل وجعل الزبد بين يديه، أمراً الطفل بلعقه، ثم أمر أحد أبنائه أن يخرج بالطفل ليطعمه وحينها توفي الشيخ مباشرة، (الحسن البكري التمنطيطي، د س ن، ص27) ورغم كون القصة من قصص الكرامات لكنه إشارة واضحة للعلاقة بين بيوتات ڤورارة وتوات من حجم الثقة المتبادلة والاعتراف الواضح بالفضل بين المنطقتين، كما أن طرفا القصة من الأسر العلمية العريقة بالمنطقتين، فالأسرة البكرية غنية عن كل تعريف، ودورها العلمي بارز في منطقة توات انطلاقا من مركزها العلمي بتمنطيط، ولها علاقات وطيدة بـڤورارة، فالجد البكري تلميذ محمد بن علي النحوي الوڤروتي، وهذا الأخير بدوره تلميذ والد البكري الشيخ عبد الكريم بن محمد الذي حمله وصية لأولاده بعد موته، وهو ما فعله مع الابن الذي قرأ عليه وصية أبيه بحضرة الشيوخ سيدي علي بن حنيني الزجلاوي، ومحمد بن عبد السلطان، وعلي بن أحمد بن عيسى الوقروتي، وعبد الرحمان التزلالغتي، والحاج أحمد الأغياتي، وكلهم من تلاميذ الشيخ محمد بن علي النحوي، (عبد الحميد

بكري، 2007، ص276) وتخرج على يديه الكثير من الطلبة الذين سبق ذكرهم، والقصتين من وصايا الشيخ عبد الكريم بن محمد لشيخين عالمين من منطقة قورارة بتبليغ أمانته لأبنائه، فأخذ الشيخ عبد الحق بن عبد الكريم بن محمد البكري العلم والطريقة عن شيخه أبو أمحمد الجزولي، بينما أخذ الشيخ سيد البكري العلم والطريقة عن شيخه محمد بن علي النحوي، كما نجد في الأثر علاقة مصاهرة أيضا فهاهو الحاج عبد الله بن البكري المتوفى عام 1133ه/1721م وقبره بتيميمون، ترك ولدا اسمه محمد بن عبد الله البكري صغيرا في كفالة أمه بتيميمون عند أصهاره من عائلة حمو الزين الشهيرة في المنطقة، وهي من الأسر الغنية التي كان لها دور في تأسيس المدينة، كما يذكر السيد ضيف الله بن محمد بن أُبَّ المُزَمِري في رحلته أن السيد محمد بن إبراهيم التمنطيطي قال له "إن أهل تيميمون عندهم قبل أبيك قبر الحاج عبد الله ثم أبيك"، وهنا يشير إلى والد السيد ضيف الله محمد بن أب المزمري الذي توفي سنة 1160ه/1747م وهي نفس السنة التي توفي فيها الجنتوري أيضاً، وعندهم كذلك قبر السيد عبد الله بن البكري التمنطيطي المتوفى سنة 1133ه/ 1721م. (الحسن البكري التمنطيطي، مخطوط، ص26)، والواقع يشير إلى تداخل وثيق بين المنطقتين فلا تكاد تقرب مبحثا مهما كان بسيطا ألا وتجد قورارة حاضرة جنب توات، علاقة تمتد لقرون من الارتباط الاقتصادي والثقافي والاجتماعي، فكثير من الأسر تمتد جذورها إلى المنطقتين، ناهيك عن العلاقات العلمية التي جسدها تواجد علماء كان لهم دور فاعل في صنع المجد العلمي للمنطقة وأقصد بالذكر، الشيوخ محمد بن أُبَّ المُزَمِري والجنتوري والأسرة البكرية التي ارتبطت بالمنطقة علميا واجتماعيا، وكذلك محمد بن علي النحوي الوقروتي خريج مدرسة تمنطيط، وبعده سيد البكري التي تتلمذ عنده بأوقروت فالتلميذ يرد جميل شيخه، وتبقى الأسرة البكرية العريقة خير مجسد لهذه العلاقة، التي يقول فيها التزلالغتي الجوراري واصفا صديقة سيد البكري.

بِسمِ الإلهِ ابْتَدائي أولًا وَبِهِ تَوْطِئَةً لِقَـوْلٍ فِي النَظْـمِ أَبْدَاهَا
تَهْدِي السَّلَامَ لِمَنْ كَانَ اشْتِيَاقِي لَهُ حَتَّى جَرَى ٱلدَّمْعَ مَا بِالأَشْوَاقِ مَجْرَاهَا
أعْنِي ٱلْحَبِيبَ ٱلَّذِي دَامَتْ مَوَدَتُهُ مُحَمَّدٌ ٱلْبَكْرِي بَدْرُ ٱلْوَقْتِ قَاضِيهَا

2.العلاقة بين قورارة والحواضر الإسلامية:

لقد تتلمذ عدد من شيوخ المنطقة على يد علماء كثر من مدارس مختلفة في المغرب وتونس ومصر والحجاز، فقد أخذ القاضي الشيخ أبو المكارم عبد الكريم بن أحمد بن محمد المسعود عن الشيخ محمد بن عبد الله الدقاق الفاسي، وكانت بين قورارة وفاس محاورات ومراجعات فقهية في ميادين فتوى النوازل، كما أخذ الشيخ أمحمد عبد الله بن عبد الكريم بن أحمد الجوراري عن الشيخ أبي القاسم بن محمد بن عبد الجبار الفجيجي، ولمصر شأن خاص باعتبارها طريق الحج مثوى الشاذلي، وأبو العباس المرسي وهما من أعمدة الشاذلية، ناهيك عن الأزهر الشريف خاصة في عهد الإمام الباجوري الذي صادفنا ذكره كثيراً، ورد اجتماع الشيخ عبد الحكم الجوراري بالشيخ سالم السنهوري مفتي الديار المصرية والمناقشة الشهيرة حول حرمة الدخان المستحدث القادم من العالم الجديد أمريكا، ومثار الجدل أحدثه ابن أبي محلي الذي ابتلي بتعاطيه، حتى أنه كتب في ذلك مراسلات جادل بها العلماء معظمها محتواة في مؤلفه الإصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت(عبد المجيد القدوري، 1991، ص95)، نذكر كذلك القاضي محمد بن أمحمد عبد الله بن عبد الكريم الذي ظفر بتزكية علماء عصره بمصر بعد أن أقنعهم بالحجة العلمية، حتى لقبوه بـالجوزي لغزارة علمه وتشبيهاً له بالعلامة الشهير ابن القيم الجوزية، أما بلاد الحرمين مكة المكرمة والمدينة فقد طالعنا كثيرا من أخبار العلماء الـڤوراريين الذين توافدوا عليها طلابا وحتى مدرسين، ومن غرائب القصص ما فعله الشيخ محمد بن إسماعيل الجوراري بإهداء مكتبته العلمية للوقف الشريف في المدينة المنورة، هذه المكتبة التي جلبها من اسطنبول كهدية من وزير

عثماني(عبد الله بن محمد العياشي ، 2006، ص107)، التقى معه في بغداد أثناء زيارته ضريح الشيخ عبد القادر الجيلاني، وللرحلات الحجية دور في خلق الرابطة الروحية الدينية فلا يمكن أخفاء حجم التعلق بالمكان لأنه موضع الحرمين مثوى الحبيب المصطفى محمد، تهفو إليها قلوب المسلمين حجاجا على اختلاف أصنافهم علماء وغيرهم، استجابة لدعوة سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام، وها هو القاضي محمد عبد الله بن الجوزي في قصيدة من نوادر الأدب الفصيح في ڤورارة مكتوبة بالغة العربية الفصحى مرتبة المراحل والأجزاء حسب الرحلة، والقصيدة تأثرت بمكانة كاتبها الفقيه المتمكن من اللغة والمدرس الموجه للمتعلمين، فضلا عن مهنته كقاض(قاضي قورارة حج إلى بيت الله الحرام سنة 1263ه/1847م) إذ غلب عليها الطابع الإرشادي التعليمي بغية إرشاد الحجاج وتعليمهم مناسك الحج، واحتوت وصفا لبعض الأماكن، وذكر أهم الشخصيات التي رافقت ركب الحج التواتي يفتتحها بقوله:

حَجَجْتُ وَربّـي الله مَـحْمُودٌ مَشْكُورُ وَبِالفَضْلِ أَرْجُو أَنّ حَجّـي مَبْرُورُ(خزانة أل الجوزي، مخطوط، د.ر).

ونماذج الرحلات الحجية موجودة مكتوبة بالشعر الفصيح والدارج، وهي خير دليل على وصف العلاقة بين المنطقة وأرض الحرمين، هذه العلاقة الأزلية التي لا تحتاج تفسيرا ولا توضيح، ومن رحلة أخرى كتبت في قصيدة مجهولة المؤلف باللسان الدارج القريب من الفصيح تستشف الشوق والارتباط بأرض الحرمين وقد عنونت باسم الشوق يقول فيها صاحبها:

اعزَمْ يَا مَنْ تَعْزَمْ صَفِي نَيْتَكْ وَامْشِي اتْرَكْ عَنَكَ لَقْرِيبْ أولَبْعِيدْ لاَ تَخَمَمْ شِي

وَانَا غْدِي نزُورْ النبِي قبَل مَا نَهْرَمْ وَنْشِيبْ وَعلِيهْ سَبَلْت عُمْرِي يهَوَن كُلْ صعِيبْ

إلاَ مَا زَرْت النبِي بَاشْ تطِيبْ أَفْعَالَكْ لاَ خَيرْ فِي صَحْتَكْ وَلاَ بَرَكَة فِي مَالَكْ

القصيدة كاملة تلقى في تقليد سنوي أثناء خروج الحجاج في قصر زاوية سيدي بلقاسم تيميمون، كتبت باللسان العربي الدارج، مجمل ما جاء فيها هو الحث على عقد العزم والنية لزيارة الحرم والوصول إلى المصطفى صل الله عليه وسلم، بالرغم من الصعوبات وقلة الحيلة وأعمارنا فداء له، ومن لم يؤدي الزيارة لا خير في صحته ولا بركة في ماله، والقصيدة تظهر حجم الارتباط والشوق لأرض الحرمين وهي خير دليل على العلاقة الوثيقة.

رابعاً. نتائج البحث: من خلال هذا البحث استخلصنا النتائج التالية:

- المجتمع الڤوراري تشكيلة من أقوام، وأجناس، وأعراق، جمعت بينهم الرقعة الجغرافية، والمصالح المشتركة بينها وفرت أجواء الأمن والتعايش، فحصل الازدهار والتطور وكان لموقعها الجغرافي انعكاس سلبي وإيجابي، فالسلبي منها جعلها محل أطماع القوى المحيطة بها، وعرضها لنكبات الغزو والاحتلال، أما الجانب الإيجابي يتمثل في كونها نقطة عبور للقوافل التجارية، مما أسهم في ازدهار التجارة ونشأة التمدن.
- الحراك الثقافي والفكري للمنطقة انعكاس للواقع السياسي، والثقافي، للمغرب الإسلامي خلال الفترة المدروسة، فاضطراب البلاد حول طرق تجارة القوافل نحو ڤورارة، التي أصبحت محط رحال العلماء، والتجار، الذين كان لهم الأثر البالغ في تفعيل الحراك العلمي، كما أن الصراع السياسي بالمنطقة ساهم في تفعيل حركة التأليف وغزارة الإنتاج العلمي، فكان الجدال العلمي من دواعي التنافس وكثرة الكتابة، وتنوع التأليف، وللبعد القبلي أثر في تفعيل الحراك الاقتصادي والفكري كتقارب قبيلة زناته البربرية لحماية مصالحها وإظهار سطوتها على طريق القوافل.
- إدراك الأهمية الكبيرة لكتب النوازل الفقهية في التأصيل للكثير من الحوادث التاريخية، ناهيك عن الواقع الاجتماعي للمنطقة، ولكونها تحتوي فتاوى فقهية هامة تتعلق مباشرة بالواقع المعاش، لقيت اهتماما واسعا، حيث نجدها منسوخة في عدة مكتبات، وفي حالة جيدة، مضمونها واضح

يحتوي نوازل فقهية من واقع المنطقة مباشرة، لذا اعتبرها من أهم المصادر التي تؤصل تاريخيا للفترة.

قائمة المراجع:

1. بالعالم محمد باي(2015)، الرحلة العلية إلى منطقة توات، د.ط، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، ج2، الجزائر.
2. بكري عبد الحميد(2007)، النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن التاسع الهجري إلى القرن الرابع عشر، ط2، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر.
3. بليل رشيد(2008)، قصور ڤورارة وأولياؤها الصالحون، تر: عبد الحميد بورايو، المركز الوطني للبحوث، الجزائر.
4. جعفري أحمد(2007)، رجال في الذاكرة وقفات تاريخية في أعماق الذاكرة التواتية محمد بن أبَّ المَزْمِرِي، ط2، دار الغرب للنشر، وهران، الجزائر.
5. الجمعية المغربية للبحث التاريخي، (د.ت.ن) الرباط والزوايا في تاريخ المغرب، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط.
6. ابن خلدون عبد الرحمن(2000)، تاريخ ابن خلدون " ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر"، مر: سهيل ذكار وخليل شحاذة، دار الفكر، بيروت،ج7.
7. بن زايد محمد السالم(2012)، ايزلوان نتـڤورارين، محافظة المهرجان الثقافي أهليل تيميمون، ادرار، الجزائر.
8. سعيد عيادي(2011)، موقع تلمسان في تاريخ المدارس الفكرية في العالمين العربي والإسلامي، ط1، عاصمة الثقافة العربية ، تلمسان.
9. السلاوي أحمد الناصري(2007)، الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى، ط1، دار الكتب العلمية، ج1.
10. عبد العزيز محمد عادل(1987)، التربية الإسلامية في المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.
11. العياشي عبد الله بن محمد(2006)، الرحلة العياشية، تح: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، مج 1و2.
12. غيتاوي التوهامي(2013)، الفتح الميمون في تاريخ ڤورارة وعلماء تيميمون إقليم توات ولاية ادرار، د.ط، العالمية للطباعة والخدمات، الجزائر.
13. فرج محمود فرج(2007)، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر.
14. الفشالتي عبد العزيز(1972)، "مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء"، تح: عبد الكريم كريم، د ط، مطبوعات وزارة الأوقاف، المغرب الأقصى.
15. القدوري عبد المجيد(1991)، ابن أبي محلي الفقيه الثائر ورحلة الإصليت الخريت، مطابع منشورات عكاظ، الرباط، المغرب الأقصى.
16. القسطني محمد المحفوظ(2012)، روض الزهر اليانع على مشروح المقنع في علم كان لأبي مقرع، تحقيق مولاي عبد الله اسماعيلي، ط1، دار مقامات للنشر، الجزائر.
17. كريم عبد الكريم(2006)، المغرب في عهد الدولة السعدية، ط3، جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، المغرب.
18. ابن مريم(2014)، البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، تح: عبد القادر بوباية، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان.
19. المغيلي محمد بن عبد الكريم(2011)، مدونة فقه التشريع لبناء الإمارة، تح: مبروك مقدم، مج1، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، عاصمة الثقافة العربية، تلمسان.

20. مـڤنونيف شعيب(2003)، مباحث في الشعر الملحون الجزائري(مقاربة منهجية)، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران.
21. المقري أحمد بن محمد(1983)، روضة الآسْ العاطرةُ الأنفاسْ في ذكر من لقيته من أعلام الحاضرتين مراكش وفاس، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب.
22. الوزان الحسن(ليون الإفريقي)(1983)، وصف إفريقيا، ط2، تح: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ج2.
23. الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي(1981)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب، د.ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ج2.
24.A.G.P. Martin, (1908) Les Oasis Sahariennes (Gourara - Touat - Tidikelt), Edition de l'imprimerie Algérienne.
25.A.G.P. Martin, (1923) quatre siècles d’histoire marocaine au Sahara de 1504 à 1902, au Maroc de1894 a 1912, librairie Félix alcane, Paris .
26.Bencheneb, Itinéraire de Tlemcen a la Mekke par Ben Messaib, (1900) Revue Africaine, voulume44 .
27.G. Mercadier et autre, (1946) L’oasis rouge, Impressions Sahariennes, Alger .
28.Jean Bisson, (1955) Le Gourara Etude De Géographie Humaine université d’Alger, institut de recherches sahariennes, mémoire n° 3 .
29.Reda Brixi, (2013) la route du sel de Tlemcen au bilad es- Soudan, éditions Ibn khaldoun, Tlemcen .

المقابلات الشفوية

30. الصوفي عبد المالك(2016)، شيخ زاوية سيدي الصوفي، قصر بادريان تيميمون ولاية ادرار، موضوع المقابلة: الحراك العلمي للمنطقة إبان القرن 11ه.

مناهج الجيل الثاني بين المواطنة والتغريب دراسة تحليلية في مناهج المدرسة الابتدائية في الجزائر

The second generation approaches between citizenship and Westernization An analytical study in primary school Curriculum in Algeria

د. زليخة جديدي، جامعة حمة لخضر الوادي- الجزائر
أ. سيف الدين جديدي – جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة- الجزائر

ملخص: هدفت هذه الدراسة إلى تقويم مناهج الجيل الثاني للمنظومة التربوية الجزائرية في أطوار التعليم الابتدائي من حيث التربية على المواطنة، مستخدمة منهج تحليل المضمون، واعتمد في ذلك على أداة للتحليل تم تصميمها من طرف الباحثين لإستخراج مؤشرات المواطنة، ومؤشرات التغريب، وتمت الاستعانة بالنسب المئوية لتحليل البيانات، وكانت النتائج أن المقررات الدراسية المدروسة تحتاج إلى إعادة النظر فيها نظرا لبعض النقائص والكثير من مؤشرات التغريب التي إحتوتها.

الكلمات المفتاحية: مناهج الجيل الثاني، المواطنة، التغريب.

Abstract: The aim of this study is to asses the second generation decisios of Algerian education system at primary stages in terms of education for citizenship, using content analysis methodology, and rely on the analysis tool designed by researchers to extract the citizenship indicators and westernization indicators, was Use percentages for data analysis, and the results were that thoughtful decisions need to be revisited because some shortcomings and a lot of westernization which contained.

Keywords: Second Generation Curriculum, citizenship, Westernization.

مقدمة:

من المعروف أن المدرسة هي المؤسسة التي أوجدها المجتمع لتساعد الأسرة على التنشئة والتطبيع الاجتماعي ، لذلك فهي لا تخرج عن هذا الإطار في أهدافها، فكلما تطور المجتمع وظهرت له حاجات جديدة حملت المدرسة على عاتقها لواء التغيير فجددت أهدافها وأساليبها لتؤدي رسالتها في الحفاظ على ثوابت المجتمع من جهة والمساهمة في تطويره من جهة أخرى وهي ما يطلق عليها اليوم في الأدب التربوي الحديث تربية المواطنة، والتي تهدف إلى إعداد الفرد ليكون مواطنا صالحا من أجل بقاء المجتمع واستقراره والاحتفاظ بهويته(هويدي عبد الباسط وحوامدي الساسي، 2016، ص53).

وتحاول المنظومة التربوية الجزائرية جاهدة ومنذ أمرية أفريل 1976 أن تنتحي بالمتعلم منحى الدول المتحضرة ومن بين أهم المؤشرات لذلك تكوين المواطن الصالح الذي يؤمن بقيمة المواطنة ، وشهدت المنظومة التربوية الجزائرية تغييرات عدة، حيث بدأت بالمقاربة بالأهداف في ظل نظام المدرسة الأساسية منذ 1976، ثم المقاربة بالكفاءات منذ 2004/2003 والتي تلقت عدة صعوبات انجرت عنها تحقيقات وتعديلات دفعت إلى انتهاج مسلك جديد هو المقاربة بالكفاءة الشاملة في مناهج الجيل الثاني والذي تم تطبيقه بداية من الموسم الدراسي 2017/2016، وقد اهتمت في مجملها بقيمة المواطنة كهدف أساس.

على هذا الأساس جاءت هذه الدراسة محاولة تقويم مقررات مناهج القراءة والمحفوظات والتربية المدنية من مناهج الجيل الثاني في المرحلة الابتدائية في المدرسة الجزائرية.

مشكلة الدراسة:

عملت المواطنة كمبدأ للحياة المدنية للشعوب والدول منذ ظهورها في المدينة، ونجحت في تحويل مجتمعات العبودية والميز العنصري إلى مجتمعات تعتمد الحوار وتحترم الحقوق والحريات، كما نجحت في الرقي بالدول إلى ض حفظ العدالة والمساواة وضمان الحقوق والحريات، فقد ثبت عبر التاريخ أن مبدأ المواطنة "يعمل على رفع الخلافات الواقعة بين مكونات المجتمع في سياق التدافع الحضاري، مما يساهم في تقوية لحمة المجتمع"(جنكو علاء الدين عبد الرزاق، 2014، ص39).

والمواطنة بما حققته من انتصارات للمجتمع البشري هي في النهاية عمل بشري يربى الفرد عليه كغيره من السلوك والقناعات، لذلك تهتم المجتمعات الحديثة بممارستها وتعليم مبادئها وتدريب الأجيال الجديدة عليها.

وقد سعت الدولة الجزائرية من خلال المدرسة ومنذ الاستقلال إلى تكوين المواطن الصالح الذي ينجح في إرساء العدالة والديمقراطية ويحي في ظل وطن يحبه ويدافع عنه، ويبني مجتمعا يحترم تقاليده ويسهم في تطويره، وقد عرفت أن الطريق لذلك هو تربية المواطنة.

فعملت على ذلك عبر مختلف إصلاحات مناهجها التربوية واستحدثت مادة دراسية خاصة بها هي مادة التربية المدنية، رغم أن تربية المواطنة ليست حكرا على مادة واحدة وإنما هي مفهوم -كما يطلق عليه- عابر للمنهج أي أنه عبارة عن نوع من الممارسات نستقيها ضمنيا في كل المواد الدراسية.

ولا شك أن تربية المواطنة تلك من خلال المؤسسة التربوية التعليمية تنطلق في المناهج التعليمية من مضامين المقررات التعليمية وان كانت لا تقتصر عليها لأن "التركيز على الخبرة والتعاون والاجتماعية والديمقراطية في الصف الدراسي هي ممارسات لتنمية المواطنة"(هويدي عبد الباسط و حوامدي الساسي، 2016، ص57)، حيث أن تربية المواطنة ليست مجرد نص على ورقة أو في مرجع يحفظه التلميذ، ولا هو تخصص مادة معينة فهو هدف تحققه مجموع

المواد .لكن استحداث مادة لتهتم بهذا الجانب يجعلها ذات أولوية في حال تقويم المنهاج من ناحية تضمنه لأبعادها ومؤشراتها . وهو حال مناهج التربية المدنية.

إلى جانب كون مناهج القراءة كمادة أساسية تمتد إلى كل المواد الأخرى في دعما في تحقيق أهدافها أو الحياد بها عنها إذا لم تراعى فيها الطرق والمبادئ الصحيحة في ذلك، سواء كان الأمر في مضامين المنهج الظاهرة المقصودة أو بين طيات المنهج الخفي وما يتركه من اثر تربوي عميق على المتعلم.

وفي مقابل التربية على المواطنة إذا تضمنت المناهج التربوية مؤشرات تنافي أو تعكس المقومات الأساسية للمواطنة فهي تربي على التغريب وبحسب وجهة تلك المضامين تكون النتائج، فإذا تضمنت المناهج الدراسية ما ينافي قيم المجتمع وعاداته ومعتقداته الدينية وشعائره – في حال كان دين المجتمع واحدا كما هو حال المجتمع الجزائري –ولغته، إذ لا يكفي أن تركز المناهج على تضمين مؤشرات تدعم المواطنة فقط بل يجب أن تحرص على أن لا تتضمن ما يفندها أو يخالفها أو يورث المتعلم شيء من الشك وعدم الثقة والثبات، من هذه المنطلقات نتساءل :

- هل تضمنت مقررات التربية المدنية والقراءة والمحفوظات لمناهج الجيل الثاني مؤشرات مبدأ المواطنة؟
- هل تضمنت مقررات التربية المدنية والقراءة والمحفوظات لمناهج الجيل الثاني مؤشرات للتغريب؟

التحديد الإجرائي للمفاهيم:

المواطنة: هي الإطار الفكري الذي يحكم علاقة الفرد بالدولة (أرض ونظام حكم) وعلاقات الأفراد داخل الدولة المصحوبة بمشاعر الانتماء وحس المسؤولية في أداء الواجبات وتلقي الحقوق، وتتكون من الأبعاد التالية:

الهوية: التعرف على الذات ومكونات الهوية تاريخ الميلاد، العائلة الموطن.

حب الوطن: الإحساس بمحبة الوطن والاعتزاز بكل رموزه: العلم الوطني، ألوان العلم، العملة.

المشاركة مع الآخر: وتتضمن التعاون وتقديم المساعدة، الحوار، عدم التمييز بين الأفراد على أساس الشكل أو الإعاقة أو العرق.

تقبل قيم المجتمع الأساسية: العادات والتقاليد وكل ما ينتمي إلى الموروث الاجتماعي المادي واللامادي.

الحق في التعليم: أن يتعرف على حق الفرد في أن يتعلم مهما كانت ظروفه الصحية والمادية، وأن له الحق في أن تتوفر له المرافق التي تحقق له ذلك.

الحق في الترفيه: أن يعرف أن له الحق في ممارسة النشاطات الترفيهية كالرياضة اللعب، وفي توفر ما يسمح له بذلك.

الحفاظ على الصحة: أن يتعلم كيف يحافظ على صحته وكيف يبتعد عن مصادر الأضرار بها.

حماية البيئة: أن يتعلم كيفية الحفاظ على البيئة الطبيعية أو المرافق العامة فيسهم في النظافة والصيانة والتشجير، ويبتعد عن التكسير والتلويث ونشر الفوضى.

القيم الدينية: كل القيم التي تنص عليها الشريعة الإسلامية حيث أن الإسلام هو دين الدولة وهو الدين الوحيد فيها، وتجدر الإشارة هنا أننا اعتبرنا قيما دينية ما دل على الاعتقاد فقط كالتوكل والدعاء وذلك لسببين، الأول أن هناك مقرر خاص بالتربية الإسلامية، والثاني أننا احتسبنا القيم الدينية التي تنتمي إلى جانب المعاملات في القيم الانسانية وهي بطبيعة الدين الإسلامي لا تخرج عن هذا الإطار.

المشاركة في الشؤون المدنية: تضم المشاركة في التظاهرات العامة ذات الطابع المدني.

المشاركة في الشؤون السياسية: وتضم المشاركة في الأحداث العامة ذات الطابع السياسي كالانتخابات.

المناهج التعليمية: يعرف محمد هاشم فالوقي المنهج التعليمي بأنه "ذلك النسق المتكامل الشمولي من أهداف ومحتوى وطرق ووسائل وتقويم ومعلم ومتعلم ومبنى مدرسي وبيئة طبيعية واجتماعية وثقافية ونفسية وفلسفية وإمكانات مادية وبشرية وفنية ومعارف ومهارات واتجاهات"(فالوقي محمد هاشم، 1997، ص27.

مناهج الجيل الثاني: هي المناهج الدراسية التي شرعت الجزائر في تطبيقها بداية من الموسم الدراسي 2017/2016 وهي "مقاربة تهدف إلى جعل المعارف النظرية سلوكات ملموسة عن طريق استغلال كل نقاط التقاطع بين المواد وجعلها مواد مستكملة موحدة لتشكيل الكفاءة المستهدفة"(جدي مليكة، 2017، ص126).

المقررات التعليمية: هي ما تحتويه الكتب والوثائق المدرسية من مواد معرفية.

الإجراءات المنهجية للدراسة الميدانية:

الإجراءات المنهجية للدراسة الميدانية :

منهج الدراسة: اعتمدت الدراسة على منهج تحليل المحتوى الذي يعرف بأنه" مجموعة الخطوات المنهجية التي تسعى إلى اكتشاف المعاني الكامنة في المحتوى، والعلاقات الارتباطية بهذه المعاني من خلال البحث الكمي، الموضوعي والمنظم للسمات الظاهرة في هذا المحتوى"(حسونة نسرين، 2014، ص3).

عينة الدراسة: شملت الدراسة كل مقررات مادتي القراءة والتربية المدنية من برامج الجيل الثاني في المدرسة الابتدائية، أما السنة الخامسة فما تزال مقرراتها الدراسية لا تنتمي إلى مقررات الجيل الثاني.

أدوات الدراسة:

وحدات التحليل: تمثل وحدات التحليل أو وحدات الدلالة "جزء أو مقطع من الاتصال يوضع في فئة معينة"(انجرس موريس، 2004، ص279)، فهي الوحدة الأساسية التي يقسم على أساسها النص أو الوثائق المدروسة لقياس عدد تكرار المؤشر محل البحث، وفي هذه الدراسة اعتمدت "الفكرة" كوحدة تحليل أساسية سواء كان التعبير عنها في شكل فقرة أو نص أو سؤال أو صورة.

فئات التحليل: إن "فئات تحليل المحتوى أداة لجمع المعطيات تبنى من أجل استخراج العناصر الدالة في الوثيقة"(انجرس موريس، 2004، ص277)، وفي هذه الدراسة تم بناء فئة التحليل على أساس مؤشرات المواطنة المحددة وهي: الهوية/حب الوطن/المشاركة مع الآخر/تقبل قيم المجتمع الأساسية الحق في التعليم/الحق في الترفيه الحفاظ على الصحة/حماية البيئة/القيم الدينية/المشاركة في الشؤون المدنية/المشاركة في الشؤون السياسية.

الأسلوب الإحصائي: تم الاعتماد على النسب المئوية لتكرارات المؤشرات.

معامل ثبات التحليل: تم اعتماد أسلوبي إعادة التحليل واختلاف المحللين، حيث قام الباحثان بتحليل عينة مقدرة بـ 5 دروس تم تحديدها عشوائيا كل على حده، وتمت إعادة التحليل بعد فاصل زمني قدره 30 يوم من التحليل الأول وكانت قيم الارتباط المحصل عليها بين التحليلين كما يلي:

الجدول رقم (1) يوضح : معاملات ثبات التحليل

		الباحث الأول	
		التحليل الأول	التحليل الثاني
الباحث الأول	التحليل الأول	/	0.91
	التحليل الثاني	0.76	/
الباحث الثاني	لتحليل الأول	0.83	/
	التحليل الثاني	/	0.8

عرض النتائج ومناقشتها:

الإجابة عن التساؤل الأول:

نص هذا التساؤل على: هل تضمنت مقررات التربية المدنية والقراءة والمحفوظات لمناهج الجيل الثاني مؤشرات مبدأ المواطنة؟

للإجابة عن هذا التساؤل تم رصد وحدات التحليل وحساب نسبها المئوية لكل مؤشر وكانت النتائج كالتالي:

الجدول رقم (6) يوضح: نتائج تحليل مقررات القراءة والمحفوظات والتربية المدنية لكل مناهج الجيل الثاني في المدرسة الابتدائية ونسبها.

	التربية المدنية				القراءة والمحفوظات				المجموع	النسبة %
	الأولى	الثانية	الثالثة	الرابعة	الأولى	الثانية	الثالثة	الرابعة		
الهوية	3		13		3	3	1		23	2.3
حب الوطن	10	1	3		24	22	38	45	143	14.3
المشاركة مع الآخرين	15	3	45	26	1	29	18	46	183	18.3
تقبل قيم المجتمع الأساسية			34	70	9	28	37	9	187	18.7
الحق في التعليم				2	3	4	3	3	15	1.5
الحق في الترفيه		6			5	24	21	4	60	6
الحفاظ على الصحة		2	60		13	34	16	16	141	14.1
حماية البيئة		8	7	4	17	74	16	30	156	15.6
القيم الدينية	2	7	4	2	2	59	18	5	99	9.9
المشاركة في الشؤون المدنية						1	5		6	0.6
المشاركة في الشؤون السياسية			6					1	7	0.7
المجموع	30	27	172	104	77	278	73	159	1020	100

من الجدول السابق نجد أن المؤشر الذي كان أكثر تكرارا هو تقبل قيم المجتمع الأساسية بمجموع تكرارات يعادل 187 تكرار وهو ما تقدر نسبته بـ18.7%، واحتل المرتبة الثانية مؤشر المشاركة مع الآخرين بنسبة مقاربة جدا تعادل 18.3%، ويليه في المرتبة الثالثة مؤشر حماية البيئة بنسبة15.6% ثم يأتي في المرتبة الرابعة مؤشر حب الوطن بنسبة 14.3، ويأتي بعده الحفاظ على الصحة بنسبة تكاد تكون نفسها مقدرة بـ 14.1، ثم يحتل المرتبة الخامسة القيم الدينية بنسبة 9.9%، ثم مؤشر الحق في الترفيه بنسبة 6%، أما بقية المؤشرات فكانت على التوالي

الهوية، الحق في التعليم المشاركة في الشؤون المدنية ، والمشاركة في الشؤون السياسية بنسب تقل عن 2.3%.

من خلال هذه النتائج نقول بان المؤشر الذي كان أكثر تشبعا وهو تقبل قيم المجتمع الأساسية مما يدل في ظاهره على إهتمام هذه المقررات بتلقين الطفل منذ بداية مشواره المدرسي قيم مجتمعه الأساسية وتربيه على احترامها والمحافظة عليها ولا يخفى عن أحد ما لهذا المؤشر من أهمية في ترسيخ ثوابت المجتمع وتعميق بعد من أبعاد المواطنة في نفوس الأجيال ، إلى جانب التنوع الثقافي في الجزائر وتعدد الطبوع والعادات والتقاليد، لكن المشكلة المطروحة هنا تتجسد في نقطتين أساسيتين هما:

الأولى: كثرة تكرار نفس وحدة التحليل حيث أن العبارة الواحدة أو الصورة الواحدة تتكرر أكثر من مرة في نفس الوثيقة وقد يتعدى تكرارها أربعة أو ست مرات بين الوثائق المختلفة، فعدد التكرارات هنا لا يعكس عدد المدلولات على المؤشر وإنما هو عدد تكرار نفس المدلول.

الثانية: بنظرة متفحصة لوحدات التحليل التي رصدت له المؤشر نجد أنها ركزت في مجملها على التراث المادي فقط، أي على آثار ومخلفات القدامى من لباس وطعام وأواني وحلي وأدوات الزينة، إلا في ما ندر حيث عرجت هذه المقررات الدراسية على شيء من القيم المعنوية، وبالتحديد في موقعين، "التويزة" و "التاجماعث"، وربما يبدو واضحا للعيان ما لهذين المصطلحين من مدلول أبعد من كونهما عادات يتميز بها المجتمع الجزائري.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا : هل أن مقومات المجتمع الجزائري هي فقط بعض الملابس وبعض الحلي للنساء وبعض الآلات الموسيقية وأنواع من الرقصات؟؟، هل إقتصر إرث المجتمع الجزائري من حضاراته المتعاقبة عبر التاريخ على بعض أنواع اللباس والأكل والأفرشة؟؟ هل أن تاريخ تلمسان العريق المرصع بالعلوم والحروب لم يترك لنا إلا "الشدة التلمسانية"؟ ألم يبقى من القصبة ومساجد العاصمة وقصورها وسلاطينها إلا البدرون العاصمي؟.

بينما قيم المجتمع الجزائري تتعدى ذلك وبكثير الإباء والشجاعة والحياء والتعاون واحترام الكبير والحياة الجماعية، ويأتي في المرتبة الثانية مؤشر المشاركة مع الآخر الذي يضم التعاون والحوار ومساعدة الضعيف والمحتاج وذوي الاحتياجات الخاصة، وهو يستحق هذه النسبة نظرا لأهمية تربية الطفل على مثل هذه المعطيات، وهنا نقول أن المقررات الدراسية محل الدراسة وفقت في تجسيد هذا المؤشر.

وفي المرتبة الثالثة جاء مؤشر حماية البيئة، وهو مؤشر جد مهم والتركيز عليه يعد نقطة إيجابية وخطوة موفقة للمقررات محل الدراسة، وتجدر الإشارة إلى أن وحدات التحليل قد تنوعت بين التنظيف وغرس الأشجار وتحمل مسؤولية المهملات الشخصية والاهتمام بالترتيب في البيت والمدرسة.

في المرتبة الموالية حب الوطن وهو المؤشر الذي يفترض به أن يعمل على تنمية الجانب العاطفي الشعوري بالإحساس بالانتماء للوطن والاعتزاز والافتخار به لذلك تبدو النسبة النى مثلته ضعيفة شيئا ما كان على المقررات الدراسية محل الدراسة أن تعنى أكثر بهذا المؤشر خاصة في ظل ضآلة نسبة مؤشر الهوية التي كانت شبه مهملة ، فهذان المؤشران شديدا الصلة ببعضهما البعض يشكلان معا معنى الوطنية، أي التعرف على الهوية والاعتزاز بالوطن كانت المقررات محل الدراسة أقوى في ترسيخ بعد مهم من أبعاد المواطنة لو وسعت في تمثيل هذين المؤشرين أكثر.

يلي حب الوطن مؤشر الحفاظ على الصحة ونسبة تمثيله معتبرة مرضية إلى حد ما تعددت المؤشرات الدالة عليه من الاهتمام بالإضافة إلى الاهتمام بالأكل وأماكنه وأنواعه.

المؤشر الموالي هو القيم الدينية، صحيح أن نسبة تواجدها ضعيفة إلا أنها ليست كذلك إذا احتسبنا أن للتربية الإسلامية مقرر خاص بها بالموازاة مع هذه المقررات من جهة، ومن جهة أخرى فإننا أثناء التحليل إعتبرنا قيمة دينية ما إتصل بالعقيدة والفكر، أما ما كان من باب المعاملات فأثرنا تصنيفه ليخدم مؤشرات المواطنة من حيث كونها قيما إنسانية وكمثال على ذلك التكافل الحوار مساعدة الجار الصدقة.

يلي ذلك مؤشر الحق في الترفيه ، وكانت نسبة تمثيله جد ضعيفة وغير واضحة حيث تحتاج المقررات محل الدراسة إلى الاهتمام أكثر بهذا المؤشر من حيث توضيح حق الفرد عموما والطفل خصوصا في الترفيه من جهة، وأبجديات استخدام هذا الحق من جهة أخرى.

أما بقية المؤشرات وهي الحق في التعليم المشاركة في الشؤون المدنية ، والمشاركة في الشؤون السياسية فكانت شبه مغيبة ولا بد للمقررات محل الدراسة من إعادة النظر في هذه المؤشرات حيث أن الحق في التعليم لابد أن يفهمه الطفل حتى يستطيع تقدير مسؤوليته مقابل هذا الحق، أما المشاركة في الشؤون المدنية صحيح أنها في المستويين الأولين يمكن اعتبارها نوع من التعاون، ولكن لا بد أن تتوضح في ما بعد خاصة في إطار ما يسمى بالشراكة المجتمعية والتي يقصد بها تعاون الفرد مع القنوات الأمنية حتى يدرك الطفل مسؤوليته في الأمن العام مما يمكنه أولا من التفكير في حماية نفسه، وثانيا تشكيل مستوى جيد من الأمن الفكري لديه مما يحميه من ميولات التطرف أو الانحراف، وثالثا اكتساب درجة من الأمن النفسي نظرا لمستوى الثقة الذي يشكله من اطلاعه على مهام رجال الأمن ومعرفته بضرورة مساعدة المواطن لهم.

والمؤشر الأخير المشاركة في الشؤون السياسية لا بد أن يطلع الطفل ولو بطرق بسيطة وأدوات عادية على مجريات الحياة السياسية في ظل نظام الحكم الجمهوري الديمقراطي وفي ظل التعددية الحزبية، لابد على المناهج الدراسية أن تلقن النشء تلك المبادئ والأسس للحياة السياسية حتى لا يترك الطفل ليكون تصورات مشوهة أو سلبية وربما تحمل مشاعر العداء للممارسات الديمقراطية من كافة المصادر التي يصادفها.

الإجابة عن التساؤل الثاني:

هل تضمنت مقررات التربية المدنية والقراءة والمحفوظات لمناهج الجيل الثاني مؤشرات للتغريب؟

مثلت المواطنة بالمؤشرات المذكورة ونعتبر مؤشرا للتغريب كل ما خالفها أو عمل عكسها، وأهم المؤشرات التي أفرزها التحليل كانت في شكلين مؤشرات سلوكية، ومؤشرات لغوية.

مقررات السنة الأولى ابتدائي:

مؤشرات التغريب السلوكية:

الجدول رقم (7) يوضح مؤشرات التغريب السلوكية في كتاب اللغة العربية والتربية المدنية للسنة الأولى ابتدائي.

الرقم	مؤشر التغريب	الصفحة
1	لباس المرأة لا يطابق القيم الدينية	49
2	لباس الممرضة لا يطابق القيم الدينية	63
3	لباس الممرضة لا يطابق القيم الدينية	93
4	لباس الممرضة لا يطابق القيم الدينية	03 1

مؤشرات التغريب اللغوية: بما أن اللغة هي إحدى مؤشرات الهوية الأساسية، فإن سلامة اللغة يدعم المواطنة، مما يجيز لنا اعتبار الأخطاء اللغوية مؤشرا للتغريب، وتجدر الإشارة إلى أننا اعتمدنا كل من "لسان العرب" لابن منظور و "القاموس المحيط" للفيروز أبادي في ضبط المعاني اللغوية، ومن الأخطاء التي وردت في كتاب اللغة العربية للسنة الأولى من التعليم الابتدائي:

الجدول رقم (8) يوضح مؤشرات التغريب اللغوية في كتاب اللغة العربية والتربية المدنية للسنة الأولى ابتدائي.

الرقم	الخطأ	نوعه	التصحيح	الصفحة
1	سلاطة	إملائي	سلطة	97

مقررات السنة الثانية ابتدائي:

مؤشرات التغريب السلوكية:

الجدول رقم (9) يوضح مؤشرات التغريب السلوكية في كتاب اللغة العربية والتربية المدنية للسنة الثانية ابتدائي.

الرقم	مؤشر التغريب	الصفحة
1	لباس المرأة لا يطابق القيم الدينية	/118/85/83/65/63/23/21 170/126
3	نوع اللباس	32
4	عدم قيام ساعي البريد بعمله حين ترك الرسالة عند غير صاحبها	47

مؤشرات التغريب اللغوية:

الجدول رقم (10) يوضح مؤشرات التغريب اللغوية في كتاب اللغة العربية والتربية المدنية للسنة الثانية ابتدائي.

الرقم	الخطأ	نوعه	التصحيح	الصفحة
1	آ ، الفاتورة غالية !	تعبيري	آه ، الفاتورة غالية !	101

إضافة إلى بعض الكلمات التي كان تشكيلها غير صحيح.

مقررات السنة الثالثة ابتدائي:

مؤشرات التغريب السلوكية في كتاب اللغة العربية:

الجدول رقم (11) يوضح مؤشرات التغريب السلوكية في كتاب اللغة العربية للسنة الثالثة ابتدائي.

الرقم	مؤشر التغريب	الصفحة
1	لباس المعلمة لا يطابق القيم الدينية	43/13/9
2	" ملاكي " يحمل مخالفة عقائدية	13
4	تصرف المرأة بطلت القصة مع المتسول دون استئذان أو انتظار الزوج	35
6	لباس البيطرية لا يطابق القيم الدينية	43
7	اخذ و استعمال أغراض البيت دون استئذان وتشجيعه على ذلك	52
8	لباس الأم لا يطابق القيم الدينية	119/56
9	لباس المضيفة والمسافرة لا يطابق القيم الدينية	115

مؤشرات التغريب اللغوية في كتاب اللغة العربية:

الجدول رقم (12) يوضح مؤشرات التغريب السلوكية في كتاب اللغة العربية للسنة الثالثة ابتدائي.

الرقم	الخطا	نوعه	التصحيح	الصفحة
1	نبراس = قدوتي ومثالي	تعبيري	نبراس = المصباح والسراج	21
2	على عرجه التي	صرفي	على عرجه الذي	22
3	يهللون = يقولون الله اكبر	تعبيري	يهللون=يقولون لا اله إلا الله	28
4	بشراك وهناك يوم ختانك	تعبيري	بشراك فهذا يوم ختانك	31
5	البهو = قاعة الاستقبال	تعبيري	البهو مكان متسع يتقدم البيت عادة وقد يكون داخله	32
6	والتأم الشمل	تعبيري	التم الشمل	33
7	لا يحتسب = لا يعلم	تعبيري	لا يقدره ولا يضنه	36
8	وهبه = رزقه	تعبيري	منحه وأعطاه	36
9	تاريخ عيد الأم	معرفي		41
10	في مئزره الكبير	*	في كيس يعلقه على كتفه	44
11	الفتك = الإبادة والمبالغة في الاصطياد	تعبيري	المباغتة والهجوم فجأة على حين غفلة	70
12	لذغة = لسعة مؤذية تسببها	إملائي	لدغة = لسعة مؤذية تسببها الحشرات	83

	الحشرات			
13	صار جسم نزيم مجتاحا بالحبيبات الحمراء	تعبيري	اجتاحت جسم نزيم الحبيبات الحمراء	84
14	حمية = الإقلال من الطعام الذي يضر	تعبيري	حمية = تنظيم الغذاء بما يناسب صحة الإنسان	87
15	وأنا بإذن الله تعالى من الأمراض	تعبيري	وأنا أقيكم بإذن الله تعالى من الأمراض	92
16	عبقريا=مبدعا	تعبيري	عبقريا = شديد الذكاء	96
17	يا سامعين الصوت	نحوي	يا سامعي الصوت	102
18	يفرز الدقيق	تعبيري	يغربل الدقيق	103
19	الوييكام		آلة الاتصال المصور	112
20	التقى ذات يوم عجوزا وفي طريقه إلى المنزل فسألها عن حاجتها	تعبيري	التقى ذات يوم عجوزا في طريقه إلى المنزل فسألها عن حاجتها	137

*عدم تناسق التعبير مع المشهد المصور.

مؤشرات التغريب السلوكية في كتاب التربية المدنية:

الجدول رقم (13) يوضح مؤشرات التغريب السلوكية في كتاب التربية للسنة الثالثة ابتدائي.

الرقم	مؤشر التغريب	الصفحة
1	المساجد كطابع ثقافي و الحناء	19
2	الزواج بالطريقة الغربية	13
3	يشتري أبي الخبز بكميات كبيرة	16
4	تعد أمي طعاما متنوعا لإرضاء جميع أفراد الأسرة	16
5	تنظيم البلدية لسباق بين تلاميذ المتوسط والابتدائي	28
6	لا يجب أن	39

بالنسبة للمؤشر الأول جاء في نشاط يطلب من التلميذ الربط بين الطابع الثقافي وبعض ما يخصه من أشياء، وكان من بينها المساجد ومن بين الطبوع الطابع الإسلامي ، على أساس أن المسجد خاص بالطابع الثقافي الإسلامي، لكن هذا ما يجعل من المفهوم العام للنشاط يفرق بين الطابع الإسلامي وبقية الطبوع الوهراني والقسنطيني، والأصح أن الطابع الإسلامي مشترك بين الجميع والمساجد أيضا، فكان من الأصح حذف عبارتي المساجد والطابع الإسلامي من النشاط، بالإضافة إلى الحناء التي لا تعكس التقاليد الجزائرية بل تنتمي للطابع المعروف في الهند وبعض شعوب شرق آسيا.

المؤشر الثاني جاء في نشاط آخر يطلب من التلميذ التفرقة بين العادات الأصيلة والعادات المحرفة، وعرض في جملة العادات "الزواج على الطريقة الغربية"، الحقيقة أن هذه العادة غير واضحة ما المقصود بالطريقة الغربية؟ إن كان من حيث مظاهر الزواج، فان عرض الدرس الخاص بـ " زفاف أختي" في كتاب القراءة للسنة الثانية ابتدائي كان على الطريقة الغربية التي أستدخلت وأصبحت طريقة معتادة في أغلب المدن الجزائرية، وفي هذا تناقض صارخ.

أما المؤشر الثالث فكلمة كبيرة هي كلمة نسبية لا بد لها من معيار والهدف من النشاط هو عدم التبذير أي أن العبارة لا بد أن تعني "يشتري أبي الخبز بكميات تزيد عن حاجتنا".

وكذلك الأمر بالنسبة للمؤشر الرابع حيث أن التنوع قد يكون ضرورة مقارنة بحجم العائلة الهدف أن لا يبقى طعام ليرمى سواء من نفس النوع أو من أنواع عدة.

أما المؤشر الخامس فجاء في نشاط كلف فيه التلميذ بالتعبير عن شعوره بعد قيام البلدية بتنظيم سباق يقطع فيه تلاميذ الابتدائي والمتوسط نفس المسافة، ومهما كان حكم التلميذ وتعبيره فإن

الإحساس بالظلم وعدم الاكتراث من طرف الهيئة الإدارية والمدنية التي تمثل في نظره الدولة أثر غير جيد.

بالنسبة للمؤشر السادس جاء في نشاط يقدم فيه للتلميذ مجموعة من السلوكات المطلوبة ومجموعة من السلوكات السيئة التي يجب أن يتجنبها ويطلب منه إضافة " يجب أن " أو " لا يجب أن " أمام كل جملة ، والحقيقة أن العبارة " لا يجب أن " ليست دقيقة فهي تترك السلوك في دائرة المنبوذ أو المكروه فقط بينما تعويضها بالعبارة " يجب أن لا " تفيد المنع والكف عن ذلك السلوك من باب الوجوب والإلزام، كمثال أحد العبارات الواردة في النشاط (أسخر من زملائي أو أقاطعهم) فالفرق واضح بين (لا يجب أن أسخر من زملائي أو أقاطعهم) و (يجب أن لا أسخر من زملائي أو أقاطعهم)، فالأولى السخرية لا تجب ولكنها ممكنة والثانية تمنعها تماما.

مؤشرات التغريب اللغوية في كتاب التربية المدنية:

الجدول رقم (14) يوضح مؤشرات التغريب اللغوية في كتاب اللغة التربية المدنية للسنة الثالثة ابتدائي.

الرقم	الخطأ	نوعه	التصحيح	الصفحة
1	الطابع الترقي	إملائي	الطابع الطارقي	19
2	ثم أضع صحيح أو خطا عما يدل على أهمية	تعبيري	ثم أضع صحيح أو خطا أمام ما يدل على أهمية	28

إضافة إلى بعض الأخطاء في تشكيل بعض الكلمات.

مقررات السنة الرابعة:

مؤشرات التغريب السلوكية في كتاب اللغة العربية:

الجدول رقم (15) يوضح مؤشرات التغريب السلوكية في كتاب اللغة العربية للسنة الرابعة ابتدائي.

الرقم	مؤشر التغريب	الصفحة
1	في داخله عزة نفس مع انه من المعدمين	14
2	سميرة: (من النافذة إلى الأعلى)....	35
3	تغريم الجارة ثمن إصلاح البيت وإجبارها على إحضار عامل لهذا الغرض	35

المؤشر الأول ورد في نص يتحدث عن طفل يعمل ماسحا لزجاج السيارات ، مع أن الهدف الظاهر من هذه العبارة هو أن هذا الصغير لديه عزة نفس رغم فقره وحاجته لكنها تحمل ضمنيا أن الفقراء ليست لديهم عزة نفس بالضرورة، وكأنها تترك في ذهن القارئ أو المستمع أن عزة النفس لدى محروم شيء غريب.

المؤشر رقم (2) سلوك سلكته الجارة مع جارتها صرخت عليها من نافذة بيتها الذي يقع أسفل بيت الجارة ، وهو سلوك غير لائق.

المؤشر الثالث في ذات النص يجبر الجار منير والجارة سميرة جارتهم سعاد على إحضار عامل صباغة لإصلاح الأضرار التي حلت بالحائط ودفع نفقاته، وفي هذا التصرف ضرب للتعاون والتسامح والحوار.

مؤشرات التغريب اللغوية في كتاب اللغة العربية :

الجدول رقم (16) يوضح مؤشرات التغريب اللغوية في كتاب اللغة العربية للسنة الرابعة ابتدائي.

الرقم	الخطأ	نوعه	التصحيح	الصفحة
1	فوطة	تعبيري	المنشفة (الفوطة هي نوع من لباس العرب)	14
2	زمرة المتطفلين = جماعة ممن يفرضون خدماتهم على الغير	تعبيري	جماعة ممن يفرضون أنفسهم على الآخرين فيأكلون من أكلهم أو يأخذون من أغراضهم دون استئذان أو دعوة	15
3	المطلوع	تعبيري	خبز الدار	22
4	مدينة مونريال	مطبعي	مدينة " مونتريال " (Montréal)	44
5	تنضح الثمار	مطبعي	تنضج الثمار	44
6	أين نسماتنا بعبير الورد والنرجس ؟	تعبيري	أين نسماتنا التي تفوح بعبير الورد والنرجس؟	44
7	" نانا "	تعبيري	الجدة	52
8	هل سبق وأن رأيت هذه الطاقات أو سمعت عنها؟	تعبيري	هل سبق وأن رأيت هذه الأجهزة أو سمعت عن هذه الطاقات ؟	68
9	أحسن الزيوت ما يكون عصرها باردا	تعبيري	أحسن الزيوت هي تلك التي يتم عصرها وزيتونها باردا	82
10	غسل الصوف وتجفيفها وتمشيطها ...	صرفي	غسل الصوف وتجفيفه وتمشيطه ...	96
11	" حطة " و " رفدة "	تعبيري	وضع و رفع	96
12	ارتباط التعبير بالمشهد		//	107
13	إعصارات	صرفي	أعاصير	116
14	أنا استعمل الممحاة التي تعلو رأس القلم	تعبيري	أنا استعمل الممحاة التي في نهاية القلم ، أو الملتصقة بالقلم	120
15	نص " التاجماعث "		//	27
16	نص " القاص الطارقي		//	103

من الملاحظ أن المؤشرات (11/7/3/1) هي مصطلحات وردت باللهجة العامية وليست باللغة العربية الفصحى وبما أن هذا المقرر للغة العربية كان عليها أن تصحح أو أن ترد بصيغة التوكيد أي أن تذكر بين شالتين أو قوسين فتكون لتقريب ولدعم المدلول ولا تلغي الدال، وما يزيد في التأكيد على هذه الملاحظة هو الطريقة التي ورد بها المؤشر رقم (11) " حطة " و " رفدة " حيث ورد في متن النص بهذه الصيغة ثم جاء في شرح المفردات (رصيدي الجديد) بالصيغة الأصح ومن الصواب أن يكون العكس.

أما المؤشر رقم (12) فيتعلق بنشاط طلب من التلميذ فيه ترتيب المشاهد حسب قصة مكتوب، في القصة شخصية قط يسلم لشخصية فار خياط قطعة قماش، في المشهد فار كبير يسلم فار صغير قطعة قماش.

المؤشران (15) و (16)، فهما نصان تراوح التعبير فيهما بين العربية والأمازيغية، ثم تم إدراج شرح للكلمات الامازيغية في " رصيدي الجديد" وكأنهما من أصل لغة واحد، والأصل أن هذه ترجمة وليست شرح لذلك كان الأجدر أن ينتقى النص بلغة المقرر؛ وكان من الممكن استحداث فقرة لتعليم اللغة الأمازيغية عقب النصوص، أما أن تتداخل الألفاظ من أكثر من لغة في ذات النص فهذا يفقد النص بنيته وقوته.

أما كتاب التربية المدنية للسنة الرابعة ابتدائي فلم نسجل فيه مؤشرات تذكر للتغريب.

إضافة إلى ما ذكر تجدر الإشارة إلى أن مستوى النصوص من الناحية الأدبية ليس قوية كفاية ، فالنصوص النثرية كثيرا ما تبدو كأنها مقطع غير متكامل الأقسام ويفتقر إلى العمق، والنصوص الشعرية اغلبها يفتقد إلى الوزن والقافية.

الجدول رقم (17) يوضح : تكرارات مؤشرات الاغتراب السلوكية واللغوية لمقررات القراءة والتربية المدنية لمناهج الجيل الثاني.

المؤشرات / المستويات	مؤشرات التغريب السلوكية	مؤشرات التغريب اللغوية
الأولى ابتدائي	4	1
الثانية ابتدائي	11	1
الثالثة ابتدائي	16	23
الرابعة ابتدائي	3	16
المجموع	34	41

وخلاصة القول أن مؤشرات التغريب المرصودة وان كانت ليست بنسب مرتفعة إلا أن وجودها أصلا ينم عن ضعف في هذه الوثائق التربوية، نظرا لما تتركه من اثر سلبي على المتعلم من اهتزاز الثقة فيها،إضافة إلى أن ضعفها النصوص من الناحية الأدبية يعد تدريبا غير كافي على القراءة والإنتاج الأدبي.

خلاصة: وخلاصة العمل أن مناهج الجيل الثاني التي تبنتها وزارة التربية والتعليم الجزائرية منذ الموسم الدراسي 2017/2016م قد ركزت على بعض مؤشرات المواطنة وإعترى الضعف بعضها، كما ظهرت فيها نسب معتبرة لمؤشرات التغريب لذلك نخلص للتوصيات التالية:

-مراجعة هذه المناهج وتقوية مؤشرات المواطنة التي ظهر عليها الضعف.

-العمل على إستدخال المؤشرات المغيبة.

العمل على تصحيح الأخطاء اللغوية.

العمل على توطين مؤشرات التغريب السلوكية التي ظهرت في هذه المناهج.

قائمة المراجع:

1. .ابن منظور، جمال الدين(1997)، لسان العرب، ط6، دار صادر، بيروت.
2. انجرس، موريس(2004)، منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية، ترجمة بوزيد صحراوي وآخرون، دار القصبة، الجزائر.
3. جدي، مليكة(2017)، المنظومة التربوية في الجزائر من المقاربة بالأهداف إلى المقاربة بالكفاءات إلى الكفاءات الشاملة، مجلة آفاق للعلوم، ع7، جامعة الجلفة، الجزائر.
4. حسونة، نسرين، تحليل المضمون مفهومه، محدداته، استخداماته WWW.alukah.net 2014/5/1.
5. جنكو، علاء الدين عبد الرزاق(2014)، المواطنة بين السياسة الشرعية وتحديات المعاصرة، مداخلة مقدمة في مؤتمر النظام السياسي في الفكر الإسلامي تحديات وآفاق، المعهد العالي للفكر الإسلامي 10 جوان 2014، هرندن، فرجينيا، واشنطن.
6. شنابر،دومينيك وباشولييه، كريستيان(2016)، ما المواطنة، ترجمة سونيا محمود نجا، ط1. الهيئة العامة للمطابع الأميرية، القاهرة، مصر.
7. فالوقي، محمد هاشم(1997)، بناء المناهج التربوية، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، مصر.
8. الفيروزابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب(2005)، القاموس المحيط، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
9. هويدي، عبد الباسط وحوامدي، الساسي(2016)، المناهج التربوية ودورها في تنمية قيم المواطنة، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، ع15، الجزائر، جامعة الوادي.

قضية الزمن وإشكالاتـها في الثقافة العربية الإسلامية

The issue of time and its problems in the Arab-Islamic culture

أ. سحنين علي، جامعة معسكر- الجزائر.

ملخص: تعد قضية الزمن من القضايا الإشكالية والمعقدة التي أرقت التفكير البشري قديما وحديثا، وشغلت حيزا كبيرا ضمن اهتماماته، حيث طرحت بشأنها العديد من الإشكالات والتساؤلات، ولا سيما في ميدان الفلسفة التي رصدت العديد من التصورات والتفسيرات لهذه الظاهرة العصية والشائكة، ولئن كانت الفلسفة الغربية تمثل أولى ميادين الاهتمام بهذه القضية؛ فإن الثقافة العربية الإسلامية لم تكن بمنأى عن ذلك، فقد قدّمت هي الأخرى تفسيرات وتحديدات لهذه الظّاهرة مثلتها اجتهادات بعض علماء اللغة والفلاسفة والمتصوفة والمتكلمة والفقهاء المسلمين.

الكلمات المفتاحية: الزمن، قضية الزمن، ظاهرة الزمن، الفكر العربي الإسلامي

Abstract: The issue of time is problematic and complex, that have held human thinking in the past and the present, and occupied a large part of his interests, and raised many questions, especially in the field of philosophy, Which monitored many of the conceptions and interpretations for this difficult and complex phenomenon. And if it western philosophy is first field of interest With this issue, The Arab-Islamic culture, Also presented explanations and limitations to this phenomenon, through diligence Some Language Scholars, philosophers, Sufism, speakers and Muslim jurists**.**

key words: Time, The issue of time, Time phenomenon, Arab Islamic Thought.

مقدمة:

لم تكن الثّقافة العربيّة الإسلاميّة بمنأى عن اجتهادات ومحاولات الفكر الفلسفي الغربيّ في مساءلتها لقضيّة الزّمن، إذ قدّمت هي الأخرى تفسيرات وتحديدات لهذه الظّاهرة، إنطلاقا من خلفيّات فكريّة ومعرفيّة مختلفة وتصوّرات فلسفيّة دينيّة وعقائديّة مغايرة أفرزت رؤى مستقلّة للزّمن تبلورت في آراء بعض الفلاسفة وفي اجتهادات بعض علماء اللّغة والمتصوّفة والمتكلّمة والفقهاء وغيرهم من العلماء المسلمين، من هذا المنطلق تحاول هذه الدراسة الوقوف على أبرز التساؤلات المطروحة بخصوص موضوع الزمن، ومعاينة أهم التصورات والتفسيرات التي رصدتها الثقافة العربية في مساءلتها لقضية الزمن، ولإشكالاتها المطروحة بشدة في ميادين التفكير البشري والحياة الإنسانية. فما الزمن؟ وما إشكالاته في الفكر العربي الإسلامي؟ وإلى أي مدى أسهمت الثقافة العربية الإسلامية في الكشف عن هذا المفهوم الزئبقي، وفي الإجابة عن التساؤلات والإشكالات التي أثارتها هذه القضية الشائكة والمعقدة في مختلف مجالات الحياة الإنسانية؟.

إنّ أهمّ لحظات الاهتمام بالزّمن والوعي بأبعاده العميقة في الفكر العربيّ الإسلاميّ تحدّدت مع المفكّرين والفلاسفة والمتكلّمة والمتصوّفة والفقهاء المسلمين أمثال "الكندي" و"الفارابي" و"ابن سينا" و"ابن رشد" و"أبي حامد الغزالي" و"ابن تيمية" و"ابن خلدون" و"ابن عربي"...وغيرهم. فالمتأمّل في بعض الأبحاث والدّراسات العربيّة يجد إشارات قويّة وواضحة لكثير من هذه الاهتمامات في الثّقافة العربيّة، ولعلّ الورقة البحثيّة التي قدّمها النّاقد والمفكّر "محمود أمين العالم" (1922/2009م) في كتابه "مفاهيم وقضايا إشكالية" والمعنونة بـ: مفهوم الزّمن في الفكر العربيّ الإسلاميّ قديما وحديثا، تنهض دليلا كافيا في هذا الاتجاه، وفي إثبات تفرّد الفكر العربيّ الإسلاميّ برؤيته للزّمن، وفي دحضها أيضا لآراء بعض المستشرقين ومن بينهم: "لويس ماسينيون"Louis Massignon و"لويس جارديه" Louis Gardi التي ترى بأنّ اجتهادات المفكّرين العرب والمسلمين لا تعدو أن تكون مجرّد صدى للفكر الفلسفيّ اليونانيّ، وتأثرا بأفكار "أفلاطون" و"أرسطو"، لكنّ "أمين العالم" يرى أنّ "هذا التأثر لم يكن مجرد أمر خارجي مفروض، بل كان تعبيرا عن حاجات وملابسات داخلية اقتضت هذا التأثر وفرضته، وثانيهما أنه لم يكن تأثرا سلبيا، بل كان تفاعلا أدى إلى إضافات وإبداعات جادة في كثير من الأحيان نتيجة لطبيعة الهياكل التاريخية والاجتماعية التي ظهرت في إطارها الفكر الهلليني" اليوناني القديم(محمود أمين العالم، 1989، ص479-480).

وممّا توصّل إليه "محمود أمين العالم" من خلال متابعته لهذه الاجتهادات، هو تحديده لمجموعة من المفاهيم الأساسية التي وضعها الفكر العربيّ الإسلاميّ للزّمن*(وضع عبد الملك مرتاض خمسة أنواع للزمن هي: الزمن المتواصل والزمن المتعاقب، والزمن المنقطع أو المتشظي، والزمن الغائب، والزمن الذاتي(عبد الملك مرتاض، 2005، ص265-268)، وهي كالآتي(محمود أمين العالم، 1989، ص480-483):

1.المفهوم الموضوعي:

تندرج ضمنه إجتهادات الفلاسفة والمفكّرين المتأثّرين بآراء "أفلاطون" و"أرسطو" مع بعض الاختلاف معهما، فمنهم من يقول بالحركة الدّائريّة للزّمن انطلاقا من "أرسطو" مثل "الكندي"(ت 260 هـ) الذي يثبت بأنّ الزّمان هو مقياس عدديّ للحركة وليس هو الحركة ذاتها، مفندا رأي "أفلاطون" في ذلك، فهو يرى "أن الزمان ليس هو الحركة ذاتها، وأنه قد كذب الذين قالوا إن الزمان هو الحركة ذاتها، وأيضا قد اتضح أن السرعة والبطء الكائنين في الحركة لا يُعلمان إلا بالزمان، وذلك لأننا نسمي البطء أو البطيء ما يتحرك في زمان طويل، والسريع أو

السرعة ما يتحرك في زمان قصير"(أبو يوسف يعقوب الكندي، 1953، ص32)، لذلك استبعد "الكندي" أن يكون الزّمان هو الحركة نفسها.

سار على نحوه "الفارابي" (257-339هـ) الذي يؤكّد "أن الزمان إنما هو عدد حركة الفلك وعنه تحدث، وما يحدث عن الشيء لا يشتمل ذلك الشيء"(أبو نصر محمد الفارابي، 1960، ص108)، لكنّه على الرّغم من إثباته أنّ الوجود أحدثه الله تعالى دفعة واحدة؛ فإنّه يثبت أيضا أزليّة الزّمان وأبديّته، بمعنى أنّ هناك تلازما بين الوجود وموجده في الزّمن ولا ينبغي أن يتأخّر الوجود زمنيا عن وجود موجده؛ لأنّ المعلول ملازم في وجوده لعلّته. ويكون "الفارابي" قد رأى هذا الرأي في سياق مناقشته لإشكالية العلاقة بين الماهية والوجود، التي كان هو أوّل الفلاسفة الذين حاولوا التّصدي لها، وفضوا النّزاع القائم حولها منذ القديم(حميدي بوجلطية خيرة، 2013، ص40)، أمّا حقيقة وجود الخالق وأسبقيّته في الوجود لا يراها هو إلاّ من قبيل المنزلة السّامية، وليس من جهة السّبق الزّمني، كما هو الشّأن بالنسبة لحركة الشّمس مع حركة الظّلّ وحركة اليد مع حركة الخاتم (محمد أبو الوليد ابن رشد، 1964، ص134)، وهو الرأي الذي أكّده "ابن سينا" (370-428هـ) في "الإشارات والتنبيهات"(أبو علي ابن سينا، 1983، ص36-38)، وابن رشد 520 -595هـ) في "تهافت التهافت"(محمد أبو الوليد ابن رشد، 1964، ص134، 135)، عند مناقشته لأفكار "أبي حامد الغزالي" (450-505هـ) الذي ينفي أزليّة الزّمن ويؤكّد فكرة حدوثه مع إحداث الخالق للوجود بإرادته بعدما لم يكن مريدا، نافيا حدوثه في ذاته؛ لأنّه ليس محلّ الحوادث؛ ولأنّ كون الزّمن حادثا ومخلوقا بخلق العالم والوجود اقتضى عدم وجود زمن قبله، ومعنى ذلك أنّ الله كان سابقا وموجودا وحده ثمّ شاء أن يوجد الوجود فأوجد معه الزّمن(أبو حامد الغزالي، 1980، ص90-102)، بعد أن لم يكن.

يعدّ "أبو جعفر الطّبريّ" (224-310هـ) أحد أبرز الأئمة المسلمين الذين تناولوا موضوع الزّمن وناقشوا فكرة حدوثه وخلقه؛ إذ بعدما عرّف الزّمن في تاريخه، ذهب إلى إثبات حدوثه وخلقه بأدلّة من القرآن الكريم. فالطّبريّ يعرّف الزّمان بأنّه اسم لساعات اللّيل والنّهار، وهو عنده يطلق أيضا على الطّويل من المدّة والقصير منها(أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، 1960، ص9)، وساعات اللّيل والنّهار-حسب رأيه- مقادير من جري الشّمس والقمر في الفَلك، مستدلاّ على ذلك بقوله تعالى: **{وَءايَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ (37) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (38) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (39) لاَ الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚوَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (40)} . يس/37-40.**

من منطلق هذا التّعريف يخلص الطّبريّ إلى أنّ الزّمان محدث واللّيل والنّهار محدثان، وأنّ محدث ذلك الله الذي تفرّد بإحداث جميع خلقه. وقد استدلّ كذلك بقوله عزّ وجل: **{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (33) } . الأنبياء/33.** ومن الأدلّة الأخرى التي ساقها لإثبات فكرة حدوث اللّيل والنّهار، أنّ أحدهما سابق عن الآخر، وأنّ كلّ يوم إلاّ ويقع بعد يوم كان قبله، وقبل يوم يكون بعده، وبذلك يكون معلوما أنّ ما لم يكن ثمّ كان محدث مخلوق وأنّ له خالقا ومحدثا (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، 1960، ص20-21)، أي إنّ الله تعالى قد أحدثهما وخلقهما مثل خلقه للكون أجمع. وهنا يتّضح جليّا منهج أهل السّنة والجماعة الذي سار عليه "الطّبريّ" وغيره من أئمّة هذا المنهج في إثبات فكرة حدوث الزّمان والعالم وخلقهما بعد أن لم يكونا.

تفرّد الإمام "ابن تيمية" (661-728هـ) في تفسير فكرة الحدوث من خلال ردّه على الفلاسفة والمتكلّمة في قولهم بقدم العالم وحدوثه وأنّه متقدّم على العالم بذاته وشرفه، مفنّدا هذه الأقاويل، ومؤكّدا أنّ "كل ما سوى الله مخلوق، حادث، كائن بعد أن لم يكن، وأن الله هو وحده القديم الأزلي

ليس معه شيء قديم تقدّمه"(أبو العباس تقي الدين أحمد ابن تيمية، 1991، ص125)، ويضيف قائلا: "ويمتنع أن يكون في الأزل قادر مختار يقارنه مراده، سواء سمي ذلك علة تامة أو لم يسم، وسواء سمي موجبا بالذات أو لم يسم. بل يمتنع أن يكون شيء من المفعولات المعينة العقلية مقارنا لفاعله الأزلي في الزمان، وامتناع هذا معلوم بصريح العقل عند جماهير العقلاء من الأولين والآخرين"(أبو العباس تقي الدين أحمد ابن تيمية، 1986، ص181)، وممّا عبّر عنه "ابن تيمية" أيضا في "مجموع الفتاوى" لمّا سئل عن كيفية السّماء والأرض، قوله: "والليل والنهار. وسائر أحوال الزمان تابعة للحركة، فإن الزمان مقدار الحركة، والحركة قائمة بالجسم المتحرك، فإذا كان الزمان التابع للحركة التابعة للجسم موصوفا بالاستدارة كان الجسم أولى بالاستدارة"(أبو العباس تقي الدين أحمد ابن تيمية، 2004، ص588)، وهذا ما يوضح أكثر قول "أبي حامد الغزالي" السّابق من أن لا زمن ولا مكان قبل خلق الكون بسبب ارتباط الزّمن بالحركة، وعليه لا يمكن تصوّر زمن بلا حركة، لأنّه لو تصوّر المرء أنّ حركة الكون قد توقّفت وسكنت لكان توقّف الزّمن أمرا حتميا.

2.المفهوم النّفسي:

يسمّيه "عبد الملك مرتاض" بالزّمن الذّاتي؛ لأنّ الذّاتي -في نظره- مناقض للموضوعيّ(عبد الملك مرتاض، 2005، ص267)، الخارجيّ وليس رفضا له، وهو زمن المتصوّفة الباطنيّ والعموديّ زمن الإشراقات والإلهامات النّفسيّة، وهذا النّوع من الزّمن ليس ظاهرة خاصة بالمتصوّفة فقط، وإنّما يمكن تلمّس آثاره في الشّعر العربيّ القديم أيضا، وممّا يقوم دليلا على ذلك البيت الشّعري الذي أورده "عبد الملك مرتاض" في التّمثيل لهذا النّوع من الزّمن في كتابه "في نظرية الرواية"، والذي يقول فيه صاحبه:(ينسب هذا البيت لمحمد بن سيرين، وقيل إنه قاله لما سئل هل ينشد الرجل الشعر وهو على وضوء؟، وقد ذكر ذلك أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، 1988، ص275).

نُبّئْتُ أنَّ فتاةً كُنْتُ أَخْطُبُهَا عُرْقُوبُهَا مِثْلَ شَهْرِ الصَّوْمِ في الطُّولِ.

فإذا كان شهر رمضان من النّاحية الزّمنيّة الموضوعيّة يعادل بقيّة الأشهر القمريّة؛ فإنّ مشقّة الصيّام فيه جعلت الشّاعر يعدّه أطول الشّهور وأثقلها مدّة زمنيّة، وهنا يبرز مدى تأثير الذّات في الحالة النّفسيّة الشّعوريّة للشّاعر وتحكّمها في تحويل العاديّ إلى غير عاديّ، والقصير إلى طويل (عبد الملك مرتاض، 2005، ص267)، والثّابت إلى متغيّر، ولحظات الفرح إلى حزن، واللّيل إلى نهار.

فالزّمن في الشّعر العربيّ زمن نفسيّ بالدّرجة الأولى؛ لأنّه تعبير عن لحظات زمنيّة وجدانيّة وتخيّلات وتوتّرات نفسيّة وتأمّلات في العالم والكون والحياة والموت؛ لذلك كانت مواقف الشّعراء من الزّمن تصدر عن الذّات وتحاورها مع مختلف مظاهر الوجود ومشاكله ومخاطره وأهواله في الحاضر والماضي والمستقبل، وهو ما أثبته الباحث "عبد الإله الصّائغ" في كتابه "الزّمن عند الشّعراء العرب قبل الإسلام"، مؤكّدا أنّ الزّمن في الشّعر العربيّ القديم "زمن نفسي تلونه الذات بألوانها، فإذا كان القلق والخوف من أبرز سمات الحياة في الجزيرة العربية، فإن الشاعر ينظر إلى الزمن من خلالهما، وحتى يمسك به، وهو المتسرب الجاري، فإنه يشخصه ليستطيع مكافحته أو تجنبه"(عبد الإله الصائغ، 1986، ص240)، والأبيات الشّعريّة الآتيّة تؤكّد ذلك بوضوح، وتدلّ على أنّ ظاهرة الزّمن قد استوقفت الشّاعر العربيّ قديما وشكّلت هاجسه الأوّل.

يقول عمر بن قميئة(عمر ابن قميئة، 1994، ص39):

وَأَفْنَى وَمَا أُفْنِي مِنَ الدَّهْرِ لَيْلَـةً ولم يُغْنِ مَا أَفْنَيْتُ سِلْكُ نِظَامِ
وَأَهلكَنِـي تأميـلُ يَــومٍ ولَيلــةٍ وتَأْميلُ عامٍ بَعْدَ ذلكَ وَعَـامِ

وقال زهير بن أبي سلمى(زهير ابن سلمى، 1988، ص110):

وَأَعْلَمُ مَا في اليَومِ والأَمْسِ قَبْلَـهُ ولكنّني عَنْ عِلْمِ مَا في غَدٍ عَمِ

وقال عبيد بن الأبرص(عبيد ابن الأبرص ، 1994، ص120):

لِمَنِ الدِّيَــارُ بِبُرْقَـــةِ الرَّوْحَـــانِ؟ دَرَسَتْ وغَيَّرَها صُرُوفُ زَمَانِ

وقال الأعشى ميمون بن قيس(الأعشى الكبير ميمون بن قيس، 2010، ص126-127):

لَعَمْـــرُكَ ما طُـــولُ هَذَا الزَّمَــــنْ عَلَى المَــــرْءِ إلاَّ عَنَـــاءُ مُـــعَـــنْ

وخَانَ النَّــــعِــيــمُ أبَـــا مــــالــكٍ وأيُّ امـــرئٍ لـــم يَخُـنْـهُ الزَّمنْ

وقال حاتم الطّائي(حاتم الطائي،1981، ص34):

هلِ الدَّهرُ إلاَّ اليومُ أو أمسِ أو غدُ كذاكَ الــزَّمـــانُ بَيْنَنَـــا يَــتَــرَدَّدُ

يَــرُدُّ عَـلَــيْـنَـــا لَيْـلَـــةً بَعْـدَ يَــوْمِـهَـــا فَلاَ نَحْنُ مَا نَبْقَى ولاَ الدَّهْرُ يَنْفَدُ

لَــنَــا أجـــلٌ إمّــا تَــنــاهى إمَــامُــهُ فَنَــحْــنُ عــلـــى آثَـــارِهِ نَـــتَـــورَّدُ

وقال أبو العلاء المعري(أبو العلاء المعري، 1994، ص83):

إذَا قِيلَ غَالَ الدَّهْرُ شَيْئًا فَإِنَّمَا يُرَادُ إِلَهُ الدَّهْرِ والدَّهْرُ خَادِمُ

وَأَيْسَرُ كَوْنٍ تَحْتَهُ كُلُّ عَالَمٍ وَلاَ تُدْرِكُ الأَكْوَانَ جُرْدٌ صَلاَدِمُ

إِذَا هِيَ مَرَّتْ لَمْ تَعُدْ وَوَرَاءَهَا نَظَائِرُ وَالأَوْقَاتُ مَاضٍ وَقَادِمُ

فَمَا آبَ مِنْهَا بَعْدَمَا غَابَ غَائِبُ وَلاَ يَعْدَمُ الحِينَ المُجَدَّدَ عَادِمُ

وقال آخر(أبو بكر محمد بن داود الأصبهاني، 1985، ص763):

أَخٌ بَــيْــنِـــي وبَــيْــنَ الــدَّهْـــرِ صَــاحِــبُ أيّــنَـــا غَـــلَـــبَـــا

صَديــقِـــي مَـــا استَقَـــام فَـــإنْ نَـــبَـــا دَهْـــرٌ عَـــلَـــيَّ نَـبَـــا

وَثِــبْــتُ عَـلَـى الــزَّمَـــانِ بِـــهِ فَــعَـــادَ بِهِ وَقَـــدْ وَثِبَـــا

وَلَـــوْ عَـــادَ الــزَّمـــانُ أَخَـــا لَــعَـــادَ بِــهِ أَخًا حَــدِبَـــا

ويروي صاحب "العقد الفريد" عن أبي جعفر الشّيباني أنّه قال: أتانا يوما "أبو ميّاس" الشّاعر ونحن في جماعة فقال: ما أنتم فيه وما تتذاكرون؟ قلنا: نذكر الزّمان وفساده. قال: كلاّ، إنّما الزّمان وعاء، وما ألقي فيه من خير أو شرّ كان على حاله. ثمّ أنشأ يقول(أحمد بن محمد ابن عبد ربه الأندلسي، 1983، ص188):

أَرَى حُلَلاً تُصَانُ علىَ أُنَاسٍ وَأَخْلاَقًا تُدَاسُ فَمَا تُصَانُ

يَقُولُونَ الزَّمَـــانُ بِهِ فَسَــــادٌ وَهُمْ فَسَدُوا وَمَا فَسَدَ الزَّمَانُ

يمكن -في هذا الاتّجاه- إدراج إشارات "أبي البركات البغداديّ" (ت 547هـ) في كتابه "المعتبر في الحكمة" وبالأخصّ في جزئه الثّالث الذي خصّص الفصل الثّامن منه لبحث ماهيّة الزّمان وكيفيّات إدراكه، فأشار إلى أنّ هناك تلازما بين الوجود في الزّمن، وبين الوجود في الذّات الإنسانيّة، مبيّنا أنّ ذلك يتجسّد من خلال التّلاحم الحاصل بين الزّمن وذات الإنسان على مستوى الذّهن والإدراك العقليّ، وأيضا على مستوى الشّعور والإحساس النّفسيّ، وبهذا غدت المعرفة بالزّمن لديه "ممّا لا يدرك بالحس إدراكا أوليا وللنفس به شعور تدركه إدراكا ذهنيا عقليا"(أبو البركات البغداي، 1358هـ، ص36)، فنظرة "البغداي" للزّمن تجعله متعلّقا بالذّهن وبالنّفس والاعتبار في ذلك -كما يرى- بالحركة كونه يتعلّق بها وتتعلّق به من جانب أنّه يتقدّ ربها وتتقدّر به فيقال اليوم للزّمن المقدّر بحركة الشّمس من وقت إشراقها إلى أن تشرق مرّة أخرى، ويقال مسافة يوم أو يومين لأيّ مسافة يتحرّك فيها المتحرّك في يوم أو يومين، وحينئذ تعرف مسافة الحركة بالزّمن تارة، ويعرف الزّمن تارة أخرى بمسافة الحركة، لكنّ هذه المدد الزّمنيّة على الرّغم من أنّ تقديرها يكون فرضيّا، إلاّ أنّ "البغداي" يؤكّد أنّها مدركة في الذّهن والوجود

معا(أبو البركات البغداي، 1358هـ، ص36-37)، أي إنّ لها تصوّرا في الذّهن وتقديرا فرضيّا في الوجود، وبهذا فالزّمن "تشعر به النفس بذاتها ومع ذاتها ووجودها قبل كل شيء تشعر به وتلحظه بذهنها ولوقيل إن الزمان مقدار الوجود لكان أولى من أن يقال إنه مقدار الحركة"(أبو البركات البغداي، 1358هـ، ص39)، وعلى هذا الأساس يكون "البغداديّ" قد أشار إلى بعدين أساسيين للزّمن هما: البعد النّفسيّ والبعد الإدراكيّ؛ أي إنّه يَعدّ الزّمن ظاهرة نفسيّة تتحدّد بواسطة الإدراك.

3.الزّمن الآنيّ المنفصل:

هذا النّوع من الزّمن قال به الأشاعرة وبعض المعتزلة ومنهم "أبو المعاليّ الجوينيّ" (419-478هـ) و"أبو الحسن الأشعريّ" (260-324) و"أبو بكر الباقلانيّ" (402-338هـ)، وحسب نظرهم يغدو كلّ شيء من أجسام وأنفس وأفكار يتكوّن من أجزاء غير متجزّئة، وبذلك يكون الزّمن نفسه يتكوّن من آنات منفصلة، ومن هذا المنطلق فهذه النّظريّة "تستهدف تفسير الخلق الإلهي [الذي] لا يتحقق فحسب -بحسب هذه النظرية- في لحظة الخلق الأولى التي أوجد بها الوجود، بل يتحقق في كل آن، وبالنسبة إلى كل شيء، ولهذا من الطبيعي أن يقول هؤلاء الأشاعرة بنفي السببية الموضوعية، ليكون الله هو السبب المباشر والقوة الوحيدة الفاعلة للاتصال بين الأشياء بما في ذلك الزمن"(محمود أمين العالم، 1989، ص484-485)، بوصفه عنصرا مؤثّرا في الحياة ومختلف مظاهر الوجود.

يدرج "أمين العالم" ضمن هذا المفهوم الزّمني كلاًّ من "الطّبري" (310-224هـ) في عنايته بتنظيم الحوادث التّاريخيّة والأخبار ورواياتها بإسناد متّصل، و"ابن خلدون" (784-808هـــــ)في اهتمامه بالحركة الدّوريّة للأشياء كسقوط الدّوّل متتابعة وتواصل العمران، غير أنّه يرى أنّ حركة الأشياء نابعة من داخلها أساسا، وإن كان مصدرها الأوّل إلهيا.

إضافة إلى هذه المفاهيم التي استنتجها "العالم" للزّمن من غيره في الفكر العربيّ الإسلاميّ القديم، تجده يلفت الانتباه إلى بعض الاجتهادات والمفاهيم في العصر الحديث كمفهوم الفكرة الدوريّة عند "مالك بن نبي" (1973-1905م)، وفلسفة الآن النّفسيّ المنفصل عند "عبد الرحمن بدوي" (2002-1917م)، وكذلك بعض المفاهيم الدّينيّة عند جماعة الإخوان المسلمين، والمصلحين مثل "محمّد عبده" (1905-1849م)، و"ابن باديس" (1940-1889م)، و"رشيد رضا" (1935-1865م) و"علاّل الفاسي" (1934-1910م)، وأيضا بعض المفاهيم في ميدان الفكر الاشتراكيّ والماديّ الجدليّ كاجتهادات "حسين مروّة" (1987-1910م)، و"طيب تيزيني"(1934م).

4. الزّمن في القرآن الكريم والحديث النبوي الشّريف:

تمّت الإشارة سابقا إلى أنّ "محمود أمين العالم" حاول في ردوده على المستشرقَين(لويس ماسينيون، ولويس جارديه) أن يثبت بشكل مؤكّد حضور مقولة الزّمن في الفكر الإسلاميّ الفلسفيّ واللّغويّ العربيّ القديم وفي القرآن الكريم، وقد حاول البحث تناول جوانب من ذلك الاهتمام، وبقي الآن أن نبيّن كيفيّة تناول القرآن الكريم للزّمن، وممّا أشار إليه "أمين العالم" أنّه على الرغم من أنّ القرآن لم يشر صراحة إلى كلمة الزّمن أو الزّمان إلاّ أنّه قد تمّت الإشارة إليه من خلال بعض الكلمات الدّالة عليه مثل: العصر، الدّهر، الأبد، السّرمد، الميقات، السّاعة، اليوم، الشّهر، العام، السّنة، الحول، الأجل، الوقت، الحين، الخلد، والمدد الزّمنية مثل: اللّيل والنّهار، ثلاثة أيام، ستّة أيام، ثمانية أيام، سبع ليال، ثلاثة أشهر، أربعة أشهر، إثنى عشر شهرا، ثلاثمائة سنة، خمسون سنة(محمود أمين العالم، 1989، ص475-476)، فالملاحظ أنّ الدلالة التي وضعها "ابن منظور" للزّمن في "لسان العرب" لا تكاد تخرج عن هذا النّطاق فهو عنده يشير إلى قليل الوقت وكثيره وهو عنده مرادف للعصر أو الدّهر، كما أنّه يشير إلى فصل من فصول

السّنة أو إلى مدّة من المدد كاللّيل والنّهار(جمال الدين أبو الفضل ابن منظور، د ت، مج3، باب الزاي، مادة زمن).

من الآيات القرآنية التي وردت فيها بعض هذه الكلمات الدّالة على الزّمن ما يلي:

الدّهر: {هَلَ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا}. الإنسان/01.

{وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاّ الدَّهْرُ ۚ}الجاثية/24.

العصر: { وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ(2) }. العصر/1، 2.

الوقت: {قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (37) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ(38)}. الحجر/38،37.

الحين: { أَلاَ حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ} هود/5.

اليوم والسنة: { وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ (47) } الحج/47.

{ تَعْرُجُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (4) }المعارج/04.

{إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ} الأعراف/54.

نصّ القرآن الكريم في غير ما موضع إلى أنّ تقدير الزّمن الدّنيوي وقياسه يتم بالاعتماد على حركة الشّمس وأحوال القمر وتعاقب اللّيل والنّهار. **يقول الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ۚذَٰلِكُمُ اللَّهُ ۖفَأَنَّىٰ تُوفَكُونَ (95) فَالِقُ الاصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (96)}. الأنعام/95، 96. ويقول تعالى أيضا:{وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖفَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚوَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً(12)}. الإسراء/12.**

ولما تساءلت العرب عن أحوال القمر ومنازله أجابهم القرآن الكريم: **{ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ۗ}. البقرة/189.** فبيّن لهم أنّ الأهلّة جعلها الله تعالى مواقيت للنّاس بها يعرفون مواقيت الصّلاة والزّكاة والصّوم والحج والمواسم والأعياد، فهي آية من آيات الله أوجدها لمعرفة الزّمن الدّنيوي وقياسه، وبالتأمّل في بعض الآيات القرآنية الأخرى يظهر أنّ تقدير الزّمن عند الخالق تعالى ليس كتقدير الزّمن الدّنيويّ، ومن ذلك ما ذكره سبحانه وتعالى في تقدير اليوم: **{وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ (47)} الحج/47**، وقوله: **{تَعْرُجُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ(4)}المعارج/04**، وبهذا إختلف العلماء والمفسّرون في تقدير المدّة الزّمنيّة للأيّام الستّة التي ذكرها القرآن الكريم في خلق السّماوات والأرض:**{وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ)38)} ق/38. {قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ۚذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (9) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (10) ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ اِيتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ(11) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚوَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (12)}. فصلت/9، 10، 11، 12.** فلئن كانوا قد أجمعوا على أنّ خلق السّموات والأرض قد تمّ في ستّة أيّام؛ فإنّهم اختلفوا في تقدير مدّة اليوم الواحد منها، كما ذكر ذلك "ابن كثير" (774/700هـ) في تفسيره للآية 54 من سورة الأعراف: هل هو كاليوم الواحد من أيّام الدّنيا؟ أو هو كألف سنة بحساب الآخرة(أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير، 1999، ص426)، وممّا قال به "القرطبي" في تفسير هذه الآية أيضا: "واليوم: من طلوع الشّمس إلى غروبها. فإن لم يكن شمس فلا يوم؛ قاله القشيريُّ، وقال: ومعنى في "ستّة أيّام" أي: من أيّام الآخرة، كلّ يوم ألفُ سنة، لتفخيم الأمر في خلق السماوات والأرض، وقيل: من أيّام الدنيا، قال مجاهد وغيره: أوّلها الأحد وآخرها الجمعة"(أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، 2006، ص238)، وذهب "محمد زغلول النّجار"(إلى أن أيّام الخلق السّتة هي ست

مراحل أو وقائع أو أطوار أو أحداث كونية متتابعة، لا يمكن أن يعرف زمنها ومداها إلاّ الخالق سبحانه وتعالى، وقد بيّن بأنّ الله تعالى خلق الأرض في يومين أي على مرحلتين(يوم الرتق ويوم الفتق)، وجعل فيها رواسي من فوقها، وبارك فيها، وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيام (أي أربع مراحل متتالية بحساب اليومين الأوّلين)، ثمّ خلق السّماوات في يومين (أي على مرحلتين)، ليكون المجموع ستّة أيام (أي ستّ مراحل)، وانتهى إلى أنّ هذه الأيام ليست من أيام الأرض؛ لأنّ الأرض لم تكن قد خلقت بعد، ولذلك لم يأت وصف هذه الأيام بالوصف القرآني "مما تعدون" إشارة إلى اليوم الأرضيّ(زغلول محمد النّجار، 2007، ص277-282)، وبهذا يشير القرآن الكريم إلى زمنين زمن دنيويّ أرضيّ معروف، وزمن كونيّ لا يعرف تقديره إلا الله، فهو الخالق المدبّر لهذا الكون، وهو الذي يقول للشّيء كن فيكون، كيف يشاء ومتى يشاء وبالكيفيّة التي يشاء.

وقد ورد ذكر كلمة زمن في السّنة النبويّة الشّريفة في عدّة أحاديث منها:

قوله صلى الله عليه وسلّم:{إذا اقترب الزّمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب...}(أبو الحسين مسلم ابن الحجاج، رقم: 2263، 2006، ص1075).

وقوله صلى الله عليه وسلّم أيضا:{يتقارب الزّمان وينقص العمل، ويلقى الشّحّ، ويكثر الهرْجُ، قالوا: يا رسول الله أيّمَ هو؟ قال: القتل، القتل} (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، رقم: 7061، 1312هـ، ص48).

وقوله أيضا: {اصبروا فإنّه لا يأتي عليكم زمان إلاّ الذي بعده شرّ منه حتى تلقوا ربّكم} (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، رقم: 7068، ص49).

وعن أبي هريرة، رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:{قال الله عزّ وجل: يؤذيني ابن آدم، يسبّ الدّهر، وأنا الدّهر أقلّب الليل والنّهار}، وعنه أيضا، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: {لا تسبّوا الدّهر، فإنّ الله هو الدّهر}(أبو الحسين مسلم ابن الحجاج، 2006، رقم: 2246، ص1069).

خاتمة:

أخيرا أمكننا القول، بأنّ عنصر الزّمن شكّل حضورا قويّا في جميع مجالات الحياة الإنسانيّة، وتمّ -على إثر ذلك- طرح العديد من التساؤلات بشأنه، والاهتمام به على نطاق واسع، كما تنازعته أيضا ميادين معرفيّة شتىّ، بما في ذلك التفكير الفلسفي والعلمي الغربي القديم والحديث. وأيضا الفكر العربي الإسلاميّ، الذي حاول هو كذلك بلورة مدارك وتصورات فلسفية وأنطولوجية وعقائدية ودينية وعلمية ونفسية متنوعة من أجل الاقتراب من فهم هذه الظاهرة الشائكة، ومحاولة إيجاد مسالك بإمكانها أن تقود إلى إدراك دهاليزها المعقدة والإجابة عن بعض التساؤلات التي ما فتئت تثيرها، وهو ما حاولنا مقاربته والوقوف عليه في هذه الدراسة.

قائمة المراجع:

1. أحمد بن محمد ابن عبد ربه الأندلسي(1983)، العقد الفريد، ج2، ط1، تح، مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
2. الأعشى الكبير ميمون بن قيس(2010)، الدّيوان، ج1، ط1، تح، محمود إبراهيم محمد الرضواني، وزارة الثقافة والفنون والتراث، الدوحة، قطر.
3. أبو البركات البغداي(1358هـ)، الكتاب المعتبر في الحكمة، ج3، ط1، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد.
4. أبو بكر محمد بن داود الأصبهاني(1985)، الزهرة، ج2، ط2، تح، إبراهيم السامرائي، دار المنار، الأردن.
5. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري(1960)، تاريخ الطبري، ج1، ط2، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر.
6. حاتم الطائي(1981)، الدّيوان، دار صادر، بيروت، لبنان.

7. أبو حامد الغزالي(1980)، تهافت الفلاسفة، ط6، تح، سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، مصر.
8. حميدي بوجلطية خيرة(2013)، الماهية والوجود عند الفارابي، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية (الآداب والفلسفة)، ع10، دورية دولية محكمة تصدرها جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر.
9. زهير ابن سلمى(1988)، الديوان، ط1، شرح وتقديم، علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
10.عبد الإله الصائغ(1986)، الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الإعلام والثقافة، بغداد.
11.أبو العباس تقي الدين أحمد ابن تيمية(1991)، درء تعارض العقل والنقل، ج1، ط2، تح، محمد رشاد سالم، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.
12.أبو العباس تقي الدين أحمد ابن تيمية(1986)، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، ج1، ط1، تح، محمد رشاد سالم، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.
13.أبو العباس تقي الدين أحمد ابن تيمية(2004)، مجموع الفتاوى، ج6، جمع وترتيب، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، المملكة العربية السعودية.
14.عبد الملك مرتاض(2005)، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر.
15.عبيد ابن الأبرص(1994)، الدّيوان، ط1، شرح، أشرف أحمد عدرة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
16.أبو العلاء المعري(1994)، شرح اللزوميات، ج3، تح، زينب القوصي، سيدة حامد، وفاء الأعصر، منير المدني، إشراف ومراجعة حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
17.أبو علي ابن سينا(1983)، الإشارات والتنبيهات، ج1، ط3، تح، سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، مصر.
18.عمر ابن قميئة(1994)، الدّيوان، تح، خليل إبراهيم العطية، دار صادر، بيروت، لبنان، ط2.
19.محمد أبو الوليد ابن رشد(1964)، تهافت التهافت، ط1، تح، سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، مصر.
20.محمود أمين العالم(1989)، مفاهيم وقضايا إشكالية، ط1، منتدى مكتبة الإسكندرية، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، مصر.
21.أبو نصر محمد الفارابي(1960)، الجمع بين رأيي الحكيمين، تح، ألبير نصري نادر، بيروت، لبنان.
22.أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني(1988)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج2، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
23.أبو يوسف يعقوب الكندي(1953)، رسائل الكندي الفلسفية، ج2، تح، محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر.

في تحديــات وإكـراهــات سياســة الجهويــة المتقدمــة بالمغـــرب
In the challenges and constraints of the developed regional policy in Morocco

أ. محمــد المستـــاري، باحــث في علـم الاجتمـاع، جامعـة ابن طفيـل القنيطـرة – المغرب.

ملخص: يهدف هذا المقال إلى رصد وتحليل أبرز الإكراهات والتحديات الجوهرية والبنيوية التي حالت وتحول دون إنجاح سياسة الجهوية المتقدمة في المغرب، بغرض تنبيه صناع القرار والمسئولين إلى النظر فيها والعمل على رفعها وتجاوزها، من أجل أن تصبح سياسة الجهوية المتقدمة واقعا حقيقيا ومشروعا تنمويا مكتملا. ذلك لأنه بالرغم من كون المغرب بات يتوفر على ترسانة قانونية جد مهمة، من خلال مراكمته لمجموعة من التجارب المتطورة فيما يخص مسألة الجهوية واللامركزية، ما يزال واقع هذه الممارسة، حتى الآن، غير متجاوز لإطار النقاشات العامة التي تعبر عن الغموض في تمثل المسؤوليات والاختصاصات، ويكشف عن مجموعة من الاختلالات والتعثـرات.

الكلمات المفتاحية: الجهوية المتقدمة، اللامركزيـة، النخب السياسية، التخطيط الاستراتيجي، التنمية المستدامة.

Abstract: The aim of this article is to monitor and analyze the main obstacles and the fundamental and structural challenges that prevented and prevent the success of Morocco's advanced regional policy in order to alert decision-makers and officials to consider and work towards lifting them and overcoming them so that the developed regional policy becomes a real reality and a complete development project. This is because despite the fact that Morocco has a very important legal arsenal, by accumulating a series of advanced experiences on the issue of regionalism and decentralization, the reality of this practice has not yet exceeded the framework of public debates that reflect the ambiguity in the representation of responsibilities and competencies, It reveals a range of imbalances and obstructions.

Keywords: Regional decentralization, political elites, strategic planning, sustainable development.

مقدمة:

مرت الجهوية المتقدمة في المغرب عبر مراحل مختلفة ومتدرجة ومتمايزة، ذلك لأن بداية نشأتها الأولى تعود إلى صدور أول ظهير شريف رقم 77-71-1 بتاريخ 16 يونيو 1971، الذي كان قد نص على إحداث سبع جهات كبرى ذات نمط اقتصادي، بهدف «تخفيف الضغط القائم على المناطق الحيوية في البلاد وخلق انسجام وتكامل اقتصادي واجتماعي بين مختلف الجهات» (فاطمة البورقادي، كناني أمال، 1996، ص21).

تم «الارتقاء بالجهة إلى مستوى المؤسسة الدستورية في سنة 1992، ليتوج هذا الارتقاء الدستوري بقفزة نوعية شهدتها الجهة في دستور 1996، الذي عمل على إدماج الجهة في المجال السياسي بواسطة نظام التمثيلية في إطار مجلس المستشارين كمؤسسة دستورية تمارس السيادة بصفة غير مباشرة وفقا للفصل الثاني من الدستور. ثم جاء القانون رقم 96-47 في 1997 الذي أمد الجهة بإمكانات مادية ومالية، (...) حيث أصبحت الجهات الستة عشر وحدات ترابية تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي والإداري، وذات صلاحيات وموارد معينة» (الميلود بوطريكي، 2015).

بعد ذلك وارتباطا بجملة من السياقات الداخلية والخارجية، ستعرف الجهوية في دستور 2011 مجموعة من التطورات الهامة، التي أفضت إلى تقطيع جهوي جديد يتضمن 12 جهة بدل 16 جهة، هذا فضلا عن صلاحيات واختصاصات جد واسعة للرؤساء المنتخبين، إضافة إلى موارد مادية ومالية جديدة، وذلك ما سيتضح في القانون التنظيمي الجديد للجهات رقم 14.111، الصادر في 07 يناير 2015(الميلود بوطريكي، 2015).

وعموما، لقد ساهمت هذه التجارب والمحطات التاريخية المتطورة التي عرفها المغرب فيما يخص مسألة الجهوية واللامركزية، في توفره على ترسانة قانونية جد مهمة لكن، رغم كل المحاولات والجهود المبذولة في سبيل تنزيل مقتضيات هذه الترسانة القانونية بالشكل الكامل والمطلوب، لإنجاح هذا المشروع (الجهوية المتقدمة) في المغرب، باعتبارها مدخلا ديمقراطيا وخيارا استراتيجيا وسياسيا حاسما في تدبير مجموع التراب الوطني، بهدف تحقيق التنمية الشمولية والمندمجة والمستدامة في مختلف أبعادها ومستوياتها، إلا أن واقع هذه الممارسة، ما يزال حتى الآن غير متجاوز لإطار النقاشات العامة التي تعبر عن الغموض في تمثل المسؤوليات والاختصاصات، ويكشف عن جملة من الاختلالات والتعثرات، وهذا الوضع يفضي بنا إلى طرح الإشكال التالي: ما هي أهم الإكراهات والتحديات الجوهرية التي حالت وتحول دون إنجاح مشروع الجهوية المتقدمة في المغرب؟

في الواقع، إن الإكراهات والتحديات التي حالت وتحول دون إنجاح مشروع الجهوية المتقدمة في المغرب كثيرة، إلا أننا من خلال هذا المقال، سنركز على أهمها وأبرزها، والتي نرى أنها بنيوية وهيكلية في تعثر سياسة الجهوية المتقدمة، وهي كالآتي:

أولا: إشكالية النخب السياسية:

يعد إشكال النخب السياسية من أبرز الإشكالات والتحديات الجوهرية التي لا تواجه تفعيل مشروع الجهوية المتقدمة في المغرب فحسب، بل العالم المعاصر أيضا وسرعة التحولات الاقتصادية والاجتماعية والإيديولوجية (حسن قرنفل، 1997، ص226)، حيث ظل واقع هذا المجال، بمختلف محدداته ومكوناته وعناصره وظواهره واقعا مشوها، ينخره الفساد وتعتمل فيه الممارسات والمسلكيات التقليدية، كتلك المتعلقة بطرق وأساليب إنتاج النخب السياسية، التي ظلت ترتبط -عبر التاريخ وحتى الآن-، بالمال والمخزن والنسب والمقدس(عبد الرحيم العطري، 2006)، وكذلك شأن سيادة «قيم العلاقات القرابية والقبلية والزبونية والمحسوبية والمحاباة والوساطات، وهو ما يحرم المجتمع خيرة أطره ونخبه التي يمكنها أن تؤدي دورا محوريا في

الإصلاح والنهوض» (رشيد جرموني، 2014، ص90-91)، لأن الأدمغة الفاسدة في آخر المطاف، لا يمكن أن تنتج إلا واقعا مقرفا وفاسدا.

وتأكيدا لهذا المعطى، فقد كشفت دراسة إحصائية أنجزتها وزارة الداخلية المغربية، أن أزيد من 4562 رئيس أو مستشار أو ممارس داخل المجالس الترابية لا يحملون الشهادة الابتدائية، ومن شأن هذا المعطى أن يقدم لنا تصورا واضحا عن مستقبل المغرب وعن راهنية تصوره(عبد الرحيم بوعيدة، 2017)، فأي إصلاحات سياسية وتنموية يمكن انتظارها في ظل عدم توفر العديد من المنتخبين الفاعلين على شهادات ابتدائية؟

تتجلى أزمة النخب السياسية، في غياب الوعي بالمسؤوليات الجسيمة الملقاة على عاتقها، واستخلاص الدروس والعبر من التجارب والإصلاحات الماضية المتتالية، وتتجلى أيضا في غياب التخطيط للمشاريع التنموية والشمولية برؤية واضحة ومضبوطة، حيث «دلت التجارب في الكثير من الدول المتقدمة أو النامية أن وضوح الرؤية والأهداف، (...) المدروسة بعناية من لدن مختصين مسؤولين، مشبعين بحس الوطنية الصادقة، يعد سبيلا ناجحا لتيسير نجاح المشاريع التنموية، شريطة أن يكون القائمون عليها من ذوي الكفاءات، والمؤهلات الخاصة التي تزكيها النتائج وتدعمها الحصيلة النهائية على أرضية الواقع»(حسن مسكين، 2007، ص103).

وإلى جانب ذلك، هناك إشكالات أخرى تتعلق بـغياب التكوينات المستمرة، وكذا «الصراعات الهامشية والخلافات الشخصية التي يكون مردها الأساس هو الانسياق وراء المصالح الشخصية، وأيضا ظاهرة الغياب المستمر والمتكرر للموظفين الجماعيين والمستشارين والأعضاء (...)، وهو أمر أصبح متجاوز في ظل خيار الجهوية المتقدمة التي تعول على وجود نخب محلية وجهوية قادرة على تحمل المسؤولية التاريخية الملقاة على عاتقها» (يونس مليح، 2014).

ثانيا: ضعف الموارد المالية للجهات:

من المعرف أن الموارد المالية المخصصة للجهات والمعروفة بمصادر التمويل، تصنف حسب ما ينص عليه الفصل 141 من الدستور الحالي للمغرب ووفق ما هو موضح في القانون التنظيمي للجهات رقم 111.14، إلى ثلاث أصناف رئيسة، هي كالآتي: موارد مالية ذاتية(*)، وموارد مالية مرصودة من قبل الدولة(**)، والموارد المتأتية من القروض(***).

غير أن هذا الحجم الإجمالي للموارد المالية المخصصة للجهات يبقى محدودا وضعيفا جدا، حيث لا يمكن الجهات من تغطية جميع اختصاصاتها وممارسة مسؤولياتها الواسعة، خصوصا مع «تنامي الحاجيات وتطور الوظائف الاقتصادية لهذه الهيئات» (ياسين الفحصي، 2015).

(*)- "وتتجلى في حصيلة الضرائب والرسوم المأذون للجهة في تحصيلها، وحصيلة الأتاوى المحدثة طبقا للتشريع الجاري به العمل، وحصيلة الأجور عن الخدمات المقدمة، ومدخول الأملاك والمساهمات، وحصيلة الغرامات وحصيلة الاستغلالات والأتاوى وحصص الأرباح، وكذلك الموارد وحصيلة المساهمات المالية المتأتية من المؤسسات والمقاولات التابعة للجماعة، وحصيلة بيع المنقولات والعقارات، ثم أموال المساعدات والهبات والوصايا"، (أنظر المادة 189، من القانون التنظيمي رقم 111.14، المتعلق بالجهات، ص. 55.

(**)- "تشمل، حصيلة الضرائب أو حصص ضرائب الدولة المخصصة للجماعات أو للعمالات والأقاليم أو للجهات؛ والموارد المالية المحولة والمطابقة للاختصاصات التي تنقلها الدولة إلى الجماعات الترابية طبقا للفقرة الثانية من الفصل 141 من الدستور"، وقد "حددت المادة 188 من القانون التنظيمي رقم 111.14 المتعلق بالجهات، أن الدولة ترصد بشكل تدريجي لها نسبا محددة في 5 بالمئة من حصيلة الضريبة على الشركات و5 بالمئة من حصيلة الضريبة على الدخل و20 بالمئة من حصيلة الرسم على عقود التأمين، بالإضافة إلى اعتمادات مالية مخصصة لها من الميزانية العامة للدولة في أفق بلوغ سقف 10 ملايير درهم سنة 2021. ص.54.

(***)- "ويتمثل في حصيلة الاقتراضات، حيث يمكن للجهات الاستفادة من الحصول على قروض تقدمها الدولة في شكل تسهيلات مالية لإنجاز بعض المشاريع التنموية، في انتظار استخلاص المداخل الواجب تحصيلها برسم الموارد الضريبية وبرسم حصتها من ضرائب الدولة، (أنظر المادة 191، من القانون التنظيمي رقم 111.14، المتعلق بالجهات، ص. 55.

وعلى هذا الأساس، يرى عدد كبير من المهتمين والمختصين[1] في قضايا الجهوية واللامركزية، أنه لا يمكن لهذا المشروع أن ينجح ويحقق المرامي والأهداف المرسومة له في ظل عدم توفر الجهات على الموارد المالية الكافية لتنفيذ مشاريع التنمية الجهوية المسطرة، وذلك لأن «اللامركزية ليست فقط منح الحريات اللازمة للهيئات المحلية لاتخاذ القرارات التي تهم تدبير الشؤون المحلية، وإنما هي بالإضافة إلى ذلك إعطاء هذه الهيئات والسلطات الإمكانات المالية للقيام بالمهام المنوطة بها على الوجه المطلوب وفق الخطة المحددة من طرف الأجهزة المختصة»، (حسن بنيحيى، 1992، ص150)، كما أن «وجود لامركزية جهوية دون التوفر على الاعتمادات الذاتية الكافية يجعلها لا مركزية في تبعية مستمرة لمن يتحكم في موارد التمويل»، (يونس مليح، 2014).

وهكذا يبدو أن ضعف الموارد المالية للجهات، يشكل تحديا حقيقيا أمام ممارسة المسؤوليات والاختصاصات الموكولة لرؤساء الجهات، الشيء الذي يستدعي من الدولة إعادة النظر في طريقة تدبيرها للجهوية المتقدمة التي «يجب أن تنطلق من منظور اقتصادي محض وواقعي، بمعنى أن التخطيط للجهوية المتقدمة يستلزم تشخيصا دقيقا للمؤهلات والمعيقات الطبيعية والمادية...» (يونس مليح، 2014)، حيث «في ظل الخصاص المالي الذي تعاني منه الجهات، يبقى الاعتراف القانوني بها كوحدات ترابية تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي غير ذي جدوى»، (ياسين الفحصي، 2015).

ثالثا: غياب آليات التتبع والمراقبة القانونية:

ينضاف إلى ما سبق، عائق آخر، ويتمثل في عدم خلق الدولة آليات قانونية لمراقبة وتتبع الميزانية واتجاهات صرفها، بهدف الحد من الفساد السياسي المستشري، والقطع مع تلك السلوكيات والممارسات السائدة التي تجعل من السياسة مجالا للاغتناء السريع(وهو ما يعني عدم تفعيل المقتضيات الدستورية المتعلقة بالحكامة الجيدة وربط المسؤولية بالمحاسبة).

ذلك أن هناك مجموعة من الخروقات والتجاوزات المسكوت عنها فيها يتعلق بتبديد واستغلال المال العام، بالرغم من أنه سبق لمجموعة من المنابر الإعلامية أن كشفت عنها مرارا وتكرارا، حيث أفادت أن عددا واسعا من رؤساء الجهات والجماعات الترابية تسببوا في هدر أموال طائلة في اتجاه شراء سيارات فارهة، مع أن الجهات والجماعات الترابية التي يتولون مسؤولية تسييرها تفتقر إلى أبسط المقومات الضرورية والخدمات الأساسية واللازمة كالتعليم والصحة والتغذية والعيش الكريم.

إن القطع مع هذه الممارسات والمسلكيات التقليدية الفاسدة، لا يمكن أن يتم إلا بتفعيل مسطرة ربط المسؤولية بالمحاسبة تفعيلا سليما وصحيحا في آن.

رابعا: نسبية استقلال الهيئات الجهوية فيما يخص ممارسة اختصاصاتها:

إن إشكال «نسبية استقلال الهيئات الجهوية فيما يخص ممارسة اختصاصاتها»، يبقى من أهم الإكراهات والمشكلات المباشرة التي حالت وتحول، أيضا، دون إنجاح التجربة الجهوية في المغرب، ذلك على اعتبار أن الكثير من الفاعلين الممارسين يردون مشكلة تعطيل انخراط جهاتهم في تنفيذ اختصاصاتها إلى التدخلات الواسعة والمفرطة للسلطة المركزية التي يعتبر والي الجهة ممثلا لها.

1- عبد الصمد السكال، تجربة الجهوية المتقدمة بالمغرب... أية خلاصات بعد سنة ونصف، مداخلة قدمت خلال أشغال الندوة الوطنية المنظمة من لدون المركز الجامعي بقلعة السراغنة، التابع لجامعة القاضي عياض في موضوع: "الجهوية المتقدمة.. أي فاعلين لأية موارد اقتصادية واجتماعية؟"، هسبريس 18 أبريل 2017.

في هذا السياق، يمكن أن نستحضر مثالا واقعيا، مفاده أن رئيس جهة(+) كتب لرئيس الحكومة، فقال له بأن الأمر ليس من حقه، حيث كان من المفروض عليه أن يكتب لـ«الوالي» أولا، باعتباره الممثل والفاعل المركزي داخل الجهة، وهذا الأخير يكتب لـ«وزير الداخلية»، وهو بدوره يكتب لـ «رئيس الحكومة»، من أجل أن يتحدث مع رئيس الجهة[2]. وهذا مثال واحد ضمن الأمثلة الكثيرة المعبرة عن استمرار سيادة التنظيم الإداري المبني على البيروقراطية والمركزية المفرطة من جهة، وتأكيد على تقلص ونسبية استقلال الهيئات الجهوية المنتخبة.

وهكذا، يبدو أن «أزمة الجهوية في المغرب تعكسها هيمنة المقاربة الأمنية –السياسية المركزية على حساب البعد التنموي الجهوي، والتي تعطي لسلطات الوصايا المُعَيَّنَة (العامل-الوالي..) حاكما حقيقيا على المستوى الجهوي، ومن تم يبقى للمجالس المحلية المنتخبة دورا صوريا واستشاريا في تحقيق التنمية المحلية» (جواد الرباع، 2010).

خامسا: غياب مشروع مجتمعي واضح ورؤية شمولية مندمجة ومتكاملة:

من المعضلات والتحديات الكبرى التي حالت وتحول كذلك دون إنجاح مشروع الجهوية المتقدمة في المغرب، غياب مشروع مجتمعي واضح ورؤية شمولية مندمجة ومتكاملة، ذلك أن تجربة الجهوية غالبا ما ظلت ترتبط بمناسبات ظرفية وشعاراتية دون العمل على توفير الشروط والمرتكزات الضرورية واللازمة من إرادة وتشخيص عميق ومعمق وإعداد وتخطيط وحكامة واستشراف ومواكبة وتقييم واقتدار.

هذا مع العلم، أن «اعتماد تخطيط استراتيجي يستند إلى برامج مضبوطة وأهداف محددة، ممكنة التحقق، [يعد مسألة ضرورية، حيث]، دلت التجارب في الكثير من الدول المتقدمة أو النامية أن وضوح الرؤية والأهداف، واتساق الخطط القابلة للتطبيق، غير الحالمة أو المثالية، وتقديمها على أسس منهجية سليمة، مدروسة بعناية من لدن مختصين مسئولين، مشبعين بحس الوطنية الصادقة، يعد سبيلا ناجحا لتيسير نجاح المشاريع التنموية، شريطة أن يكون القائمون عليها من ذوي الكفاءات، والمؤهلات الخاصة التي تزكيها النتائج وتدعمها الحصيلة النهائية على أرضية الواقع» (حسن مسكين، 2017، ص103).

وفي السياق نفسه، يسجل المفكر وعالم الاجتماع المغربي مصطفى محسن، أن من أبرز مشكلات وعوائق السياسات الجهوية بالمغرب، أنها «لم تكن في مجتمعنا مندرجة في إطار رؤية شمولية متكاملة للتخطيط والبرمجة والتنظيم المجتمعي. [هذا مع العلم] أن الجهوية كآلية تدبيرية وعقلانية حديثة قد انخرطت في إطار المجتمعات المتقدمة ضمن فلسفة تنموية واجتماعية واقتصادية وسياسة محددة، واضحة الأهداف والمقاصد، وقائمة على قيم ومعايير منسجمة مع مطالب وخصوصيات السياق السوسيوثقافي الذي تنتمي إليه» (مصطفى محسن، 1999، ص82).

وعلى هذا الأساس، يرى الباحث نفسه، مصطفى محسن، أن «التساؤل حول مدى نجاعة السياسة الجهوية في المغرب ينبغي أن يطرح (...) ضمن هذا التصور: في إطار أي مشروع مجتمعي تندرج المسألة الجهوية بالمغرب؟ وما هي الأهداف العلنية والضمنية، والأطر المرجعية المتحكمة فيها، والتي تشرط بالتالي مآلها ونتائجها؟» (مصطفى محسن، 1999، ص82).

(+)- رئيس جهة طنجة تطوان الحسيمة.

2- جاء ذكر هذه الواقعة على لسان منصف بلخياط، نائب رئيس جهة الدار البيضاء سطات، في بث مباشر لبرنامج قضايا وآراء على القناة الأولى، حول موضوع "الجهوية المتقدمة بين الطموحات والإكراهات"، بتاريخ 06-06-2017.

خلاصة:

بناء على كل ما سبق، يمكن القول بأن المغرب من خلال مراكمته لمجموعة من التجارب المتطورة فيما يخص مسألة الجهوية واللامركزية؛ بات يتوفر على ترسانة قانونية جد مهمة، لكن هذا القول لا ينبغي أن يحجب عنا وجود جملة من المعضلات والتحديات البنيوية التي ما زالت تحول –حقيقة- دون تنزيل مقتضيات هذه الترسانة القانونية بالشكل الكامل والمطلوب، وهو الأمر الذي يستدعي من الدولة إعادة النظر في كل هذه المشكلات والتحديات والعمل على رفعها وتجاوزها، من أجل أن تصبح الجهوية المتقدمة واقعا حقيقيا ومشروعا تنمويا مكتملا.

قائمـــة المراجــع:

1. بنيحيى، حسن(1992)، الدولة والجماعات المحلية بالمغرب: توزيع الاختصاصات وتمويل الموارد، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في القانون العام، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب.
2. فاطمة البورقادي، كناني أمال(1996)، تطور الجهة بالمغرب، المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية، سلسلة مواضيع الساعة، ع 8.
3. جرموني، رشيد(2014)، المنظومات التربوية العربية بين مظاهر الأزمة وتحديات المستقبل، مجلة عمران (للعلوم الاجتماعية والإنسانية)، ع10، الدوحة.
4. التجربة الجهوية لسنة 1971، والمنظمة بالقانون رقم 77-71-1، المتعلق بتنظيم الجهات، والصادر بتاريخ 16 يونيو 1971.
5. التجربة الجهوية لسنة 1997، والمنظمة بالقانون رقم 96-47، المتعلق بتنظيم الجهات، والصادر بتاريخ، 3 أبريل 1997.
6. التجربة الجهوية لسنة 2015، والمنظمة بالقانون رقم 14-111، المتعلق بتنظيم الجهات، والصادر بتاريخ، 07 يناير 2015.
7. الدستور الجديد للمملكة المغربية، الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.11.91، بتاريخ 29 يوليوز 2011، إعداد وتقديم محمد الفروجي، مجموعة القانون المغربي، العدد 63، الطبعة السادسة، 2017.
8. الرباع، جواد(2010)، الجهوية في الخطاب السياسي المغربي وسؤال التنمية الجهوية، شبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات.
9. زين الدين، محمد(2006)، إشكاليـة تجديـد النخـب بالمغرب، مجلة فكر ونقد، العدد 81.
10. السكال، عبد الصمد(2017)، تجربة الجهوية المتقدمة بالمغـرب.. أية خلاصات بعد سنة ونصف، مداخلة قدمت خلال أشغال الندوة الوطنية المنظمة من لدن المركز الجامعي بقلعة السراغنة التابع لجامعة القاضي عياض في موضوع «الجهوية المتقدمة.. أي فاعلين لأية موارد اقتصادية واجتماعية؟»، هسبريس.
11. العطري، عبد الرحيم(2006)، صناعة النخبة بالمغرب: المخزن والمال والنسب والمقدس طرق الوصول إلى القمة، المغرب، ط1، الرباط: منشورات دفاتر وجهة نظر.
12. الفحصي، ياسين(2015)، إشكالية الموارد المالية للجهة نحو اعتماد الجهوية المتقدمة، موقع المنهل، الرابط: http://platform.almanhal.com/Files/2/74268
13. قرنفل، حسن(1997)، المجتمع المدني والنخبة السياسية: إقصاء أم تكامل؟، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق.
14. محسن، مصطفى(2007)، في التنمية السياسية: مقدمات في سوسيولوجيا الإصلاح والتحديث والتحول الديمقراطي في المغرب المعاصر، الطبعة الأولى، الرباط، المغرب، منشورات دفاتر وجهة نظر.
15. محسن، مصطفى(1999)، في ثقافة تدبير الاختلاف: المسألة الجهوية وقضايا التنظيم والديمقراطية والتنمية في العالم الثالث المغرب نموذجا، مجلة دراسات عربية، العدد الخامس – السادس.
16. مسكين، حسن(2007)، أزمة النخب العربية: الثقافة والتنمية، الدار البيضاء، المغرب، دار القرويين.

17.مليح، يونس(2014)، الجهوية المتقدمة: المعيقات وممكنات التنزيل في ظل التوجهات الترابية الجديدة، موقع مجلة العلوم القانونية.

بعض المؤشرات الهامة عن الاختبارات المدرسية الرسمية في الجزائر-امتحان البكالوريا ولاية سعيدة أنموذجا-

Some important indicators of official school tests in Algeria –baccalaureate exam model for Saida state-

د.شريفي علي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة سعيدة- الجزائر

ملخص: تهدف هذه الدراسة لتحليل نتائج امتحان البكالوريا لجميع الشعب لولاية سعيدة للسنة الدراسية 2017/2016 وذلك من خلال بعض المؤشرات الهامة (المتوسط، الانحراف المعياري، المدى التباين، معامل الصعوبة، معامل التمييز، معامل الاختلاف، الكفاءة الكمية والفاعلية للمادة الدرجة المعيارية)، كما تهدف إلى معرفة العلاقة بين المعدل التراكمي ونتائج امتحان البكالوريا في المواد الدراسية، وقد توصلت الدراسة إلى وجود انحدار معنوي بين المعدل التراكمي ومعدل شهادة البكالوريا، وعليه يمكن أن يؤخذ المعدل التراكمي بعين الاعتبار وذلك بتنصيب البطاقة التركيبية في التعليم االثانوي والتي من شأنها إنقاذ التلاميذ الذين يتعثرون في امتحان البكالوريا نظرًا لتعرضهم لظروف معينة أيام الامتحان.

الكلمات المفتاحية: المتوسط، الانحراف المعياري، المدى، التباين، معامل الصعوبة، معامل التمييز، معامل الاختلاف، الكفاءة الكمية، فاعلية المادة، الدرجة المعيارية، المعدل التراكمي.

Abstract: This study aims to analyze the results of the baccalaureate exam in all of the branches in Saida city in 2016/2017 through some important indicators (mean, standard deviation, variance range, coefficient of difficulty, discrimination factor, coefficient of variation).

It also aims to find out the relationship between the cumulative average and the results of the bac exam in the subjects. The study found that there is a significant regression between the annual average and the average of the baccalaureate. Therefore, the cumulative average can be taken into consideration by installing the structural card in secondary education, which will save pupils who stumble on the baccalaureate exam due to their exposure to certain conditions during the exam.

Keywords: Mean, Standard Deviation, Variation Range, Difficulty Factor, Discrimination Factor, variation coefficient, Quantitative Efficiency, subject effectiveness, Standard score, Cumulative average.

مقدمة:

يعد التقويم ضروري لكل عملية تربوية حتى يسمح للقائمين عليه من تشخيص نقاط القوة والضعف ومن ثم اتخاذ الإجراءات المناسبة من تحسينات أو تعديلات أو إصلاحات من شأنها تحسين الفعل التربوي، والتقويم لا يقف عند إصدار الحكم واتخاذ القرارات بل هو عملية مستمرة وشاملة(يشمل جوانب الشخصية المعرفية، الحس حركية، وجدانية اجتماعية) ومسايرة للتعليم والتعلم، ويتطلب التقويم أدوات أهمها الاختبارات التحصيلية التي تعد شكل من أشكاله، حيث تظهر نتائجها في شكل علامات رقمية تحدد مستوى التحصيل الدراسي لدى التلميذ، ومن أهم الاختبارات التحصيلية المصيرية التي يمتحن التلميذ فيها والتي يعول عليها كثيرا في اتخاذ مثل هذه القرارات الحاسمة امتحان شهادة البكالوريا، حيث تتوج نهاية التعليم الثانوي بإجراء امتحان رسمي وهو امتحان شهادة البكالوريا، الذي يُشهَد له بقيمة عالية في بلادنا رغم وجود امتحانات رسمية أخرى كامتحان نهاية التعليم الابتدائي وامتحان شهادة التعليم المتوسط، وباعتبار أن النجاح في البكالوريا يفتح أفاق أمام التلاميذ للالتحاق بالجامعة والمدارس العليا والمعاهد.

ويعتبر التحليل الدوري للنتائج على مستوى المؤسسات التربوية من المحطات الهامة خلال الموسم الدراسي، لكن المتتبع للشأن التربوي على مستوى المؤسسات التربوية بمختلف الأطوار يقف على محدودية العمل بهذه الآلية، على الرغم من أن الممارسة الميدانية كشفت عن الفعالية الكبيرة لهذا الإجراء، وانطلاقا من أن النتائج لها ارتباط وثيق ببيئة التمدرس، وخصوصية المستوى، والمناخ العام للمؤسسة، فإن تحليلها الدوري يعطي قراءات رقمية هي انعكاس طبيعي لكل الظروف السالفة الذكر. ومن هنا يأتي التأكيد على أهمية تحليل النتائج من حيث الشكل والمضمون.

ويعتمد في تحليل نتائج الامتحانات المدرسية المعمول به حاليا على الوصف حيث يركز على متوسط افتراضي أو نظري وعلى النسبة المئوية وبذلك يركز كثيرا على التقويم المعياري حيث يهتم بترتيب التلميذ وترتيب المؤسسة وترتيب الشعبة، فقد يكون المتوسط الحقيقي أقل أو أكثر من المعدل (10) وهذا لا يعكس المستوى الحقيقي للتلميذ أي أن المقارنة المعتمدة حاليا في مجال القياس التربوي تقارن نقاط التلميذ في مواد مختلفة بحيث أن أعلى قيمة لمادة معينة تعتمد كأكبر مؤشر في المقارنة، ومن هنا تأتي هذه الدراسة من أجل تسليط الضوء على بعض المؤشرات نذكر على سبيل المثال منها تحويل الدرجة الخام إلى درجة معيارية فهذا التحويل يعطينا مقارنات وتفسيرات ومدلول آخر.

وعليه فان كل القرارات والإجراءات المتخذة من طرف العاملين في قطاع التربية جراء هذه الطريقة في تحليل النتائج المدرسية لا تعكس صورة التلميذ الحقيقية، وبهذا يسعى بحثنا الحالي لسد بعض الثغرات، وإلى اقتراح بعض المؤشرات التي نراها ضرورية من أجل أن نستنطق الأرقام كمحاولة لتقديم بديل آخر في تحليل نتائج الامتحانات بصفة عامة وامتحان البكالوريا بصفة خاصة ومن خلال ما تقدم يمكن يطرح السؤالين:

- ما هي المؤشرات الإحصائية التربوية لنتائج امتحان شهادة البكالوريا لولاية سعيدة؟
- هل الانحدار معنوي بين المتغير المستقل (المعدل التراكمي) والمتغير التابع (معدل شهادة البكالوريا) دورة جوان 2016 لولاية سعيدة؟

فرضيات الدراسة:

- المؤشرات الإحصائية التربوية هي: (المتوسط، الانحراف المعياري، المدى، التباين معامل الصعوبة، معامل الاختلاف ومعامل التمييز).
- الانحدار معنوي بين المتغير المستقل (المعدل التراكمي) والمتغير التابع (معدل شهادة البكالوريا) دورة جوان 2016 /2017 لولاية سعيدة.

أهداف البحث:

- الكشف عن المؤشرات الإحصائية التربوية(المتوسط الحسابي، الانحراف المعياري معامل الصعوبة ومعامل التمييز ومعامل الاختلاف)
- الكشف عن معنوية الانحدار بين نتائج المعدل التراكمي ونتائج امتحان البكالوريا.
- المقارنة بين استخدام البرنامج المستخدمEXCEL الذي يعطينا بيانات خام وتجريب برنامج SPSS من أجل استنطاق هذه البيانات وجعلها مخرجات أكثر دقة ومعبرة.

أهمية البحث:

- تزويد المكتبة والجامعات والمعاهد والمؤسسات المختصة بنتائج الدراسة .
- حاجة وزارة التربية والتعليم لنتائج الدراسة في عملية صنع القرارات المتعلقة بنظام التعليم الثانوي.
- مقارنة مؤشرات المعدل التراكمي لنتائج الاختبارات التحصيلية لنظام التعليم الثانوي السنوي ونتائج امتحان البكالوريا.

منهج البحث:

المنهج الملائم لطبيعة هذه الدراسة هو المنهج الوصفي التحليلي حيث يقوم بعملية جمع البيانات وتفسيرها مما يتيح فهم الظاهرة، فهو المنهج الذي يصف ما هو كائن، ويفسر ويهتم كذلك بتحديد الظروف والعلاقات التي توجد بين الوقائع والحقائق من خلال تحليل البيانات والنتائج وتبويبها.

عينة البحث:

تكونت عينة البحث من مترشحي شهادة البكالوريا للسنة الدراسية 2017/2016 لثانويات ولاية سعيدة موزعة كما يلي حسب الشعب:

الجدول رقم 01 يوضح عينة الدراسة حسب الشعب

الشعبة	الذكور	الإناث	المجموع
علوم تجريبية	796	1134	1930
رياضيات	106	107	213
تقني رياضي	327	204	531
تسيير واقتصاد	106	107	213
آداب وفلسفة	451	887	1338
آداب ولغات أجنبية	97	323	420
المجموع العام	1883	2762	4645

ولدراسة المعدل التراكمي السنوي وعلاقته بنتائج امتحان البكالوريا ونظرا لصعوبة الحصول على نقاط التلاميذ السنوية، اقتصرت عينة الدراسة على ثلاث ثانويات حسب المعلومات الإحصائية التالية:

الجدول رقم 02 يوضح المعدل التراكمي للشعب

تعداد التلاميذ في الشعب الثانويات	علوم تجريبية	رياضيات	تقني رياضي	تسيير واقتصاد	آداب وفلسفة	آداب ولغات أجنبية	المجموع
ثانوية ابن سحنون الراشدي	229	/	34	78	85	49	475
ثانوية يوسف الدمرجي	107	13	21	46	78	11	276
ثانوية عبد المؤمن	137	23	28	57	67	41	353
المجموع العام	473	36	83	181	230	101	1104

أدوات البحث: استخدم الباحث الأدوات التالية لتحقيق أهداف البحث:

-كشوفات نقاط عينة البحث.
- برنامج الجداول الإليكترونية (Excel) في حساب المعاملات.
- قياس أثر المواد الأساسية والمكملة على المعدل التراكمي للطالبات.
- **مبادئ التعليم الثانوي:** إن المبادئ هي القواعد الأساسية التي يقوم عليها أي نظام، وباعتبار النظام التربوي أحد الأنظمة المعروفة والموجودة في نظام الدول والمجتمعات فإنه يقوم على مجموعة من المبادئ يمكن حصرها على النحو الآتي:
أ-مبدأ وحدة النظام: تتمثل هذه الوحدة (وحدة النظام) في استمرارية بعض الأهداف والروابط المشتركة بين أنواع التعليم كله (التعليم الأساسي، التعليم الثانوي، التعليم العالي)، وذلك من خلال الربط بين مدخلات الطور الثانوي ومخرجاته، وذلك بغية الربط بين التعليم الثانوي والتعليم العالي الذي تم إصلاحه في سنة 1971 والتعليم الأساسي الذي دخل عليه الإصلاح سنة 1980 بينما بقي التعليم الثانوي على حالته منذ الاستقلال، مما جعل النظام التربوي يتطور طورًا بعد طور، وهذا معناه أن مبدأ الوحدة بين فروع التعليم الثانوي لم يكن مأخوذ يعين الاعتبار، ولهذا السبب ظل التعليم الثانوي يعيش تناقضات في مدخل الطور ومخرجه، ففي مدخل الطور مثلا لا يوجد التناسق بين ملمح الخروج من التعليم المتوسط وبرامج التعليم الثانوي ومناهجه ولا يفي ما في هذه الحالة من صعوبات لمتابعة الدراسة بالنسبة للتلاميذ وعلى نوعية التعليم ومردوديته، وكان من نتائج هذا الوضع بروز نظامين: أهمها تعليم عام وآخر تقني، مع أن التفوق كان دائمًا لصالح التعليم العام(خليل، 2012، ص34)
ب-مبدأ التوافق: إن مبدأ التوافق بين نظام التعليم الثانوي وبين الحاجات الاجتماعية والاقتصادية الناجمة عن تطور التنمية يبدوا غير واضح في وثائق وزارة التربية، بحيث لا يوجد أي مكتب مكلف بالتنسيق بين وزارة التربية والمؤسسات الاقتصادية يوجه عن طريق الطلبة الذين أنهوا المرحلة الثانوية إلى ميدان العمل والإنتاج في هذه المؤسسات بالإضافة إلى عدم العناية بالتعليم التقني الذي يحضر لعالم الشغل نظرًا للتكاليف الباهضة، ورجوع الأهداف المعرفية على الأهداف المسلكية، ولكن هذا التناقض في الطرح والذي أدى بطبيعته إلى نقض مبدأ التوافق إلى عدم التوافق تسبب في عرقلة طموح التلاميذ وبالتالي تكوين حاجز يفصل بين ميول التلاميذ ورغباتهم من جهة ومن جهة ثانية بين حاجات التنمية الاجتماعية والاقتصادية.
ج-مبدأ التناسق: يتمثل هذا المبدأ(مبدأ التناسق) في التكامل و الاقتصاد في التنظيم العام للنظام التربوي كله والتعليم الثانوي خصوصًا وما يحتوي عليه من أنظمة فرعية، ويتجلى ذلك من خلال التنسيق في تحديد الأهداف والمحتويات والمناهج المتبعة لكل نظام فرعي على حدى، كما يتجلى في إتباع خطة التقويم والتوجيه حسب مراحل التعليم وكيفية التدرج بينهما، والتي تبدو في الأساليب المعتمدة التي تضمن لكل بنية مردوديتها، حتى يكون التعليم وطنيًا في أبعاده وديمقراطيًا في مبادئه(خليل، 2012، ص35).

بعض المفاهيم المرتبطة:

مفهوم التقويم(Evaluation): لغة: قوم المعوج أي عدله وأزال عوجه، وقوم السلعة سعرها وثمنها، وتقاومو في الحرب قام بعضهم لبعض، وقوموا الشيء فيما بينهم أي قدروا ثمنه، وتقوم الشيء أي تعدل وإستوى أو تبينت قيمته، واستقام الشيء أي اعتدل وإستوى(المطيري، 2010، ص46).
التقويم بمعنى التعديل والتصحيح، وفي هذا الصدد نقول: "قومَ الحداد المعوج" أي بمعنى عدله وصححه، والتقويم بمعنى التقدير والتثمين، وفي هذا الصدد كثيرًا ما نسمع "قوم التاجر البضاعة" أي بمعنى قدرها وثمنها وأعطاها قيمة معينة(علوان، 2007، ص14).

ويعرفه جروتلند Grounland: بأن التقويم يعني التعرف إلى مدى تحقق الأهداف عند الطالب واتخاذ قرارت بشأنه(اللحياني، 2008، ص28).

ويعرفه أبو حطب وعثمان وصادق: بأنه عملية إصدار حكم على مدى تحقيق الأهداف التربوية ودراسة الآثار التي تحدثها بعض العوامل والظروف في تيسير الوصول إلى هذه الأهداف أو تعطيلها، ومعنى ذلك أن إصدار الحكم في مجال التربية يمكن أن يتبعه إجراء عملي يتعلق بتحسين العملية التربوية، وقد يكون ذلك في صورة برنامج للتعلم العلاجي مثلاً. (المطيري، 2010، ص47).

إذن يمكن أن نعرف التقويم بأنه عملية منظمة تتطلب جمع المعلومات والبيانات باستخدام أدوات ومعايير متفق عليها لإصدار أحكام واتخاذ قررات.

ويعرفه "جرولاد" بأنه عملية تنظيمية لتحديد المدى الذي يحقق فيه التلاميذ الأهداف التربوية الموضوعية"، ويعرفه "ماري دي كاتل" بأنه فحص ومعاينة درجة الملائمة بين مجموعة من المعايير المحددة من أجل اتخاذ قرار(جخراب، 2010، ص4).

القياس: القياس هو تقدير قيمة الأشياء وقاس الشيء يعني قدره(المنجد في اللغة والإعلام، 2010، ص48).

ويعرف القياس على أنه إعطاء قيمة للشيء ويعرفه كامبل 1952 بأنه تمثيل للصفات أو الخصائص بأرقام.

أما سامي محمد ملحم 2002 يعرف القياس بأنه عملية يقصد بها تحديد أرقام لأشياء أو أحداث وفقا لقوانين(عثمان، 2010، ص11).

إن القياسMesurement: بمفهومه العلمي الواسع يشير إلى الجوانب الكمية التي تصف خاصة أو سمة معينة، مثل ارتفاع سائل، أو حجم كرة، أو ضغط غاز، أو الاستعداد اللفظي لطفل، أو التحصيل الدراسي لطالب، كما يشير إلى جمع المعلومات وترتيبها بطريقة منظمة(علام ،2000، ص14).

ويعرف القياس بأنه عملية إعطاء تقدير كمي (رقمي) للخصائص أو الصفات موضوع الاهتمام بوحدات معيارية متفق عليها. والقياس عامة قائم على الفكرة التي أطلقها ثورنديك والقائلة بأن " كل ما يوجد، يوجد بمقدار- وما يوجد بمقدار يمكن قياسه " والغرض الأساسي من القياس هو الكشف عن الفروق الفردية بأنواعها(مراد وسليمان، 2005، ص13).

الكفاءة: الكفاءة هي"هي قدرة الشخص على تفعيل موارد معرفية مختلفة لمواجهة نوع محدد من الوضعيات(بن تونس، 2014، ص278)، كما تعرف بأنها "هي إمكانية التعبئة، بكيفية مستنبطة لمجموعة مدمجة من الموارد (معارف، مهارات، مواقف) بهدف حل وضعية أو حل مشكلة تنتمي لفئة من الوضعيات(بن تونس، 2014 ، ص279)، ونجد أن الكفاءة في عدة أنواع وسنكتفي بذكر الشائع منها:

الكفاءة القاعدية la compétence de base: وهي الكفاءة الأساسية التي تقوم عليها التعلمات الجديدة المرتبطة بالمواد الدراسية، وبالتالي يكون من الضروري أن يكتسب المتعلم هذه الكفاءة لمواجهة أي تعلم جديد لأن كل اكتساب لكفاءة جديدة يتطلب توظيف معارف الكفاءة الأولى.

الكفاءة المرحلية: la compétence d étape: تشتمل على مجموعة من الكفاءات القاعدية واكتساب هذه الكفاءة مرتبط بفصل من الفصول الدراسية أو بمجال تعليمي معين.

الكفاءة الختامية: la compétence finale: وهي الكفاءة التي يستهدف اكتسابها للمتعلم خلال سنة دراسية أو طور دراسي معين، ويمثل هذا النوع مجموعة مندمجة من الكفاءات المرحلية، يتم اكتسابها وتطويرها بصفة نهائية إثر مسار تعلم طويل نسبيًا، وإلى جانب هذه الأنواع الثلاثة نجد نوعين من الكفاءة تم تصنيفها من حيث الخصوصية والامتداد وهما:

الكفاءة الخاصة: التي ترتبط بمادة من المواد التعليمية، كالكفاءة الرياضية، اللغوية الفيزيائية وسواها.

الكفاءة المستعرضة: تمثل مجموعة من التعلمات المتقاطعة أو المعارف المدمجة من مجالات متنوعة مرتبطة بمادة تعليمية واحدة أو أكثر(بن تونس، 2014 ، ص254).

عرض وتحليل المؤشرات المستخرجة لنتائج شهادة البكالوريا في بعض المواد الدراسية لولاية سعيدة (مؤشر الدرجة المعيارية) سنة 2017/2016.

إن نقطة التلميذ التي يحصل عليها في اختبار ما (النقطة الخام) ليس لها معنى بحد ذاتها ولا تصلح للمقارنة مع نقطته في اختبارات أخرى أو مع درجة شخص آخر على الاختبار نفسه أو على اختبارات أخرى إلا إن يتم تحويلها إلى نقاط معيارية إذن فالنقطة المعيارية تعتبر مؤشرا هامًا لأنها تعبر عن كيفية أداء التلميذ على الاختبار بالإضافة إلى أنها تظهر المستوى الحقيقي له فتوفر بذلك أساسا للمقارنة.

الجدول رقم (03) يوضح مؤشر الدرجة المعيارية لمستوى التلاميذ في شهادة البكالوريا لولاية سعيدة في مادتي الرياضيات وعلوم طبيعية لشعبة الرياضيات لسنة 2017/2016.

تسلسل التلاميذ	مادة الرياضيات	الدرجة المعيارية	مادة الفيزياء	الدرجة المعيارية
01	12	1.64	11.5	0.75
02	16	2.70	15	1.72
03	06	0.05	10	0.33
04	09	0.85	13.5	1.30
05	5.5	0.07	10.5	0.47
06	6.5	0.18	11	0.61
07	10	1.11	09	0.05
08	11.5	1.51	15.5	1.86
09	10.5	1.24	14	1.44
10	10	1.11	11.5	0.75
11	7.5	0.45	04	-1.33
12	08	0.58	9.5	0.19
13	10.5	1.24	10	0.33
14	07.5	0.45	9.5	0.19
15	15	2.44	16.5	2.14
16	12.5	1.78	13.5	1.30
17	12	1.64	14.5	1.58
18	4.5	-0.34	11.5	0.75
19	12	1.64	13.5	1.30
20	10.5	1.24	11.5	0.75

من خلال الجدول نلاحظ أن نقاط المحصلة للتلاميذ رقم (10)،(12)،(14) (15)،(16) في مادة الفيزياء نحكم أن مستواهم في أفضل لمجرد حصولهم على أعلى نقاط من مادة الرياضيات، ولكن بعد تحويل هذه الدرجات(الدرجات الخام) إلى درجات معيارية نلاحظ العكس أي أن أداء التلاميذ كان أفضل في مادة الرياضيات وأن الاختبار مميز ويبرز المستوى الحقيقي لديهم.

الجدول رقم 04: يوضح النتائج العامة لامتحان شهادة البكالوريا لولاية سعيدة

المواد	العدد	المدى	ادني قيمة	أعلى قيمة	المتوسط	الانحراف المعياري	التباين	معامل الاختلاف
رياضيات	5 189	20	0	20	5,7954	3,7662	14,18	0.649
فيزياء	2 625	20	0	20	8,8059	3,5867	12,86	0.407
علوم	2 102	18.5	0	18,50	9,9638	3,8374	14,72	0.385
تكنولوجيا	523	19	1	20,00	12,978	4,2234	17,83	0.325
القانون	828	19.5	,5	20,00	11,088	4,9991	24,99	0.453
تسيير	828	19	1	20,00	9,6407	4,6044	21,20	0.477
اقتصاد	826	20	0	20,00	10,117	4,4222	19,55	0.435
اللغة	5 199	19	0	19,00	10,844	2,6020	6,770	0.240
الفرنسية	5 173	18.5	0	18,50	8,1814	3,3858	11,46	0.413
الانجليزية	5 172	20	0	20,00	8,8235	3,2336	10,45	0.366
اللغة3	416	19	1	18,00	9,9002	2,7929	7,800	0.282
علوم اسلامية	5 194	19.5	0	19,50	11,721	4,0313	16,25	0.344
الفلس	5 173	20	0	20,00	10,215	3,5887	12,87	0.351
رياضة	5 118	20	0	20,00	18,446	2,0408	4,165	0.111
التاريخ والجغرافيا	5 170	20	0	20,00	9,1337	3,2439	10,52	0.355
المعدل	5 274	17.4	0	17,49	9,4562	2,6633	7,094	0.281

من خلال الجدول نلاحظ أن المتوسط الحسابي لمواد البكالوريا تتراوح ما بين 12.97 لمادة التكنولوجيا و05.97 لمادة الرياضيات، مما يعكس أداء أفضل للتلاميذ في مادة التكنولوجيا وأداء اقل في مادة الرياضيات عموما. كما أن مستوى التلاميذ متقارب في القانون والعلوم الإسلامية، الاقتصاد، اللغة العربية، الفلسفة، أعلى قيمة للمدى بلغت 20 لمواد : الرياضيات، الفيزياء، الاقتصاد، الانجليزية الفلسفة والتاريخ والجغرافيا. وأدناها بلغت 18.50 بالنسبة للعلوم الطبيعة والحياة وهذا يدل على تشتت وتباعد مفردات المجموعة عن بعضها البعض مما يعني أن عينة الدراسة متباعدة وغير متجانسة.

عند دراسة التباين نلاحظ أن قيم التباين تراوحت مابين 24.99 عند مادة القانون وأدناها 06.77 لمادة الأدب العربي، حيث كلما اقتربت درجات التلاميذ من المتوسط الحسابي تعطي تباين اقل مما يعكس تجانس بين عينة الدراسة مما يقودنا إلى اعتماد المتوسط الحسابي مؤشر لمستوى الطلاب في هذه الحالة وهذا حال مادة اللغة الثالثة واللغة العربية.

عند دراسة معامل الاختلاف لمختلف مواد الامتحان نلاحظ أن أعلى قيمة لمعامل الاختلاف 0.64 لمادة الرياضيات وأدني قيمة لمعامل الثبات 0.24 كانت لمادة اللغة العربية وهدا يكشف لنا ثبات متباين لمواد امتحان البكالوريا لإختبار الفرضية والتي تنص على أن: "الانحدار معنوي بين المتغير المستقل (المعدل التراكمي) والمتغير التابع (معدل شهادة البكالوريا) دورة جوان 2016 لولاية سعيدة.

الجدول رقم(05) يوضح معامل التحديد R لتأثير المتغيرات المستقلة المعدل التراكمي على معدل شهادة البكالوريا.

Model مصدر التباين	معامل الارتباطR	مربع معامل الارتباط R-deux	مربع معامل الارتباط المعدل R-	الخطأ المعياري	اختبار Durbin-Watson
01	0.700	0.491	0.490	1.88	1,979

يتضح من خلال نتائج الجدول أن معامل الارتباط R قدر ب: 0.70 ومعامل التحديد (مربع معامل الارتباط) قدر ب: 0.491 و معامل التحديد المعدل قدر ب 0.490 أما الخطأ المعياري فقدر ب: 1.88 و قيمة اختبار Durbin-Watson فقدر ب: 1.979 ومنه فإن الارتباط بين المعدل التراكمي ومعدل شهادة البكالوريا لدورة جوان 2016 لولاية سعيدة هو ارتباط طردي قوي وبذلك يفسر المتغير المستقل المتمثل في المعدل التراكمي نسبة 70% من تباين المتغير التابع المتمثل في معدل الشهادة وهي نسبة ذات دلالة معنوية.

معناه أن المتغير المستقل (المعدل التراكمي) يفسر 70 %من التغيرات التي تحدث في المتغير التابع(معدل شهادة البكالوريا)، أي أن 70 %من التغيرات التي تحدث في نتائج امتحان البكالوريا تعزى إلى المعدل التراكمي، والباقي 30 % يرجع إلى عوامل أخرى منها الخطأ العشوائي.

الجدول رقم (06) يوضح تحليل التباين ANOVA لاختبار معنوية نموذج الانحدار بين المعدل التراكمي ومعدل شهادة البكالوريا لولاية سعيدة سنة 2017/2016

المصدر	درجات الحرية	مجموع المربعات	متوسط المربعات	ف المحسوبة F	قيمةsig
الانحدار	1	3639,951	3639,951	1027,955	0.00
الخطأ	1067	3778,209	3,541		
الكلي	1068	7418,160			

من الجدول نلاحظ أن قيمة الاحتمال Sig تساوي 0.00 وهي أقل من مستوى المعنوية 0.05، وبالتالي نرفض الصفري ونقبل الفرض البديل بمعنى أن الانحدار معنوي، أي أن هناك واحد على الأقل من معاملات الانحدار تختلف عن الصفر، وبالتالي توجد علاقة بين المتغير التابع (معدل الشهادة) والمتغير المستقل (المعدل التراكمي) ومنه يمكن القول بأن المتغير المستقل (المعدل التراكمي) قد أضاف تفسيرا جوهريا للتباين في المتغير التابع (معدل الشهادة)، ولتحديد أي من هذه المعاملات تكون معنوية نقوم بإجراء اختبار المعنوية الجزئية للنموذج.

الجدول رقم (07) يوضح معاملات نموذج الانحدار بين المتغير التابع (معدل شهادة البكالوريا) والمتغير المستقل (المعدل التراكمي) لدورة جوان 2016.

المعاملات	قيمة معاملات الانحدار	قيمة إحصائي الاختبار t	قيمة sig
B0 قيمة الثابت	2,793	12,821	0.00
B1 قيمة المجهول	,763	32,062	0.00

تشير نتائج الجدول أن قيمة الاحتمال بالنسبة لقيمة الثابت B0 تساوي 0.00 وهي أصغر من مستوى المعنوية 5% وبالتالي فإننا نرفض الفرض الصفري ونقبل الفرض البديل القائل بأن المقدار الثابت في نموذج الانحدار معنوي. أما بالنسبة ل B1 نجد أن قيمة الاحتمال sig تساوي

0.00 وهي أصغر من مستوى المعنوية 5% وبالتالي فإننا نرفض الفرض الصفري ونقبل الفرض البديل القائل بأن المقدار الثابت في نموذج الانحدار معنوي بين المتغير التابع (معدل شهادة البكالوريا) والمتغير المستقل (المعدل التراكمي).

ومن خلال نتائج الجدول لمعاملات نموذج الانحدار والتي تساعد في الحصول على معادلة خط الانحدار بين المتغير التابع (معدل شهادة البكالوريا) والمتغير المستقل (المعدل التراكمي) والتي تساوي: $Y=B0 +B1X$

$Y=2,793+0,763x$

بالإضافة إلى أنه لا يوجد تعارض بين الشروط النظرية (التقويم التكويني والمتمثل في هذه الدراسة المعدل التراكمي والتقويم التحصيلي المتمثل في نتائج شهادة البكالوريا) ونتائج نموذج الانحدار المقدر للعلاقة بين المعدل التراكمي ومعدل شهادة البكالوريا، وهذا يدل على أنه كل ما تغير المعدل التراكمي للتلاميذ بنقطة يتغير معدل الشهادة ب 76% وعليه فالمعدل التراكمي له دلالة إحصائية على تباين معدل الشهادة لتلاميذ الأقسام النهائية.

وعليه يمكن أن يؤخذ المعدل التراكمي بعين الاعتبار وذلك بتنصيب البطاقة التركيبية في التعليم االثانوي والتي من شأنها إنقاذ التلاميذ الذين يتعثرون في امتحان البكالوريا نظرًا لتعرضهم لظروف معينة أيام الامتحان.

ملخص نتائج الدراسة : من خلال تطبيق الدراسة وتحليل نتائجها تم الوصول إلى نتيجة عامة وهي :

-حسب النتائج العامة لمواد إمتحان البكالوريا، فان أداء التلاميذ كان أفضل في مادة التكنولوجيا وأداء اقل في مادة الرياضيات، حيث بلغت أعلى قيمة للمدى 20 في مادة الرياضيات، الفيزياء، الاقتصاد، الانجليزية و التاريخ والجغرافيا. كما كشفت لنا الدراسة عن ثبات متباين لمواد امتحان البكالوريا وعدم تجانس عينة الدراسة.

المؤشرات الإحصائية حسب الشعب :

شعبة علوم تجريبية: كشفت لنا الدراسة أن أفراد العينة غير متجانسة ومتباعدة داخل هذه الشعبة، ورغم أن نتائج مادة الفيزياء في هذه الشعبة أحسن من نتائج مادة الرياضيات، إلا أن معامل تمييز مادة الرياضيات كان أفضل من معامل تمييز مادة الفيزياء، أي أن أسئلة مادة الرياضيات كانت أكثر تمييزا من مادة الفيزياء.

شعبة الرياضيات: توصلت الدراسة إلى وجود فروق فردية كبيرة بين نتائج التلاميذ في مادة الرياضيات ومعامل ثبات آو اختلاف مادة الرياضيات والفيزياء متساوي مع العلم أنهما مادتان أساسيتان في الشعبة، وان التلاميذ الراسبين في مختلف مواد هذه الشعبة يعانون من ضعف شديد في هذه المواد مقارنة بالتلاميذ الناجحين في امتحان البكالوريا باستثناء مادة الفيزياء.

شعبة تقني رياضي: نستخلص من نتائج الدراسة أن نسبة الكفاءة الكمية للتلاميذ بلغت 09.77 % في مادة التكنولوجيا وهي أعلى نسبة سجلت في نتائج مواد امتحان البكالوريا، في حين سجلت اقل نسبة من الكفاءة الكمية في مادة الرياضيات والتي قدرت ب 14.12 % .

شعبة تسيير واقتصاد: نستنتج من خلال نتائج الدراسة إلى أن أداء التلاميذ كان أقل في مادة الرياضيات فرنسية، انجليزية والفلسفة.

شعبة آداب وفلسفة: كشفت لنا الدراسة أن معامل التمييز بين فئات التلاميذ كان ضعيف في مادة الرياضيات اللغة العربية، الفرنسية، الانجليزية وأضعف أداء للتلاميذ سجل في مادة الرياضيات.

شعبة آداب ولغات أجنبية: توصلت نتائج الدراسة أنه رغم الأداء الأفضل للتلاميذ في مادة الأدب العربي مقارنة بمادة الرياضيات إلا أن معامل تمييز مادة الرياضيات كان أكبر من معامل تمييز مادة اللغة العربية.

- توصلت نتائج أيضًا إلى أن الانحدار معنوي بين المتغير المستقل (المعدل التراكمي) والمتغير التابع (معدل شهادة البكالوريا) دورة جوان 2016 لولاية سعيدة.

خاتمة:

تعتبر هذه الدراسة المعنونة" إقتراح بعض المؤشرات الهامة عن نتائج اختبارات تحصيلية" (امتحان شهادة البكالوريا لدورة جوان 2016/2015 بثانويات ولاية سعيدة - نموذجا-)، كمحاولة للكشف عن بعض المؤشرات الإحصائية(المتوسط، الانحراف المعياري، المدى التباين، معامل الصعوبة، معامل التمييز، معامل الاختلاف، الكفاءة الكمية والفاعلية للمادة الدرجة المعيارية) بالإضافة إلى وجود علاقة بين المعدل التراكمي السنوي ومعدل شهادة البكالوريا، وعليه توصلت مخرجات الدراسة الحالية إلى:

- الانحدار معنوي بين المتغير المستقل (المعدل التراكمي) والمتغير التابع (معدل شهادة البكالوريا دورة جوان 2016 لولاية سعيدة).
- كما توجد عوامل أو مؤشرات أخرى لها تأثير في نتائج امتحان البكالوريا كغيابات الأساتذة والتلاميذ، اقدمية الأساتذة وتخصصهم وشهادة تخرجهم، استقرار الأساتذة والتأطير الإداري، عدد الساعات الضائعة من التدريس، الدروس الخصوصية، حصص الدعم المنجزة، مدى إستغلال وتوفر الوسائل البيداغوجية السمعية البصرية، ومدى وظيفية الهياكل إلى غيرها من العوامل التي لها علاقة بنتائج البكالوريا.

التوصيات: من خلال النتائج المتوصل إليها نوصي بما يلي:

- إعادة النظر في طرق تدريس المواد التي تشكل عائق لدى تلاميذ السنة الثالثة ثانوي.
- إعادة النظر في طريقة بناء الأسئلة في البكالوريا بإدراج الوضعية الإدماجية تماشيًا مع الإصلاحات الجديدة .
- التركيز في عملية تكوين الأساتذة لمختلف الأطوار ومستشاري التوجيه والإرشاد المدرسي على التقويم بأنواعه وأنماطه وذلك بإشراك كفاءات من وزارة التربية والجامعة والمعاهد
- الاستفادة من مختلف الدراسات المحلية والأجنبية التي تخص موضوع التقويم.
- إجراء المزيد من الدراسات على عينات أخرى بمقاربة مختلفة.
- العمل على الكشف عن مستويات التلاميذ الحقيقية وليس التركيز على إرتفاع نقطة التلميذ والانتقال به من مستوى لآخر.
- الاعتماد على المؤشرات المستخرجة في هذه الدراسة في تفسير النتائج والكشف عن كفاءة وفاعلية نظام التعليم الثانوي.

قائمة المراجع:

1. المنجد في اللغة العربية(2010) المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان.
2. ابراهيم عثمان حسن عثمان(2010)، الأسس النفسية والتربوية للقياس والتقويم، كلية التربية جامعة الخرطوم، السودان.
3. بن تونس الطاهر(2014)، الدراسات الوصفية التحليلية التقويمية للمستندات التربوية في مختلف الأطوار التعليمية في ضوء مقاربة بالكفاءات(مقاربة بالكفاءات بين النظرية والتطبيق في النظام التعليمي الجزائري)، عدد خاص بأعمال الملتقى الوطني المنعقد يومي 04-05 ديسمبر 2013، جامعة مولود معمري، تيزي وزو.
4. صلاح الدين محمود علام(2000)، القياس والتقويم التربوي والنفسي وتطبيقاته وتوجهاته المعاصرة، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة.
5. عفاف بنت راضي مشخص اللحياني(2008)، أثر بعض طرق تقدير الدرجات للمفردات على ثبات وصدق درجات اختبار تحصيلي في الرياضيات ذي الاختبار من متعدد لدى طالبات الصف الأول ثانوي

بمكة المكرمة، متطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير في علم النفس، جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية.

6. سعاد جخراب(2010)، التقويم اللغوي طرقه ومعاييره في المدرسة الجزائرية-السنة الخامسة من التعليم الابتدائي عينة، مذكرة من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة.

7. مراد خليل(2011)، دوافع تلاميذ الطور الثانوي(18-16 سنة) نحو ممارسة التربية البدنية والرياضية (دراسة مقارنة بين تلاميذ المدينة وتلاميذ الريف بولاية بسكرة)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التربية البدنية والرياضية)، جامعة منتوري، قسنطينة.

8. يحي علوان(2007)، التقويم والقياس التربوي ودوره في انجاح العملية التعليمية، مجلة العلوم الإنسانية، العدد الحادي عشر، جامعة السابع من ابريل، ليبيا.

9. عيسى بن فرج المطيري(2010)، الكفايات اللازمة للتقويم المستمر بالمرحلة الابتدائية ومدى توفرها لدى معلمي منطقة المدينة المنورة، متطلب تكميلي لنيل درجة الدكتوراه في علم النفس، جامعة أم القرى.

10.عبد الرحمن بن سليمان الطريري(1997)، القياس النفسي والتربوي نظريته أسسه تطبيقاته، ط1، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع الرياض، المملكة العربية السعودية.

11.النشرة الرسمية للتربية الوطنية، القانون التوجيهي للتربية الوطنية رقم 08-04 المؤرخ في 23 جانفي 2008.

العقلانية المحدودة في السوسيولوجيا، نسبية نوايا الفعل الاجتماعي.
Limited rationalism in sociology, relativism of social action.

أ. أوحسين عبد العاطي، جامعة القاضي عياض– المغرب

ملخص: تتجه هذه الورقة البحثية نحو مناقشة أهم مفهوم تناوله السوسيولوجيون المعاصرون، ألا وهو مفهوم العقلانية المحدودة، استعملوه لتوجيه المسار الابستيمولوجي للسوسيولوجيا إزاء الفعل الاجتماعي، الذي اعتبر بأنه فعلاً عقلانياً، من حيث انتقال المجتمعات من المجتمعات التقليدية التي يعتبر فيها الفعل الاجتماعي فعلاً تابعاً وخاضعاً للضمير الجمعي للمجتمع، لا حرية فيها للأفراد في إختيار ما يرغبونه، أي ذلك الفعل الذي يسميه ماكس فيبر بالفعل التقليدي إلى المجتمعات الحديثة التي يكون فيها فعل الأفراد فعلاً عقلانياً، وتكون اختياراتهم نابعة من ذواتهم وبعقلانية حسابية يستبقون فيها نتائج فعلهم، لكن هذه العقلانية حسب السوسيولوجيين المعاصرون ليست مطلقة بقدر ما هي عقلانية محدودة، وترجع جذور هذا المفهوم إلى الفلسفة، حيث كان أن دار نقاش بين الفلاسفة حول ما إذا كان الإنسان حراً فيما يفعله أم أنه خاضعاً لحتميات خارجة عنه، مثلما ترجع جذوره إلى علم الاقتصاد، حيث سبق أن استعمل الاقتصادي الأمريكي هربرت سيمون مفهوم العقلانية المحدودة في دراسته لاختيارات الأفراد داخل التنظيم، وتم اقتباس هذا المفهوم في السوسيولوجيا المعاصرة من علم الاقتصاد لدراسة الفعل الاجتماعي العقلاني، وان اختلفوا السوسيولوجيون في مسمياته، إلا أنه يكتسي معنى واحداً، وهو أن عقلانية الفاعل الاجتماعي عقلانية محدودة، حيث يسميه روبرت كينك ميرتون بالنتائج الغير المتوقعة the unanticipated consequences، ويطلق عليه رايمون بودون مصطلح النتائج الغير المنتظرة effets pervers، بينما يستعمل ميشل كروزييه مفهوم العقلانية المحدودة في دراسته لإستراتيجية الفاعل في التنظيم الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: العقلانية المحدودة، النتائج الغير المتوقعة، الفاعل، الفعل الاجتماعي.

Abstract: This paper aims to discuss the most important concept, this concept is "limited rationality", Which was used by contemporary sociologists to guide the epistemological trajectory of sociology towards social action, which was considered to be a rational act, in terms of the transition of societies from traditional societies in which social action is considered to be subordinate and subject to collective conscience The society, There is no freedom for individuals to choose what they want - That is what Max Weber already calls Traditional action - to modern societies In which the act of individuals is a rational act, and their choices come from themselves and with a rational calculation in which they anticipate the results of their actions, But this rationality is not absolute, As far as it is rationality limited. The origin of this concept refers to philosophy, there was a discussion among philosophers about whether Human is free in what he does or is subject to exogenous imperatives, As the roots of this concept are rooted To economics, where the American economist Herbert Simon used the concept of limited rationalism in his

study of choices and this concept was quoted in contemporary sociology from economics for study the rational social action, If the sociologists differ in their names, they have one meaning, that the rationality of the social actor is limited rationality, where Robert Kink Merton calls the unanticipated consequences, and Raymond Bodon called the term " perverse effects ", while Michel Crozier uses the concept of limited rationalism in his study of the actor's strategy in social organization.
Keywords: Rationalism Limited, Unexpected results, actor, Social action.

مقدمة:

يعتبر مفهوم العقلانية المحدودة في السوسيولوجية المعاصرة تنبيهاً ميثودولوجياً من قبل السوسيولوجيين من تلك الأطروحات التي أرادت أن تجعل من السلوك الاجتماعي للأفراد في المجتمع سلوكاً عقلانياً خالصاً، والذي يكون فيه ما يرغبه الفاعل التوصل إليه أن يتحقق كما ينتظره، وتكون نتيجة فعله تناسب كل ما يقرره ويخطط له، بمعنى أن هذه الأطروحات تسعى إلى تشبيه الأفعال الاجتماعية بخصائص الظواهر الطبيعية والرياضية. وذلك نظراً لتلك التحولات التي عرفتها المجتمعات من حيث انتقالها من المجتمعات التقليدية إلى المجتمعات التي تتسم بالعقلانية، يكون فيها الفرد فاعلاً عقلانياً يقترح ويخطط سعياً إلى بلوغ أهداف خاصة، عكس ما كان عليه في المجتمعات التقليدية، حيث أن الجماعة أو القبيلة أو العشيرة هي التي تحدد للفرد ما يرغبه الضمير الجمعي لهذه الوحدات، ويكون الفرد كياناً يذوب كلياً في هذا الضمير الجمعي، والفرد فيها(الوحدات) يبقى مجرد عنصراً من عناصرها خاضعاً لها، وليس فاعلاً مستقلاً. وفي ظل هذه الثنائية (المجتمع التقليدي والمجتمع الحديث) ذهب إلمام السوسيولوجيون الكلاسيكيون إلى الاهتمام بالتحولات التي عرفتها المجتمعات التي اعتبروها أنها تسير نحو مجتمعات عقلانية، إذ يرى **إميل دوركايم**، أن المجتمعات عرفت تحولاً انتقلت من المجتمعات التقليدية التي فيها ينصهر الفرد في الجماعة التي ينتمي إليها لا مجال فيها للحرية الفردية إلى مجتمعات حديثة؛ من خصائصها الفردانية والتخصص، والكل يسعى نحوى مصالح الفردية في ظل وجود تضامن عضوي بين أفراد المجتمع، مثلما اهتم **فردناند تونييز** بهذا التحول، حيث يعتبر أن كل المجتمعات انتقلت من الجماعة إلى المجتمع الذي يدخل فيه الفرد في علاقات تعاقدية، وفي نفس الطرح تحدث **ماكس فيبر** على أن التحول الذي عرفه المجتمع الغربي أدى به إلى مجتمع عقلاني حديث، وأمام هذا التحول الذي عرفته المجتمعات والذي ينتهي بها إلى مجتمعات عقلانية، وظف مفهوم العقلانية المحدودة la rationalité limité في السوسيولوجيا لهدف اعتبار الفعل الاجتماعي الذي ينتجه الفاعل الاجتماعي ليس فعلاً يتسم بعقلانية مطلقة، حيث أن الأهداف التي يضعها الفاعل أمامه ويسعى نحوها لن تتحقق بشكل مطلق، مما يعني أن الظاهرة الاجتماعية ليست ظاهرة طبيعية أو رياضية التي لا نتحدث فيها عن النسبية، لأن النتائج المنتظرة فيها تتم بشكل مطلق. فعلى سبيل المثال -توضيحاً لمحدودية عقلانية سلوك الأفراد- أن الشخص الذي يقرر الذهاب إلى الحمام يوم الاثنين، حيث فيما يعتقد أنه في ذلك اليوم سيكون عدد ممن سيستحمون فيه قليلاً، لكن أثناء وصوله إلى الحمام وجده غير ما يعتقده في البداية، لأن هذا الاعتقاد لا نجده عند ذلك الشخص فقط، بل عند العديد من الأشخاص، وهكذا إذن يصطدم مع نتائج لم يتوقعها عكس ما ينتظره، مما يعني أن عقلانيته عقلانية محدودة لهذا، وظف السوسيولوجيون مفهوم العقلانية المحدودة بهدف توجيه مسار المعرفة السوسيولوجيا في دراستها للمجتمعات العقلانية، لترسيخ وإثبات أن عقلانية هذه المجتمعات ليست عقلانية مثالية مطلقة بقدر ما هي عقلانية نسبية، حيث

أن ما يقرر الفاعل تحقيقه - رغم كونه فاعلاً عقلانياً مدركاً ووعياً بما يقرر فعله - لا يتحقق بشكل مطلق حيث كلما توصل إلى نتائج إلا ويصطدم بنتائج لم يكن يتوقعها ولم تكن في حسبانه.

أولا: الإرهاصات الأولى في فهم الفعل الاجتماعي من خلال مفهوم العقلانية المحدودة.

يعود أصل ومصدر انبثاق مفهوم العقلانية المحدودة إلى ماضي المعرفة الفلسفية، حيث كان أنْ دار نقاش بين الفلاسفة حول ما إذا كان الإنسان مخيراً في أفعاله ويتمتع بحريته المطلقة، أم انه كائناً مجبراً في أفعاله وخاضعاً لحتميات واكراهات خارجة عن إرادته، دام هذا النقاش الفلسفي كل المراحل التاريخية للفلسفة، وبالأخص منها المرحلة الحديثة، فهي وجهات نظر فلسفية متعارضة حول ما إذا كان للإنسان حرية الاختيار المطلقة في ما يرغب فعله، أم أن حرية الاختيار في أفعاله محدودة من حيث وجوده في وجود الحتميات، فقد انصب اهتمام فلاسفة العقد الاجتماعي على تلك النقلة التي عرفها الإنسان، من حيث خروجه من حياة يتصارع فيه الأنا مع الأخر ويتسابقان نحو المصالح الذاتية بدافع الرغبات والحريات المتزايدة لا حواجز لها ولا حتميات، حالة خوف ودمار إلى حالة تشكيل دولاً بإرادات الأفراد، تضع حواجز لتلك الحرية المتزايدة لتصبح حرية مقننة ومنظمة بقوانين وقواعد في مجتمع تفوض فيه السلطة لصالح شخص أو مجموعة من الأشخاص لتدبير الحياة الاجتماعية للأفراد وضمان الأمن والسلام، إذ يعتبر **طوماس هوبز** أن الإنسان يتمتع بحرية مطلقة في المجتمع الذي يعيش في الحالة الطبيعية، كان فيه للمرء حقاً طبيعياً في أن يفعل ما يحلو له، وهذه الحرية الزائدة والمطلقة أدت إلى الفوضى النابعة من غرائز الأنا، حيث أن الكل يوجه رغباته نحو مصالحه، ونظراً لرغبة الناس الطبيعية في السلام والأمن، والهروب من البؤس والفزع من حالتهم الطبيعية، دفعهم ذلك إلى تأسيس دولة تقوم على الرضا المتبادل وتحافظ على حياتهم الاجتماعية وتنظمها ويحترم فيها القانون(وليم كلي رايت، 2010، ص87–88)، وبهذا تكون حرية الإنسان مقننة ومحدودة، حيث يتعاقد أفراد المجتمع ويتخلون عن حرياتهم الزائدة لصالح الدولة التي تسعى إلى تنظيمها وتقنينها بقوانين لتحد من الفوضى بينهم. وفي نفس المنوال نجد **جان جاك روسو** يعتبر أن الناس يولدون أحرار بالفطرة متساويين في حريتهم، لكن بمجرد دخولهم في الحالة المدنية تحد من حريتهم بقوانين لتصبح حرية محدودة، وفي حديثه عن اختزال الإرادة الخاصة في الإرادة العامة يقول:"هناك غالباً اختلاف بين إرادة الكل (أي إرادة كل فرد) والإرادة العامة، لا تنظر هذه الأخيرة إلا إلى المصلحة المشتركة، بينما الأخرى تنظر إلى المصلحة الخاصة، وليست إلا بمجموع من الإرادات الخاصة: لكن جردوا تلك الإرادات الجزئية عينها من الزوائد والنواقص التي يدمر بعضها بعضاً، تبق في حصيلة فروق الإرادة العامة." (Jean-Jacques Rousseau, 2001, P40)، وفي اتجاه آخر، أكد **باروخ اسبينوزا** أن الإنسان ليس حراً رغم وعيه بحريته الذي يجعله ساقطاً في وهم يخيل له أنه حراً فيما يفعله، هذا الخيال الذي يسكن في حالاتنا العقلية والجسمية، ونجهل الظروف الخارجية، يخفي حقيقة حريتنا، كالحجر، إذا كان لا يعي إلا حالاته الداخلية فحسب، فإنه يفترض أنه يحدد بإرادته الخاصة المجرى الذي يتبعه عندما يلقى إلى أعلى في الهواء (وليم كلي رايت، 2010، ص124)، فإذا كانت رغباتنا توجه تجاه الأشياء المتناهية والطارئة التي لا يمكن أن تشبع على الدوام، فإننا نكون عبيداً للظروف الخارجية وضحايا الأحداث (وليم كلي رايت، 2010، ص125).

اكتفينا هنا بالاقتصار على وجهة نظر فيلسوفي نظرية العقد الاجتماعي **طوماس هوبس وجان جاك روسو**، ووجهة نظر الفيلسوف **باروخ اسبينوزا**، هذا فقط أن نفهم مفهوم العقلانية المحدودة للأفعال الاجتماعية من خلال مفهومي الحرية والحتمية في الأفعال الإنسانية الذي تناولته الفلسفة، مما يمكننا من اعتبار هذا الإشكال الفلسفي أصل مفهوم العقلانية المحدودة، وهذا ليس حال هذا المفهوم فقط، لأن جل المفاهيم والمواضيع التي تتناولها السوسيولوجيا، ليست إلا امتداداً للقضايا

التي تناولها الفلاسفة، غير أن السوسيولوجيا تجعل منها مفاهيم ومواضيع تحاكي الواقع وتجردها من الواقع لتظل أنماط مثالية بتعبير **ماكس فيبر**، مما نخلص أن علاقة السوسيولوجيا بالفلسفة عقلانية دائمة والقول بانفصالها التام عن الفلسفة يجعل منها يتيمة بلا أبويه.

يعد علم الاقتصاد إلى جانب الفلسفة أصل مفهوم العقلانية المحدودة، إذ يعتبر عالم الاقتصاد **هربرت سيمون** أول من صك مفهوم العقلانية المحدودة، ووضح بوضوح ما يعني بالمفهوم رغم انه أول من صك مفهوم العقلانية المحدودة، إلا أن الموضوع كان أن طرح في النقاش علمي فيما قبل كموضوع بدون مفهوم، فقد تناول المفهوم في دراسته للأنشطة التي يقوم بها التنظيم كنسق له أهداف تتماشى والنتائج المنتظرة.

إن الإشكالية التي يطرحها دراسة التنظيم كنسق له أهداف، تكمن في تلك الهوة أو ذلك الفارق بين الأهداف المسطرة من طرف التنظيم والنتائج التي يتوصل إليها بالفعل، والتي قد تكون في بعض الأحيان نتائج غير متوقعة أو نتائج لا تتطابق تماماً ما كان التنظيم يرغب في تحقيقه. وهذا الفرق بين الأهداف والنتائج هو الذي يجعل من عملية اتخاذ القرار، بالنسبة **لسيمون** بمثابة حجر الزاوية في النشاط التنظيمي برمته (لحبيب المعمري، 2009، ص38)، فبما أن "العمليات الإدارية هي عمليات اتخاذ القرار" (herber simon, 1983, p9)، فالتنظيم ليس في حاجة فقط لاتخاذ قرارات صائبة، بل كذلك أن تؤخذ من كل أعضاء التنظيم، إلا أن ذلك يتطلب حداً أدنى من التنسيق والسلطة والمسؤولية والكفاءة والإخلاص للتنظيم. إن استمرارية وتوازن التنظيم رهين بتوفر هذه العناصر الضرورية، غير أن الاهتمام بهذه العملية (أي عملية اتخاذ القرار) قاد **هربرت سيمون** إلى استنتاج أساسي وهو مفهوم العقلانية المحدودة في اختيارات الأفراد. فلكي تكون القرارات منسجمة مع أهداف التنظيم صائبة وفعالة، يتعين على صاحبها أن يقدر بشكل جيد ما هي الاختيارات المتاحة لديه، وما هي الوسائل التي يتوفر عليها للوصول إلى نتائج مرغوبة. وفي هذه العملية يحاول صاحب القرار أن يكون عقلانياً، لكن هذه العقلانية بالنسبة **لسيمون** هي عقلانية محدودة لأسباب وجيهة(لحبيب المعمري، 2009، ص42)، يقوم التنظيم حسب **سيمون** على أسلوبين لتقسيم العمل والتخصص، أحدهما التخصص الرأسي، حيث يقسم العمل على أساس القوة، إذ هناك وظائف أداء ووظائف اتخاذ القرار. فإذا كانت الإدارة العليا تقوم بوضع الخطوط العريضة للسياسة العامة، والإدارة الوسطى تعمل على تحويل هذه السياسات إلى قرارات، بينما تتولى الإدارة الدنيا الإشراف على تنفيذ هذه القرارات، فكلما ارتفعت مكانة الفرد الذي يقوم بتنفيذ هذه القرارات في التنظيم، ازداد إسهامه في اتخاذ القرارات، وقل إسهامه في تنفيذ هذه القرارات داخل التنظيم(طلعت إبراهيم لطفي، 2007، ص115). فالسلوك في التنظيم يعتبر سلوكاً هادفاً، حيث أن الأفراد يشكلون التنظيمات لكي يحققون هدفاً مشتركاً، وبما أن هذا السلوك سلوكاً عقلانياً باعتباره سلسلة متصلة من الوسائل والغايات، فان العقلانية حسب **سيمون** " تنطبق على اختيار البدائل المفضلة تبعا لنظام من القيم يسمح بتقدير النتائج وتداعيات السلوك الذي تم اختياره" (herber simon,1938, p69)، لكن رغم أن السلوك الأفراد داخل التنظيم عقلاني فعقلانيته محدودة بإكراهات البنية الإدارية للتنظيم.

يشكل مفهوم العقلانية المحدودة لدى **سيمون** انتقادا لتلك المقاربات الاقتصادية النيوكلاسيكية التي ارتكزت على فكرة تعتبر أن الفرد له اختيارات عقلانية ويفترض هذه المقاربات أن المقررون لهم وعي كامل بمعلومة عن مختلف الوضعيات الممكنة ونتائجها، مثلما أن متخذين القرار قادرون على تنظيم اختياراتهم المفضلة حسب قواعد القرار المعروفة و المقبولة عند الكل. وعلى نقيض هذه المقاربات النيوكلاسيكية يرى **سيمون** أن الأفراد بعيدين عن امتلاك كل عنصر المعلومة التي تجعل من قراراتهم فعلاً عقلانياً خالصاً، مما يعني أن المعلومة التي يمتلكونها غير كاملة(Rouleau Linda, 2007, p34).

تتطلب العقلانية في اتخاذ القرار بالنسبة **لسيمون** ثلاث شروط:

- المعرفة الكاملة والقدرة على استباق النتائج التي يمكن أن تتمخض عن كل اختيار، وهذا غير ممكن لان الاطلاع على كل المعطيات المحيطة بالقرار والمعرفة المتعلقة بالنتائج المحتملة شيء نسبي.
- نتائج وتداعيات القرار هي أشياء محتملة، وبما أن الأمر كذلك فان الخيال يجب أن يعوض النقص في التجربة، غير أن الاستباق فيما يتعلق بقيمة الاحتمالات التي ينبني عليها القرار يبقى دائما عبارة عن عملية غير مكتملة.
- أن العقلانية تتطلب وتفترض الاختيار بين كل البدائل الممكنة. لكن في الواقع لا يتم الاختيار إلا في إطار عدد محدود من هذه البدائل(لحبيب المعمري، 2009، ص46).

وهكذا، وجهت مقاربة اتخاذ القرار التي أتى بها **هربرت سيمون** لتحليل العمل التنظيمي انتقاداً للمقاربات الكلاسيكية التي اعتبرت النشاط التنظيمي بأنه عمل عقلاني كامل وصارم، إلا أن **سيمون** له وجهة نظر أخرى، حيث يعتبر أن التنظيمات التي لها أهداف يسعى أعضاؤها إلى تحقيقها والوصول إلى النتائج التي يرغبونها، والتي ينتظرونها أن تتحقق على ضوء الأهداف التي وضعوها في اتخاذ قراراتهم ستكون نتائج غير كاملة، لأن الأفراد الذي ينفذون هذه القرارات ليسوا آلات مبرمجة على فعل ما يؤمرون به، بل لهم اختيارات قد تكون مخالفة لما يرغبه صناع القرار داخل التنظيم، وبهذا تبقى عقلانية السلوك التنظيمي عقلانية محدودة وليست كاملة. ويمكن أن نعتبر هذه النظرة للسلوك التنظيمي من طرف **هربرت سيمون** بمثابة التوفيق بين نظرية العلاقات الإنسانية التي تعتبر أن السلوك التنظيمي غير عقلاني ونظرية التنظيم العلمي والإداري للعمل التي تعتبر أن الفرد، ليس إلا أداة داخل التنظيم وتعتبر السلوك التنظيمي بأنه يتميز بالعقلانية الكاملة في تحقيق الأهداف المخطط لها. وقد أثرث هذه المقاربة على السوسيولوجيا المعاصرة، حيث استمد السوسيولوجيون مفهوم العقلانية المحدودة بغية اعتبار أن الأفعال الاجتماعية ليست أفعالاً عقلانية تتميز بالعقلانية المطلقة، بل هي أفعال تتميز بالعقلانية المحدودة، لأن الفعل الاجتماعي لا يؤطره القانون الطبيعي لكي نقول أن عقلانيته عقلانية مطلقة.

ثانياً: العقلانية المحدودة في علم الاجتماع في مرحلته المعاصرة.

1. إستراتيجية الفاعل الأهداف الغير المتوقعة من التنظيمات الاجتماعية.

إن الحديث عن التنظيم كنسق يسعى إلى تحقيق أهدافه واعتباره تنظيما مشكلنا يتميز بالطابع البيروقراطي العقلاني من حيث وجود قواعد صارمة ومعايير وقوانين تنظيمية تحدد الأهداف والوسائل التي عبرها يسير الفاعلين للوصول إلى نتائج - كما ادعى بذلك رواد مدرسة التنظيم العلمي والإداري للعمل الذين جعلوا من التنظيم نسقاً عقلانياً مغلقاً- ليس نسقاً خالياً من السلوك الاجتماعي الناتج عن العلاقات الاجتماعية لنقول عنه انه تنظيماً عقلانياً بالكامل يحقق كل الأهداف التي يسعى إليها، فإنفتاح الدراسات السوسيولوجية على الاجتماعي والثقافي في التنظيم، هو ما أدى بالمقاربات السوسيولوجية المعاصرة إلى اعتبار عقلانية السلوك التنظيمي عقلانية محدودة، وهذا ما استنتجته نظرية الفاعل الاستراتيجي عند **ميشيل كروزي** Michel Crozier **وارارد فريدبيرك** Erhard Friedberg مستعيدين نظرية العالم الاقتصادي **هربرت سيمون**.

إن الفكرة الأساسية التي بنيت عليها هذه المقاربة؛ هي اعتبار التنظيم كنسق سياسي مبني على علاقات السلطة بين فاعليه، وقبل تناول السوسيولوجيين (كروزييه وفريدبيرك) مفهوم العقلانية المحدودة لدراسة السلوك التنظيمي للتنظيم، بدؤوا باعتبار أن الفعل الجماعي l'action collective ليس ظاهرةً طبيعية، بقدر ما هو بناء اجتماعي (Michel Crozier et Erhard Friedberg, 1977, p13).

تناولت هذه المقاربة التنظيم كنسق يكون فيه الفاعل فاعلاً استراتيجياً في اختياراته، انتقاداً لتلك المقاربة التي تعتبر الفاعل في التنظيم كآلة (نظرية التنظيم العلمي والإداري للعمل)، ومقاربة **ماكس فيبر** الذي يعتبر السلوك التنظيمي سلوكاً عقلانياً موجهاً بالأهداف. فقد اختزلت هذه المقاربة التنظيم من شموليته إلى جزئياته، حيث آلت الاهتمام للفرد كفاعل في التنظيم له اختياراته وحريته الخاصة، لكن هذا لا يعني أنها حبيسة النظرة الماكروسوسيولوجية للتنظيم أو النظرة الميكروسوسيولوجيا، بل تتوسط بين هاتين النظرتين، حيث يوضح هذا البراديغم التحليلي العلاقة بين الفاعل والنسق. وعلى ذلك؛ تعتبر هذه المقاربة أن " في كل التنظيمات يستعمل الفاعل ويحافظ دائماً على هامش من الحرية" (Michel Crozier et Erhard Friedberg, 1977, p36)، وكل عضو في التنظيم تحركه أهداف خاصة به يعمل على تحقيقها من خلال الاكراهات التي تواجهه. فهو إذاً لا يتقبل بشكل سلبي ما هو مطلوب منه، لأن الأمر لا يتعلق بمؤسسة دينية أو جمعية التي يكون فيها الفاعل متطوعاً. فلا يمكن للتنظيم أن يراقب ويضمن تحقيق أهدافه بشكل مطلق، حيث لابد من بروز مناطق لايقين zone d’incertitude التي لم يكن يتوقعها التنظيم، والناتجة عن السلوك الفاعلين الذين يتمتعون بهامش من الحرية، ويدخلون في تفاوض حول السلطة فيما بينهم من جهة، وبين النسق من جهة أخرى. فالفاعل في التنظيم لا يسعى إلى تحقيق أهدافه الخاصة بشكل لاعقلاني بقدر ما يستعمل إستراتيجيته الخاصة التي تمكنه من ذلك، باعتبارها (أي الإستراتيجية) مجموعة متناسقة من السلوكات التي يعتمدها الفاعل بهدف الوصول إلى مصالحه، فالإستراتيجية تتوجه بالرهانات ومناطق لا يقين المراقبة من طرف الفاعل الاجتماعي، ومع ذلك، كل إستراتيجية تكون عقلانية في أعين الفاعل الذي يستعملها، ويمكن للفاعل حسب ما يتمتع به من حرية وخبرته أو وضعيته الإستراتيجية أن يمارس ضغطاً على التنظيم عبر إستراتيجيته عدوانية offensive هذه الإستراتيجية لا تهدف إلى أهدافها بشكل عشوائي بل بمنطقه الاستراتيجي raisonnement stratégique ، وهكذا فكل فرد داخل التنظيم هو عبارة عن فاعل يتصرف بحرية لتحقيق أهدافه الشخصية بالدرجة الأولى. يستعمل الموارد التي يتوفر عليها بالطريقة الأنسب نظراً للاكراهات الظرفية التي يوجد فيها. والإستراتيجية التي ينهجها الفرد داخل التنظيم هي إستراتيجية يمكن وصفها بالعقلانية، لكن هذه العقلانية ليست مطلقة، بل هي عقلانية محدودة ومحتملة. إذ أن الفاعل في التنظيم يواجه دائماً اكراهات معينة، تجعله غير قادر على بلوغ أحسن حل ممكن (لحبيب المعمري، 2009، ص119).

ومن هنا يمكن اعتبار أن هذه المقاربة تقوم على مبادئ تؤكد أن:

- الفاعل في التنظيم هو عبارة عن كائن استراتيجي يستعمل هامش الفعل الذي تتيحه له وضعيته في التنظيم.
- أنه كائن عقلاني، لكن عقلانيته محدودة.
- أن السلطة في التنظيم ليست صفة بل هي عبارة عن علاقة تبادل يتم التفاوض حولها.
- أن التفاعل بين الأفراد يؤدي إلى بناء نسق من الفعل (Philippe bernoux, mars 1998, p13-14).

وهكذا تجاوزت نظرية الفاعل الاستراتيجي تلك النظرة التي تعتبر التنظيم بأنه عقلاني وتنظيم شكلي formelle وتلك النظرة الأداتية الآلية للتنظيم لإعطاء مكانة لدراسة السلوك اللا شكلي في التنظيم، والفرد كفاعل له اختياراته الخاصة ويتمتع بهامش من الحرية يسعى إلى تحقيق أهداف التنظيم وتحقيق مصالحه الخاصة حسب وضعية إستراتيجيته، فالفرد في التنظيم كائن عقلاني لكن عقلانيته محدودة. كما يشمل التنظيم ما هو شكلي من قواعد ومعايير تنظيمية، وما هو لا شكلي الناتج عن العلاقات الاجتماعية والسلوكات التي لا تتماشى والأهداف التي يخططها

التنظيم، مما يعتبر التنظيم بصفة عامة تنظيماً عقلانياً عقلانيته محدودة، حيث لن يحقق أبداً- لا النسق التنظيمي ولا الفاعل- الأهداف التي يسعيان إلى تحقيقها، بقدر ما يتوصلان إلى نتائج نسبية، إذ أن النسق التنظيمي يواجه دائماً مناطق اللا يقين التي لم يكن يتوقع ظهورها، مثلما أن الفاعل لا يتوقع تلك الاكراهات والحتميات التي تحول دون أن يحقق ما يرغبه بشكل كلي وكامل.

2. روبيرت ميرتون: النتائج الغير المتوقعة واثبات العقلانية المحدودة في الظاهرة الاجتماعية.

حاول **ميرتون** أن يتجاوز التحليل الوظيفي للظاهرة الاجتماعية منتقداً أطروحة الوحدة الوظيفية للمجتمع التي يزعم بها رواد النظرية البنائية الوظيفية (تالكوت بارسونز، مالينوفيسكي، رادكليف براون)، حيث يعتبرون أن المجتمع دائم الاستقرار والتوازن الناتج عن الوظائف التي يساهم بها كل نسق وعنصر بالمجتمع، **فميرتون** بالرغم من انتمائه إلى هذا الاتجاه النظري ابتدع مفاهيم جديدة حيث كالعائق الوظيفي dysfonction والوظائف الظاهرة والوظائف الكامنة الغير الظاهرة fonctions manifestes et latent ليعتبر أن المجتمع ليس دائماً في استقرار وتوازن، مثلما للوظائف معوقات وظيفية والوظائف الاجتماعية لا يراها كل أفراد المجتمع بأنها وظيفية، حيث أنها قد تكون وظيفية بالنسبة لبعض الأفراد والجماعات الفرعية وغير وظيفية بالنسبة لغيرها (Robert K. Merton, 1957, p27) لهذا يشير **ميرتون** إلى عدم صحة الافتراض بتعلق الوظائف بالمجتمعات ككل. فإذا كان الدين حسب **دوركايم** يؤدي وظيفة التكامل والترابط في المجتمع باعتبار الذين من الأطر المرجعية للمجتمع التي تؤدي بإدماج الفرد في المجتمع وإخراجه من ذاته ليرتمي إلى أحضان المجتمع، فكيف للدين على سبيل المثال حسب **ميرتون** أن يساهم في عملية تكامل المجتمع في المجتمعات متعددة الأديان؟ ويستمر في التساؤل عن وظيفة الجهاز السياسي في المجتمع، كيف يستطيع (الجهاز السياسي) الاستمرار في العمل مع وجود مجالات أخرى تصطدم فيها بالأعراف وفي بعض الأحيان بالقانون؟ هكذا يرغب **ميرتون** أن يتخذ البحث السوسيولوجي وحدة اجتماعية لدراستها وليس المجتمع في شموليته، حيث أن المجتمع ليس وحدة متكاملة بقدر ما هو مجموعة من الوحدات المختلفة، فذلك حل وسط بين الأحادية المجتمعية التي يتبناها **بارسونز**، والتنوع الذي لابد أن يترتب على جعل جماعات أو مؤسسات معينة وحدة للتحليل (مجموعة من الكتاب، ترجمة عالي الصاوي، 1997، ص291)، وعلى هذا سميت نظرية **ميرتون** بنظرية المتوسطة المدى.

أمام هذا التنوع الموجود في المجتمع الذي يجعل من الأفعال الاجتماعية وظيفية بالنسبة للبعض وغير وظيفية بالنسبة للغير، انتقل **ميرتون** إلى مساهمة أخرى، وهي أن الوظائف يمكن أن تكون وظائف ظاهرة أو وظائف كامنة خفية غير ظاهرة. ينبني تمييز **ميرتون** بين الوظيفتين على مستوى النتيجة. فالوعي والنية هما اللذان يميزان الوظيفة الظاهرة عن الوظيفة الخفية، إذ تشير الوظائف الظاهرة إلى " تلك النتائج الموضوعية التي تسهم في توازن أو تكيف النظام، وتكون مقصودة ومعترفا بها من جانب المشاركين في النظام، أما الوظائف الكامنة، على العكس من ذلك، فهي تلك النتائج الغير المقصودة ولا المعترف بها". فعلى سبيل المثال إذا كانت نتائج الفعل الإجرامي بالنسبة للمجرم وظيفة ظاهرة مقصودة، تكون نتائجه بالنسبة للمجتمع وظيفة كامنة غير مقصودة ولم يتوقع المجتمع حدوثها، فأفعال الوظائف الكامنة يكون سببها وهدفها من جانب الفاعل مخالفا لما سيتوصل إليه من نتائج، مما تظل نتائج غير متوقعة رغم وعيه بالأهداف التي يسعى إليها، وعلى هذا، وبصدد الحديث عن الوظائف الكامنة يمكن اعتبار أن

عقلانية الفاعل الذي يسعى إلى أهدافه المرغوبة عقلانيته محدودة حيث أن نتائج فعله ستكون نتائج غير مقصودة من جهته.

تحدث **ميرتون** في مقال له عن النتائج الغير المتوقعة the unanticipated consequences of purposive social action تجاوزا وانتقادا لماكس فيبر الذي تبنى التنظيم البيروقراطي العقلاني الصارم في دراسته للتنظيمات الاجتماعية، إذ طرح **ميرتون** فكرة مهمة في مقاله النتائج الغير المتوقعة، تصطدم بعدم تطابق النموذج العقلاني للبيروقراطية مع حقيقة ما يجري في الواقع، يتحدث عن النتائج الغير المتوقعة للقرارات التي تصدر عن الإنسان، وبصفة عامة لكل الأفعال الاجتماعية المقصودة، والتي تجعل من عقلانية **فيبر** شيئا لا ينسجم تماما مع الواقع. وعلى ذلك، لا يجب حسب **ميرتون** أن يتصف الفعل الهادف بالعقلانية الكاملة أو المطلقة للفعل الإنساني من حيث اعتبار أن الأشخاص persons يستعملون دائما الوسائل الأكثر ملائمة على نحو فعال للوصول إلى أهدافهم أو نهايتها their end، وإذا كان المرء يتصرف بعقلانية باختيار الوسائل على أساس الوضعية المتاحة للوصول إلى نهاية نتائج أهدافه، فإنها نهاية محدودة، لديه اكبر احتمال للتحقيق هدفه، أو قد لا يصل للهدف الذي يرغبه، حيث تصبح النتائج التي توصل إليها نتائج غير مرغوب فيها(R. Merton, 1936, p849-904) ويقترح **ميرتون** منهجيا، الاهتمام بأسباب نتائج الفعل الاجتماعي، حيث من خلالها يمكن أن يتبدى أن النتائج المحققة غير متوقعة، والتي قد تكون نتائج ايجابية أو سلبية، فعلى سبيل المثال من الأسئلة التي قدمها **ميرتون**: إلى أي حد أحدثت الزيادات الأخيرة في الإنتاج الاقتصادي في هذا البلد بسبب التدابير العقلية الحاكمة؟ إلى أي حد يمكن إسناد انتشار الجريمة المنظمة إلى الحظر prohibition ؟ يجب تحليل هذه الإشكالات من خلال أسبابها بارتباطها بنتائجها وذلك بدراسة أمبيريقية (R. Merton, 1936, pp849-904).

3. ريمون بودون، العلاقة بين نوايا الأفراد واثر التجميع: الخروج من وهم العقلانية المطلقة إلى عقلانية محدودة في الأفعال الاجتماعية.

اقترح **رايمون بودون** منهجية جديدة للتعامل مع الظواهر الاجتماعية في السوسيولوجيا التي تبدأ بالأفعال الفردية كوحدة للتحليل وتنتهي بمجوع هذه الأفعال التي تشكل في النهاية ظاهرة اجتماعية فدراسة أي ظاهرة من الظواهر الاجتماعية حسب **بودون** يجب العودة إلى أجزاء هذه الظاهرة أي الأفعال الفردية مما يسمي هذه المنهجية التي تمت الصلة بماكس فيبر بالمنهجية الفردانية l'individualisme méthodologique كمنهجية تتخذ الأفراد وتحركاتهم نقطة الانطلاق بهدف فهم الظواهر الجماعية. فالأفراد لهم اختياراتهم الخاصة التي تتأسس على الأسباب الخاصة، وبتجمع هذه الاختيارات مع بعضها البعض تتولد الوقائع الاجتماعية، مما يعني أن السوسيولوجيا تفسر الظواهر الاجتماعية من خلال تركيبة الاختيارات أو الاعتقادات العقلانية للأفراد، بالمعنى الذي لها أهداف واعية وتناسق للأفراد (Frédéric Lebaron, 2009, p69).

هكذا تشكل مجموع الأفعال الفردية اثر التجميع effet d'agrégation هذا الأثر لم يعي به الأفراد رغم وعيهم باختياراتهم الخاصة، إذ يقول **بودون** بصدد حديثه عن اثر التجميع: " الاعتقاد الجمعي la croyance collective هو أثر تجميع الاعتقادات الفردية les croyances individuelles الناتجة عن نظام من الأسباب" (Raymond Boudon,2003, p69)، مع ذلك يجب الأخذ بعين الاعتبار نوايا الأفراد والنتائج الغير المتوقعة أو الغير المرغوبة effet pervers، إذ تتابع هذه النظرية كل نتائج السلوك ونوايا الأفراد التي تنتج الظاهرة الاجتماعية باعتبارها نتائج لم يبحث عنها الفاعلين نتيجة تجميع سلوكهم (Pierr Ansar, 1990, p85)، إذ يقول **بودون** أن أثر التجميع أو إثر الانبثاق effet

d'émergence هي إذن نتائج لم يبحث عنها فاعلين نظام ما والتي تنتج عن وضعيتهم المستقلة » (R. boudon, 1979, p119). ويضيف قائلا : "يتواجد الفاعلين في نسق مستقل الذي تتشكل منه البنية structure بمساهمة وإنتاج أفعال التي لم يبحثون عنها ولا ينتظرونها " (R. boudon, 1979, p123). هكذا إذن تبقى مجموع الأفعال الفردية التي تنتج الظاهرة الاجتماعية نتائج غير منتظرة ولا هي متوقعة من طرف الفاعلين، "يمكن القول، أن هناك أثر غير متوقع، عندما يكون فردين أو أكثر في البحث عن أهداف التي تنتج في مجموعها حالة أشياء لم يبحث عنها وغير مرغوب فيها سواء في نظر كل فرد وسواء في نظر احد الأفراد" (R. boudon, 1977, P20). فإذا كان كل فاعل له اختياراته الخاصة يقترح ويخطط لما يريد الوصول إليه بشكل واعي ومستقل عن الآخرين، كل هذه الاختيارات الفردية تجتمع لتشكل في نهاية واقعة اجتماعية ونتيجة تكون غير متوقعة وغير مرغوب فيها من طرف الفاعلون، بهذا يكون الفرد الذي يخطط في البداية لما يريد الوصول إليه فاعلاً عقلانياً، لكن عقلانيته محدودة بفعل اصطدامه بنتائج اثر التجميع لكل الأفعال الفردية التي قد تحد من اختياراته ورغباته، لأنه يخطط لمصالحه دون وعيه وإدراكه لما يخطط له الآخرين وفي الأخير تكون حصيلة مجموع الأفعال والسلوكات واختيارات الأفراد نتيجة لم يستهدفونها وغير مرغوب فيها، فمفهوم الأثر الغير المتوقع والغير المرغوب فيه نجده كذلك حسب **بودون** عند العديد من السوسيولوجيين بما فيهم **ميرتون** الذي يصطلح عليه بالنتائج الغير المنتظرة les conséquences inattendues (Yao assoga, 1999, p77).

إذاً فإن الإنسان السوسيولوجي l'homo sociologicus لديه دائما نوايا وأسباب، أو المحفزات التي تدفعه إلى فعل ما ينوي فعله، والذي يسمى في العلوم الإنسانية بمسلمة عقلانية الفاعلين الاجتماعيين، مما يعني أن الفعل الإنساني عقلاني حيث يسعى إلى نتائج منتظرة وكانت في الحسبان des fins compatibles وذلك من خلال معطيات وضعيته، فإن هذا الإنسان السوسيولوجي homo sociologicus حسب **ريمون بودون** هو فاعل عقلانيته محدودة أو نواياه محدودة (Yao assoga, 1999, p85). ففي الحقيقة يجب أن نسلم بأن عقلانية الفاعل ليست عقلانية مطلقة، بل هي عقلانية نسبية، لأن الفاعل يوجد في عالم اجتماعي يتعدد فيه الفاعلين وتتعدد فيه النوايا، والهدف الذي يسعى إليه الفاعل الواحد هو هدف العديد من الأفراد، أي هدف واحد ومصالح مختلفة ومتناقضة تتجه نحوه، مما تعتبر عقلانيته محدودة.

خاتمة:

يظهر من خلال هذه القراءات النظرية التي عرضنها فيما سبق أن السوسيولوجيون المعاصرون وجهوا المسار الابستيمولوجي للسوسيولوجيا إلى وجهة جديدة، إذ يؤكدون على الإجماع، أن رغم الانتقال الذي عرفته المجتمعات البشرية من المجتمعات التقليدية إلى المجتمعات الحديثة العقلانية وبروز التنظيمات الاجتماعية الحديثة، ويكون الفرد فيها فاعلاً عقلانياً في سلوكاته واختياراته، يربط بين أسباب فعله ونتائجه، فإن عقلانيته عقلانية محدودية، حيث قد يصطدم بنتائج لم يكن يتوقعها أو قد تكون نتائجه منتظرة أو يحققها نسبياً، لأنه ليس إلا بفرد ضمن أفراد المجتمع، فما يرغب فيه وما هو هدفه يكون محط رغبة الآخرين. وأمام هذه الانتظارات والاختيارات والرغبات المتعددة اتجاه هدف واحد تكون عقلانية كل فاعل عقلانية محدودة.

قــائــمــة المراجع:

1. طلعت ابراهيم لطفي(2007)، علم الاجتماع التنظيم، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.
2. لحبيب معمري(2009)، التنظيم في النظرية السوسيولوجية، منشورات ما بعد الحداثة، فاس، المغرب.

3. وليم كلي رايت(2010)، تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة محمد سيد احمد، الطبعة الأولى، التنوير للنشر، بيروت، لبنان.

4. Frédéric Lebaron(2009), la sociologie de A à Z: 250 mots pour comprendre la sociologie, Dunod, paris.

5. herber A.t simon (1983), administration et processus de décision, economica paris.

6. Jean-Jacques Rousseau (2001), Du contrat Social ou principes du droit politique, Mozambook .

7. Michel Crozier et Erhard Friedberg (1977), l'acteur et le système : les contraintes de l'action collective, éditions de seuil.

8. Pierr Ansar (1990), les sociologies contemporaines, troisième édition, édition du seuil.

9. Philippe bernoux (1998), « A quoi sert la sociologie des organisations ? » sciences humaines, n° 20.

10. Raymond Boudon (2003), *Raison. Bonnes raisons*, PUF, Paris.

11. Raymond boudon (1979), la logique du social : introduction à l'analyse sociologique, Hachette, Paris.

12. Raymond boudon (1977), effets pervers et ordre social, PUF, Paris.

13. Robert K. Merton (1957), "Manifest and Latent Functions," in Social Theory and Social structure(Glencoe, III.: Free Press.

14. Robert. K. Merton (1936), "the unanticipated consequences of purposive social action", American sociological Review, Vol. 1, No.6.

15. Rouleau Linda (2007), Théories des organisations: approches classiques, contemporaines et de l'avant-garde, P.U.Q, Québec, Canada.

16. Yao assoga (1999) , la sociologie de raymond boudon, les classiques des sciences sociales, Québéc, Canada.

سياسة الأرض وعوائق التنمية المحلية
Land policy and obstacles to local development

أ. نادية صبري، جامعة محمد الخامس- المغرب

ملخص: ينطلق هذا البحث كغيره من البحوث الأكاديمية من سؤال نظري حول التنمية في المجتمع القروي المغربي والعوائق التي تحول دون تنمية القطاع الفلاحي خاصة إذا ما اعتبرنا أن سياسة الدولة المغربية متجهة أساسا نحو تنمية العالم القروي لما يعرفه من إشكالات ورهانات كبرى، ويأتي في هذا المقال لمسألة الجانب العقاري في التنمية البنى العقارية للأرض في مجتمع البحث منطقة "بومالن دادس" إقليم تنغير جهة درعة تافيلالت نموذجا لما تعرفه الواحات المغربية من نسب متدنية في التنمية، طرق استغلال الأرض وصولا إلى الأرض كطبيعة إيحائية رمزية ثقافية يضفيها له الإنسان القروي الذي يرتبط بالأرض، فقد طرحنا فرضية مفادها أن الثقافة بالمعناه الانتروبوجي تقوم بدور مهم في التنمية فهي محفزة وفاعلة في التنمية أم تشكل عائق كبير في تحقيقها وحجر عثرة في سيرورة الإنسان.

الكلمات المفتاحية: الأرض أنثروبولوجيا، التنمية، الفلاح القروي.

Abstract: This research, like other academic research, stems from a theoretical question about the development of the Moroccan rural society and the obstacles that hinder the development of the agricultural sector, especially if we consider that the policy of the Moroccan state is mainly directed towards the development of the rural world for the known problems and major scandals. Real Estate Development in the Research Community The Boumaln Dades Region of Daraa Tafilalet is a model of what Moroccan oases know of low rates of development, ways of exploiting the land and reaching the land as a symbolic cultural symbolism given to it by the rural man who We have put forward the hypothesis that culture in the sense of interrogee plays an important role in development, it is a catalyst and an effective development or a major obstacle in achieving it and a stumbling block in the human process.

Keywords: land Anthropology, nature, evolution, rural peasant.

مقدمـــــة:

انطلق هذا البحث في طرح سؤال نظري يقلق صاحبه ما الذي يحول دون تنمية الفلاحة القروية في المغرب؟ ما هي حدود ارتباط الإنسان بالأرض ثقافيا، أنثروبولوجيا،اجتماعيا، بل كذلك اقتصاديا باعتبارها المورد الرئيسي للساكنة المحلية، وقد تعتمد عليه الحياة التقليدية للمجتمع القروي المغربي عامة والمجتمع الواحي خاصة، لكن هل سنؤمن بهذه العلاقة التقليدية القائمة بين الإنسان والأرض أو أن هناك تحولات عرفتها هذه العلاقة مع العلم أن هناك عوامل خارجية ،وتطورات عرفتها المنطقة خاصة في الآونة الأخيرة لهذا انطلق هذا البحث ليناقش أهم بوادر التحولات التي عرفها المجتمع خاصة في ظل التنمية المحلية التي تعتبر من رهانات المجتمعات السائرة في طريق النمو، لهذا فالسياسات التنموية التي إعتمدها المجتمع المغربي يصب اهتمامها على المجتمع القروي لما يعرفه من إختلالات على مستويات عدة فبالرغم من وصول الماء والكهرباء أو حتى صبيب الإنترنيت إلى مجمل مناطق القروية التي من الصعب أن نفصل مابين المدن والقرى اليوم، وتحول مناحي الحياة، إلا انه مصدر الأول لنسب مهمة من الهجرة إلى الضفة الأخرى، أو داخل المغرب، التي بدورها نتاج لمجموعة من المشاكل للمدن المستقطبة للهجرة منها دور الصفيح ، ظهور مجموعة من الظواهر الانحراف، الجريمة إلى أخرى.

لماذا لا نعيد طرح سؤال الأرض وعلاقته بالإنسان به كمقاربة ثقافية أنثروبولوجية جديدة في التنمية المحلية وهي مقاربة الأرض والاهتمام به لا من حيث طرق توزيعه وكذا أنماط استغلاله، والبنية العقارية للأراضي التي بقيت تطرح عائق أمام تنمية المجتمع القروي في مجمل مناطق المغرب، باعتبار الأرض ظل يشكل المورد الاقتصادي لمجمل الساكنة القروية المغربية.

أولا:مجتمع الدراسة وخصائصه الطبيعية والبشرية:

1.الإطار الجغرافي: تقع الجماعة الحضرية بومالن دادس[1] داخل نفوذ باشوية بومالن دادس عمالة وإقليم تنغير التابعة جهويا إلى جهة إلى جهة درعة تافيلالت، ففي سنة 1964 كانت للجماعة صفة مركز قروي، لترتقي بعدها إلى مستوى البلدية بمقتضى المرسوم رقم 2.92.468 الصادر سنة 1992 والذي تم تغييره وتتميمه في نفس السنة بالمرسوم المتعلق بتحديد قائمة الدوائر والقيادات والجماعات الحضرية والقروية.

تحد بلدية بومالن دادس من الناحية الشرق والشمال والجنوب جماعة ايت يول ومن الناحية الغرب فتحدها جماعة سوق الخميس دادس كما تمر منها الطريقة الوطنية رقم 10 الرابطة بين ورزازات والراشدية والطريق الجهوية رقم 704 المؤدية إلى امسمرير.

إنطلاقا من هذا التحديد يمكن القول: أن واحة دادس تقع بين مناطق طبيعية وبشرية مهمة، هكذا تحيط بها قبائل أيت عطا من الشمال الشرقي ومن الشمال الغربي قبائل ايت مرغاد وأيت حديدو ومن الجنوب الغربي قبائل امكون وامغران وكلها قبائل غالبا ما كانت تصطدم فيما بينها عبر التاريخ.

2.الإمكانات الطبيعية: إن انفتاح المنطقة على المؤثرات الصحراوية الجافة ثم امتداد الأطلس الكبير من الناحية الغربية ومنع تسرب المؤثرات البحرية التي وان تسربت فإنها تمتص من طرف الرياح الصحراوية بالإضافة إلى الارتفاع والقارية كلها عوامل جعلت مناخ المنطقة مناخا شبه صحراوي يتميز بقلة التساقطات وعدم انتظامها، ذلك تتميز منطقة بومالن دادس بمناخ شبه

---

[1]- اسم بومالن دادس من أصل تسمية امازيغية وهي مركبة على الشكل التالي بولمل دادس يعني صاحب مال دادس أي بمعنى اخر مكان تركز المال بمنطقة دادس والمال هنا مرتبط بقطعان الماشية وكل ما يتعلق بالمواد الغذائية (شاي ,سكر،حبوب) التي يتم بيعها وشرائها في سوق بومالن دادس من طرف ساكنة المنطقة قديما (رواية شفوية).

قاري يتسم بالحرارة المرتفعة في فصل الصيف حيث تبلغ ما بين 38و42 في بينما البرودة في فصل الشتاء تنزل إلى -3 في شهر يناير ونظرا لبعد المنطقة عن المؤثرات البحرية التي تساهم في تلطيف الجو، فهي منفتحة على الجهة الشرقية التي يسود فيها مناخ قاري.

3.الإمكانات البشرية:

أ.التركيبة الاثنية للمجال: ارتبط استقرار بعض القبائل أيت عطا، الذين ينحدرون من قبائل صنهاجة الصحراء بواحة دادس، بالأزمة التي عرفتها المناطق الجنوبية عموما بين القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين ونتائجها على هذه المناطق المجاورة لها، فهذه القبائل التي كانت تعيش على الترحال بجبل صاغرو والأطلس الكبير الشرقي لها علاقات تبادل حيوية مع المستقرين بهذه الواحات، حيث كانت قبائل الرحل تأتي للوحات قصد ترويج منتجاتهم من صوف وجلود وكذا للحصول على حاجياتهم من المواد الزراعية كالحبوب والثمر، إضافة إلى استعمالها لمجالات الواحات للتنقل بين مراعي الصيف والشتاء.

غير أن هذه العلاقات تأثرت بعدة عوامل منها ظهور القبائل العربية المعقلية بالجنوب المغربي مع نهاية القرن الرابع عشر الميلادي فرض سيطرتها على المستقرين بها، حيث استقرت بعض عائلاتها بهذه المناطق. فقبائل ايت عطا انطلقت في عمليات واسعة لتركيز مجالات وجودها وكذا محاولة توسعيه باتجاهين مختلفين، باتجاه الشمال حيث الجبال الأطلسية بمروجها الخضراء وباتجاه الجنوب، حيث الواحات المعروفة بالزراعة والاستقرار، حيث انتشروا في المجالات الممتدة بين خط واحات دادس وتودغى فركلة وغريس شمالا وتافيلالت والدوارة شرقا ودرعة غربا، بالإضافة إلى تواجد جماعات لهم بكل من اسكيس وأمسمرير بعالية واحة دادس وكذلك بأزيلال وزاوية أحنصال وواويزخت بالأطلس المتوسط (Georges SPILLMAN, 1936).

ينتمي ايت عطا درعة إلى قبائل صنهاجة البربرية ويسمون كذلك بأيت عطا الصحراويين قبل استقرارهم النهائي بدرعة كانوا يتعاطون الانتجاع بين جبال صاغرو والصحراء بل إن هناك عدة فخدات وقبائل تارة تستقر وأخرى تطرد إما من طرف المخزن أو العناصر الاجتماعية المنافسة لهم"(عبد الكبير باهني، 1992، ص285).

تتميز القبائل الامازيغية المغربية وخاصة القبائل العطاوية بمميزات يمكن إجمالها في عدد من الخصال والميزات الفريدة كالتضامن والتلاحم والتآزر، فمن خلال الرجوع الى الدراسات التي تناولت القبائل المغربية خاصة قبائل أيت عطا نستحضر ما ذهب إليه الباحث(David hart) حيث استخلص خصائص ومميزات لاحظ أن القبائل العطاوية في جنوب شرق المغرب تعتبر أشرسها على الإطلاق، وتتميز كذلك بالشجاعة وبسالتها في المعارك والوقائع جعلت الكتابة الاستعمارية تعترف بقوة هذه القبائل إذ جعلتها المقياس الأساس للشراسة في المغرب، هذا من ناحية القوة والشجاعة، ليضيف القبطان جورج سبيلمان خصال أخرى يتميز بها الإنسان العطاوي أنه يتميز بافتخاره الشديد بحسبه ونسبه وبحفاظه على كرامته وشرفه، ناهيك عن اشتهاره بعزة النفس والتعالي عن كل مذلة وإهانة إلى درجة انه يترفع عن كل عمل مهين كالقيام بعمليات الحرث من خلال تأكيد على مسألة وان كانت ورفضهم لأي تدخل أجنبي فهم يتشبثون بعاداتهم وتقاليدهم(محمد مهدان،2006، ص41).

تتميز فئة الشرفاء بكونها لا تشارك غالبا في عمليات الإنتاج ،حيث كانت القبائل تفرض لهم هيبات أثناء المناسبات الدينية، فقد تتميز بأنها محايدة دائما في صياغة القوانين العرفية لهذه التجمعات القبلية فإنها أسهمت في إضفاء الوثوقية والمصداقية على المؤسسات القبلية ،من خلال الوصفية التحكمية التي اضطلعت لهذه الفئة ،فهي تحضى كذلك في المنطقة بامتلاكها الأراضي.

أما الفئة الأخيرة التي تعتبر من بين التركيبة الاثنية لمجتمع الدراسة فهي فئة الحراطين التي تمتاز ببشرة سمراء فهي تحضى بمراتب دنيا بعد العطاويون الأصل والشرفاء لكن اختلفت

الفرضيات بالنسبة للأصول الحراطين المزارعين الذين استقروا بالواحات الجنوبية الشرقية للمغرب حيث لخصها في صنفين، إذ هناك من يرى أن الحراطين هم أبناء العبيد القدامى الذين ثم جلبهم من السودان في زمن القوافل التجارية ،ثم هناك من يقول بأنهم من السكان الأصليين للواحات.

عموما، إن فئة الحراطين عاشت الظلم والقهر والتهميش والإقصاء، وظلت دوما ينظر إليها على أنها شريحة للعبيد لا يمكن مساواتها بباقي الفئات الأخرى. كما أن بشرتها السوداء وصمها وتمييزهم عن باقي الأفراد فأصبحت رمزا للعبودية(عبد الله استيتو، 2011، ص132-133).

ثانيا: الإنسان والأرض أنثروبولوجيا:

لمعرفة علاقة الإنسان الواحي بالأرض علينا أن نشير إلى كيفية استقراره في المجال فالأرض مصدر الجاه، وله قيمة اقتصادية اجتماعية بل هي أساس إستراتيجي للقوة، ورهان جعل كل قبيلة تعيش عادة بين أراض في المرتفعات أو الجبال وفي أرض في المنخفض أو السهل، وكانت الوظيفة الأساسية لأرض توفير الحاجيات الغذائية الضرورية، وتوفير الشغل للأفراد والجماعات العائلية، وبما أنها الضمانة الأساسية لاستقرار الجماعات القبلية وبقائها، فان هم الإنسان الوحيد هو الحفاظ على الأرض والدفاع عنها وذلك إما بالدخول في عنف مفتوح مع من يحاول استغلالها والتدخل فيها أو بإصدار أعراف تمنع تقسيمها وتجزيئها(أحمد الحمير، 1999، ص38)، ومن الناحية الثقافية والأنثروبولوجيا كان يضفي عليها دائما طابع القداسة إذ كانت في تصور وتمثل الجماعة مثل الأم المعطاة التي تغدي الكل وتوحد في ملك الكل، أي في ملك الجماعة وليس في ملك الشخص الواحد، وتعد الأرض كذلك الرأسمال الرمزي الأساسي لكل غنى محقق وثروة تفوق قيمتها باقي الثروات الأخرى، ولأكثر من ذلك أنها تجسد ثقافة الجماعة القائمة على التضامن كما تلبي حاجياتها وفي مقدمتها الغذاء مما أضفى عليها ميزة فريدة تتجلى في حب وعشق الناس لها.

وفي نفس الحديث عن العلاقة الإنسان القروي بالأرض وارتباطه لها ذكر الباحث هنري مندراس المزارع التقليدي يقوم بزراعة حقله الذي ورثه عن أبيه وتعلم عنه الزراعة ويأتي تعلمه للزراعة نتيجة ارتباطه الدائم بالأرض وبكل التفاصيل والمعلومات الجزئية المتعلقة بالعمل والإنتاج .انه يسعر بأهمية حقله الذي يعرفه جيدا مثل مايعرف الخالق مخلوقه(أحمد الحمير، 1999، ص245).

ثالثا :طبيعة البنى العقارية لأراضي في منطقة البحث:

إن النظر إلى البنية العقارية السائدة في المنطقة البحث سنفهم من خلاله لخاصياته واستراتجياته الاقتصادية والاجتماعية فكون الفلاح ما يمتلك الحد الأدنى من الأراضي الضرورية لعيش خلية منزلية يحدد درجة مزاولته للنشاط الفلاحي علاقته بعائلته، إضافة إلى انتظام او عدم انتظام علاقاته بالوسط الحضري لذا نقترح في ما يلي تقديم المعطيات المتوفرة في هذا المجال.

أ.أراضي الملك الخاص: يتضح من خلال الجدول هيمنة الأراضي الملك في المقابل غياب لأراضي الدولة والجيش التي توجد في مناطق أخرى من مناطق القرى المغربية نظرا إلى ضيق المجال الواحي مقارنة مع مناطق في شمال والوسط المغرب التي نجد فيها هيمنة هذا النوع من الأراضي حيث تتوزع ما بين الأراضي الجيش وأراضي الدولة(عبد الله هرهار، 2012) كلها أراضي للزراعة عكس منطقة بحثنا فالأراضي الزراعية مقتصرة على الأملاك الجماعية للقبائل وأصبحت عن طريق الاستغلال الجماعي لتتحول إلى الأملاك الفردية الخاصة للأسر، وتملك أما عن طريق العرف أو الإرث.

حجم الاستغلاليات الأراضي الزراعية.

القطع	متوسط حجم الزراعة		الاستغلاليات		الأراضي الزراعية		حجم الاستغلاليات
%	عددها		%		%	ه	
54.01	1830	0.35	50.17	281	53.21	91	0 الى0.5ه
28.23	980	0.20	46.42	260	29.23	50	من 0. 1 ه
11.97	406	1.30	2.67	15	11.69	20	1الى 2 ه
5.01	170	2.5	0.71	4	5.84	10	2الى 5 ه
-	-	-	-	-	-	_	اكثر من 5ه
	3388			560		171	المجموع

مصدر المعطيات :المركز الجهوي للاستثمار الفلاحي ببومالن دادس

من خلال هذا الجدول يتبين لنا صغر حجم الاستغلاليات الزراعية بمنطقة البحث فنسبة الاستغلاليات التي لا تتجاوز 0.5 هكتار تشكل حوالي 53.21% من المساحة الصالحة للزراعة، أما فيما يخص الاستغلالية ما بين 2الى 5 هكتار فقد تشكل حوالي 5.84% أما بالنسبة ل أكثر من 5 هكتارات فهي مغيبة تماما مما يبين ضيق الاستغلاليات الزراعية عرفت ملكية الأرض في منطقة البحث عدة تحولات فالأولى كانت ارتباطها بالماء وكان لعدة سنوات رهين بالقانون العرفي.

من هنا نقول بان أصل الملكية في منطقة بحثنا تعود بالأساس إلى الوراثة والتمليك العرفي ويهم الأملاك الفردية والعائلية ،كانت في السابق تستغل استغلالا جماعيا ويعد تقسيمات متتالية للأراضي الجماعية العائدة للأخماس، أو القبائل الفخدات والعائلات، ولم تكن أراضي الملك موجودة في الصيرورة التاريخية الأولى للقبائل العطاوية، لأن هذه القبائل كانت إلى غاية القرن الخامس عشر الميلادي في طور التشكل والنشأة(عبد الله استيتو، 2011، ص40).

لأن إرتباط الفرد في المجتمع الزراعي الواحي بالأرض فهو يزاول عمله فيها منذ الطفولة حيث تعلم الحراثة مثلما تعلم باقي القيم والمعارف والسلوكات الحياتية الاجتماعية كاللغة وقواعد التهذيب والأخلاق، وكل أمر أو فعل يهدف إلى فصل العمل الزراعي عن باقي الأنشطة والسلوكات الاجتماعية الأخرى، يعتبر خرقا للنظام الاجتماعي العام القائم على إحدى قواعد ومرتكزات الحياة الاجتماعية العائلية، لكن هذه الصورة التي تظهر عليها البنية العقارية والتي تعيق أية تنمية تنسجم مع الوسط وما يوفره من إمكانيات مائية فحجم الأرض ينسجم وتقنيات السقي فقد تستعمل تقنيات تقليدية تتمثل في (اكوك) بالامازيغية هو عبارة عن سد ترابي تقيمه القبائل في عرض النهر للرفع من منسوب الماء حتى يمكنه أن ينساب عبر الساقية التي تتجاوز طولها في غالب الأحيان عدة كيلومترات ويتم بناء أكوك بطريقة جماعية بين أعضاء القبيلة وغالبا ماتجرف الفيضانات الكبرى هذه السدود الاعتراضية، وتهدم معها فم الساقية (ايمي نتركا) بالأمازيغية،(أحمد البوزيدي، ص48)، أي تقوم أعضاء القبيلة بحسر ماء الواد الذي في مكان ما بطرق تقليدية باستعمال الأشواك، فهذه التقنية التقليدية لا تسمح بسقي مساحات تتعدى هكتار واحد، وهذا ما يجعل الأرض انعكاسا لإمكانيات المائية، إن هذه الصورة تجعل الفلاح يقسم حيازته إلى قطع تسمى ب (أكمون) أي الحقل يزرع في كل منها أنواعا مختلفة من المزرعات.

إن وضعية الاستقرار هذه ستجعل القبيلة تنتقل نسبيا من الاستغلال الجماعي للأرض إلى الانتفاع الفردي، والحق في التملك تفاديا للنزعات والتوترات(عبد الله هرهار، 2012، ص208)، غير أن هذا الانتقال من الملكية الجماعية إلى الملكية الفردية للأرض لم يتم بشكل نهائي بل مازالت مجموعة من الأراضي تحتفظ بنظامها القديم كأرض جماعية، فالبنية العقارية في منطقة البحث لا تقتصر على الملكية الخاصة التي تتسم بها الأراضي الفلاحية فإلى جانب ذلك نجد أراضي الجموع أو ما يسمى بأراضي السلالية فكل قصر له أراضي جماعية خاصة يتم استغلالها جماعيا لكن عرفت هذه الأراضي من الناحية التنظيمية والقانونية عدة تحولات خاصة في فترتي الحماية والاستقلال؟

ب.أراضي الجموع: أراضي الجموع تعتبر ملكا خاصا للجماعة من الناحية التنظيمية تخضع لمجلس الوصاية التابع لوزارة الداخلية لكن الإشراف يرجع إلى أعضاء القبيلة أو الجماعة وهي ملكيات لا تقبل الحجز أو تفويت حيث تخضع في تسيرها لمقتضى ظهير 26 رجب 27/1337 ابريل 1919،وتملكها الجماعات السلالية في شكل قبائل، ويعتبر استمرارها من مظاهر الحفاظ على الاستغلال الجماعي للأرض وفق الأعراف المحلية التي تقتصر أدوارها على ضبط شؤون هذه الأراضي.

وفي سياق الاهتمام بالعالم القروي الذي توجد فيه غالبية هذه الأراضي وبالتنمية المستدامة، تطرح ضرورة الاستغلال العقلاني لأراضي الجموع وتكييف هذا الاستغلال بما يتماشى مع أولويات التنمية ومتطلباتها، ففي السابق كان اهتمام بالنسبة النشاط الفلاحي رعيا وزراعة أما في الوقت الراهن فقد تعددت مظاهر استغلالها، فالنمو الديموغرافي وتنوع حاجيات الفرد، طورا مظاهر الاستغلال ليضم إضافة إلى النشاط الفلاحي، السكن، محل العمل والتمدرس ومكان العبادة ، والسياحة إلى غير ذلك من أوجه الاستغلال، ونجد الأراضي الجماعية غير الخاضعة للتقسيم وتكون إما ملكا لآباء والأجداد الذين لم يخضعوها للتجزئة، وإما تكون مشتركة ما بين الفخدات المشكلة للقبيلة ولم تقسم أصلا، فتبقى خاضعة(عبد الله استيتو، 2011، ص59).

كل ما يمكن تسجيله من خلال هذا النوع من الأراضي الذي تعرف تحولات على المستويات عدة سواء القانونية والاجتماعية ،الاقتصادية، والتي يمكن إرجاعه أولا إلى قانون المنظم لهذا النوع من الأراضي التي يعود إلى فترة الحماية الفرنسية، لان ربط هذا الجانب بالتنمية المحلية فقد تستدعي أن نكشف عن الغموض الذي ساد القانون المنظم للأراضي الجماعية، لتشجيع الاستثمارات والمشاريع التنموية وفق أراضي الجموع لان إبقاءها خالية ومحط نزاع بين القبائل يشكل عائقا أمام أي تنمية مرتقبة.

بالإضافة إلى أنه ثمة المزج مابين القانون والعرف المحلي الذي يتحكم في تقسيم هذه الأراضي فيما بين القبائل ايت عطا فقد يتم تقطيع الأراضي، إذ نقف في هذا الصدد عند منطقة بومالن دادس حيث نجد أن وحدة قياسهم للأرض تتم بالعشر أي امتداد يتراوح 2 و7 عشر ، هذا العرف نجده عند أيت عطا المزارعين وهي تعادل 16م2 أي حوالي 1/4 هكتار وهناك من الفلاحين من يملك في المنطقة 10 أعشار" الوحدة المعتمدة لقياس الأراضي في المنطقة بومالن دادس وتتمثل في العشر من الأراضي المسقية.

أما على المستوى الاجتماعي إذا ربطناه بالصراع الذي تعرفه القبائل ايت عطا حول هذه الأراضي فهي تعتبر قضية الأرض مسألة حساسة بالنسبة للفرد، لذلك فكل تمويه أو تحايل في هذا الشأن، قد يفجر صراعا داخليا فيما بين الجماعات القبلية، الشيء الذي يفرض التعامل بصرامة وواقعية كبيرتين مع قضية التقسيم الأراضي، التي يتم فيها إبعاد المرأة بصفة مطلقة ويتم استحضار فقط العناصر الذكورية ويمكن تفسير هذه المسألة بأن عدم إشراك المرأة في عملية تقسيم الأرض يعني أنها عندما تتزوج لا يجب أن تنتقل ملكية من عائلة إلى أخرى وتتم

إبعاد المرأة لتبقى الأرض في نفس العشيرة والفخدة لا تخرج عنها، كما تعرف المنطقة بحضور القوي لأراضي الحبوس وهي عبارة عن عقارات وقفية عديدة ومتنوعة وهي على نوعين، أراضي الأحباس المساجد والزوايا.

ج.أراضي الأحباس: يقتصر تواجد أراضي الأحباس على مشارات زراعية محدودة على ضفتي "واد دادس" التي أوقفها أصحابها لفائدة المنفعة العامة ،ويتم حاليا كرائها لمدة معينة موسم قابل للتجديد بأثمنة محدودة حسب موقعها وجودة تربتها، وترجع عائدات هذه الحقول الزراعية إلى خزينة المسجد الذي يعتبر بدوره من الأحباس العامة التي تدبرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وهي غير قابلة للتملك بالتقادم أو الحجز عليها أو التفويت، وقد يكون المحبس سلطة مخزنية أو افراد من ذوي النفوذ والعلم أو خصا عاديا وقد اتسع هذا الشكل العقاري مع إقدام المخزن على وقف ريع عدد من أراضيه لفائدة بعض الشرفاء والصلحاء والزوايا، في إطار تدعيم المشروعية الدينية للسلطان من جهة وتقوية التحالفات مع مختلف مكونات النسق السياسي من جهة ثانية (عبد الرحيم العطري، دس، ص25)، وتقدر ب 7.5 هكتار بنسبة 4.93% من مجموع أراضي في منطقة البحث.

رابعا: الاستغلال وأنواع الإنتاج:

1.أنواع الإنتاج: تعرف بنية الاستغلال الأرض تفاوتا من حيث تكثيف والكمية وذلك ارتباطا بالتباينات المائية فكل المحطات الزراعية تعرف ارتباطا بشبكة من مياه السقي، كما أن عملية التكثيف تتباين حسب ما تظهره تقارير المركز الجهوي للاستثمار ألفلاحي بالمنطقة تبعا لإمكانات المائية لكن عموما تظل نسبة مساحة الاستغلاليات الصالحة للزراعة من مجموع الأراضي 165 هكتار.

أما من حيث المزروعات، فقد تخصص المزروعات المخصصة لتلبية حاجيات الغذائية للفلاح ويخصص جزء للتسويق وأما القسم الثاني يشمل المزروعات العلفية وتشمل على الخصوص الفصة من اجل تلبية حاجات الماشية كقطاع تكميلي في الاقتصاد ألفلاحي بالمنطقة ويراعي اختيار المزروعات ما يتلاءم وخصوصيات التربة والإمكانيات المائية الموجودة في المنطقة والى التوارث التاريخي لمجموعة من المزروعات التي يمكن إجمالها في الأنواع التالية.

2.أنماط الاستغلال: كما أن طرق الاستغلال التي عرفتها الحياة الزراعية بالمنطقة لم تخرج هي الأخرى عن طبيعة بنية الأرض والى صورة العلاقات التي انتظمت حولها حيث شكلت صورة استغلال الأرض انعكاسا للصورة التي تظهر عليها بنية التملك التي هي بدورها انعكاسا للبنية الاجتماعية وما تفرزه من أشكال تنظيمية على المجال لذلك فقد خضعت الأراضي الفلاحية لنوعين من الاستغلال:

أ.**الاستغلال المباشر:** بالنسبة لنوع الأول يتميز بمباشرة صاحب الأرض بالاستعانة بأفراد عائلته ولا يفهم من هذا النمط انه يمثل نموذجا لاستغلالية العائلية التي تتحدث عنه الدراسات الاقتصادية المتعلقة بالعالم الزراعي كدراسة شيا نوف [2]، فعلى الرغم من الطابع العائلي الذي يكتسيه إستغلال الأرض في هذا النموذج لاعتباراتها تستعمل يد عاملة عائلية فهي لاتصل إلى ذلك التوازن بين العمل والإنتاج الذي تتحدث عنه الدراسات التي تناولت الاقتصاد ألفلاحي العائلي،

[2]تتمحور مقاربة شينافوف الاقتصاد الفلاحي العائلي حول فكرة أساسية هناك توازنا بين العمل والإنتاج فبقدر ما يعمل الفلاح بقدر ما يكسب إنتاجا كبير وتزايد الإنتاج يجبر بدوره الفلاح على العمل أكثر ،حيث يتمحور هذا العمل إلى ما سماه بالكدح أو العمل ألاق وهو أقصى ماي مكن لعمل الفلاح أن يصل إليه وذلك معناه الوصول إلى الحدود القصوى والطبيعة لإنتاج التي لا يمكن تجاوزها . عن رحمة بورقية المرجع السابق،ص: 175

لذلك فأغلب الفلاحين الذين يباشرون العمل الزراعي بأنفسهم يملكون ضيعات صغيرة ويقتصرون على زراعتها إلى بعض المزروعات المعيشية التي لا تسمح لهم بالفائض ،الادخار إن العمل المنجز من قبل الفلاح في مثل هذا النوع من الاستغلال لا يصل كما تقول الباحثة السوسيولوجيا المغربية رحمة بورقية إلى الحدود القصوى لما يمكن أن ينجز في الحقل وبالتالي لا يصل إلى انتزاع الكافي لتسديد حاجيات الأسرة.

أما الاستغلال الثاني وهو الاستغلال عن طريق نظام الخماسة أو تخماست ويشكل هذا النوع من النظام الأكثر شيوعا في عملية الاستغلال التي عرفتها المنطقة ،كما يعتبر هذا النظام من الطرق التقليدية في العديد من المناطق في المغرب وقد أثارت هذه الطريقة جدلا فقهيا عميقا فمن الفقهاء من اعتبرها إجارة ومنهم من يعتبرها شركة وما تخلل ذلك من تساؤلات النظرية والعلمية التي أفرزتها الاستغلال بهذه الطريقة ترى ماهي حيثيات هذا النظام ؟وكيف شكل الإطار التنظيمي للعلاقات الإنتاج ؟وقبل ذلك ماهو نظام الخماسة أو بالأحرى من هو الخماس ؟وماهي مميزاته في منطقة البحث؟

ب.الخماس والأرض الأسس التنظيمية لعلاقات الإنتاج: يختزن نظام الخماسة مجموعة من الروابط التقليدية التي تحكم الإنتاجية ضمن علاقة قائمة بين شخصين مالك الأرض والخماس وتقوم هذه العلاقة فبالإضافة إلى نسبة الخمس الذي يحصل عليه الخماس مقابل العمل نجد نوعا من العلاقات تختزن معايير قيمية نجد تفسيرها في منطق النظام الاجتماعي، لذلك تتضارب التفسيرات والتصنيفات التي أعطيت لمفهوم الخماسة نتيجة بعض أشكال لتي عرفها النظام الغربي سواء باعتبارها نموذجا من علاقات الاستغلال، لذلك نجد أن أغلب الدراسات الكلاسيكية حول القطاع الفلاحي المغاربي تتجه في عمومها كما يقول((Paul pascon, 1979 ,P19) في هذا الاتجاه حيث صنف الخماسة ضمن صنف المؤاكراة Métayage الذي يمثل الخمس لكن تشبيه نظام الخماسة بالمؤاكرة أي عقد استئجار الأرض الذي يتقاسم من خلاله المستأجر والمؤجر غلتها، لا يفسر بعمق طبيعة العلاقة بين المالك والخماس، ذلك أن علاقة بين الفلاح وشريكه الخماس لا تقف عن حدود التعامل الاقتصادي ،بقدر ما يقيم معه روابط شخصية وثيقة.

كما أن الخماسة لا تعني تلك العلاقة بين العبد والسيد التي عرفها النظام الفيودالي وان شابهناها ذلك أن الإحساس الذي يشعر به العبد تجاه سيده ليس هو إحساس الخماس تجاه مالك الأرض حيث العلاقة بينهما قائمة على نوع الاستقلالية في الاختيار والعمل على الرغم من وجود بعض أشكال الاستغلال الذي يمارسه مالك الأرض على الخماس فإن هذا الأخير لم يكن بعيه بهذه الصفة ،فأمام المساعدات التي يقدمها له صاحب الملك والحماية التي يوفرها له في كثير من الأحيان، علاوة على الهدايا التي يمنحها إياه في بعض المناسبات، كل ذلك إلى جانب تقريبه أو إدماجه في نطاق العائلة وبفعل هذا الإخفاء الرمزي لم يتمكن الخماس عموما من اكتشاف العمق الاستغلالي للعلاقة المفروضة عليهم.

إن تحصيل الفهم للعلاقة بين مالك الأرض والخماس ليست علاقة صراع أو تضارب بل هي كما يقول الباحث السوسيولوجي المغربي المختار الهراس،"علاقة تكاملية أو عائلية تختفي في سياقها الفوارق الموضوعية بما يغلب عليها من ود وثقة متبادلة ولذلك فهي مرتبطة بدرجة أو بأخرى بالقيم أو المبادئ المشتركة(المختار الهراس، دس، ص254).

إذا كان أمر مقارنة العلاقة بين المالك والخماس تكشف عن نوع من العلاقات الاجتماعية نجد تفسيرها داخل البناء الاجتماعي، مع ما تطرحه من أنساق قيمية وتنظيمية أفرزت لنا أشكال من العلاقات التنظيمية لإنتاج نجد صورتها في طبيعة الانتماء الاجتماعية وفي أنماط تقسيم للعمل وهنا نتساءل هل ثمة علاقة بين امتهان حرفة الخماسة ونوع الانتماء الاجتماعية أو الصيغة أخرى ما هي الفئة التي تعاطت للخماسة في منطقة البحث؟.

تعتبر فئة الحراطين[3] بالنعت المحلي الفئة التي امتهنت حرفة تخماست نظرا لإحتراف هذه الفئة مهنة الزراعة مما جعل منها المعتمد الذي ارتبطت به الحياة الزراعية بالواحة، نظرا لخبراتها في الحرث وفي شق قنوات الري السواقي لكن يمكن أن نضيف في هذا الصدد اختلاف بين الفئة التي تمتهن" لتخماست " من منطقة إلى أخرى في جل الواحات المغربية فقد ذكر الباحث **"أحمد مزيان"** أن الخماس لمنطقة شرق المغرب "فجيج" مثلا لم تكن من اختصاص فئة الحراطين كما هو الحال في منطقة بومالن دادس، بل يقوم بها كل شيء يرغب في زيادة موارده المعيشية(أحمد مزيان، 1985، ص279)، لكن نشير هنا إلى نوع الاختلاف بين الخماسة التي تحدث عنها هذا الباحث، وبين تلك التي عرفتها منطقة بومالن دادس، حيث نجد فيها أن الخماس يعمل في الأرض كما انه يعمل في بيت الشريف أيضا، فبفعل التحولات التي عرفتها البادية المغربية عموما ومجال بحثنا خصوصا نجد انه بفعل الهجرة الخارجية التي عرفتها المنطقة هي التي ساهمت بشكل أو بآخر في تطوير نمط العلاقات السائدة بين الفئات الاجتماعية خاصة بين الأسر العطاوية والحراطين.

إن تفرد فئة الحراطين بالتعاطي للخماسة سنجد تفسيره في المكانة الاجتماعية التي احتلتها هذه الفئة داخل النظام الاجتماعي، تاريخية جعلت منها شريحة تتجاوز في اختصاصها أعمال الحرث والسقي وكل ما يتعلق بالعمل الزراعي وعن طريق التوريث أصبحت هذه الفئة الاكثر تعاطيا لتخماست وهنا نستحضر ما ذهب إليه الباحث"(عبد الله استيتو، 2011، ص132)" في هذا الإتجاه حين إعتبر أن المكانة الاجتماعية للحراطين تم تحديد معالمها الكبرى عل ضوء علاقات الإنتاج التي كانت تربطهم بباقي الفئات الأخرى، على إعتبار أنهم كانوا من بين الأدوات الهامة التي إعتمدها العطاويون لتنمية ثرواتهم المادية وذلك بتسخيرهم في أعمال اعتبرها الأسياد من أيت عطا دونية، لذلك نجد العديد من الفئات الحرطانية تورث مهنة الخماسة لأبنائها، خاصة عند الأسر الشريفة.

من خلال ما سبق يمكن تسجيل هنا حضور التراتب الاجتماعي على مستوى الملكية الأرض مابين العناصر المشكلة للمجال القبلي المدروس، نفس الشيء الذي عبر عنه "(Paul pascon,1979,p113)" حين إعتبر بأن التراتب الاجتماعي ظاهرة قديمة ومستمرة ومتكررة بالمجتمعات القروية المغربية إذ لم تتغير قواعد توزيع الأراضي الجماعية بين السكان الأصليين والدخلاء من اللاجئين والخماسين والرعاة التي لم يحصلوا أبدا عل ملكية الأراضي وحقوق المياه.

إن محدودية النشاط الزراعي راجع إلى ما سماه احد الباحثين بالعوامل المهيكلة والتي يمكن حصرها في عاملين أساسيين:البنية العقارية المعقدة وطرق الاستغلال واستعمال التقنيات التقليدية(موسى الكرزازي، 1988، ص88)، التي لم يطرأ عليها أي تغيير من العصور الوسطى، إن الارتباط التقليدي بالأساليب العتيقة في الممارسة الزراعية قد يكون هي السبب في إعاقة أي تنمية فلاحية مما يؤثر بشكل عام عن التنمية المحلية وعن تحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للساكنة المحلية باعتباره رهان التنمية في البلدان العالم الثالث.

[3]الحراطين: مستقرون يعيشون مختلطين مع الأحرار، وينحدرون غالبا من إفريقيا جنوب الصحراء في إطار الرواج التجاري ويمثلون بعض السلالات الإفريقية القديمة، ويعانون الكثير من التهميش والحرمان، ويتميزون ببشرتهم السوداء، إضافة إلى اعتبارهم من الدرجة الثانية، كما أنهم شكلوا شريحة الخماسين أي اشتغالهم داخل الحقول والمزارع مقابل تقاضيهم خمس الغلة، لكن هذا لم يكن يشمل كل الحراطين عند جني المحصول الزراعي، وغالبا ما تم تجميعهم في حي معين داخل القصور، وهم ضبابيو السلالة فسلالتهم لا تتعدى ثلاثة أجداد.

خامسا: اليد العاملة الفلاحية:

يحاول العمل ألفلاحي القديم إشراك جميع أعضاء العائلة الممكنة دون اعتبار جنسها وسنها حيث يتم تشغيل الأطفال منذ سن السابعة من العمر أو أقل من ذلك ،إذ إن إستراتجية التكثيف التي هي أساس النظام الإنتاجي هي التي تحتم ذلك بسبب تعدد المهام الزراعية والرعوية الواجب القيام بها، مع وجود نوع من التخصص في بعض المهام حسب الجنس والسن ووفق القواعد العرفية.

أ. دور الرجال في العمل الفلاحي: يمكن إجمال الأعمال التي يقوم بها الرجال في الأعمال التي تحتاج لقوة عضلية كالقيام بالحرث والحصاد وجمع المحاصيل، بالإضافة إلى تنقية السواقي، أما فيما يخص الأمور المتعلقة بالتوقيت الحرث والحصاد واختيار نوعية المنتوجات فيتكلف بها الكهول وخاصة الآباء.

يمكن تسجيل إن للرجل حضور قوي في العمل والحياة الاجتماعية والزراعية داخل المنطقة إذ هو الذي يتحمل قسطا من المسؤولية في اتخاذ القرارات داخل المنزل وكذا النهوض بالأعمال الفلاحية كمساهمته في الإنتاج فكلمته مسموعة داخل البيت بكون دوره الأساس يعود الأب /الرجل في حين يعتبر دور الأم /المرأة ثانويا، فالمجتمع ابيسيا بامتياز.

ب.دور المرأة في الإنتاج الاقتصادي والاجتماعي: إن الرجوع إلى وضع المرأة في منطقة البحث بصفة خاصة نجدها تتحمل أعباء الحياة مع رجلها فهي تقوم بأعمال منزلية وخارج البيت أي المساهمة في العمل الفلاحي تعمل بمثابرة كبيرة في ميادين عدة في المجالات الفلاحية كالزراعة وتربية المواشي أو الحرفية، حيث تتعاطى للنسيج الصوفي فتصنع الملابس وتهتم بصناعة الزرابي.

تساهم المرأة في "بومالن دادس" على غرار نظيرتها في المغرب في النهوض بالأعمال المنزلية وتحملها القسط الأوفر من الأعمال الخاصة بتربية الأطفال، فهي تشارك أيضا في القيام بالأعمال الزراعية الخارجية.

من خلال ما يمكن أن نستخلصه من مكانة المرأة فقد نلاحظ أنها تقوم بالمزاوجة بين الأعمال المنزلية والأعمال الخاصة بالفلاحة وتربية الماشية، مما كسبها سلطة نسبية داخل أسرتها وإزاء زوجها، فإذا كانت المرأة في السابق تقوم بأعمال كجلب الماء والحطب في ذلك الأدوار التي تقوم بها النساء فقد نلاحظ إنهن حافظن إلى حد ما على هذه الأدوار.

على الرغم كل ما تقوم به المرأة من مهام فإن عملها كما قال الباحث السوسيولوجي المغربي "المختار الهراس "عمل لامرئ ،رغم أنها تساهم في الأعمال المنزلية والفلاحة بدرجة تفوق أحيانا حجم الأعمال التي ينجزها الرجال إلا أنها تبقى من وجهة نظر اغلب النساء والرجال أو المجتمع ككل لا يشكل إلا نشاطا ثانويا ومكملا لنشاط الرجل(المختار الهراس، دس، ص195).

خاتمة:

ما يمكن أن نخلص إليه من خلال هذا المقال هو التفكير في أسئلة أخرى من قبيل هل يمكن تحقيق تنمية ما دون التفكير في الثقافة، هل يمكن تحقيق التنمية دون استحضار البعد الثقافي وما تزخر به منطقة ما أو مجال ما من إمكانيات طبيعية وبشرية.

بحكم الموقع الجغرافي فمنطقة البحث بومالن دادس إضافة إلى إمكانيات البشرية والطبيعية التي تزخر بها فهي منطقة سياحية تضم وحدات فندقية ومآثر تاريخية، كما تعد الأرض الفلاحية أو الغابة التي تقع على جنبات واد دادس المورد الرئيسي بالنسبة للعديد من الأسر، لهذا استوقفتنا الوضعية العقارية لهذه الأراضي، وما تعرفه من إشكالات على مستوى كيفية التملك والتوزيع، وكذا أنواع الأراضي في منطقة البحث والوضعية القانونية خاصة بالنسبة الأراضي الجموع، التي تعرف تحول كبيرا فيما يخص نظامها القانوني وكذا طريقة استغلالها بين أطراف القبيلة إذ يمكن أن نخلص إلى المساهمة التي تساهم بها هذه الأراضي وذلك ربطها بالتحولات التي عرفتها

المنطقة بالتنمية المحلية التي تعتبر الرهان من خلال تحسين شروط العيش الساكنة المحلية عبر مشاركتهما في إتخاذ القرار ضمن المقاربة التشاركية.

لكن إلى أي حد يمكن القبول بهذه المعادلة للجواب على سؤال التنمية المحلية خصوصا عندما يتعلق الأمر بالواحات المغربية وخاصة واحة دادس وهل يمكن بالتالي اختزالها ضمن التحولات الكبرى التي يعرفها المجتمع المغربي عامة والمجتمع القروي خاصة، وما دور الجانب الثقافي في التنمية المحلية خاصة فيما يتعلق بالتشبث الإنسان بالأرض كمورده الأول.

قائمة المراجـــــــــع:

1. عبد الله استيتو(2011)، التاريخ الاجتماعي والسياسي لقبائل أيت عطا الصحراء إلى نهاية القرن التاسع عشر، مقاربة انثروبولوجية لمسيرة كتلة قبلية أمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية الرباط، المغرب.
2. العطري عبد الرحيم(2009)، تحولات المغرب القروي أسئلة التنمية المؤجلة، مطبعة طوب بريس الرباط المغرب.
3. المختار الأكحل(2004)، دينامية المجال الفلاحي ورهانات التنمية المحلية حالة هضبة بن سليمان، ط1، دار أبي رقراق للطباعة والنشر المغرب.
4. باهني، عبد الكبير(1992)، التراتب الاجتماعي والملكية بوادي درعة واحة فزواطة، في كتاب جماعي بعنوان حوض وادي درعة ،ملتقى حضاري وفضاء الثقافة والإبداع سلسلة الندوات منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير، المغرب
5. بورقية رحمة(1991)، الدولة والسلطة والمجتمع دراسة في لثابت والمتحول في علاقة الدولة بالقبائل في المغرب، الطبعة الأولى دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.
6. موسى كرزازي(1988)، البنيات العقارية في الأرياف عوامل أساسية في عرقلة التنمية، من كتاب تطور العلاقات بين المدن والبوادي في المغرب.
7. رافع عبد الوهاب(1999)، أراضي الجموع بين التنظيم والوصاية، ط1، المغرب.
8. عبد الله هرهار(2012)، سياسة الأرض وعوائق التنمية، مجلة إضافات، ع19، صيف2012.
9. أحمد مزيان(1985)، مساهمة في دراسة المجتمع الواحي بالجنوب الشرقي المغربي في الفترة مابين (1903-1845)، دراسة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط المغرب.
10. مهدان أمحمد(2006)، الماء والتنظيم الاجتماعي بواحة تودغى، دراسة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، المحمدية المغرب.
11. مبارك الطايعي(2008-2007)، البنيات الزراعية والبنيات الاجتماعية وافق الاستمرار والانقطاع في الواحات المغربية، واحة تافيلالت نموذجا، أطروحة لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكدال، الرباط المغرب.
12. لحمير أحمد(1999)، المسالة الفلاحية والتغير الاجتماعي في العالم القروي ديناميكية الاستغلاليات الفلاحية، حالة القطاع المسقي لبني موسى إقليم بني ملال، أطروحة لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط المغرب.
13. NAJIB Bouderbala (1996),les terres collectives du Maroc dans la première période du protectorat 1912-1930 ,Revenue de Monde musulman et de la méditerrané N° 79-80

14. Paul Pascon et Mohammed Naji,(1986),Les paysans sans terre, édition Toubkal, Casablanca Maroc.
15. Paul Pascon (1979), segmentation et stratification dans la société rurale Marocaine, Actes de durham Recherche récentes sur le Maroc moderne,.
16. SPILLMAN Georges(1936) , Les Ait Atta du Sahara et la pacification du Haut Dra »pub de l’Institut des hautes Etudes Marocaines, tome. Rabat.

النساء الأطر وأشكال التفاوض حول الأدوار الزوجية
Framework women and forms of negotiation around conjugal roles

أ. إبراهيم بلوح، باحث في علم الاجتماع، جامعة ابن طفيل- المغرب

ملخص: يسعى هذا المقال لملامسة تأثير عمل المرأة الإطار في الأدوار الزوجية، وللنظر فيما إذا أسفر عن تقسيم جديد للأدوار المنزلية والوالدية، كما يهدف أيضا إلى الوقوف على منحى مفاوضة المرأة للرجل حول هذه الأدوار، ورغبة في الكشف عن هذا التأثير كان البحث والسؤال عن ممارسات وتمثلات النساء الأطر، سواء بخصوص عملهن المنزلي أو عملهن المهني وتأثيرات هذا الأخير في مختلف علاقاتهن الاجتماعية وتجاربهن الحياتية، وبشكل أكثر تحديدا في العلاقات الاجتماعية بين الجنسين، لذلك أجري البحث على عينة من أربعين مفردة من النساء الأطر، وقد أبان حضور المرأة الإطار من خلال عملها المأجور وما يمنحه من استقلالية اقتصادية وتقدير اجتماعي عن إسهامه في خلخلة النماذج والدهنيات التي لا تزال ترى في العمل المنزلي مهمة دائمة الالتصاق بالمرأة، وهو ما مكن معظم هؤلاء النساء من أن يفاوضن الرجل حول تقسيم جديد للأدوار الزوجية.

الكلمات المفتاحية: العمل المأجور، العلاقات الاجتماعية للجنس، التفاوض، التقسيم الجنسي للعمل.

Abstract: This article seeks to touch upon the impact of working women framework on marital roles and to see whether if it has led to a new division of household and parental roles. It seeks also to stand on the path of women's negotiation with men about these roles. And in order to reveal this effect, the search and question about the practices and representations of working women, both in terms of their domestic and professional work and their impact on their various social relationships and experiences, and more specifically on social relations between the sexes. Therefore, the research was conducted on a sample of forty women framework. The presence of working framework women, through their paid jobs which provide them with economic independence as well as social respect, has contributed to the disintegration of models and mentalities that still consider domestic chores as a permanent task for women. This has enabled most of these women to negotiate with men about a new division of marital roles.

Keywords: paid work, social relations sex, negotiation, sexual division of work

مقدمة:

شاركت المرأة منذ زمن بعيد إلى جانب الرجل في إنتاج العالم الاجتماعي وإعادة إنتاجه، بيد أن مشاركتها تلك ظلت بين مد وجزر مستمر ومتواصل عبر مختلف المجموعات البشرية، تترأس الأدوار واتخاذ القرار داخل الأسرة تارة، وتشارك فيها حينا، وتظل طورا تابعة للرجل الذي يحتكر العمل المأجور على الرغم من كون المرأة ما انفكت تساهم فيه، غير أن التاريخ المعاصر سيشهد انخراطا متزايدا للنساء بسوق العمل. وبذلك صار العمل المأجور خارج الإطار الأسري أحد أبرز مميزات نساء الفترة الحديثة والمعاصرة.

وقد بدأت قضية علاقة عمل المرأة المنزلي بعملها المهني أو المأجور مثار نقاش واهتمام الباحثين منذ بداية الثمانينات، وازداد الاهتمام بهذه القضية خلال عقد التسعينات، ما أسهم في بناء اتجاهات نظرية سوسيولوجية، نسوية بالأساس، تعكس تلك الرؤية الحديثة والنقدية لعمل المرأة ولمكانتها داخل المجتمعات. واليوم وأمام حضور المرأة المغربية عبر شتى أصناف تقسيم العمل، ومن خلال مختلف مستوياته تنفيذا وتأطيرا وإشرافا، الأمر الذي يعكس انخراطها الواسع في سوق العمل المأجور، ومساهمتها الحيوية في نفقات الأسرة، أمام كل هذه التحولات بدأ يبزغ نوع من الوعي المجتمعي بمسألة " تحدي العمل - الأسرة" ما جعله يغدو رهانا مجتمعيا حقيقيا.

إن هذا المقال يسعى لملامسة تأثير عمل المرأة الإطار في الأدوار الزوجية، وللنظر فيما إذا أسفر هذا الأخير عن تقسيم جديد للأدوار المنزلية والوالدية أم أبقى عليها كما كانت بالسابق، على الرغم من عمل المرأة المأجور ومساهمتها المادية في نفقات البيت فضلا عن مؤهلاتها المعرفية؟ كما يبتغي أيضا معرفة إلى أين تنحوا مفاوضة النساء الأطر لأزواجهن حول هذه الأدوار الزوجية، منحى المواجهة أم منحى التوفيق بين العمل المنزلي والمهني؟

من أجل هذا كله، وقبل الإجابة عن سؤال ما إذا أسهم بالفعل عمل النساء الأطر في خلخلة تلك البنيات والقوالب التقليدية أو الصور النمطية (stéréotype) التي تعيد إنتاج وترسيخ الأسرة الأبوية، ما يسمح لنا بالحديث عن انتهاء مرحلة ونسق على حد تعبير الباحثة فاطمة المرنيسي، وبداية أشكال جديدة للتفاوض حول تلك المهام الأسرية، سوف نعرض في خطوة أولى وبإيجاز بعضا من التحولات الاجتماعية التي أسهمت في ولوج المرأة للعمل المأجور في السياق المغربي، لننتقل في الخطوة الثانية للوقوف على من تناط به بالفعل كل من الأعمال المنزلية والوالدية، وما إذا تمكنت المرأة الإطار من إعادة تقسيم تلك الأعمال مع شريك الأسرة، وما هي أشكال التفاوض التي إنتهجتها في سبيل تحقيق ذلك؟

1. منهجية البحث:

يستند هذا المقال إلى بحث ميداني أنجز في سنة 2016 في إطار أطروحة لنيل شهادة الماستر في علم الاجتماع، وبالاستناد إلى أهداف الدراسة، فقد وقع الاختيار على العينة العشوائية، والتي تعد أفضل أنواع العينات وأكثرها دقة في تمثيل المجتمع الإحصائي المتجانس. وارتباطا بموضوع الدراسة التي يعنى بالبحث في موقف النساء الأطر من عملهن المأجور ومدى قدرتهن على التفاوض حول الأدوار الأسرية، فإن مواصفات المجتمع المدروس همت تحديدا النساء المتزوجات الأطر (أستاذات ومتصرفات) الجامعية لجامعة ابن طفيل بمدينة القنيطرة، وضمانا لتمثيل جيد للأطر الجامعية، ورغبة في معرفة تأثير طبيعة العمل المهني أو المأجور، فضلا عن المؤهلات العلمية، في قدرة المرأة على التفاوض حول الأدوار المنزلية، فقد تم اختيار عينة من 40 مفردة من مختلف الكليات التي تنضوي تحت نفس الجامعة.

وبخصوص التقنية المعتمدة، فقد تم توجيه الاستمارة لفئة النساء الأطر ليملأنها بأنفسهن نظرا لتوفرهن على مؤهلات دراسية تسمح بذلك. كما تضمنت أسئلة لا تروم فقط التقاط معلومات كمية بالأساس، ولكنها حوت أيضا أسئلة تنحو منحى الإمساك بمواقف وميول ورغبات

المبحوثات. أما بخصوص بناء هذه التقنية فقد تم ذلك من خلال خمسة محاور وفق تسلسل منهجي بمقدوره أن يجيب عن أسئلة وأهداف الدراسة من خلال محورين رئيسيين اثنين:
محور أول للوقوف على تمثل المرأة للعمل المنزلي، وعلى عملها المأجور وما يمنحه من استقلالية اقتصادية وتقدير اجتماعي، وتأثيره في العلاقات الاجتماعية بين الجنسين.
محور رئيسي ثان: يسعى للوقوف على من تناط به بالفعل الأعمال المنزلية والوالدية، وللتعرف على ما إذا تمكنت النساء من إعادة تقسيم الأدوار الزوجية، وكذا أشكال التفاوض التي انتهجتها.
أما بخصوص طبيعة الأسئلة المتضمنة بالاستمارة فقد تنوعت تماشيا مع طبيعة البحث. وتمت صياغتها تارة مغلقة وتارة مفتوحة وتارة أخرى زوجية couplées أي مفتوحة ومغلقة، وذلك كله حسبما يقتضيه قياس المتغير، وقد استعمل كأداة لتفريغ أجوبة المستجوبات قصد تحليلها برنامج الـ SPSS أو ما يسمى (package for social sciences Statistical) أي " الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية".

2. التحولات الاجتماعية بالمغرب وأشكال ولوج المرأة المغربية للعمل المأجور:

إن الحديث عن تاريخ عمل المرأة المأجور غالبا ما يوحي بكونه قد صادف المراحل الأولى من التنمية أو التحديث، أي في الوقت الذي حاول فيه الاستعمار الفرنسي النهوض بالقطاع الاقتصادي عبر تحديث المجال الفلاحي بالبوادي والأنشطة الصناعية بالمدن، الأمر الذي أدى إلى ظهور العمل المأجور. لكن خلاف ذلك تبرزه الشواهد التاريخية (محمد السعديين، 2014، ص180)، التي تثبت أن عمل المرأة المغربية لم يبدأ مع هذه المراحل الأولى، بل على العكس تماما، إذ ظلت المرأة تقوم بأدوار متعددة خارج المنزل من خلال إنتاجها الزراعي والحرفي الموجه للتسويق، وداخل المنزل من خلال مهام الرعاية والتنشئة، أي أنها ظلت تقوم بأدوار الإنتاج وإعادة الإنتاج. ولعل هذا ما حدا بفاطمة المرنيسي بأن تصف الذين يرددون بأن المرأة المغربية قد خرجت إلى العمل سنة 1956 ببسطاء التفكير(فاطمة المرنيسي،2005، ص179)، في إشارة إلى أن الإطار التاريخي هو الذي يشهد على عراقة وقدم عمل المرأة المأجور.

غير أن ستينيات القرن المنصرم ستشهد العديد من التحولات التي أثرت في المجتمع المغربي سواء على مستوى وسائل إنتاجه أو أنماط عيشه. وقد كان للظاهرة الاستعمارية الأثر الكبير في بلورة تلك التحولات. وبشكل أكثر بروزا بدأ الحديث عن العمل المأجور في الوقت الذي حاول فيه الاستعمار تطوير القطاع الاقتصادي، ما دفعه إلى استغلال الأراضي الفلاحية الخصبة، والعمل على تحديث الإنتاج الفلاحي وإرساء نظام للأجور(HAKIMA LALLA HAFDANE, 2002, p 47). كما ترجئ الباحثة حكيمة حفظان بعض أسباب تحول الفلاحين إلى أُجَراء وانتشار العمل المأجور بالمغرب إلى: الملكية الخاصة للأراضي، وحضور الدولة الجديدة، وانبثاق قيم اقتصادية جديدة، ونمط عيش جديد، وفقدان الفلاحين لأغلب أراضيهم. كل تلك الأسباب دفعت بالفلاحين إلى أن يصيروا عاملين وأجراء رغبة منهم في تحسين أحوالهم المعيشية، وهو ما يشمل النساء أيضا، إضافة إلى شغلهن للعمل كخادمات بيوت في أول الأمر لدى الفرنسيين.

وبقدر ما ساد التحديث المجال الاقتصادي المرتكز على القطاع الفلاحي في بادئ الأمر، شمل أيضا قطاع المواصلات، ما أسهم في تنقل القرويات إلى المدن والحواضر الكبرى للبحث عن عمل. وطفقت الدولة في بناء المستشفيات والمدارس، كل تلك الدينامية المجتمعية سمحت للنساء بأن يلجن عالم الشغل من خلال قطاعات مختلفة، وقد تأتى لهن ذلك بشكل أكبر ابتداء من سنوات 1950، وبلغت نسبة النساء العاملات من مجموع الساكنة النشيطة 12% خلال سنة 1970، وارتفعت خلال سنة 1990 لتناهز 19%، وفي قطاع الصناعة وخاصة التحويلية بلغت نسبة

النساء العاملات 31%، وقد فاقت نسبة 57% كَيَد عاملة نسوية بالصناعات الكيميائية والمعدنية والغذائية.

وقد شمل حضور عمل المرأة المأجور أيضا قطاع الوظيفة العمومية، إذ عرفت نسبة انخراط النساء في هذه الأخيرة تزايدا مطردا منذ سنة 1958، وقد أسهم توسيع قاعدة المستفيدين من التمدرس وخاصة في صفوف البنات من أن يلجن مناصب إدارية عليا طالما شغلها الرجال. وترجئ فاطمة المرنيسي هذا الحضور المطرد لعمل النساء خارج الإطار الأسري، والذي مكنهن من منافسة الرجال في سوق الشغل، إلى " التغيرات الاقتصادية من جهة وكذلك المستوى التعليمي المرتفع باستمرار من جهة أخرى"(فاطمة المرنيسي،2005، ص178)، ويعكس الجدول أسفله تطور نسبة التأنيث في الوظيفة العمومية.

السنة	1958	1981	2002	2009	2012	2014
النسبة المئوية	1.5	20.8	31.5	37.7	38.3	39.4

الجدول1: تطور نسبة التأنيث في الوظيفة العمومية.

وفي إطار الحديث عن المؤهلات المعرفية للنساء الأطر فقد كشفت نتائج دراسة أنجزت سنة 2009 من طرف مرصد مقاربة النوع للوظيفة العمومية عن التقدم الملموس الذي حققته النساء في مستواهن الثقافي والمعرفي حيث إن ثلاثة أرباع النساء اللواتي يشغلن مواقع رئيس مصلحة أو رئيس قسم يتوفرن على مستوى الميتريز أو أكثر: فبالنسبة للنساء رئيسات المصالح تتوفر 1/3 منهن على دكتوراه، ويتوفر أكثر من 47% منهن على الميتريز، أما بالنسبة للنساء رئيسات الأقسام نجد أن 29% منهن يتوفرن على دكتوراه، و42% على الميتريز، وتكشف المعطيات الحديثة لوزارة الوظيفة العمومية أن نسبة العنصر النسوي بالوظيفة العمومية عرفت تحسنا ملحوظا، وقد شمل هذا التحسن مختلف الوزارات والقطاعات، كما سجلت نسبة التأنيث أيضا في المناصب العليا ومناصب رؤساء الأقسام والمصالح ارتفاعا ملحوظا خلال العشرية الأخيرة، حيث انتقلت من % 10 في سنة 2002 إلى، 14% في سنة 2006، لتستقر في حوالي % 15 في سنتي 2009 و2010، ثم % 16 في سنتي 2012 و2013، قبل أن تتجاوز % 19 في سنة 2014.

الوزارات والقطاعات	نسبة التأنيث
التعليم العالي والبحث العلمي وتكوين الأطر	28 %
وزارة الصحة	%43.7
وزارة الثقافة	%42.5
وزارة الشؤون العامة والحكامة	%42.5
وزارة التضامن والمرأة والأسرة والتنمية الاجتماعية	44.4%
العلاقات مع البرلمان	43.8%
المندوبية السامية للتخطيط	40.9%

الجدول2: نسبة التأنيث في صفوف النساء الأطر.

إن هذه الدينامية التي تعلن عنها النساء، وهذا الانخراط المتنامي في سوق الشغل سواء بالقطاع العمومي أو الخاص وعبر مختلف مستويات التأهيل، قد تمخض عنه ثلة من التحولات التي تشهدها الأسر المغربية على مستوى الأدوار والمهام الزوجية، وهو ما من شأنه أن يقحم

الزوجين معا في مسلسل من التعاقدات الجديدة التي فرضها واقع عمل النساء الأجيرات ومساهمتهن في نفقات البيت.

3. العمل المنزلي بين التمثل والممارسة وأشكال التفاوض حول الأدوار الزوجية

لا يمكن الحديث عن عمل المرأة المأجور إلا في علاقة بعملها المنزلي، والذي لا يقل أهمية من حيث الإنتاج المادي والرمزي عن عملها خارج الإطار الأسري، بل إنه " يفوق بشكل كبير المهام المنزلية ليشمل العناية الجسدية والعاطفية للأطفال"(KERGOAT DANIEL, 2010, p63) وقد عملت النظرية النسوية على عدم الفصل بينهما، إذ أظهرت الأبحاث التي راكمتها بأن هذه المقاربة سمحت بشكل جيد بفهم تمفصلات المسارات المهنية للنساء، خصوصا وأن استحضارهما معا كفيل بأن يكشف عن أواليات التقسيم الجنسي للعمل.

3.1 تمثل المرأة الإطار للعمل المنزلي: في سياق الكشف عن نظرة النساء قيد البحث للعمل المنزلي وتمثلهن له، كان من المهم في بداية الأمر سؤالهن عن التوصيف الذي يخلعنه عليه، باعتبار هذا الأخير علامة دالة على إتجاهاتهن نحو الأعمال المنزلية المختلفة من طهي وتنظيف، وقد أسفرت نتائج سؤال النساء عن توصيفهن للعمل المنزلي عن وجود ثلاث فئات من المستجوبات:

الفئة الأولى: مثلت 56.52% من المستجوبات، اخترن توصيفه بـ "شغل الدار" وهو توصيف لا يحمل أية صفة سلبية لهذا العمل المنزلي،

الفئة الثانية: شكلت 26.08% وقد وصفنه بـ "الشْقَا[1]" الأمر الذي يعبر عن طبيعة الأعمال المنزلية المزاولة.

الفئة الثالثة: مثلت 17.39% من النساء، خلعن على العمل المنزلي نعت "تَمَارَة"[2] وهو ما يحيل على ما تشعر به هذه الفئة حيال مختلف الأعمال المنزلية. غير أن هذا السؤال الأول لا يكتسي دلالة قوية إلا من خلال ربطه بمتغير آخر يقتضي أن تعبر النساء بواسطته عن نظرتهن للعمل المنزلي، وقد اعتُمِد في ذلك على مجموعة من المؤشرات والمقاييس السوسيومترية بشكل تراتبي من الاتجاه السلبي إلى الاتجاه الإيجابي حتى نقف عند الدلالات الفعلية لهذا التوصيف وكذا حدوده الحقيقية بالنسبة لكل المستجوبات، وهو ما يظهر على الجدول التالي.

المتغير	الميزة	شغل الدار (n=25)	الشقا (n=9)	تمارة (n=6)	المجموع	Khi deux (مربع كاي)	P valeur (القيمة الاحتمالية)
لا ينتهي:	لا	10	0	0	10	8	0.018*
	نعم	15	9	6	30		
غير مرئي:	لا	20	8	6	34	1.66	(n. s)0.20
	نعم	5	1	0	6		
غير مقدر:	لا	21	9	6	36	2.67	(n. s)0.13
	نعم	4	0	0	4		

[1] لفظ باللسان المغربي الدارج يحيل على تلك الأعمال المنزلية اليومية والمتكررة في حياة معظم النساء.
[2] لفظ باللسان الدارج أيضا ويحيل على مختلف المهام المنزلية الشاقة والمتعبة.

مقيد للحرية : لا	21	8	5	34	0.14	(n. s)0.92
نعم	4	1	1	6		
فرصة للإبداع: لا	24	8	5	37	1.34	(n. s)0.25
نعم	1	1	1	3		
صناعة منزلية: لا	23	9	6	38	1.26	(n. s)0.31
نعم	2	0	0	2		
عمل مهم: لا	15	7	4	26	0.93	(n. s)0.55
نعم	10	2	2	14		
وسيلة لإثبات الذات: لا	23	9	6	38	1.26	(n. s)0.31
نعم	2	0	0	2		

الجدول4: النتائج الإحصائية لتمثل المرأة للعمل المنزلي.[3]

فقد نفت 34 امرأة من أصل 40 (أي 85%) أن يكون هذا العمل غير مرئي. وبنفس النسبة تنظر النساء على أنه عمل لا يقيد حريتهن، غير أن هذا الحكم قد يكون معزوا إلى كون 57.5% منهن يتوفرن على مساعدة منزلية، و40% منهن يستعن بأحد أفراد العائلة في تحمل أعباء الأسرة. كما نفت أيضا 36 امرأة من أن يكون العمل المنزلي غير مقدر (أي بنسبة 90%)، حجتهن في ذلك أن العمل المنزلي بالنسبة إليهن بما هو اعتناء بالمنزل والأطفال عمل مهم لكونه يلبي حاجيات كل أفراد الأسرة. إلا أن كل هذه الصفات السلبية التي نفتها الغالبية المستجوبة لا تجعل من العمل المنزلي في نظرها مثلا فرصة للإبداع، إذ لم تر 37 امرأة (أي 92.5%) فيه ذلك، كما أنه لا يرق ليصير لدى النساء صناعة منزلية بنسبة 95%، وبنسبة بلغت تحديدا 100% لدى الفئة الثانية والثالثة، وترفض 92.5% من النساء اعتبار عملهن المنزلي وسيلة لإثبات الذات، وبنسبة 100% لدى الفئة الثانية والثالثة.

فعلى الرغم من أن كل المؤشرات التي تظهر على الجدول وفق اختبار كاي الإحصائي (Khi-deux) تبقى غير دالة (أي أكثر من 5%)، فهذا لا ينفي عنها التمثيلية التي تقدمها، لكن المؤشر الذي عكس القيمة الاحتمالية الأكثر دلالة (أي أقل من 5%) هي مؤشر "لا ينتهي"، إذ اعتبرت أزيد من 60 % من نساء الفئة الأولى و100% من نساء الفئة الثانية و100% أيضا من نساء الفئة الثالثة بأن العمل المنزلي هو "عمل لا ينتهي". ومن خلال استقراء هذه النسب تظهر دلالة الرابط بين المتغيرين الكميين، وهو ما يجعل العمل المنزلي بحسبهن عملا يحيل على المهام اليومية المتكررة في حياة معظم النساء.

ومن خلال ما سبق تظهر حدود الأهمية التي توليها النساء لهذا العمل، حيث اعتبرت 14 امرأة فقط (أي 35%) بأنه عمل مهم، بينما تعتبره 65% غير ذلك، إذ يمكن التخلي في نظرهن عن الأعمال المنزلية أو الإشراف عليها لصالح المساعدة المنزلية أو أحد أفراد العائلة، وهو ما يظهر جليا في الجدول أسفله، إذ أن 34 امرأة لا يزيد معدل ساعات عملها المنزلي عن 4 ساعات يوميا،

[3] P- value : القيمة الاحتمالية: أقل من 0.05 = دالة (*). أكثر من 0.05= غير دالة(n. s)
Khi-deux: اختبار مربع كاي لقياس المسافة العددية بين الأعداد الملاحظة والأعداد النظرية، أي دلالة الرابط بين متغيرين كميين.

وعن سؤالهن عما إذا كن يعتقدن بأنهن يعملن أكثر من أزواجهن نفت ذلك 19 امرأة، بينما أجابت بالإيجاب 55 % من النساء، وهو ما لا يشكل إجماعا بينهن حول تقديرهن الكبير للعمل المنزلي، كما أن 17 امرأة فقط (أي 40%) هن من يرين فيه معرقلا لهن لشغل مناصب عليا.

وبخصوص سؤال استمرارهن في أداء العمل المنزلي أو الإشراف عليه بالرغم من عملهن خارج الإطار العائلي اختلفت إجابتهن، كما يبدو على الجدول أسفله، بين حبهن للعمل المنزلي بنسبة لا تزيد عن 17.5%، و35% عبرن عن عدم رضاهن بعمل المساعدة المنزلية، ونفس النسبة أي 35% تعزو سبب استمرارها في أداء هذا العمل إلى كونها مضطرة ولا تجد من ينوب عنها، أما اللاتي يرينه واجبا باعتبارهن كنساء فقد بلغت نسبتهن ما ينيف عن 38% وهي نسبة مهمة بالنظر لمميزات عينة البحث من حيث المنصب الاجتماعي والمعرفي.

الجدول5: النتائج الإحصائية لتمثل المرأة للعمل المنزلي.

المتغير	الميزة	شغل الدار (n=25)	الشقا (n=9)	تمارة (n=6)	المجموع	Khi deux (مربع كاي)	P valeur (القيمة الاحتمالية)
معدل ساعات العمل المنزلي:	بين 2و3	9	5	3	17	6.48	(n. s)0.26
	بين 4و5	13	2	2	17		
	بين 6و7	3	1	0	4		
	أكثر من 7	0	1	1	2		
تعتقدين بأنك تعملين أكثر من زوجك:	لا	11	5	3	19	3.51	(n. s)0.28
	نعم	14	4	3	21		
حول عرقلة العمل المنزلي لشغل مناصب عليا:	لا	5	2	1	8	1.61	(n. s)0.71
	أحيانا	11	2	2	15		
	نعم	9	5	3	17		
دافع الحب:	لا	20	8	5	33	0.37	(n. s)0.71
	نعم	5	1	1	7		
الواجب:	لا	17	4	4	25	1.62	(n. s)0.44
	نعم	8	5	2	15		
عدم الرضى بعمل المساعدة:	لا	14	8	4	26	3.15	(n. s)0.17
	نعم	11	1	2	14		
الاضطرار:	لا	18	6	2	26	3.19	(n. s)0.10
	نعم	7	3	4	14		

وهذا ما توصلت إليه مجموعة من الأبحاث التي تندرج ضمن نظرية العلاقات الاجتماعية للجنس، إذ كشفت عن الارتباط الكبير بين الممارسات الموصوفة والمعنى المعطى لهذه الممارسات، ما يؤكد أن النساء قيد البحث تربط أحكامها وتمثلاتها لعملها المهني بالمهام المنزلية(Daune- Richard Anne- Marie et Devereux Anne- Marie, 1992:p14)، ما يعني أن هذه الأحكام مستبطنة intériorisé من قبل المرأة، وتؤثر بشكل كبير في مساراتها المهنية وممارساتها الاجتماعية المحددة من خلال العلاقات بين الجنسين، وذات الأساس الجنسي، والتي تنتظم، حسب ما تذهب إليه النظرية الماركسية خاصة مع فريكا هوك، حول نمط الهيمنة الذكورية أو الباترياركية اللتان يعكسهما النظام السياسي والاقتصادي والثقافي للمجتمع.

وتحضر هنا كذلك نظرية النوع في تفسير جزء من هذا التمثل، خصوصا وأنها تستند على مبدأ التقسيم والتفاوت الذي يسم العلاقة بين الجنسين، هذا التراتب الذي ينتج تقسيما للعمل يحمل النساء بشكل أكبر القيام بالأدوار المنزلية والأسرية، ويزكي هذا التمثل الأخير (العمل المنزلي باعتباره

واجب المرأة) جوابهن عندما سئلن حول ما إذا كن متفقات على إمكانية أن يصير العمل المنزلي عملا مؤدى عنه، إذ لم توافق على ذلك 35% من النساء، ووافقت بشكل نسبي 22.50% منهن، بينما لم تتجاوز نسبة الفئة الموافقة كليا 42 %، وهي نسبة لا تصل إلى مجموع النسبتين السابقتين. ويعكس هذا الاختلاف في وجهات النظر الاختلاف ذاته الذي وسم التيارات النسوية في نظرتها للعمل المنزلي.

كما يمكن هنا أيضا استحضار نظرية العلاقات الاجتماعية للجنس لقدرتها على تفسير وكشف كواليس الهيمنة وعلاقات السلطة بين الرجال والنساء داخل الأسرة، والتي تعتمل داخلها علاقات اجتماعية تتسم بتبعية النساء للرجال. هذه التبعية التي تجد مثيلتها خارج الإطار العائلي للإنتاج أي من خلال العمل المهني-المأجور لكل من الرجل والمرأة، إذ تشكل انعكاسا لوضعهما داخل الأسرة. وهو ما يحيل أيضا على الامتلاك الطبيعي لقوة عمل النساء من قبل الرجال كما تذهب إلى ذلك النظرية النسوية الماركسية، لذلك فكلا النظريتين تركزان على العمل المأجور للجنسين باعتباره أساس التفاوت الذي يبدو "طبيعيا" داخل الأسرة، وعلى العلاقات الاجتماعية المادية في تفسير العلاقات الاجتماعية، وهو ما يسمح أيضا بتفسير التراجع النسبي في القبول بالهيمنة الذكورية لدى النساء الأطر قيد الدراسة، وذلك نتيجة لوعيهن كنساء أطر يعملن خارج الإطار الأسري ويساهمن مساهمة مادية في تدبير نفقات البيت فضلا عن حيازتهن لمؤهلات علمية معتبرة[4]، كل هذه السمات يفاوضن من خلالها على أشكال وجودهن داخل الأسرة بما تفترض هذه الأخيرة من أدوار ومهام. وهو ما يعبر أيضا عن اقتناعهن بأن الأعمال المنزلية ليست أعمالا لصيقة بهن وبمقدورهن التفاوض حولها وحول إعادة تقسيمها.

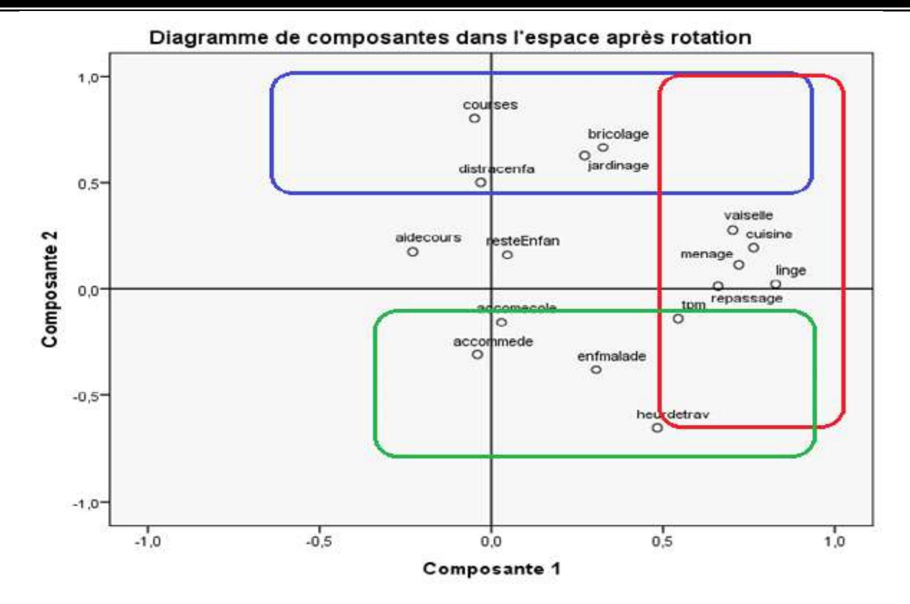
3.2 الأعمال المنزلية والوالدية: إن الهدف الأساسي الذي ترمي إليه هذه الدراسة هو النظر في قدرة عمل المرأة المأجور على إعادة تقسيم جديد للأدوار والمهام الزوجية، لذلك كان الوقوف على هذه المهام أمرا بالغ الأهمية، ولبلوغ ذلك فقد قُسمت هذه المهام الزوجية في خطوة منهجية إلى قسمين: قسم أفردنا فيه مجموعة من المهام سميت بالأعمال المنزلية (طهي، طبخ، تنظيف)Domestique وقسم ثان أفردت له مجموعة من الأنشطة الزوجية سميت بالأعمال الوالدية Parental (بستنة، ترميق، مرافقة الأطفال للمدرسة أو للطبيب، اللعب معهم)، وتقتضي هذه الخطوة المنهجية التحقق ممن يقوم بهذه المهام سواء المنزلية أو الوالدية بشكل فردي وتظل حكرا عليه دون طرف آخر أو بشكل مشترك، وإلى أي مدى بلغ هذا التقسيم الجديد ضمن مختلف الأعمال والمهام السالفة الذكر. ولعقد علاقة ترابطية أيضا بين الممارسة والتمثل: أي بين ما تعتقده النساء بخصوص عملهن المنزلي وبين ممارستهن الفعلية لهذا العمل. وقد أسفرت نتائج البحث، كما يبدو على الرسم البياني أسفله، عن وجود ثلاث مجموعات متضمنة لمختلف المهام المنزلية والوالدية على النحو التالي:

المجموعة الأولى: تضم متغيرات مختلفة لكافة الأنشطة المنزلية، وهي التي تحمل اللون الأحمر.

المجموعة الثانية: متغيرات تضم المهام الوالدية، وتحمل اللون الأزرق.

المجموعة الثالثة: متغيرات تتضمن المهام الوالدية أيضا، لكن بلون أخضر.

[4] 15% من النساء قيد البحث لديهن شهادة الإجازة، و 37.50 % نلن شهادة الماستر، و % 47.50 يحزن شهادة الدكتوراه.



رسم بياني مذيل بمفتاح للأعمال المنزلية والوالدية الممارسة من قبل الزوجين.

المهام الزوجية	المتغير بالفرنسية	مقابله بالعربية
الأعمال المنزلية • اللون الأحمر يعبر عن الأعمال المنزلية التي تختص بها المرأة	Repassage	كي الملابس
	Linge	غسل الملابس
	Cuisine	الطهي
	Vaisselle	غسل الاواني
	Ménage	التنظيف
الأعمال الوالدية • اللون الأزرق يعبر عن الأعمال المنزلية التي يقوم بها الرجال • اللون الأخضر يعبر عن الأعمال الوالدية المشتركة	Acom.ecole	مرافقة الأطفال للمدرسة
	Acom.mede	مرافقة الأطفال للطبيب
	Distrac.enfa	ملاعبة الأطفال
	Courses	التسوق/التبضع
	Bricolage	الترميق
	Jardinage	البستنة
	Aide.cours	المراجعة مع الأطفال
	Reste.Enfan	البقاء مع الأطفال لحظة مرضهم
متغير مستقل	Tpm	اعتقاد المرأة بأنها تعمل أكثر من الزوج
متغير مستقل	Heur.de.trav	عدد ساعات العمل المنزلي

جدول6: الأعمال المنزلية والوالدية الممارسة من قبل الزوجين.

فبالنسبة للمجموعة الأولى والمتضمنة للأنشطة المنزلية من قبيل: كي الملابس، التنظيف، غسل الأواني، الطهي، غسل الملابس، فقد اختصت بها النساء بشكل واضح كما يبدو على الرسم البياني داخل الإطار الأحمر، من دون أن يتخلص منها الأزواج نهائيا إذ يشاركون زوجاتهم هذه المهام، وهذا يؤكد جوابهن عند سؤالهن عما إذا كن يعتقدن بأنهن يعملن أكثر من أزواجهن، إذ عبرت 55% بأنهن يعملن أكثر من شركائهن، مبررات اعتقادهن ذاك بكونهن يقمن بجل الأعمال المنزلية بما في ذلك العناية بالأبناء، فضلا عن عملهن المهني خارج إطار الأسرة وما يترتب

عليه من التزامات، حيث إن 55% من النساء قلن بأنهن يتممن عملهن المهني بالمنزل، الأمر الذي يحيل على الزمن الاجتماعي المخصص لكل من العمل المنزلي والمهني. بينما لم تتعدى نسبة اللائي لا يعتقدن في كونهن يعملن أكثر من أزواجهن 27%. وبالتالي فإن ثمة ارتباط دال بين قولهن بأنهن يعملن أكثر من أزواجهن وبين قيامهن الفعلي بتلك الأعمال المنزلية.

أما المجموعة الثانية والتي تظهر داخل الإطار الأزرق على الرسم البياني فتضم جملة من الأعمال الوالدية من قبيل التبضع وأنشطة الترميق والبستنة وملاعبة الأطفال، وهي كلها أنشطة يقوم بها في الغالب الأعم الرجل ولا يختص بها في نفس الوقت، إذ كشفت نتائج البحث أن 7.5% من النساء يقمن بأنشطة الترميق و5% منهن يشاركن أزواجهن هذا النشاط، و5% أيضا يتبضعن بشكل فردي ويشاركن هذا العمل 42.5% أزواجهن. أما نشاط البستنة أيضا فلم ينفرد به الرجل لوحده، إذ عبرت 10% من النساء بأنهن يمارسنه، و10% منهن يشاركن فيه. وبخصوص ملاعبة الأطفال فقد أعربت 16 امرأة من أصل 40 (أي 40%) بأنهن يقمن بهذا العمل مقابل 15% يقمن به بشكل فردي.

وبخصوص المجموعة الثالثة، والتي تضم أنشطة والدية أيضا داخل الإطار الأخضر على الرسم البياني، فهي مهام مشتركة بين كل من الزوج والزوجة. وتتمثل في كل من مهمة مرافقة الأطفال إلى المدرسة أو اصطحابهم إلى الطبيب، ومن خلال ربط هذه المتغيرات بمتغير عدد ساعات عمل المرأة المنزلي، فقد تبين أن النساء اللواتي يزيد عدد ساعات عملهن المنزلي عن 5 ساعات يتخلين عن أعمال التسوق وملاعبة الأطفال لفائدة الرجل، وعموما ومن جملة الملاحظات الأساسية التي تم استخلاصها من خلال تتبع كل المهام الزوجية ما يلي:

-لا توجد امرأة واحدة عبرت عن انصرافها التام عن أداء نشاط زوجي واحد منزليا كان أو والديا سواء بشكل تشاركي أو انفرادي، على عكس الرجل الذي أكدت كل النساء بعدم قيام أزواجهن بشكل حصري وانفرادي بنشاط معين، ومن ضمن هذه الأنشطة: التنظيف وغسل الأواني وغسل الملابس.

-لا يختص الرجل بنشاط محدد ولا يتخلص كليا من كل المهام، بل إنه يشترك مع زوجته في كل المهام الزوجية ماعدا المهام الثلاثة السابقة. فعلى سبيل المثال ودائما بخصوص الحديث عن الأعمال المنزلية فإن نشاط التنظيف مثلا يشترك فيه 25% من الرجال مع زوجاتهم، وما يزيد عن 22% يشاركن أيضا في غسل الأواني، وبنفس النسبة يشاركن في نشاط الطهي، أما مهمة غسل الملابس فـ10% ممن يشاركون فيه، كما أن نشاط كي الملابس يشارك فيه الرجال زوجاتهم بنسبة 15% ويختص به بشكل فردي 7.5% منهم حسبما عبرت عنه النساء قيد البحث.

-يلاحظ حسبما عبرت عنه النساء أن أزواجهن يقمن في الغالب الأعم بالأعمال الوالدية خاصة (أنشطة الترميق والبستنة..)، والتي تنعتها دومينيك ميدا (Dominique Meda) ب" المهام نصف الترفيهية" (semi-loisir)، إذ غالبا ما يرون فيها هويتهم ويؤثرون القيام بها على خلاف الأعمال المنزلية التي لا يختصون بها ولكنهم يشاركونها نساءهم، من دون أن تعفي النساء أيضا أنفسهن من القيام بهذه الأعمال أو مشاركتها أزواجهن.

3.3 **أشكال التفاوض حول الأدوار الزوجية:** لقد أطلعنا المحور السابق على نتائج دقيقة تتعلق بالممارسة الفعلية للأدوار الزوجية سواء بشكل انفرادي وحصري أو بشكل مشترك لكل من الزوجين. وحتى نقارن ما كشف عنه هذا الأخير لا بد من الدفع بالتحليل إلى مستوى أعمق، وهو ما جعلنا من الناحية المنهجية نسائل هذه النتائج من خلال جملة من الأسئلة التي تتغيا الكشف عن أشكال التفاوض الذي انتهجتها النساء الأطر في سبيل إعادة تقسيمهن الجديد للأدوار الزوجية.

ووفق ما كشفت عنه النتائج السابقة، فإن الزمن الاجتماعي للمرأة قيد البحث يتأرجح بين عملها المنزلي والمهني، الأمر الذي يجعل احتمال تعرضها لمشاكل بين العمل داخل الإطار الأسري

وخارجه نتيجة التزامات هذا العمل أو ذاك محتملة الوقوع، لذلك كانت مبادرتهن في البدء بسؤال احتمال أن يطرح لهن عملهن المهني مشكلة مع الأشغال المنزلية مهما للغاية، وذلك نظرا لكونه أساس بداية التفكير في تقسيم جديد للأدوار الزوجية. وقد نتج عن سؤالهن ذاك أن 60% من النساء أكدن أن عملهن المهني يطرح لهن مشاكل مع عملهن المنزلي، بما يفترضه هذا الأخير من مهام منزلية ووالدية تهم بالأساس الاعتناء برعاية الأطفال، وهو ما دفع في بعض الأحيان ب12.50% منهن للانقطاع عن العمل المهني لأسباب أسرية.

وقد كشفت نتائج سؤالهن عما إذا فكرن بمعية أزواجهن في إعادة تقسيم جديد للأدوار عن نسبة 30% (12 امرأة من أصل 40) من النساء ممن فكرن في ذلك، 84.61% كانت بمبادرتهن الشخصية و15.38% بمبادرة أزواجهن، وعن سؤال كيفية تقبل الزوج لمبادرتهن هذه ظهرت النتائج وفق ما يلي:

رحب 53.84% من الرجال بمبادرة زوجاتهم، حسبما عبرت عنه النساء، لإعادة تقسيم المهام الزوجية. وتردد في قبول الأمر 23.07%، بينما الذين قبلوا الأمر بصعوبة فقد بلغت نسبتهم 15.38%. أما اللواتي قلن برفض أزواجهن فلم تتجاوز نسبتهن 7%، غير أن اللواتي عبرن عن عدم تفكيرهن في إعادة تقسيم هذه الأدوار قد بلغت نسبتهن 67.56%، وهي نسبة دالة، بالنظر لطبيعة العينة قيد الدراسة، تحيل على أمرين اثنين: الأمر الأول من المحتمل أن يتعلق الأمر بفئة تقبل بأن العمل المنزلي هو عملها بالأساس، وبالتالي فالتفكير في إعادة تقسيم الأدوار الزوجية مسألة غير ملحة، طالما أن بعضهن يعتمد في تدبيره للأنشطة المنزلية على مساعدة منزلية والبعض الآخر يعتمد على أحد أفراد العائلة، ولذلك فهن يحاولن جاهدات التوفيق بين العمل المهني والمنزلي. الأمر الثاني هو أن إجابتهن بعدم تفكيرهن في إعادة التقسيم لا تنفي أن تكون المهام الزوجية مقسمة بشكل يرضي الطرفين معا، وهنا أمكن الحديث عن تفاوض ضمني يأخذ بعين الاعتبار ميزة النساء قيد البحث من حيث مساهمتهن في نفقات البيت وحيازتهن لمؤهلات علمية من المفترض أن يشكلا معا رأسمالا ماديا ورمزيا مكنهن من إعادة تقسيم للأدوار الزوجية.

ولرفع اللبس عن هذه الفئة سئلت اللاتي تمكن من اقتسام جديد للمهام الزوجية عن العوامل التي مكنتهن من هذا الاقتسام الجديد، كما سئلت أيضا اللائي لم ينجحن في ذلك حتى نميز بين الفئتين. فكان جواب الفئتين معا، كما يبدو على الجدول أسفله. وللإشارة فإن ثلاثة من المستجوبات لم يجبن عن الأسئلة التي تخول هذا التمييز، الأمر الذي يحيل على ثبات بعض الدهنيات المتوجسة من كل بحث في المعيش اليومي وترفض الكشف عنه لأسباب مختلفة قد تدخل ضمن الخصوصية أو الخوف من الآخر أو فوبيا تعرية الذات أو أنهن يعتبرن الأمر نوعا من التسلل إلى عالمهن الحميمي أو الشخصي.

المتغير / الميزة	مشكل n=24	لا مشكل n =16	المجموع	النسبة المائوية
اقتسام المهام الزوجية: نعم	17	6	23	62.16
فشل اقتسام المهام الزوجية: نعم	3	6	9	24.32

جدول7: نتائج تفاوض النساء حول الأدوار الزوجية.

ويظهر من خلال الجدول أعلاه أن النساء اللواتي تمكن من تقسيم جديد للأدوار المنزلية والوالدية معا فاقت نسبتهن 62% (بمعدل 23 امرأة من أصل 37) 17 امرأة منهن تعانين من مشاكل بين عملهن المنزلي والمهني، و6 نساء، بالرغم من أنهن لا يعانين ذات المشكل، إلا أنهن تمكن من اقتسام المهام الزوجية بسبب مجموعة من العوامل التي أفرزتها نتائج البحث. وقد

أرجأت النساء اللواتي تمكنهن من إعادة اقتسام الأدوار الزوجية إلى العامل الأكثر تأثيرا، بنسبة فاقت 42% إلى وعي الرجل بكون العمل المنزلي ليس حكرا على المرأة، وخاصة أنهن يجدن صعوبة في التوفيق بين العمل المنزلي والمهني، إضافة إلى عامل الضغط النفسي الذي ينتج عنهما، وهو ما أكدته 20.4% من النساء. ولم تُغَيب النساء عامل الوضعية المادية لهن ومساهمتهن في نفقات المنزل بنسبة 20.4%، فضلا عن مؤهلاتهن المعرفية وتأثيرها في أشكال التفاوض بنسبة بلغت 16.32%.

وبخصوص النساء اللواتي عبرن عن عدم تمكنهن من إعادة تقسيم المهام الزوجية فقد بلغت نسبتهن 24.32% (أي 9 نساء من أصل 37)، ثلاثة منهن يعانين من مشاكل بين العمل المهني والمنزلي، وستة لا يعانين من ذات المشكل. وقد أرجأن أسباب فشل اقتسام المهام الزوجية إلى المتغيرات التالية: إذ يعتبرن بأن السبب الرئيس، بنسبة فاقت 66%، في عدم تمكنهن من إعادة تقسيم المهام الزوجية إلى اعتقاد الرجل بأن العمل المنزلي هو عمل المرأة بالأساس، وللإشارة فهذا المتغير يتكرر حتى في اعتقاد بعضهن، الأمر الذي يجعل منه مؤشرا مؤثرا في علاقة الرجل بالمرأة داخل الأسرة، فبعض الرجال لا يرى هُويته إلا في عمله خارج الإطار الأسري، الأمر الذي يشي بأنه على الرغم من كل التحولات التي مست منظومة القيم داخل مؤسسات المجتمع، وبشكل خاص مؤسسة الأسرة، فما يزال هناك أزواج يعتقدون بأن زمنهم الاجتماعي داخل الأسرة هو بمثابة "استراحة محارب"، وما يدعم هذا الطرح اعتقاده، حسبما كشفت عنه النساء، بأن مكانة الرجل الاجتماعية أعلى شأنا من مكانة المرأة، أما بخصوص متغير تفضيل عمله المهني على عمل الزوجة فلم ترجئ أية مبحوثة هذا العامل إلى فشل تقسيم الأدوار الزوجية.

وفي سياق الكشف عن أشكال التفاوض التي انتهجتها النساء، خاصة اللائي لم يتمكن من إعادة تقسيم الأدوار الزوجية، عبرت 64.28% من النساء بأنها ترجح تكرار محاولة إقناع الزوج بإعادة تقسيم تلك الأدوار الزوجية، فيم تفضل أزيد من 35% تجنب الشنآن ومحاولة التوفيق بين العمل المهني والعمل المنزلي، وتجدر الإشارة إلى أن التفاوض الذي يأخذ شكل المواجهة لم تعبر عنه أية مبحوثة. ومن خلال ما سبق أمكننا تقسيم أشكال التفاوض التي أسفرت عنها نتائج استجواب النساء إلى ثلاثة نماذج للتفاوض:

النموذج الأول: يمثل شكل التفاوض الضمني في إعادة تقسيم الأدوار الزوجية، حيث أسهم المنصب الاجتماعي للنساء الأطر، بما يمنحه هذا الأخير من مؤهلات معرفية شكلت هوية المرأة التي صارت تقدر ذاتها في تواز مع تقدير الآخرين لها، الأمر الذي مكنها من ممارسة جملة من التأثيرات في العلاقة الاجتماعية بين الجنسين داخل الأسرة، وما يمنحه أيضا من موارد مادية صارت موردا أساسيا لتدبير نفقات البيت، في دفع الرجل إلى تخصيص مزيد من الوقت للعناية بالأسرة عبر إعادة تقاسم أدوارها وأنشطتها المنزلية والوالدية مع المرأة، خصوصا وأن هذا النموذج من النساء والذي يمثل أزيد من 62% من مجموع النساء المستجوبات، يرجئ إضافة إلى المتغيرات السابقة، نجاحه في إعادة تقسيم المهام الزوجية إلى مستوى وعي الرجل بنسبة فاقت 24%.

النموذج الثاني: يعبر عن شكل التفاوض الذي يتخذ من تكرار المحاولة سبيلا لانتزاع تقسيم جديد للأدوار الزوجية ويمثل نسبة 24.32%، وهو النموذج الذي يعبر عن فئة النساء اللواتي يعزين سؤال رفض أزواجهم لإعادة تقسيم الأدوار الزوجية إلى أن هؤلاء يعتبرون العمل المنزلي هو عمل المرأة بالأساس، وقد أرجأت أزيد من 66% سبب الرفض لهذا العامل، بينما تحفظت ثلاث نساء من أصل 9 عن توضيح سبب الرفض. كما أن ثمة عاملا ذاتيا كان وراء عدم تمكن هذه الفئة من تقسيم جديد للأدوار، ويتمثل هذا العامل، لدى سؤالنا إياهن عن سبب استمرارهن في

تحمل كل مهام العمل المنزلي بالرغم من عملهن خارج الإطار الأسري، في كون أزيد من 11% منهن يرينه واجبا باعتبارهن نساء، بينما 45% عبرن عن حبهن للعمل المنزلي، فيم صرحت أيضا 44 % من المبحوثات بأنهن مضطرات ولا يجدن من ينوب عنهن، وهي كلها عوامل جعلتهن يتحملن مختلف المهام المنزلية والوالدية.

النموذج الثالث: تمثله 13.51% من مجموع النساء، ويعكس تلك الفئة التي يؤثر محاولة التوفيق بين العمل المهني والعمل المنزلي وتتجنب مواجهة الزوج، طالما أن هذه الفئة تعتمد في تدبير التزامات البيت على مساعدة اجتماعية أو من خلال أحد أفراد العائلة إضافة إلى حجم ساعات عملها المهني الذي يمنحها الفرصة للاهتمام بالمهام المنزلية بشكل أكبر، فضلا عما يمنحه المجتمع من مؤسسات وسيطة من قبيل دور الحضانة والرعاية وغيرها، وكلها عوامل أسهمت نسبيا في التخفيف من عبء المهام المنزلية لدى هذه الفئة، وهو ما يسمح لها بالتوفيق بين هذه الأخيرة وعملها المأجور من دون أن تلتجئ لمواجهة الرجل كشكل من أشكال التفاوض حول تقسيم جديد للأدوار.

وعن العوامل التي ترجئها هذه الفئة لعدم تمكنها من تقسيم جديد للأدوار الزوجية صرحت 75% بأن اعتقاد الزوج بأن العمل المنزلي هو عمل المرأة بالأساس يعد سبب عدم تمكنهن من ذلك، فيم عبرت 25% بأن أزواجهن لا يرون مكانتهم الاجتماعية إلا من خلال عملهم خارج الإطار الأسري، ما يجعل كل تفاوض حول تقسيم جديد للأدوار مسّا بهذه المكانة. أما عن العوامل التي تصرف هؤلاء عن محاولة إعادة تقسيم هذه الأدوار والاكتفاء بمحاولة التوفيق كشكل من أشكال التفاوض، فتعود أيضا لأسباب ذاتية، إذ إن 80% من نساء هذه الفئة يرين في عملهن المنزلي واجبا باعتبارهن كنساء، بينما عبرت 20% بحبهن لهذا العمل، وهي عوامل ذاتية كافية لتجعلهن يخترن شكل التفاوض ذاك، ويدعم هذا الطرح جواب هذه الفئة لما سئلت عن الخيارات التي تراها صائبة في أفق تقسيم جديد للأدوار الزوجية، إذ اختارت كخيار أن تعمل المرأة بدوام جزئي لتخصص وقتا أطول للمهام المنزلية، وفي هذا الخيار يبرز اتجاههن في شكلهن التفاوضي.

خاتمة:

إن السياق الاجتماعي الذي تحيا ضمنه النساء الأطر كفيل بأن يطلعنا على مسلكيات المعنى والفعل التي يتغياها هذا البحث، هذا المعنى الذي يضفيه الفاعلون على أفعالهم ومن خلال أقوالهم أيضا، لذلك كان البحث والسؤال عن ممارسات وتمثلات النساء الأطر، سواء بخصوص عملهن المنزلي أو عملهن المهني وتأثيرات هذا الأخير في مختلف علاقاتهن الاجتماعية وتجاربهن الحياتية، وبشكل أكثر تحديدا في العلاقات الاجتماعية بين الجنسين، أمرا محوريا لمقاربة الظاهرة قيد الدراسة.

وقد أطلعتنا الدراسة أن حضور المرأة الإطار من خلال عملها المأجور، وما يمنحه من استقلالية اقتصادية وتقدير اجتماعي ينبع أساسا من مساهمتها المادية في نفقات البيت فضلا عن مؤهلاتها المعرفية، قد أسهم في خلخلة الدهنيات التي لا تزال ترى في العمل المنزلي مهمة دائمة الالتصاق بالمرأة، وهو ما مكن معظم النساء قيد البحث من أن يفاوضن الرجل حول تقسيم جديد للأدوار الزوجية، وقد تمكن من ذلك بفضل مجموعة من المتغيرات التي تكررت بشكل متفاوت في أجوبتهن، من قبيل مستواهن المعرفي ودخلهن المادي فضلا عن مستوى وعي الرجل، وهي كلها عوامل سهلت مهمتهن في تقسيم الأدوار الزوجية، وأكسبتهن القدرة على الفعل والتأثير. لكن نجاح هذه الفئة الكبيرة من النساء لا يمنع من الوقوف على فشل أخريات ومحاولتهن المتكررة لانتزاع اعتراف شركائهن من الرجال بخصوص إعادة التقسيم الذي يحملهن بشكل أكبر القيام

بالأدوار الزوجية وخاصة المنزلية منها، كما كشفت الدراسة أيضا عن فئة ثالثة اختارت قرار التوفيق بين عملها المهني والمنزلي من خلال تحمل القسط الأكبر من المهام الزوجية.

إن كل هذه الفئات الثلاث التي أفرزتها نتائج الدراسة تفاوض على أشكال وجودها داخل الأسرة، بما تفترض هذه الأخيرة من أدوار ومهام، ومن خلال ما تحوزه من رساميل مادية ورمزية. وبالطبع تختلف أشكال هذا الوجود والفعل تبعا للتجربة الذاتية لحياة كل منهن، والتي تظل في تفاعل دائم ومستمر مع شركائهن داخل الأسرة.

قائمة المراجع:

1. المرنيسي، فاطمة(2005)، ما وراء الحجاب: الجنس كهندسة اجتماعية، ترجمة فاطمة الزهراء أزرويل، ط4، الفنك: الدارالبيضاء، المغرب.
2. المرأة في الغرب الإسلامي(2016)، الصفحات المشرقة والتحديات المحدقة والأسئلة العالقة، تنسيق وتقديم: عبد الباسط، المستعين. أفريقيا الشرق: الدار البيضاء.
3. عبد المعطي، عبد الباسط. وعلام، اعتماد(2003)، العولمة وقضايا المرأة والعمل، أعمال الندوة العلمية لمركز الدراسات والبحوث والخدمات المتكاملة بكلية البنات، جامعة عين شمس، 3-4 مارس 2002، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية.
4. السعديين، محمد(دس)، المرأة السلاوية: 1666- 1912، منشورات جمعية سلا المستقبل.
5. حمداش، عمار(العدد 8، 2008)، الاتجاه مؤنث: قراءة في بعض مسارات تحول المجتمع المغربي الراهن، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع8، البوكيلي للطباعة والنشر والتوزيع: القنيطرة.
6. بوخريص، فوزي(2016)، المرأة في خطاب العلوم الاجتماعية: من متغير الجنس إلى سؤال النوع، إفريقيا الشرق: المغرب.

7. www.ogfp.ma/
8. Travail et genre dans le monde, l'état des savoirs, Sous la direction de Margaret Maruani Éditions La Découverte, Paris, 2013
9. Méda Dominique, le temps des femmes : pour un nouveau partage des rôles, Champs actuel, Edition revue, Paris, 2008
10. LALLA HAFDANE HAKIMA, les femmes marocaines : une société en mouvement, L'Harmattan, 2002
11. KERGOAT DANIEL, les rapports sociaux du sexe, cordonne par Annie Bidet, PUF, collection actuel Marx, 2010.
12. http://www.mmsp.gov.ma/
13. Flacher Bruno, Travail et Intégration sociale, Breal, 2e édition, 2008,
14. Daune- Richard Anne- Marie et Devereux Anne- Marie « Rapports sociaux de sexe et conceptualisation sociologique » in recherches féministes, vol. 5 n0 2, 1992.

إقتراح أداة لقياس الفعالية الذاتية نحو مهنة التمريض دراسة ميدانية بمستشفى الأم والطفل سطيف-

Suggest a tool for measuring self-efficacy towards the nursing profession - Field study at the mother and child hospital Setif -

أ.بوجرادة محمد، جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة0-الجزائر
أ.غرزولي هدى، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 02-الجزائر

ملخص: تهدف الدراسة المجمع إنجازها إلى إقتراح أداة لقياس متغير فعالية الذات إتجاه مهنة التمريض، وذلك من خلال ميدان الدراسة المتمثل في مستشفى الطفل والأم بولاية سطيف (المجتمع المتاح)، في المقابل كان مجتمع الدراسة جميع الممرضين والممرضات العاملين في مستشفيات ولاية سطيف.

وقد أخترنا متغير الفعالية الذاتية الذي كان الفضل في وجوده كتراث أدبي متميز في ميدان علم النفس الحديث، إلى عالم النفس " ألبارت باندورا" الذي طور هذا المفهوم من خلال نظريته التعلم الاجتماعي، و قد أثبتت عدة دراسات عربية و أجنبية أن لمفهوم فعالية الذات الأثر الكبير في السيرورة الانتقائية للفرد وخاصة في مجال اختيار المهنة التي يفضلها الفرد في مستقبل حياته، و تعتبر نظرية TSCOSP لكل من Hackett و Bezt من النظريات التي تعتبر كتطبيق عملي لنظرية فعالية الذات في مجال التوجيه المهني و المدرسي، لهذا سنعتمد على نموذج الاهتمامات، باعتبار أن نموذج **" TSCOSP"** يحتوي على ثلاث نماذج، (الاهتمام، الاختيار، الأداء)، وكإجراء منهجي سنعتمد على عدة اختبارات لفعالية الذات في صياغة بنود المقياس و بدائله، إضافة إلى أسلوب التقرير الذاتي لدى الممرضين للتعبير عن العوامل التي تجعل فعاليتهم الذاتية تتميز بالارتفاع، و قد توصلت الدراسة أن الأداة المقترحة لقياس الفعالية الذاتية نحو مهنية التمريض تتميز بخصائص سيكومترية جيدة.

الكلمات المفتاحية: فعالية الذات، مهنة التمريض، مقياس فعالية الذات نحو مهنة التمريض.

Abstract: The comprehensive study aims to propose a tool to measure the variable self-efficacy towards the profession of nursing through the field of study of the Child and Mother Hospital in Setif (community available). In contrast, the study community was all nurses working in the hospitals of Setif.

We have chosen the variable of self-efficacy, which was credited with being a distinguished literary heritage in the field of modern psychology, to the psychologist "Albert Pandora" who developed this concept through his theory of social learning. Several Arab and foreign studies have proved that the concept of effectiveness The TSCOSP theory of both Hackett and Bezt is considered to be a practical application of the theory of self-efficacy in the field of vocational and school guidance. Therefore, we will build on the interest model, since the 'TSCOSP' model contains w and as a methodological measure, we will rely on several tests of self-efficacy in the formulation of the scale items and alternatives, as well as

the self-report method of nurses to express the factors that make their self-efficacy high. The study concluded that the tool Proposed to measure self-efficacy towards nursing professionalism characterized by good psychometric characteristics.
Keywords: self-efficacy, nursing profession, self-efficacy measure towards nursing profession.

مقدمة:

استقطب مفهوم فعالية الذات في السنوات الأخيرة اهتمام الكثير من الباحثين في مجالات عدة، بحيث أجريت العديد من البحوث والدراسات حول هذه العملية الماوراء معرفية المهمة في توجيه وتغيير سلوكات الأفراد، حيث أعتبرها صاحب نظرية فعالية الذات" باندورا" حسبه "إنها المحدد لاختيارنا من النشاطات أو الفعاليات التي تواجهنا، كما اعتبرها أيضا مخفضة للقلق الذي قد يصاحب هذه الفعالية أو تلك"(أحمد إسماعيل الآلوسي، 2014، ص38).

من هذا المنطلق اهتم الباحثون من مختلف التخصصات والمجالات بهذا المتغير المهم المحدد لاختيارات الأفراد أثناء أدائهم انتقائهم للمهام التي يريدون خوضها، وقد كان لنظرية فعالية الذات عدة تطبيقات في مختلف الميادين سواء في مجال الصحة وذلك من خلال دراسات كل من (Macland et al 1999)، (Clark and Dodge 1999)، (Ewart 1992)، (Booth et al 2000)(مفتاح محمد عبد العزيز، 2010، ص171).

وقد انتشرت أيضا الدراسات في المجال الإكلينيكي وذلك من خلال الأعمال التي اهتمت بعلاج الفوبيا والإكتئاب، حيث كانت أول دراسة أجريت التي قام بها (Bandura et al 1977) حول رهاب الأفاعي، ودراسة (Mahalik and kivlighan, 1988)، التي اهتمت بتأثير توقعات الفعالية الذاتية وأثرها على مرض الاكتئاب.

ومن الميادين التي كان لها أبحاث كثيرة على فعالية الذات ومدى تأثيرها على العملية الانتقائية نجد ميدان التوجيه المدرسي والمهني، حيث ظهرت نظرية قائمة بذاتها تستند إلى نظرية "ألبارت باندورا" (TSCOSP) النظرية المعرفية الإجتماعية في التوجيه المدرسي والمهني، وذلك من خلال أعمال (Lent, Betz, Hackett, 1981-1984)(أحمد إسماعيل الآلوسي، 2014، ص87-93).

إن الأعمال التي كانت في ميدان التوجيه المدرسي والمهني والمستندة إلى نظرية فعالية الذات، جعلتنا نتناول هذه الدراسة، وذلك ببناء مقياس للفعالية الذاتية إتجاه مهنة التمريض (التوجيه المهني).

1.مشكلة الدراسة:

يعتبر مفهوم فعالية الذات الذي جاء به البارت باندورا (Bandura ;1977) من المفاهيم التي استقطبت اهتمام الكثير من الباحثين في السنوات الأخيرة، فقد كان هذا الأخير بمثابة القاسم المشترك بين العديد من النظريات الحديثة التي حاولت أن تفسر السلوك الإنساني بوجه عام والسلوك الإنجازي بوجه خاص، وحسب باندورا يشير مصطلح الفعالية الذاتية إلى معتقدات الشخص حول قدرته على تنظيم وتنفيذ المخططات العقلية المطلوبة لإنجاز الهدف المحدد.(عبد الله إبراهيم حجات، 2010).

وترجع أهمية فعالية الذات إلى تأثيرها المثبت عن طريق العديد من الدراسات على السيرورات المعرفية والدافعية والانفعالية والانتقائية للسلوك البشري، وهذا ما يجعلها متغير مهم جدير بالدراسة، لأنها تؤثر على الأداء المعرفي للفرد وطرق تفكيره نحو أداء المهام المتعددة، وفي هذا

يشير (Shunk ;1987) من خلال دراسته إلى وجود علاقة موجبة بين الفعالية الذاتية والأداء المعرفي، وهذا لأن التلاميذ يختلفون في تعلمهم للمهام المتنوعة وتعلمهم لأساليب التنظيم الذاتي طبقا لاختلافاتهم في مستوى الفعالية الذاتية، ونفس السياق أشار كل من (Bouffard-Bouchard.etal ,1991) إلى وجود علاقة موجبة بين الفعالية الذاتية والتنظيم الذاتي للسلوك(حجاج غانم، 2005، ص102).

إن تأثير الفعالية الذاتية على العمليات الانتقائية للأفراد نابعة من إتمامها بالحتمية المتبادلة بين الفرد والبيئة والسلوك، والتي تترجم من خلال مصادر الفعالية الذاتية (الإنجازات الأدائية – الخبرات البديلة – الإقناع اللفظي- الحالة الفيسيولوجية)، فاختيارات الأفراد الدراسية والمهنية نابعة من مصادر عائلية وتأثير الأقران والأستاذ المدرس، أي بمعنى أخر المحيط الاجتماعي له دور في الاختيارات الدراسية والمهنية وهذا ما أبثته عدة دراسات من بينها دراسة "ألبارت باندورا" سنة 1996م (إيطاليا) التي بينت أن الطموحات الأكاديمية لأولياء الأمور ارتبطت إيجابيا بالإنجازات الأكاديمية للأطفال، وفي دراسة أخرى وعلى نفس العينة بين باندورا سنة 2001 أن الكفاءات والطموحات المدركة لدى تلاميذ مرحلة المتوسطة عملت على ترشيح المدخلات الأبوية للاختيار المهني(علاء الدين كفافي وآخرون، 2010، ص548-550).

من هذا المنطلق يمكن القول أنّ للفعالية الذاتية تأثير كبير في الاختيارات الدراسية والمهنية للفرد، وبالتالي يمكن استخدامها كمؤشر مهم في التوجيه المدرسي والمهني، وهذا ما عملت عليه بعض الدول الأوروبية مثل فرنسا، بحيث يتم تطبيق سلم التوجيه المهني المستند إلى النظرية الاجتماعية المعرفية في التوجيه المدرسي والمهني (TSCOSP) لكل من (Taylor, Betz, 1983) وقد ثبتت فعاليته في التوجيه المدرسي والمهني (Jean-Philippe Gaudron, 2013).

إن نموذج الفعالية الذاتية في التوجيه المدرسي والمهني قد أثبت أن للإهتمامات المهنية دور كبير في الإختيارات المهنية، بالإضافة إلى أن مقاييس الفعالية الذاتية تتميز بخصائص سيكومترية جيدة مما يجعل الإعتماد عليها أمرا لازما، وقد ما أكدته عدة دراسات من بينها "Morgan" و " Jinks" 1999 حين بنائهما لمقياس الفعالية الذاتية للأطفال (MJES) حيث بلغت قيمة ألفا كرومباخ 0.82 (Morgan ;jinks ;1999 ;p225).

ومن الدراسات أيضا أكدت على فعالية مقاييس فعالية الذات نجد دراسة " Emily" و " Shannon" 2007 عند محاولتهما للتأكد من صلاحية مقياسين للفعالية الذاتية، حيث أكدت النتائج أن هذين الأخيرين يمتازان بخصائص سيكومترية جيدة. (Emily ; shannon ;2007)، ودراسة " sayed sohail Imam"2007 التي أثبتت أن لمقياس الفعالية الذاتية " sheree" موثوقية كبيرة في قياس الكفاءة الذاتية للفرد. (Imam ;2007)

ودراسة " Aleksandre" و " Shwartzer" 2005 التي إهتمت بالتأكد من الخصائص السيكومترية لمقياس الفعالية الذاتية العامة عبر الثقافات خلصت الدراسة إلى أن هذا الأخير يتميز بقدرة سكيومترية جيدة. (Aleksandre ;Shwartzer ;2005)

مما سبق ذكره يمكن القول إن مقاييس الفعالية الذاتية لها الموثوقية السيكومترية في نتائجها، وبالتالي يمكن الإعتماد عليها في مجال التوجيه المهني، نظرا لتميز عنصر الإختيار بالتقلب والتغير من وقت إلى آخر، وإضافة إلى هذا لم يجد الباحث دراسة محلية تتناول التوجيه المهني من ناحية مؤشر فعالية الذات-على حد علم الباحث-لهذا كان الهدف من هذه الدراسة إقتراح مقياس للفعالية الذاتية إتجاه مهنة التمريض.

2.أهداف الدراسة:

-إقتراح أداة للتوجيه نحو مهنة التمريض في مستشفيات الأم والطفل بناء على مؤشر فعالية الذات للفرد.

-فتح المجال للبحث أكثر في ميدان الفعالية الذاتية باعتبارها متغير وسيط قدرات الفرد ورغباته.

-تبيان أثر فعالية الذات على الإختيارات المهنية للأفراد.

3.أهمية الدراسة التطبيقية:

- مد المختصين في مجال التوجيه المهني بمقياس للفعالية الذاتية نحو مهنة التمريض في مستشفيات الأم والطفل.
- تحليل مهنة التمريض في مستشفيات الأم والطفل من خلال القيام بأسلوب التقرير الذاتي.
- لفت الإنتباه للاهتمام بفعالية الذات الخاصة بالفرد عند توجيهه لمهنة ما.

4. مفاهيم الدراسة:

فعالية الذات: يعرفها "ألبارت باندورا" سنة 1977 بأنها ميكانيزم معرفي يسهم في تغيير السلوك، وتنطوي على توقع الفرد لقدرته على أداء مهمة محددة واستبصاره بإمكاناته وحسن استخدامها في ظل وجود قدر كاف من الإمكانات الفيزيولوجية والعقلية والنفسية، وهي ذات طابع دافعي وتؤثر في أنماط التفكير والخطط التي يضعها الفرد لنفسه(أحمد زكريا الشربيني، 2008، ص493).

مهنة التمريض:تعرفه الجمعية الكندية للتمريض: بأنه " عناية نشطة وعلاقة تعاونية من خلالها يقوم الممرض بمساعدة المريض للوصول إلى المستوى الصحي الأمثل والمحافظة عليه ويصل الممرض إلى هذا الهدف عن طريق تطبيق المعلومات والمهارات التي تعلمها من التمريض والمجالات الأخرى مستخدما في ذلك عمليات التمريض(عبد الرحمان، 2002، ص51-52).

مقياس الفعالية الذاتية نحو مهنة التمريض: يعرف إجرائيا على أنه مجموعة من البنود المقترحة، الغرض منها قياس معتقدات الفرد الافتراضية حول ما يستطيع فعله نحو مهمة معينة.

5. الدراسات السابقة:

دراسة Nesdale and Pinter(2000): التي هدفت إلى تحليل عدد من الدراسات التي أجريت في بيئات ثقافية مختلفة، وقد توصلت الدراسة أن الفاعلية الذاتية المهنية تتنبأ في قدرة الأفراد على إيجاد فرص العمل، وفي سلوك الاستكشاف المهني الذي يتضمن جمع المعلومات التي تساعد على اتخاذ القرار المهني.

دراسة Sternet (1998): التي هدفت إلى قياس الفعالية الذاتية لدى المرفوضين من العمل، وقد توصلت الدراسة إلى أن ذوي الفعالية الذاتية المهنية المرتفعة يستمرون في البحث عن فرص العمل رغم تعرضهم للرفض المستمر، وبمجرد حصولهم على فرص عمل يحافظون على وظائفهم.

دراسة Gushue et al(2006): التي أكدت على أن الفعالية الذاتية المهنية هي متغير متنبأ في كل من الهوية المهنية وأنشطة البحث المهني، **ودراسة Gati (2006)** التي أكدت على وجود علاقة ارتباطية سالبة بين الفاعلية الذاتية المهنية وصعوبة اتخاذ القرار المهني.

دراسة Hackett (1985) التي هدفت إلى التنبأ باختيارات طلاب المرحلة الثانوية في الطور الجامعي، وقد ارتكزت الدراسة على بناء سلم للفعالية الذاتية نحو مادة الرياضيات، حيث اعتبرت هذه الأخيرة مصدرا للتنبؤ باختيارات الطلبة للمسارات ذات العلاقة بمادة الرياضيات، وقد توصلت الدراسة إلى وجود فروق دالة اتجاه مادة الرياضيات تعزى للجنس، كما أن الاختيار الرجالي للأدوار ومستوى النجاح في مادة الرياضيات يوفر الخيارات المدرسية والمهنية

المرتبطة بمادة الرياضيات، وفي نفس السياق تتنبأ الاهتمامات والتمدرس القبلي بمادة الرياضيات بالتوجيه المهني والمدرسي في التوجيه الجامعي والمهني فيما بعد.

دراسة (Siao,2016) التي هدفت الدراسة إلى الكشف عن القدرة التنبئية للفعالية الذاتية في الكشف عن المهارات في مادة الرياضيات، طبقت الدراسة على 1587 مشارك تتراوح أعمارهم ما بين 12-18 سنة، حيث أن 823 منهم يدرسون في الثالثة ثانوي تم انتقاءهم من 7 ثانويات من سنغافورة، وقد تم قياس الفعالية الذاتية في مادة الرياضيات باستعمال مقياس (MSLQ)، وقد توصلت الدراسة إلى أن الفعالية الذاتية تتنبأ بالإنجازات المختلفة في مادة الرياضيات لدى التلاميذ وذلك من خلال مؤشر التحصيل الدراسي.

التعليق على الدراسات السابقة:

من خلال الدراسات السابقة المعروضة أعلاه تبين لنا أن الفعالية الذاتية متغير مهم ومنبأ جيد بأداء الأفراد واختياراتهم الدراسية والمهنية، هذه النقطة التي تشترك فيها الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة ونتائجها، حيث اختلفت دراستنا مع هذه الأخيرة من حيث العينة أولا، ومن حيث السياق الثقافي الذي طبقت فيه، أما أهداف دراستنا اشتركت مع أهداف الدراسات السابقة في سعيها إلى قياس الفعالية الذاتية وأثرها في اختيارات الأفراد.

الإطار النظري للدراسة:

1.الفعالية الذاتية:

1-1 مفهوم الفعالية الذاتية:

لقد تعددت التعاريف لمفهوم فعالية الذات وذلك انطلاقا من منظرها الرئيسي "ألبارت باندورا" وعلماء أخرون وسوف نستعرض بعض التعاريف المهمة لهذا المفهوم فيما يلي:

يرى ألبارت باندورا وآخرون (1977) أن فعالية الذات تتعلق بمعتقدات الفرد حول تعبئة الدافعية والموارد المعرفية والسلوك اللازم لمواجهة المتطلبات الموقفية المعطاة.

ويرى هولاند وآخرون (Holland et al. 1986): أن فعالية الذات مجموعة من التوقعات التي تجعل شخصا ما يعتقد بأن المسار الذي سيتخذه سلوك ما سيحظى بالنجاح(أحمد إسماعيل الألوسي، 2014، ص56).

ويرى أيضا "شونك" (Shunk, 1990) أن مفهوم فعالية الذات يشبه مفاهيم أخرى مثل: الكفاءة المدركة، وتوقعات النجاح، والثقة بالذات. (الشناوي، 1998، ص80).

كما أشار كل من "بمبنوتلي" وزمرمان (Bembenutly et Zimmerman, 2003): إلى خمسة خصائص للفعالية الذاتية وهي أنه يمثل حكما ذاتيا حول إمكانات الفرد في تنفيذ مهمته أو أداء معين وليس حكما عاما مثل السمة النفسية، ويعتبر مفهوما متعدد الأبعاد وليس أحادي البعد، ومعتمد على المحتوى، ومقياس النجاح محكي وليس معياري، ويتم قياسه قبل أداء المهمة وتلعب دورا سببيا في التحصيل(عبد الله إبراهيم حجات، 2010، ص80).

2. مصادر الفعالية الذاتية: حدد "ألبارت باندورا" أربعة مصادر التي تؤثر على توقعات الفعالية الذاتية هي:

الإنجازات الأدائية: إن خبرة التلميذ السابقة عن أدائه المتدني في اختبار موضوعي في مادة العلوم مثلا، فان هذا يمكن أن يقلل من احتمال نجاحه في اختبار موضوعي مشابه في نفس المادة، فالخبرة السابقة طورت لديه توقعا متدنيا في الاختبار، وإن ذلك قد يجعله يطور فكرة سلبية عن قدرته في مادة العلوم، وهذه فكرة خاطئة لأنه قد يكون لديه قدرة جيدة في مادة العلوم، ولكن المسبب في تدن درجته هو فكرته المتدنية عن فعاليته الذاتية المدركة على الاختبار الموضوعي مادة العلوم.

الإقناع اللفظي: اقتناع التلميذ من طرف الآخرين بأنه يستطيع أن يقوم بالأداء لامتلاكه فاعلية ذاتية مدركة إيجابية، وتزويده بمؤشرات تدلل على النجاح، ولكن المهم أن يكون مصدر الإقناع اللفظي مصدر ثقة بالنسبة للتلميذ، وأن يكون ذو سلطة أيضا.

الخبرات البديلة: يرتبط المتعلم عادة بالمتعلمين الآخرين في الصف، بحيث يلاحظ التلميذ أن المتعلم حينما يأخذ درجة متدنية نسبيا تراه يقول الأول في الصف أخذ علامة تزيد عن علامتي بدرجتين، وحينما تسأل المتعلم في الصف هل تستطيع حل هذه المسألة يجيب، فلان وهو أقل قدرة مني وقد حل مثلها لذلك فأنا أستطيع حلها، بهذه الصورة إن المتعلمين يطورون معلومات وأفكارا عن فاعليتهم الذاتية عن طريق ما يحرزه الآخرون من نجاح أو فشل في المهمات(يوسف قطامي، 2004، ص175-179).

الحالة الفيزيولوجية: (تعب، اضطراب عضلات، ارتباك ذهني، رجفة اليد) هي علامات فسيولوجية تدل على أن المهمة أكبر من قدرة المنفذ، إن الحالة الفسيولوجية الغير الطبيعية هي حالة خاصة، إلا أنها تثير الانتباه ورسالة تساهم في الفاعلية الذاتية، غياب الاضطراب والخوف والضغط يزيد من الفعالية الذاتية المتوقعة، من خلال تزويد الفرد بمعلومات أولية عن الحالة الجسدية التي تمكن الفرد من التعامل بملائمة مع المهمة المطلوبة(حسين أبو رياش وآخرون، 2006، ص146).

3. مستويات تأثير الفعالية الذاتية: تؤثر الفعالية الذاتية حسب "ألبارت باندورا" (1998) على أربع عمليات أساسية هي:

السيروررات المعرفية: يتم تبني السلوكيات بالنظر إلى التنظيم المعرفي الذي يدمج تقييم الأهداف، فالأساليب السلوكية تنظم أوليا في التفكير.

السيروررات الدافعية: تلعب اعتقادات الفعالية الذاتية دورا مفتاحيا في التنظيم الذاتي للدافعية وتشمل القدرة على ممارسة التأثير الذاتي بالأهداف والتحديات وتقييم النتائج المحققة، الية معرفية مهمة للدافعية، كما تسمح كذلك بالتنبؤ بمستويات الأداء اللاحقة، وبالتالي تعزيز الفعالية الذاتية.

السيروررات الانفعالية: تؤثر معتقدات الفعالية الذاتية للأفراد في قدراتهم على مواجهة المواقف الصعبة التي تعترضهم، وما ينجم عنها من الضغوط المؤدية للقلق والاكتئاب، إذ تمارس إدراك الفعالية الذاتية تحكما أعلى من الدور الرئيسي الذي تلعبه الضغوط في إثارة القلق، ولا يتأثر مستوى هذا القلق بادراك المواجهة الفعالة فحسب، وإنما بادراك الكفاءة في التفكير المؤدي للقلق.

السيروررات الانتقائية: فالأفراد الذين لديهم مستويات مرتفعة من الفعالية الذاتية، يتجهون إلى اختيار المهام التي يشعرون فيها بقدر من الثقة والإنجاز، دون تجنب الاستفادة وتنمية الكفاءات من خلال هذه الاختيارات(منصور بوقصارة، رشيد زياد، 2015، ص30).

4. مفهوم الممرض:

الممرض هو إنسان مهني لديه الحصيلة المعرفية والمهارة والثقة بالنفس التي تمكنه من العمل في مختلف الوحدات الصحية بتعاون مع زملائه من أفراد الطاقم الصحي وهو عنصر نشط في إدارة المؤسسة الصحية وإحداث التغيرات الإيجابية فيها ولديه الكثير من الأدوار التي يؤديها (طلال، 2000، ص33).

1-4 مفهوم التمريض: تعتبر فيرجينيا أندرسون من الأوائل الذين وضعوا نظريات التمريض وأول من وضع تعريفا للتمريض وإطارا للعمل التمريضي فتعرفه بأنه: " الوظيفة المميزة للمرض هي مساعدة الفرد ـ مريضا أو سليما ـ للقيام بالأنشطة التي تقدم إلى اتمام الصحة والشفاء من المرض والتي يجب عليه القيام بها دون مساعدات إذا توافرت لديه القوة والرغبة والمعرفة ومساعدة الفرد للوصول إلى حالة الاعتماد على النفس بأسرع ما يمكن.

2-4 أدوار الممرض: هناك تسعة أدوار يقوم بها الممرض أو الممرضة فيما يتعلق بالعناية بالمرضى وأمرهم أومن يدعمونهم .ويعمل الممرض على تكيف مهاراته وأساليب العناية مع هذه الأدوار المتداخلة كلما دعت الحاجة إلى ذلك، ولكن نوعية العمل والدور تختلف طبقاً لاختلاف الدرجة والتحصيل العلمي للممرض.

الدور الشفائي (العلاجي): يستخدم الممرض الأساليب التي تساعد في إنجاح الشفاء الطبيعي كتغيير الضمادات المعقمة وإعطاء الأدوية للمرضي وغيرها من المهارات.

دور العناية (المواساة : إن الممرض يدعم المريض عن طريق اتجاهاته وأعماله التي تظهر اهتمامه برفاهية المريض وتقبله له كإنسان، ويحرص الممرض ألا يضع القرار نيابة عن المرضى ولكنه يشجع المرضى على المشاركة في إعداد الخطط للعناية بهم وتتضمن نشاطات العناية الحفاظ على كرامة الفرد.

دور التواصل: ويشمل جمع المعلومات وتوصيلها للآخرين، وبتواصل التمريض مع المرضى وأسرهم ومع زملائهم الممرضين في أقسام أخرى ومع أعضاء الفريق الصحي، وغالباً ما يتأثر شفاء المريض بنوعية التعامل الذي يقوم به التمريض.

دور التعليم :يقوم التمريض بدور التعليم حيث يعومون بتزويد المعلومات وتعزيز التغير السلوكي والعمل على توفير بيئة مناسبة تمكن المريض من التعلم وتحديد حاجات المريض واستعداده للتعليم.

دور التخطيط :يمارس التخطيط من خلال جميع مراحل عملية التمريض من اجل تحقيق الأهداف المتوقعة من العناية الصحية.

دور التنسيق :التنسيق طريقة لوضع الأشياء مع بعضها ويشمل دور الممرض التنسيق بين الممرض أسرهم والممرضين والاختصاصين في مجال الصحة.

دور الحماية :وهذا يشمل النشاطات التي يقوم بها التمريض لحماية الإنسان من الإصابات والمضاعفات وتعقيم المواد وتزويد الناس بالمعلومات عن الأمراض المعدية وطرق الإصابة بها وكيفية منع حدوثها والإسعافات الأولية وإجراءات وقائية أخرى.

دور إعادة التأهيل :ويشمل النشاطات التي ترفع من إمكانيات المريض إلى الحد الأقصى وتخفيف القيود عليه إلى الحد الأدنى وغالبا ما تساعد هذه النشاطات المريض على التغير واكتساب مهارات جديدة كمهارة المشي باستخدام العكازات.

دور تهيئة المريض للمجتمع :وهذا يشمل تحويل انتباه المريض من التركيز على المرض إلى أشياء أخرى مفيدة له لهم فالمريض الذي يعاني من مرض طويل الأمد يرغب في الحديث بأمور تتعلق بالناحية العلاجية ولكن الحديث عن أخبار العلم وما شابه من محادثات سيستمتع بها أكثر وتخرجه من حالته النفسية السيئة(ابتسام أحمد، 2008، ص34-35).

3-4 طبيعة مهنة التمريض: لمهنة التمريض طبيعة خاصة تتمثل في مجموعة من الظروف التي يمكن أن تحيط بها وهذه الظروف هي:

نظرة الأفراد لمهنة التمريض :يعتقد عدد من الناس بأن مهنة التمريض سواء في المستشفيات أو المراكز الصحية هي واجبات هامشية بالنسبة للأعمال الأخرى التي يقوم بها الأطباء والصيادلة وفنيو المختبر، وقد أدى هذا الاعتقاد إلى وجود نظرة استعدائية عند البعض، الأمر الذي يمكن أن يؤدى إلى انخفاض مستوي الرضا الوظيفي عند العاملين في مهنة التمريض.

نظرة المرضى للممرضين :المرضى وأسرهم وزوارهم ينظرون إلى الممرضين من الناحية التقليدية تابعين للأطباء، متصورين أن طبيعة عملهم تقتصر على تضميد الجروح وحقن الإبر وتقديم الطعام والدماء للمريض.

ازدواجية تبعية الممرضين في المستشفى :يتبع الممرضين لرئيسين أحدهم إداري والآخر طبي، فعلي سبيل المثال لو أخذنا دور الممرض أو الممرضة المشرف على قسم في مستشفى ما كمثال لما يقابله في عمله من مفارقات نجد أنه يخضع لإشراف رئيس يتلقى منه أوامره وهو رئيسه الرسمي، ولكنه في نفس الوقت يخضع لأمر الطبيب المشرف على علاج المرضي المقيمين في القسم، باعتباره أكثر خبرة منه وعلماً، وهو المسئول الأول عن علاج المرضي.

عبء العمل :أظهرت العديد من الدراسات أن الممرضين العاملين في وحدات العناية الحثيثة ووحدات العناية بأمراض القلب يتعرضون إلى ضغوط بسبب عبء العمل في هذه الوحدات.

دوريات العمل: تؤثر ورديات العمل على الطريقة البيولوجية الاعتيادية لأداء الجسم كما تؤثر على الجانب الفسيولوجي والاجتماعي لوظائف الفرد، حيث أظهرت النتائج صعوبة كبيرة في التكيف مع عمل الورديات والمعاناة من مشاكل عائلية انعكست سلباً على الرضا الوظيفي وعلى خدمة المريض.

طبيعة الحراك الاجتماعي :من خصائص العمل في مهنة التمريض نقص أو انعدام الحراك الوظيفي إذا ما قورنت بغيرها من المهن، فالممرض يظل دائما ممرض والمساعد يظل دائماً مساعد ونتيجة لذلك يوجد تدرج طبقي مهني يثير كثير من الصراعات(أحمد،2008، ص36).

4-4 خصائص المعلومات التي يحتاجها قطاع التمريض:

الدقة :لا يمكن الاستفادة من أي معلومة ما لم تكن دقيقة وصحيحة، فقيمة أي معلومة ترتبط بمدى دقتها وصحتها.

السرعة :المعلومة لها أهمية في الوقت المناسب، وإذا توافرت هذه المعلومة قبل أو بعد الوقت لا قيمة لمعرفتها، فمثلاً معرفة مريض له عملية جراحية وهو مصاب بارتفاع ضغط الدم بعد العملي لا قيمة لمعرفة هذه المعلومة.

الشمولية :توفر المعلومات بشكل شامل ومتكامل أمر ضروري لاتخاذ القرار في استكمال علاج المريض.

الإيجاز: المعلومات الشاملة والموجزة توفر الوقت والجهد على الإدارة التمريضية لاتخاذ القرارات، وكلما كانت المعلومات المقدمة موجزة وشاملة كلما كانت الاستفادة منها كبيرة.

الصلة الوثيقة بالموضوع :يجب أن تكون المعلومات المقدمة مناسبة وضرورية للموضوع المراد اتخاذ القرار بشأنه(قزاقزة، 2002، ص22).

الجانب التطبيقي للدراسة:

1.منهج الدراسة

1.1 المنهج الوصفي: يعرفه (Scates) يراد بالدراسات الوصفية ما يشمل جميع الدراسات التي تهتم بجمع وتلخيص الحقائق الحاضرة المرتبطة بطبيعة ووضع الناس أو عدد من الأشياء أو مجموعة من الظروف أو فصلية من الأحداث أو نظام فكري(مروان عبد المجيد إبراهيم، 2000، ص125).

2.1 الأسلوب الوصفي المستخدم في الدراسة

2.2 تحليل المحتوى: يعرفه (Barelson) بأنه أحد أساليب البحث العلمي التي تهدف إلى الوصف الموضوعي والمنظم والكمي للمضمون الظاهر لمادة من مواد الاتصال"(أحمد رشدي طعمية، 2004، ص70)، وقد تم إستعمال تحليل المحتوى كأسلوب لحصر المهام المختلفة للمرضات، وذالك عند إستجابتهم على سؤال مفتوح أستعمل للتقرير الذاتي لديهم، و قد كان السؤال كالتالي: ما هي المهام المسندة إليك داخل المستشفى (بالتفصيل)؟.

2. عينة الدراسة

إن العينة حسب أنجرس (Angers) "هي مجموعة فرعية من جمهور معين"، أما بخصوص حجم العينة، فعادة ما يواجه الباحث سؤالا، ما هو حجم العينة الممثل للمجتمع الأصل، وفي هذا أشار إحسان محمد 1928 أن حجم العينة يتأثر بعدة متغيرات هي:

-الوقت المتيسر للباحث.

-الموارد البشرية والمالية المتيسرة للبحث.

درجة الدقة وصحة المعلومات والبيانات التي يريد الباحث الوصول إليها(عبد الحكيم بوصلب، 2013، ص476).

من هذا المنطلق تكونت عينة التقنين الخاصة بالمقياس من 22 ممرضة بمستشفى الأم والطفل بولاية سطيف، حيث كانت هذه العينة الأولية التي طبق عليها أسلوب التقرير الذاتي، أما عينة الدراسة الأساسية فتكونت من 30 ممرضة بمستشفى الأم والطفل بسطيف-شوف لكداد.

خصائص العينة:

خصائص العينة من حيث السن:

السن	التكرار	النسبة المئوية
36-23	19	%63.33
50-37	11	%36.66
المجموع	30	%100



خصائص العينة من حيث سنوات الخبرة في العمل:

الخبرة	التكرار	النسبة المئوية
15-1	23	%76.66
30-16	7	%23.33
المجموع	30	%100



3.أداة الدراسة:

1.3 المرتكزات المعتمد عليها في بناء المقياس:

-إعتماد أسلوب التقرير الذاتي **(Self-Report)** في بناء المقياس الحالي، وهذا لتميز هذا الأسلوب بأنه بوفر الجهد كما أنه يقيس السلوك بحساسية أكبر من الطرق الأخرى، كما أنه يهدف إلى تقدير كامل للشخصية أو حوانب متعددة منها.

-إشتقاق الفقرات من مختلف المهام التي أدلت بها الممرضات، باعتبار أن فعالية الذات تتمحور حول قدرة الفرد على أدائه المهام المتعددة.

-الإعتماد على دليل "ألبارت باندورا" في إعداد مقاييس الفعالية الذاتية، حيث لا توجد بدائل للإجابة، بل تكون الإجابة بالنسبة المئوية. **(0%-100%).**

-الإعتماد في صياغة الفقرات على الضمير " أنا"، و هذا محاكاة لبعض مقاييس فعالية الذات مثل مقياس " فعالية الذات العامة" ل: **Shwartzer**، و مقياس الفعالية الذاتية العامة ل" **Sherer**ومقياس '' محمود 2008 للفعالية الذاتية لتلاميذ المرحلة المتوسطة، و مقياس "موريس" للفعالية الذاتية الأكاديمية، و أيضا مقياس "نيكولاص" **(Nicholas)** للفعالية الذاتية رغم الـألم، بالإضافة إلى مقياس "توقعات النجاح و الفشل " ل: هيبل **(Hibel)** و ترجمة: " يوسف قطامي.

-الإعتماد على نموذج الإختيار للنظرية المعرفية الاجتماعية في التوجيه الدراسي والمهني TSCOSP.

2.3 مكونات المقياس:

-تكون المقياس من 15 مهمة تم اشتقاقها من التقرير الذاتي للممرضات.

-تم تكييف البدائل على النحو التالي: **(0%-25%)** تشير إلى تنطبق عليا بدرجة منخفضة **(26-50%)** تنطبق عليا بطريقة متوسطة، **(51-100%)** تنطبق عليا بدرجة مرتفعة.

4.عرض النتائج:

أولا: عرض نتائج التقرير الذاتي للممرضات من ناحية المهام المسندة إليهم

المهام المستخرجة من خلال التقرير الذاتي	التكرار	النسبة
حماية ورعاية المواليد.	20	15.87
إرشاد وتوجيه الأمهات للمحافظة على صحة أبنائهم.	15	11.90
تقديم العلاج للمريض حسب الحالة.	10	7.93
مساندة المريض من الناحية النفسية.	10	7.93

القيام بالتلقيح.	9	7.14
القيام بعملية الإنعاش.	8	6.43
القيام بعملية المراقبة.	8	6.43
الاهتمام بوسائل العمل وصيانتها.	7	5.55
تدوين العلاج والملاحظات في سجل.	7	5.55
إجراء تحاليل الدم.	6	4.76
التعرف على الأدوية وجلبها من الصيدلية.	6	4.76
إجراء الحقن الإبرية.	6	4.76
تنفيذ توجيهات الطبيب.	5	3.96
إجراء مخطط الرأس للأطفال EEG	5	3.96
التربية العلاجية للمرضى المصابين بالأمراض المزمنة.	4	3.14
المجموع	126	100

من خلال الجدول أعلاه تبين لنا أن أهم مهمة يقوم بها الممرض في مستشفى الأم والطفل هو حماية ورعاية المواليد بنسبة مئوية قدرها: 15.87، إضافة إلى إرشاد وتوجيه الأمهات للمحافظة على صحة أبنائهم ب: 11.90، في المقابل توجد مهمات فرعية أخرى تتراوح نسبتها مابين 3-إلى 7 بالمئة تتروا ح مابين مهمة المراقبة إلى مهنة الإجراءات الطبية والخدمات النفسية.

ثانيا: الإخراج النهائي لمقياس فعالية الذات نحو مهنة التمريض المعتمد في أساسه على الواقع أولا، و ثانيا المعتمد على النظرية المعرفية الاجتماعية في مجال التوجيه الدراسي و المهني.

التعليمة:

في إطار مهنة نبيلة مثل التمريض، نود منك عزيزي(تي) الممرض (ة) الاستجابة على هذا مقياس الذي يهدف إلى قياس مدى انجذابك نحو مهنة التمريض.

ملاحظة:

-أجب على جميع الأسئلة.

-كل إجابة صحيحة فهي لا تحتمل الصح أو الخطأ.

تكون الإجابة على عبارات المقياس باستعمال النسب المئوية كالتالي:

-(0%-25%) تشير إلى تنطبق عليا بدرجة منخفضة.

-(26-50%) تنطبق عليا بطريقة متوسطة.

-(51-100%) تنطبق عليا بدرجة مرتفعة.

	لدي الثقة في قدرتي على:	%
1	حماية ورعاية المواليد.	
2	إرشاد وتوجيه الأمهات للمحافظة على صحة أبنائهم.	
3	تقديم العلاج للمريض حسب الحالة.	
4	مساندة المريض من الناحية النفسية.	
5	القيام بالتلقيح.	

6	القيام بعملية الإنعاش.	
7	القيام بعملية المراقبة.	
8	الاهتمام بوسائل العمل وصيانتها.	
9	تدوين العلاج والملاحظات في سجل.	
10	إجراء تحاليل الدم.	
11	التعرف على الأدوية وجلبها من الصيدلية.	
12	إجراء الحقن الإبرية.	
13	تنفيذ توجيهات الطبيب.	
14	إجراء مخطط الرأس للأطفال EEG.	
15	التربية العلاجية للمرضى المصابين بالأمراض المزمنة.	

مناقشة نتائج الدراسة تبعا لهدفها: اقتراح أداة لقياس فعالية الذات نحو مهنة التمريض

الخصائص السيكو مترية للأداة:

أولا: الصدق المنطقي: من المعروف أن مختلف الأدوات التي تبنى في شتى الميادين سواء في المجال التربوي أو النفسي تعرض على مجموعة من المحكمين، وهذا ما يسمى بالصدق الظاهري أو صدق المحتوى أو صدق التعريف وغيرها من المسميات، لكن في الدراسة الحالية ارتأينا أن نكتفي بالصدق المنطقي، وهذا بحجة أننا اعتمدنا على إطار مفاهيمي إمبريقي يثبت منطق بناءنا للمقياس.

ثانيا: الثبات بطريقة الاتساق الداخلي Alpha chronbakh

قيمة alpha	عدد البنود	قيمة المتوسط	قيمة التباين	القرار
0.619	15	34.80	96.35	صادق وثابت

من خلال النتائج المتحصل عليها تبين أن قيمة alpha قدت ب: 0.619، أما المتوسط الحسابي قدر ب: 34.80، في حين قدر التباين ب: 96.35، وهذا ما يدعونا إلى القول بأن المقياس المعد صادق وثابت في نفس الوقت وهذا للأسباب التالية:

- قيمة alpha فاقت 0.60 وحسب محك **Anastasie** يعتبر ثابتا.
- التباعد الموجود بين المتوسط والتباين، وهذا فيه دليل على وجود الاختلاف وهو دليل من أدلة صدق الاختبار (الصدق التمييزي).

من هنا نستنتج ما يلي:

- أن الاختبار قاس ما أعد لقياسه.
- أن الاختبار فرق بين طرفي السمة المقاسة.
- وجود استقرار نسبي للنتائج إذا أعدنا تطبيق الاختبار.

إن النتيجة المتوصل إليها من خلال إجراء الدراسة الحالية، و المتمثل في إقتراح أداة لقياس الفعالية الذاتية نحو مهنة التمريض، حيث بينت الدراسة أن الأدة المقترحة تتميز بخصائص سيكومترية جيدة تجعلها صادقة من حيث الإستعمال، و التوصل إلى نتائج من خلالها، إن هذه النتيجة تتوافق مع العديد عدة دراسات من بينها "Morgan" و " Jinks" 1999 حين بنائهما لمقياس الفعالية الذاتية للأطفال (MJES) حيث بلغت قيمة ألفا كرومباخ 0.82 (Morgan ;jinks ;1999 ;p225)

ومن الدراسات أيضا أكدت على فعالية مقاييس فعالية الذات نجد دراسة " Emily" و " Shannon" 2007 عند محاولتهما للتأكد من صلاحية مقياسين للفعالية الذاتية، حيث أكدت النتائج أن هذين الأخيرين يمتازان بخصائص سيكومترية جيدة. (Emily ; shannon ;2007)، و دراسة " sayed sohail Imam"2007 التي أثبتت أن لمقياس الفعالية الذاتية " sheree" موثوقية كبيرة في قياس الكفاءة الذاتية للفرد. (Imam ;2007)، و دراسة " Aleksandre" و " Shwartzer" 2005 التي أهتمت بالتأكد من الخصائص السيكومترية لمقياس الفعالية الذاتية العامة عبر الثقافات خلصت الدراسة إلى أن هذا الأخير يتميز بقدرة سكيومترية جيدة. (Aleksandre ;Shwartzer ;2005).

خاتمة:

من خلال الدراسة التي قمنا بها وجدنا من خلال بعض الأسئلة المضافة للسؤال المفتوح، مثلا لماذا إخترت مهنة التمريض؟ أن معظم الممرضات كان اختيارهم مبني على أساس اجتماعي بحت، بحيث كان لتأثير رغبة الوالدين حصة الأسد من ذالك، بالإضافة إلى الوازع الديني الذي كان جد مؤثر في جانب الإختيار، مما سبق ذكره تبين لنا أن الوسط الاجتماعي له الدور الكبير في عملية اختيار مختلف المهن، وهذا ما تنص عليه النظرية المعرفية الاجتماعية، من خلال منظرها "ألبارت باندورا" الذي بين ذلك من خلال نموذجه الحتمية المتبادلة، أما من حيث المقياس الذي تم بناءه في هذه الدراسة، فقد تم اقتراحه أولا من خلال أطر مفاهيمية (نظرية فعالية الذات)، وأطر واقعية (أسلوب التقرير الذاتي)، و قد هدفنا في هذه الدراسة إلى اقتراحه أولا بدون التعرض إلى خصائصه السيكومترية، وهذا لتحقيق غرض آخر هو توضيح كيف يتم بناء مقاييس الفعالية الذاتية كهدف جوهري في هذه الدراسة، و يأمل الباحثان أن تكون هناك دراسات مماثلة فيما يخص متغير فعالية الذات من حيث اختيار المهام.

قائمة المراجع:

1. محمد إسماعيل الآلوسي(2014)، فاعلية الذات وعلاقتها بتقدير الذات لدى طلبة الجامعة –دراسة ميدانية في علم النفي الاجتماعي، ط1، دار الكتب العلمية للطباعة وللنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
2. مفتاح محمد عبد العزيز(2010)، مقدمة في علم النفس الصحة، ط1، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
3. عبد الله إبراهيم حجات(2010)، عادات العقل والفاعلية الذاتية، ط1، دار جليس الزمان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
4. جاج غانم(2005)، علم النفس التربوي – تحليل نظري وسيكومتري لخمسة مقاييس في التربية العادية والخاصة، ط1، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، مصر.
5. علاء الدين كفافي وآخرون(2010)، نظريات الشخصية – الارتقاء، النمو، التنوع، ط1، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان، الأردن.
6. زكريا أحمد الشربيني(2007)، الإحصاء وتصميم التجارب في ابحوث النفسية والتربويةو الاجتماعية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر.

7. يوسف قطام(2004)، النظرية المعرفية الاجتماعية وتطبيقاتها، ط1، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان، الأردن.
8. مروان عبد المجيد إبراهيم(2000)، أسس البحث العلمي لإعداد الرسائل الجامعية، ط1، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
9. رشدي أحمد طعمية(2004)، تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية – مفهومه، أسسه، استخداماته، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر.
10.منصور بوقصارة، رشيد زياد(2015)، الخصائص السيكومترية للنسخة الجزائرية لمقياس توقعات الكفاءة الذاتية العامة لدى تلاميذ المرحلة الثانوية، مجلة العلوم النفسية والتربوية، ع 1 (1)، جامعة الوادي.
11.عبد الحكيم بوصلب(2013)، أسلوب اتخاذ القرار كمدخل معرفي لبناء عملية الاختيار الدراسي والمهني لدى تلاميذ المرحلة الثانوية، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 40، جامعة قسنطينة1، الجزائر
12.قزاقزة، يوسف وآخرون(2000)، إدارة الخدمات الصحية والتمريضية، ط1، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
13.البدوي، طلال(2000)، درجة الإحتراق النفسي ومصادره لدى الممرضين العاملين في مستشفيات محافظة عمان: رسالة ماجستير، الأردن، كلية العلوم التربوية.
14.شعبان، شقورة عبد الرحمان(2000)، الدفع المعرفي وإتجاهات طلبة كلية التمريض نحو مهنة التمريض وعلاقة كل منها بالتوافق الدراسي، رسالة ماجستير، غزة، فلسطين.
15.إبتسام، أحمد أبو العمرين(2008)، مستوى الصحة النفسية في مهنة التمريض في المستشفيات الحكومية بمقاطعة غزة وعلاقته بمستوى أدائهم، رسالة ماجستير، فلسطين.

16.Jean- Philippe Gaudron, (2013) ; *l'échelle des sentiments d'auto-efficacite aux décisions de carrière – forme courte – une adaptation française pour lycées* ; revue O.S.P ; vol 42/2 ; PARIS.
17.erry Jinks, Viky Morgan, (1999) , children's perceived Academic Self-efficacy:An Intervention Scale,Published By Taylord and Français, vol .72, no 4 pp 224-230.
18.Shannon M.Suldo, Emily .S , (2007), Evaluation of the self – efficacy Questionnaire for children in two sample of Americain Adolescent, published By Jurnal of psychoeducation ; http// www. Research gate /247781840.
19.leksandre. L , Shwartzer . R,(2005), The General Self – efficacy Scale: Multiculturel Validation Studies. 39 (5) , pp 239-457.
20.yed Sohail. I,(2007), Sherer et Al Genarale self – efficacy scale: Dimensionality, Intrenale, consistency , and temporel stability, published By conference in sangapor.May .

واقع الصحة النفسية لدى الشباب المنخرطين في دور الشباب دراسة ميدانية على عينة من منخرطي دار الشباب سيدي لحسن بولاية سيدي بلعباس بالجزائر

The reality of mental health among member young in youth institutions (A Field Study on a sample of Sidi Lahcen youth house member in the state of Sidi Bel Abbes, Algeria)

أ. ليلى ميسوم، جامعة تلمسان- الجزائر

ملخص: تهدف الدراسة الحالية إلى الكشف عن واقع الصحة النفسية لدى الشباب المنخرطين في دور الشباب، وقد أجريت على عينة مكونة من (50) شاب وشابة، حيث يقع سنهم ما بين(13-25 سنة)، وقد اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي في عرض وتفسير النتائج، كما إعتمدت على قائمة كورنل الجديدة للنواحي العصابية لـ "محمود أبو النيل"(1995)، وقد خلصت الدراسة إلى أن الاضطرابات الانفعالية والمزاجية تنتشر بين الشباب المنخرطين في دار الشباب سيدي لحسن بنسبة متوسطة، كما لا توجد فروق دالة إحصائيا بين المنخرطين الذكور والإناث، وبين المنخرطين من فئة عمرية (13-19 سنة) وفئة عمرية (20-25 سنة)، وبين المنخرطين بمستوى تعليمي ابتدائي ومتوسط وثانوي من حيث الاضطرابات الانفعالية والمزاجية.

الكلمات المفتاحية: الصحة النفسية، الاضطرابات الانفعالية والمزاجية، الشباب، المنخرطين، دور الشباب.

Abstract: The current study aims to reveal the reality of mental health among member young in youth centers, the study was carried out on a sample of (50) young people, their age vary between (13 -25 year), the study was based on the descriptive analytical method in the presentation and interpretation of the results, and on the new Cornell list of neurological areas for "Mahmoud Abou El Nile"(1995), the study concluded that the emotional and mood disorders are moderately prevalent among member young in the Sidi Lahcen youth house, and there were no statistically significant differences between male and female member, and between the member age group (13-19 year) and age group (20 - 25 year), and between the member in the level of primary education and average and secondary from where emotional and mood disorders.

Keywords: mental health; emotional and mood disorders; young; the member; youth home.

مقدمة:

لقد تعددت مفاهيم الصحة النفسية وفقًا لاختلاف النظريات النفسية والأطر الفكرية التي تبناها الباحثون، إلا أننا نجد اتفاقا ملموسًا بين العلماء على أهم الدعائم التي تقوم على أساسها، وعليه يتميز مفهوم الصحة النفسية بالاستمرارية والنسبية، ويتأثر بالأطر الثقافية للمجتمعات، ويؤكد (أحمد عبد الخالق، 2001، ص28-34) هذا المعنى عندما يشير إلى أن الصحة النفسية حالة دائمة نسبيًا، فهي ليست ثابتة إما تتحقق أو لا تتحقق، وإنما هي حالة دينامية متحركة ونسبية تتغير من فرد إلى آخر، ولدى الفرد ذاته من وقت إلى آخر، كما تختلف معاييرها تبعًا لمراحل النمو التي يمر بها الفرد، وتتغير تبعا لتغير الزمان وتغير المجتمعات.

إن المتتبع لتاريخ الصحة النفسية يلاحظ أن هذا العلم يعد من العلوم التي برزت في عصرنا الحاضر، واكتسبت صفة خاصة في العصر الحديث بسبب اهتمامها بأخطر قضايا الإنسان المتمثلة في تأثير عمليات التوافق عليه، وشدة تأثره بها، وما تفرضه عوامل الحضارة من تحديات يومية تؤثر على نظرة الفرد إلى نفسه، وعلى كيفية تعامله مع مختلف الظروف ومتطلبات البيئة (رمضان محمد القذافي، 1998، ص7)K فالصحة النفسية حالة دينامية تبدو في قدرة الفرد على عقد صلات اجتماعية تتميز بالأخذ والعطاء والتعاون والتسام (عباس محمود عوض، 1977، ص3)، وهي بذلك تمثل حالة إيجابية تتضمن التمتع بصحة العقل والجسم، وليس مجرد غياب أو الخلو من أعراض المرض النفسي، وهي لها شقان: شق نظري علمي يتناول الشخصية والدوافع، والحاجات، وأسباب الأمراض النفسية، وأعراضها، وحيل الدفاع النفسي والتوافق، وتصحيح المفاهيم الخاطئة، وإعداد وتدريب الأخصائيين، والقيام بالبحوث العلمية، والشق الثاني تطبيق عملي يتناول الوقاية من المرض النفسي، وتشخيص وعلاج الأمراض النفسية(عبد السلام حامد زهران، 1994، ص9-10).

إن مفهوم الصحة النفسية يعبر عن التوافق أو التكامل بين الوظائف النفسية المختلفة مع القدرة على مواجهة الأزمات النفسية التي تطرأ عادة على الإنسان، ومع الإحساس الايجابي بالسعادة والكفاية (صالح حسن الداهري وناظم هاشم العبيدي، 1999، ص40)، فالفرد منا مزود بطاقات نفسية أساسية يحتاج إليها لمباشرة وظائفه النفسية المختلفة، وهي الطاقة العقلية المعرفية، والطاقة الاجتماعية والدافعية، ونمو الفرد هو تمايز لهذه الطاقات، بحيث يمكن تجميعها في تنظيم كلي متكامل، وتوجيهها نحو أهداف معينة في أوقات معينة لتحقيق الوجود الايجابي له (دري حسن عزت، 1986، ص26).

إن ضغوط الحياة المتباينة، وشدة معوقاتها، ومدى قدرة الفرد على الاستجابة لها، ومدى الاستسلام لها أو التغلب عليها يتطلب العديد من الفعاليات النفسية من أساليب دفاعية، واجراءات وقائية تحمي الشخصية الإنسانية من الضغط النفسي والانهيار، ومما لاشك فيه أن تربية الشباب بصورة عامة، ورعايته مسؤولية اجتماعية متكاملة الأبعاد تفرضها طبيعة التحولات التي أوجدتها عملية التغير الشاملة في المجتمع، وما يرافقها من مشكلات وضغوط تستدعي إجراء المعالجات، والنشاطات الفعالة والعميقة في أسلوب تربية المتعلمين وإعدادهم(عبد العزيز الغانم، 1985، ص13).

والصحة النفسية تجعل الفرد متحكماً في عواطفه وانفعالاته، فيتجنب السلوك الخاطئ، ويسلك السلوك السوي، وهي لا تقل أهمية عن الصحة الجسمية العامة، بل قد تبقى الصحة الجسمية عاجزة عن إضفاء السعادة على الإنسان ما لم تتوفر له أسباب وعناصر الصحة النفسية، كما أن الاهتمام بالصحة النفسية لصيق الاهتمام بالصحة العامة (محمود السيد الهابط، 1987، ص225)، كما أن المعاناة التي يعيشها الشباب تترك آثارا واضحة على شخصيتهم ونفسيتهم، ولذلك فإن القدرة على تحمل هذه المواقف الضاغطة تعتبر واحدة من مؤشرات الصحة النفسية

السليمة، فإذا أخفق الشاب في تحقيق هذا التوازن، وأستسلم للضغوط، فسيكون فريسة سهلة للتوترات النفسية والمشكلات والاضطرابات النفسية والاجتماعية، وينعكس هذا سلباً على لشخصيته، فتصبح غير سوية، وغير مستقرة نفسياً واجتماعياً ودراسيا، ويقل نموه النفسي السليم، وتصبح شخصيه غير محققة لذاتها، ولا تتمتع بالحد الأدنى من متطلبات الصحة النفسية السليم(نجدت قاسم الصالحي، 1985، ص54 بتصرف).

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

يعيش المجتمع الجزائري تحولات وتغيرات سريعة وعميقة، شملت مختلف الجوانب الثقافية والعلمية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وذلك بفعل التطور التكنولوجي السريع والمتغيرات المالية، والغليان السياسي الذي يعيشه المجتمع، ولعل أكثر الشرائح الاجتماعية تأثرا بما يجرى من مستجدات هي فئة الشباب، باعتبارها الشريحة الأكثر تمثيلا في المجتمع الجزائري حوالي 70%، وباعتبارها أيضا الشريحة الأكثر تفاعلا واهتماما بقضايا التجديد والتحديث والعولمة.

وقد أفرزت هذه التحولات المتسارعة جملة من المشكلات والاضطرابات النفسية والاجتماعية منها الإحساس بالاغتراب النفسي، وقلق المستقبل، والاكتئاب، وسرعة الغضب وغيرها، وذلك نظرا لمجموعة المعوقات التي تحول الشباب الجزائري دون وصولهم إلى تحقيق أهدافهم وتطلعاتهم، وفقدانهم الشعور بالانتماء، ومعنى الحياة، وأحيانا عدم الالتزام بالمعايير، والإحساس بالعجز والملل والسلبية، ومركزية الذات، وفقدان الإحساس بالقيمة، والصراع الواضح بين القيم والمعايير الأصيلة، وما يعرضه عصر الحداثة والعولمة من مغريات ومستجدات، وهذا ما يجعلهم يشعرون بحالة من التوتر والقلق والخوف من المستقبل الذي ينتظرهم.

وتعد دور الشباب من أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية في الجزائر، وهي مؤسسة عمومية تربوية مكملة لمهام وأدوار المؤسسات التربوية من حيث التربية والتعليم، لأنها تقوم بمهام ثقافية واجتماعية وفنية ورياضية وترفيهية لصالح الأطفال والشباب، ومن أهم أهدافها هو استثمار الوقت الحر للشباب والأطفال بما يعود عليهم بالنفع، ومساعدتهم على بلورة شخصيتهم، وتمكينهم من الوسائل الكفيلة بتنمية مؤهلاتهم، وتنمية الابتكار، وإبراز طاقاتهم، وتمكينهم من خوص بعض التجارب الجماعية سواء داخل دار الشباب أو خارجها، ومنحهم فرصة التعبير عن أفكارهم في كل المناسبات المنظمة، وذلك في إطار احترام الجماعة، وخلق جو ملائم لتبادل الخبرات والتجارب بين مختلف الشباب، وربط الاتصال فيما بينهم بغية تبادل الآراء، والاحتكاك بالعالم الواسع، وحمايتهم من الآفات المؤدية إلى الانحراف والجنوح.

وعند التمعن جيدا في هذه الأهداف التي تسهر دور الشباب إلى تحقيقها، نجد أنها تحاول تحقيق صحة نفسية سليمة وسوية إلى حد ما، لأن استثمار وقت الشباب بالنافع والمفيد، وبلورة شخصيتهم، وتنمية ملكة الابتكار لديهم، وخلق فرصة للاحتكاك بالجماعة والتعبير عن أفكارهم؛ كله من شأنه أن يجعل الشاب متكيفا نفسيا واجتماعيا مع بيئته وأقرانه، كما أنها تحاول التقليل من ظهور بعض المشكلات أو الاضطرابات النفسية والاجتماعية عند الأطفال والشباب.

ولكن الملاحظ في دور الشباب اليوم أنها لا تحقق هذه المعادلة بصورة مثالية، يكفي أن نقول بصورة جيدة، بل في بعض الأوقات لا تحققها إطلاقا، فقد ثبت سواء بالملاحظات اليومية للشباب، أو بالمقابلات العيادية، أو الأيام التحسيسية والإعلامية التي تنظم لصالح الشباب المنخرطين؛ أن مظاهر الشعور بالاغتراب النفسي، والإحساس بالقلق والتوتر، والشعور بالكآبة لم يسلم منها حتى الشباب المنخرطين في دار الشباب، بل أحيانا تكون عند بعضهم بمستويات متوسطة أو أعلى من غيرهم؛ فنجد هؤلاء الشباب معزولون عن الجماعة، لا ينخرطون في النشاطات الجماعية مثل الرياضة أو المسرح، ويعيشون حالة من القلق والعجز والخوف من

المستقبل المجهول، لأن أغلبهم غير متمدرسين (متسربين مدرسيا)، وأحيانا يأتون لتمضية الوقت بدون هدف محدد، كما تظهر عليهم علامات الحيرة، والارتباك، وعدم الثقة بالنفس، وأحيانا بالخيبة، والتذمر من المكان، لأن هذه المؤسسة لم تحقق لهم الأحلام والآمال المرسومة في أذهانهم، فتجدهم يمكثون لمدة قصيرة ثم يغادروا المكان بحجج متعددة، وتبدأ عادة هذه المشاعر بالظهور عند الشباب المنخرطين في مرحلة المراهقة المتوسطة والمتأخرة، أي ما بين 15 إلى غاية 21 سنة، أما الأطفال وبعض المراهقين في مرحلة المراهقة المبكرة أي (13 سنة)، فتجدهم أكثر تكيفا مع المكان، وأكثر تجاوبا مع الأنشطة الترفيهية والرياضية والأيام التحسيسية، كما تقل عندهم المشكلات والاضطرابات النفسية والاجتماعية المذكورة سابقا.

ومن هنا تأتي مشكلة البحث الحالي بمحاولة إلقاء الضوء على واقع الصحة النفسية للشباب المنخرطين في دور الشباب(دار الشباب سيدي لحسن نموذجا) من خلال معرفة مدى شيوع الاضطرابات الانفعالية والمزاجية بينهم، ولتوضيح مشكلة البحث أكثر تم طرح التساؤلات التالية:

- ما مدى شيوع الاضطرابات الانفعالية والمزاجية بين الشباب المنخرطين في دار الشباب سيدي لحسن؟
- هل تختلف درجات الشباب المنخرطين على قائمة كورنل الجديدة للنواحي العصابية (الاضطرابات الانفعالية والمزاجية) باختلاف الجنس؟
- هل تختلف درجات الشباب المنخرطين على قائمة كورنل الجديدة للنواحي العصابية (الاضطرابات الانفعالية والمزاجية) باختلاف الفئة العمرية؟
- هل تختلف درجات الشباب المنخرطين على قائمة كورنل الجديدة للنواحي العصابية (الاضطرابات الانفعالية والمزاجية) باختلاف المستوى التعليمي؟

فروض الدراسة:

1. تنتشر الاضطرابات الانفعالية والمزاجية بين الشباب المنخرطين في دار الشباب سيدي لحسن بنسبة متوسطة.
2. تختلف درجات الشباب المنخرطين على قائمة كورنل الجديدة للنواحي العصابية (الاضطرابات الانفعالية والمزاجية) باختلاف الجنس.
3. تختلف درجات الشباب المنخرطين على قائمة كورنل الجديدة للنواحي العصابية (الاضطرابات الانفعالية والمزاجية) باختلاف الفئة العمرية.
4. تختلف درجات الشباب المنخرطين على قائمة كورنل الجديدة للنواحي العصابية (الاضطرابات الانفعالية والمزاجية) باختلاف المستوى التعليمي.

أهداف الدراسة:

- التعرف على واقع الصحة النفسية لدى الشباب المنخرطين في دار الشباب سيدي لحسن من خلال معرفة نسبة شيوع الاضطرابات الانفعالية والمزاجية بينهم.
- التعرف على الفروق الموجودة بين الشباب المنخرطين على قائمة كورنل الجديدة للنواحي العصابية (الاضطرابات الانفعالية والمزاجية) من حيث الجنس.
- التعرف على الفروق الموجودة بين الشباب المنخرطين على قائمة كورنل الجديدة للنواحي العصابية (الاضطرابات الانفعالية والمزاجية) من حيث الفئة العمرية.
- التعرف على الفروق الموجودة بين الشباب المنخرطين على قائمة كورنل الجديدة للنواحي العصابية (الاضطرابات الانفعالية والمزاجية) من حيث المستوى التعليمي.

أهمية الدراسة:

- تتناول هذه الدراسة واقع الصحة النفسية لدى فئة الشباب، والتي تعتبر من أكثر فئات المجتمع تعرضاً للضغوط الحياتية والمشكلات والاضطرابات النفسية.
- تتناول هذه الدراسة فئة الشباب المنخرطين في دور الشباب بولاية سيدي بلعباس (دار الشباب سيدي لحسن نموذجا)، كمحاولة لتقييم بعض خدمات قطاع الشباب والرياضة بالجزائر من حيث الدور الذي تقوم به هذه المؤسسات من أجل الحفاظ على الصحة النفسية للشباب.
- معرفة واقع الصحة النفسية للشباب المنخرطين في دور الشباب، وذلك من خلال تحديد مختلف الاضطرابات الانفعالية والمزاجية التي يمكن أن تكون موجودة لديهم، ومنه القدرة على التشخيص الميداني لمعظم المشاكل النفسية التي يعانون منها، وإيجاد الوسائل الممكنة للتكفل النفسي الفعال الذي يساهم في تحسين مستوى الصحة النفسية.
- يمكن استغلال نتائج هذه الدراسة في إيجاد بعض الحلول للمشاكل التي يعاني منها الشباب المنخرطين في دور الشباب، بفتح نوادي وأنشطة جديدة ومعاصرة تستقطب اهتمام وميول الشباب.
- التأكيد على ضرورة وجود المختص النفسي في مؤسسات الشباب، ودوره الفعال في مرافقة الشباب وتوجيههم، والتكفل النفسي بمشكلاتهم.

حدود الدراسة:

الحدود الموضوعية: تقتصر الدراسة الحالية على دراسة واقع الصحة النفسية لعينة من الشباب المنخرطين في دار الشباب سيدي لحسن بولاية سيدي بلعباس، وذلك من خلال دراسة مدى شيوع المشكلات الانفعالية والمزاجية بينهم، والتعرف على الفروق الموجودة بين الشباب على قائمة كورنل الجديدة للنواحي العصابية (الاضطرابات الانفعالية والمزاجية) من حيث الجنس والفئة العمرية والمستوى التعليمي.

الحدود البشرية: الشباب المنخرطين في دار الشباب سيدي لحسن بولاية سيدي بلعباس.

الحدود المكانية: دار الشباب سيدي لحسن بولاية سيدي بلعباس.

الحدود الزمانية: من جانفي2017 إلى غاية أوت 2017.

تحديد مصطلحات الدراسة:

الصحة النفسية. يقصد بالصحة النفسية: "توافق الفرد ذاتياً وتوافقاً اجتماعيا، ويتمثل التوافق الذاتي في قدرة الفرد على حل صراعاته وتوتراته الداخلية باستمرار حلاً ملائما، ويقصد بالتوافق الاجتماعي قدرة الفرد على إقامة علاقات مناسبة، ومسايرته لأعضاء الجماعة التي ينتمي إليها، ويحظى في نفس الوقت بتقدير وتكريم واحترام الجماعة لآرائه واتجاهاته"(محمود السيد أبو النيل، 2013، ص21).

التعريف الإجرائي للصحة النفسية: يتم تقييم الصحة النفسية في الدراسة الحالية من خلال الدرجة التي يحصل عليها المفحوص/ة على مقياس كورنل للنواحي العصابية (الاضطرابات الانفعالية والمزاجية).

الاضطرابات الانفعالية والمزاجية: الاضطرابات الانفعالية والمزاجية هي حالة تكون فيها ردود الفعل غير مناسبة لمثيراتها، ويعبر عنها من خلال تغيرات تحدث داخل الجسم وخارجه، وهي عبارة عن بعد متصل يمتد من أقصى الشعور بالارتياح والاتزان الانفعالي، إلى أقصى الشعور بالتعاسة والاضطراب(العيد فقيه، 2007، ص286).

التعريف الإجرائي للاضطرابات الانفعالية والمزاجية: هي الدرجة التي يحصل عليها المفحوص/ة على مقياس كورنل للنواحي العصابية (الاضطرابات الانفعالية والمزاجية)، بحيث

يعاني الفرد من الاضطراب الانفعالي والمزاجي، كلما ارتفعت الدرجة عن المتوسط في أي مقياس من المقاييس الفرعية التالية: عدم الكفاية، والاكتئاب، والقلق، والحساسية، والغضب، والتوتر.

الإطار النظري والدراسات السابقة:

مفهوم الاضطرابات الانفعالية والمزاجية:

يتفق معظم علماء النفس الحديث أن الاضطرابات النفسية تشير إلى :"حالات سوء التوافق(Mal Ajustement) مع النفس، أو مع الجسد، أو مع البيئة، طبيعية كانت أم اجتماعية، ويعبر عنها بدرجة عالية من القلق والتوتر، والاحساس باليأس والتعاسة والقهر، وغالبا ما تمس البعد الانفعالي للشخصية، ويظل معها الفرد المضطرب متصلا بالحياة الواقعية، قادرا على استبصار حالته المضطربة"(أشرف محمد عبد الغني، 2001، 211-212)، ومصطلح الاضطراب النفسي هو حديث نسبيا، وبدأ يحل تدريجيا محل مصطلح" المرض النفسي" في كثير من دوائر الطب النفسي، وذلك مراعاة للآثار النفسية السلبية لهذه الكلمة، كما قررت الجمعية الأمريكية للطب النفسي سنة 1980 في التصنيف الأمريكي الثالث لأمراض الطب النفسي إلغاء كلمة "عصاب"(أسماء بوعود، 2014، ص31).

ويشير مصطلح الاضطراب في التصنيف العالمي العاشر للاضطرابات العقلية والسلوكية (CIM -10) إلى: "وجود مجموعة من الأعراض والسلوكيات التي تكون محددة عياديا، وتشمل في معظم الحالات على مشاعر الضيق واضطراب في الوظائف الشخصية"(Pull.C. B, 1992, p4).

وبصفة عامة يعرف الدليل التشخيصي والاحصائي الرابع للأمراض العقلية(DSM-4) الاضطراب النفسي بأنه:" مجموعة أعراض سلوكية أو نفسية، عياديا تكون ذات معنى، تطرأ على شخص ما، ويصاحبها عادة ضيق ملازم، وهما يكون أصل هذه الاضطرابات، فإنها تعتبر كمظاهر لاختلال وظيفة سلوكية نفسية أو بيولوجية للشخص"(Boyer. P et al, 2003, p7).

والاضطرابات الانفعالية والمزاجية هي عبارة عن اضطرابات نفسية عصابية، تمس الجانب الانفعالي للفرد، ويبقى المصاب بها متصلا بحياته الواقعية، ومستبصرا بحالته المرضية، وذلك على خلاف المصاب بالاضطراب العقلي (الذهان)، وتحدد طبيعة وشدة استجابات الفرد الانفعالية والمزاجية للمواقف درجة تمتعه بالصحة النفسية، لأن الاستجابات الانفعالية خصوصا تعد من بين العوامل أو الشروط الأساسية لتحديد مدى تمتع وامتلاك الفرد لصحة نفسية سليمة؛ فثبات الحالة الانفعالية، ومدى ملائمة الاستجابة الانفعالية للمواقف المثيرة، تعد شروط لا يمكن أن تتوفر في من يعانون من اضطرابات الصحة النفسية، والكثير من الحالات الانفعالية والمزاجية كالحزن والخوف والقلق والغضب وغيرها؛ تعد عناصر أساسية في تحديد درجة سعادة الفرد في حياته ورضاه عنها، فأصبحت للاضطرابات الانفعالية والمزاجية بصمة كبيرة في هذا العصر الموسوم بعصر القلق والسرعة والضغوط.

ويرى ميلر" Vearge A . Miller " أن الانفعال عبارة عن خبرة تتميز بشعور عارم، ويصاحب هذه الخبرة الانفعالية تعبيرات جسيمة مثل: تغير الدورة الدموية، وإفراز العرق، وغالبًا ما تصاحب بأفعال قهرية عنيفة أو شديدة (عبد الرحمان العيسوي، 2001، ص384-385).

كما يعرف إنجليش " English" الانفعال بأنه: "حالة معقدة من الشعور تصاحبها بعض الأفعال الحركية والغدية، أو أنه ذلك السلوك المعقد الذي يسود فيه النشاط الحشوي أو الداخلي"، أي أن الانفعال هو ضرب من السلوك تظهر مظاهره على الجسم كله، ويحدث

تغيرات داخل الجسم وخارجه، كما تكون هذه التغيرات مصحوبة بإثارة وجدانية ذات مشاعر قوية، فيأخذ السلوك شكلا معينًا(عبد الرحمان العيسوي، 2001، ص385).

والاضطرابات الانفعالية حالة تكون فيها ردود الفعل الانفعالية غير مناسبة لمثيراتها بالزيادة أو النقصان، فالخوف الشديد كاستجابة لمثير مخيف حقا لا تعتبر اضطرابا انفعاليا، بل تعتبر استجابة انفعالية عادية وضرورية للمحافظة على الحياة، أما الخوف الشديد من مثير غير مخيف فإنه يعتبر اضطرابا انفعاليا (محمد أحمد الخطاب وعبد الكريم أحمد، 2010، ص26).

أسباب الاضطرابات الانفعالية والمزاجية: توجد العديد من الأسباب التي قد تقود الى وجود هذه الاضطرابات ومنها:

الأسباب الحيوية: وتشمل ما يعاني منه الفرد من تشوهات جسمية، وإصابات، وعاهات، وقصور جسمي، وأمراض مزمنة، إذ أن هذه الأسباب تصعب من عملية توافق الفرد، فتجعله في حالة قلق وتوتر دائم وانسحاب (محمد جاسم، 2004، ص48).

الأسباب النفسية: وتشمل الإحباط، والفشل، والرفض، ونقص الأمن الانفعالي(محمد جاسم، 2004، ص48)، والغيرة الناتجة عن ميلاد طفل جديد، والحكايات المخيفة للأطفال، والتوحد مع الوالدين المضطربين انفعاليا أو أحدهما، والضغوط الموجهة إلى الفرد، ووجود الفرد في مواقف جديدة دون الاستعداد لها، والصعوبات التي يواجهها المراهقون في التوافق وحل مشكلاتهم (محمد أحمد الخطاب وعبد الكريم أحمد، 2010، ص27)، وكذلك الصراع والصدام بين المراهق والوالدين الناتج عن رغبته في الاستقلال والتمرد على القيم والمعايير، وأسلوب التربية الخاطئ المتبع من قبل الوالدين، فقد يتم استخدام القسوة والصرامة التي ينتج عنها وضع الطفل في حالة من التوتر وتوقع العقاب، مما يجعل الأبناء في حالة خوف دائم، أو إتباع أسلوب التساهل كتعويض عن إهمال الطفل وحرمانه العاطفي.

الأسباب الاجتماعية: إن العلاقات العائلية من أهم العوامل التي تنعكس آثارها على المراهق وانفعالاته، مثل الخصومات والمشاحنات بين الآباء والأمهات، والأسلوب التسلطي الذي تستخدمه بعض العائلات، والنظرة العائلية التي توجه للمراهق، وكأنه لا يزال طفلا، فتعطي هذه المواقف آثارا سيئة على نمو الفرد الانفعالي، في حين تكون العلاقات العائلية السليمة، والأساليب السلوكية الصحيحة مساعدة على النضج الانفعالي، والاتزان الوجداني، والاطمئنان النفسي(صالح حسن الداهري، 2005، ص249).

كما يعد الطلاق والهجر من أهم الأسباب التي تؤثر على الصحة النفسية للأطفال، لما يخلقه من آثار سلبية تؤدي إلى الإحساس بالخوف، والتهديد، والصراع العاطفي الذي يقع فيه الأبناء نتيجة صعوبة انحيازهم لطرف دون الآخر، بالإضافة إلى غياب أحد الوالدين أو كلاهما أو الحرمان الوالدي، واضطراب العلاقة بين الوالدين والطفل، والاتجاهات السالبة لدى الوالدين، وإثارة المنافسة غير العادلة بين الأطفال، والبيئة المدرسية المضطربة مثل: إهمال المدربين، وسوء المعاملة، والعقاب، واضطراب العلاقة مع الزملاء، والامتحانات القاسية والمخيفة(محمد أحمد الخطاب وعبد الكريم أحمد، 2010، ص28).

أعراض الاضطرابات الانفعالية والمزاجية:

الاكتئاب: يعرف (رمضان محمد القذافي، 1998، ص187) الاكتئاب بأنه: "شعور بالقلق والحزن والتشاؤم، والشعور بالذنب مع انعدام وجود هدف للحياة، وتؤثر الحالة على المريض مما يجعله يعقد الدافع للقيام بالنشاطات السابقة التي كان يزاولها، فيفقد الشعور بمتعتها ومعناها، ويصبح الإنسان بطيئا في عمله، فيرى الحياة كئيبة وسوداء مع الشعور بالتعب، والإعياء، واضطرابات النوم، وقلة الشهية للأكل".

القلق: هو حالة من التوتر الانفعالي يشير إلى وجود مظهر خارجي أو داخلي يهدد الذات، أو أنه حالة توتر شامل ومستمر نتيجة توقع تهديد خطر أو حادث، ويصحبه خوف غامض وأعراض نفسية وجسمية(محمد جاسم، 2004، ص49)، ويرى "مسرمان - Masserman" أن القلق هو حالة من التوتر (Tension) الشامل الذي ينشأ خلال صراعات الدوافع، ومحاولات الفرد للتكيف، ويوجد القلق الواقعي، والقلق الخلقي أو الذاتي، والقلق العصابي (مرزوق بن أحمد عبد المحسن العمري، 2012، ص49).

الغضب: هو استجابة انفعالية حادة تنتج عند مواجهة الفرد لموقف محبط، ويكون لها تأثير على الأجهزة البيولوجية للإنسان، وانعكاس على قدراته، ويظهر من خلال سلوكه مع الآخرين، وفي تفاعله مع أحداث الحياة، ويؤثر في مشاعره ومدركاته(أديب محمد الخالدي، 2009، ص457).

الدراسات السابقة:

دراسة منى أبو طيرة (1989): هدفت إلى دراسة العلاقة بين الاضطرابات السيكوسوماتية ومتغيرات الشخصية من جانب، وبين الاضطرابات السيكوسوماتية والاتجاهات الوالدية في التنشئة كما يدركها الأبناء من جانب آخر، وذلك على عينة من طلبة وطالبات جامعة عين شمس بالقاهرة، وقد أثبتت النتائج هناك علاقة ارتباطية إيجابية دالة بين متغيرات الاضطرابات السيكوسوماتية والانفعالية، وكل من متغيرات التوتر، وسوء التوافق، والعصبية، والذهانية، والميل إلى السلوك الإجرامي كمتغيرات للشخصية.، كما توجد علاقة ارتباطية إيجابية دالة بين متغيرات الاضطرابات السيكوسوماتية والانفعالية ،وكل من متغيرات الرفض والتشدد في الرعاية كمتغيرات في التنشئة الاجتماعية.

دراسة كامل علوان الزبيدي وسناء مجول الهزاع(1997): هدفت إلى بناء مقياس لقياس الصحة النفسية، ومعرفة دلالة الفروق بين الذكور والإناث لمقياس الصحة النفسية لعينة من طلبة الجامعة، وطبق عليهم مقياس الصحة النفسية المعد من قبل الباحثين، وبعد تحليل البيانات إحصائيا باستخدام معامل الارتباط، والوسط الحسابي، والاختبار التائي لعينتين مستقلتين، أظهرت النتائج بأن طلبة الجامعة يعانون من ضغوط نفسية تشكل لهم أزمات نفسية، ولا يوجد فروق في الصحة النفسية لدى كل من الذكور والإناث.

دراسة سمين (1997): هدفت إلى التعرف على العلاقة الارتباطية بين الصحة النفسية والأمن والتحمل النفسي على عينة تألفت من(350) طالباً من طلاب الجامعات للمراحل المنتهية، ولتحقيق أهداف الدراسة استخدم الباحث ثلاثة مقاييس أحدهما اختبار ماسلو (الشعور – عدم الشعور بالأمن)، ومقياس التحمل النفسي، ومقياس الصحة النفسية المعد من قبل الباحث، وبعد تحليل البيانات إحصائيا باستخدام الاختبار التائي وتحليل التباين والانحدار المتعدد، توصلت الدراسة الى وجود علاقة ارتباطية دالة بين متغيرات البحث الثلاثة، والتحمل النفسي متغيرا وسيطاً يحول دون حدوث التأثيرات السلبية المتوقعة التي يحدثها الأمن النفسي عن الصحة النفسية، وأن الصحة النفسية وظيفة للتحمل والأمن النفسيان ودالة لهما.

دراسة عبد الرحمان العيسوي(2002): هدفت هذه الدراسة التي أجريت في مصر إلى معرفة مدى دلالة الفروق التي قد ترجع إلى عوامل السن والجنس والمستوى التعليمي، والفروق بين الاضطرابات السيكوسوماتية المقاسة، وقد تكونت العينة من 661 طالبًا جامعيًا، وقد طبق عليهم اختبار الاضطرابات السيكوسوماتية الذي قام بإعداده الباحث، وكان الهدف الأساسي من هذه الدراسة هو التأكد من نجاح وإمكانية تطبيق هذا الاختبار على الدول العربية، وقد توصل الباحث إلى أن الإناث أكثر معاناة من الاضطرابات السيكوسوماتية من الذكور، وهذا راجع إلى الحساسية الانفعالية، وتعرض الأنثى إلى آلام الطمث، وما يصاحبها من تغيرات فيسيولوجية،

وكذلك حالات الحمل والولادة، ووجد أن الشباب الجامعيين الذين يقطنون في الحضر أكثر تعرضًا من زملائهم الذين يقطنون في الريف للاضطرابات السيكوسوماتية، وهذا بسبب الحياة في المدينة، وما يصاحبها من توترات وقلق وصراع وطموح مرتفع، وأن صغار السن أكثر عرضة للإصابة بالأمراض السيكوسوماتية، كما وجد أن طلاب علم النفس هم أكثر إصابة بالأمراض السيكوسوماتية من طلاب الفلسفة وعلم الاجتماع؛ على الرغم من أن الفرق ليس كبيرًا بينهم.

دراسة صولي إيمان (2013): هدفت إلى معرفة نمط المناخ المدرسي السائد في مدارس التعليم المتوسط والثانوي، ومستوى الصحة النفسية لدى تلاميذ التعليم المتوسط والثانوي، وقد تم تطبيق هذه الدراسة على عينة مقدرة بـ(879) تلميذ وتلميذة من مدينة ورقلة، حيث اعتمدت الباحثة في ذلك على استبيانين، الأول خاص بالمناخ المدرسي وهو من إعدادها، أما الاستبيان الثاني فهو خاص بالصحة النفسية من إعداد مروان عبد الله دياب(2000)، وتم التوصل إلى أن نمط المناخ المدرسي السائد في مدارس التعليم المتوسط والثانوي مفتوح، وأن مستوى الصحة النفسية في مدارس التعليم المتوسط والثانوي مرتفع، كما توجد علاقة ارتباطية وموجبة بين المناخ المدرسي والصحة النفسية، ولا توجد وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الجنسين في مستوى الصحة النفسية، وتوجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الصحة النفسية تعزى لمتغير المنطقة الجغرافية لصالح تلاميذ الريف، ووجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الصحة النفسية تعزى لمتغير المرحلة التعليمية لصالح تلاميذ السنة ثالثة ثانوي.

إجراءات الدراسة الميدانية.

منهج الدراسة: يتحدد المنهج الذي سوف يتبعه الباحث في دراسته وفقا لطبيعة موضوع بحثه، وكذا التساؤلات والفرضيات التي يطرحها، والأهداف المنتظرة من ذلك، ولقد اقتضت الدراسة الحالية استعمال المنهج الوصفي التحليلي، باعتباره مناسبا لأغراض الدراسة التي تهدف إلى معرفة واقع الصحة النفسية لدى الشباب المنخرطين في دور الشباب، والكشف أيضا عن الفروق الموجودة بين الشباب على قائمة كورنل الجديدة للنواحي العصابية (الاضطرابات الانفعالية والمزاجية) من حيث السن والجنس والمستوى التعليمي.

مجتمع وعينة الدراسة:

المجتمع الأصلي للدراسة: يتكون المجتمع الأصلي للدراسة من جميع الشباب منخرطي دار الشباب سيدي لحسن بولاية سيدي بلعباس، بحيث يقع سنهم ما بين 13 ـ 25 سنة.

حجم عينة الدراسة الأساسية وأسلوب اختيارها: تكونت عينة الدراسة الأساسية من (50) شاب وشابة (28 ذكور و22 إناث)، وقد تراوحت أعمارهم بين 13 ـ 25 سنة، وقد اختيرت بطريقة قصدية بمعاينة غير احتمالية.

أدوات الدراسة وخصائصها السيكومترية:

قائمة كورنل الجديدة للنواحي العصابية.

التعريف: قام بتعريب وإعداد قائمة كورنل الجديدة للنواحي العصابية الدكتور محمود السيد أبو النيل(1995) بجامعة عين شمس، والتي تضم 223 سؤالا بـ 18 مقياسا، والمقياس أُعد أصلا كوسيلة للحصول على بيانات تتعلق بالنواحي السيكوسوماتية والعصابية، وقد استعملنا في هذا البحث فقط الجزء الخاص بالنواحي العصابية (الاضطرابات الانفعالية والمزاجية)، والذي يضم على 51 سؤالاً موزعة على ستة مقاييس فرعية وهي: عدم الكفاية M =12، الاكتئاب N = 6، القلق O= 9، الحساسية P=6، الغضب Q= 9، التوتر R=9، ويحدد وجود الاضطراب الانفعالي والمزاجي عندما ترتفع درجته عن المتوسط، ويكون أقل وجودا عندما تنخفض درجته عن هذا المتوسط.

صدق وثبات المقياس في البيئة المصرية: وجد أبو النيل أن معامل الثبات للمقياس يساوي 0.92 بطريقة التجزئة النصفية، حيث درس صدقه بطريقة المجموعات المتناقضة، فوجد أن معامل الارتباط دال إحصائيًا عند مستوى دلالة معنوية 0.01 عند فئة الأسوياء، ودال إحصائيًا عند مستوى دلالة معنوية 0.01 عند فئة المرضى، مما يؤكد صدق المقياس.

صدق المقياس في البيئة الأمريكية: يشير أبو النيل إلى أنه تم اختبار دقة القائمة في التشخيص والتقييم على 191 من المرضى الذين دخلوا القسم الطبي العام بمستشفى نيويورك، وعندما تم فحصهم بواسطة الأطباء دون أن تتوافر لديهم أية معلومات أخرى غير نتائج قائمة كورنل، وجد أن التشخيص بواسطتها يتسم بالدقة بالنسبة لكل الحالات، إذ يتطابق التشخيص من خلالها في 94 % من الحالات مع البيانات والفحوص الموجودة بالمستشفى، فوجد أن معامل الارتباط بين التقييم الإكلينيكي ونتائج القائمة تصل قيمته إلى 0.83.

الأساليب الإحصائية المستخدمة:

لقد قامت الباحثة بتفريغ وتحليل نتائج المقاييس المستعملة في الدراسة من خلال برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية(IBM SPSS statistics 20)، وذلك باستخدام مختلف الأساليب الإحصائية مثل المتوسطات الحسابية، والتكرارات، والنسب المئوية، والانحراف المعياري، واختبار(T) لدراسة الفرق بين عينتين مستقلتي، واختبار تحليل التباين الأحادي (One Way ANOVA).

عرض ومناقشة نتائج الدراسة:

عرض ومناقشة نتائج الفرضية الأولى:

نص الفرضية: تشيع الاضطرابات الانفعالية والمزاجية بين الشباب المنخرطين بنسبة متوسطة، وللتحقق من صحة هذه الفرضية، قمنا بحساب التكرارات والنسب المئوية للاضطرابات الانفعالية والمزاجية الستة الموجودة على قائمة كورنل الجديدة للنواحي العصابية (الاضطرابات الانفعالية والمزاجية)، وذلك انطلاقا من حساب الوسيط لكل اضطراب، كما هو مبين في الجدول التالي:

الجدول رقم(1): يوضح النسب المئوية لدراسة مدى شيوع الاضطرابات الانفعالية والمزاجية بين الشباب المنخرطين.

الاضطرابات الانفعالية و المزاجية	الوسيط	التكرار (ك)	عدد أفراد العينة (ن)	النسبة المئوية (%)
عدم الكفاية	5	26	50	52
الاكتئاب	3	15	50	30
القلق	4	14	50	28
الحساسية	3	25	50	50
الغضب	4	24	50	48
التوتر	4	18	50	36

يتضح من خلال الجدول رقم(1) أن نسبة شيوع اضطراب عدم الكفاية يقدر بـ (52 %) وهي نسبة مرتفعة، ونسبة شيوع الاكتئاب قدرت بـ (30 %)، وهي نسبة متوسطة، كما بلغت نسبة شيوع القلق (28 %)، والحساسية بنسبة كبيرة أيضا بـ (50%)، والغضب بنسبة متوسطة قدرت بـ (48 %)، أما التوتر فقد بلغ نسبة (36 %) وهي نسبة متوسطة أيضا، وبالتالي تشيع كل الاضطرابات الانفعالية والمزاجية بين الشباب المنخرطين في دار الشباب بنسبة متوسطة،

وجاءت نسب شيوعها وفق الترتيب التالي: 1-عدم الكفاية؛ 2-الحساسية؛3-الغضب؛4-التوتر؛ 5-الاكتئاب؛ 6-القلق.

إذن يمتلك هؤلاء الشباب المنخرطين مستوى دون المتوسط إلى ضعيف من الصحة النفسية، أي يعانون من سوء في الصحة النفسية نسبيا، ونفسر هذه النتيجة بأن هؤلاء الشباب يعانون ويعيشون مشكلات نفسية عصابية وبالضبط انفعالية ومزاجية، حيث يتصدر اضطراب عدم الكفاية والحساسية المراتب الأولى من حيث شيوعهما لدى الشباب، وهذا يدل على احساس الشباب المنخرطين بالنقص والعجز حيال حياتهم عامة، ونقص ثقتهم بأنفسهم، مما يجعل الشباب المنخرطين في حيرة من أمرهم، وهذا يؤدي إلى المزيد من مشاعر القلق العام، والترقب وعدم الاستقرار والتوتر، والخوف من المجهول، حيث سجل لديهم القلق والتوتر بنسبة (28%) و(36 %).

كما سجل اضطراب الاكتئاب بنسبة معتبرة حوالي (30 %) وهذا راجع إلى مشاعر الكآبة التي يشعل بها الشباب، ولا سيم المنخرطين بسبب الاحباط والضجر واليأس، وانعدام الأمل أحيانا بتحسن الأوضاع، وانعدام وجود الأهداف أحيانا، كما سجل الغضب بنسبة معتبرة حوالي (48 %)، وهذا يدل على أن عينة الدراسة تعاني من نسبة معتبرة من مشاعر الغضب، وهو استجابة انفعالية حادة، وذلك قد يرجع إلى تعرضهم لمواقف محبطة وضاغطة في حياتهم بسبب المشاكل التي يتخبط فيها شبابنا، والتي ترجع إلى سوء الأحوال المعيشية والاقتصادية الصعبة، والبطالة، والتخلي عن الدراسة في وقت مبكر، وعدم اكمالها، ومشاكل أخرى نفسية واجتماعية وأسرية (مثل اضطراب الجو الأسري وتفكك الأسرة)، وكلها راجعة إلى التنشئة الاجتماعية، والتربية الأسرية، والاستعدادات النفسية التي تلعب دورا كبيرا في ظهور الاضطرابات الانفعالية والمزاجية لدى هؤلاء الشباب.

عرض ومناقشة نتائج الفرضية الثانية:

نص الفرضية: تختلف درجات الشباب المنخرطين على قائمة كورنل الجديدة للنواحي العصابية (الاضطرابات الانفعالية والمزاجية) باختلاف الجنس، ولاختبار صحة هذه الفرضية قمنا باستخدام اختبار(ت) لدراسة الفروق بين متوسطي عينتين مستقلتين، فجاءت النتائج كما يلي:

الجدول رقم (2): يوضح نتائج مقياس (T) لدراسة الفروق بين الجنسين من الشباب المنخرطين من حيث الاضطرابات الانفعالية والمزاجية.

الاضطرابات الانفعالية والمزاجية	الذكور ن=28		الإناث ن=22		درجة الحرية DF	قيمة T	مستوى الدلالة	النتيجة
	م	ع	م	ع				
	17,79	9,79	18,36	9,46	48	0,21	0,83	غير دالة

يتضح من خلال الجدول رقم (2) أن قيمة (T) التي تساوي (0,21) هي غير دالة عند مستوى دلالة معنوية (0,83)، أي أنه لا توجد فروق دالة إحصائيا بين الذكور والإناث المنخرطين من حيث الاضطرابات الانفعالية والمزاجية، أي أن الاضطرابات الانفعالية والمزاجية الموجودة لدى هؤلاء الشباب لا تتأثر بمتغير الذكورة أو الأنوثة؛ فكلا الجنسين يمتلكانها بنفس الدرجة.

إذن فالصحة النفسية لدى الشباب المنخرطين لا تختلف بين الذكور والإناث، فكلاهم يعانون من سوء في الصحة النفسية، ومن وجود الاضطرابات النفسية العصابية (الانفعالية والمزاجية) بنسب متوسطة، وهذه النتيجة تتفق مع دراسة كامل علوان الزبيدي وسناء مجول الهزاع(1997)،

ودراسة صولي إيمان (2013) اللتان لم تجدا فروق بين الذكور والإناث من حيث الصحة النفسية، وتختلف مع دراسة عبد الرحمان العيسوي (2002) التي وجدت أن الإناث أكثر معاناة من الاضطرابات السيكوسوماتية من الذكور.

ونفسر النتيجة التي توصلنا إليها، وهي عدم وجود فروق بين الذكور والإناث من حيث الاضطرابات الانفعالية والمزاجية، أي من حيث الصحة النفسية في أن الشباب المنخرطين من كلا الجنسين يعيشون مرحلة المراهقة، والتي اعتبرها "هول" ميلادا جديدا يحدث في شخصية الفرد حيث يمر نموه عبر سلسلة من التغيرات الجذرية والسريعة مردها النضج الجنسي والتغيرات الفسيولوجية المفاجئة، فهي متشابهة لدى كلا الجنسين، كما أن الخصائص الانفعالية هي الأخرى متماثلة في هذه المرحلة، فهم يتمتعون بنفس الطموح، وذلك من أجل تحقيق الأهداف والغايات المرجوة (لحسن الكيري، 2018 بتصرف).

إن الفتاة اليوم لم تعد مقيدة بالعادات والتقاليد والثقافة التي كانت تسود بعض المجتمعات في السابق، لأنها أصبحت مواكبة ومتطلعة لكل متطلبات ومستجدات العصر الحديث، فهي تسعى إلى تحقيق واثبات ذاتها وشخصيتها، إضافة إلى تطور ونمو الوعي والثقافة لدى الأولياء من حيث التربية وأساليب التنشئة الاجتماعية، والتي تقوم على مبدأ المساواة، والاهتمام بنفس الدرجة بالذكور والإناث على حد سواء، فأصبحت للأنثى نفس الحقوق مثل الذكر، ولكن دون المساس بالقيم والتقاليد السائدة في المجتمع.

وهذه النتيجة تؤكد على أن الصحة النفسية للشباب المنخرطين لا تتأثر بمتغير الجنس الذي يميز الشباب بقدر ما تتأثر بعوامل نفسية واجتماعية وأسرية، لأن الصحة النفسية هي نسبية ومرنة بطبيعتها، فقد تختلف بين الأفراد، وقد تختلف لدى الفرد نفسه، كما قد تختلف تبعا للمجتمعات، وتباين الثقافات، وتبعا للمكان والزمان التي أجريت فيه الدراسة.

عرض وتحليل نتائج الفرضية الثالثة:

نص الفرضية: تختلف درجات الشباب المنخرطين على قائمة كورنل الجديدة للنواحي العصابية (الاضطرابات الانفعالية والمزاجية) باختلاف الفئة العمرية، ولاختبار صحة هذه الفرضية قمنا باستخدام اختبار(ت) لدراسة الفروق بين متوسطي عينتين مستقلتين، فجاءت النتائج كما يلي:

الجدول رقم (3): يوضح نتائج مقياس (T) لدراسة الفروق بين الفئتين العمريتين من الشباب المنخرطين من حيث الاضطرابات الانفعالية والمزاجية.

الاضطرابات الانفعالية والمزاجية	13-19 سنة =31		20 - 25 سنة=19		درجة الحرية DF	قيمة T	مستوى الدلالة	النتيجة
	م	ع	م	ع				
	18,39	8,69	34,52	22,71	48	0,082	0,92	غير دالة

يتضح من خلال الجدول رقم (3) أن قيمة (F) التي تقدر بـ (0,082) غير دالة عند مستوى دلالة معنوية (0,92)، أي أنه لا توجد فروق دالة احصائيا بين مجموعة الشباب المنخرطين من فئة عمرية (13- 19 سنة)، وفئة عمرية (20-25 سنة) من حيث الاضطرابات الانفعالية والمزاجية، أي أن الاضطرابات الانفعالية والمزاجية الموجودة لدى هؤلاء الشباب لا تتأثر بمتغير العمر الذي يميز الشباب.

إذن يعيش هؤلاء الشباب نفس الاضطرابات النفسية العصابية، فكلاهم يتمتعون بصحة نفسية دون المتوسط إلى ضعيفة، وهذا راجع إلى المرحلة العمرية التي تميز الشباب ما بين 13 و25 سنة، وهي مرحلة المراهقة المبكرة والمتوسطة والمتأخرة، ومرحلة الشباب عموما، وهي مرحلة

مليئة بالتغيرات النفسية والفيزيولوجية والاجتماعية، والصراعات النفسية الداخلية والخارجية للمراهقين، كما أن فئة الشباب تعتبر من أكثر الفئات العمرية في المجتمع تعرضا للضغوط الحياتية، والمشكلات والاضطرابات النفسية، بحيث يتميز المراهقون الشباب بعدم النضج الانفعالي، والحساسية الزائدة لجميع المؤثرات الخارجية، وعدم الاتزان، والاندفاع، وذلك نتيجة للتغيرات الهرمونية والفيزيولوجية، فنلاحظ كثيرا من الأحيان ظهور بعض المشكلات النفسية المصاحبة لهذه المرحلة مثل الغضب، والخجل والقلق، ولكن يمكن لهذه المشكلات العادية التي تميز مرحلة المراهقة أن تصبح اضطراب حقيقي إذا زادت في شدتها، وأصبحت تعيق الأداء الوظيفي للشباب في حياتهم الأسرية أو الدراسية أو في الحياة عامة، أو إذا رافقتها عوامل أو مشاكل أسرية أو اجتماعية أو دراسية، والتي يمكن أن تكون بمثابة العوامل المفجرة لمجموعة السمات التي تميز أغلب المراهقين في هذه المرحلة، فتتحول المشكلات النفسية إلى اضطرابات نفسية حقيقية تؤثر سلبا على الصحة النفسية للشباب.

عرض وتحليل نتائج الفرضية الرابعة:

نص الفرضية: تختلف درجات الشباب المنخرطين على قائمة كورنل الجديدة للنواحي العصابية (الاضطرابات الانفعالية والمزاجية) باختلاف المستوى التعليمي، ولإختبار صحة هذه الفرضية قمنا باستخدام تحليل التباين أحادي التصنيف، وقد أسفرت النتائج على ما يلي:

الجدول رقم (4): يوضح نتائج تحليل التباين أحادي التصنيف لدراسة الفروق بين المجموعات الثلاثة من الشباب من حيث الاضطرابات الانفعالية والمزاجية في ضوء متغير المستوى التعليمي.

المصدر	مجموع المربعات	درجة الحرية	التباين	النسبة الفائية	مستوى الدلالة	النتيجة
بين المجموعات	192,740	2	96,370	1,057	0,35	غير دالة
داخل المجموعات	4285,180	47	91,174			
المجموع	4477,920	49				

يتضح من خلال الجدول رقم (4) أن قيمة (F) التي تقدر بـ (1,057) غير دالة عند مستوى دلالة معنوية (0,35)، أي أنه لا توجد فروق دالة إحصائيا بين المجموعات الثلاثة من الشباب المنخرطين بمستوى (ابتدائي، ومتوسط، وثانوي) من حيث الاضطرابات الانفعالية والمزاجية، أي أن الاضطرابات الانفعالية والمزاجية الموجودة عند الشباب المنخرطين لا تتأثر بمتغير المستوى التعليمي الذي يميز الشباب.

وهذا يدل على أنه مهما كان المستوى التعليمي للشباب المنخرطين، فإنهم يعانون من الاضطرابات الانفعالية والمزاجية بنفس الدرجة، أي يعانون من ضعف في الصحة النفسية بنفس المستوى، وهذه النتيجة تختلف مع دراسة صولي إيمان (2013) التي وجدت فروق دالة إحصائيا في مستوى الصحة النفسية تعزى لمتغير المرحلة التعليمية لصالح تلاميذ السنة الثالثة ثانوي، ونفسر هذه النتيجة أن الصحة النفسية للشباب المنخرطين لا يؤثر فيها المستوى التعليمي الذي يميزهم بقدر ما تؤثر فيها عوامل أخرى نفسية وأسرية واجتماعية، وهي التي تحدد مدى تمتع هؤلاء الشباب بالصحة النفسية.

خاتمة:

إن مستوى الصحة النفسية للشباب المنخرطين بدار الشباب سيدي لحسن يتأثر وبشكل مباشر بعدة عوامل نفسية واجتماعية مختلفة، قد يكون منبعها الأسرة أو المدرسة أو المجتمع بمختلف

مؤسساته، ومما لا شك فيه أن دور الشباب تعتبر مؤسسات تربوية وترفيهية تكمل مهام الأسرة والمدرسة من حيث تحسين مستوى الصحة النفسية لدى منخرطيها، كما أنها تساهم بشكل أو بآخر في النمو النفسي والذهني والاجتماعي لدى الأطفال والشباب، وذلك من خلال مختلف الأنشطة والحملات التحسيسية والإعلامية التي تقوم بها إطاراتها ومنشطيها.

إن عدم توفر علاقات مشبعة بالأمن والثقة داخل دور الشباب بسبب عدم إشباع الحاجات النفسية للشباب المنخرطين، يؤدي إلى خلق الشعور بالإحباط والقلق والتوتر، وعدم الانتماء، ومشاعر الكآبة، وعدم الكفاية، والإحساس بالنقص، مما يخلق مستوى دون المتوسط إلى ضعيف من الصحة النفسية لدى هؤلاء الشباب، وهذا راجع إلى الاستعدادات النفسية الكامنة لدى كل فرد للإصابة بالاضطراب، وعوامل أسرية راجعة إلى التنشئة الاجتماعية، وأساليب التربية، والمعاملة الوالدية منذ الصغر، والظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تؤثر لا محالة على الحالة النفسية للشباب في المجتمع الجزائري، وعلى مستوى صحتهم النفسية، والتي تكون بمثابة العوامل المفجرة التي تؤدي إلى ظهور الاضطرابات النفسية لديهم.

مقترحات الدراسة:

- أهمية تهيئة الجو المناسب للأطفال والشباب في دور الشباب، والذي يتيح لهم تكوين صورة واضحة عن ذاتهم، ويتمثلون بها بشكل يضمن استقرارهم الداخلي وحسن صحتهم النفسية.
- ضرورة توفير الأنشطة الترفيهية والعلمية والتربوية والرياضية المفيدة في دور الشباب، والتي تساهم إلى جانب الأسرة والمدرسة في النمو النفسي والاجتماعي للأطفال والشباب، وحسن صحتهم النفسية، ولو بشكل نسبي.
- تفعيل دور النفساني العيادي في دور الشباب عن طريق فتح قنوات وأساليب جديدة وفاعلة للحوار والاتصال مع الشباب، وذلك من أجل التخفيف من التوترات والمشكلات النفسية التي يعاني منها الشباب المنخرطين، والإصغاء لمشكلاتهم وانشغالاتهم، ووقايتهم من الآفات الاجتماعية.

قائمة المراجع:

1. أبو النيل، محمود السيد(2013)، الصحة النفسية، القاهرة: جامعة عين شمس.
2. أبو طيرة، منى(1989)، علاقة الأعراض السيكوسوماتية بالشخصية والتنشئة الاجتماعية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس، مصر.
3. بوعود، أسماء(2014)، الاضطرابات النفسية بين السيكولوجيا الحديثة والمنظور الاسلامي، مجلة قراءات في التراث النفسي العرب إسلامي، إصدارات مؤسسة العلوم النفسية العربية، ع8.
4. جاسم، محمد محمذ(2004)، مشكلات الصحة النفسية، ط7، عمان: دار الثقافة.
5. الخطاب، محمد أحمد وأحمد، عبد الكريم(2010)، الارشاد النفسي والاضطرابات الانفعالية للأطفال، ط7، عمان: دار الثقافة.
6. الخالدي، أديب محمد(2009)، المرجع في الصحة النفسية، ط3، عمان: دار وائل للنشر.
7. الداهري، صالح حسن والعبيدي، ناظم هاشم(1999)، الشخصية والصحة النفسية، بغداد: دار الكتب.
8. الداهري، صالح حسن(2005)، مبادئ الصحة النفسية، ط7، عمان: دار وائل للنشر.
9. زهران، حامد عبد السلام(1994)، الصحة النفسية والعلاج النفسي، القاهرة: مكتبة عالم الكتب.
10. سمين، زيد بهلول(1997)، الأمن والتحمل النفسي وعلاقتها بالصحة النفسية، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، الجامعة المستنصرية.
11. الصالحي، نجدت قاسم(1985)، الصحة النفسية، معهد التدريب والتطوير التربوي، وزارة التربية.
12. عبد الخالق، أحمد محمد(2001)، أصول الصحة النفسية، ط2، الاسكندرية: دار المعارف الجامعية.

13.عبد الغني، أشرف محمد(2001)، المدخل إلى الصحة النفسية، الاسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.
14.عزت، دري حسن (1986)، الطب النفسي، ط3، الكويت: دار القلم.
15.عوض، عباس محمود(1977)، الموجز في الصحة النفسية، (ط1)، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
16.العمري، مرزوق بن أحمد عبد المحسن(2012)، الضغوط النفسية المدرسية وعلاقتها بالإنجاز الأكاديمي ومستوى الصحة النفسية لدى عينة من طلاب المرحلة الثانوية بمحافظة الليث، رسالة ماجستير في علم النفس(غير منشورة)، جامعة أم القرى، السعودية.
17.العيسوي، محمد عبد الرحمان(2001)، علم النفس الشواذ والصحة النفسية(موسوعة علم النفس الحديث)، ط1، م5، لبنان: دار الراتب الجامعية.
18.الغانم، عبد العزيز(1985)، تربية الشباب في ضوء تحديات العصر، أبحاث ودراسات، المؤتمر التربوي الخامس عشر، جمعية المعلمين الكويتية، الكويت.
19.فقيه، العيد(2007)، أهمية الصحة النفسية للطالب الجامعي(دراسة ميدانية لواقع الصحة النفسية لدى طلاب الجامعة ـ جامعة تلمسان ـ الجزائر)، مجلة جامعة دمشق، م23، ع2، دمشق.
20.القذافي، رمضان محمد(1998)، الصحة النفسية والتوافق، طرابلس: دار الرواد.
21.الكيري، لحسن(2018)، نظريات المراهقة ، صحيفة المثقف، ع(4264)، مؤسسة المثقف العربي، استرجعت بتاريخ 9 ماي، 2018 من موقع http://www.almothaqaf.com/index.php/qadaya/82276.html
22.الهابط، محمد السيد(1987)، دعائم صحة الفرد النفسية، الاسكندرية: المكتب الجامعي.
23. Boyer. P et al(2003), DSM –IV "manuel diagnostique et statistique des troubles mentaux, paris : Masson .
24. Poll. C.B(1992), CIM 10 Classification international des maladies, troubles mentaux et troubles du comportement, descriptions chimiques et directives pour le diagnostic, (dixième révision), chapitre V(F), (S.E), Paris: Masson.

أساليب مواجهة أحداث الحياة الضاغطة وعلاقتها بالصحة النفسية لدى الشباب دراسة ميدانية على عينة من الشباب الجزائري.

أ.عبد الله عبد الله - جامعة الجزائر 2-الجزائر

ملخص: هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على العلاقة بين أساليب مواجهة أحداث الحياة الضاغطة والصحة النفسية لدى الشباب الجزائري، ومعرفة مدى تأثر أساليب المواجهة بكل من الجنس ومكان السكن والحالة الاجتماعية وبلغت عينة الدراسة (300) شاب وشابة، وقد استخدمت في الدراسة مقياسين: أحدهما لقياس أساليب مواجهة أحداث الحياة الضاغطة، والآخر لقياس الصحة النفسية للشباب، وأسفرت نتائج الدراسة عن:

أن الشباب الجزائري، يستخدمون أساليب متعددة في مواجهة أحداث الحياة الضاغطة، وهي بالترتيب حسب الاستخدام كما يلي: أساليب التفاعل الإيجابي ثم أساليب التصرفات السلوكية، ثم أساليب التفاعل السلبي.

-وجود علاقة ارتباط موجبة دالة عند مستوى 0.05 بين كلٍ من بعد أساليب التفاعل الايجابي والصحة النفسية بلغت "0.91، بينما كان الارتباط بين بعد كل من التفاعل السلبي والتصرفات السلوكية ضعيف وعكسي وغير دال إحصائيا حيث بلغت قيمة معامل الارتباط 0.06- و0.08- على التوالي.

-توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة 0.05 في أساليب المواجهة بصفة عامة لأحداث الحياة الضاغطة بين الذكور والإناث ولصالح الذكور.

-وجود فروق دالة في متوسطات درجات أفراد العينة تعزى لمتغير الحالة الاجتماعية عند مستوى الدلالة 0.05 في الأساليب التالية: التفاعل الايجابي وفي أساليب المواجهة بصفة عامة والفروق كانت لصالح الشباب المتزوج، وعند مستوى 0.05 في أسلوبي: التفاعل السلبي والتصرفات السلوكية والفروق كانت لصالح الشباب العازب.

-وجود فروق دالة في متوسطات درجات أفراد العينة في بعد التفاعل الايجابي عند مستوى 0.05 لصالح سكان المدينة تعزى لمتغير مكان السكن.

الكلمات المفتاحية: أساليب المواجهة، أحداث الحياة الضاغطة، الصحة النفسية.

Abstract: The study aimed at identifying the relationship between the methods of coping with stressful life events and psychological health among Algerian youth and the extent to which coping methods are affected by gender, place of residence, social status, age, and level of education. The study sample consisted of (300) young individuals (third and secondary students) from different regions (secondary and university institutions from the states of Adrar, Masila, Saida). The researcher used two measures: one to measure the methods of coping with life events, Psychological Youth. The results of the study revealed that Algerian youth use multiple methods in coping with stressful life events, which are arranged by use: positive interaction methods, behavior behaviors, and negative interaction methods.

A positive correlation between the positive and the psychosocial responses was 0.89, and there was a weak inverse correlation between the negative behavioral and behavioral behaviors with mental health.
And there were statistically significant differences at significance level 0.05 in the coping methods of stressful life events between males and females and for males.
There were significant differences in the average scores of the sample members due to the variable of social status at the significance level of 0.05 in the following methods: positive interaction and coping methods in general and the differences were in favor of married youth, and at 0.05 level in my style: negative interaction and behavioral behavior and differences were in favor of single youth.
And the existence of significant differences in the mean scores of the sample after the positive interaction and after the negative interaction and the total dimensions at the level of 0.05 for the benefit of the population of the city. While there were no statistically significant differences in the mean scores of the sample members after behavioral behavior at level 0.05.
And the existence of significant differences in the mean scores of the sample after the positive interaction and after the negative interaction and in the total dimensions at the level of 0.05 attributed to the level of study. While there were no statistically significant differences in the mean scores of the sample members after behavioral behavior at level 0.05.
And there were significant differences in the mean scores of the sample in all dimensions at level 0.05 due to age.
Keywords: coping styles - stressful life events - mental health,The research concluded with a set of recommendations and suggestions

مقدمة:

أن أحداث الحياة الضاغطة اليومية تعد من أحد هذه المظاهر الرئيسية التي تتصف بها حياتنا المعاصرة ، وهذه الأحداث الضاغطة ما هي إلا انعكاس للتغيرات الحادة السريعة التي طرأت على كافة جوانب الحياة.

وقد أدى هذا التغير المتسارع والتحولات بالغة السرعة في الاقتصاد العالمي وانهيار الأيديولوجية الماركسية في الاتحاد السوفيتي السابق ودول أوربا الشرقية وتعقد المدنية إلى خلق مواقف ضاغطة وموترات أجبرت الفرد على بناء نماذج سلوكيــة وقيميـــة واجتماعية متجددة تتفق مع متطلبات العصر وهذا كله يسبب قلقًا وتوترًا نفسيًا للفــرد(جودة، 1998، ص2).

وبالتالي لم يكن الإنسان بحاجة إلى فهم نفسه أكثر مما هو عليه الآن نظرًا لما يتعرض له من صراع نتيجة الفجوة العميقة بين تقدم مادي، يسير بخطى سريعة، وتقدم يسير بخطى حثيثة فيما يتعلق بالجوانب القيمية والروحية والأخلاقية من جانب آخر ولقد اتسعت معارف الإنسان المادية، وازدادت سيطرته على الظواهر الطبيعية تزايدًا ملحوظًا، وحقق إنجازات حضارية فذة. (القريطي، والشخص، 1992، ص2)، إلا أنها تحمل في طياتها أيضًا الكثير من الآلام والمتاعب

النفسية ، والكثير من مقومات التدمير والتخريب ، وبالتالي الكثير من الشقاء الإنساني وهذا يستلزم بنا بناء للشخصية أقدر على مواجهة ضغوط هذا العصر ومتطلباته ، وأكثر استجابة لمقومات التقدم والارتقاء(منصور، 1982، ص65).

ولئن كانت الضغوط النفسية قضية العصر الذي يعيشها الإنسان في المجتمعات المتقدمة والنامية على السواء إلا أن الشاب الذي يعيش واقعًا يتميز بخصوصية فريدة لا مثيل لها، لا شك يعاني من ضغوط نفسية واجتماعية واقتصاديه وسياسية فريدة من حيث النوع والكيف.

ويتعرض الفرد في مختلف مراحل حياته لضغوط نفسية مختلفة الشدة، نتيجة لما يمر به من أحداث وما يحيط به من ظروف، وتختلف في تأثيرها والمواقف المسببة لها باختلاف الأفراد، ويواجه الشباب في مختلف مراحل حياتهم ضغوط نفسية مختلفة نتيجة للعديد من المتطلبات والأعباء الملقاة على عاتقهم، فهناك المتطلبات الدراسية التي تتعلق بالاستذكار، والتحصيل، والامتحانات ، وهناك المتطلبات ذات الطابع الاقتصادي التي تتعلق بالرسوم والمصاريف الحياتية الباهظة التكاليف، وبالرغم من أن هناك كثير من الدراسات قد أوضحت أن هناك علاقة سببية بين التعرض لأحداث الحياة الضاغطة والإصابة بالاضطرابات النفسية والجسمية، إلا أنه يوجد أيضًا مصادر وعمليات تحمل وأساليب مواجهة تعد بمثابة عوامل مساعدة تمكن الفرد من التصدي للضغوط النفسية، وبالتالي توفر له الاحتفاظ بالصحة النفسية، وهذا ما تؤكده "بوناماكي" حيث ترى أن التعرض للضغوط لا يكون كافيًا لظهور ردود فعل الضغط النفسي في ضوء تجارب البشر العادية، وتقوم العمليات النفسية والاجتماعية بوظيفة الوساطة بين الأوضاع البيئية وسلوك الإنسان والسلامة النفسية أو ربما في أمد الصدمة، في تغيير الأداء النفسي، وبالتالي إما أن تحمي الفرد ، أو تجعله أكثر عرضة للضغط النفسي بوناماكي، 1988، ص36).

وبالتالي يمكن القول أن أحداث الحياة وضغوطها يمكن توقع حلها في ضوء بعض الخصائص الثابتة نسبيًا للشخصية ومدى صحة الفرد النفسية وتوافقه مع البيئة اللذان يساهمان في اختيار أساليب المواجهة الفعالة والملائمة التي تساعد الفرد على التكيف مع هذه المواقف واستيعابها.

إشكالية الدراسة :

من الملاحظ أن من أكثر شرائح المجتمع عرضة لضغوط الحياة المعاصرة شريحة الشباب بصفة عامة والشباب الجزائري خاصة، وقد تكمن خطورة تلك الضغوط في مدى ما تتركه من آثار سلبية على نمط شخصياتهم بأبعادها المختلفة، الأمر الذي قد يؤدي إلى اختلال الآليات الدفاعية لدى البعض منهم لعدم قدرتهم على احتمالها ، في حين قد يحاول بعضهم الآخر تحقيق قدراً من التكيف والتلاؤم معها، إدراكاً منهم بأنهم قادرون على تحديها ومواجهتها أياً كانت مصادرها محاولين بذلك الاستمتاع بالقدر المناسب من السعادة النفسي، زاد إحساسي بهذه الأهمية وما لاحظته من خلال اتصالي ومعايشتي للشباب عدم قدرتهم على مواجهة المواقف الصعبة والأزمات بين الشباب.

ولقد مر العالم العربي بصفة عامة بظروف وتطورات سريعة أثرت على كثير من مناحي الحياة في تلك المجتمعات وانعكست في بعض جوانبها بآثار سلبية على الصحة النفسية للعديد من أفرادها ولما كان الشباب يمثل أهم القطاعات الحيوية المساهمة في عملية البناء والتطوير الاقتصادي والاجتماعي، فقد جاءت هذه الدراسة بهدف التعرف والوقوف على إن دراسة أساليب مواجهة أحداث الحياة الضاغطة وعلاقتها بالصحة النفسية لدى الشباب في المجتمع الجزائري لم تحظ باهتمام الباحثين حيث لا يوجد إلا عدداً محدوداً من الدراسات التي تهتم بالصحة النفسية لدى الشباب. وبعض الدراسات التي أجريت على هذه الظاهرة في المجتمع الجزائري قليلة ومحدودة ، مما شكل باعثاً لدى الباحث على المساهمة في توضيح ملامح هذه الظاهرة بين الشباب في الجزائر.

وعلى ضوء ما تقدم يمكن تحديد مشكلة الدراسة في السؤال الرئيسي التالي: هل هناك علاقة بين أساليب مواجهة احداث الحياة الضاغطة والصحة النفسية لدى الشباب؟

وينبثق عن هذا السؤال **التساؤلات الجزئية** التالية:

1- ما هي أساليب مواجهة أحداث الحياة الضاغطة لدى الشباب وما هي أكثرها استخداما ؟

2- هل توجد فروق دالة في متوسطات درجات أفراد العينة في أبعاد أساليب مواجهة الضغوط تعزى لمتغير الجنس (ذكر -أنثى) ؟

3-هل توجد فروق دالة في متوسطات درجات أفراد العينة في أبعاد أساليب مواجهة الضغوط تعزى لمتغير الوضعية الاجتماعية (أعزب -متزوج) ؟

4- هل توجد فروق دالة في متوسطات درجات أفراد العينة في أبعاد أساليب مواجهة تعزى لمتغير مكان السكن (مدينة – قرية) ؟

2. فرضيات الدراسة:

1-توجد عدة أساليب لدى الشباب لمواجهة أحداث الحياة الضاغطة ؟

2-توجد علاقة دالة بين أساليب مواجهة أحداث الحياة الضاغطة والصحة النفسية لدى الشباب.

3-توجد فروق دالة في متوسطات درجات أفراد العينة في أبعاد أساليب مواجهة الضغوط تعزى لمتغير الجنس (ذكر -أنثى).

4-توجد فروق دالة في متوسطات درجات أفراد العينة في أبعاد أساليب مواجهة الضغوط تعزى لمتغير الوضعية الاجتماعية (أعزب -متزوج).

5- توجد فروق دالة في متوسطات درجات أفراد العينة في أبعاد أساليب مواجهة تعزى لمتغير مكان السكن(مدينة – قرية).

03. أهداف الدراسة: تتلخص أهداف الدراسة في المحاور التالية:

-تهدف إلى التعرف على العلاقة بين أساليب مواجهة الضغوط النفسية والصحة النفسية لدى الشباب.

-تهدف إلى التعرف على الفروق بين متوسطات أفراد العينة في أبعاد وأساليب مواجهة الضغوط والتي يمكن أن تعزى إلى المتغيرات التالية الجنس والوضعية الاجتماعية ومكان السكن.

04.أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في الموضوع الذي تتناوله، ولا سيما أن الضغوط النفسية أصبحت سمة هذا العصر، كما تكمن أهميتها في أنها تلقي الضوء على فئة الشباب الجزائري التي تعتبر من أهم شرائح المجتمع العمرية لما لها من دور ريادي في عملية التنمية والتطور المجتمعي، ذلك الدور الذي من الممكن أن يتأثر من خلال تعرض الشباب باستمرار لمواقف ضاغطة تؤثر سلبًا عليهم، وعلى عملية التنمية والتطور، ومن ثم فهم بحاجة إلى الإرشاد النفسي الذي يساعدهم في اختيار أساليب المواجهة الفعالة التي توفر لهم الصحة النفسية، وعن طريق التعرف على أساليب مواجهة الضغوط وأكثرها فعالية في تحقيق الصحة النفسية يتمكن العاملون في مجال الإرشاد النفسي والصحة النفسية من مساعدة الشباب على اختيار أفضل الأساليب التي تساهم في تحقيق قدر أكبر من الصحة النفسية لديهم.

05.تحديد المفاهيم الأساسية للدراسة:

أحداث الحياة الضاغطة Stressful Life Events: هي سلسلة من الأحداث الخارجية التي يواجهها الشباب، وتتطلب منهم سرعة التوافق في مواجهتها، لتجنب ما ينتج عنها من آثار سلبية على المستوى النفسي، والجسمي، والاجتماعي.

أساليب المواجهة Coping Styles: هي ذلك التغيير المستمر في المجهودات المعرفية والسلوكية ، والانفعالية من أجل إدارة المطالب الداخلية أو الخارجية التي يقيمها الفرد بأنها ترهق

أو تفوق إمكاناته(Folk man, & Lazarus 1984, p141)، ويعرف مصطلح أساليب مواجهة الضغوط إجرائيًا في الدراسة الحالية بوصفه الدرجة التي يحصل عليها الشاب على مقياس أساليب مواجهة أحداث الحياة الضاغطة المستخدم في الدراسة والذي يتكون من ثلاثة أبعاد رئيسية وهي: التفاعل الايجابي، التفاعل السلبي، والتصرفات السلوكية.

الصحة النفسية : Mental Health تمتع الفرد ببعض الخصائص الإيجابية التي تساعد على حسن توافقه مع نفسه ومع بيئته اجتماعية كانت أم مادية وكذلك تحرره من تلك الصفات السلبية أو الأعراض المرضية التي تعوق هذا التوافق(القريطي، والشخص، 1992، ص9)، وتعرف الصحة النفسية إجرائيًا في الدراسة الحالية بوصفها الدرجة التي يحصل عليها الشاب في مقياس الصحة النفسية المستخدم في الدراسة الحالية، والذي يتكون من سبعة أبعاد وه : الشعور بالكفاءة والثقة بالنفس ، المقدرة على التفاعل الاجتماعي، النضج الانفعالي والمقدرة على ضبط النفس، المقدرة على توظيف الطاقات والإمكانات في آمال مشبعة، التحرر من الأعراض العصابية، البعد الإنساني والقيمي، تقبل الذات وأوجه القصور العضوية.

6.الدراسات السابقة :

دراسة قام بها **كنج King (1991)** بهدف اكتشاف أحداث الحياة، والضغوط، واستراتيجيات المواجهة ، ومعرفة العلاقة بين أحداث الحياة والضغوط، والعلاقة بين استراتيجيات المواجهة والضغوط على عينة مكونة من (760) طالب من طلاب المرحلة الثانوية في هونكوك، وأسفرت نتائج الدراسة عن أن أحداث الحياة المتعلقة بالمدرسة والأسرة هي أكثر المصادر إثارة للضغوط، كما أسفرت عن أن إستراتيجية التخطيط لحل المشكلة وتحمل المسئولية هما الأكثر استخدامًا من قبل الطلبة ، في حين كانت المواجهة والهروب والتجنب هما الأقل استخدامًا من قبل الطلبة، أما عن الفروق بين الذكور والإناث في استراتيجيات المواجهة فقد كشفت عن أن الذكور أكثر ميلا لاستخدام التخطيط لحل المشكلة وتحمل المسئولية، وأن الإناث أكثر ميلا لاستخدام البحث عن الدعم الاجتماعي والهروب والتجنب كذلك أسفرت عن وجود علاقة موجبة دالة بين إستراتيجية كلٍ من الهروب والتجنب وتحمل المسئولية والشعور بالضغط النفسي، ووجود علاقة دالة سلبية بين إستراتيجية كلٍ من التخطيط لحل المشكلة والبحث عن الدعم الاجتماعي والشعور بالضغط النفسي لدى الطلبة.

وقام **محمد (1995)** بدراسة الفروق الجنسية والعمرية في أساليب التكيف مع المواقف الضاغطة على عينة مكونة من(684) فردًا من الجنسين، وأشارت نتائج الدراسة إلى عدم وجود فروق دالة في استخدام أساليب التكيف تعزى إلى الجنس، كما أشارت إلى وجود تأثير لمتغير العمر في استخدام أساليب التكيف ، فقد كان الشباب أكثر ميلا لاستخدام أسلوب إعادة التقييم الإيجابي للموقف، وأسلوب التحليل المنطقي للموقف بغية فهمه، وأسلوب البحث عن المساعدة الأسرية أو الاجتماعية بالمقارنة بالمراهقين.

وقام علي (2000) بدراسة لمعرفة دور المساندة الاجتماعية في المواجهة الإيجابية لأحداث الحياة الضاغطة وتقليل الآثار السلبية الناتجة عن الضغوط، على عينة مكونة من (100) طالبًا جامعيًا، نصفهم يقيم مع أسرهم، والنصف الآخر يقيم في المدن الجامعية وانتهت نتائج الدراسة إلى وجود فروق دالة بين المجموعتين على بعد التعامل الإيجابي مع أحداث الحياة الضاغطة والفروق كانت لصالح الطلاب المقيمين مع أسرهم، وعلى بعد التعامل السلبي والفروق كانت لصالح الطلاب المقيمين في المدن الجامعية.

وفي دراسة أخرى قام بها أبو **حطب (2003)** بهدف التعرف على الضغوط النفسية وأساليب مواجهتها كما تدركها المرأة الفلسطينية في محافظة غزة، على عينة مكونة من250 امرأة متزوجة، وأسفرت نتائج الدراسة عن أن المرأة الفلسطينية تستخدم أساليب متعددة في مواجهة

الضغوط النفسية وهي: إعادة التقييم، والتخطيط لحل المشاكل، والتحكم في النفس والتفكير بالتمني والتجنب، وتحمل المسئولية، والانتماء، والارتباك والهروب كما أسفرت الدراسة عن عدم وجود فروق دالة لدى النساء في أساليب المواجهة تعزى لكلٍ من متغير العمر، والمؤهل العلمي.

07. إجراءات الدراسة:

منهج الدراسة: اعتمد الباحث المنهج الوصفي، لمعرفة العلاقة بين أساليب مواجهة الضغوط النفسية والصحة النفسية لدى عينة من الشباب الجزائري، ومعرفة الفروق بين متوسطات أفراد العينة في أساليب مواجهة الضغوط النفسية والتي يمكن أن تعزى إلى المتغيرات التالية الجنس، والحالة العائلية ، ومكان السكن.

مجتمع الدراسة: يشمل مجتمع الدراسة الشباب الجزائري ومن عينة والبالغ عددها 300 شابا وشابة.

عينة الدراسة: تكونت عينة الدراسة من (300) شاب وشابة، (130 شاب، 170 شابة) من المجتمع الجزائري وقد اختير أفراد العينة بالطريقة العشوائية، ويوضح جدول رقم (01) مواصفات أفراد العينة من حيث الجنس ومكان السكن، والحالة العائلية.

جدول رقم(01) يبين توزيع أفراد العينة حسب الجنس ومكان السكن والوضعية الاجتماعية

المتغير	الخصائص		المجموع
الجنس	ذكر	أنثى	300
	130	170	
الحالة العائلية.	متزوج	أعزب	300
	128	172	
مكان السكن	ريفي	حضري	300
	153	97	

أدوات الدراسة:

أولا: مقياس أساليب مواجهة أحداث الحياة اليومية الضاغطة: إعداد **علي عبد السلام علي** مع إدخال بعض التعديلات عليه.

وصف المقياس: أعد هذا المقياس " **ليونارد بون** Leonard . W. Poon " عام (1980) وقام بإعداده على البيئة المصرية " **علي عبد السلام علي**"، وتم إدخال بعض التعديلات عليه حتى يتناسب مع عينة الدراسة ويشتمل المقياس على ثلاثة أبعاد رئيسية هي:

أ -التفاعل الإيجابي في مواجهة أحداث الحياة اليومية الضاغطة: ويحتوى هذا المقياس الفرعي على (13) عبارة تقيس بعض السمات الشخصية الإقدامية، والإيجابية المرنة التي يتسم بها الأفراد في قدرتهم على التعامل مع مجموعة المصادر الداخلية أو الخارجية الضاغطة التي يتعرضون لها في حياتهم اليومية، ويكون لديهم القدرة على السيطرة على تلك المصادر دون إحداث أي آثار نفسية أو جسمية في استجابتهم أثناء مواجهتهم لتلك الأحداث اليومية الضاغطة، ويسعى هؤلاء الأفراد إلى التوافق النفسي والاجتماعي في مواجهتهم لتلك الأحداث

ب -التفاعل السلبي فى مواجهة أحداث الحياة اليومية الضاغطة: يتكون هذا المقياس الفرعي من (07) عبارات تقيس السمات الشخصية والاجتماعية للأفراد الذين يتسمون بالتفاعل السلبي، وتقيس أيضاً استجاباتهم السلبية عندما يواجهون أي موقف ضاغط في حياتهم اليومية ، فهؤلاء الأفراد يتسمون بالإحجام المعرفي عن التفكير الواقعي والمنطقي أثناء مواجهتهم لأحداث الحياة اليومية، ويقبلون الموقف الاستسلامي في تعاملاتهم مع تلك الأحداث، ويبحثون عن أنشطة بديلة

تبعدهم عن تلك الأحداث، ويحصلون على مصادر التوافق النفسي والاجتماعي بعيد عن الأزمات التي تفرزها أحداث الحياة اليومية الضاغطة.

ج -التصرفات السلوكية لمواجهة أحداث الحياة اليومية الضاغطة: ويشتمل هذا المقياس الفرعي على(10) عبارات تقيس التصرفات السلوكية للأفراد عند مواجهتهم لأي أزمة يواجهونها في أحداث الحياة اليومية، وفي طريقة استخدامهم للوسائل والأساليب التكيَّفية الإقدامية أو الإحجامية لتلك الأحداث، وتجاوز آثارها السلبية النفسيَّة أو الجسميَّة(علي عبد السلام علي، 2008، ص19-20).

تطبيق المقياس: يطبق مقياس " أساليب مواجهة أحداث الحياة اليومية الضاغطة " بصورة فردية أو جماعية حيث يعطى المفحوص كتيب التعميمات ويطلب منه قراءته ليجيب على عبارات هذا المقياس، ويتكون المقياس في صورته النهائية من (30 عبارة) تقيس ثلاثة أبعاد هي:

البعد الأول التفاعل الإيجابي في مواجهة أحداث الحياة اليومية الضاغطة ، ويرمز له بالرمز (ت ج) ، ويتكون من (13 عبارة) تحمل هذه الأرقام: (1-3-4-6-7-12-13-16-17-18-23-24-27)

البعد الثاني: التفاعل السلبي في مواجهة أحداث الحياة اليومية الضاغطة ويرمز له بالرمز(ت س) ويتكون من (07 عبارات) تحمل هذه الأرقام (11- 14 - 19-21- 26- 29-30).

البعد الثالث: التصرفات السلوكية لمواجهة أحداث الحياة اليومية الضاغطة ، ويرمز له بالرمز (ص ك)، ويتكون من (10عبارات) تحمل هذه الأرقام: (2- 5- 8 - 9- 10-15 - 20- 22 - 25 -28).

تصحيح المقياس: يجيب المفحوص على عبارات المقياس باختيار الإجابة التي تتلاءم معه طبقاً للإجابات الآتية " تنطبق تماماً " وتأخذ ثلاث درجات ، و تنطبق إلى حد م " وتأخذ درجتان، و"لا تنطبق " وتأخذ درجة واحدة.

صدق المقياس: تم حساب صدق المقياس بـ:

الصدق الظاهري: وهو عرض المقياس بعد إدخال بعض التعديلات وإعداد عباراته على مجموعة من المتخصصين من أعضاء هيئة التدريس في علم النفس في بعض الجامعات الجزائرية المختلفة كمحكمين، وبعد الانتهاء من إجراءات التحكيم والتقييم لعبارات وأبعاد المقياس ثم الإبقاء على العبارات التي حصلت على نسبة اتفاق تصل إلى (80%) من تقييم المحكمين.

صدق الاتساق الداخلي:

أولا: تم حساب صدق الاتساق الداخلي لمقياس " أساليب مواجهة أحداث الحياة اليومية الضاغطة عينة عشوائية وقوامها (80) شاب بحساب معاملات الارتباط بيرسون بين درجة كل بعد من أبعاد المقياس والدرجة الكلية للمقياس وذلك لمعرفة ارتباط الأبعاد بالدرجة الكلية للمقياس، ويتضح ذلك من الجدول التالي:

جدول رقم (05 يوضح نتائج صدق الاتساق الداخلي " لمقياس أساليب مواجهة أحداث الحياة

الرقم	أبعاد المقياس	معامل الارتباط	مستوى الدلالة
01	التفاعل الإيجابي في مواجهة أحداث الحياة اليومية الضاغطة	0.74	0.01
02	التفاعل السلبي في مواجهة أحداث الحياة اليومية الضاغطة	0.80	0.01
03	التصرفات السلوكية لمواجهة أحداث الحياة اليومية الضاغطة	0.57	0.01
الدرجة الكلية للمقياس		0.90	0.01

يتضح من الجدول أن معاملات الارتباط تتراوح بين (0.57 - 0.90) وهى كلها ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0.01.
ثانيا: وذلك بحساب العلاقة بين درجة كل فقرة ودرجة البعد المنتمية إليه، ويعرض لذلك الجدول رقم (06).

معامل الارتباط بين درجات كل عبارة ودرجة البعد بمقياس أساليب المواجهة

التفاعل الايجابي		التفاعل السلبي		التصرفات السلوكية	
البند	معامل الارتباط	البند	معامل الارتباط	البند	معامل الارتباط
1	*0.207	11	**0.518	2	*0.305
3	**0.400	14	**0.587	5	**0.399
4	**0.428	19	**0.384	8	**0.384
6	**0.579	21	**0.604	9	**0.448
7	**0.476	26	**0.625	10	**0.297
12	**0.418	29	**0.519	15	**0.450
13	*0.206	30	**0.604	20	*0.322
16	**0.377			22	**0.493
17	**0.590			25	**0.435
18	**0.402			28	**0.428
23	**0.443				
24	**0.527				
27	**0.481				

جاءت جميع معاملات الارتباط بين درجات عبارات كل بعد ودرجة البعد دالة إحصائيا وموجبة تراوحت بين (0.206 - 0.590) بما يشير إلى توفر الاتساق الداخلي بمقياس أساليب مواجهة أحداث الحياة الضاغطة.

ب.حساب ثبات المقياس: قمنا بالتأكد من دلالات حساب ثبات المقياس على عينة من الشباب قوامها (80) فرد يمثلون شرائح مختلفة من الشباب الجزائري، واتبعنا في ذلك الإجراءات التالية: وتم حساب معامل ثبات المقياس بطريقتى ألفا كرونباخ، والتجزئة النصفية باستخدام معادلتي سبيرمان، براون، وجتمان، وظهرت النتائج كما في الجدول التالي:

جدول رقم(03) يوضح معاملات ثبات مقياس أساليب مواجهة أحداث الحياة اليومية الضاغطة

الرقم	الأبعاد	معامل ألفا كرونباخ	التجزئة النصفية	
			سبيرمان/ براون	جثمان
01	التفاعل الإيجابي في مواجهة أحداث الحياة	0,83	0,86	0,82
02	التفاعل السلبي في مواجهة أحداث الحياة	0,85	0,79	0,80
03	التصرفات السلوكية لمواجهة أحداث الحياة .	0,82	0,83	0,86

يتضح من الجدول أن معاملات ثبات المقياس تتراوح ما بين (0,79-0,86) وكلها معاملات ثبات مرتفعة تدل على تمتع المقياس بدرجة مرتفعة من الثبات.

ثانيا: مقياس الصحة النفسية:

قام **القريطي والشخص (1992)** بإعداد هذا المقياس ، ويتكون المقياس من(105) عبارة ويقيس سبعة أبعاد هي: الشعور بالكفاءة والثقة بالنفس، والمقدرة على التفاعل الاجتماعي والنضج الانفعالي والمقدرة على ضبط النفس، والقدرة على توظيف الطاقات والإمكانات في أعمال مشبعة، والتحرر من العصابية، والبعد الإنساني والقيمي، وتقبل الذات وأوجه القصور العضوية.

وبالنسبة لمفتاح التصحيح، تحصل على درجة واحدة كل عبارة يجيبها المفحوص بنعم، وصفر للاستجابة بلا علمًا بأن بنود الأبعاد: الثاني، والرابع، والسادس، صيغت بصورة موجبة ، أما باقي الأبعاد فقد صيغت أبعادها بصورة سالبة وهكذا تتراوح درجات كل بعد من أبعاد المقياس السبعة بين صفر و15 درجة، بينما تتراوح الدرجة الكلية للمقياس بين صفر و105 درجة وفي جميع الأحوال فإن الدرجة المرتفعة تعبر عن تمتع الفرد بمستوى مرتفع من حيث الصحة النفسية والعكس صحيح.

وقام الباحثان بحساب صدق المقياس في البيئتين المصرية والسعودية، باستخدام التحليل العاملي، وذلك لاستخراج معاملات الارتباط البينية بين أبعاد المقياس من جهة، والدرجة الكلية للمقياس من جهة أخرى، وكانت جميع المعاملات دالة عند مستوى 0.01 كما قاما بحساب ثبات المقياس على البيئتين أيضًا بطريقة إعادة الإجراء، وكانت معاملات الارتباط دالة عند مستوى .0.01

كما قام (الباحث) بحساب صدق وثبات المقياس في البيئة الجزائرية على النحو التالي:

صدق المقياس: تم التحقق من صدق المقياس بكل من الطرق التالية:

صدق المحكمين: تم عرض المقياس على مجموعة من أعضاء هيئة التدريس في قسم علم النفس في بعض الجامعات الجزائرية (المسيلة – أدرار- تمنراست - بشار- سعيدة) وتم الاتفاق على صلاحية المقياس للبيئة الجزائرية.

الاتساق الداخلي للمقياس: تم التحقق من تمتع المقياس من الاتساق الداخلي، وذلك بحساب معامل ارتباط بيرسون بين درجة كل بند والدرجة الكلية للبعد، وكانت معاملات الارتباط جميعها دالة عند مستوى 0.01 وتوضح الجداول التالية ذلك:

جدول رقم(07) يبين معاملات الارتباط بين درجات بنود البعد الأول (الشعور بالكفاءة والثقة بالنفس) والدرجة الكلية لهذا البعد

رقم البند	معامل الارتباط	رقم البند	معامل الارتباط	رقم البند	معامل الارتباط	رقم البند	معامل الارتباط
1	**0.34	29	**0.38	57	**0.38	85	**0.39
8	**0.31	36	**0.48	64	**0.35	92	**0.54
15	**0.39	43	**0.37	71	**0.50	99	**0.40
22	**0.33	50	**0.52	78	**0.44		

**دالة عند0.01

جدول رقم (08) يبين معاملات الارتباط بين درجات بنود البعد الثاني(المقدرة على التفاعل الاجتماعي) والدرجة الكلية لهذا البعد

رقم البند	معامل الارتباط	رقم البند	معامل الارتباط	رقم البند	معامل الارتباط	رقم البند	معامل الارتباط
2	**0.4	30	**0.55	58	**0.39	86	**0.46
9	**0.39	37	**0.59	65	**0.33	93	**0.50
16	**0.66	44	**0.33	72	**0.37	100	**0.55
23	**0.58	51	**0.65	79	**0.41		

**دالة عند0.01

جدول رقم (09) يبين معاملات الارتباط بين درجات بنود البعد الثالث النضج الانفعالي والقدرة على ضبط النفس والدرجة الكلية لهذا البعد)

رقم البند	معامل الارتباط	رقم البند	معامل الارتباط	رقم البند	معامل الارتباط	رقم البند	معامل الارتباط
03	0.55**	31	0.39**	59	0.46**	87	0.39**
10	0.59**	38	0.33**	66	0.50**	94	0.54**
17	0.33**	45	0.37**	73	0.55**	101	0.40**
24	0.41**	52	0.41**	80	0.33**		

**دالة عند0.01

جدول رقم(10) يبين معاملات الارتباط بين درجات بنود البعد الرابع المقدرة على توظيف الطاقات والإمكانات في أعمال مشبعة) والدرجة الكلية لهذا البعد

رقم البند	معامل الارتباط	رقم البند	معامل الارتباط	رقم البند	معامل الارتباط	رقم البند	معامل الارتباط
04	0.33**	32	0.45**	60	0.58**	88	0.56**
11	0.47**	39	0.36**	67	0.51**	95	0.39**
18	0.32**	46	0.33**	74	0.42**	102	0.43**
25	0.35**	53	0.48**	81	0.36**		

**دالة عند0.01

جدول رقم (11) يبين معاملات الارتباط بين درجات بنود البعد الخامس التحرر من الأعراض العصابية) والدرجة الكلية لهذا البعد

رقم البند	معامل الارتباط	رقم البند	معامل الارتباط	رقم البند	معامل الارتباط	رقم البند	معامل الارتباط
5	0.49**	33	0.58**	61	0.45**	89	0.44**
12	0.32**	40	0.51**	68	0.47**	96	0.43**
19	0.35**	47	0.42**	75	0.32**	103	0.49**
26	0.46**	54	0.36**	82	0.35**		

**دالة عند0.01

جدول رقم (12) يبين معاملات الارتباط بين درجات بنود البعد السادس(البعد الإنساني والقيمي) والدرجة الكلية لهذا البعد

رقم البند	معامل الارتباط	رقم البند	معامل الارتباط	رقم البند	معامل الارتباط	رقم البند	معامل الارتباط
6	0.32**	34	0.38**	62	0.53**	90	0.35**
13	0.35**	41	0.62**	69	0.51**	97	0.30**
20	0.37**	48	0.58**	76	0.42**	104	0.32**
27	0.33**	55	0.59**	83	0.45**		

**دالة عند0.01

جدول رقم (13) يبين معاملات الارتباط بين درجات بنود البعد السابع (تقبل الذات وأوجه القصور العضوية) والدرجة الكلية لهذا البعد

رقم البند	معامل الارتباط	رقم البند	معامل الارتباط	رقم البند	معامل الارتباط	رقم البند	معامل الارتباط
7	0.39**	35	0.38**	63	0.36**	91	0.39**
14	0.35**	42	0.61**	70	0.33**	98	0.45**
21	0.37**	49	0.31**	77	0.48**	105	0.51**
28	0.33**	56	0.38**	84	0.63**		

**دالة عند0.01

ثبات المقياس: تم التحقق من ثبات المقياس بكل من الطرق التالية:

معامل ألفا كرونباخ: حيث تم حساب معامل ألفا كرونباخ للمقياس فوجد أنه يساوي " **0.72** "

طريقة التجزئة النصفية: حيث تم استخراج معامل ارتباط بيرسون بين نصفي الاختبار فوجد أنه يساوي" **0.69** "، ومن ثم تم تعديل طول الاختبار بمعادلة سبيرمان بروان فوجد أنه يساوي " **0.77**"، وهكذا أصبح المقياس يتمتع بمعامل ثبات يمكن الاعتماد عليه وعلى نتائجه في الدراسة الحالية.

الأساليب الإحصائية: قام الباحث باستخدام الأساليب الإحصائية الآتية:

- المتوسط الحسابي والمتوسط النسبي.
- اختبار" ت. " لحساب دلالة الفروق بين متوسط درجات المجموعتين.
- حساب معامل ارتباط بيرسون، وسبيرمان براون
- حساب معاملات الثبات بطريقتى التجزئة النصفية وألفا كرونباخ.

نتائج الدراسة ومناقشتها :

سوف نعرض(الباحث) نتائج الدراسة وفق تسلسل أسئلتها، وذلك على النحو التالي:

نتائج السؤال الأول ومناقشتها:

ينص **السؤال الأول** على أنه: ما هي أساليب مواجهة أحداث الحياة الضاغطة لدى الشباب الجزائري وما هي أكثر الأساليب استخداما ؟

وللإجابة على هذا السؤال تم: استخدام المتوسط الحسابي، والمتوسط النسبي، والانحرافات المعيارية، كما هو موضح في الجدول التالي:

جدول رقم(14) يبين عدد بنود أساليب مواجهة أحداث الحياة الضاغطة والمتوسط النسبي والانحرافات المعيارية لدرجات أفراد العينة (ن=300)

أساليب مواجهة أحداث الحياة الضاغطة	عدد البنود	المتوسط	الانحراف المعياري
التفاعل الإيجابي فى مواجهة أحداث الحياة اليومية الضاغطة	13	30.90	3.12
التفاعل السلبي فى مواجهة أحداث الحياة اليومية الضاغطة	07	14.46	1.82
التصرفات السلوكية لمواجهة أحداث الحياة اليومية الضاغطة	10	21.63	2.07

يتضح من الجدول رقم (14) أن الشباب الجزائري، يستخدمون أساليب متعددة في مواجهة أحداث الحياة الضاغطة، وهي بالترتيب حسب الاستخدام كما يلي: **أساليب التفاعل الإيجابي فى مواجهة أحداث الحياة اليومية الضاغطة** يليها **أساليب التصرفات السلوكية لمواجهة أحداث الحياة اليومية الضاغطة**، وأخيرا **أساليب التفاعل السلبي في مواجهة أحداث الحياة اليومية الضاغطة**، وتعني هذه النتيجة أن الشباب يستخدمون جميع الأساليب المتاحة في مواجهة أحداث الحياة الضاغطة، فكلما تعددت وتنوعت أساليب مواجهة أحداث الحياة اليومية الضاغطة كانت أكثر نفعًا وفائدة في التصدي والتغلب على أحداث الحياة الضاغطة التي تواجههم، فقد تكون الأساليب المستخدمة في مجالٍ ما قد تكون غير ذات جدوى في مجالات أخرى، كما تعكس هذه النتيجة ما تتميز به الشخصية الجزائرية من مرونة تمكنها من استخدام بدائل مختلفة وأساليب متعددة في مواجهة أحداث الحياة الضاغطة، وتتفق هذه مع ما توصل إليه **"علي الشعكة (2009)"** بأن الطلاب الفلسطينيين يستخدمون جميع الأساليب المتاحة في مواجهة الضغوط.

هذا ونرى أن السبب في حصول **أساليب التفاعل الإيجابي** على الترتيب الأول يعود إلى أن طبيعة مرحلة الشباب تتميز بمحاولة الشباب تنمية ذواتهم وزيادة ثقتهم بالنفس، ومن خلال النظر إلى مفهوم أساليب التفاعل الايجابي وفق ما أشار إليه **علي عبد السلام (2003)** فإن أصحابه يتسمون بقدرتهم على التعامل مع مجموعة المصادر الداخلية أو الخارجية الضاغطة التي يتعرضون لها في حياتهم اليومية، ويكون لديهم القدرة على السيطرة على تلك المصادر دون

إحداث أية آثار سلبية جسمية أو نفسية في استجاباتهم أثناء مواجهتهم لتلك الأحداث اليومية الضاغطة حيث يسعون إلى التوافق النفسي والاجتماعي في مواجهتهم لتلك الأحداث.

وفيما يتعلق بحصول **التصرفات السلوكية** على الترتيب الثاني يعود إلى حسن التصرف في المواقف المختلفة، حيث أن تصرفات الأفراد تتوقف على قدراتهم، وإطارهم المرجعي للسلوك، ومهارتهم في تحمل أحداث الحياة الضاغطة، وعلى نمط شخصيتهم عند معالجتهم لأي أزمة يواجهونها في أحداث الحياة اليومية، وفي طريقة استخدامهم للوسائل والأساليب التكيفية الإقدامية أو الاحجامية للتصدي لتلك الأحداث، وتجاوز آثارها السلبية الجسمية أو النفسية. أما بالنسبة إلى **التفاعل السلبي** فجاء بنسبة متوسطة، وإن كان في الترتيب الأخير حيث يعني ذلك أنه توجد نسبة لا يستهان بها من الشباب ليس لديهم القدرة الجيدة على مواجهة ضغوط الحياة ويتعاملون معها بضعف وسلبية لأن الأفراد هنا يتسمون بالإحجام المعرفي عن التفكير الواقعي والمنطقي أثناء مواجهتهم لأحداث الحياة اليومية، ويقبلون الموقف الاستسلامي في تعاملاتهم مع تلك الأحداث، ويبحثون عن أنشطة بديلة تبعدهم عن تلك الأحداث، ويحصلون على مصادر التوافق النفسي والاجتماعي بعيداً عن الأزمات التي تفرزها أحداث الحياة اليومية الضاغطة.

هذا ونرى(الباحث) أن الواقع الجزائري ، بضغوطه الشديدة والفريدة من نوعها ، يفرض على الشاب الجزائري استخدام كل ما بحوزته من أساليب المواجهة، وفي هذا الصدد يؤكد (ماكري، 1984، ص924)،"أن الناس قد يلجئون إلى استخدام خليط من أساليب المواجهة عند مواجهة كثير من الضغوط ، وأحيانًا تكون غلبة أساليب على أخرى.

إن استخدام الشباب في الدراسة الحالية أساليب متعددة في مواجهة أحداث الحياة اليومية الضاغطة، إنما يعكس قوة وصلابة الشخصية الجزائرية الصامدة، التي تعرف الله ولا تحيد عن الإيمان بالرغم من الظروف العسيرة التي مرت بها البلاد خلال العقود الماضية.

نتائج السؤال الثاني ومناقشتها:

ينص السؤال الثاني على أنه" **هل توجد علاقة دالة بين أساليب مواجهة أحداث الحياة الضاغطة والصحة النفسية لدى الشباب ؟**"، وللإجابة على هذا السؤال تم استخدام معامل "ارتباط بيرسون"، وذلك كما هو مبين في الجدول رقم(15) :

جدول رقم(15) يبين مصفوفة معاملات الارتباط لأبعاد مقياس أساليب مواجهة أحداث الحياة والصحة النفسية

أساليب مواجهة أحداث الحياة	الصحة النفسية
التفاعل الايجابي	0.91**
التفاعل السلبي	-0.068
التصرفات السلوكية	-0.083
مجموع الابعاد	**0.621

** الارتباط دال إحصائيا عند مستوى دلالة 0.01

يتضح من الجدول رقم (15) وجود علاقة إرتباطية موجبة دالة عند مستوى 0.01 بين بعد التفاعل الايجابي والصحة النفسية، حيث بلغت قيمة معامل الارتباط بيرسون 0.91، بينما كان الارتباط بين بعد كل من التفاعل السلبي والتصرفات السلوكية ضعيف وعكسي وغير دال إحصائيا حيث بلغت قيمة معامل الارتباط 0.06- و 0.08- على التوالي.

وتتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسات سابقة من إبراز دور التوافق والصحة النفسية ومتغيرات الشخصية الإيجابية في اختيار أساليب المواجهة الإيجابية هذه النتيجة تعني أن الأفراد الذين يعانون من عدم السواء يعجزون عن استخدام أساليب فعالة في مواجهة أحداث الحياة

الضاغطة ، وهذا ما تؤكده " **كوباسا" Kobasa** التي أشارت إلى أن الأفراد الذين لا يستطيعون مواجهة أحداث الحياة الضاغطة، ويفقدون القدرة على التكيف الإيجابي، والدافعية للتحدي لمقاومة هذه الأحداث ويتسمون بالعجز في اختيار بدائل متعددة لحل المشكلات التي تواجههم، ويفقدون التوازن النفسي من الضغوط النفسية ، وصراع الأدوار هم الذين يفتقدون أبعاد المقاومة والصلابة النفسية ، ويكونون عرضة للاضطرابات النفسية(علي، 1997، ص221).

نتائج السؤال الثالث ومناقشتها:

ينص السؤال الثالث على أنه" : هل توجد فروق دالة في متوسطات درجات أفراد العينة في أبعاد أساليب مواجهة الضغوط تعزى لمتغير الجنس (ذكر- أنثى) ؟ "وللإجابة على هذا السؤال تم استخدام اختبار "ت" لمعرفة الفروق بين الذكور والإناث وذلك كما هو مبين في الجدول رقم (16)

جدول رقم (16) : يوضح اختبار(ت) لدراسة الفروق بين متوسطات استخدام أساليب مواجهة أحداث الحياة لدى الشباب تبعا لمتغير الجنس

الأبعاد	الجنس	العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	(ت) المحسوبة	مستوى الدلالة
التفاعل الايجابي	ذكور	84	32.75	2.56	6.87	دال عند مستوى أقل من 0.05
	إناث	216	30.18	3.02		
التفاعل السلبي	ذكور	84	14.07	1.54	-2.31	دال عند مستوى أقل من 0.05
	إناث	216	14.61	1.90		
التصرفات السلوكية	ذكور	84	021.0	1.988	-3.35	دال عند مستوى أقل من 0.05
	إناث	216	21.88	2.056		
مجموع الأبعاد	ذكور	84	67.82	3.086	2.190	دال عند مستوى أقل من 0.05
	إناث	216	66.67	4.389		

يتضح من الجدول رقم ما يلي:

بعد التفاعل الإيجابي: توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة 0.05 في إستراتيجية بعد التفاعل الايجابي بين الذكور والإناث ولصالح الذكور.

بعد التفاعل السلبي: توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة 0.05 في إستراتيجية بعد التفاعل السلبي بين الذكور والإناث ولصالح الإناث.

بعد التصرفات السلوكية: توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة 0.05 في إستراتيجية بعد التصرفات السلوكية بين الذكور والإناث ولصالح الإناث.

أساليب المواجهة بشكل عام: توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة 0.05 في أساليب المواجهة بين الذكور والإناث ولصالح الذكور.

ومن خلال نتائج الجدول تبين وجود فروق ذات دلالة إحصائية في هذه الأساليب تعزى لمتغير الجنس حيث كانت الفروق دالة لصالح الذكور في التفاعل الايجابي وفي مجموع الأبعاد بينما كانت الفروق لصالح الإناث في التفاعل السلبي والتصرفات السلوكية.

أما فيما يتعلق بظهور الفروق في **التفاعل الإيجابي** فقد ظهرت الفروق ولصالح الذكور، ونعتقد أن السبب في ذلك يعود إلى العادات والتقاليد الاجتماعية التي تحد من مشاركة الفتاة في الأنشطة الاجتماعية، ويندرج هذا تحت ما يسمى بقلة المساندة الاجتماعية للأنثى، التي لا تسمح لها بالتفاعل والنقاش بدرجة كبيرة ، وذلك لوجود محددات ثقافية اجتماعية تحول دون ذلك، ويؤكد على مثل هذه النتيجة " **شارون وكاسن** " في إشارتهما إلى أن التفاعل الايجابي يتمثل في الأفراد الذين يلقون القبول الاجتماعي لسلوكهم من المجتمع، والذي ينبع من التنشئة السوية، والحماية والرعاية من أسرهم ، والذي يؤدي إلى التكيف السريع مع البيئة المحيطة والمواجهة الايجابية مع أحداث الحياة الضاغطة وبشكل عام يعد المجتمع العربي بصورة عامة والمجتمع الجزائري بشكل خاص مجتمعا رجوليا يولي المساندة الاجتماعية والقيادة بدرجة اكبر من الإناث وبالتالي يكون تفاعلهم بدرجة ايجابية مع الضغوط مقارنة بالإناث ، ويؤكد على ذلك " **سارسون** " وآخرون في إشارتهم إلى أن الترابط الأسري والنظرة الايجابية للشخص والمساندة الاجتماعية تزيد من قدرة الشخص على مقاومة الإحباط ، وتقلل المعاناة النفسية في حياته الاجتماعية(الربيعة، 1998، ص25).

وفيما يتعلق بظهور **الفروق في بعدي التفاعل السلبي والتصرفات السلوكية بين الذكور والإناث ولصالح الإناث،** فان السبب في ذلك يعود إلى أن الإناث أكثر فاعلية في البعد العاطفي والانفعالي في التصرف في المواقف المختلفة مقارنة بالذكور، حيث أن الهروب من المشكلة والانعزال عن الآخرين أو مواجهتها بالبكاء من الاستراتيجيات السلبية الانفعالية الشائعة لدى غالبية الإناث ويؤكد على ذلك **عبد الستار(1998)** في إشارته إلى أن أسوأ أنواع الضغوط وأكثرها ارتباطا بالتوتر والاضطراب النفسي، هي تلك التي تحدث للفرد المنعزل ، والذي يفقد المساندة الاجتماعية، بمعنى آخر أن الحياة مع الجماعة والانتماء إلى مجموعة من الأصدقاء والعلاقات الاجتماعية والأسرية المنظمة من العوامل الرئيسة للصحة والكفاح والرضا ومواجهة الضغوط بنجاح.

نتائج السؤال الرابع ومناقشتها:

ينص السؤال الرابع على أنه" : هل توجد فروق دالة في متوسطات درجات أفراد العينة في أبعاد أساليب مواجهة الضغوط تعزى لمتغير الحالة الاجتماعية (متزوج -عازب)؟

وللإجابة على هذا السؤال تم استخدام اختبار " ت" لمعرفة الفروق بين الشباب العازب والشباب المتزوج، وذلك كما هو مبين في الجدول رقم(**17**).

جدول رقم(17) يوضح المتوسطات والانحرافات المعيارية وقيمة" ت "لدرجات الشباب العازب والشباب المتزوج في أبعاد مقياس أساليب مواجهة أحداث الحياة الضاغطة

الأبعاد	الحالة الاجتماعية	العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	(ت) المحسوبة	مستوى الدلالة
التفاعل الايجابي	العازب	226	29.71	2.575	-15.50	دال عند مستوى أقل من 0.05
	المتزوج	74	34.54	1.273		

التفاعل السلبي	العازب	226	14.67	1.76	3.594	دال عند مستوى أقل من 0.05
	المتزوج	74	13.81	1.86		
التصرفات السلوكية	العازب	226	21.83	2.04	3.004	دال عند مستوى أقل من 0.05
	المتزوج	74	21.01	2.05		
مجموع الابعاد	العازب	226	66.22	3.961	-6.067	دال عند مستوى أقل من 0.05
	المتزوج	74	69.36	3.568		

يتضح من الجدول رقم (17) وجود فروق دالة في متوسطات درجات أفراد العينة تعزى لمتغير الحالة الاجتماعية عند مستوى 0.05 في الأساليب التالية: التفاعل الايجابي وفي أساليب المواجهة بصفة عامة والفروق كانت لصالح الشباب المتزوج، وفي أسلوبي: التفاعل السلبي، والتصرفات السلوكية والفروق كانت لصالح الشباب العازب وهذا يدل على أن الشباب المتزوج لديهم القدرة على استخدام أساليب التفاعل الايجابي في مواجهة أحداث الحياة الضاغطة، وبالتالي يعكس مهاراتهم وقدرتهم على التخطيط وتحمل المسئولية تجاه ذواتهم والمجتمع . ويمكن أن تفسر هذه النتيجة في ضوء اعتبارات عدة منها أن الشباب المتزوج لهم راحة وطمأنينة نفسية إلى حد كبير مما يساهم في تهيئتهم ذهنيًا لفهم الشدائد والأحداث الضاغطة، وإعادة بناء الموقف بطريقة إيجابية، وعليه يشرعون في محاولاتهم السلوكية التي تتضمن التخطيط لحل المشاكل أو الأزمة لحلها وتحمل المسئولية اتجاهها لحلها وتلافي آثارها.

ينص **السؤال الخامس** على أنه" : هل توجد فروق دالة في متوسطات درجات أفراد العينة في أبعاد أساليب مواجهة تعزى لمتغير مكان السكن (مدينة – قرية) ؟ "وللإجابة على هذا السؤال تم استخدام اختبار " ت " لمعرفة الفروق تبعًا لمكان السكن ، وذلك كما هو مبين في الجدول رقم (18).

جدول رقم (18) يوضح المتوسطات والانحرافات المعيارية وقيمة" ت "الدرجات سكان (مدينة – قرية) في أبعاد مقياس أساليب مواجهة أحداث الحياة الضاغطة

الأبعاد	مكان السكن	العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	(ت) المحسوبة	مستوى الدلالة
التفاعل الايجابي	مدينة	141	31.41	3.040	2.683	دال عند مستوى أقل من 0.05
	قرية	159	30.45	3.129		
التفاعل السلبي	مدينة	141	14.94	2.190	4.451	دال عند مستوى أقل من 0.05
	قرية	159	14.03	1.290		
التصرفات السلوكية	مدينة	141	21.39	2.003	-1.924	دال عند مستوى أقل

	قرية	159	21.84	2.114		من 0.05
مجموع الأبعاد	مدينة	141	67.74	4.23	3.020	دال عند مستوى أقل من 0.05
	قرية	159	66.33	3.863		

يتضح من الجدول رقم (18) وجود فروق دالة في متوسطات درجات أفراد العينة في بعد التفاعل الايجابي عند مستوى 0.05 لصالح سكان المدينة تعزى لمتغير مكان السكن، وهذا يفسر في ضوء اختلاف الثقافة باعتبارها جزءًا من البيئة التي يعيش فيها الأفراد والجماعات تلعب مع العوامل الوراثية والبيولوجية والبيئية الأخرى على تشكيل الشخصية الفردية والشخصية الجمعية، وفي هذا الصدد ترى" **المصري** " أننا مهما ادعينا أن أفراد المجتمع الواحد يؤلفون وحدة متكاملة بناء على اشتراكهم في ظروف تاريخية واحدة وتأثرهم ببيئة جغرافية واحدة وإتباعهم أنماطًا سلوكية متشابهة ثم تأثرهم بعوامل ثقافية دينية وحدت بين أفكارهم إلى درجة جديرة بالملاحظة والتقدير ، وأننا مهما ادعينا أن أساليب التنشئة الاجتماعية والتطبيع القومي كفيلة بأن تخلق بين أفراد المجتمع الواحد شخصية قومية، فإننا لا بد أن نصطدم بحقيقة كبرى، وهي أنه من خلال تلك الوحدة الظاهرة لا بد أن توجد أجزاء وأجزاء ، وأن كل جزء من هذه الأجزاء يتصف بصفات ذاتية تسمح له بالفردية والتمايز(المصري، 1985، ص132) وتضيف" **بوناماكي**" أن الاختلافات الثقافية والاجتماعية لها أثر في إدراك وتقييم الأحداث الضاغطة، فكل مجتمع له ظروفه ومعتقداته وثقافته المتميزة، التي تؤثر على الفرد في إدراكه للضغوط، وفي أسلوب مواجهته لها من خلال تفاعله بالبيئة الأسرية والاجتماعية وتأثره بالمعايير والقيم الاجتماعية والواقع الاجتماعي والسياسي المحيط به(بوناماكي، 1988، ص32).

وفيما يتعلق بظهور **الفروق في بعد التفاعل السلبي بين سكان المدينة والقرية ولصالح سكان المدينة،** أي أن التفاعل السلبي أعلى لدى شباب المدينة مقارنة بشباب القرية، فان ذلك مقارنة يعود إلى زيادة الإحباط والضغوط النفسية حيث الفرق بين طبيعة الحياة في كل من الريف والمدينة ، حيث تتميز طبيعة الحياة بالريف بالبساطة ؛ مما يساعد على سرعة التعايش مع المواقف والأحداث الحياتية الضاغطة، في حين يغلب على طبيعة الحياة بالحضر التعقيد ، والتي يبرزها الضيق النفسي وتجعلهم أكثر إدراكاً للمواقف الحياتية الضاغطة، وفيما يتعلق **في بعد التصرفات السلوكية بين سكان المدينة والقرية لا** وجود لفروق دالة في متوسطات درجات أفراد العينة عند مستوى الدلالة 0.05.

ملخص النتائج:

- أن الشباب الجزائري، يستخدمون أساليب متعددة في مواجهة أحداث الحياة الضاغطة، وهي بالترتيب حسب الاستخدام كما يلي: أساليب التفاعل الإيجابي في مواجهة أحداث الحياة اليومية الضاغطة يليها أساليب التصرفات السلوكية لمواجهة أحداث الحياة اليومية الضاغطة ، وأخيرا أساليب التفاعل السلبي في مواجهة أحداث الحياة اليومية الضاغطة.
- وجود علاقة ارتباط موجبة دالة عند مستوى 0.05 بين كلٍ من بعد أساليب التفاعل الايجابي والصحة النفسية بلغت "0.91، ووجود علاقة إرتباطية عكسية ضعيفة بين بعدي أساليب التفاعل السلبي والتصرفات السلوكية مع الصحة النفسية.
- توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة 0.05 في أساليب المواجهة لأحداث الحياة الضاغطة بين الذكور والإناث ولصالح الذكور.

- وجود فروق دالة في متوسطات درجات أفراد العينة تعزى لمتغير الحالة الاجتماعية عند مستوى الدلالة 0.05 في الأساليب التالية: التفاعل الايجابي وفي أساليب المواجهة بصفة عامة والفروق كانت لصالح الشباب المتزوج، وفي أسلوبي: التفاعل السلبي والتصرفات السلوكية والفروق كانت لصالح الشباب العازب.
- وجود فروق دالة في متوسطات درجات أفراد العينة في بعد التفاعل الايجابي عند مستوى 0.05 لصالح سكان المدينة تعزى لمتغير مكان السكن.

التوصيات والاقتراحات: بناءا على ما جاءت به الدراسة من نتائج يوصي الباحث بما يلي:

- الاهتمام بالصحة النفسية للشباب الجزائري ومساعدته على التوافق في ظل الواقع الفلسطيني الذي يموج بضغوط شتى اقتصادية، واجتماعية، وسياسية، وأمنية، وأكاديمية.
- تطوير دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية في الجزائر، بحيث يتمكن الشباب من تعلم الأساليب الفعالة في مواجهة أحداث الحياة الضاغطة.
- تقديم برامج إرشادية تعمل على تقوية جهاز المناعة عند الشباب، وتنمية القدرة على الاكتشاف والتفكير العلمي، ومساعدتهم على استغلال قدراتهم في مواجهة أحداث الحياة الضاغطة، وتنمية مهارات المواجهة وحل المشكلات لديهم.
- الاهتمام بتطوير المناهج وطرق التدريس في الجامعات والمدارس، بحيث تساعد في خلق شخصيات قوية تتسم بالثقة بالنفس، والمرونة اللازمة لمواجهة الحياة وتعقيداتها في عصر العولمة.
- تقديم التربية الدينية والخلقية الوقائية المستمدة من تعاليم الدين الإسلامي، والتي توفر الصحة النفسية للشباب.

قائمة المراجع:

1. إبراهيم، عبد الستار(1998)، الإكتئاب: اضطراب العصر الحديث فهمه أساليب علاجه، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون بالكويت.
2. أبو حطب، صالح(2003)، الضغوط النفسية وأساليب مواجهتها كما تدركها المرأة الفلسطينية في محافظة غزة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأقصى بغزة.
3. بوناماكي، رايا(1988)، الصحة النفسية للنساء الفلسطينيات تحت الاحتلال الإسرائيلي، ترجمة أحمد بكر، جمعية الدراسات العربية بالقدس.
4. جودة، آما(1998)، مستوى التوتر النفسي وعلاقته ببعض المتغيرات النفسي لدى معلمي المرحلة الثانوية في محافظات غزة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأقصى بغزة.
5. الربيعة، فهد بن عبد الله(1997)، الوحدة النفسية والمساندة الاجتماعية لدى عينة من طلاب وطالبات الجامعة: دراسة ميدانية، مجلة علم النفس، 7(1).
6. عبد المطلب أمين القريطي، وعبد العزيز الشخص(1992)، مقياس الصحة النفسية للشباب، الأنجلو المصرية بالقاهرة.
7. علي عبد السلام علي (1997)، المساندة الاجتماعية ومواجهة أحداث الحياة الضاغطة كما تدركها العاملات المتزوجات، مجلة الدراسات نفسية، ع2، رابطة الأخصائيين النفسيين، القاهرة.
8. علي عبد السلام علي(2008)، مقياس أساليب مواجهة أحداث الحياة اليومية الضاغطة، كراسة التعليمات، ط3 ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
9. علي، الشعكة(2009)، استراتيجيات مواجهة أحداث الحياة الضاغطة لدى طلبة جامعة القدس المفتوحة في محافظة نابلس، مجلة النجاح للأبحاث(العلوم الانسانية)، المجلد 23(2).
10. علي، علي(2000)، المساندة الاجتماعية وأحداث الحياة الضاغطة وعلاقتها بالتوافق مع الحياة الجامعية لدى طلاب الجامعة المقيمين مع أسرهم والمقيمين في المدن الجامعية، مجلة علم النفس، ع53.

11. علي، علي(2003)، دليل تطبيق مقياس أساليب مواجهة أحداث الحياة اليومية الضاغطة، مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة.
12. محمد، رجب(1995)، الفروق الجنسية والعمرية في أساليب التكيف مع المواقف الضاغطة، مجلة علم النفس، ع35، الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة .
13. المصري، فاطمة(1985)، أبحاث ومقالات في الدراسات الاجتماعية والنفسية، دار المريخ للنشر بالرياض.
14. منصور، طلعت والببلاوي، فيولا(1989)، قائمة الضغوط النفسية للمعلمين، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة.
15. Folkman, S., Lazaraus, R. (1980): Analysis of coping in a middle- aged community sample. Journal of Health and Social Behavior, Vol. (21), 219-239.
16. Mc Crae, R. (1984): Situational determinates of coping responses: Loss, threat, and challenge. Journal of Personality and social psychology, Vol. (46), No. (4), 919-928.
17. King, K. (1991): Life events, stress and coping strategies of secondary school students in Hong Kong- an exploratory study. http.//www.fed.cugd.edu.hk/ceric/Cuma/91lkkwong.

فعالية اختبار مكعبات khos – كوس– لذكاء الأطفال في تشخيص ذوي صعوبات التعلم لأكاديمية– دراسة ميدانية بمدارس ولايتي سطيف والجزائر العاصمة

The effectiveness of testing the Khos cubes for the intelligence to children in diagnosing of Academic learning difficulties study in the schools of states of setif and algirias

أ.عبد المالك قنيفي، جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر02- الجزائر
أ. د. لبندة حراوبية، جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر 02- الجزائر

ملخص: هدفت الدراسة الميدانية إلى الكشف عن فاعلية فعالية اختبار مكعبات khos –كوس– لذكاء الأطفال في تشخيص ذوي صعوبات التعلم الأكاديمية، وهذا نظرا لافتقار المختصين الممارسين في مجال التربية الخاصة لاختبارات الذكاء المشخصة لذوي صعوبات التعلم بإعتبار هذه الفئة تتميز بمستوى ذكاء متوسط أو فوق متوسط كمحك أساسي للتشخيص حيث اعتمدنا على المنهج الوصفي وكانت العينة قصدية أما الأسلوب الوصفي اعتمدنا على طريقة تحليل المحتوى بارلسون parelson، حيث تم جمع البيانات عن طريق المقابلة النصف موجهة أما الأدوات الإحصائية المستخدمة اعتمدنا على التكرارات والنسب المؤوية وقد توصلنا إلى أن أغلبيه أفراد العينة لا يملكون معارف سابقة وخبرات أما من تلقوا التكوين فقد أجمعوا على فعالية الاختبار في التشخيص.

الكلمات المفتاحية: اختبار مكعبات كوس لذكاء الأطفال، صعوبات التعلم الأكاديمية، تشخيص صعوبات التعلم.

Abstract: The aim of the field study was to investigate the effectiveness Kho_Kos test for children's intelligence in diagnosing people with academic learning difficulties

This is due to the lack of specialists in the fiels of special education for the tests of diagnosed intelligence for people with learning disabilities this category is characterized by average or above average to for the diagnoses where we relied on descriptive this method was bases on the analysis of the content of parlison

Where the data were collected by the interview half directed so all statistical tools used where based on the frequencies and percentages attributed

Keys words : Cos cubes for children intelligence, Academic learning difficulties, Diagnosis of learning disabilities**.**

مقدمة:

لقد تم اختيار اختبار مكعبات كوس بإعتباره اختبار ادائي محض ولا يقتصر على نوع ذكاء واحد كباقي الاختبارات المتداولة في الميدان، ولهذا كانت هذه الدراسة بالإجابة على بعض التساؤلات التالية:

ما مدى فعالية اختبار مكعبات khos –كوس– لذكاء الأطفال في تشخيص ذوي صعوبات التعلم الأكاديمية ؟

ما مدى استخدامات هذا الاختبار في التشخيص من طرف اخصائيو التربية الخاصة في الجزائر؟

هل الاخصائيين العاملين في ميدان التربية الخاصة متمكنين من تطبيق هذا الاختبار؟

أهمية الدراسة:

الأهمية النظرية: إضافة معرفة جديدة حول اختبار مكعبات كوس في ميدان التربية الخاصة.

الأهمية التطبيقية: فتح المجال امام الأخصائيين في التربية الخاصة لاستعمال اختبار مكعبات كوس في التشخيص.

أهداف الدراسة:

- التعرف على مدى فعالية اختبار مكعبات khos – كوس– لذكاء الأطفال في تشخيص ذوي صعوبات التعلم الأكاديمية من خلالا منظور الأخصائيين.
- معرفة مدى استخدامات هذا الاختبار في التشخيص من طرف اخصائيو التربية الخاصة في الجزائر.
- معرفة مدى تمكن أخصائي التربية الخاصة في الجزائر من تطبيق اختبار كوس للذكاء.

طبيعة اختبار مكعبات كوس cubes de khos:

اختبار المكعبات المقدم من طرف كوهس سنة 1920 جاء بحلول لصعوبات المطروحة من طرف الاختبارات غير الكافية لتقدير مستوى الذكاء هذا الاختبار وضع لقياس الذكاء و استعمل لتجنب تدخل عامل اللغة من أول مصدر.

السلسلة الأولى تحتوي على 35 رسم في التجارب الأولى لكوهس ثم لم يحتفظ إلاّ بـ 20 فقط وبعد ذلك وجد أن مدة التطبيق طويلة، فكوهس تخلى عن 03 رسومات أخرى، سنة 1923 أي كما هو معروض حاليا بـ 16 مكعب ملون و17 رسم نوعي، إذن لم تطرأ تغيرات كبيرة على مبادئ التطبيق، الاختلاف الرئيسي بين التجربة الأصلية أو القديمة والتجربة الحالية تكمن في الطريقة أو التنقيط.

كوهس قدر بأن النقطة النهائية للاختبار تحتوي على 3 عوامل لكل منهم أهمية في التشخيص: وهذه العوامل هي: النجاح، الوقت والدقة، كوهس يوازن تجريبيا كل عامل من هذه العوامل، الأوزان هي على التوالي:

1- بالنسبة للدقة 2- بالنسبة للوقت 3- بالنسبة للنجاح.

تقدير الدقة تكون انطلاقا من عدد حركات هي تحرك كل مكعب من مكانه الأصلي بالنسبة كذلك للوقت عدد الحركات لكل رسم تكون محدودة، كل رسم له قيمة بنقاط أقصى. صعوبة ونقص الدقة في التنقيط هذه الحركات يكون واضحا بالنسبة للمجربين.

منذ 1930 ابتكر هوت إشارات عيوب هذا التنقيط بالنسبة لاستعمال النظامي للمكعبات عند التجربة الأولى والممارسة على 23 طفل و 10 بنات أعمارهم بين 6 و 15 سنة أثبت أنه يمكن تنقيط دقة نفس العميل من طرف مجربين اثنين بحيث لا يوجد فرق بين النتيجتين "هوت" قرر إنقاص التنقيط بالنسبة لزمن معين ونجاح.

كل الاختبارات صحيحة وفقا لهذه الطريقة، تنقيط كل عميل حول إلى العمر العقلي انطلاقا من الجدول الأصلي لـ " كوهس "

الدقة والنجاعة واقتصاد الوقت التي تظهرها هذه الطريقة الجديدة جعلت المجربين يستغنون عن طريقة "كوهس" عندما كانت دراسة ''ج أرثور ''سنة 1933 أتت لتأكد نتائج هوت موضحة أنه لا فرق بين التنقيط في كلتا الطريقتين السابقتين ومنه تم التخلي نهائيا عن طريقة كوهس بعد دراسة مدى الصعوبات الموجودة بالنسبة لكل رسم. ومنه تم تغيير نظام التطبيق.

التغيرات المنهجية التي أتى بها هوت و طريقة ''ج أرثور '' أدت إلى التكوين النهائي للاختبار كما هو موجودا حاليا.

الإختبارات المولودة من إختبار كوهس: فيما بعد هناك مجموعة من الاختبارات أنشئت انطلاقا من اختبار المكعبات مع وجود تغيرات في العتاد و المنهجية بالنسبة لما كان عليه الاختبار.

مختلف هذه الطرق لـ "كوهس" و"جون أرثور" وجهت إليها انتقادات كثيرة منها: مدة التطبيق الطويلة وكثرة الألوان المستعملة، مما أدى بالعلماء إلى إحداث تغيرات كبيرة، ابتدءا من: إلغاء بعض الرسومات إلى التحول الجذري.

تجربة كولدستاين و شيرر سنة 1941 استعملا 11 نوع لـ كوهس أضيف إليها نوعا آخر ووضعت في سلسلة من أجل قياس التصرفات المعنوية و المادية:

اختبار المكعبات سمح لهما بمعرفة نوعين من القياسات المعنوية و المادية.

الرسومات 12 لم توضع في نظام كوهس بل أن كل رسم يمكن وضعه في 4 أربعة تشكيلات مختلفة وهم: النوع الأصلي لكوهس، النوع السلمي للمكعبات الحقيقية ومختلف هذه التشكيلات موجودة حسب نظام تنازلي بالنسبة لصعوبات التطبيق.

خلال الحرب تريست و ميسيل بروك استعملا الاختبار العسكري البريطاني سلسلة من الأوراق تحتوي كل واحدة على مجموعة من الأنواع من أجل تشكيل 24 مكعب في الدقيقة الواحدة.

تجربة ويكسلر سنة 1944 وضع اختبار المكعبات في سلم بال فو 7 رسومات جديدة باللون الأبيض و الأحمر فقط تشكل الاختبار بحيث زمن التطبيق قصير وصعوبة كبيرة أن المكعبات مختلفة الألوان.

سنة 1949 ويكسلر استعمل نفس الاختيار في سلم وسيك " ثم استعمل سنة 1955 في سلم وايس" بحيث أن المكعبات باللون الأبيض والأحمر.

تجربة ألكساندر" سنة 1946 اختبار 10 رسومات لـ كوس مع تغير الزمن المحدد وانتقاص زمن التطبيق الذي لا يتجاوز 26 دقيقة كأقصى حد.

تجربة BONNARDEL سنة 1948 طبق في زمن معين محدد قدره بـ 10 دقائق – 17 رسم لـ كوهس. والتنقيط النهائي هو عدد المكعبات الموضوعة الصحيحة خلال 10 دقائق.

خلال سنة 1953 لنفس العام قام بنفس الاختيار بحيث أن مكعبات بلون أبيض وأحمر لا تحتوي إلا على وجه واحد مستعمل والأوجه الأخرى بلون أسود.

تجربة REISSEN سنة 1953 استعمل اختبار المكعبات لعلاج وإعادة التأهيل المصدومين عقليا، المكعبات المستعملة تحتوي على لونين أبيض وأسود والرسومات معروضة على صفائح التي تسمح بتسجيل المكعبات و الميل اعتماد هذه التجربة تسمح للمرضى بالمعرفة الطبيعية للرسومات.

تجربة " YOSHIKAZU-OHWAKI يوشيكازو أو هواكي": اقترح استعمال KOHS بالنسبة للمكفوفين ألوان الورق والمكعبات استبدلت بـ4 أقمشة مختلفة الملمس التي تسمح لهم بالتمييز بين الأوجه.

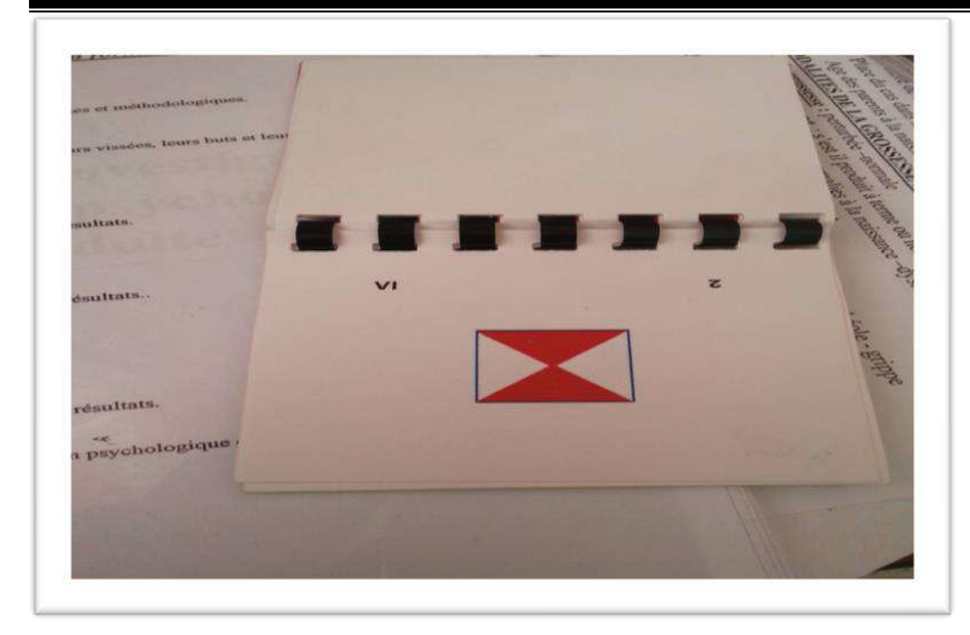
تجربة "INIZAN" إنزان" سنة 1963 استعمال اختبار مكعبات KOHS في تعلم القراءة هذا الاختبار يحتوي على 7 أوراق مشتقة من كراس goldstein-scheerer

خصائص إختبار مكعبات كوهس:

- اختبار مكعبات كوهس يعد من أجود وأهم الاختبارات والاكتشافات في مجال القدرات العقلية.
- الاختبار يتكون من 16 مكعب ملونة.



- معروفة كذلك كل مكعب من 25 ملم. مشكلة من:
- جهة أحمر.
- ومن جهة ابيض.
- ومن جهة ازرق.
- ومن جهة اصفر.
- ومن جهة اصفر ومن جهة احمر وأبيض.
- ومن جهة ازرق وأصفر.
- سلسلة الرسومات النوعية المحققة تبدأ من الأسهل إلى الأصعب تمكن KOHS من إجراء هذا التدرج باستعمال المتوافقات التالية :
- استعمال وجه بلون واحد.
- استعمال بعض الوجوه ثنائية الوجه.
- استعمال كل الأوجه ثنائية الوجه.
- عرض الرسم النوعي من أحد زواياه.
- مسح إطار الخط المحدد لإطار الرسم.
- زيادة عدد المكعبات المستعملة.
- زيادة عدم التناظر للرسم النوعي.



مثال: الرسم النوعي رقم (9)

صلاحية الاختبار:

- هناك ثلاثة معايير لدراسة صلاحية الاختبار:
- درجة الاختلاف بين المفحوصين على حسب نتائج الاختبار.
- ملائمة اختبار كوهس مع بقية اختبارات الذكاء الأخرى.
- الملائمة مع المعايير الخارجية.

التعليمات INSTRECTIONS:

- تطبيق الاختبار يكون فردي.
- يكون العميل جالسا أمام طاولة حيث لا تتعدى زاوية النظر 45° حينما يكون في الاختبار.
- يجلس الممتحن مقابل العميل.
- لا يجب على العميل مشاهدة الرسومات أثناء تقديم التعليمات الأولية وأثناء الاختبار لا يمكنه إلا رؤية رسم واحد في كل مرة.
- تقلب العلبة التي تحتوي مكعبات على الطاولة أمام اليد اليمنى للعميل.

تعليمات التطبيق:

- نقول للعميل ممسكا بمكعب أنت ترى هذا المكعب أحمر من جهة وأزرق من جهة والأصفر من والأبيض من جهة أخرى ومن هذه الجهة أصفر وأحمر ومن جهة الأخرى أحمر وأبيض.
- نطلب منه الملاحظة.
- تستبدل مكعب البرهان من بين الأخرى.

الاختبار الأول: " بأربع مكعبات أنجز المربع كله أحمر"

- مساعدة الطفل إذا لم يتمكن بإنجاز الاختبار.

الاختبار الثاني: " جيد الآن أنجز بدقة هكذا "

- أعرض ورق الاختبار للعميل وسمي الألوان.

- " هل تلاحظ ؟ هذا أحمر وهذا أزرق ".
- تبين الألوان على الرسم، مساعدة الطفل عند انخفاضه، تحاول أن يكون الرسم في وضعيته السليمة:
- "الورق I": الآن نقوم بفعل هذا، تلاحظ هذا الأحمر وهذا الأزرق.
- "الورق II": نفس الإجراءات بالنسبة للورق. I
- الورق III": وما بعده، لا نسمي الألوان وعدم مساعدة الطفل عند إخفاقه.
- توقيف الاختبار: عند 3 إخفاقات متتابعة في ورق ذو 16 مكعب أي ابتداءا من الرسم العاشر.

الدقة التقنية:

وضعية المكعبات : تفرق المكعبات أمام العميل.

- بعد كل تشكيل تفرق المكعبات من جديد مع عدم خلطها مع المكعبات الأخرى.
- نسجل جيدا ولا نعلم العميل بعدد المكعبات التي يمكن استعمالها.

تسجيل الوقت:

- بالنسبة للورق I شغل "المؤقت" بعد تسمية الألوان.
- بالنسبة للأوراق التالية: شغل المؤقت في لحظة إعطاء الورق للطفل.
- استعمل المؤقت يكون كذلك متقطعا.
- قراءة الوقت يكون دائما توقيت المؤقت.

نظام العرض:

- تحترم في الاستعمال نظام G-ARTHUR الذي يحتوي على 3 تحويلات نسبية نظام KOHS.
- نظام العرض إذا هو: I، II، III.......XVII. هو النظام الذي يسجل على أوراق التنقيط.

إجراءات أخرى:

- لتشكيلة صحيحة قبل الوقت المحدد، تصرف العميل يوحي بأنه انتهى، سجل مباشرة الوقت و انتقل إلى الورقII.
- التشكيلة غير الصحيحة و العميل يتوقف قبل انتهاء الوقت، نسأله هل " أنهيت" ؟
- إذا كان العميل لم يكمل عدد المكعبات يتحمل الجواب"، الواجب إنجاز الرسم بالدقة.
- إذا امتنع العميل قبل انتهاء الزمن الأقصى والمحدد نقول له "حاول أيضا" دون مساعدة.

تفسير النتائج:

- كل اختبار يسجل خلال الوقت.
- العمر العقلي يحسب حسب الأعمار العقلية للأطفال الآخرين من نفس الفئة العمرية.
- نتحصل على درجة الذكاء: ضرب العمر العقلي في العمر الزمني و نقسم النتيجة على 100 العميل يكون درجة مع الفئة العمرية المرجعة في ورقة التصحيح.

TEST DES CUBES DE KOHS

Feuille de Notation

NOM [illegible] Prénoms [illegible] Examiné le 2008/03/3

Niveau scolaire [illegible] Né le

Examinateur [illegible] Age 16 ans [illegible] mois

Numéro du Dessin	Temps passé	Limites de temps successives et attributions correspondantes de points						Points accordés
		Points	Temps-limite	Points	Temps-limite	Points	Temps maximum	
I	[illegible]	3	0 20	—	—	2	1 30	3
II	[illegible]	5	0 30	—	—	4	"	5
III	[illegible]	6	0 20	5	0 35	4	"	6
IV	[illegible]	7	0 30	6	1 00	5	2 00	7
V	[illegible]	7	0 35	6	1 05	5	"	7
VI	[illegible]	7	0 35	6	1 00	5	"	5
VIII	[illegible]	8	0 40	7	0 55	6	"	7
VII	[illegible]	7	0 40	6	1 10	5	"	8
IX	[illegible]	9	0 55	8	1 10	7	"	8
XI	[illegible]	8	1 45	7	2 30	6	3 30	7
X	[illegible]	9	1 55	8	2 10	7	3 00	8
XII	[illegible]	9	2 25	8	2 45	7	3 35	8
XIV	[illegible]	9	2 25	8	2 40	7	"	8
XIII	[illegible]	9	2 20	8	2 33	7	"	9
XV	[illegible]	9	2 40	8	3 00	7	4 00	9
XVI	[illegible]	10	2 40	9	3 05	8	"	10
XVII	[illegible]	11	2 40	10	2 55	9	"	11

Observations :   Note Totale 128

ورقة تصحيح الاختبار

صعوبات التعلم الأكاديمية: هذا وقد كان ل صامويل كيرك samuel kirk (1963)الفضل في صك هذا المصطلح وتحديده في أنه:

الحالة التي يظهر صاحبها مشكلة أو أكثر في الجوانب التالية: القدرة على استخدام اللغة أو فهمها والقدرة على الإصغاء أو التفكير أو الكلام أو القرأة أو الكتابة أو العمليات الحسابية(نايفة قطامي، 1999، ص202)، كما عرفها إسماعيل: "بأنها وجود فروق كبيرة بين أداء المتعلم المتوقع والأداء الفعلي الممكن نتيجة لاضطراب واحدة أو أكثر في العمليات النفسية الأساسية التي تتطلب فهم واستخدام اللغة المكتوبة والمنطوقة وتبدو هذه الاضطرابات في نقص القدرة على السمع والبصر مع سلامة الحواس والتفكير والإدراك والقراءة والكتابة وإجراء العمليات الحسابية، والتي من المحتمل أنها تعود إلى وجود خلل أو تأخر في الجهاز العصبي المركزي، ولا ترجع تلك الصعوبات إلى إعاقة عقلية أو اضطرابات نفسية شديدة أو حرمان بيئي أو ثقافي أو تعليمي أو اقتصادي أو اجتماعي"(إسماعيل صالح الفرا، 2005).

تشخيص صعوبات التعلم: الهدف من ذلك الحصول على المعلومات الضرورية التي تساعد أفضل لتحديد الصعوبة أو الصعوبات التي تعترض كل تلميذ، نوعها، مظاهرها، أسبابها مع ضرورة تدوينها في تقرير وافي ودال بالفعل على وجود الصعوبة أو الصعوبات تلك حيث يعتبر الذكاء أهم المحكات لتشخيص ذوي صعوبات التعلم(برو محمد، 2014، ص101-103).

المنهج الوصفي: هو طريقة من طرق التحليل والتفسير بشكل علمي منظم من أجل الوصول إلى أغراض محددة لوضعية اجتماعية أو مشكلة اجتماعية أو إنسانية، ويعطي " أمين الساعاتي" تعريفا شاملا للمنهج الوصفي فيقول: " يعتمد المنهج الوصفي على دراسة الظاهرة كما توجد في الواقع ويهتم بوصفها وصفا دقيقا ويعبّر عنها كيفيا أو كميا، فالتعبير الكيفي يصف لنا الظاهرة ويوضح خصائصها، أما التعبير الكمي فيعطيها وصفا رقميا يوضح مقدار هذه الظاهرة أو حجمها أو درجة ارتباطها مع الظواهر الأخرى(عبد الكريم بوحفص، 2011).

العينة: تكونت العينة من مجموعة من المختصين في التربية الخاصة، ما بين ولايتي سطيف والجزائر العاصمة، حيث تم اختيار المختصين ذوو الكفاءة المهنية والخبرة العالية، ولهذا كانت المجموعة من ولاية سطيف متكونة من 8 مختصين (6 ذكور، 2 إناث) موزعين علة مختلف المراكز الخاصة برعاية ذوي الاحتياجات الخاصة، أما المجموعة الخاصة بولاية قسنطينة فتكونت من 7 مختصين (4 ذكور، 3 إناث).

نوع العينة: عينة قصدية.

نوع المعاينة: معاينة قصدية منتظمة.

الأسلوب الوصفي المستخدم: تحليل المحتوى.

طريقة تحليل المحتوى: Parelson.

أداة جمع البيانات: المقابلة النصف الموجهة.

الأدوات الإحصائية المستخدمة: النسب المئوية، التكرارات.

وصف العينة:

أولاً: خصائص العينة من حيث الجنس:

الجنس	التكرارات	النسب المئوية
ذكر	10	%66.66
أنثى	5	%33.33

ثانيًا: خصائص العينة من حيث الخبرة

عدد سنوات العمل	التكرارات	النسبة المئوية
5-10 سنوات	9	%60
11-15 سنة	6	%40

ثالثًا: خصائص العينة من حيث السن

السن	التكرارات	النسب المئوية
25-30 سنة	11	%73.33
31-38 سنة	4	%26.66

أسئلة المقابلة النصف الموجهة:

المحور الأول: اختبار مكعبات kohs – كوس– لذكاء الأطفال في تشخيص ذوي صعوبات التعلم الأكاديمية

1- ما معرفتك حول اختبار كوس kohs لذكاء الأطفال ؟
2- هل تحصلت على تكوين في تطبيق اختبارات الذكاء ؟
3- إذا كنت تحصلت على تكوين في تطبيق اختبارات الذكاء، هل يعتبر اختبار الذكاء مكعبات kohs من بين الاختبارات المبرمجة في التكوين ؟
4- ما تقييمك لاختبار الذكاء مكعبات kohs من ناحية سهولة أو صعوبة تطبيقه ؟

المحور الثاني: فعالية اختبار مكعبات kohs –كوس– لذكاء الأطفال في تشخيص ذوي صعوبات التعلم الأكاديمية

5- ما مدى تمكنك من تطبيق اختبار مكعبات كوس kohs ؟
6- على أي أساس يتم تحديد نسبة الذكاء في اختبار مكعبات كوس kohs ؟
7- ما مدى فعالية تطبيق اختبار الذكاء مكعبات kohs –كوس– لذكاء الأطفال في تشخيص ذوي صعوبات التعلم الأكاديمية؟

عرض النتائج:

المحور الأول: اختبار مكعبات kohs – كوس– لذكاء الأطفال في تشخيص ذوي صعوبات التعلم الأكاديمي.

السؤال الأول: ما معرفتك حول اختبار كوس kohs لذكاء الأطفال ؟

المحاور الكبرى	المحاور الثانوية	الاستجابات	التكرارات	النسب المئوية
اختبار kohs	معرفة اختبار معكبات kohs	لا أعرفه	10	%66.66
		اختبار ذكاء	05	%33.33

السؤال الثاني: هل تحصلت على تكوين في تطبيق اختبارات الذكاء ؟

المحاور الكبرى	المحاور الثانوية	الاستجابات	التكرارات	النسب المئوية
اختبار kohs	التكوين في تطبيق اختبار معكبات kohs	لا	12	%80
		نعم	03	% 20

السؤال الثالث: إذا كنت تحصلت على تكوين في تطبيق اختبارات الذكاء، هل يعتبر اختبار الذكاء مكعبات kohs من بين الاختبارات المبرمجة في التكوين ؟

المحاور الكبرى	المحاور الثانوية	الاستجابات	التكرارات	النسب المئوية
إختبار kohs	برمجة اختبار معكبات kohs التكوين	لا	2	%66.66
		نعم	1	% 33.33

السؤال الرابع: ما تقييمك لاختبار الذكاء مكعبات kohs من ناحية سهولة أو صعوبة تطبيقه ؟

المحاور الكبرى	المحاور الثانوية	الاستجابات	التكرارات	النسب المئوية
اختبار kohs	تقييم استخدام اختبار KOHS من حيث سهولة أو صعوبة	صعب	2	%50
		بعض الشيء	1	% 25
		سهل	1	% 25

المحور الثاني: فعالية اختبار مكعبات kohs – كوس– لذكاء الأطفال في تشخيص ذوي صعوبات التعلم الأكاديمي

السؤال الخامس: ما مدى تمكنك من تطبيق اختبار مكعبات كوس kohs؟

المحاور الكبرى	المحاور الثانوية	الاستجابات	التكرارات	النسب المئوية
فعالية اختبار KOHS	تمكن المختصين من تطبيق إختبار مكعبات KOHS	جيد	1	%33.33
		متوسط	1	%33.33
		ضعيف	1	%33.33

السؤال السادس: على أي أساس يتم تحديد نسبة الذكاء في اختبار مكعبات كوس kohs ؟

المحاور الكبرى	المحاور الثانوية	الاستجابات	التكرارات	النسب المئوية
فعالية اختبار KHOS	الأساس المعتمد عليه في تحديد نسبة الذكاء في اختبار مكعبات KHOS	أدائي	3	%50
		التفكير	2	%33.33
		حل المشكلات	1	%16.66

السؤال السابع: ما مدى فعالية تطبيق اختبار الذكاء مكعبات kohs – كوس – لذكاء الأطفال في تشخيص ذوي صعوبات التعلم الأكاديمية؟

المحاور الكبرى	المحاور الثانوية	الاستجابات	التكرارات	النسب المئوية
فعالية اختبار KOHS	فعالية اختبار الذكاء مكعبات KOHS	جيد	3	%60
		متوسط	1	%20
		يمكن الإعتماد عليه	1	%20

مناقشة وتحليل النتائج:

من خلال الأسئلة المطروحة على أخصائيي التربية الخاصة سواء في ولاية سطيف أو ولاية الجزائر العاصمة في المحور الأول المتعلق باختبار مكعبات kohs لذكاء الأطفال، وجدنا أن معظم أفراد العينة لا يعرفون هذا الأخير، وهذا من خلال السؤال المتعلق بمدى إمكانية تعرفهم عليه ،بحيث قدر عدد المتعرفين عليه بنسبة مئوية قدرها 33.33%، أي 5 من أصل 15 من أفراد العينة، في حين بلغ عدد المتحصلين على تكوين في اختبارات الذكاء بنسبة مئوية قدرها 20%، أي 3 من أصل 15 من أفراد العينة، في المقابل وجدنا أن معظم المتحصلين على تكوين في اختبارات الذكاء صرحوا أن اختبار الذكاء كان مبرمجا بنسبة مئوية قدرها 33.33%، اي 1 من أصل 3، أما من حيث استخدامه صرح أفراد العينة أنه صعب بنسبة مئوية قدرها 50 %، وبعض الشيء كاستجابة بنسبة مئوية قدرها 25 %، وسهل بنسبة مئوية قدرها 25 %، في حين وجدنا ان عدد المتمكنين من تطبيقه في تشخيص صعوبات التعلم الأكاديمية جيد بنسبة مئوية قدرها 33.33%، ومتوسط ب: 33.33%، وضعيف ب:33.33%، أما الأساس المعتمد عليه في تحديد نسبة الذكاء حسب المختصين في التربية المختصة، يكون يا إما أدائي بنسبة مئوية قدرها 50%، ويعتمد على التفكير بنسبة مئوية قدرها 33.33%، وحل المشكلات ب:16.66%، وفي المقابل وقد وجدنا أن أغلبية أفراد العينة ذوو المعرفة باختبار مكعبات khos، يرون أنه جيد من حيث التشخيص بنسبة مئوية قدرها 60%.

الاستنتاج العام للدراسة: من خلال ما تم عرضه من نتائج تبين لنا أنه :

- أن معظم أفراد العينة لا يملكون معارف سابقة حول اختبار مكعبات khos.
- أن معظم أفراد العينة الذين يعرفون اختبار مكعبات khos لذكاء الأطفال غير متمكنين منه.
- يرى معظم الأفراد الذين تحصلوا على تكوين في اختبار مكعبات khos لذكاء الأطفال، أنه فعال في تشخيص ذوي صعوبات التعلم الأكاديمية.

قائمة المراجع:

1. عبد الكريم بوحفص(2011)، مناهج البحث في علم النفس وعلوم التربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

2. برو محمد(2014)، واقع صعوبات التعلم الأكاديمية، مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية، العدد 15، مسيلة.
3. نايفة قطامي(1999)، علم النفس المدرسي، ط2، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
4. إسماعيل صالح الفرا ،(2005م)،التشخيص المبكر لصعوبات التعلم لدى طفل الروضة من وجهة نظر التربية الخاصة- الواقع و المأمول -، كلية التربية، الأردن.
5. syllami. N (1980); dictionnaire encyclopede de psychologie; edit; bordas. Paris.
6. S.A.R.P.1998.édition du centre de psychologie appliquée ;(test des cubes des khos)

إشكالية المزاوجة بين المنهج الكيفي والمنهج الكمي في البحوث العلمية
The problematic combination between qualitative and quantitative approaches in scientific research

د. رضاوية جازية، جامعة الجزائر 2 أبو قاسم سعد الله – الجزائر

ملخص: هناك جدل واسع حول اختيار المنهج المناسب في البحوث العلمية، فهناك العديد من الباحثين يلجأون إلى استعمال البحوث الكمية سعيا نحو منطق القياس والتفسير نظرا لدقة هذا النوع من البحوث، في حين نجد من يميل نحو البحوث الكيفية سعيا وراء الفهم والتحليل نظرا لكون هذا النوع يتناول وصف مختلف جوانب البحث ويعطي نتائج أقرب لفهم الواقع، حيث يعتقد الباحثون الذين يلجأون إلى البحوث النوعية أن المعرفة الحقيقية تكمن في وصف الظاهرة بينما البحوث الكمية تتعلق بتفسير الظاهرة بتحويلها إلى أرقام مجردة، ومن خلال هذه الدراسة سنحاول طرح أهم أوجه الاختلاف بين البحوث الكمية والبحوث الكيفية وإبراز أهمية المزاوجة بين النوعين من البحوث لإثراء البحث العلمي من جهة وتعزيز صحة النتائج المتوصل إليها من جهة أخرى.

الكلمات المفتاحية: المنهج الكيفي، المنهج الكمي، البحث العلمي.

Abstract: There is a wide debate about the choice of the appropriate approach in scientific research. Many researchers resort to quantitative research in order to measure the logic of measurement and interpretation because of the accuracy of this type of research, while there is a tendency towards qualitative research in order to understand and analysis since this type addresses the description Different aspects of research gives results closer to understanding reality. Researchers who seek qualitative research believe that real knowledge lies in describing the phenomenon while quantitative research relates to the interpretation of the phenomenon by turning it into abstract numbers. In this study, we will attempt to present the most important differences between quantitative research and qualitative research and highlight the importance of combining the two types of research to enrich scientific research on the one hand and enhance the validity of the results obtained on the other.

Keywords: qualitative approache, quantitative approache, scientific research

مقدمـــــة:

لقد تطور البحث العلمي في العقدين الأخيرين وتعددت طرقه بدرجة كبيرة مما أتاح للباحثين في مجالات عديدة يختارون منها ما يناسب أهدافهم وتصوراتهم للظواهر المراد دراستها، غير أنه يمكن القول أن هناك توجهين أساسيين في مجالات البحث العلمي يشملان البحوث الكمية والبحوث النوعية تلك التي تهدف إلى قياس الظواهر وتلك التي تسمح لأخذ معطيات كيفية لا يمكن قياسها، وكان اهتمام معظم الباحثين في الماضي يرتكز على البحوث الكمية ذات الدلالة الإحصائية التي تتعامل مع معطيات رقمية أكثر دقة وأكثر صرامة من المناهج الكيفية حيث أدى هذا بالعلوم الإنسانية إلى الاعتقاد ولمدة طويلة أن مصداقيتها مرهون باستعمال أكثر للتكميم في بحوثها، ثم تطورت أساليب البحث العلمي وظهرت البحوث النوعية التي تحاول الابتعاد عن الأرقام والعمليات الإحصائية والتعمق أكثر لفهم الظواهر وتحليلها من الناحية الكيفية ذلك لأنه لا يمكن إخضاع الظواهر الإنسانية دائما للتكميم فهي ملزمة أيضا باستخدام المناهج الكيفية التي تستعين أكثر بالأحكام وبدقة ومرونة الملاحظة أو بفهم التجارب التي يعيشها الإنسان(موريس أنجرس، 2004، ص100-101)، فمع تطور عملية البحث العلمي لم يعد الأمر يقتصر على الاختيار بين البحوث الكمية والبحوث النوعية فحسب، فقد وجد الباحثون أن ذلك يعتبر أسلوبا قاصرا عن استخدام إمكانيات البحث العلمي بشكل كامل وعدم استغلال كل الوسائل العلمية لفهم وتفسير الظواهر، إذ أدى التطور الذي مر بالبحث العلمي في العقدين الأخيرين إلى النظر إلى عملية البحث نظرة أوسع وأشمل، ولم يعد الموقف هو الاختيار والمفاضلة بين المناهج، فعملية البحث اليوم غالبا ما تحاول تحقيق التوازن بين النوعين من خلال محاولة الباحث فهم وتفسير الظواهر في نفس الوقت، حتى أنه ظهر في العقد الأخير نوع من البحوث يجمع بين النوعين وأصبح يطلق عليه البحوث المختلطة والتي يمكن القول عنها أنها أقرب مما يمكن للوصول إلى فهم وتفسير الحقائق العلمية في نفس الوقت، فالبحث الكمي والنوعي يكمل كل واحد منهما الآخر(عامر قنديلجي، 2009، ص69). وعليه جاءت تساؤلاتنا على النحو التالي:

كيف يمكن للباحث في مجال البحوث العلمية ولغرض إثراء المعرفة في البحوث الاجتماعية والإنسانية بصفة خاصة تبني منهج للتفضيل في الفروق الموجودة بين البحوث النوعية والكمية مستخدما كل من المنهجين دون الميل والتحيز إلى منهج معين من أجل استغلال كل الإمكانيات المنهجية والأساليب التحليلية المتاحة من فهم وتحليل وقياس وتفسير بغرض إثراء المعرفة وإثبات وتعزيز صحة النتائج المتوصل إليها من أجل دراسات أكثر صحة ومصداقية؟

1. ماهية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية:

البحوث العلمية واحدة من أوجه النشاطات المعقدة المحيرة التي تظل في العادة غير واضحة المعالم تماما في أذهان من يمارسونها، ولعل هذا هو سبب اعتقاد الكثير من العلماء والباحثين أنه ليس بالإمكان إعطاء دراسات منهجية جامعة شاملة مانعة في كيفية إجراء البحوث العلمية الأكاديمية، وبالتالي فالأفضل هو أن يعتمد الباحث إلى حد بعيد عن ذاته وإمكاناته ويسعى دوما وراء اكتساب معارف جديدة، فالباحث العلمي بالرغم من أنه متعلما وبارعا إلا أنه ليس بالضرورة أن يكون حكيما ومتكاملا لأنه كغيره من الأفراد يتسم بكل نواحي الضعف والقوة والشكوك والتناقضات والوضوح تارة والغموض تارة أخرى(برو محمد، 2014، ص5).

مفهوم العلم والبحث العلمي:

أ.العلم والمعرفة العلمية: يرى **كونانت** أن العلم سلسلة من تصورات ذهنية ومشروعات تصورية مترابطة متواصلة، وهي نتاج لعمليتي الملاحظة والتجريب، كما يرى **كيرلنجر** أن العلم يعرف بوظيفته الأساسية المتمثلة في التواصل إلى التعميمات بصورة قوانين ونظريات تنبثق عنها

أهداف فرعية تتلخص في وصف الظواهر وتفسيرها وضبط المتغيرات للتوصل إلى علاقات محددة بينها ثم التنبؤ بالظواهر والأحداث لدرجة مقبولة من الدقة(حسان هشام، 2007، ص18).

ويعرف العلم بأنه نشاط يهدف إلى زيادة قدرة الإنسان على السيطرة على الطبيعة وفهم الظواهر وبالتالي القدرة على ضبطها والتحكم بها. فهو جهد إنساني عقلي منظم وفق منهج محدد في البحث يشتمل على خطوات وطرائق محددة ويؤدي إلى معرفة عن الكون والنفس والمجتمع يمكن توظيفها في تطوير أنماط الحياة وحل مشكلاتها.

أما المعرفة العلمية فهي حصيلة جهود متواصلة تحققت عبر العصور المختلفة وساهمت في بنائها كل الشعوب والحضارات. ومن خصائصها أنها ترتبط بخطوات معينة كالمشاهدة والتجربة واختبار الفرضيات وصياغة النظريات واستخدامها في التنبؤ والاستنتاج، ومن ثم توسيع حقل النظرية لتكرار هذه الخطوات من جديد وبصورة دورية مما يقتضي أن تصحح المعرفة الناتجة نفسها باستمرار، وهي ضرورة للإنسان لأن معرفة الحقائق هي التي تساعد الإنسان على فهم المسائل التي يواجهها يوميا(عمار بوحوش، محمد محمود الذنيبات، 2001، ص7-8).

وبناء على ما تقدم نفهم أن المعرفة العلمية أشمل من العلم فالعلم يقوم على دراسة وتحليل الظواهر وفهمها والتنبؤ والتحكم بها. ويعتبر الفهم العملية الأساسية التي يستند على الوصول إلى أدراك الظاهرة وما يرتبط بها من واقع لأنه بدون فهم للظواهر والوقائع لا يمكن أن نصدر حكما أو تعميما حولها، ولا يتحقق الفهم العلمي للظواهر إذا ما اقتصر على مجرد الوصف ذلك لأن التفسير مرحلة أساسية لاكتمال عناصر الفهم لتلك الظواهر، وعملية التفسير هذه لا تتم إلا بعد التعرف إلى عناصر تلك الظواهر والخصائص المميزة في نشأتها وتطورها وعلاقتها بغيرها من الظواهر وهو الأمر الذي يقع على عاتق الباحث في الجمع بين البحث الوصفي والكمي.

وبهذا نفهم أن العلم بشكل عام يهدف إلى وصف الظواهر وتفسيرها والتنبؤ بما سيحدث مستقبلا بالاستفادة من دراسات سابقة، مع ضبط الظواهر وتقويمها وضبط العوامل المؤثرة فيها ونواتجها من أجل تنمية النشاط العقلي من خلال أساليب التفكير المنظمة واكتشاف التطبيقات العلمية للمعرفة النظرية(حسان هشام، 2007، ص22-23).

ب.مفهوم البحث العلمي: إذا لجأنا إلى تحليل عبارة البحث العلمي فإننا نجدها تتكون من كلمتين هما (البحث) و(العلمي)، **فالبحث** يدل على التقصي والتتبع و السؤال والتفتيش ومحاولة الاكتشاف، بمعنى الطلب والتحري عن حقيقة من الحقائق أو أمر من الأمور، أما **العلمي** فهي كلمة منسوبة إلى العلم والذي يعني الإحاطة والإلمام بالحقائق وكل ما يتصل بها. وعليه فالبحث العلمي هو: "التقصي المنظم بإتباع أساليب ومناهج علمية محددة للحقائق العلمية بقصد التأكد من صحتها وتعديلها أو إضافة الجديد إليها(عمار بوحوش، محمد محمود الذنيبات، 2001، ص11-12).

وفي تعريف آخر نجد أن البحث العلمي عبارة عن عرض مفصل أو دراسة معمقة تمثل كشفا لحقيقة جديدة أو تأكيد على حقيقة قديمة مبحوثة وإضافة شيء جديد لها أو حل لمشكلة كان قد تعهد شخص بتقصيها وكشفها وحلها، ويمكن تحديد تعريف شامل للبحث العلمي على أنه عبارة عن الفحص والتقصي المنظمين للحقائق واللذين يرميان إلى إضافة معارف جديدة إلى ما هو متوفر منها فعلا بطرق تسمح بنشر وتعميم ونقل نتائجها إلى الغير وبالتدليل عليها والتأكد من صحتها وصلاحيتها للتعميم(سلاطنية بالقاسم، حسان الجيلاني، 2009، ص73-75).

ج. الغرض من البحث العلمي: نظرا للمشاكل الكثيرة في مختلف ميادين الحياة كان لزاما على الباحثين والدارسين الاهتمام بالبحوث العلمية والتأكيد على ضرورة إجرائها، لغرض تحسينها وتحسين مردودها بهدف الوصول إلى حقائق الأشياء والظواهر ومعرفة كنه الصلات التي تربط بينها، وعلاقات بعضها ببعض سواء كانت هذه الظواهر ظواهر اجتماعي أو اقتصادية أو

طبيعية... غير أن بعض الباحثين عندما يقدمون على إجراء دراسة معينة يعتقدون أن عملية تجميع الكثير من الآراء والأفكار حول الظاهرة موضوع البحث هي الطريقة الصواب لإجراء البحث العلمي، فعرض آراء وأفكار ودراسات الآخرين شيء مهم ومفيد لكنه لا يحل المشكلة فدراستها لابد أن تكون وفق أسلوب علمي وبالالتزام بخطوات علمية ممنهجة وبإتباع أساليب وتقنيات منهجية وبالاعتماد على أنواع معينة من البحوث نوعية كانت أو كمية وفق ما تتطلبه طبيعة البحث العلمي، ويمكن تحديد الغرض من إجراء البحوث العلمية في النقاط التالية(جابر عبد الحميد جابر، أحمد خيري كاظم، 1978، ص24-25):

-اكتشاف المبادئ التي تنظم الظواهر كي يمكن توحيدها وتنظيمها في كل موحد ومعقول حتى يتسنى على ضوئها تفسير تلك الظواهر وضبط نتائجها والتحكم فيها.

-مساعدة الباحث على تنمية قدراته على فهم مختلف أنواع البحوث والإلمام بالمفاهيم والأسس والأساليب التي يقوم عليها البحث العلمي.

-مساعدة الباحث على الاختيار السليم لمشكلة معينة لبحثه وتحديدها وصياغة فروضها واختيار وتحديد أنسب المناهج والأدوات لدراستها للوصول إلى نتائج يوثق في صحتها.

-تزويد الباحث بالمعرفة النظرية والمهارات العلمية التي تجعله قادرا على تصميم خطة لبحثه وتنفيذها وفق أسس ومراحل المنهج الذي اختاره لمعالجة موضوع بحثه سواء كان كميا أو وصفيا.

-تزويد الباحث بالخبرات والمعارف التي تمكنه من القراءة التحليلية الناقدة للبحوث، وتقييم نتائجها والحكم على ما إذا كانت الأدوار المستخدمة في هذه البحوث تدفع إلى الثقة بنتائجها.

-زيادة قدرة الباحث على اتخاذ القرارات الحكيمة إزاء ما يواجهه من صعوبات ومشكلات في بيئته الاجتماعية والتربوية والنفسية والاقتصادية.

-الوصول إلى تطوير وتجديد أدوات البحث العلمي ومناهجه من أجل الحصول على الحقيقة.

د. أهداف البحث العلمي: للبحث العلمي أهداف متنوعة قد تتجلى في الوصول إلى معارف وحقائق علمية جديدة بهدف التنبؤ بها والتحكم فيها والسيطرة عليها عن طريق استنتاج الحقائق والوقائع الجديدة ممكنة الحدوث في المستقبل من الحقائق العامة التي وصلنا إليها وعبرنا عنها بالقوانين العلمية، باعتبار أن عملية التنبؤ هي وظيفة أساسية للعلم والهدف النهائي لمنهجه، ويهدف البحث العلمي كذلك إلى التحكم من خلال إيجاد الظروف والشروط المحددة التي تتحقق فيها ظاهرة معينة للحصول على الظاهرة في الوقت الذي نريد والمكان الذي نختار، وذلك بإخضاع موضوعات البحث للمنهج العلمي والمشاهدات والتجارب وتطبيق الاستدلالات المنطقية عليها، وأخيرا يمكن إدراج التطبيق العملي وحل المشكلات الإنسانية والعلمية كأهداف البحث العلمي ذلك أن العلماء يحاولون دوما إيجاد الحلول الملائمة للمشاكل التي تعترض التقدم البشري والاقتصادي والعلمي(سلاطنية بالقاسم، حسان الجيلاني، 2009، ص91-96).

الأمر الذي يهمنا في هذه الدراسة بغض النظر عن أهداف البحث العلمي المتعددة هو أن البحث بصفة عامة يهدف إلى غايتين أساسيتين يمكن على إثرهما اختيار نوع البحوث الملائمة والتي يتعين على الباحث الاعتماد عليها من أجل كشف الحقائق وتعزيز صحة النتائج التي يتوصل إليها، إذ يهدف البحث العلمي أساسا إلى وصف الظاهرة المراد دراستها وبالتالي يتعين على الباحث انتهاج أسلوب البحث النوعي وباستخدام المنهج الكيفي بتقنياته ووسائله بهدف الوصف والتحليل، كما يهدف إلى تفسير الظاهرة المراد دراستها وبالتالي ينبغي على الباحث الاعتماد على البحوث الكمية باستخدام المنهج الكمي الإحصائي بهدف التفسير والقياس.

أولا الوصف: إن أحد أهداف العلم الأكثر دقة هو النجاح في وصف الوقائع، أو بعبارة أخرى هو إنتاج جرد أكثر صدق ما أمكن حول خصائص الموضوع أو الظاهرة المطروحة للدراسة،

فالباحث سيحاول التدقيق في مختلف عناصر الموضوع من خلال الوصف الذي يعتبر واحدا من أهداف العلم، والوصف هو تمثيل مفصل و صادق لظاهرة ما، وهو رصد وتسجيل ما نلاحظه من الوقائع والظواهر وما ندركه بينها من علاقات متبادلة، وتصنيف خصائصها وترتيبها والارتباط بينها، فهو كشف دلالات المعطيات الحسية بالاعتماد على الملاحظة والتجربة ودراسة ما بينها من علاقات متبادلة، ويعتمد الوصف على المدركات الحسية لكنه ينطوي مع ذلك على العمليات العقلية ويتفاوت تعقيدها كتصنيف الأشياء وتصنيف خصائصها وتحديد ما بينها من ارتباط وكشف دلالاتها، وترى المدرسة الوضعية أن وظيفة العلم الجوهرية هي الوصف فوصف الوقائع والعلاقات القائمة بين معطيات الحسية بأقل جهد عقلي وباقتصاد في التفكير هو هدف العلم عند **إرنست ماخ**. أما **بيرسون** فيرى أن هدف المنهج العلمي هو تصنيف الوقائع ودراسة علاقتها المتبادلة ووصف سياقاتها، أما **فايجل** فيرى أن هدف البحث العلمي هو الوصف الذي يرد إليه التنبؤ فالتنبؤات ما هي إلا أوصاف مستنتجة(سلاطنية بالقاسم، حسان الجيلاني، 2009، ص88).

وبالرغم من الأهمية الكبيرة التي يحتلها الوصف في البحوث النوعية إلا أنه ينبغي على الباحث أن يدرك أن الوصف والفهم ليس الغاية الوحيدة والنهائية التي يصبوا البحث العلمي إلى تحقيقها، وليس هو الهدف الأخير الذي يسعى إليه منهجه على اعتبار أن البحوث النوعية ليست كافية لدراسة الظواهر بصورة شاملة ودقيقة وأكثر تفصيلا، لأن الوصف يؤدي دورا أوليا فقط وينبغي أن يساعد في القيام بأدوار أخرى والاهتمام فقط بالجانب الكيفي لدراسة الظواهر بحيث تقوم بوظائف منهجية تالية يتحقق بفضلها المشروع العلمي، فالوصف وحده لا يكفي في بناء العلم وتأسيس المادة العلمية، فالعلم يبدأ إلا عندما نبدأ في تفسير الوقائع والظواهر المختلفة مهما كان نوعها، ونقوم بتعميمها من خلال عمليات عقلية استنتاجيه يقوم بها الباحث للتوصل إلى المعرفة.

ثانيا التفسير: إن العلم عند وصف و تصنيف المواضيع والظواهر الملاحظة. ففي الواقع من بين أهدافه الأخرى وربما أكثرها جوهرية هو الوصول إلى تفسير هذه الظواهر وتحليلها وفق منطق رياضي، لهذا يمثل التفسير القلب النابض للمسعى العلمي، ذلك لأن العلم يهدف إلى الكشف وعن طريق ملاحظة العلاقات القائمة بين الظواهر والعلاقة التي يبحث عنها أكثر هي بطبيعة الحال علاقة السببية، أي تلك العلاقة التي تجعل إحدى الظواهر سببا في حدوث ووجود ظاهرة أخرى أو عاملا رئيسيا في ظهورها(موريس أنجرس، 2004، ص57)، ويقصد بالتفسير كشف علاقات تصف الظاهرة ومحاولة الكشف عن أسباب وقوعها أو بالأصح الظروف والشروط التي لابد من توافرها أو توافر مثلها حتى تقع الحوادث، كما يفترض التفسير الإيمان بمبدأ العلية الذي يربط بين الأسباب والنتائج و ينطوي على اختيار يقوم به العالم لأكثر التفسيرات احتمالا من بين التفسيرات الممكنة، وعلى إدراك للتماثل في غير المتماثل للوحدة في المختلف وللتجانس في غير المتجانس، ويقوم الكشف عن البحث على الأسباب التي أدت إلى وقوع الحوادث على ما قد يدرك من تغير نسبي أو تلازم في التغير بين الظواهر، ويعتمد التفسير على العقل بدرجة أكبر من الوصف الذي يعتمد أساسا على المدركات الحسية باعتباره قفزة عقلية استنتاجيه تتجاوز المعطيات التجريبية بوضع تخمين عقلي أو فرض تفسيري نتأكد من صحته باختبار تجريبي(سلاطنية بالقاسم، حسان الجيلاني، 2009، ص89-90).

بين الوصف والتفسير: من خلال إسقاط ما سبق على واقع البحث العلمي الذي يقتضي الوصف تارة من خلال البحوث النوعية التي تستدعي إدراك عملية الفهم والتفسير تارة أخرى من خلال البحوث الكمية والتي تعنى بتحليل وتفسير الأسباب والنتائج يتبادر إلى الذهن التساؤل والذي يطرح نفسه علينا والمتمثل فيما إذا كان الوصف يناقض التفسير أم أنهما يتكاملان ويكملان

بعضهما البعض ولا يتناقضان ؟ وهل ينبغي على الباحث اختيار سبيل وحيد للوصول إلى المعرفة ؟

فإذا كان الوصف هو كشف الدلالات الظاهرة في المعطيات الحسية وفهمها فإن التفسير هو كشف الدلالات التي تتجاوز تلك المعطيات، وإذا كانت دلالات الوصف كيفيات حسية تخضع للملاحظة والتجريب المباشر، فإن دلالات التفسير مجردات عقلية ليس لها صلة مباشرة بالملاحظة والتجربة، وإذا كان الوصف يمد الباحث بخبرات ومعلومات عن الموجودات والأشياء والظواهر فإن التفسير يحول تلك الخبرات والمعلومات إلى فروض تخضع للاختبار التجريبي لنصل منها إلى تعميمات أو قوانين عامة وإلى حقائق تجعل الكون المحيط بنا مفهوما ومعقولا بالنسبة لنا.

ويجمع معظم علماء المناهج على أن التفسير هو أكثر وظائف العلم أهمية وأنه الهدف الرئيسي للبحث العلمي، لهذا نجد أغلب الباحثين يتوجهون إلى اختياره لتفسير الظواهر والتحقق من صحة الفرضيات والنتائج اعتقادا منهم أن الدقة والدلالة الإحصائية التي تنتهجها البحوث الكمية من خلال تفسير العلاقة السببية في حدوث الظواهر هي السبيل الوحيد للوصول إلى نتائج أكثر دقة وموضوعية، ومع أن التفسير خطوة هامة لقيام العلم إلا أنه ليس الهدف النهائي للمشروع العلمي الذي يسعى بالتعميم إلى قوانين كلية تسمح بالتنبؤ الذي هو ثمرة الوصف الدقيق والتفسير السليم(عبد المعطي محمد علي، محمد السرياقوسي، 1988، ص82).

2. بين المنهج العلمي والبحث العلمي:

قبل الحديث عن المنهج الوصفي والكمي في البحوث العلمية يتعين علينا الإشارة إلا أن هناك اختلاف بين مفهوم المنهج العلمي والبحث العلمي، فكثيرا ما يثار التساؤل حول التفرقة بين المنهج والبحث خاصة عند الباحث الحديث العهد بدراسة المناهج، فعادة لا يفرق الباحثون بين المنهج والبحث، فالمنهج حسب تعريف دائرة المعارف البريطانية يشير إلى مختلف العمليات التي ينهض عليها علم من العلوم يستعين بها في دراسة الظاهرة الواقعة في مجال اختصاصه، وعليه فالمنهج هو طريقة التفكير والبحث يعتمد عليها في مجال تحصيل المعرفة العلمية الصادقة والثابتة والشاملة حول ظاهرة معينة(سلاطنية بالقاسم، حسان الجيلاني، 2009، ص26).

ويعرفه الدكتور **مصطفى عمر التير** على أنه الطريق أو السبيل للبحث الذي يستند إلى عدد من المميزات الرئيسية أهما أن الظواهر ومكوناتها و العلاقات بينها موجودة بشكل مستقل عن الإفراد وعن آرائه واتجاهاته وتصوراته، وأن هذه الظواهر تخضع لقوانين ثابتة تتحكم فيها وتوجهها بانتظام، وأنه بالإمكان التوصل إلى معرفة خصائص هذه القواعد وأساليب تأدية وظائفها(مصطفى عمر التير، 1995، ص23).

وإذا كنا قد تعرفنا على أن المنهج يعني الطريق الذي يسلكه الباحث وهو المعرفة العلمية المنظمة للأفكار من أجل الكشف عن حقيقة ظاهرة معينة، فإن البحث هو التقصي والفحص الدقيق للوصول إلى حقائق وقواعد عامة والتحقق منها بهدف إضافة معارف جديدة بطريقة تسمح بنشر وتعميم ونقل نتائجها إلى الغير، وبالتدليل عليها والتأكد من صحتها وصلاحيتها من أجل التعميم(عمر التومي الشيباني، 1989، ص47-48).

وبهذا يمكن التمييز بين المنهج والبحث والخروج بحوصلة للتفريق بينهما فهما يختلفان في كون أن المنهج هو طريق أو مسلك يقوم به الباحث للوصول إلى معرفة المشكلة أما البحث فهو نشاط أوسع يمكن من خلاله توظيف واستعمال أكثر من منهج واحد وأكثر من أداة لجمع البيانات، كما يختلف المنهج عن البحث في كون أن هذا الأخير يصل إلى نتائج معينة عن المشكلة موضوع البحث يمكن تعميمها أما المنهج فهو الطريق الذي يسلكه الباحث للوصول إلى معالجة تلك المشكلة، كما أن هناك عدة مناهج يمكن للباحث استغلالها للوصول إلى المعرفة فقد

يمكنه توظيف كل من المنهج الوصفي والكمي لفهم و تفسير الظاهرة المراد دراستها في نفس الوقت من أجل تعزيز صحة النتائج والوصول إلى معطيات أكثر دقة، ونفس الشيء بالنسبة للبحوث بحيث قسم العلماء البحوث إلى أنواع كثيرة منها البحوث الكمية والكيفية والتفسيرية والوصفية والتي نحن بصدد الحديث عليها في هذه الدراسة، لهذا يمكن الخروج بنتيجة نهائية وحوصلة عامة من أجل التفريق بين المنهج العلمي والبحث العلمي، فالبحث أوسع وأشمل من المنهج ويستطيع الباحث الاستعانة بأكثر من منهج واحد وبالاعتماد على أدوات و تقنيات أكثر لجمع البيانات، في حين يظل المنهج هو الطريق والسبيل الذي ينبغي على الباحث أن يسلكه أثناء إجراءه لبحثه من أجل القيام بالبحث العلمي وبهدف الوصول إلى الحقائق العلمية.

وبهذا نفهم بأن المنهج العلمي يوظف على أساس طبيعة موضوع البحث ونوعية الدراسة وإشكالية البحث ونوع الربط الذي ينظمه الباحث لبناء وصياغة الفرضيات، فهي التي تفرض عليه النمط الملائم، فإذا كان الغرض من دراسته يستدعي تفسير الظاهرة يتعين عليه اللجوء إلى المنهج الكمي، وفي حالة ما إذا كانت طبيعة البحث تتطلب فهم الظاهرة فهذا يستدعي اللجوء إلى المنهج الكمي عن طريق البحث النوعي، ومن هنا نفهم بأن البحث العلمي يقوم على نوعية العلاقة التي ينظمها الباحث في فرضيات بحثه فقد تكون هذه العلاقة إما كمية أو كيفية وهذا الأمر هو الذي يحدد موع المنهج الواجب إتباعه في البحث والدراسة.

3. المنهج الوصفي في البحوث النوعية:

من المتفق عليه على مستوى الإجراءات العلمية للبحوث والدراسات التي يقوم بها الباحثون أن يميزوا في بحوث العلوم الإنسانية والاجتماعية بين تلك البحوث والدراسات التي تهدف إلى قياس الظواهر عن تلك التي تسمح بأخذ معطيات كيفية لا يمكن قياسها أو عدها، لهذا تتطلب المناهج الكمية والمناهج الكيفية مجموعة من الإجراءات العلمية المختلفة في إطار إعداد البحوث والدراسات. بحيث هناك نوعان من المناهج البحثية المتبعة وهي المنهج الكمي والمنهج النوعي، ويعتمد اختيار المنهجية على نوع السؤال البحثي ونوعية الدراسة، وسنحاول من خلال هذا الجزء من الدراسة التطرق لماهية المنهج الوصفي أو الكيفي في إطار إعداد البحوث النوعية.

المنهج الوصفي/ الكيفي/ النوعي (Qualitative Approach): إن المتتبع لتطور العلوم يستطيع أن يلمس الأهمية التي احتلها المنهج الوصفي في هذا التطور، ويرجع ذلك إلى ملاءمته لدراسة الظواهر الاجتماعية فالمنهج الوصفي يصف الظواهر وصفا موضوعيا من خلال البيانات التي يتحصل عليها باستخدام أدوات وتقنيات البحث العلمي. وقد ارتبطت نشأة هذا المنهج بالمسوح الاجتماعية وبالدراسات المبكرة في فرنسا وإنجلترا وكذا بالدراسات الأنثروبولوجية في الولايات المتحدة الأمريكية.

وينطلق المنهج الوصفي من أن لدى الباحثين أوصاف دقيقة للظاهرة المراد دراستها قبل أن يمكنهم تحقيق تقدم كبير في حل المشكلات، أي البحث عن أوصاف دقيقة للأنشطة والأشياء والعمليات والأشخاص، فهم يصورون الوضع الراهن في بعض الأحيان ويحددون العلاقات التي توجد بين الظاهرات أو التيارات التي تبدوا في عملية النمو ومن حين لآخر يحاولون وضع تنبؤات عن الأحداث المقبلة، ولهذا الباحث باستعماله المنهج الوصفي يوجه عدة أسئلة مثل ماذا؟ ما هو؟ كيف؟(نبيلة صالح السمرائي، 2014، ص61).

كما يقوم المنهج الوصفي على جمع الحقائق والمعلومات ومقارنتها وتحليلها وتفسيرها للوصول إلى تعميمات مقبولة، أو هو دراسة وتحليل وتفسير الظاهرة من خلال تحديد خصائصها وأبعادها وتوصيف العلاقات بينها بهدف الوصول إلى وصف علمي متكامل لها(محمد علي محمد، 1986، ص181).

فالمناهج الكيفية تهدف في الأساس إلى فهم الظاهرة موضوع الدراسة وعليه ينصب الاهتمام أكثر إلى حصر معنى الأقوال والمعطيات للتي تم جمعها أو السلوكات التي تمت ملاحظتها، كما لا يقتصر المنهج الوصفي على التعرف على معالم الظاهرة وتحديد أسباب وجودها وإنما يشمل تحليل البيانات وقياسها وتفسيرها والتوصل إلى وصف دقيق للظاهرة ونتائجها لهذا يمكن الاستعانة أيضا بالمنهج الذي يتطلب قياس الظاهرة وتفسيرها عن طريق المنهج الكمي.

ولقد اختلف علماء المنهجية حول تحديد مفهوم واحد ومحدد للمنهج الوصفي والذي يقود إلى عدم اتفاقهم حول الهدف الذي يجب أن يحققه المنهج، فهل الهدف منه هو مجرد وصف للظاهرة موضع الدراسة؟ أم أنه يتجاوز ذلك إلى دراسة وتحديد العلاقة بين هذه الظاهرة وغيرها من الظواهر الأخرى، أم محاولة اكتشاف الأسباب الكامنة وراء هذه الظاهرة، وكثيرا ما يتضمن الوصف تفسيرا للظاهرة أو اختبار لصحة الفروض.

ومن هنا عرف المنهج الوصفي بأنه استقصاء ينصب على ظاهرة من الظواهر كما هي قائمة في الحاضر بقصد تشخيصها وكشف جوانبها وتحديد العلاقات بين عناصرها أو بينها وبين الظواهر الأخرى(تركي رابح، 1984، ص129)، وهناك من عرفه بأنه وصف ما هو كائن وتفسيره وتحديد الظروف والعلاقات التي توجد بين الوقائع، وأيضا تحديد الممارسات السائدة والتعرف على المعتقدات والاتجاهات عند كل من الأفراد والجماعات وطرائقها في النمو والتطور(جابر عبد الحميد جابر، أحمد خيري كاظم، 1978، ص136).

أ.**أهمية المنهج الوصفي:** تكمن أهمية المنهج الوصفي في العلوم الاجتماعية عموما في تشخيص مختلف الظواهر التي تتناولها هذه العلوم وذلك بما يتحراه من دقة تصوير واقعها كما هو كائن، بحيث يزود الباحثين بمعلومات حقيقية عن الواقع الراهن للظواهر المختلفة والكشف عن الواقع كما هو، كما يزودهم بالحقائق الجديدة التي تساعدهم على فهم مختلف الظواهر ومن ثمة إمكانية التنبؤ بحدوثها على نحو أكثر دقة والتحقق من صدق ما يتواتر من أفكار ونظريات وآراء وأقوال حول الظاهرات المدروسة. كما أن نتائج البحوث الوصفية وخاصة المسحية منها تقدم خبرة كبيرة للمشتغلين في المجالات السابق ذكرها في رسم الخطط التي تؤدي إلى الزيادة في الكفاءة والرفع من المردودية كما وكيفا، وتعتبر البحوث الوصفية بأنواعها المختلفة بمثابة الدراسة الاستطلاعية للبحوث الأخرى خاصة منها الكمية والتجريبية(برو محمد، 2014، ص66-67).

ب. مميزات المنهج الوصفي: يمتاز المنهج الوصفي بعدة مميزات أهمها(برو، محمد، 2014، ص67-68):

-يصعب تطبيقه لأنه يتطلب توفر المعلومات والبيانات الموضوعية عن الظاهرة موضوع الدراسة، ومعلوم أن الظاهرة الاجتماعية مهما كان نوعها ظاهرة متعددة الجوانب والخصائص، وبالتالي تشخيصها والكشف عن حدودها وأبعادها و العوامل المتحكمة فيها ليس بالأمر اليسير.

-إنه مكمل للمنهج الاستردادي الذي يبدأ بدراسة الظاهرة في تطورها بدءا من حدوثها إلى الوقت الحاضر، وبعدها يأتي دور المنهج الوصفي فيصف الظاهرة كما هي في واقعها.

-إنه لا يقف عند حدود وصف الظاهرة كما هي فقط، بل يذهب إلى أبعد من ذلك فيحللها ويفسرها ويقارنها ويختبرها ويقومها أملا في التوصل إلى إضافة رصيد معرفي جديد حولها.

-إنه لا يصف الظاهرة في أبعادها المختلفة، بل يصف بطريقة انتقائية فالباحث يختار من الظاهرة ما يخدم غرضه من الدراسة.

ج. خطوات المنهج الوصفي: للمنهج الوصفي خطوات رئيسية هي(برو محمد، 2014، ص68-69):

- اختيار الظاهرة المراد دراستها والقيام بدراسة استطلاعية حولها من أجل تحديد الإشكالية وصياغة فرضيات علمية ودقيقة تعين صاحبها على التخطيط لدراستها دراسة عميقة متكاملة.

- تجميع البيانات والحقائق عن الظاهرة المطروحة للدراسة اعتمادا على الملاحظة المباشرة والمقابلة الشخصية، وذلك من أجل فهم المشكلة وتكوين وجهة نظر معينة نحوها.
- وضع الفروض التي تفسر المشكلة ونشأتها وتطورها استنادا على خبرته بالظاهرة وإلمامه بالعوامل التي تؤثر فيها، والمعلوم أن الفرض في المنهج الوصفي هو عبارة عن تخمين يتناول تحديد علاقة بين متغيرين أو أكثر وهذا بعد أن يتوافر لدى الباحث مجموعة من الحقائق والنتائج الكافية والمعروفة، من أجل الكشف عن الجوانب الغامضة في الظاهرة.
- التحقق من البيانات والمعلومات المجمعة حول الظاهرة بالوصف الدقيق والتحليل المقارن المعمق لها اعتمادا على الفروض المصاغة بغية استخلاص تعميمات تؤدي إلى تقدم المعرفة.
-استخلاص النتائج وكتابتها بأسلوب واضح ومنظم مدعم بالآراء والحجج والبراهين القوية.

ماهية البحوث النوعية: البحث النوعي أو الوصفي هو ذلك البحث الذي يتناول الباحث فيه ظاهرة أو حدثا أو شيئا معينا بالدراسة والتحليل والتفسير مستخدما المنهجي الوصفي، فيقوم بجمع الحقائق والبيانات والمعلومات و الملاحظات وتبويبها ووصفها وتفسيرها وتقرير حالتها كما توجد عليه في الواقع في ضوء قم أو معايير معينة للوصول إلى الاستنتاجات ذات الدلالة والمغزى بالنسبة للمشكلة المطروحة للبحث(برو محمد، 2014، ص37).

كما عرف البحث النوعي بأنه البحث الذي يقوم باستكشاف المواقف والسلوك والخبرات وذلك باستخدام عدة طرق، كالمقابلات والمجموعات، ويهدف إلى دراسة عمق الظاهرة حيث يعود بالأشخاص إلى الماضي ولا يهتم بالنتائج بل بعمق الظاهرة.

وللبحث النوعي مجموعة من الخصائص فمن خلالها يقوم الباحث بوصف الظاهرة وصفا دقيقة، ويهتم الباحث عندما يستخدم المنهج الكمي بالنتائج التي يحصل عليها، بغض النظر عن الأسباب التي أدت إلى حدوث هذه الظاهرة، أو الأسباب التي أدت إلى الوصول إلى هذه النتائج، حيث ينظر المنهج النوعي إلى الظاهرة بأنها أمر حدث وانتهى، والمهم في الموضوع البحث عن نتائج هذا الحدث ليس أسباب حدوثه.

ويتميز المنهج النوعي بالقدرة على الدخول إلى أعماق الظاهرة ودراستها، وتحليلها ومعرفة تفاصيلها دون أن يقوم بجمع بياناتها من الناس، كما يتميز المنهج النوعي بقدرة الباحث على دراسة الظاهرة في مكان حدوثها أي في الطبيعة، ودون الحاجة لدراستها في المختبرات، وللمنهج النوعي مجموعة من الاتجاهات ومنها الظاهرية، الإثنوغرافية، البحث الميداني، بالإضافة إلى النظرية التجذيرية.

ومن مميزات المنهج النوعي المرونة الكبيرة التي يتمتع بها، وإمكانية إكمال الدراسة، وإجراء تعديلات وتطويرات عليها في المستقبل، كما أنه يقدم للباحث معلومات مهمة وذلك نظرا للحرية الكبيرة التي يعطيها لعينة الدراسة وذلك لتعبر عن رأيها.

أ. **الأسس المنهجية للبحوث النوعية:**

التجريد: هو عملية عزل وانتقاء مظاهر معينة من كل عياني، كجزء من عملية تقويمية أو توصيلية إلى الآخرين، ولا تعارض بين التجريد وبين كون المواقف الاجتماعية أكثر تعقيدا من المواقف الفيزيائية من حيث البساطة والتعقيد مثل الظواهر الاجتماعية التي تحتاج إلى منهج علمي دقيق وأدوات قياس مناسبة، كما لا تعارض بين التجريد وكون كل واقعة اجتماعية منفردة، لأن تفرد الحادثة الاجتماعية هو تميز في الكم والكيف، وحين تجرد فإن الفروق الكيفية لا تعارض بين التجريد وبين كل الحادثة الاجتماعية متفردة بدعوى أنها ذات خصائص منفصلة عن بعضها، فالحقيقة أن لا فصل بين خصائص الحادثة الاجتماعية والتجريد في كل الأحوال عمل علمي أساسي، ولا تعارض بين التجريد وبين اقتراب التجريد من ظاهر الأشياء وليس من باطنها.

التعميم: إذا صنفت الوقائع على أساس عامل مميز أمكن استخلاص حكم أو أحكام تصدق على فئة معينة منها، وقد يكون التعميم شاملا، فيسبق بكلمة كل أو جميع أو لا أحد، وقد يكون جزئيا فيسبق بكلمة بعض، وبالتعميم نصل إلى بما استقرأناه إلى ما لم نستقرئه(حسان هشام، 2007، ص74-75).

ب. الانتقادات الموجهة للبحوث النوعية: على الرغم من المزايا التي يتميز بها الأسلوب الوصفي في البحث النوعي فقد وجهت إليه العديد من الانتقادات، فالباحث الذي يستخدم المنهج الوصفي قد يعتمد على معلومات خاطئة من مصادر مختلفة، كما قد يتحيز خلال جمعه للبيانات إلى مصادر معينة تزوده بمعلومات تخدم وجهة نظره ويرغب بها، كما أن البيانات والمعلومات في البحوث الوصفية تجمع من الأفراد الذين يمثلون أفراد عينة الدراسة موضوع البحث، وهذا يعني أن عملية جمع المعلومات تتأثر بتعدد الأشخاص واختلاف آرائهم حول موضوع البحث، ويتم إثبات الفروض في البحوث النوعية عن طريق الملاحظة، مما يقلل من قدرة الباحث على اتخاذ القرارات الملائمة للبحث، كما إن قدرة الدراسات الوصفية على التنبؤ تبقى محدودة وذلك لصعوبة الظاهرة الاجتماعية وسرعة تغيرها.

4. المنهج الكمي و البحوث الكمية:

يعد البحث الكمي أحد أنواع منهجية البحث العلمي ويعرف بأنه الإشارة إلى الظواهر الاجتماعية من خلال إتباع الأساليب الحسابية والإحصائية، ومن خلال هذا البحث يتم تطوير النماذج الرياضية المتعلقة بالظواهر، ويعد القياس هو المحور الأساسي في البحوث الكمية فهو يقوم بعملة ربط بين الملاحظة التجريبية التعبير الرياضي للعلاقات الكمية، ويتم استخدام البحوث الكمية في مجالات متعددة، حيث شمل استخدامه عددا كبيرا من العلوم كعلم النفس، الاقتصاد، الاجتماع، التسويق وغيرها من مجالات العلوم المختلفة.

المنهج الكمي (Qualitative Approach): يمكن تعريف المنهج الكمي بأنه المنهج الذي يسعى إلى التنبؤ والقياس واختبار صحة الفروض وتطبيق النظرية على الواقع(رجاء محمد أبو علام، 2004، ص260)، والمناهج الكمية تهدف إلى قياس الظاهرة موضوع الدراسة باستعمال الحساب والإحصاء، فأغلبية البحوث في العلوم الإنسانية والاجتماعية تستعمل القياس وكذلك الأمر حينما يتم استعمال المؤشرات والنسب والمتوسطات الحسابية أو الأدوات التي يوفرها الإحصاء بصفة عامة، فإذا كانت الفرضية التي نظمها الباحث في بحثه تعتمد على تفسير العلاقة بين المتغير المستقل والمتغير التابع فهذا يفرض عليه إتباع المنهج الكمي الذي يهدف إلى قياس وتفسير تلك العلاقة عن طريق مقارنة أجزاء الظاهرة، ويكون ذلك باستخدام تقنيات تحليل المعطيات الإحصائية عن طريق تقنية كمية وتكون عادة الاستمارة والتي توزع على أفراد العينة للتجريب والمقارنة من أجل تفسير الظاهرة محل الدراسة.

فمن خلال العلاقة بين المتغيرات فإن الباحث يتمكن من تحديد الأسباب، ومن ثم يستخرج النتائج ويتنبأ بالمستقبل، وتختبر البحوث الكمية المتغيرات التجريبية، بالإضافة إلى ذلك فإنها تحد من ظهور المتغيرات الاعتراضية، ويعتمد الباحثون في المنهج الكمي على القياس من أجل اختبار النظريات، ومن ثم يبحثون عن التعريفات اللازمة لها من خلال افتراض العلاقة بين هذه المتغيرات، ولكي يتأكد الباحث من صحة المقاييس التي يستخدمها فعليه أن يقوم باستخدام مقاييس الصدق والثبات، ويجب على الباحث عند استخدامه للمنهج الكمي أن يقوم بتعريف المفاهيم التي سوف يستخدمها في بحثه العلمي، وذلك من أجل أن يقوم باختيار الفرضيات التي تحدد من بداية البحث، ومن ثم يبدأ بمرحلة جمع البيانات وترتيبها والقيام بتحليل البيانات التي يجمعها تحليلا إحصائيا، وذلك لكي يصل إلى النتائج المرجوة.

ويعد المنهج الكمي هو المنهج المفضل والذي يجب على الباحث أن يقوم باستخدامها في حال توفر معلومات عديدة عن الموضوع الذي يقوم الباحث بدراسته، لكن ما يعيب المنهج الكمي التحيز والبعد عن الحياد، حيث يعد المنهج الكمي من المناهج التي يتحيز الباحث خلالها إلى الظاهرة التي يقوم بدراستها، بالإضافة إلى ذلك يوجد قد يتعرض الباحث لأخطاء في القياس والمعاينة، لذلك يجب على الباحث أن يعمل على التزام الحياد أثناء استخدامه للمنهج الكمي، وذلك لكي لا يخالف قواعد وأخلاقيات البحث العلمي، وحيث من أهم أخلاقيات البحث العلمي الموضوعية والحياد وعدم التحيز لأي طرف.

ماهية البحوث الكمية: يمكن تعريف البحث الكمي بأنه نوع من البحوث العلمية التي تفترض وجود حقائق اجتماعية موضوعية منفردة ومعزولة عن مشاعر ومعتقدات الأفراد، تعتمد على الأساليب الإحصائية في الغالب في جمعها للبيانات وتحليلها(عامر قنديلجي، 2008، ص45).

والبحث الكمي هو البحث الذي يعنى بجمع البيانات من خلال استعمال أدوات قياس كمية يتوفر فيها الصدق والثبات تجرى على عينة من الأفراد تمثل المجتمع الأصلي، ومن ثمة معالجة البيانات الكمية بأساليب إحصائية تقود في النهاية إلى نتائج يمكن تعميمه على المجتمع الأصلي، كما يقوم بالبحث العملي من خلال القيام بعدد من الإحصاءات، فيلجأ إلى الاستبيانات والإحصاءات للحصول على النتيجة المطلوبة، ويهتم هذا المذهب بجمع النتائج والبيانات.

ويهدف البحث الكمي إلى اختبار النظريات ويعمل الباحثون هنا بطريقة قياسية، ويتم ذلك من خلال تحديد النظرية الموجودة فعلاً في الأدبيات السابقة، ويحصلون على المفاهيم والتعريفات اللازمة ويتم افتراض العلاقات بين المتغيرات ثم جمع البيانات وتحليلها إحصائيا، وعلى ضوء النتائج المتحصل عليها يتم قبول أو رفض الفرضيات، ومن ثم قبول أو رفض النظرية أو تعديلها.

وفي ظل البحوث الكمية يتم تصميم الدراسة (وضع الفرضيات ووصف المتغيرات وأسلوب قياسها ...الخ) عند إعداد مشروع الدراسة وقبل البدء في جمع البيانات بعكس الحال في البحوث الكيفية، يلاحظ أيضاً أن المفاهيم التي يتم استخدامها في البحوث الكمية يتم تعريفها إجرائياً حتى يمكن اختبار الفرضيات التي تم تحديدها من البداية، ويجب أن يتأكد الباحث من أن المقاييس المستخدمة (مثل قائمة الاستقصاء) هي مقاييس صادقة وثابتة من خلال إجراء اختبارات الصدق والثبات المعروفة، وبعد القيام بالإجراءات السابقة يتم جمع البيانات وتبويبها بشكل كمي أو رقمي ثم يجرى عليها التحليل الإحصائي للوصول إلى نتائج البحث.

خصائص البحث الكمي: تنطلق البحوث الكمية من صياغة الفرضيات التي تعتبر كإجابات مؤقتة من خلال بناء علاقات بين المتغيرات المستقلة والتابعة، و استخدام البيانات المتوفرة لإيجاد العلاقات الارتباطية والسببية المفسرة للظاهرة، كما يعتمد التحليل الكمي إلى إنشاء المتغيرات وذلك بعد تحديد المفاهيم انطلاقا من الدراسات والنظريات السابقة وتحديد مفاهيمها إجرائيا، بهدف النزول من المجرد إلى الملموس مرورا بالمتغيرات إلى الأبعاد إلى المؤشرات الموجودة في الميدان بهدف قياس تلك المفاهيم. أي ترجمة تلك التصورات والمفاهيم المجردة إلى مؤشرات ملموسة في الميدان، وهذا ما نطلق عليه قياس المفاهيم حسب منهجية **بول لازارسفيلد** الذي يرى بأن البحث الكمي يقتضي قياس المفاهيم من خلال الانتقال من المجرد إلى الملموس من الإشكالية بمفاهيمها المجردة إلى الفرضية بمتغيراتها المستقلة والتابعة والعلاقة السببية التي تربطها ببعضها إلى الأبعاد ثم المؤشرات الموجودة في الميدان والتي يتم جمعها من خلال تقنية كمية عادة ما تكون الاستمارة ثم تأسيس الدلائل والتحقق من الفرضيات في الأخير إما بإثبات صحتها أو نفيها ومن ثمة إمكانية تعميم النتائج المتوصل إليها في الأخير، بهذا المنظور يصف **لازارسفيلد** المراحل الأربعة للإنشاء المتغيرات في الفرضيات وهي: تجسيد التصور للمفهوم-

تخصيص التصور بتحليل مركبات المفهوم عبر الأبعاد- اختبار المؤشرات- تكوين الأدلة(ريمون بودون، 1980، ص37).

5. **أوجه الاختلاف بين البحوث النوعية والبحوث الكمية:** يعرض الجدول أدناه مقارنة بين البحوث النوعية والبحوث الكمية:

البحوث الكمية	البحوث الكيفية
تركز على الكم والأرقام باستخدام أساليب ومقاييس إحصائية	تركز على الكيف والخطابات بالاعتماد على أسلوب الملاحظة والمقابلة
العينة تكون كبيرة وممثلة للمجتمع عن طريق اختيار العينة العشوائية	العينة صغيرة وغير تمثيلية. بمعني عينة قصدية وليس عشوائية
يمكن تعميم النتائج	لا يمكن تعميم النتائج
البحوث الكمية بحوث استدلالية أو استنباطية deductive تنطلق من نظرية إلى فرضيات ثم تصميم أدوات الدراسة وجمع البيانات ثم تحليلها وربطها بالنظريات والدراسات السابقة التي تم الانطلاق منها للتأكد من صحة الفرضيات	البحوث الكيفية بحوث استقرائية inductive تهدف إلي استقراء الظاهرة تنطلق من الملاحظة وجمع البيانات ثم ربط النتائج بالإطار النظري. فهي عملية تبدأ بعكس البحوث الكمية
الباحث يكون موضوعي لا يستطيع المشاركة مع المبحوثين، الباحث الكمي بمجرد أنه صمم الاستبيان وتم توزيعه علي العينة فلن يستطيع تغيير أي سؤال أو تعديله	الباحث يكون مشاركا في الدراسة من خلالا الملاحظة والمقابلة والتعايش مع المبحوثين الأمر الذي قد يؤثر علي نوع الأسئلة وتوجيه نوع الدراسة واختيار أدواتها
البحوث الكمية متأثر بالفلسفة الوضعية positivism التي تؤمن بالأشياء المحسوسة والمشاهدة..لذا تجدها تهتم بالأرقام والتحليل الإحصائي و التعميم، والاستبيان أو الاستمارة هو الأداة الرئيسية في البحوث الكمية	البحوث الكيفية متأثرة بالبنائية الاجتماعية التي تؤمن بوجود عدة طرق لدراسة الظاهرة وفهمها، ومن الممكن فهم الظاهر من عدة زوايا. لذا تجد في البحوث الكيفية أكثر من أداة يمكن استخدامها لدراسة الظاهرة نفسها
عادة ما ستخدم في العلوم الاجتماعية البرنامج الإحصائي SPSS فهو يساعدنا في تحليل وتنظيم البيانات الخام وبناء الجداول الإحصائية والجداول والمعاملات	في البحوث الكيفية كان التحليل يتم يدويا الآن ظهرت برامج تساعد في تنظيم البيانات فقط وليس تحليلها منها برنامج atlas-ti N.vivo
لذا يفضل الكثير المزج بين الاتجاهين الاستدلالي (الكمي) والاستقرائي (الكيفي) للاستفادة من مزايا كل طريقة والتقليل من العيوب الخاصة بكل اتجاه.	

6. **الاختيار والمفاضلة بين المدخل النوعي والكمي في البحوث العلمية:**

إن الاختيار بين المدخلين البحوث النوعية والبحوث الكمية في الدراسات يجب أن يتم في ضوء مدى مناسبة كل مدخل للمشكلة محل البحث، وفي ضوء المعلومات والأدبيات المتوفرة عن موضوع البحث وعلى الباحث إلا يلتفت إلى الانتقادات التي قد توجه إليه من قبل الآخرين بخصوص المدخل الذي اختاره للبحث ما دام هذا المدخل (كميا أو نوعيا) مناسبا لطبيعة المشكلة التي يقوم بدراستها، ومعنى ذلك أن الانتقادات يجب أن تبنى على أساس المبررات التي يسوقها الباحث، فإذا كانت هذه المبررات منطقية وكافية فلا محل للانتقاد.

ويمكن القول أن هناك عدة اعتبارات يمكن الاسترشاد بها عند الاختيار بين المدخلين النوعي والكمي في البحث وهي (عادل محمد ريان، 2003، ص7-10):

طبيعة الظاهرة محل الدراسة: إن نوعية المتغيرات وطبيعة التساؤلات التي يطرحها الباحث تساعد في معرفة المدخل الذي يجب إتباعه (كمي/كيفي)، وعلى الرغم من ذلك فإن هذا لا يمنع من استخدام المدخل الكيفي في دراسة بعض المتغيرات التي يمكن دراستها في ظل المدخل الكمي. ويمكن القول أن الباحث قد ينطلق من البحث الكيفي ليقوم بدراسة أخرى مستخدما المدخل الكمي في بعض الدراسات وذلك من خلال دراسة تجريبية يصممها لهذا الغرض، وفضلا عن طبيعة المتغيرات والظاهرة المراد بحثها، فإن الباحث يتجه نحو المدخل الكيفي أو الكمي انطلاقا من المعرفة المتوافرة له عن الظاهرة أو المشكلة محل البحث، هذا إضافة إلى قيود التكلفة بمعنى أن البحوث الكيفية مكلفة بعض الشيء إذا ما قورنت بنظيرتها الكمية، كما أنه من الصعب أن نجد مقابلين ومساعدي بحث مدربين على إجراء المقابلات غير المهيكلة التي قد يتطلبها إجراء البحث الكيفي وتحليل البيانات الناتجة عنها.

درجة نضج المفهوم: يقصد بدرجة نضج المفهوم الكم المتاح أو المتوفر من المعرفة عن هذا المفهوم أو الدرجة التي تم بها بحثه أو دراسة هذا المفهوم من قبل الباحثين، ولتوضيح ذلك نقول: أنه إذا كان البحث الدؤوب في المكتبة قد قاد إلى حقيقة مفادها أن هناك جهودا أو بحوثا قليلة متاحة عن موضوع معين فمعنى هذا أنه لم يُدرس أو يُطور بالشكل الكافي الذي يسمح معه باستخدام المدخل الكمي في دراسته، وعلينا أن نتجه إلى المدخل الكيف، هناك أمر آخر في هذا الخصوص وهو أنه في حالات معينة قد يتوفر كم معقول من الدراسات السابقة حول موضوع معين، إلا أن القيام بتحليل محتوى هذه الدراسات قد يوضح للباحث أن معظم هذه الدراسات قد بنيت على افتراضات لم يتم التحقق منها أو أنها افتراضات يشوبها التحيز، وهنا يتم اعتماد المدخل الكيفي في البحث وليس الكمي، وتكون أسئلة البحث الكيفي استكشافية تهدف إلى وصف أو فهم الموقف أو الأحداث أو الأشخاص، ويجب أن نلاحظ أنه إذا كان سؤال البحث يهدف إلى شرح علاقات معينة بين متغيرين أو أكثر فإنه من الأفضل استخدام المدخل الكمي في البحث.

مدى وجود معوقات مرتبطة بموضوعات البحث أو مجتمع الدراسة: قد توجد معوقات معينة تتعلق بموضوعات البحث أو مجتمع الدراسة تحول دون استخدام أحد المدخلين الكمي أو الكيفي، فعلى سبيل المثال يؤثر مستوى تأهيل أو تعليم المبحوثين أو اللغة التي يتحدثونها في اختيار المدخل الكمي في البحث، بمعنى هل هؤلاء الأفراد قادرون على قراءة وفهم المقياس المستخدم في الدراسة (الاستقصاء) وهل الاستقصاء المستخدم هو مقياس متحيز ثقافيا، أي يستخدم عبارات وكلمات محبذة لدى أبناء الثقافة المعنية الذين نقوم باستقصائهم؟ على الجانب الآخر يثور السؤال حول من هم موضوعات (مفردات) الدراسة، وهل هم من كبار السن أو الأطفال؟ وإذا كانوا كذلك فإن أسلوب الملاحظة وتسجيل سلوك الأفراد وتحليله يبدو مناسبا في هذه الحالة عن أسلوب المقابلة الشخصية أو أدوات المدخل الكمي مثل الاستقصاء.

7. إشكالية المزاوجة بين الوصف والتفسير في البحوث المختلطة (الكيفية والكمية):

لقد توصل العلماء والباحثين مؤخرا أنه يمكن المزج بين البحث الكمي والبحث النوعي في الدراسة العلمية الواحدة، حيث أن البحث الكمي يكمل البحث النوعي، وهذا ما يمكن القول عنه أنه يندرج ضمن البحوث المختلطة وهي طريقة لجمع و تحليل ومزج كل من البيانات الكمية والبيانات الكيفية في دراسة واحدة لفهم مشكلة من مشكلات البحث، وهذا ما يطلق عليه **بالتثليث**، فالتثليث في البحث العلمي يعني استخدام أكثر من منهجية واحدة خلال عملية البحث، ويتضمن التثليث كل المعلومات التي جمعها الباحث من مصادر أو منهجيات مختلفة لمعرفة مدى انسجام الأدلة بين مصادر المعلومات والبيانات، ففي كثير من الأحيان بعد بيانات الأسلوب الكمي غير كافية وحدها لفهم بعض الظواهر الاجتماعية أو جوانب معينة منها كالمواقف والآراء والقيم الاجتماعية، فهي لا تعطي فهما معمقا لهذا تنبه بعض الباحثين إلى ضرورة الاستعانة بالأسلوب

النوعي إلى جانب الأسلوب الكمي وذلك لأنه أشمل وأعمق من النظرة الشمولية، الأمر الذي يساعد على دقة التحليل والوصول إلى نتائج قوية وأكثر صدقا ودقة، لذا يعتبر الجمع بين الأسلوبين الكمي والنوعي مفيدا جدا لتكامل الدراسات(ريمة ماجد، 2016، ص27).

ويمكن للباحث أن يقوم ببحث يعتمد على المناهج المختلفة عندما يكون لديه بيانات كمية وكيفية، حيث أن استخدامها معا يساعد على وضوح البيانات وفهم أكثر مشكلة البحث، كما أنه يمكن إجراء هذا النوع من البحوث إذا كان الباحث قد قام بإجراء بحث كمي ويرغب فيما بعد بإجراء دراسة تتبعية كيفية للحصول على المعلومات تفصيلية خاصة لا يمكن للتحليل الإحصائي الحصول عليها، لهذا يتعين على الباحث عدم المفاضلة بين البحوث النوعية والكمية على أساس أن هذه الأخيرة أكثر دقة كونها تتعامل مع المادة الإحصائية المجردة البعيدة عن التحيز والذاتية، لذلك كان لزاما على الباحث انتهاج الاستبيان أو المقابلات الكمية مع المقابلات المعمقة النوعية، فالبيانات والاستنتاجات تكون رقمية إحصائية في الكمية لكن يمكن أن تكون نتائج وصفية إنشائية معمقة كما في النوعي، كما عليها إتباع المرونة في البحوث النوعية مع ضمان عدم التحيز كذلك ممكن أن ينطبق هذا علة البحوث الكمية(عامر قنديلجي، 2008، ص63-72).

وتجدر الإشارة إلى أنه يمكن استخدام المدخلين الكيفي والكمي في دراسة واحدة، ويلاحظ أيضا أن مثل هذه الدراسات التي تعتمد المدخلين معا عادة ما تصل إلى نتائج قوية، ولكن السؤال يبقى وهو **كيف يمكن المزج بين المدخلين؟**

الواقع أنه يمكن استخدام المدخلين معا بشكل تتابعي أو يستخدما معا وفي النفس الوقت ويمكن شرح ذلك من خلال ما يلي (عادل محمد ريان، 2003، ص10- 11):

استخدام المدخلين النوعي والكمي بشكل تتابعي Sequentially: يتم استخدام المدخلين الكيفي والكمي بشكل تتابعي عندما يبدأ الباحث بالمدخل الكيفي أثناء إعداد مشروع البحث لصياغة الفرضيات، وفي هذه المرحلة يمكن اختبار الفرضيات بإتباع المدخل الكمي باستخدام عينة أكبر، فعلى سبيل المثال إذا كان الباحث بصدد دراسة إحدى الظواهر التي ترتبط بسياق ثقافي معين مثل تسويق برامج تنظيم الأسرة، فيمكن أن يبدأ بعمل مقابلات مع النساء والرجال في بعض القرى والمدن حول مفهوم تنظيم الأسرة لدى كل فريق وأفكارهم حول هذا الموضوع وتداعياته ثم يصل إلى فرضيات معينة حول الاختلاف بين السياقين الثقافيين (القرية والمدينة)، وهنا يمكن اختبار هذه الفرضيات على عينة أكبر مستخدما المدخل الكمي.

استخدام المدخلين معاً في نفس الوقت Simultanesauly: يمكن استخدام المدخلين الكيفي والكمي في البحث معا وفي نفس الوقت في تحديد المشكلة، ويعرف هذا الأسلوب بما يسمى بالتثليث أو المثلثية-(Triangulation) Jick (1979)، ويقصد بها دراسة الظاهرة بأكثر من طريقة، وهنا يتم استخدام المدخل الكيفي لوصف الجانب الوجداني بينما يستخدم المدخل الكمي في قياس المتغيرات الأخرى، فعلى سبيل المثال يمكن أن يشمل الاستقصاء أسئلة مغلقة بجانب أسئلة مفتوحة، ويتم تحليل بيانات الأسئلة المغلقة كميا، فيما يتم تحليل بيانات الأسئلة المفتوحة كيفيا، وسوف يسمح ذلك بوجود حرية أكثر للمبحوثين في الإدلاء بإجابات لا يتيحها استخدام المقياس (الاستقصاء) ذو الإجابات المغلقة أو الاختيارات المحددة.

ومن خلال ما سبق يمكن القول أن منهجية البحوث المختلط التي تقتضي التثليث والمزاوج بين البحوث النوعية والكمية بغض النظر عن الإجراءات المنهجية التي يقتضيها كل نوع تجعل النتائج التي يتوصل إليها هذا النوع من البحوث أكثر دقة وتفصيلا وشمولية ذلك لكونها تعنى بوصف الظاهرة وتفسيرها في نفس الوقت مع محاولة اكتشاف العلاقات السببية التي تؤدي إلى حدوث تلك الظاهرة ومعرفة النواحي الظاهرة والباطنية بوصف الظاهرة وصفا علميا دقيقا بعيدا عن التحيز وباستعمال تقنيات منهجية إحصائية تقضي إلى قياس شدة الظاهرة وتحليلها وتفسيرها.

خاتمــــة:

لقد ظلت البحوث الكمية ومنذ زمن طويل مناوئة لبحوث النوعية، بحيث تعتمد المناهج الكمية على صيغ رياضية لتفسير الواقع، ونظرا لاستعمالاتها المتكررة من طرف البحوث الطبيعية فقد اعتبرت الأكثر علمية ودقة من منهجية البحوث الكيفية، حيث أدى هذا بالبحوث الاجتماعية إلى الاعتقاد ولمدة طويلة أن مصداقيتها مرهونة باستعمال أكثر للتكميم في بحوثها، لهذا نجد العديد من التخصصات في فروع العلوم الإنسانية والاجتماعية استعانت بالإحصاء في دراستها للظواهر كعلم الاجتماع وعلم النفس والاقتصاد وعلوم الإدارة... لأن طبيعة مواضيعها تتقبل ذلك بسهولة، مع ذلك فإنه لا يمكن إخضاع الظواهر الإنسانية والاجتماعية دائما للتكميم، لذا فهي ملزمة أيضا باستخدام المناهج الكيفية التي تستعين أكثر بالأحكام وبدقة ومرونة الملاحظة والفهم(موريس أنجرس، 2004، ص100).

إضافة إلى ما تقدم فإن البحوث التي تندرج ضمن الدراسات الإنسانية والاجتماعية ومهما كانت دقة القياسات الكمية المستعملة فيها ستظل محتفظة ببعدها الكيفي، فنوع الدراسات والأهداف والمواد المتوفرة هي التي تحدد إما درجة التكميم أو المسعى الكيفي الذي ينبغي اعتماده، لأننا عندما نريد قياس نوعية ظاهرة ما فإن المادة الإحصائية في حد ذاتها لا تضيف شيئا مهما كانت دقيقة، وعكس ذلك فإن وصفا نوعيا مفصلا سيكون عديم الفائدة إذا كان المعطى الرقمي أكثر وضوحا، يبقى الأهم في أخذ كل الوسائل الضرورية لتعميق موضوع الدراسة وتحليل كل جوانبها، فهاتين العمليتين المنهجيتين هما الآن مكسب تشترك فيهما العلوم الإنسانية والاجتماعية، ويبقى انتهاج كل من المسعى الكمي والنوعي في البحوث التي تقتضي ذلك المشروع الذي ينبغي على الباحثين انتهاجها من أجل إثراء البحث العلمي من جهة وتعزيز صحة النتائج المتوصل إليها من جهة أخرى من خلال المزاوجة بين الفهم والتفسير من خلال البحوث الكمية والفهم والتحليل من خلال البحوث النوعية وأهمية كل ذلك في إنتاج المعرفة وخدمة البحث العلمي بصفة عامة.

قائمــة المراجــــــع:

1. برو محمد(2014)، الموجه في منهجية العلوم الاجتماعية: علم النفس–علم الاجتماع-علوم التربية، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.
2. تركي رابح(1984)، مناهج في علوم التربية وعلم النفس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
3. جابر عبد الحميد جابر، أحمد خيري كاظم(1978)، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ط2، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر.
4. حسان هشام(2007)، منهجية البحث العلمي، ط2، القاهرة، مصر.
5. رجاء محمد، أبو علام(2004)، مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية، ط4، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر.
6. ريمة ماجد(2016)، منهجية البحث العلمي: إجابات عملية لأسئلة جوهرية، مؤسسة فريدريش إيبرت، بيروت، لبنان.
7. ريمون بودون(1980)، مناهج علم الاجتماع، منشورات عويدات، بيروت.
8. عادل محمد ريان(2003)، استخدام المدخلين الكيفي والكمي في البحث: دراسة استطلاعية لواقع أدبيات الإدارة العربية، المؤتمر العربي 3، البحوث الإدارية والنشر، جامعة اسيوط، القاهرة.
9. عامر قنديلجي(2008)، البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات التقليدية والالكترونية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن.
10. عامر قنديلجي(2009)، البحث العلمي الكمي، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، الأردن.
11. عبد المعطي محمد علي، محمد السرياقوسي(1988)، أساليب البحث العلمي، ط1، مكتبة الفلاح، الكويت.

12.عمار بوحوش، محمد محمود الذنيبات(2001)، مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث، ط3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
13.عمر التومي الشيباني(1989)، مناهج البحث الاجتماعي، ط3، منشورات مجمع الفاتح للجامعات، ليبيا.
14.محمد علي محمد(1986)، علم الاجتماع والمنهج العلمي، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، مصر.
15.مصطفى عمر التير(1995)، مقدمة في مبادئ وأسس البحث الاجتماعي، ط3، منشورات الجامعة المفتوحة، طرابلس، ليبيا.
16.موريس أنجرس(2004)، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية: تدريبات عملية، تر: بوزيد صحراوي، كمال بوشرف، سعيد سبعون، دار القصبة للنشر، الجزائر.
17.نبيلة صالح، السمرائي(2014)، محاضرات في مناهج البحث العلمي للدراسات الإنسانية: نموذج لكتابة الأطروحة والدفاع عنها، ط1، دار الجنان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

الهوية الرقمية والمواطن الافتراضي في الفضاء السايبري
Digital identity and virtual citizen in Cyberspace

أ.ليندة العابد، جامعة باتنة 1- الجزائر

ملخص: تسعى المداخلة للكشف عن معنى العالم الافتراضي وما أنتجه من مجتمعات افتراضية لها خصوصياتها التي تميزها عن المجتمعات المحلية، مرورا بالمواطنة الافتراضية والمواطن الافتراضي وما يرادفه من معاني اسمية كالكائن الافتراضي، والرقمي، ثم تشكل الهوية الرقمية التي تعد نوعا خاصا من الهويات التي تميز مجتمعات اليوم في ظل التحولات المتسارعة، في العالم التي فككت مقولات المكان، الزمان والجغرافيا للبحث في مواصفات تلك الهوية الرقمية في العالم الافتراضي الذي افرغ من الزمن والمكان في وسط منفتح على ثقافات متعددة جاذبة تسعى لتشكيل انسان كوني بمواصفات رقيمة.

الكلمات المفتاحية: الهوية الرقمية، المواطن الافتراضي، الفضاء السايبري.

Abstract: The communication is seeking to discover the meaning of the virtual world, and what is produced by as virtual communities with their particularities that distinguish them from local communities, passing by the virtual citizen and its synonyms; as the virtual and the digital being, then the form of the digital identity, which is a special kind of identities that characterize today's societies, in the light of fast changes in the world, that dismantled the citations of space, time and geography, to look at the characteristics of the digital identity in the virtual world, this one was emptied of time and place, in an open environment to different attracting cultures, seeking to form a universal human being with a digital characteristics.

Keywords: Digital identity, virtual citizen, Cyberspace.

مقدمة:

ضمن هذا السياق نتج ما يسمى بالمواطنة العالمية أين تعدت اهتمامات الإنسان محلية نشاطه إلى أفق العالمية وتَخَلق ضمن التشبيك الحاصل أنماطا لا تقليدية من الجماعية والتفاعلات المتجاوزة للحدود الجغرافية، والمجانبة لمنطق التقارب والجيرة ضمن فضاء افتراضي مرقمن وعالم معرفي طليق، تسوده التفاعلية، التشاركية، التواصل والتبادلية، بمؤشرات للنقل المباشر وغرف الدردشة، ومواقع التواصل وغيرها بهندسة سيميائية، نسجت موطنا ومواطنة جديدة ومواطنا افتراضيا له انتماءاته، اهتماماته، ولاءاته، وجداناته، تفضيلاته وخياراته، ضمن مجتمعات افتراضية موازية للمجتمعات الواقعية، لها خصوصياتها ومواصفاتها، حيث تحول المواطن إلى ذات كونية كمنخرط جديد ومنسحب في المقابل.

هذه الذات الجديدة او المواطنة الافتراضية، تلتزم بحمولة قيمية ومعيارية ضمن نموذج في طبيعته قد يتصارع مع الواقع وحمولته، مشكلة هوية جديدة لها خصوصيات لغوية، قيمية، تفترق عن الهوية الطبيعية كإنتاج او إعادة إنتاج في قوالب افتراضية جديدة، في جدل بين الواقعي والافتراضي بين الانتماء والانسحاب بتشكل معياري وضمير جمعي ورأسمال ثقافي ورمزي جديد، ضمن هذا المسار تحاول هذه الورقة تتبع معنى الهوية الافتراضية للمواطن الجديد ومكوناتها، وإشكالية التحول وجدل البقاء.

1. في مفاصل الإشكالية:

إن الحديث عن الهوية عموما والهوية الافتراضية بشكل خاص يبعث على التأمل في نطاق هذا التدافع المتسارع ضمن المجتمع العالمي، لما لهذا المفهوم من مفهوم قد تعيق محاولة إيجاد تعريف وحيد جمعا ومنعا، فتكون كل المحاولات قاصرة في انزوائها، وادعاء كمال وصفها، خاصة وأن هذا المفهوم البسيط في حروفه مركب، بل شديد التركيب في اسقاطاته، فينبجس عن المفرد جمع، ومن الجمع جموع ومجاميع يتناسل بعضها من بعض إشعاعا لمعنى الهوية، وفي سياقات الحياة، أو انطلاقا من سياقات الحياة المتنوعة إلى مفهوم الهوية، وكما تحدث ادغار موران عن وصف الثقافة بأنها كلمة منومة، ملغمة يمكن أن نأخذ هذا القول لتوصيف الهوية التي تعد نمطا تصوريا غائرا أو نوعا من الدغل التصوري فكيف إذا اندمجت الثقافة مع الهوية كمفهومين حيث يؤكد زيجمونت باومان " إن مفاهيم بناء الهوية والثقافة لا يمكن إلا أن يولدا سوية "(آدم كوبر، 2012، ص255).

ولذلك مقاربة الهوية له سبل مختلفة أظهرها تناول المفهوم مجردا ثم محاولة التقعيد والإسقاط الواقعي اقترابا إجرائيا أو انتقالا عكسيا من الواقع تصعيدا إلى التجريدات لفهم أكثر تعميما منفصل عن سياقات الزمكانات المتنوعة، مرتفعا من البنيات والعضويات إلى ما فوق العضويات تجريدا ينتقل من تخصيصات إلى تعميمات يتأثر ويؤثر بعضها في البعض الآخر جدلا، إشكالية المداخلة تتصل بالاقتراب الثاني الذي يؤكد على أن للهوية تمظهرات، يمكن الانتقال منها كسياقات اجتماعية وحوامل للهويات، فتظهر الهوية هذا المفهوم المركب في نطاق تلك التمظهرات والممارسات، ولذلك كان البحث في توصيف جزء من تلك السياقات المخاطبة للشباب، كفئة وسيطية، لا كسحب فردي بل كدلالة جيل وسيطي يترجم مكونات الهوية ينقل، يتمم أو حتى ينسخ تلك المكونات في سياق مجتمعي واحد أو سياقات متساندة، فمقولة الانغلاق في المجتمع الواحد باتت منسوخة لأن الحديث والوقائع تترجم انفتاحا غير مسبوق في كمه، كيفه، سرعة وتاثره، وغدت المنظومات في سياق الواحد تعدادا، وفي سياق التعداد واحدا، بمقولات العولمة، الكونية، الكوكبية، الرقمنة، التي تجاوزت الجغرافيا المكانية الى جغرافيا رقمية، وقفزت من الحدود المقننة جغرافيا وقانونيا وإقليميا إلى حدود شفافة، جعلت الاختراق يتجاوز كل قدرة رقابية، وأمنية لأن

الاختراق نافذ في مكونات الهوية، بأشكال وتوصيفات دلالية أكثر منها مشخصنة، ولذلك كان بروز المتغير الثاني مجاورا لصيقا بالهوية، كعنوان يخدم إشكالا عاما وهو الهوية الافتراضية والمواطن الافتراضي في المجال السايبيري.

حيث أن ثورة الاتصالات وتسارع دفق كم ونوع المعلومات واستحداث التقانة أنتجت مجتمعات موازية فتحول التراكم الكمي إلى واقع كيفي، كما أثاره ألفن جولدنر في كتابه المتميز الأزمة القادمة لعلم الاجتماع إذ حسبه يمكن الحديث عن" نهاية تاريخ وبداية تاريخ جديد، وأقول تاريخ جديد لأن التحول الشامل الذي حدث لم يقتصر على تغيير نظام عالمي قديم ليحل محله نظام عالمي جديد، بل تغير النظام العالمي في واقعه، وفي ثقافته، وحتى مقولات الإدراك التي اعتقدنا لقرون خلت أنها ثابتة، فقد تغيرت معاني الزمان والمكان والنسبية، بعضها اتجه إلى التجانس والإطلاق المستند إلى اتفاق البشر، بينما اتجه البعض الآخر إلى التنوع والتذري بحيث ازدادت الفجوة بينه وبين المطلق(ألفن جولدنر، 2004، ص23).

ويردف أيضا بقوله "لم يعد هناك زمان واحد ولكن أزمنة عديدة، تتنوع وتتعدد بتعدد البشر والسياقات الاجتماعية والمكانية، ذلك في مقابل مقولات أخرى خلفت التذري والنسبي وراءها لكي تكتسب معاني مطلقة، ولنأخذ مقولة المكان مثال على ذلك حيث يتجه المكان إلى التجانس وتقلص تبايناته حتى ليكاد أن يتحول إلى مكان واحد يعرفه كل البشر، بحيث بدأت تضعف الرابطة التي كانت تربط البشر بالمكان المعين، ونشأت محلها اهتمامات وارتباطات جديدة بأكثر من مكان، حتى تجانس الاهتمام وتجانس المكان تبعا لذلك "(ألفن جولدنر، 2004، ص23).

من هذا المنطلق أصبح الحديث عن المسافات والحدود أمرا يخضع للنقاش والتشظي، إذ العوالم غدت مفتوحة على سياقات متعددة،" ولم تعد أي دولة في العالم حتى لو رغبت في الانعزال بمقدورها أن تعيش بمعزل عن العولمة، فالعالم يسير نحو الانكماش على صعيد الزمان والمكان، وعلى جميع الصعد الحياتية ليتحول العالم إلى اقتصاد عالمي واحد، ونظام سياسي عالمي واحد، ومجتمع عالمي واحد، وثقافة عالمية واحدة "(نديم منصوري، 2014، ص81).

في سياق الحديث عن هذه التحولات المذهلة التي قلبت العالم ومقولاته الأساسية، يقوم الاتصال الرقمي بوظيفة الحامل والمكون الأساسي الذي انعكس على مقولات الإدراك المختلفة التي عدت لمدة بداهات لا يمكن مناقشتها، وضمن هذا التحول وذاك الفضاء الرقمي تحول مفهوم المواطنة، الذي ارتبط في بداياته بالمحلي، وتجاوز اليوم إلى السياق العالمي، وهذا ما يؤكده أيضا نفس الباحث- جولدنر- حيث أشار إلى أنه "لم يعد الإنسان مهتما فقط بالأحداث التي تقع في واقعه، بل أيضا بالأحداث التي تحدث في كل واقع، لأن الواقع أصبح كثيف التشابك مع كل واقع آخر من ناحية، ومع واقعه الشخصي من ناحية ثانية، وباتجاه المكان إلى التجانس، وتقلص التعدد، فقد تضمن المكان معنى منكمشا أو ضيقا بحيث أصبح في قدرة الإنسان باستخدامه الإعلام والمعلومات أن يتابع كل تفاعل يحدث فيه، ونتيجة لذلك حلت اللحظة التاريخية التي أصبحت في إطارها روابط الانسان واهتماماته العالمية أكثر كثافة من نظائرها المحلية، بحيث أسلمت هذه التفاعلات إلى تخلق مواطن جديد، وعالما كان في القرن الماضي متنوعا ومنقسما فأصبح في قرن جديد عالما متجانسا أو وطنا واحدا"(ألفن جولدنر، 2004، ص23- 24).

المواطنة العالمية بانفتاح المجتمعات على الوسائط المختلفة، كرست مفهوما آخر وهو المجتمع الافتراضي، في مقابل المجتمع المحلي والمجتمع الواقعي، هذه المجتمعات الافتراضية هي كيانات تكنو- اجتماعية خرقت وتغلغلت في سياقات الاجتماعات الواقعية، فأصبحت جزء منها أو حتى قامت بإزاحتها باندماج ولد انعزالا اجتماعيا آخر، فكانت مواصفاتها مجتمعات لا قيد ولا ضابط ضمنها جغرافيا كان أم ثقافي، إذ يتضمن المجتمع الافتراضي الواحد نسيجا من لغات، جنسيات، قوميات مختلفة، مجتمعات شديدة التشبيك والتعقيد نسجت مخيالا آخر وتمثلات للهوية، متبدلة عن

السياق المتعارف عليه بضوابطه خصوصياته وتقاليديته، والتي شكلت في الأخير مواطنا افتراضيا، أو بالأحرى مواطنا رقميا، مندمج في أوطان غير أوطانه الأصلية، او مدمج لواقعه بافتراضه، في صيغ من المشاركة الرقمية، أو الحياة الرقمية المشتركة.

ضمن هذا السياق تتضح أهمية الدراسة بوصفها محاولة تتبع ظاهرة حديثة تتضمن التساؤل التالي هل الفضاء السايبيري قد ولد هوية لمواطنية جديدة؟، وما هي مواصفات هذه الهوية في ظل انخراط المجتمع المحلي ضمن السياق العالمي بانفتاح غير مسبوق تمت من خلاله تفكيك الحدود الفيزيقية الى حدود مائعة شفافة أو الى لا حدود؟، وهل بقيت مساحة للمحلي ضمن سياق هذا التشبيك؟.

إن تفكيك هذه المسألية أو الإشكالية ليس بالأمر الهين ولا بالسهل بمكان، إذ تتفاعل ضمن هذا المنحى الكثير من المتغيرات المتعلقة بمفهوم الهوية، ومؤشراتها، ولذلك سيصب البحث في محاولة الكشف عن مفهوم الهوية، ثم مكونات ومؤشرات الهوية الافتراضية سعيا للكشف عن مقومات مخفاة ضمن سياق الواقع بين الهوية الأم والهوية البديلة، أو الابتعاد عن الكوني أو الاندماج فيه، تبعا لإعادة صياغة جديدة للمضامين الهوياتية.

وهذا يجعلنا أكثر عرضة لمساءلة أخرى هل الرقمنة عنصر إيجاب على الهويات تضيف لها وتسهم في ترسيخ مضامين ترابط جديد؟ وتعبير عن هوية تنسج لنفسها ممانعة للوافد وتشكلا لمسارات مقاومة هوياتية بطابع الكوني والمحلي، أم أن الناتج هوية مائعة غير متوازنة عشوائية المبنى والمعنى؟

2. مفهوم الهوية بين سياق الفهم والتداول:

يقض مفهوم الهوية الفلاسفة والباحثين في مسارات المعرفة المختلفة وحقولها؛ الاجتماعية السياسية، الإعلامية، إذ تشاركت كلها في سؤال الهوية كموضوع بؤري تسعى العلوم المختلفة لاكتشافه، في محاولات للاقتراب لمدلولها وفهم محتواها وتشكلاتها واقعيا، ويحتبس الفهم عند مواجهة تلك المقاربات لتعدد التناول الذي يتعذر معه الإلمام والحصر، في نسيج سجالي مركب يفند زعم حل إشكالية الهوية من زاوية واحدة، ويبطل محاولة الوصول الى فهم وحيد لها حتى غدا مفهوم الهوية متصلا كل مرة بمفهوم سؤال، المسألة، الإشكالية، فتكونت بذلك نعوتا للهوية إما مسألة الهوية، إشكالية الهوية، أزمة الهوية، فأضيف لذلك المركب مركبات أخرى، تؤكد على أن الهوية متعددة في ماهيتها، وأكثر التباسا إذا ما اتصلت بانتماءات ومرجعيات وسياقات الفهم عند متناوليها، مما حال دون تحديد تعريف واحد يدمج الجمع بالمنع، ومع ذلك تبقى ضرورة حفر هذا المفهوم من باب الوجوب الملزم للفكرة وسياق البحث، وبداية محاولة الفهم يرجعنا لنقطة البدء حيث أنه: ''من المعلوم أن عبارة هوية من أصل لاتيني (Idem) وأنتج هذا الأصل الصفة النعتية (Identicus) التي تفيد الشبيه والمماثل وتعارض ما هو مختلف ومتنوع "(فتحي التريكي، 2010، ص36).

ضمن هذا المعنى يتجلى أن فهم الهوية ضمن سياقين الشبه والتماثل في شق والتعارض والاختلاف والتنوع في شق آخر، كما أنها تعرف على أنها ''إحساس بالذات ينشأ حينما يبدأ الطفل بالتميز عن والديه وعائلته ويأخذ موقعه في المجتمع، فهي تشير إلى شعور شخص ما بمن هو وما هي الأشياء الأكثر أهمية بالنسبة له. ومن المصادر الأساسية للهوية هي القومية، والعرق والجنس والطبقة، ورغم أن الهوية تنسب إلى الأفراد إلا أنها ترتبط بالمجموعات الاجتماعية التي ينتسب لها الأفراد ويصنفوا على ضوئها، ولا يوجد هناك دائما تطابق تام بين ما يعتقده الأفراد عن أنفسهم وبين ما يراهم الآخرون عليه(هارلمبس وهولبورن، 2010، ص13).

يضاف إلى المعنى السابق الرؤية الفلسفية التي تعتبر الهوية '' مرادفة لاسم الوحدة والوجود، حيث قال الفارابي هوية الشيء وعينيته وتشخصه وخصوصيته ووجوده المنفرد به كل واحد،

وقولنا أنه هو إشارة إلى الهوية وخصوصيته، ووجوده المنفرد به الذي لا يقع فيه اشتراك(جميل صليبا، 1982، ص530).

الهوية إذن تمثل خصوصية وفي الآن نفسه تمايزا عن الأغيار، وعلى الرغم من أن مصطلح الهوية ذو تاريخ طويل ذو اشتقاق لاتيني، والذي يدل على التوحد والاستمرارية إلا أنه لم يصبح متداولا إلا خلال القرن العشرين فقط(سكوت، مارشال،2011، ص3433).

ومع هذا التاريخ الممتد تبقى الهوية باحثة عن هويتها، في سجال معرفي شَكل عمرانا من التعريفات تسوق جدل البحث عن الهوية بين مفردتي التوحد والتمركز حول الهو في نظرة إلى النحن لافظين غيرها من الهويات، أم أن مجرد التلفظ بالهوية هو جمع ومنع في الآن نفسه، جذبا ودفعا إذ '' للهوية علاقة وطيدة بمعيار مرجعي يكون بالضرورة واعيا لأنه مؤسس بناء على تعارضات رمزية، لذا يمكن التأكيد على أن الهوية الثقافية باعتبارها عملية تصنيفية تضع حدودا فاصلة بين - نحن-، و-هم"(محمد بشير،2007، ص11)، الحدود الفاصلة تلك تبعث على التساؤل هل هي هوية النحن أم هي هوية الهم، أم هي هوية العلاقة أو جدل العلاقة. وبأكثر تبسيط حين الحديث عن الهوية، هل ننشد النحن في علاقة انكماش وانزواء ولفظ لغيرها بدعوى الانعتاق، فتحقق بذلك علاقة التطابق مع الذات عند الشخص أو جماعة اجتماعية ما في جميع الأزمنة، وجميع الأحوال، فهي تتعلق بكون شخص ما أو كون جماعة ما قادرة على الاستمرار في أن تكون ذاتها وليس شخصا أو شيئا آخر(طوني، بينيت وآخرون ، 2005، ص700).

وهل هذا ممكن في ظل انفتاح المجتمعات، أم أنه لمجرد القول بالهوية فهو القول بالتركيب في تقابل غير مجزأ لعلاقة مكونات النحن بمكونات الهم.

وهنا يحدث سجال الاستشكالات في خضم البحث في تلك العلاقة، أهي علاقة صراع بين النحن والهم في محاولة الحفاظ على الموروث ورفض المستحدث، أم هو رهان لفض الموروث لعدم مطابقته وتوافقه مع متطلبات العصر، أم هو الاندماج بالتنازل على البعض من مكونات النحن، تحت لواء الهم، أم هو في الأخير دعوة للتوسط بالتعارف والالتقاء، وتلاقي الهويات.

في خضم هذه المقاربات لفهم الهوية وتتبع الهويات اليوم، ضمن ثقافة كونية وحدود شفافة، وحركية متسارعة يرتقب ضمنها التحول المستمر، والتبدل الضمني، يثار سؤال الهوية بمنطق مقابل وهو تأزم الهوية أو أزمة الهويات، والأشكلة في مركب الهوية انتقل من سياق التفحص في المجتمع الواحد، إلى الكوكبية المتشابكة. فتطرح الهوية ضمن ابتعاد عن الكوني أم صراع في الكوني. أي هل هو سياق امتداد، صراع أو اندماج، أم إزاحة. المتأمل في سياق المجتمعات الحالية يكتشف تشكل ثنائية صورية وهي ثنائية الفاعل والمنفعل، وضمن هذه الثنائية تبدت فلسفة للهيمنة والمركز، ناتجة عن تصورات حداثية مرافقة لتطور المجتمع الغربي، في محاولة لتصدير نموذج رؤيوي وحيد يشكل العالم، بأدوات عولمية في محاولة نحت وصب نماذج إدراكية وسلوكية تبعث على إعادة انتاج مجتمعات جديدة بوسائط وآليات سياسية، اقتصادية، إعلامية، عسكرية، قانونية.

ضمن هذا الدفق وهذه السيولة أصبح كل شيء مثار نقاش، وكل ثابت يدرك بوصفه متحولا، تحت مظلة - تجدد أو تتبدد-، لامست وفككت كل نسق حياتي مدركا، أو غير مدرك، فعرضت الأنوثة الى سجال، وموقع المرأة ضمنه إلى نقاش، صدام وصراع وندية، وتمركز أو انسلاخ من النوع، أثيرت الجندرة، والنظام الأسري كشكل قابل للنقاش، وبنية مكفولة للإنسانية لا إلى المطلقات، بنظم من التعليم والحوامل المبهرة في دقتها وكثافتها، ونوقشت العلاقات بوصف تعاقدي في مقابل الوصف التراحمي المعروف في السابق، وغيرها كثير من المظاهر التي ولدت إعادة النقاش في ثنائية أخرى وهو الموروث والحديث، ومنه مقومات الأنا ومقومات الآخر، في انزواء بمسمى الانتماء للهويات الأصلية أم التنصل والانسلاخ و الاستسلام لمقومات وهويات

الآخر، في رهانات خالصة، خصوصية تلغي العمومية، أم خصوصية ضمن عمومية، أم عمومية تلغي الخصوصية.

هذا التأزم الاستشكالي يؤكده استنفار حقيقي لتجنيد كامل لمستويات وآليات ونظم وحركية ضمنها تدفق الإنتاجات الرمزية المخاطبة للمجتمعات المستقبلية، هذا السيل الرمزي من الإنتاجات الثقافية المتصلة بكل بعد من أبعاد الاستهلاك الإنساني في لباس ثقافي للاقتصادي يؤكد رواجا متعدد الأبعاد يشد إلى ربط تلك الإنتاجات بالهوية مباشرة ومنها الوسائط الإعلامية المختلفة، وما آلت إليه مكونات الهوية من محاولات استدراج ، مزج، ضمن سياق مركب ينفذ في المجتمعات بحوامل مختلفة تشكل دعوى صريحة للانضمام في هوية أخرى لتشكيل هويات متكيفة كمحاولة لإيجاد هوية كوكبية لها مظاهر متشابهة ورؤية موحدة للعالم.

وضمن آليات الإبقاء على الهوية أو تبدلها تطرح جملة مقاربات منها ما أطلق عليه شتراوس، التحول الهوياتي، وما أطلق عليه بيتر برجيه وتوماس لوكمان بمصطلح – التناوب-

الهوية بذلك ليست حالة استاتيكية وإنما حالة دينامية متحركة؛ متحركة بداية لأنها مركبة من مجموعة عناصر متفاعلها، تشكل وعاء الضمائر الجماعية، التي تجسد تفرد الإنسانية في إنشاء خصوصيتها، والتي تترجم كل مرة نُسجا من العقائد، المعارف، الوجدانات، التاريخ واللغة والتي تشكل مقومات كل تجمع إنساني، وتجعله متمايزا في مكوناته عن الأغيار، مع عدم نفي مقومات الحس الإنساني المشترك.

وديناميتة أيضا لأن المساءلة والنقاش تبدت هل الهوية ثابتة أبدا، وإذا كانت متصلة بالوقائع المتحركة فكيف لا تكون متحركة متبدلة؟، لكن هذه المساءلة أدرجت ضمنها تساؤلا فرعيا ما الذي يتبدل ضمنها، وهل كل مكون فيها قابل للتحول؟.

وهنا تثار مسألة الثابت والمتحول في الهوية، إذ لا يمكن التسليم ببقاء الهويات ثابتة إطلاقا، وإنما تتعرض للتبدل في مستويات، الخطورة هي عرضة الثوابت للتبدل، كالدين واللغة، وهنا يلازمنا سؤال محلق حول ما يدرج ضمن الدفق الرقمي هل هو مزاحم للثابت أم محترم لخصوصيات تلك الثوابت.

خاصة وأن الهوية مركب متبلر، يتشكل ضمنيا من عناصر متصلة وليست منفصلة، إذ يرى محمود أمين العالم أن الهوية ليست أحادية البنية، أي لا تتشكل من عنصر واحد، سواء كان الدين أو اللغة أو العرق أو الثقافة أو الوجدان، أو الخبرة الذاتية أو العلمية وحدها، وإنما هي محصلة تفاعل هذه العناصر كلها"(نعيمة رحماني، زينب دهيمي، 2014، ص371).

ضمن هذا المجرى وبعد إلقاء الضوء على الهوية بشكل عام، يجرنا الغرض البحثي إلى مفهوم الهوية الرقمية، والتي هي مثار النقاش في هذه الورقة.

وبداية قد يتخذ مصطلح الذات الافتراضية للتعبير عن الهوية، كما قد يستخدم بوصفها الهوية الشبكية، وأيضا الهوية الآلية، هذه الأخيرة التي تعرف بأنه"ا الشخصية التي يتم إنشاؤها من طرف المستخدم الإنسان الذي يعمل كصلة وصل بين الشخص الطبيعي والشخص الظاهري للمستخدمين، وحسب هذا التعريف فإن الهوية الافتراضية هي السمات والمواصفات التي يقدمها الفرد الطبيعي للآخرين عبر الانترنت فتكون عملية الاتصال تتم بين ثلاثة أطراف وليس طرفين وهي الشخص العادي والهوية الافتراضية والأشخاص الآخرين(مسعودة بايوسف،2011، ص394)، هذا وتعرف أيضا بوصفها هوية كونية، إذ هي "هوية لا يحدها حدود جغرافية، بل هي سابحة في الفضاء السايبيري تتفاعل مع المواطنين الكونيين الآخرين انطلاقا من خلفيات متعددة، يمكننا تحديدها بثلاث خلفيات:

الإطار الذاتي للشخصية، أي هويته المحلية.

الإطار الافتراضي للشخصية أي هويته الافتراضية العالمية.

الإطار الثقافي الطبيعي الذي ينطلق منه المواطن الافتراضي نحو الإطار الكوني الأوسع(نديم منصوري، 2014، ص94.)

من هنا يتضح أن توصيف الهوية الافتراضية أكثر تعقيدا من الهوية الواقعية، لأنها تركيب مشابك من مجموعة عناصر، متحركة بسرعة، متلونة، قد تتمثل الهوية ضمنها بتمظهرات عديدة، لكن هذا لا يلغي القدرة على توصيفها، كما سيتبين لاحقا.

3.الوطن الافتراضي وتشكل المواطن الافتراضي:

1.3 مفهوم المجتمع الافتراضي وتاريخ التشكل: تضم إلى المجتمع توصيفات أدلها المجتمع الواقعي، المجتمع المحلي، ثم المجتمع الافتراضي، ولتقصي مفهوم المجتمع الافتراضي كمتغير أساس في هذه الورقة من اللازم توصيف المجتمع المحلي لأنه غالبا ما يحدث التقابل بينه وبين المجتمعات الافتراضية. ولقد حاول العلماء توصيف المجتمع المحلي بالبحث في معناه حيث" قام جورج هيلري George Hillery بتجميع 94 تعريفا سوسيولوجيا للمجتمع المحلي، وأخضعها للتحليل الكيفي والنوعي، مستخلصا تعريفا مشتركا للمجتمع المحلي الذي يجب أن يتضمن المعاني الآتية: مجموعة من الناس تشترك في تفاعل اجتماعي، بينها روابط مشتركة، يشتركون في العيش في منطقة على الأقل لبعض الوقت(نديم منصوري، 2014، ص85).

المؤشرات الأربعة المذكورة سلفا تفيد شرط وجود أناس يجمعهم تفاعل، روابط عيش مشترك وجغرافيا محددة، إضافة إلى الزمن، وهو المألوف الذي ينعكس على هوية المنتسبين إلى ذاك الإطار بشكل مباشر، لكن الذي يهم في هذا الموقع هو محاولة التعرف على مواصفات المجتمع الافتراضي، الذي يقابل المجتمع المحلي، والذي يجعلنا نتساءل هل المؤشرات السابقة موجودة في المجتمع الافتراضي أم أن هذا الأخير له مواصفات مختلفة؟، لتأكيد ذلك يجب تعريف المجتمع الافتراضي لتتبع مكوناته.

وبداية الوسط الاجتماعي الجديد له تسميات متعددة،" نسميه وسط الانترنت . الفضاء السايبري، cyberspace، الالكتروني الافتراضي أو التخيلي vertual، الرقمي digital"(علي محمد رحومة، 2008، ص23).

وقد" ظهرت المجتمعات الافتراضية على الخط on line communities بداياتها بفعل احتياجات التعليم واستخدام تكنولوجيات الحاسوب والاتصالات الرقمية منذ منتصف ثمانينيات القرن الماضي، ثم انبثقت بعد ذلك ما عرف بالمجتمعات الشبكية مع تقريبا أوائل التسعينيات حيث تطورت في شكلnetworked communities جماعات معروفة من مستخدمي الانترنت تشترك في الخصائص والاحتياجات والمهارات، ثم انتشرت هذه المجتمعات الرقمية بانتشار تكنولوجيا الويب(مسعودة بايوسف،2011، ص394).

وإذا كان البعض يرى أن الثمانينات هي بداية ظهور هذا النوع من المجتمعات، هناك من يرى بأنها بدأت قبل ذلك الأوان حيث بدأت في الظهو" في الستينيات وتطورت تدريجيا لتصل أعدادها إلى مئات الآلاف اليوم، مثل مجتمع افتراضي محلي اسمه –ويل WELL أي Whole Earth Lectronic Link- في سان فرانسيسكو، مجتمع نظام تويكس -TWICS- في طوكيو، يوزنت Usenet في الولايات المتحدة الأمريكية، وبعد الانتشار الواسع لتكنولوجيا الويب واستخدامها المتسارع جدا في الانترنت تزايدت أعداد المجتمعات الافتراضية بشكل كبير جدا، وبدا واضحا أن المجتمعات الافتراضية قد تغلغلت بشكل كبير في الحياة اليومية لدى العديد من أفراد المجتمعات، لدرجة أنها أضحت ظاهرة لا تخلو منها معظم مجتمعات العالم(نديم منصوري، 2014، ص87).

هذا عن تشكل العوالم الافتراضية، أما عن التعريف بها فقد حاول بعض العلماء تناول هذه العوالم ومنهم "هاورد راينغولد Howard Rheingold الذي قدم تعريفا للمجتمعات

الافتراضية فيقول : هي تجمعات اجتماعية تنشأ من الشبكة ، حين يستمر أناس بعدد كاف في مناقشاتهم علنيا لوقت كاف من الزمن بمشاعر إنسانية كافية لتشكيل شبكات من العلاقات الشخصية في الفضاء السايبيريcyberspace(مسعودة بايوسف، 2011، ص395.)

التعريف ألمح إلى مكونات العالم محل التعريف، حيث أشار إلى أنه بداية تجمعات اجتماعية، وهو وصف لا يختلف عن المجتمع المحلي في كون العنصر الأساسي المتشكل منه العوالم سواء كانت افتراضية أم حقيقية هو وجود أفراد في حالة تجمع، الفارق هو منطقة التجمع؛ المحلي منها مشكل جغرافيا والافتراضي عبر الشبكات. وضمن هذا السياق يزاحم الطرح مفهوما آخر وهو المجتمع الشبكي، أو الشبكات، التي تتصل به العوالم الافتراضية، و" الشبكي مأخوذ من كلمة Matrix وهو مستمد من الأصل اللاتيني Mater الذي يعني الأم أو الرحم، ويمكن أن نستنتج أن سبب هذه التسمية هو المقارنة التي عقدت بين الشبكة والرحم، الشبكات بمثابة أرحام تهبنا ضربا جديدا من المجتمعات، وهي مجتمعات تنتظم فيها الهوية السياسية، الاقتصاد، وتعمل في شكل شبكات(دارن بارني، 2015، ص12).

إذن الشبكات أرحام تدفع المجتمعات الافتراضية للظهور، بانخراط الأفراد ضمنيا فيها، وهي ناتجة عن تطور التقانة والتكنولوجيا الرقمية، وهي أيضا مزاحمة لتجربة الزمان والمكان، أو ما يسمى بقيود المكان والتي حدت من الحجم المتنامي للنشاط البشري في المجتمعات المحلية، إذ الانخراط في الشبكات هو انخراط في مجتمعات متجاوزة للمحلي وقد تكون مزيحة لها، والانتساب الى الشبكية المجتمعية يجعل الفرد عقدة من عقد الشبكات الاجتماعية، ولكن ليست الشبكات الواقعية المتعارف عليها، بل شبكات رقمية تجمع بين العوالم المتناهية الصغر Microcosme والعوالم المتناهية في الكبر Macrocosme، وبالتالي الفاعل الشبكي يكون نقطة تجمع بين النطاقين الميكروي والماكروي.

هذا وتعرف أيضا "أنها مجموعة من الأفراد، الذين يتشاركون عبر شبكة الانترنت، لفترة زمنية لتحقيق غاية أو هدف أو هواية، من خلال علاقة اجتماعية-افتراضية تحددها منظومة تكنو-اجتماعية"(نديم منصوري، 2014، ص21).

المنظومة التكنو-اجتماعية هي السمة البارزة لتشكل هذا الفضاء وهي الأرضية الحقيقية التي من خلالها يتحرك الأفراد والجماعات في تشاركية واحدة مضافا للفترة الزمنية، مع أن الفترة الزمنية المطروحة ليست تلك الفترة المعسكرة المحددة بأطر وإنما الحرة التي تشكل بنية العلاقات الممتدة والنافذة في الوقت الاجتماعي، والذي سيتم تحليلها لاحقا، ومن هنا يتضح أن للمجتمعات الافتراضية خصائص تعكس مقومات ذاك التجمع، كما للمجتمع المحلي خصائصه.

2.3 سمات المجتمع الافتراضي: عالم على الخط

من الطرح السابق يمكن أن نستجلب عديد مواصفات للمجتمع الافتراضي أو **عالم على الخط** كما أسماه انتوني غيدنز في كتابه القيم: علم الاجتماع، هذا العالَم له سمات تميزه عن غيره من التجمعات، ومن بينها: الافتراضية، الجاذبية، الخيائلية، اللامركزية، الاختيارية، التشاركية(نديم منصوري، 2014، ص23-27)، هذه أهم السمات مضافا إليها التأقيتية، واللامكانية، وغيرها من الخصائص التي سيتبين تشكل الهوية من خلالها لاحقا وهي خصائص، تجمع بين الرموزية، والتأثير، وتعدد المراكز، الإرادة، ونوع من الحس المشترك الجديد والضمير الجمعي المرقمن، إذن المجتمعات الافتراضية هي مجتمعات معقدة تعبر عن فضاء مفتوح يضم مركبات منها.

3.3 المواطن الافتراضي: الإنسوب.

تضمنت المطارحة السابقة الإشارة إلى أن العوالم الافتراضية تشترك مع العوالم الواقعية والمحلية بوجود الإنسان، هذا العنصر الذي لا يمكن تغييبه عن أي نوع من المجتمعات والتجمعات لكن هل هو نفس الإنسان المكون لأصناف تلك المجتمعات؟ يعني هل هو حامل لنفس

الخصائص، أم أن للإنسان الافتراضي خصائص تميز الفاعل ضمن الفضاء السايبيري عن غيره من الفاعلين؟

بداية وكما تمت الإشارة إليه سابقا ولدت هذه الفضاءات الشبكية مجتمعات افتراضية، وولدت بدورها نسقا من المفاهيم والمعاني والممارسات تختلف بحسب السياق، ولكن الوارد أن لها مشتركات، منها تآلف محاولة تسمية العناصر المشكلة لذاك النمط من المجتمع.

والناظر إلى تلك المحاولات يستطيع تلمس عديد مصطلحات متصلة بإنسان المجتمع الافتراضي بتسميات منها: المواطن الافتراضي، الكائن الافتراضي، الكائن الرقمي، الفرد الإنترنيتي، الإنسان المرقمن، الإنسوب، أو الانساسوب وهو اختصار لإنسان–حاسوب، وغيرها.

وبداية يعرف انسان المجتمع الافتراضي، بأنه" ذلك المواطن الذي استطاع الولوج إلى فضاء الانترنت وتوظيفه لتحقيق صالحه الخاص، وهو ذلك المواطن الذي أنتج المحتوى المكتوب والمرئي والمسموع في فضاءات المواقع الالكترونية، والشبكات الاجتماعية والوسائل المدمجة، واستطاع التعبير عن رأيه، والمشاركة بفعله، وإدارة التغيير(أحمد البدوي، 2015، ص21)، إرادة الالتحاق للفضاء الرقمي والإنتاج وإعادة الإنتاج واردة ضمنا في سياق هذا التعريف، فالإنسان في المجتمع الرقمي يسعى للمشاركة وإدارة التغيير.

في تتبع آخر يرد معنى المواطن الافتراضي على أن" الكائن البشري الذي يشارك كائنا بشريا آخر علاقة رقمية عبر الحاسوب، وتكون هذه العلاقة اجتماعية، سياسية، اقتصادية، عاطفية، لكن هذه العلاقة ليست إنسانية بالمطلق، بل هي مركب من إنسان وآلة أو إنسان وحاسوب. وما تجدر الإشارة إليه هنا أن الكائن البشري قد يجري علاقاته الإنترنتية مع برامج وليس مع أفراد حقيقيين، مما يجعل الفرد فردا انترنتيا يتمظهر في سلوكيات رقمية عبر الحاسوب’"(نديم منصوري، 2014، ص89).

هذا السياق يترجم أبعاد المواطن الافتراضي، التي تنفذ حتى في الوجدانات والعواطف، ينسج في الأخير مزيجا من مكونات تكنو– اجتماعية-نفسية-ثقافية أوجدت نوعا جديدا من التجمعات الفردية –الجماعية، بتشكل كينونة رقمية يحمل فيها المواطن الرقمي خصائص التكنولوجيا الرقمية.

وهذا ما أكده علي محمد رحومة، باسم الإنساسوب، أو الإنسوب أو ما نعته بكائن الفضاء الالكتروني حيث أشار إلى أنه" عبر التاريخ البشري الطويل، وصل الإنسان، أخيرا إلى التمظهر، والتمثل في وسط تكنولوجي اتصالي جديد؛ وسط الاتصال الالكتروني، ليس له من علاقة بأوساطنا التكنولوجية الاتصالية السابقة سوى أنه يجمع بين مختلف أنواعها في آن واحد، ومن ثم يمثلنا في كيانه، برمزية تجريدية جديدة، أصلها هي الأخرى من حياتنا وعقلنا وتفكيرنا المجرد، بصورة عامة؛ ال -نعم-ال -لا- الفتح والغلق، الوصل والفصل: ثنائية الاستمرار والاستقرار؛ أو الواحد والصفر(علي محمد رحومة، 2008، ص22).

هذا وأضاف نفس الكاتب إلى أن الإنسوب " مركب مبرمج آليا؛ في حالة من التواري والتماهي، والتمظهر أيضا، في بنيته الخاصة من الأرقام الثنائية الآحاد والاصفار، وبالتالي، أصبح التمثل الرقمي هو الشيفرة الجديدة لنا، للوصل والاتصال، ومن ثم التفاعل والتحول من حال إلى حال في فضاءات شبكات الحواسيب" (علي محمد رحومة، 2008، ص23).

في موقع آخر أشار عبد الله حسين متولي، إلى أن " ظهور الحياة الثانية كعلم تخيلي ثلاثي الأبعاد على الخط المباشر عبر شبكة الانترنت، يوفر لقاطنيه بيئة انغمازية يمكنهم التفاعل داخلها بحرية، كما يستطيعون من خلال معادليهم الرقميين أو اللأفاطار Avatrs بناء نماذج لأشياء مختلفة وإجراء تطبيقات متنوعة فضلا عن ممارسة العديد من الأنشطة والأعمال"(حسين متولي، 2006).

إذن الإنسان في العالم الافتراضي كمكون أساسي، يتشكل ضمن بنية رقمية شديدة التعقيد، ينسج في الأخير عقلا أداتيا، ومكونا له من الخصوصية التي تختلف عن المجتمع المحلي، هذا المكون هو الإنسان المرقمن بما يحمله من شخصية مركبة ''إذ في ظل هذا الواقع الجديد لعصر المعلومات فقد أصبح الإنسان يحمل مدلولين: حقيقي وافتراضي، ويعيش بين جغرافيتين: قريبة وبعيدة، وينتمي إلى وطنيين: وطن محلي ووطن عالمي. لقد فرض علينا الفضاء السايبيري أو الفضاء الرقمي نوعا جديدا من المواطن، شكلا ومضمونا، خلافا لما نعرفه عن المواطن المنتمي إلى حدود ضيقة وثقافة محدودة، لقد انتقلت ممارسات الفرد وظواهره من الإطار الإنساني المتوقع إلى الإطار الافتراضي المتوسع، ومن التمثل الطبيعي- الإنساني الى التمثل الآلي والرقمي والرمزي(نديم منصوري، 2014، ص79-80).

4. مواصفات الهوية الافتراضية او الكينونة المرقمنة:

1.4 جدل الإيجاب والسلب: تضمن الطرح السابق الإشارة إلى أن الهوية عبارة عن بطاقة تعريف أو شيفرة تميز الفرد عن الأغيار، هذه الرمزية التي تطبع وتؤثر في الأشخاص تصورا وتمثلا في العلاقة بالذات وبالآخرين، وبالرؤية للمُعاش، وللأشياء والعوالم، لأنها ببساطة وعاء لنسق من المعاني.

في ظل النظرة المادية للكون والحياة، للأصل والمآل، أصبح التشيء صبغة ملازمة للتصور، والقيم المادية ملازمة للعوالم المحيطة بالإنسان، تلون حياته وتجري على وعيه مجرى التابع للمستقل.

لازم التمركز حول الإنسان في مقولات الحداثة اعتبار الإنسان كيانا ماديا بامتياز، تبعا لدواع تمخضت عن حالة السيرورة والصيرورة المتشكلة ضمن السياق الاجتماعي، وكان لهذا التصور نتاجات انعكست على عالم الأفكار والأشياء، وحتى استعمال الإنسان ضمنيا لتحمل هذه الرؤية التي جسدت طبيعانية التصور، وإفراغ الإنسان من محتواه المعياري والقيمي، والارتباط بالمقدس والغيب، هذه الانبثاقات أتت متوالية بشكل متسارع أفضت إليه الثورة الفكرية، العلمية والتكنولوجية التي تمددت في مكوناتها، وغطت بظلالها مساحات المعنى والمبنى، وفي المقابل أعادت صياغة التساؤلات من جديد بمآلات لم تكن في الحسبان تارة، أو كانت ضمن انحرافية عن المقاصد المسطورة، أم كانت مرغوبة لمعاودة تقييمها.

ومن ضمن تلك المكونات الفضاء السايبيري هذا النتاج المهول الذي أعاد تشكيل السؤال، بأسئلة–حين- وأخرى مُحلقة، تبعث على الانتباه لأشكال وتشكلات أخرى، وأدلها الهوية الافتراضية في مقابل الهوية الاجتماعية الواقعية أو المحلية، أي الأنا الافتراضي في مقابل الأنا الاجتماعي.

الفضاء السايبيري حامل ثقافي بامتياز، حيث تدرج ضمنه إعادة تشكيل الإنسان، الفضاءات والمجالات، القيم، المعاني والتصورات، وهذا لأن المتأمل فيه يجد سيلا متدفقا من مكونات الهوية عموما، لغوية رمزية دينية، ثقافية، اقتصادية بنوع من الرمز، وجاذبية الصورة.

كينونة الحياة الرقمية مثلها مثل –العوالم الموازية- لها مكونات حمولتها وعناصرها المنبثقة في سياقها؛ حيث تمثل عالما شديد التعقيد كما تمت الإشارة إليه من طرف كاستلز إذ هي "مؤلفة من ثقافات كثيرة، وقيم كثيرة، ومشاريع تتقاطع في عقول مشاركي الشبكات المختلفين، وتملي استراتيجياتهم، متغيرة بسرعة إنها افتراضية متعددة الوجوه، ليست من نسج الخيال بل قوة مادية تملي وتفرض قرارات اقتصادية مهمة في كل لحظة من حياة الشبكة، ...المشروع الشبكي يعلم العيش ضمن هذه الثقافة الافتراضية، وكل محاولة لبلورة الموقف على الشبكة كشيفرة ثقافية في زمان ومكان محددين تحكم على الشبكة بالتقادم، إذ تغدو أصلب من أن تلاءم هندسة المعلوماتية المتغيرة(دارن باررني، 2015، ص47).

إذن المجتمعات الافتراضية ليست حالة محايدة أو مفرغة بل تتشكل ضمن شيفرات وانسيابات معنى، تخاطب الهوية بشكل مباشر، وضمنيا يمكن التساؤل هل وجود المجتمع الافتراضي، ينعكس على المواطن الافتراضي؟، وبالتالي على هويته؟ أم أن الأمر لا يعدو إلا حالة تفاعل تحقق ما يحققه المجتمع الواقعي؟.

في هذا السياق نجد رأيين؛ *الرأي الأول* يرى في العالم الافتراضي فرضة للتفاعل، تجعل الإنسان أكثر انفتاحا واكتسابا للمعلومة، وتشكيل هويته وشخصيته، حيث يدعمون رأيهم بأن"المجتمعات الافتراضية تفسح المجال للفرد بأن يضع هويته محل استكشاف وتجريب، أي بإمكانه أن يقدم نفسه كما يشاء وعلى النحو الذي يريده وهو السلوك الذي قد يتعذر عليه في المجتمع الواقعي، حتى أن بعض العلماء أطلقوا على العوالم الافتراضية اسم" ورشات الهوية Identity Work أين يستطيع الفرد اكتشاف إمكاناته وقدراته المختلفة(مسعودة بايوسف، 2011، ص393).

وهناك من يدلل على المعنى السابق بالآثار المترتبة على الحياة الاجتماعية من خلال الواقع الافتراضي، حيث أشاروا إلى أن ‘‘عالم على الخط يطرح أشكالا جديدة من العلاقات الالكترونية التي تترك آثارها الكبيرة على التفاعل الإنساني الوجاهي، سواء من ناحية تعميقه، أو تقليصه. وبموجب هذا المنظور، فإن الانترنت تثري التواصل الإنساني بين الأفراد والجماعات والمؤسسات المتباعدة مكانيا، وتؤدي الى تعزيز العلاقات الشخصية الكثيفة، وتوسيع الشبكات الاجتماعية "(أنتوني غيدنز، 2005، ص526).

الرأي الثاني: تحدث بالعكس حيث أشار إلى أن للتواصل الالكتروني آثارا سلبية ويدللون على أن: التركيز على أسلوب التفاعل هذا يزيد العزلة الاجتماعية والتجزئة والتفكك في نسيج الحياة الاجتماعية، ويرى هؤلاء أن الانترنت قد اقتحمت الحياة العائلية بحيث قللت من فرص التفاعل والتواصل داخل الأسرة الواحدة "(أنتوني غيدنز،2005، ص526).

من هنا يتضح أن الحديث عن الهوية ستتخذ بعدين أساسيين يصبه البعض في إطار مزاحمة الافتراضي للاجتماعي تارة، وطورا في تكاملية الرقمي بالاجتماعي، وما بين الطرحين يبقى البحث في الهوية ضربا من المغامرة المستساغة معرفيا، لما تمكننا منه التشريحات للبحث في المكونات والمآلات لتشخيص الواقع الاجتماعي ولو انتقلنا ضمنيا من الواقع الافتراضي.

"إذ في عالم تدفقات الثروة، السلطة والصور العالمية يصبح البحث عن الهوية، فردية كانت أم جماعية، مسندة أم مكتسبة، المصدر الأساس للمعنى الاجتماعي، تصبح الهوية المصدر الأساس، وأحيانا الوحيد، للمعنى في فترة تاريخية تتسم بتدمير شامل للمنظمات، وبنزع شامل لشرعية المؤسسات، واندثار أهم الحركات الاجتماعية والتعبيرات الثقافية سريعة الزوال. وما عاد الناس يؤسسون المعنى استنادا إلى ما يفعلونه، بل اعتمادا على ما هم عليه، أو ما يظنون أنهم عليه... مجتمعاتنا تتخذ على نحو متزايد بنية قائمة على تقابل ثنائي بين الشبكة والذات’’ (دارن بارني، 2005، ص180- 181).

من هنا يتضح أن الهوية تدخلت ضمنها تشكيلات متعددة أدرجت في سياقها وتشكيل مكوناتها من الدين، اللغة، الرموز، التعبيرات والقيم...على غرار ذلك يمكن تلمس مواصفات الهوية الرقمية بما يلي:

2.4 مواصفات الهوية الرقمية: سبقت الإشارة إلى مفهوم الهوية، وبعبارة أوضح" هي الشخصية التي يتميز بها فرد ما عن أفراد آخرين، وتعتبر كينونة مستمرة. وهي في صورتها المركبة مجموعة من المواصفات الفردية المميزة للأفراد بعضهم عن بعض، وأيضا الجماعات والمجتمعات بعضها عن بعض"(محمد علي رحومة، 2008، ص134).

1.2.4 الصورة النمطية، وتشكيل الهوية، الهندسة السيميائية: من طرح الخصائص السابقة للمجتمعات الافتراضية، نجد أن تلك الفضاءات أصبحت بوتقة صهر سيميائي واضح يجول فيه الرمز المضغوط بشكل لافت من تنوع الصورة، اللون، والإيحاء، إذ ضمن الوافدات الرمزية تظهر الأيقونات، والعلامات، مصاحبة للرقمنة بل هي الحامل لها لما لها من عملية جذب وإغراء، في صيغ من الطباعة والصك الإرادي لتحميل المادي بالمعنوي، المتأمل في تلك الفضاءات الرقمية يجد زخما من التصميمات الأيقونة التي تبعث على التأمل، حيث أن اختلاف اللون، الوحدات، الشكل، المحتوى، تزاوج اللغة بالرمز ، الأرقام، الرسوم دقة التركيب التنوع اللامحدود بعبارة أدق فيضان أو سيل من الرمزية المتنوع.

هذا التنوع يخاطب مختلف الحاجات، فتجمع في الرمز حمولة ثقافية، تخاطب الحواس والوجدان وتجعل المنخرط في الفضاء الرقمي يتبنى صورة نمطية، هذه الصورة ليست مفرغة من المعنى بل وعاء له، حتى أن البعض يرى أن ثقافة الصورة خليط من التصنع والتنوع النمطي وعدم التجانس الذي يؤدي الى فقدان الدلالة وموت الموضوع.

في هذا السياق يؤكد بودريار، في نظريته الموسومة بالسلعنة، أن ''التناول النشط للرموز، حيث يجتمع الرمز والسلعة معا من أجل إيجاد العلامة المميزة للسلعة، وتصبح الرموز كعلامات مميزة للسلعة، قادرة على عمل الدعاية المتحررة من الموضوع(مايك فيزرستون، 2010، ص11).

الحياة الرقمية إذن حبكة مقصودة مفتوحة النهايات تجعل تعدد الثقافات أمرا لازما لا غنى عنه بمؤشرات إشارية تنعكس على التبني ومواصفات الهوية المتشكلة من بعد، والنافذ لمواصفات الهوية من المفترض أن يمر بخط اضطراري وهو خط متعلق بالكشف عن أبعاد تلك الصور النمطية، لمحاولة الكشف عن خباياها، ورصد مكوناتها، وترصد حلها وترحالها، فهي مكون مركب سيوسيو-ثقافي وتاريخي، يحتاج إلى مقاربات عدة ومنها المقاربة السيميولوجية التي تسعى الى تفكيك الروابط والوقوف وراء الرمز. لما لهذا الأخير من قدرة على إعادة تشكيل المكونات الهوياتية.

ومع ذلك الحديث عن النمطية بسيط مقارنة مع تفكيكها، إذ لا يمكن القول بوجود نمط، بل أنماط وبلا قواعد توجه اختيارات كل فرد يمكن أن تكون أي فرد، فالتمسك بقواعد النمط أصبح معتدى عليها، فهناك حرب ضد التوحد والنظامية؛ ذلك أننا نتحرك نحو ثقافة ما بعد التحديث؛ ثقافة الاستهلاك المؤسسة على وفرة الصور، و المعلومات، والتي لا يمكن أن تكون ثابتة أو مرتبة ترتيبا هرميا في نسق اجتماعي ثابت؛ لذلك تكون نهاية الاجتماعي كلية موضوع دال خطير في رأي فيزرستون(مايك فيزرستون، 2010، ص11).

إذ عبر الحيز الالكتروني اللامتناهي تحول الناس، إلى مجموعة من النصوص والصور والأصوات والوثائق والرسائل الوافدة، المتعددة التي خرقت الهوية وولدت تهاويا بين المحلي والعالمي.

2.2.4 لازمانية ولامكانية الهوية: حين نتحدث عن الرقمنة نتحدث عن حالة منفصلة عن المكان والزمان، مع أنه قد يتفق في عدم وجود المكان، -على خلاف المجتمعات المحلية- ولكن الزمن، اليقين في عدم وجوده مستبعد، "إذ عادة ما يعيش البشر الزمن بوصفه حلقات أو دوريات عضوية معاودة مثل حركات الجسم الايقاعية، واختلاف الليل والنهار، والمواسم، وبمعدلات محددة بحسب الموقع، كما يعيشون تجربة المكان باعتباره امتدادا لبيئاتهم المنتظمة، وللمسافة التي يمكنهم السفر فيها والتواصل عبرها ورؤيتها، وهاتان التجربتان، مجتمعتان تثيران الشعور بالمواضيع، يموقع تنظيم نشاطات الجماعات البشرية المشتركة وينسقها"(دارن بارني، 2015، ص 42).

الإيقاع الطبيعي الذي ميز الزمن أخذ يتبدل والشعور والوعي به أصبح مذبذبا، وضمن هذا السياق عبرت سينثيال نيغري في كتابها وقت العمل؛ عن الزمن في العالم الرقمي بالكوخ الالكتروني، حيث: "تشجع التقنيات الالكترونية حاليا على تبني أنظمة وقت عمل مرنة، وقد غيرت التطورات التي طرأت على تقنيات المعلومات والاتصالات الكيفية التي نعمل بها ومكان العمل، ويمثل موقع العمل الالكتروني مفارقة، فهو مصدر للمرونة وللإفراط في العمل في آن معا"(سينثيال نيغري،2017، ص273-274).

ضمن السياق نفسه أشار عدد من الكتاب والباحثين إلى فكرة تحرر الزمن من المكان، أو تفريغ الزمن، إذ " يطور جيدنز مناقشته بتدبر التضمينات التي يحتوي عليها –تفريغ الزمن-بالنسبة إلى -تفريغ المكان، وهنا تكمن قوة حجته فيما يتعلق بالعولمة في أقوى مستوى لها. ويشير مصطلح الفضاء الفارغ الى فصل الفضاء عن المكان، وهو ما يصير ممكنا بفضل الحساب المجرد للوقت"(جون توملينسون، 2008، ص74).

في نفس المتن، يشير انتوني غيدنز إلى أن " الحداثة تنتزع الفضاء من المكان، وذلك لأنها أتاحت بل في الواقع عززت العلاقات عن بعد بين أناس لا يوحد بينهم الحضور وجها لوجه في ناحية ما" (جون توملينسون، 2008، ص75).

من هنا أصبح التسليم بربط الهوية بالمكان المحلي والزمن ضربا من المغالطة ضمن سياق الفضاءات الرقمية، إذ مع أن الظاهر أن هذه الفضاءات تقام ضمن الزمن إلا أنها منفصلة عن الزمن المحلي، ومع أنها تتصل بالاتصالات المباشرة أحيانا الى أن غياب التزامنية وارد فيها، حيث يجد مفهوم مجتمع الانترنت، حيويته المطلقة في الفضاء السايبري، وقد بلور دانيال بيل، شيئا من المفهوم السايبري مصاحبا لعبارته- من الأمكنة إلى الشبكة، بمعنى تلاشي الأمكنة عبر الأزمنة الاتصال الشبكي السريع الذي يكاد يلغى فيه المكان تماما(علي محمد رحومة، 2008، ص124)، ومن هنا تشكل الهوية ضمن فضاء مفرغ من الزمن والمكان يجعل الهوية مهتزة، غير متزنة ولا ثابتة تتصل بسيولة الزمن ومكوناته المتجددة بتسارع كل مرة.

3.2.4 الرأسمال الاجتماعي الافتراضي: من المعروف أن المجتمعات المحلية تسهم في إقامة شبكة علاقات اجتماعية متنوعة، تتدخل في إتمامها مكونات الهوية والبنى التقليدية، كالدين والأبنية القرابية، والاجتماعية المختلفة.

ضمن الفضاء السايبري توصيف المجتمع الافتراضي لا يتحدد كما سبق الطرح بالبنى المتصلة بالمكان ولا بمكونات المجتمعات المحلية، وإنما بسياق غير محدود النهايات، تتكشف ضمن صياغته، أبعاد مختلفة عن سياق الطرح في المجتمعات المحلية، من حيث الطبيعة والكيفية والمآل.

إن التشكلات الاجتماعية عادة ما تنسج رأسمالات اجتماعية، هذه الأخيرة التي تعد نتاج أو محصلة للعلاقات المتينة المستمرة، ويعرف بيار بورديو يرى الرأسمال الاجتماعي على أنه "الوصول بالفرد والجماعة لشبكة من العلاقات الاجتماعية، تدعم وتفعل العلاقات الاجتماعية والمؤسسية المتفق عليها والمعترف بها مجتمعيا، إن الرأسمال الاجتماعي تجمعات الناس في رأسمال اجتماعي تنظيمي لمنحهم الفرص لتوظيف قدراتهم ولتوجيه نوعية المنتج والعائد''(طلعت مصطفى السروج، 2009، ص19)، إن الحديث عن الرأسمال الاجتماعي في الواقع أمر بسيط مقارنة مع المجتمعات الافتراضية، إذ أن الرأسمال الاجتماعي في الأول يستتبعه رصيد من العلاقات والرموز التي تعبر عن انتماء الفرد في شبكات اجتماعية وتعكس انخراطا مكثفا وذيوع قيم كامنة، وتشكيل وعي جماعي، تحدده قيم واضحة ومعايير متفق عليها. إن أولى السمات الظاهرة للتفاعلات الافتراضية، هي افتراضيتها نفسها، فالعلاقة بين الطرفين ليست علاقة إنسانية كما في المجتمع الواقعي، بل مفترضة أي متفاعلة بين انسان وانسان عبر وسيط

آلي وبشكل غير مباشر. وقد طرح غاري كروغ أن " ابتكار الواقع الافتراضي وعوالمه الالكترونية أدى الى تفكيك العلاقات الفيزيائية بين الأفراد، ويقصد بذلك أن تفاعلات الواقع الافتراضي التي تتم في إطار الأنترنت أثرت بدورها في تفكيك العلاقات التي تقوم على أساس الوجه بالوجه، هذا ما قد يؤدي إلى اختلاط الواقع بالافتراضي(نديم منصوري، 2014، ص23).

في المجتمعات الافتراضية تشكل الوعي الجماعي، مقترن بصفة التأقيت لا التأبيد، إذ التواصل بين الفرد والجماعات يتم ضمن وسيط الكتروني، تتم فيه المشاركة الالكترونية، بشيء من التقمص ـ كما سنراه لاحقا- وأيضا يتبادر ضمنه توصيف العلاقات على نطاق التأقيت لا التأبيد، نظرا لصفة الانتماء المؤقتة القابلة للرفض أو القبول أو الانسحاب بزر رقمي وأيضا للتغير المستمر والمتسارع في بنية تلك المجتمعات، إضافة إلى أنه قد تمت الإشارة إلى أن الإشكالية في هذا الباب تتضمن، حدين البعض يراها إيجابية لما لها من امتداد للعالم الواقعي، فتمتن العلاقات، وتثري التواصل وتؤدي إلى تعزيز العلاقات، وتوسيع الشبكات الاجتماعية، وتترك أثرها على التفاعل الإنساني الوجاهي، أما البعض الآخر يرى أن هذا النمط من التواصل يؤدي إلى زيادة العزلة الاجتماعية والتجزئة، والتفكك في نسيج الحياة الاجتماعية، أين زاحمت الجلسات الالكترونية المجالس العائلية.

كل ذلك ينعكس مباشرة على مقومات ومشارب الهوية، إذ تزاحم الذات الافتراضية الذات الاجتماعية، وقد يقع صراع تكون مقوماته، مكونات الهوية، إذ" يشارك المواطنون الافتراضيون بعضهم البعض الحياة الرقمية المشتركة بهدف التسلية، او التعارف أو ربما المتعة...وهناك تنوع كبير في هذه المجتمعات لدرجة أننا لا نصادف أي مجال اجتماعي أو ثقافي أو ديني أو اقتصادي او تعليمي أو ترفيهي..إلا ونجده بين المجتمعات الافتراضية(نديم منصوري، 2014، ص87).

هذا التنوع يفتح آفاقا للامتزاج ضمن العلاقات الأنترنيتية، بوصفها إندماجات اجتماعية آلية. ويفتح الباب واسعا أمام القطيعة مع البنى التقليدية في حالة من إذابة الخصوصيات، وصراع الواعي بالافتراضي." الكثافة الاجتماعية المتكونة من التداخل العلائقي الشخصي لبني الإنسان، أصبحت تستبدل بالانتقال الاجتماعي للكثافة الاتصالية، وهذا بصورة ما هو مجتمع الانترنت، على رغم غموضه التفسيري فإنه مستوى عال من الانصهار الاجتماعي في المجال الوسطي الرقمي، وبعبارة أخرى الثقافة الاصطناعية الرقمية التي تجسد الكيان التكنولوجي الاجتماعي لمفهوم مكلوهان -القرية الكونية(محمد علي رحومة، 2008، ص124)، إذن المجتمع الافتراضي عمل على إنشاء علاقات اجتماعية ناتجة عن التفاعل التكنولوجي العالمي بتوحيد التكنولوجيا -الآلة-مع الفرد الطبيعي الإنسان ضمن منظومة اصطناعية أخذت طابع المجتمع الحقيقي، أي ضمن منظومة تكنو – اجتماعية، معقدة.

4.2.4 الذات الوهمية: التمقص والاخفياء: ليس كل من ينتمي للمجتمعات الافتراضية أشخاص حقيقيون، إذ كما يؤكده الواقع، ليس كل منخرط في الفضاء الافتراضي، إنسان معروف من الواقع، إذ" الهويات الإنسانية والآلية أو البشرية الآلية –الأناسيب- تتمثل في رزم غير محدودة من البيتات، وهي جميعا رموز للخصائص والمواصفات والأفكار والمعلومات والتفاعل الاجتماعي والتعابير والمشاعر والاتجاهات بأنواعها. ويأخذ التفاعل بين الهويات الرقمية شكله بصورة طبيعية حسب ما توفره ظروف البيئة التكنولوجية المتاحة، بيئة الاتصال ...وفي كل الأحوال هناك التمثل أو -التمسرح- بإظهار الأدوار الشخصية للهويات المختلفة في الفضاء الافتراضي الالكتروني. وبخاصة في وسائط اتصالية معينة تظهر فسحة أكثر للتمثل والتمسرح الرقمي، مثل غرف الدردشة" (محمد علي رحومة، 2008، ص157).

إن الانخراط في الفضاء الافتراضي مع أنه يتصل بمطالب محددة كالاسم، السن والجنسية، وغيرها من مؤلفات الهوية، إلا أن التحايل في هذا الفضاء وارد، ضمن انتحال شخصيات متعددة

في آن واحد، تنتمي إلى فضاءات متعددة، تصطنع لنفسها هوية وهمية، كشخصيات، تؤلف وتنشر، وتطلع، وتناقش، وتحادث هذه الشخصيات" قد يصل بها الأمر إلى تفكيك الهوية الشخصية، فكثير ممن يرتادونها لهم أسماء مستعارة ووجوه ليست وجوههم، وبعضهم له أكثر من حساب بأكثر من هوية وفق غاياته، فهويته مع زملاء العمل وأخرى مع الأصدقاء وهويات أخرى لأغراض أخرى مما يؤثر على الهوية الوطنية و القومية(نعيمة رحماني، زينب دهيمي، 2014، ص375.)

وللأشخاص الأخفياء أغراض ومآرب من التخفي، إذ" يستطيع المستخدم أن يبتكر شخصية الكترونية افتراضية يستخدمها في مجتمعه الافتراضي من خلال تقمص هوية خفية أو اسم مستعار في غرف الدردشة التي قد تكون ذات مضمون سياسي أو علمي أو رياضي أو جنسي...تسمح ميزة الهوية الخفية في المجتمع الافتراضي في التعبير عن النفس بصورة أكبر، تبعده عن التقيد بالقواعد الروتينية التي يفرضها المجتمع الواقعي، وتساعد الفرد في لعب أدوار مختلفة قد يعجز عن تحقيقها في حياته اليومية الاعتيادية، فتأتي التفاعلات الافتراضية حرة، صريحة، تبرز ما يريده الفرد بغض النظر عن المضمون وقيمته(نديم منصوري، 2014، ص25).

لم يعد التقمص في الأوصاف فقط بل حتى في المشاعر، الفكر والرؤية، والتي تنسج في الأخير ازدواجية في القيم والمعايير، إن مزاحمة العالم الافتراضي للواقعي ينطبق ضمن، صراع الذات الاجتماعية بالذات الرقمية، حيث حين يتضمن الواقع حدودا ومعايير ضمن الشرع والعرف، يتنصل البعض من ذلك الواقع، للافتراض تحقيقا لحريات أكبر، وافساحا للتعبير عن أغوار الذات المكبوتة أقنعة رقمية، فتثبط العناصر المعيارية للأنا الاجتماعي، وتصبح الهوية الحقيقية عرضة للتمرد.

حيث يفسر كثير من الباحثين حركة الفضاء السايبري، كرد فعل لمؤثرات واستجابات خارجية عن الفضاء السايبري، تقول ريد Reid؛ إن الفضاء السايبري يستخدم كملعب للذات، ويقول هامن Humman إنه شكل جديد من المغامرة الذاتية النوعية، او ضغط للذات المعطوبة لما بعد الحداثة، كما تقول تيركل Turkle إن الفضاء السايبري لمثل هؤلاء الباحثين ليس حقيقة بنفسها، أحرى من كونها مضافة إلى أو نتيجة لحياة عادية حقيقية"(محمد علي رحومة، 2008، ص130).

إن التقمص واستخدام الأقنعة الوهمية، الصورة والاسم والتوجه، يجعل الذات الاجتماعية عرضة للفصام الاجتماعي، إذ تتلون بتلون المواقع ومتطلبات الطرح، فلا تمكث على رأي واحد ولا رؤية ثابتة، نتيجة التلبس ضمن ذوات وهمية.

5.2.4 الهوية المغتربة والقلق الهوياتي: إن ما تم عرضه في السابق يفتح المجال واسعا أمام قلق هوياتي، والشعور باللاأمن، إذ الانتماء لجماعات صفتها التأقيت تنهي العلاقة بزر رقمي، لا يضمن ضمنها انتماء ولا ثبات مكان، يجعل الإنسان يعايش اضطرابا وقلقا دائمين، إذ التقمص والأقنعة الافتراضية تترجم شخصيات لا تنتمي للواقع، صحيح أن الشخصيات المنتمية للواقع تجعل الفضاءات الافتراضية امتدادا متمما للواقع، لكن إن كانت ضمن تقمصات ستؤول الضرورة إلى تصنع جماعات افتراضية، وهي ما ترجمت على أنها ‘‘الجماعات الخيائلية: والشعور الافتراضي بالانتماء، إذ ترجمت كلمة virtuel إلى كلمة خيائلي"(نديم منصوري ، 2014، ص24).

الجماعات الخيائلية هي أيضا الجماعات الاصطناعية التي تترجم حالة من التأقيت في العلاقة وعدم الديمومة والاستمرارية. القلق الهوياتي أيضا يتضمن التوتر الدائم القائم بين الواقعي والافتراضي وجدل الاكتساب بين الاثنين.

المحكات السابقة تسهم كل مرة في تشكيل صعوبة أخرى وهي الهوية المغتربة، إذ" الهوية في الحقيقة اسم فذ في نظام ما، وبالتالي من المفيد للشخص امتلاك هوية مفردة في إطار مفرد. مثلا طالب جامعة، وفي الوقت نفسه، هو موظف من موظفيها، إذن لديه خاصية كونه طالبا، وأيضا خاصية كونه موظفا طالب؛ موظف، أي هو شخص واحد وليس شخصين، وعلى هذا فإن منظور الإطار الذي ينتمي إليه الأفراد والجماعات مهم جدا في تحديد الهويات بحسب الخواص، الأسماء، وكما لكل فرد خواصه، كذلك لكل جماعة خواصها. ولكل مجتمع خواصه، ولكل شعب خواصه، وأمة خواصها، إنه الإطار الذي يمنحنا خواص الانتماء، ابتداء من الإطار الذاتي – خواص الذات، وانتهاء بالإطار الكوني الإنساني، ولذلك نجد من له شخصية أو هوية كونية تتمثل بصورة أوضح عن طريق الانترنت"(محمد علي رحومة، 2008، ص134).

من أصعب مظاهر الاغتراب في العالم الافتراضي هو النفاذية في الخصوصيات، وعملية التعرية الواضحة للذوات والبيوت، إذ''سيبقى هناك محذور مركزي، ستؤدي ثورة البيانات الى تجريد المواطنين من الكثير من السيطرة على معلوماتهم الشخصية في الفضاء الافتراضي، مما ستكون له آثار لا يستهان بها على العالم المادي"(أريك شميث، 2013، ص39).

إن تطور التكنولوجيا صحيح أنها ستوفر للإنسان العديد من الميزات، خاصة تقليص مسافات التنقل والسعي، ولكن أيضا تصبح بعد حين محتوية للإنسان في حين كان يحتويها، فتمارس عليه نوعا من الازاحة، إن الانغماس في العالم الافتراضي يستطيع أن يكون سببا مباشرا في اغتراب آخر، إذ يصنع العالم الافتراضي حالة من الانفصال بين الذات الحقيقية والوهمية، وعدم القدرة على التواصل، في العالم الواقعي كما سبقت الإشارة إليه بالانغلاق على الشخصية الافتراضية والوهمية.

في الأخير يتجسد ضمن الاغتراب والقلق الهوياتي، القلق القيمي والمعياري، الذي ينم عن ازدواجيات تتضمن معاني وتمثلات رقمية، ولغوية ليست من الواقع المحلي، وحمولة قيمية تترجم معاني قد يفتقدها العالم الواقعي منها الحرية، الفردانية، وتعميق الخصوصيات ضمن المراوحة بين النطاقين الواقعي والافتراضي، إذ ''أن المجتمع الشبكي يبدي توترا عميقا بين اللامكانية المجردة التي يتسم بها التوسط والرغبة العنيدة لدى بني البشر في أن يغرسوا حيواتهم في أمكنة محددة. وهذا التوتر غير الحلول، والذي هو نتيجة قطيعة بين التقانة المعولمة والهوية المحلية، يؤكد حالة اغتراب وصفه كاستلز بأنها صراع بين الشبكة والذات وهذا الصراع هو السبب الذي يبعث على عديد من العداوات الاجتماعية والسياسية داخل المجتمع الشبكي"(دارن بارني،2015، ص46).

مما سبق طرحه يتبين أن الفضاء السايبري له القدرة على إعادة تشكيل الهوية وتقويض مفهوم المجتمعات المحلية، وأيضا مقولات المكان والزمان إذ " إن هذا الفضاء أتاح للإنسان إطارا كبيرا واسعا يحوي أطرا فرعية كثيرة. فهناك الإطار الذاتي للشخصية، وهناك إطار الجماعة أو المجتمع الافتراضي الذي ينتمي اليه كذلك هناك الإطار الثقافي الطبيعي الذي ينطلق منه الفرد الافتراضي الى جانب الإطار الاوسع الكوني الجديد، الذي يمكن للفرد الافتراضي أن يتحرر من خلاله، وينطلق بكل إمكاناته وطاقاته التمثلية الرقمية، ولكل من هذه الأطر المذكورة خواص تحدد هوية ما للفرد الافتراضي. فضلا عن أن أيا من هذه الأطر يمكن تزييفها وتغييرها من قبل الفرد نفسه، أو من قبل اختراق خارجي عن إرادة الفرد المعني"(محمد علي رحومة، 2008، ص136)، كل ذلك يستدعي خطوات لاستعادة السيطرة على خصوصياتنا وقيمنا.

خاتمة:

إشكالية الهوية، إشكالية متعددة الأبعاد والعناصر المكونة التي تطرح امتدادا مقارباتيا، بين علوم شتى تطمح في الأخير لتحديد هوية الهوية، وماهيتها، وهي في سياق المجتمع الواحد بكل

مكوناته تعبر عن الوعاء التاريخي والقيمي والوجداني، الذي يعبر عن انتماء إلى الهو، في ظل من تراكب خصوصية الخصوصية بالعموميات، في تناولات واقترابات بين موسع ومضيق في امتداد مجال الخصوصية والعمومية في السياق الاجتماعي الواحد.هذا إن كان الانغلاق باديا في التحليل في إطار المجتمع المغلق، فما بالك إن كان التصور اليوم يبعث عن تداول مطارحة الهوية في المجتمعات ضمن الأنساق المنفتحة في شبكات بدايتها جغرافية، وآنها رقمي، تبعث تشكيل العالم في كونيته ضمن إطار من محدودية جغرافية شفافة.

وضمن سياق الهوية، تطرح مقابسات أخرى حول زاوية تحليل تظهر في البداية كجزئية، وهي الهوية الافتراضية ولكنها ضمنا وتصريحا تعد مركزا لالتفاف الهويات، وإن كان من الصعب اجتثاث، أي مكون من مكونات الهوية، فهي مركب متوالد ونسقي. يربط الحاضر بالماضي والمستقبل في تشكل دائم وحركية متواصلة.

وضمن التلاقي مع الآخر تطرح أدوات تركيبية لذلك التوالد، كآليات اشتغال لمركب الهوية، فتأخذ في سياق الوحدة عديدا من المفاهيم التداولية، منها الصراع، الحوار، التثاقف، الأصيل، الوافد، القبول والتمازج والممانعة.

ومع ذلك يبقى ولوج الهوية مجردا في خضم عدم البحث عن تجلياتها واقعيا، وإن كان الاقتراب في الدلالة والمعنى أكثر ضرورة لفهم التجلي. ضمن استهداف إعادة تشكيل المجال الثقافي في شكل استيلابي واحتكار للرأسمال الرمزي، والذي يفهم في الظاهر على أنه مادي وبالتالي إعادة تشكيل الهوية ومكوناتها في مقاربة حدها الأول عملية التشظي والتذرير، وحدها الثاني عملية الاستنساخ بجينات ثقافية جديدة تعبر عن هويات دخيلة.

قائمة المراجع:

1. آدم كوبر(2012)، الثقافة التفسير الأنثروبولوجي، ط1، ترجمة صباح صديق الدملوجي. المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان.
2. إريك شميث، جاريد كوين(2013)، العصر الرقمي الجديد، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان.
3. انتوني غيدنز(2005)، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان.
4. بينيت طوني، وآخرون(2005)، مفاتيح اصطلاحية جديدة، ترجمة سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان.
5. ثريا أحمد البدوي(2015)، مستخدم الانترنت، قراءة في نظريات الإعلام الجديد ومناهجه. عالم الكتب، القاهرة، مصر.
6. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، (1982)، لبنا دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان
7. جون توملينسون(2008)، العولمة والثقافة، تجربتنا الاجتماعية عبر الزمان و المكان، مجلة عالم المعرفة، ع 354، المجلس الوطني للثقافة و الفنون، الكويت، الكويت .
8. جون سكوت، مارشال جوردون(2011)، موسوعة علم الاجتماع، ط2 م3، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر.
9. دارن بارني(2015)، المجتمع الشبكي، ترجمة أنور الجمعاوي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر.
10. طلعت مصطفى السروج(2009)، رأس المال الاجتماعي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، مصر.
11. عبد الله حسين متولي(2006)، إشكالية الهوية داخل الحياة الثانية وانعكاساتها على ما تدقمه المكتبات التخيلية من خدمات للمستفيدين، مؤتمر الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات، الدار البيضاء، المغرب، arab-afli.org.

12. علي محمد رحومة(2008)، علم الاجتماع الآلي، مقاربة في علم الاجتماع العربي والاتصال عبر الحاسوب، مجلة عالم المعرفة، ع347، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، الكويت.
13. فتحي التريكي(2010)، الهوية ورهاناتها، الدار المتوسطية للنشر، بيروت، لبنان.
14. الفن جولدنر(2004)، الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربي، ط1، ترجمة وتقديم علي ليلة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر.
15. مايك فيزرستون(2010)، ثقافة الاستهلاك وما بعد الحداثة، ترجمة فريال حسن خليفة، سلسلة العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، مصر.
16. محمد بشير(2007)، الثقافة والتسيير في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، الجزائر العاصمة، الجزائر
17. مسعودة بايوسف(2011)، الهوية الافتراضية، الخصائص والأبعاد دراسة استكشافية على عينة من المشتركين في المجتمعات الافتراضي، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، م3، ع 5، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر.
18. نديم منصوري(2014)، سيسيولوجيا الأنترنت، ط1، منتدى المعارف، منتدى المعارف، بيروت، لبنان.
19. نعيمة رحماني، زينب دهيمي(2014)، الانترنت –العالم الافتراضي-والعنف الرمزي، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، ع11، جامعة بسكرة، الجزائر.
20. نيغري سينثيال(2017)، وقت العمل، الصراع والضبط والتغيير، ترجمة ابتسام خضرا، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، لبنان.
21. هارلمبس وهولبورن(2010)، سوثيولوجيا الثقافة والهوية، ترجمة حاتم حميد محسن، دار كيون للطباعة والنشر، دمشق، سوريا.

دراسة نفسية واجتماعية للهوية داخل الشبكات الاجتماعية نموذج الموقع الاجتماعي الـ"فيسبوك Facebook"

Psychological and social study of identity within social networks- Model Facebook –

أ. خطري العياشي- المغرب

ملخص: تناولت هذه الدراسة الميدانية، موضوع الهوية الافتراضية داخل الشبكات الاجتماعية نموذج "فيسبوك"، وشملت الدراسة عينة من 100 طالب وطالبة، وتم توزيع حوالي 120 استمارة، احتوت على 16 عبارة موزعة على فرضيات البحث. وقد كشفت النتائج أن هناك "هجرة جماعية" نحو الشبكات الاجتماعية، وغدا ال«فيسبوك» ملاذا لشرائح عريضة من المجتمع، كما بين البحث أن هناك حاجات نفسية واجتماعية للإقبال على ال«فيسبوك»، هذا الإقبال الكبير أفرز مجموعة من المشكلات النفسية الاجتماعية، في مقدمتها الزواج "الإنترنيتي" وما يترتب عنه، وعامل الزمن ومسألة تلاشيه، والهوية والخصوصية وما يتعلق بصورة الذات وما طرأ عليها من تغيير، هذا فضلا عن قضية الإدمان على ال«فيسبوك» وما يرافقها من تمظهرات مرتبطة بإهمال الحياة الأسرية، وكذلك العلاقات الاجتماعية، وإهمال التواصل والتفاعلات الواقعية.

الكلمات المفتاحية: الهوية، الهوية الافتراضية، تمثلات الذات.

Abstract:This field study investigates the issue of virtual identity within social networks, Facebook as a case study. 100 (male and female)students -have been taken as a sample- were asked to fill in 120 questionnaire containing 16 term related to the research hypotheses. The findings show that there is a mass migration towards social networks, making of Facebook a haven for large classes of society. the findings also show that there are psychological and social needs that drive people to use Facebook. Thus, many psycological and social problems appear mainly marriage via internet and its consequences , the issue of time and its fading away.In addition, other concerns such as identity , privacy and self esteem and the changes it has undergone. Moreover there is another serious problem which is addiction to Facebook which leads to neglecting family life and social realations as wall as neglecting communication and real life interactions**.**

Keywords: identity, virtual identity, self representation.

مقدمة:

لقد أصبح الـ«فيسبوك» يشكل عالما واقعيا للعالم المادي الذي نعيش فيه. فبفضل الفضاءات الافتراضية للتبادلات الاجتماعية التي أوجدها الإنترنت، أصبح العالم الذي نعيش فيه اليوم يمدد حدوده عن ما هو فيزيائي وما هو مادي ليدمج العالم الرقمي، وهذا العالم الرقمي يضم جميع أنشطة عالمنا الواقعي المعتاد. غير أن هوية الأشياء التي يحتويها والأنشطة التي تتم فيه تسمى افتراضية(محمد عابد الجابري، العولمة والهوية... بين عالمين).

فأمام شاشة الكومبيوتر يدمج الذهن عالما من التمثلات والبناء العقلي، إنها سيرورة الانغماس والتعريف، التي تكون الشخصية الافتراضية avatar هي موجهها الأكثر تجليا ووضوحا، إذ نخلق ذاتا ليست نسخة من الذوات التي يمكن أن نقدمها في الحياة اليومية، لكن بالأحرى هي ذات بمساعدة الحاسوب، إنه الإنسان معدلا بالتكنولوجيا، والذي يعوض جسده بحضوره الافتراضي(علي محمد رحومة، 2008، ص146).

فالتطور التكنولوجي وفر تقنيات وبرمجيات مناسبة تتيح لأفراد المجتمع الرقمي التواصل والتعبير عن مشاعرهم وانفعالاتهم المختلفة، فتجسد بذلك نظام تكنو-اجتماعي من التفاعل البشري-الآلي، فهم يتمثلون وكأنهم في بيئة طبيعية ولكن بوسائل وخصائص إلكترونية فتحت مجالا واسعا لكل الاختلافات الثقافية والعرقية والنوعية والجنسية.

وفي هذا السياق تأتي هذه الدراسة لتناول موضوع بالغ الأهمية في نظرنا، ويتعلق الأمر بالهوية الافتراضية، باعتبارها مجموع تمثلات الفرد لذاته داخل الشبكات الاجتماعية، التي غدت اليوم تتقاطع مع ماهو واقعي، فالكثير من الأفكار(سياسية أو اجتماعية أو فكرية أو اقتصادية أو ثقافية أو فنية) يتم الترويج لها على هذه الشبكات وتترجم فعليا في الواقع، والعكس أيضا، حيث يتم تقاسم الأفكار في الواقع ويتم ترويجها والدعاية لها داخل الشبكات الاجتماعية. لذلك ستكون هذه الدراسة محاولة للاقتراب من موضوع تمثلات الذات لكن داخل العالم الافتراضي، وكذا شكل الهوية التي يتخذها المستخدم في عالم لامتناهي منطقه ثنائية الواحد والصفر "المرقمنة".

ففي المجتمع الافتراضي تعامل الهوية كخصوصية غامضة و كذات واهمة، ويمكن لأي إنسان أن يصبح عضوا في المجتمع الافتراضي في أية لحظة، وينتقل بين الهويات والشخصيات التي يُكَونُ لنفسه بنفسه، فيُنفق مثلا وقتا كونه طالبا يتبع جامعة افتراضية، ويؤدي واجباته التعليمية اليومية، ويشاهد محاضرة حية أو مسجلة، ويقسم اهتمامه الفكري متنقلا بين المواقع والصفحات باحثا عن شيء ما أو ينتقل بين محطات تجارية أو إعلامية..، وبصفة عامة يتيح الإنترنت للإنسان أن يستكشف أبعادا مختلفة في نفسه لم يعرفها من قبل(علي محمد رحومة، 2005، ص304).

ومن القضايا التي تثيرها الهوية الافتراضية، هي قضية تقمص الهويات الأخرى، على سبيل أداء أدوار شخصيات أخرى لأغراض مختلفة، وما قد يحدثه هذا التقمص من مساوئ نفسية واجتماعية، مثل تقمص السن أو الذكورة، والأنوثة، أو المكانة الاجتماعية أو تقمص أدوار شخصيات علمية، واجتماعية وسياسية وغيرها، هذا فضلا عن أن الشبكات الاجتماعية تشكل ملاذا يعرف هجرة غير مسبوقة، فلم نعد نتحدث عن الهجرة إلى الدول المتقدمة وعبور المخاطر والبحار، بل غدونا نتكلم عن هجرة افتراضية هجرة من الواقع الاجتماعي إلى عالم الشبكات الاجتماعية الافتراضية، هذه الهجرة الرقمية التي تعتبر إحدى تمظهرات سيل العولمة الجارف(Aneesh, 2006, p1)، خاصة أن الإحصائيات تشير إلى أن أكثر من ملياري (2 مليار) مستخدم يدخل إلى الشبكات الاجتماعية بشكل يومي وهذا العدد في تضاعف مستمر(إحصائيات شركة الفيس بوك سنة 2017. http://www.france24.com/20170628-).

وتتضمن هذه الدراسة التي ستنكب على استجلاء معالم الهوية الافتراضية باعتبارها مجموع تمثلات الذات التي تتولد من خلال التفاعلات "الإنترنيتية"، حيث تتكون الدراسة من شقين نظري وآخر ميداني، وتنطلق من الأسئلة التالية: ما هي الدوافع التي تفسر الهجرة الجماعية إلى شبكات التواصل الافتراضي؟ وكيف يتمثل الفرد/المستخدم ذاته داخل هذه الشبكات ؟ وما الاثار المترتبة عن الانغماس في العوالم الافتراضية؟

هدف الدراسة:

إن الشبكات الاجتماعية عالم افتراضي تجعل هوية الشخص أكثر مرونة من الهوية الحقيقية متيحة بذلك تغييرات سهلة في العرق والجنس والعمر والخلفية الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والدينية، وتمنح تعريفا أكثر حرية للذات بما في ذلك الحصول على هويات متعددة، وهوية مشتركة ضمن عوالم تفتقر إلى توجيهات محددة للسلوك.

تمكن الهوية الافتراضية مستخدمي الشبكة أو أفراد المجتمع الإلكتروني من تكوين واقع افتراضي خاص بهم، يبحر فيه المستخدم utilisateur بمنتهى الحرية، ويتمثل فيه ذاته بالشكل الذي يريد الآخرين أن يروه منه، ويختار المواطنين الافتراضيين الذين سيعيش ويتقاسم معهم مساحات اللقاء تبعا لرغباته، ويقوم بعمل نشاط هنا، ومناقشة فكرة على "حائطه صفحته الخاصة"، تدوين أفكاره وكتابة ما يحلو له و عمل فيديو و تكوين صداقات أو عداوات، والانضمام إلى " صفحة مجموعة" معينة، الترويج لفكرة يروج لها على الشبكات الاجتماعية وتنفذ على أرض الواقع أو العكس. فعالم الشاشة هو عالم افتراضي، عالم من الرموز. وهو عالم موازٍ يعيش فيه "الأنترنيتي" حياة ثانية من خلال شخصيته الافتراضية، وتمثلاته لذاته(F. Georges , 2007, p15)، وهذا يدفعنا بإلحاح إلى طرح السؤال الآتي وهو: كيف يمكن معاينة المرور من العالم الحقيقي إلى العالم الافتراضي؟

إن المستخدم عند جلوسه أمام شاشة الحاسوب وولوجه إلى العوالم الافتراضية يكون قد عوض جسده بحضوره الافتراضي، فالشاشة هي الواجهة وهي بمثابة الوسيط بين هذين العالمين، وعملية المرور هاته يتم خلالها نقل الصفات الموروثة من عالم الواقع كالانجذاب والنفور والكراهية والمحبة والصدق والكذب والتحايل والتفاخر والميل إلى السيطرة والركون والعدوان والتعاون والمنافسة والغضب والرضا والمرح والانطواء والانبساط إلى العالم الافتراضي(Fanny Georges, ibid, p 15-16.)؛ أي كل المكونات الوجدانية والسلوكية والمعرفية والانتمائية والايديولوجية للشخصية. وتتناسل في ذهن الشخص الافتراضي آلاف الأسئلة التي لا يملك لها أجوبة لذلك يلجأ إلى التمثل، مما يقوي الأفكار النمطية؛ وهذه الأخيرة تحيل على الصور والمعتقدات التي نتمسك بها ونحملها عن الآخرين، أفرادا أو جماعات، وتتكون من مجموعة من السمات أو الخصائص (قد تكون ايجابية أو سلبية) التي تميز جماعات معينة(أحمد زايد، 2006، ص127).

ومن الأمثلة الحية التي يتجسد فيها كل ذلك ال«فيسبوك» إذ يعتبر مجتمعا رقميا بامتياز، ساهم بشكل كبير في بناء عالم افتراضي موازٍ للعالم الحقيقي الذي نعيش فيه، ويتعامل أفراده مع بعضهم البعض دون أن يروا بعضهم وجها لوجه، وأحيانا يحدث تقاطع بين هذا العالم الافتراضي وعالم الواقع عن طريق نشاطات أو مشاريع تنطلق من الإنترنت إلى أرض الواقع، أو تنطلق على أرض الواقع ويروج لها على الشبكات الاجتماعية، إنها الثقافة السايبرية التي تفرز المجتمعات الافتراضية بكل مدلولاتها وواقعيتها، وهذا يطرح الاستفهام حول الهوية والشخصية الافتراضية في "المجتمع الجديد".

وعلى هذا الأساس تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن طبيعة الهوية الافتراضية -باعتبارها مجموع تمثلات الفرد لذاته أثناء إدماجه للهوية الرقمية-، وانعكاس ذلك على سلوك الفرد،

وبالتحديد فيما يخص تمثل الذات وتدبير الزمن وإخفاء الهوية الحقيقية والحاجات النفسية التي تدفع إلى "الهجرة" من العالم الواقعي وتعويضه رقميا من خلال العيش والتفاعل افتراضيا داخل الشبكات الاجتماعية.

فرضيات الدراسة:

إن ما ذكرناه سالفا من هجرة جماعية نحو ال«فيسبوك» ونقل كل الصفات المرتبطة بالشخصية كما هي في الواقع إلى العالم الافتراضي؛ أي إضافة عنصر الافتراضية (الهوية الافتراضية باعتبارها امتداد ومحدد من محددات الهوية النفسية الاجتماعية الواقعية) أثناء المرور من العالم الحقيقي إلى عالم الشاشة، وهو ما وقفنا عنده بالتفصيل آنفا. وتبعا لتلك الأسئلة الإشكالية التي أثرناها سابقا، قمنا بتقعيد الفرضيات التالية:

- نفترض أن هناك دوافع وحاجات نفسية واجتماعية للإقبال الكبير "الهجرة" نحو الشبكات الاجتماعية على الإنترنت.
- نفترض أن هناك دوافع نفسية واجتماعية لإخفاء الهوية الحقيقة أثناء الولوج إلى العوالم الافتراضية.
- نفترض أن الإنترنت –وبالتحديد ال«فيسبوك» كمجتمع افتراضي- يحقق للفرد أن يتمثل ذاته بشكل مثالي.
- نفترض أن الانغماس في عوالم المجتمعات الرقمية له تأثيرات سلبية على سلوك الأفراد.

الإطار النظري

مفهوم الهوية

ورد في معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية أن "الهوية هي عملية تمييز الفرد لنفسه عن غيره؛ أي تحديد حالته الشخصية، ومن السمات التي تميز الأفراد عن بعضهم الإسم والجنسية والسن والحالة العائلية والمهنة، وتنص القوانين عادة على اثبات صفة الفرض بمقتضى بطاقة شخصية، وتساعد هذه البطاقة الفرد في معاملاته المختلفة مع الجهات التي تطالب بإثبات شخصيته".(أحمد زكي بدوي، 1982، ص206).

وعلى العموم تَستعمل مجمل العلوم الإنسانية كلمة "هوية" كحالة من الوعي على أساسها يمكن التمييز فيما بين الأفراد، وكذلك سمات المجموعة التي لها نوع من الخصوصية. وتستخدم هذه الكلمة حسب مختلف الشرائح الاجتماعية(Jean étienne et all, 2004, p 346).

وتستخدم الهوية من طرف المتخصصين في دراسة الاثنيات والمؤرخين، وهي تتطابق في هذا السياق مع كلمة ثقافة، التي تشير إلى هوية جماعية واسعة، إثنية وجهوية ووطنية، أما الأخصائيون النفسيون والنفسيون الاجتماعيون يستعملون كلمة الهوية لدراسة سيرورات فرض الذات ووضعيات التفاعل الاجتماعي التي يبنونها الأفراد .أما الأخصائيون الاجتماعيون فهم مرتبطون بدراسة الهويات الجماعية للمجموعات: الشرائح الاجتماعية، الأجناس، المهن، الأسر... وتتقاطع العلوم الاجتماعية في تناولها لمسألة الهوية. Jean étienne et all, 2004, (p 346).

بالنسبة لمجموع العلوم الاجتماعية، لا تظهر الهوية على أنها مجموعة سمة ثابتة مرتبطة بالفرد والجماعة أو المجتمع. إنها سيرورة معقدة ودينامية، التي تجمع مختلف الأبعاد، حسب "كلود ديبار"Claude Dubar فالهوية تتغير حسب مختلف التجارب التنشئوية المتقاطعة مع الأفراد ومجموعات انتمائهم والوضعيات التي تساهم في تغيير الفرد أو المجموعات يمكن تمييز بعدين متلاحمين للهوية الاجتماعية، هوية ذاتية (من أجل الذات) وهوية من أجل الغير. (Jean étienne et all,2004, 347)

ويرجع الفضل إلى عالم النفس الأمريكي **إريك إركسون** E.Erikson في انتشار إستخدام كلمة "هوية" داخل العلوم الإنسانية وتوسع "شعبيتها" علميا وانتشارها على ضفاف مختلف العلوم. حيث يعرفها هذا الباحث بقوله: "عندما نرغب في تحديد هوية شخص ما، فإننا نسأله عن إسمه وعن مكانته الاجتماعية، إن الهوية الفردية تعني أكثر من ذلك؛ إنها تتضمن إحساسا ذاتيا بالاستمرارية في الوجود وانسجام الخبرات، أما الهوية الجمعية فتتضمن بالإضافة إلى ذلك عناصر أخرى ذاتية وموضوعية، فردية وجماعية، إن الإحساس بالهوية هو إحساس بالمثلية، والاستمرارية في الوجود. وللهوية أربعة جوانب أساسية: (أ- الثقة في النفس، ب- ثبات الخصائص الفردية، ج- اندماج واكتمال الأنا، د- تبني قيم الجماعة وهويتها)(هاشمي علوي مولاي هشام، 1991، ص11).

والهوية هي نتيجة للتفاعل الاجتماعي، وظيفتها إدماج الفرد في الجماعة وإدماج الشخصية في محيطها، وهو ما أكد عليه في كتابه، "طفولة ومجتمع" الذي نشر سنة 1950 وأعيد طبعه سنة 1963، وقد تجاوز نظرية فرويد بعد تأثره بالمدرسة الثقافوية وبالضبط بكل من أبرام كاردينر ومارغريت ميد، بالتأكيد أكثر على دور التفاعلات في تكوين الشخصية. وفي مقابل الإحساس بالهوية يضع "إركسون" "أزمة الهوية" أو إلتباس الهوية، وأزمة الهوية حسب "إركسون" تتطابق مع تحول يقع في مسيرة تطور الهوية، والأزمة الأبرز هي تلك التي تحدث في المراهقة، لكن أيضا يمكن أن تحدث في مرحلة لاحقة من عمر الشخص حين تعرضه لصعوبات خاصة.

وفي سياق المقاربة النفسية-الاجتماعية، فقد تم التعرض لقضية الهوية من خلال إشكالية تفاعل تكاملي، فمن جهة الجوانب الفردية والمكونات النفسية المرتبطة بالشخصية(الذات)، ومن جهة أخرى المتغيرات الاجتماعية المرتبطة تحديدا بالدور الاجتماعي والانتماء إلى جماعة معينة(Gustave –Nicolas Fischer, 2010, p190).

وللهوية عدة معاني حسب المنظور الفلسفي، هوية كيفية identité quantitive وهوية عددية identité numérique، والهوية علاقة منطقية بين شيئين متحدين كالهوية الرياضية، أو المساواة الفردية التي تظل صادقة رغم اختلاف الحروف التي تكونها. وتًطلق الهوية على الشخص، إذا ظل هذا الشخص ذاتا واحدة رغم التغيرات التي تطرأ عليه، في مختلف أوقات وجوده. والهوية الافتراضية في نماذج النظم المعلوماتية الحديثة تقترب شيئا من هذا المنظور(الهوية العددية، والهوية الكيفية)، فالهوية تعني من ضمن ما تعنيه، التفرد وعدم الإشتراك مع الآخر، والخاصية التي بها يتميز الشخص عن الآخرين، ويمكن لهذه الخاصية أن تكون قيمة عددية، أو قيمة صفة مثل اللون والصوت والشكل(موسوعة لالاند الفلسفية، 2001، ص607).

وعموما فالهوية مفهوم علائقي ومركب يتضمن صعوبات في التحديد والرصد تختلف باختلاف الباحثين وتنوع الزوايا التي يتناولونه منها"(المصطفى حدية، 2004، ص112-113)، وفي علم النفس بشكل عام وتحديدا في علم النفس الاجتماعي ينظر الى الهوية من زاوية الذات وهو توجه الباحثين في علم النفس الاجتماعي أمثال "جون كلود ديشو" Jean-Claude Deschamps و"باسكال مولينير" Pascal Moliner (2012) والباحثة الفرنسية ماريزا زافالوني Marisa Zavaloni (1984-2007) التي عملت في أبحاثها "السيكولوجية" على تطوير المقاربة البيئوية-الذاتية، وتَعْتَبر "زافالوني" من خلال هذه المقاربة أن الهوية هي تلك التمثلات التي يحملها الفرد عن ذاته وعن المجتمع والآخرين.

مفهوم الذات

إن كلمة الذات في الأدبيات المعاصرة تأخذ معنى الهوية، فالكلمتان كليهما تؤديان معنى الهوية identité، التي تعبر عن خاصية المطابقة، مطابقة الشيء لنفسه. والهوية نظام معقد يتم تنشيطه

بواسطة سيرورات، التي تسمح في الآن نفسه بتحديد تمثلات الذات والعالم الاجتماعي، من خلال التمثلات التي نحملها عن الذات وعن المجتمع، وعلى هذا الأساس فإنها تنطوي على العديد من المتغيرات مختلفة باختلاف مستويات وضعنتها وإرسائها، مثل الجماعات والمجتمع التي تسمح للفرد بتعريف نفسه كعضو في المجتمع وجماعة الانتماء، وتسمح بتدخل أبعاد مثل الذاكرة والشعور بالتفوق والدافعية والمشروع. (Anne-Marie Costalat-Founeau et Stéphane Guillen, 2012, p1)

ويعرف هيلجر "Hilgard" الذات بقوله: "إنها صورة الإنسان عن نفسه"، أما ألبورت "Allport"، فيعرفها بأنها هي القوة الموحدة لجميع عادات وسمات واتجاهات ومشاعر ونزعات الهو، فالذات هي الشعور والوعي بكينونة الفرد، وتنمو الذات وتنفصل تدريجيا عن المجال الإدراكي وتتكون بنية الذات كنتيجة للتفاعل مع البيئة وتشمل الذات المدركة، والذات من تصور الآخرين والذات المثالية، وقد تمتص قيم الآخرين، وتسعى إلى التوافق والثبات وتنمو نتيجة للنضج والتعلم(مصطفى حدية، 2004، ص93).

والذات الافتراضية، هي ذات في واقع رقمي في حالة بين التخفي والوضوح، فبقدر ما يتاح للذات أن تتخفى وتتستر ويصعب التعرف عليها، فهي في الوقت نفسه على درجة من الوضوح والجلاء، بمعنى أن كثيرا من كوامن النفس في الذات الافتراضية (طبيعيا) يمكن أن يخرج للعيان (رقميا)، وترى من قبل الاخرين مثل النوايا السلوكية، وطبائع النفس في الرغبات والتفضيلات والهواجس والخيال والجموح الفكري، كأن يعلن أحدهم أفكارا غريبة حول العالم ونظرته الخفية للآخرين التي لا يمكن البوح بها في عالمه الطبيعي.

إن الفضاء "السايبري" يسمح بتمثل مختلف أنواع الهويات بشتى خلفياتها الإجتماعية والثقافية والعرقية هو بذلك يسمح بتجاوز عوائق الإتصال الحدودية تقنيا واجتماعيا، ويمنح المشاركين القدرة على تجاوز موانعهم الذاتية فيبرزون مواهبهم الإجتماعية وطاقاتهم الشخصية، والمشاركة بالرأي واكتساب العلاقات الاجتماعية وهذا سيسمح بظهور نوع من العلاقات لشرائح اجتماعية كانت محرومة من مثل هذه الأدوار والعلاقات المهمة (ذوي الاحتياجات الخاصة مثلا).

الهوية الإفتراضية

يغدو مفهوم الهوية أكثر غموضا وتعقيدا على الإنترنت، إذ تزداد خصائص الشخصية الإلكترونية، عددا ونوعا وكيفا، ومن خلال تفاعلها المتواصل والمركب في أشكال تكنولوجية متنوعة، تتمثل الهويات الرقمية بشتى تمثلاتها الممكنة في وسط إلكتروني جمع بين وسائط الحرف والصوت والصورة والحركة واللون، وتجاوز الزمان والمكان في حركة "الفضاء السايبري" المدهشة، إن هذا الفضاء أتاح للإنسان إطارا كبيرا واسعا يحوي أطر فرعية كثيرة، فهناك الإطار الذاتي للشخصية "domaine de soi"، وهناك إطار الجماعة أو المجتمع الافتراضي الذي ينتمي إليه، كذلك هناك الإطار الثقافي الطبيعي الذي ينطلق منه الفرض الافتراضي إلى جانب الإطار الأوسع الكوني الجديد، الذي يمكن الفرد الافتراضي أن يتحرر من خلاله، وينطلق بكل إمكاناته وطاقاته التمثيلية الرقمية، ولكل من هذه الأطر المذكورة خصائص تحدد هوية ما للفرد الافتراضي، فضلا عن أن أيا من هذه الأطر يمكن تزييفها وتغييرها من قبل الفرد نفسه أو من نتيجة اختراق خارج عن إرادة الفرد المعني(محمد علي رحومة، 2008، ص136).

نموذج نظري للهوية الإفتراضية

إن العملية المتكررة لملء نماذج الدخول إلى العوالم الإفتراضية، أفرزت نموذجا هوياتيا أثر على تمثلات الفرد الثقافية (Eric Fourcaud, 2008). ويمكننا التمييز بين ثلاث نماذج من الهوية.

هوية معلنة identité déclarative: المعلومات (إسم الدخول (حقيقي أو مستعار)، التعريف ، القن (الرقم السري للدخول)، السن، الجنس، المدينة، المهنة) التي تتكون منها الهوية المعلنة يصرح بها مباشرة من طرف المستخدم، والتي تسمح بوصفه وتمييزه داخل المجتمع الإفتراضي. وتمثل المعطيات المصرح بها نطاق تمثلات الذات كما هو مبين في الرسم التوضيحي رقم1 أسفله.

هوية فاعلة identité agissante: بعض أثار أنشطة الإنترنيتي تُكَمل بنية هويته، نتيجة لتفاعله غير المشروط مع التطبيقات، مثل الأصدقاء والتعامل مع البرامج، وإدماج تمثلات الآخر في تمثلات الذات، والمعلومات عن العلاقات البينشخصية.

هوية محسوبة identité calculée: هي المكون الثالث من مكونات الهوية الرقمية، تتكون من متغيرات كيفية أو كمية، ناتجة عن العمليات الرياضية التي يقوم بها النظام الالكتروني، وهي على عكس من الهوية المعلنة، فالمستخدم لا يصرح بها، وعلى خلاف الهوية النشطة أو الفاعلة، فهي ليست منتوجا مباشرا لنشاطه.

وتشير الأسهم في رسم التوضيحي أسفله إلى هيمنة التأثير الثقافي المحلي، وبالتحديد على الهوية الفاعلة أو النشطة والمحسوبة، ويكون التأثير الثقافي أعمق حيث يعبر عنه من خلال مجموع التمثل وفق مستوى متناقض من التأثير. وهذا يجعل التراكب المعلوماتي المكون من الهوية النشطة والهوية المحسوبة يحدد توافق و تكيف الفرد في مجتمع محدد ويقدم تقييما كيفيا.

وهذه الأبعاد الثلاث المكونة للهوية الافتراضية تظهر بشكل واضح من خلال "بروفايلات" المستخدمين في ال"الفيسبوك" حيث تتمظهر جميع المعطيات وفضاءات كل بعد من أبعاد الهوية الافتراضية. فالهوية المصرح بها تتعلق بمعطيات الدخول إلى ال "فيسبوك" وتكون متغيرة حسب كل مستخدم. والهوية الفاعلة تظهر من خلال الرسائل والأنشطة التي يقوم بها المستخدم وتحفظ جميع هذه الأنشطة ضمن خاصية "التاريخ الشخصي" في تطبيق الفيسبوك، بينما تختلف الهوية المحسوبة عن البعدين الأولين فهي مكونة من معطيات كمية وكيفية ولا يتدخل فيها المستخدم ولكن يقوم بها النظام المعلوماتي(Fanny Georges, 2009, pp179-183).

رسم توضيحي 1 : تمثلات الذات والهوية الرقمية

(Fanny Georges, 2009, p180)

وهكذا تكون الهوية الافتراضية هي التمثلات التي يحملها الفرد الإنترنيتي(المستخدم) عن نفسه أثناء الدخول إلى الشبكات الافتراضية وبالتحديد ال«فيسبوك» كمجتمع افتراضي، وتتكون هذه الهوية الافتراضية من ثلاث أبعاد، هوية مصرح بها(هوية معلنة) وهي تلك المعلومات والمواصفات التي يصرح بها المستخدم سواء كانت مستعارة ومزيفة أو حقيقية والمتمثلة في البريد الإلكتروني و رقم الهاتف والصورة والسن والجنس والاسم... والمكون الثاني هو هوية فاعلة أو الهوية النشة وهي مرتبطة بتفاعلات المستخدم وأنشطته(الافتراضية) سواء مع التطبيقات أو مع الأشخاص الآخرين وما يرافق ذلك من إرساء التمثلات وإنبناء وتشكل الأفكار النمطية، ثم المكون الثالث يتعلق بالهوية المحسوبة أو الهوية بصيغة حسابية وهي العمليات التي يقوم بها الحاسوب والنظام الشبكي ولا يتدخل فيها المستخدم، والمتعلقة بعدد الأنشطة التي يقوم بها "الفرد الإنترنيتي" و"التقاسمات" والإعجابات التي يبصم عليها والتطبيقات التي يستخدمها، على سبيل المثال لا الحصر (عدد الأصدقاء، عدد المجموعات المُشارك فيها، عدد التطبيقات المستخدمة).

الجانب التطبيقي

بعد أن تعرضنا في الجانب النظري إلى تعريف المفاهيم الأساسية المتمثلة بالدرجة الأولى في مفهوم الهوية الافتراضية والذات، سنمر في الشق التطبيقي إلى التحقق من الفرضيات باعتبارها إجابات مؤقتة تنتظر التأكيد أو عدم الـتأكيد وفقا لنتائج البحث.

منهج البحث:

إن طبيعة الإشكالية المطروحة تقتضي استخدام المنهج الوصفي في دراسة طبيعة تمثل الأفراد لذواتهم أثناء إدماج الهوية الافتراضية، و الكشف عن تأثيراتها السلبية على السلوك. لذلك فالمنهج الوصفي يعتبر طريقة لوصف الظاهرة المدروسة وتصويرها كميا عن طريق جمع معلومات مقننة عن المشكلة وتصنيفها وتحليلها واخضاعها للدراسة الدقيقة(محمد شفيق، 1985، ص80).

عينة البحث وخصائصها:

عينة البحث: تم اختيار عينة البحث عشوائيا من المجتمع الأصلي لها والمتمثل في مشتركي «الفيسبوك» من الطلبة والطالبات من تخصصات مختلفة، وقد كان ذلك في كل من جامعة محمد الخامس السويسي كلية القانون، جامعة محمد الخامس أكدال كلية الآداب والعلوم الإنسانية، كلية العلوم، المدرسة الوطنية للصناعة المعدنية، وتم توزيع 120 استمارة شكلت منها 100 استمارة العينة النهائية المعبئة كاملة.

خصائص عينة البحث:

من حيث الجنس: تتكون عينة البحث من 52 من الذكور و 48 من الإناث، أما **من حيث العمر:** ترواحت أعمار العينة بين (37-18سنة)، وهم جميعا يتوفرون على حساب في الموقع الاجتماعي ال«فيسبوك».

من حيث الشعب: توزعت العينة على مجموعة من المسالك التخصصية، علم النفس، علم الاجتماع، القانون، العربية، الدراسات الإسلامية.

أداة البحث والمعالجة الإحصائية: تَم استخدام أداة الاستمارة، نظرا لسهولة بنائها، وتناسبها مع طبيعة البحث، و قد شملت 16 عبارة تتوزع على فرضيات الدراسة، وقد اقتصرنا على أسئلة مغلقة، تتيح للمستجوبين ثلاث اختيارات (نعم، لا، أحيانا)، فيما يخص تناسب أو عدم تناسب رأيه مع العبارة الموجودة في الاستمارة، في حين استعملنا النسبة المئوية % فيما يخص المعالجة الإحصائية نظرا لأن الدراسة تستهدف فقط الكشف عن الحاجيات النفسية والاجتماعية للإقبال على الشبكات الاجتماعية وتمثلات الذات وما مدى تأثير الانغماس في العوالم الافتراضية على سلوك الفرد في العالم في الواقع، ولم تنطلق من فرضيات تبحث في العلاقة السببية أو الدلالة

الإحصائية. لكن لا شك أن هذه الدراسة تفتح أفاقا لدراسات أعمق من حيث التحليل الإحصائي للمعطيات سواء تعلق الأمر بمعاملات الارتباط أو الانحراف المعياري والمتوسطات والتشتت وغيرها من التقنيات الإحصائية.

تحليل ومناقشة نتائج البحث

نتائج الفرضية الأولى: نفترض أن هناك دوافع وحاجات نفسية واجتماعية للإقبال الكبير "الهجرة" نحو الشبكات الاجتماعية على الإنترنت.

بينت النتائج المستخلصة بعد تفريغ المعطيات من استمارة البحث أن هناك دوافع سيكوسيولوجية للإقبال على ال«فيسبوك»، وتتمثل في البحث عن أصدقاء والتواصل معهم، إذ عبرت نسبة 83% من أفراد العينة أنها تلج إلى ال«فيسبوك» للبحث عن تكوين صداقات، فبعدما كانت الصداقة تشبه بالنبات البطيء النمو نظراً إلى الوقت الطويل الذي يستهلكه الفرد لنسج صداقته مع الشخص المناسب، حيث يتخذ غالبا صديقا واحدا لمدى الحياة، تغير مفهوم الصداقة في عصر الحداثة والإنترنت وخصوصا ال«فيسبوك» وتقولب (أخذ قالبا وشكلا جديدا) ليتناسب وحجم الشاشة الصغيرة منذراً ببدء نمط جديد من "الصداقات الإنترنيتية" (كلود صلبيا، 2010، ص11). وسجلت نسبة 66% من العينة أنها تدخل من بدافع الانفتاح على الثقافات الأخرى، ونسبة 50% تستخدم ال«فيسبوك» للتعبير عن آرائهم السياسية والاجتماعية والفكرية، وأخيرا نسبة 27% أجابت نعم، و 22% أحيانا، عبرت أنها تدخل إلى ال«فيسبوك» من أجل البحث عن تكوين علاقات حميمية كالزواج وربط علاقات مع الجنس الآخر. وقد تنتهي بعض العلاقات الافتراضية بعلاقات واقعية ينتج عنها تكوين أسرة أو ما يمكن أن نصطلح عليه ب"الزواج الإنترنيتي"، وهكذا نستخلص أن دافع التسجيل في ال«فيسبوك» يتمثل في البحث عن أصدقاء وإشباع الحاجات والرغبات الشخصية و الاهتمامات المتنوعة السياسية والفكرية والثقافية والنقابية والدينية والفنية، وذلك وفق التوجه الذاتي للأفراد، وعليه يمكن القول أن الفرضية القائلة بأن هناك حاجيات نفسية و اجتماعية للإقبال على الشبكات الاجتماعية قد تحققت.

نتائج الفرضية الثانية: نتوقع أن هناك دوافع نفسية واجتماعية لإخفاء الهوية الحقيقة أثناء الولوج إلى العوالم الافتراضية.

يظهر من خلال النتائج المتوصل إليها، أن نسبة 71% من أفراد العينة يدخلون إلى ال«فيسبوك» بهوية حقيقية،(إسم، جنس، وسن وصورة)، في حين أن نسبة 29%، هي من تلج إلى ال«فيسبوك» بهويات غير حقيقة (مزيفة أو مستعارة)، كي تتجنب المضايقات الاجتماعية، وكي يتسنى لها التعبير عما يخالج النفس بكل حرية، وكي تتفادى الوقوع في روتين الإلتزامات والقواعد الاجتماعية، وتعتبر الفضاءات الافتراضية فضاءات الإسقاط، والتخفي وراء أسماء مستعارة تسمح للمستخدم أن يعبر أكثر عما يشاء خصوصا إذا كان يعاني من مشكلات نفسية كالخوف أو الخجل أو الانطواء والتمركز حول الذات، أو من مشكلات جسدية وعقلية كذوي الاحتياجات الخاصة مثلا، وأحيانا تبرز شخصية الإنسان الحقيقية في العالم الافتراضي بكل مكوناتها السلبية والإيجابية، إذ يتيح المجتمع الافتراضي الحرية الكاملة للأفراد "الإنترنيتيين"، ومما تقدم يمكن القول أن الفرضية القائلة بأن هناك دوافع نفس-اجتماعية لإخفاء الهوية الحقيقة أثناء الولوج إلى العوالم الافتراضية، قد تحققت هي الأخرى.

نتائج الفرضية الثالثة: نفترض أن الانترنت يحقق للفرد أن يتمثل ذاته بشكل مثالي.

أظهرت النتائج المتوصل إليها، أن الإنترنت يحقق للفرد أن يتمثل ذاته بشكل مثالي، فنجد أن 60% من أفراد العينة، يفضلون أن تكون شخصيتهم في ال«فيسبوك» هي شخصيتهم الحقيقية، فالعالم الافتراضي الذي نعيشه على الشاشة، يمكن الفرد "الانترنيتي" أن يتعايش ويتفاعل مع غيره من الأفراد "الإنترنتيين" ممن يتقاربون في الأفكار والرؤى وتجمعهم نفس التوجهات،

وكون الحياة على الشاشة أيضا خالية من منغصات الحياة فلا رقابة ولا قيود، ولك أن تعبر عن ما تشاء وقت تشاء ومع من تشاء، فال«فيسبوك» شبكة من العلاقات وفضاء ديمقراطي مفتوح أمام الجميع، وتوفر هذه الشبكة جميع البرمجيات كي لا يحصل ملل لدى المستخدمين و كي يبحروا أكبر وقت ممكن داخل صفحاتها وجدرانها، فالشخص يجد نفسه في بيئة افتراضية هو يتحكم في زمام أمورها ويديرها حسب رغباته وتوجهاته.

كما أقرت نسبة 47% من أفراد العينة أن الإنترنت يمنحهم فرصة تقديم أنفسهم بالشكل الذي يحبونه، فالسمة التي يتميز بها "الإنترنيتي" هي الإرادة القوية في التعبير عن ذاته في إشباع رغباته، و غالبا ما يتمثل الأفراد "الإنترنتيون" أنفسهم بالشكل الذي يحبونه، فهم يتمثلون بما يريدون من الآخرين أن يروه منهم، إنهم غالبا لا يتظاهرون بالأشياء التي يحبونها في الحديث وفي التعريف بأنفسهم وبآرائهم والمعلومات الخاصة والعامة عن أنفسهم.كما أكدت نسبة 58% من العينة، أنها تتشارك الصور ومقاطع الفيديو الخاصة، وهذا مؤشر على أن "الإنترنتيون" لم يعودوا يهتموا بالخصوصية، فهم على استعداد لوضع كل ما يخصهم على الإنترنت، ومشاركتها الآخرين، وبناء على ما تقدم يمكن قبول الفرضية القائلة بأن الانترنت يحقق للفرد أن يتمثل ذاته بشكل مثالي.

نتائج الفرضية الرابعة: نعتبر أن الانغماس في عوالم المجتمعات الرقمية له تأثيرات سلبية على سلوك الأفراد.

انطلاقا من النتائج المحصل عليها، يتضح لنا أن الانغماس في العوالم الافتراضية له انعكاسات سلبية على سلوك الأفراد، كضياع الوقت فأمام الانترنت يتلاشى عامل الزمن، وكما أظهرت النتائج، فنسبة 49% يجلسون لمدة أطول من التي يحددونها 30% أحيانا. ونسبة 22% من أفراد العينة تحتاج إلى استخدام الإنترنت وقتا أطول كي تحقق الرضا والإشباع. وهذا قد يكرس العزلة والانزواء على النفس، في حين أن نسبة 18% أصبح الإنترنت يشغلهم عن اهتماماتهم الدراسية والعائلية والهوايات المحببة "فالإنترنيتي" يجد نفسه أمام ملايين المواقع التي تقدم خدماتها الواسعة بحسب رغبته واهتمامه في أي مكان كان وفي أية لحظة تناسبه يجمع المعلومات ويطلع على آخر التطورات في شتى المجالات، يمكن له أن يقوم بالتسوق الإلكتروني، ويمكنه التجول عبر المسارح والمتاحف والمكتبات الافتراضية، البحث عن الوظائف، قراءة المجلات والجرائد، ممارسة الألعاب، محادثة الأهل والأصدقاء، الاشتراك في الحوارات والمؤتمرات الإلكترونية.

إن كل هذا يجعل الإنترنت عالما لا متناهيا و جذابا إلى درجة الإدمان عليه، فلم نعد نتحدث عن إدمان المخدرات أو الخمور بل أصبح اليوم التحدث عن إدمان الإنترنت، وإدمان الألعاب الإلكترونية، بل قد يؤدي بعضها إلى "الانتحار" كألعاب الكترونية حديثة كما هو الشأن مثلا للعبة إلكترونية يصطلح عليها "بالحوت الأزرق". كما نجد أن نسبة 15% من أفراد العينة يشعرون برغبة في دخول «الفيسبوك» كلما خرجوا منه، و27% حاولوا بشكل غير ناجح التوقف عن دخول الانترنت لكن باءت محاولاتهم بالفشل، وبناء على ما تقدم يمكن القول بأن الفرضية القائلة بأن الانغماس في عوالم المجتمعات الرقمية له تأثيرات سلبية على سلوك الأفراد قد تحققت هي الأخرى.

خاتمة

بناء على النتائج المحصل عليها يمكن القول أن هذه الهجرة الجماعية إلى الشبكات الاجتماعية، صاحبتها ظهور مجموعة من المشكلات النفسية في مقدمتها الإدمان على الإنترنت وظهور نوع من الصداقات الافتراضية، ومظاهر أخرى كالعلاقات "الإنترنيتية" التي تنتهي بعلاقات واقعية ونقصد هنا ما سنسميه "بالزواج الانترنيتي" والذي غالبا ما تكون له مساوئ أخرى خاصة في بيئتنا العربية، إلى جانب الإهدار الكبير للوقت، والعزلة.

وتعزى هذه "الهجرة" إلى صعوبة الحياة الواقعية وضعف العلاقات الاجتماعية، فإنسان اليوم وبفعل التكنولوجيا والتطورات السوسيو-اقتصادية تغيرت حياته بشكل كبير، فأصبح يبحث عن بيئة للتواصل وبناء العلاقات الاجتماعية وإشباع الرغبات وملئ الفراغ، وتحقيق الذات، والتواري "الهروب" من المشكلات النفسية كالقلق والإحباط وحدة المزاج، وضغط العمل، وصديقنا الحاسوب كما يحلو للبعض وصفه هو من قلب المجتمع الإنساني قلبا لا يخطر على بال أحد فمع انه آلة صماء إلا أنه اليوم هو من يقود الإنسان، فمع دخول الإنترنت إلى الحاسوب انتقل الإنسان إلى الحياة على الشاشة، هذه الحياة لا يمكن دائما أن تختزل انعكاساتها في ما هو سلبي، فلها ايجابيات جمة أيضا(علي محمد رحومة، 2005).

كما أظهرت النتائج أن الإنترنت يستدعي تقوية الأفكار النمطية stéréotypes، وأن تحديد الهويات أو تصنيفها يمكن أن يحدث في شكل تمثلي بمعنى أن يتنمذج الفرد وفق صورة حركة الأفراد "الإنترنتيين"، واستخلصنا كذلك أن زيادة التقنيات المستخدمة تعرف تقدما في السرعة والدقة والمواصفات الخدمية، جعل الزمن يتلاشى وأحيانا يتم "هدره" أمام شاشة الأجهزة الالكترونية من طرف الأفراد، الأمر الذي ضاعف التأثير في اجتماعية الأفراد والجماعات الإنسانية، وجعلهم أكثر قبولا لتصنيفات العالم الافتراضي وتوجهاته وتأثيراته الثقافية، الأمر الذي أصبح يكرس مزيدا من العزلة والتأثيرات النفسية الاجتماعية السلبية، إذ يحرم الإنسان من تفاعله وتأثره الاجتماعي بصورة طبيعية، وما يحدثه تقمص أدوار شخصيات أخرى من مساوئ نفسية واجتماعية، في فضاء يتسم بكثير من الحرية، وعالم متجدد ذاتيا بما يناسب المستخدمين باختلاف اهتماماتهم ونشاطاتهم وتوجهاتهم ورغباتهم وأفكارهم.

إن النتائج المتوصل إليها تستدعي المزيد من الدراسات وتسليط الضوء على سلوك الشخص الافتراضي داخل الإنترنت، ومختلف أنماط سلوكه في الواقع وأنماط سلوكه في العالم الرقمي وهذا هو التحدي الكبير اليوم أمام مختلف العلوم الإنسانية، خاصة أن الأبحاث حول التكنولوجيا والفضاء الافتراضي، لم تحدث في معظمها إلا في دور العلم والمعرفة الغربية، ولم يصلنا منها إلا اللمم القليل لغياب الأبحاث العربية في هذا المجال، مع أن الشعوب العربية هي أكثر شعوب الأرض استهلاكا للتكنولوجيا الغربية.

لذلك لا بد من تكثيف البحوث حول الشبكة العالمية التي تطبق علينا تطبيقاتها، وتأثر فينا من حيث ندري ومن حيث لا ندري، في الثقافة واللغة والهوية والخصوصية، والتوجه الذاتي وغيرها، فال"فيسبوك" ما هو إلا ظاهرة قد تخبو وتزول قريبا، ولكنها ستترك مخلفاتها ورواسبها النفسية والاجتماعية في بيئتنا العربية، وسنبقى نلهث وراء كل ما هو جديد. إنه زمن التحدي الكبير والخطير أمام الإنسان، قياسا بسرعة الأحداث والتطورات المذهلة التي تفرزها الشبكة العنكبوتية، فكل شيء يظهر سريعا ولكنه يختفي سريعا، ليحل مكانه شيء جديد، وهنا تكمن خطورة التطبيقات الاجتماعية، لذلك ينبغي تكثيف الأبحاث والاستفادة من الزخم المعرفي و العلمي الذي توفره شبكة الإنترنت حتى لا تبقى "فأرتنا" متخلفة هي الأخرى وإن كثرت نقراتها.

قائمة المراجع

1. سكوت جون(2009)، علم الاجتماع: المفاهيم الأساسية، ترجمة محمد عثمان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط 01، بيروت.
2. بدوي، أحمد زكي(1982)، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان للنشر، ط1، بيروت.
3. الجابري محمد عابد(2005)، العولمة والهوية.. بين عالمين! على الرابط: http://www.aljabriabed.net/glob_identite6.htm. يترجم الدكتور محمد عابد الجابري virtuel اعتباري وليس افتراضي لأنه من العبور والإعتبار معا بمعنى أن الإتصال في الإنترنت يتم عن بعد وعبر رموز كما يرى، وليس وجود تصوري مفترض من صنع الخيال أو الوهم بل وجود واقعي.

4. حدية، المصطفى(2004)، قضايا في علم النفس الاجتماعي، منشورات المجلة المغربية لعلم النفس، الرباط.
5. زايد أحمد (2006)، سيكولوجية العلاقات بين الجماعات، عالم المعرفة، عدد 326. الكويت.
6. شفيق محمد (1985)، البحث العلمي، الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الإجتماعية، المكتب الجامعي الحديث الاسكندرية، القاهرة.
7. صليبا كلود (2010)، الإنترنتيون" ينسجون صداقاتهم على شبكة.. "بلا قلب"، جريدة المستقبل ع 3658، بيروت.
8. رحومة محمد علي(2008)، علم الاجتماع الآلي، عالم المعرفة، عدد 347، الكويت.
9. رحومة محمد علي(2005)، الانترنت والمنظومة التكنو-اجتماعية، بحث تحليلي في الآلية التقنية للإنترنت ونمذجة منظومتها الإجتماعية" مركز دراسات الوحدة العربية.بيروت.
10.هاشمي علوي مولاي هشام(1991)، محددات الهوية لدى المراهق، أطروحة لنيل دبلوم الدراسات العليا في علوم التربية، كلية علوم التربية ، الرباط.
11. لالاند(2001)، الموسوعة الفلسفية، تعريب أحمد خليل، اشراف أحمد عويدات، منشورات عويدات، ط2، بيروت-باريس.
12.Aneesh A.,(2006): Virtual Migration: the programming of globalization., Duk University Press, United States of America.
13.Costalat-Founeau, A-M et Guillen S.,(2009): Identité sociale et capacité pour un sujet enquête de reconnaissance », L'orientation scolaire et professionnelle [En ligne], 38/4 |, mis en ligne le 15 décembre 2012, consulté le 30 Mai 2018. URL : http://osp.revues.org/.
14.Deschamps J-C. et Moliner., P(2012): L'identité en psychologie sociale - Des processus identitaires aux représentations sociales, 2ème Edition, Armand Colin, Paris.
15.Etienne J. et Bloess F. Noreck. J-P. Roux J-P., (2004): Dictionnaire de sociologie, Hatier, Paris.
16.Fischer G-N., (2010): Les concepts fondamentaux de la psychologie sociale. 4ed, Dunod, Paris.
17.Fourcaud E.,(2008): Modèle de la représentation de soi l'lexis, une étude sémiotique et statistique, publié le 15/09/2008- www.ludovia.com, consulté le 24-03-2018.
18.Georges F.,(2009): Représentation de soi et identité numérique. Une approche sémiotique et quantitative de l'emprise culturelle du web 2.0 », Réseaux 2009/2 (n°154), p. 165-193. Article disponible en ligne à l'adresse : http://www.cairn.info/revue-reseaux-2009-2-page-165.htm. Consulté le 03-06-2018.
19.Georges F., Sémiotique de la représentation de soi dans les dispositifs interactifs l'hexis numérique, Thèse de doctorat en sciences de l'information et de la communication, Université Panthéon- Sorbonne-Paris I.
20.Zavalloni M.,(2007): Ego-écologie et identité: Une approche naturaliste, Presses Universitaires de France, Paris.

ظاهرتي الهجرة واللجوء مراجعة مفاهيمية
Conceptual review of migration and refuge

د.مداني ليلى، جامعة أمحمد بوقرة بومرداس-الجزائر

ملخص: تعتبر قضية الهجرة واللجوء من أكثر القضايا حساسية لارتباطهما بعوامل متعددة أمنية واجتماعية واقتصادية وبيئية وحتى إنسانية بإعتبار أن دوافع الهجرة واللجوء كظاهرتين ازدادت حدتهما منذ نهاية الحرب الباردة نظرا لتزايد وتعدد العوامل المسببة لهما، إلا أنهما إلى حد ما أصبحا مفهومين غامضين خاصة في ظل مضمون المفهوم التقليدي لكل من الهجرة واللجوء والذي لم يعد يعبر عن حقيقتهم، لذا فان هذه الدراسة تحاول توضيح مختلف أنواع الهجرة واللجوء والأسباب الدافع لهما بدراسة نقدية تحيط بمختلف أنواع الهجرة واللجوء الموجودان واقعيا والغائبان قانونيا، فما هو مضمون الهجرة واللجوء وما هي المفاهيم التي تتقاطع معهما؟

الكلمات المفتاحية: الهجرة، اللجوء، الهجرة القسرية.

Abstract: The issue of migration and refugee is one of the most sensitive issues linked to multiple security, social, economic, environmental and even humanitarian factors. The reasons for immigration and refugee have increased since the end of the Cold War. And their reality, so this study is trying to clarify the various types of migration and refugee and the reasons for them to study critically of the types of migration and asylum that are real and absent legally, what is the content of migration and asylum and what concepts converge With them?

Keyworlds: Migration, refugee , forced migration.

مقدمة:

تثير قضيتي الهجرة واللجوء الكثير من الإشكالات المفاهيمية خاصة أن أسباب الهجرة تزايدت بشكل كبير منذ نهاية الحرب الباردة نتيجة تزايد التفاوتات الاقتصادية والتنموية إلى جانب تزايد الحروب والنزاعات والعنف كعوامل أساسية كانت السبب في تفاقم ظاهرتي الهجرة واللجوء، وسواء تعلق الأمر بالهجرة النظامية أو المهاجرون الطوعيون(الكثير منهم غير مرغوب فيهم) أو غير النظاميون، خاصة إذا تم النظر إلي ظاهرة الهجرة بشكل عام ضمن مفهوم حرية الحركة والتنقل من خلال ما يشهده العالم من عولمة لحق الخروج وتقليص حق الدخول خاصة في العلاقة بين الشمال والجنوب، والذي جعل المهاجرين يخضعون لاعتبارات مرتبطة بأشكال من التمييز في العمل والسكن والحياة اليومية بشكل عام، إلى جانب الحالات الخاصة التي تفرض نوعا من الطرد والإقصاء والهجرة الإجبارية إلى جانب كل ذلك تزايدت ظاهرة اللجوء كهجرة قسرية نتيجة حالات العنف المسلح أو لأسباب مرتبطة بغضب الطبيعية، إلى جانب أشكال التمييز المرتبطة بها في دول الوصول دون أن يشهد اللاجئون أي تحسن في وضعيتهم أو حقوقهم، فما المقصود بالهجرة القسرية واللجوء؟ وفيما تتقاطع مع مختلف المفاهيم الأخرى المشابهة لها نظريا والمختلفة عنها ضمنيا؟.

وضمن هذا الإطار تناقش هذه الورقة البحثية الإطار المفاهيمي لمختلف المفاهيم المرتبطة بمفهومين أساسين هما الهجرة واللجوء من خلال التطرق إلى الفوارق الأساسية بين المفاهيم المختلفة للهجرة الطواعية (خاصة الإنتقائية المرتبطة بالجانبين المادي والتعليمي والتكويني) والهجرة القسرية مع التركيز على هذه الأخيرة ضمن مفهوم اللجوء الذي يخضع لاتفاقية جنيف سنة1951، والنزوح أو مهاجروا الداخل الذين يتمتعون إلى حد ما بنوع من الحماية، وكذا المهاجرون البيئيون الذين لا وضعية قانونية لهم إلى يومنا هذا، إلى جانب أولئك من لا وطن لهم والمحكوم عليهم بالنفي أو حتى التيه في بلادهم دون التمتع بحق الانتماء قانونيا لأسباب عرقية أو دينية أو حتى تاريخية، وكذا الهجرة المختلطة والهجرة الاقتصادية...إلخ والتي تتقاطع بدورها مع مختلف المفاهيم المشار إليها سابقا، ولذا سوف نعمد إلى توضيح المحتوى القانوني والسياسي للمفاهيم السابقة والتي منها من تتقاطع في أسبابها ومنها من تتقاطع في طبيعتها ومنها من تتقاطع في مسارها، إلى جانب المخرجات النهائية التي تتقاطع في الجمع بين مختلف المفاهيم السابقة والتي توضح طبيعة اللامساواة المتزايدة في الحق في الحركة لدرجة أن منها من أدى إلى إنتاج شكل من أشكال العبودية الحديثة خاصة على حافة الحضارات الكبرى ذات الكثافة السكانية كالصين بما في ذلك في عدد من الدول المتقدمة حتى كالولايات المتحدة.

وعليه تتناول هذه الورقة البحثية بشكل عام المحاور التالية:

- تحديد مفهوم الهجرة واللجوء.
- التصنيفات المختلفة لظاهرة الهجرة بشكل عام مع أمثلة توضيحية عن مختلف المفاهيم المرتبطة بتصنيفات الهجرة واللجوء والمفاهيم الأخرى المرتبطة بهما.
- حدود تقاطع مفهومي الهجرة واللجوء والمفاهيم الأخرى المرتبطة بهما.

1.تحديد مفهومي الهجرة واللجوء:

هناك تسميات مختلفة للمهاجرين وإن كانت تعبر عن وصفا لهم أكثر منها تسمية علمية كالحركيين أو المتحركين أو حتى المطرودون أو المتأرجحين أو المتذبذبين، وتعرف منظمة الأمم المتحدة المهاجرين "بأنهم الأشخاص الذين عاشوا خارج بلادهم الأصلية التي ولدوا فيها لمدة 12 شهر أو زيادة عن ذلك"(ستيفن كاستلز ومارك ميللر، 2013، ص42)، كما أن الدراسات الإحصائية للهجرة تعتمد مصطلحات خاصة تعبر بها عن أعداد المهاجرين عادة خلال عام من خلال الإشارة إلى "تدفق المهاجرين والذي تشير به إلى عدد المهاجرين الذين دخلوا إلى

دولة ما والذي يعرف بالتدفق إلى الداخل، أما ألئك الذين يغادرون دولة ما فيشار إليه بتصدير الهجرة أو التدفق إلى الخارج، وبمقارنة الأرقام يتم الحصول على ما يعرف بصافي الهجرة والتي يتم من خلالها فهم اتجاهات ومجرى حركة المهاجرين"(ستيفن كاستلز ومارك ميللر، 2013، ص29) بغض النظر عن طبيعة الهجرة القسرية بشكل عام بغض النظر عن أسبابها وطبيعتها، في ذات الوقت يتم التعبير عن ألئك "المولودون من مهاجرين في دولة المهجر بالرعايا الأجانب باعتبار آبائهم لا يزالون يحتفظون بجنسية بلدهم الأم" (ستيفن كاستلز ومارك ميللر، 2013، ص30) وينطوي هذا التعبير عادة على الجيلين الثاني والثالث للمهاجرين الذين استقروا في ذلك البلد.

أما علماء الاجتماع فيعرفون الهجرة بشكل عام "بالفعل الاجتماعي الذي ينجم عنه تغير اجتماعي يؤثر على المجتمع ككل في كل من الدولة المرسلة أو الدولة المستقبلة للمهاجرين"، (ستيفن كاستلز ومارك ميللر، 2013، ص73)، أما الهجرة القسرية فتعتبر تعبيرا عاما عن أولئك الذين اضطروا إلى ترك مكان إقامتهم وتواجدهم بالتحرك داخليا أو خارج حدود الدولة بحثا عن الأمن، نتيجة وجود خطر يتهدد حياتهم، ويدخل ضمن الهجرة القسرية اللاجئون والنازحون وحتى اللاجئون والبيئيون؟، إلا أن تعريف "اللجوء ولد نتيجة الصراع بين الشرق والغرب فهو يعبر عن ذلك الصراع وناتج من نواتجه، كما أن هناك من يربط ولادته في مرحلة ظهوره الأولى بالمجاعة التي ضربت أوربا سنة 1933، وهكذا فإن التعريف ناتج من تجربة سياقها الجغرافي والسياسي أوربيي، وعلى الرغم من المسحة المسحية إلا أنه أشد تأثرا بالثقافة اليهودية...لذا ظهرت المفارقة في تطبيق المعايير نفسها التي يشترطها التعريف في بيئة مختلفة"(خالد محمد دفع الله، 2016، ص36)، فمثلا ترفض بعض الدول خاصة تلك التي تستوعب الكثير من اللاجئين تسمية من ينطبق عليهم صفات اللجوء باللاجئين وتفضل تسميتهم بالنازحين بدلا من اعتبارهم لاجئين كلبنان، نظرا لوجود عدد كبير من اللاجئين الفلسطينيين الذين طال أمد وجودهم إلى جانب الأعداد الكبيرة من اللاجئين السورين القادمين منذ سنة2011، ولعل أعداد اللاجئين في المعمورة ككل قد تجاوز اليوم العدد الذي تم إحصائه على إثر الحرب العالمية الثانية الذين "وصل عددهم إلى أكثر من 59 مليون شخص والذين اضطروا إلى التحرك بسبب الحرب والاضطهاد والعنف على إثر الحرب العالمية الثانية"(Laidouni N,Alvarez-Dardet C 2016,p947) ويصل عددهم اليوم وذلك حسب "إحصائيات نهاية سنة 2015 إلى حوالي 65.3مليون شخص تحركوا بسبب الاضطهاد والنزاعات والحروب والعنف بشكل عام وبما في ذلك من تحركوا بسبب الانتهاكات لحقوقهم المقدر عددهم بـ5.8 مليون شخص وهو ما يعني أن النسبة الصافية من اللاجئين تصل إلى59,5 مليون شخص"(Global Trends Forced Displacement in 2015,2015,P2)، "فاللاجئ هو افتقار للدولة بمعنى جديد...إنهم المطرودون والخارجون عن القانون من نوع جديد إنهم نواتج العولمة وخلاصتها وتجسيدا لروحها الطلائعية، لقد دفعوا إلى أطراف الجرف الذي قد يكون مؤقتا أو دائما، وحتى وإن كان مؤقتا فإنهم في حالة حراك لن يكتمل لأن هدفهم وصولهم أو عودتهم يظل غير واضح والمكان الذي بوسعهم أن يسموه نهائيا لا يتيسر الوصول إليه، اللاجئون هم التآلف البشري في تخوم الأرض...الغرباء حتى العظم الغرباء المرفوضون والمقابلون في كل مكان بالكراهية والحقد إنهم خارج المكان حيثما ذهبوا" (زيغمونت باومان، 2016، ص62)، وهناك ضمن هؤلاء فعلا من طال أمد تنقلهم مع التلاشي التدريجي لأمل العودة ثانية، ويأتي على رأسهم "اللاجئون الفلسطينيون الذين هجروا منذ أربعينات القرن الماضي، وكذا الأكراد الذين نزحوا من العراق وسوريا وتركيا وإيران إلى جانب الصحراويون الذين ذكرت المفوضية العليا لشؤون اللاجئين أنهم يعيشون أحد أكثر أوضاع اللجوء الطويل الأمد في العالم ويناظرون ثاني أقدم حالة

لجوء لدى المنظمة" (ساري حنفي، 2015، ص71) وهذا ما يعرف باللجوء الطويل الأمد أو النزوح طويل الأمد وباختصار "يلخص مفهوم الهجرة مجموعة من العوامل والتفاعلات المعقدة التي تؤدي إلى الهجرة الدولية وتؤثر على مسارها، فالهجرة عملية تؤثر على كل بعد من أبعاد الوجود الاجتماعي وتعمل على تطوير ديناميكيته الخاصة المعقدة"(ستيفن كاستلز ومارك ميللر، 2013، ص75)، حيث تعرف القارة الإفريقية أكبر عدد من المهاجرين تاريخيا لذا تسمى بـ"القارة المتحركة إلا أن النسبة الأكبر من التنقلات تتم داخل القارة ذاتها وليس عبر الصحراء الكبرى والبحر الأبيض المتوسط نحو أوربا، بالرغم من أن نسبة التنقل خارج القارة قد ارتفعت إلا أنها في حقيقة الأمر لا تزال ضئيلة بالمقارنة مع التنقل داخل القارة"(ستيفن كاستلز ومارك ميللر، 2013، ص346)، ولعل إفريقيا هي حالة خاصة باعتبار أنها القارة التي تجتمع بها جميع عوامل الطرد خاصة دول إفريقيا جنوب الصحراء سواء تعلق الأمر بالحروب والنزاعات الداخلية والحدودية والانقلابات العسكرية وغياب الحرية والديمقراطية إلى جانب الأوضاع الاقتصادية وكذا البيئية كالجفاف وتبعاتها من مجاعة وسوء أوضاع الحياة وصعوبتها على جميع المستويات والأصعدة.

2.التصنيفات المختلفة للهجرة:

هناك العديد من المعايير التي يتم استخدامها للتمييز بين التصنيفات المختلفة للهجرة ولا يوجد اتفاق حول معايير محددة أو تصنيفات محددة للهجرة نظرا لكون ظاهرة الهجرة يمكن دراستها ضمن مختلف التخصصات، ولذا سوف نعمد للتطرق إلى مجموعة من المعايير الأكثر استعمالا في تصنيف الأنواع المختلفة للهجرة حيث منها من يصنفها حسب طبيعتها القانونية أو حتى أسبابها ومنها حسب معيار الوقت ومنها حسب المقر وهو ما يعطينا التسميات المختلفة من لجوء وهجرة نظامية وغير نظامية أو هجرة مؤقتة وأخرى دائمة أو هجرة داخلية (نزوح) وأخرى خارجية...إلخ، ويمكن التطرق إليها من خلال ما يلي:

من حيث طبيعتها: يميز الباحثين بين نوعين رئيسيين من الهجرات حيث يعتبر التصنيف الأكثر استخداما وهما: الهجرة القسرية والهجرة الطوعية وكلاهما قد تكون هجرة دولية خارج حدود الدولة أو هجرة داخلية داخل حدودها.

أ.الهجرة القسرية: (أو المُـهجّرون) هم ألئك الذين تدفعهم مخاطر كبرى وتجبرهم على مغادرة بلدهم حتى وإن كانوا من السكان الأشد فقر الذين ينزعون إلى البقاء في بلادهم" (برتران بادي ودومنيك فيدال، 2016، ص177)، إلا أن الاضطرابات والنزاعات التي تهدد بقائهم تضطرهم إلى التنقل، "إن دراسة الحركة البشرية القسرية هي في قمة التعقيد بحكم ارتباطها بالظواهر السياسية والاقتصاد والمجتمع والبنية السكانية والنفسية إلى جانب كونها تستبطن أبعادا دولية وصحية وقضايا الطوارئ السياسية والإنسانية المعقدة إلى جانب أنها ترسم تطورات علاقات البشر بالأرض من حيث الحركة والسكون" (خالد محمد دفع الله، 2016، ص35)، ولعل أكثر القارات التي تشهد الهجرة القسرية هي القارة الأفريقية "ففي بعض المناطق تعد الهجرة القسرية هي الشكل الرئيسي لحركة السكان وسببها الحروب الطويلة والمتكررة الداخلية والخارجية وينطبق ذلك مثلا منذ نهاية الحقبة الاستعمارية على مناطق القرن الإفريقي وشرق إفريقيا ومنطقة البحيرات العظمى ووسط إفريقيا(ستيفن كاستلز ومارك ميللر، 2013، ص351-352)، وضمن الهجرة القسرية يمكن التمييز كذلك بين النازحين واللاجئين.

مهاجرو الداخل أو النازحون: هم ألئك الذين تضطرهم مخاطر تهدد حياتهم إلى التنقل داخل البلد الذي يقيمون فيه ويحملون جنسيته وهم يستفيدون من الحماية المؤقتة إلى حد ما في الأماكن البعيدة عن مكان النزاع أو الخطر سواء أمني سياسي أو بيئي في البلد الذي ينتمون إليه، وهؤلاء يندرجون ضمن مضمون مفهوم الهجرة القسرية، ولا بد من الاشارة إلى أن هناك عدد من الدول

التي لديها حركة نزوح داخلي لأسباب أمنية أو حتى بيئية، كـ "أوغندا حيث يقدر عدد النازحين داخليا بـ1,7مليون نازح وهو ما يمثل 6% من تعداد السكان وهم قادمون من شمال أوغندا نتيجة الصراع الذي دار بين جيش الرب للمقاومة والحكومة الأوغندية مما تسبب في نزوح حوالي 90% من السكان"، (جوي ميللر)، إلا انه ليس لديها سياسة واضحة وفعالة لمواجهة النزوح الداخلي، على خلاف بعض الدول الأخرى التي تتبني سياسات محددة لأسباب اقتصادية وبيئية أكثر منها لأسباب أمنية وسياسية كالصين بمنع الهجرة الداخلية أو التحرك من الريف إلى المدينة، ومن المؤسف القول أنه ضمن هذا الصنف من ما يعرف بمهاجري الداخل هناك من لا يندرجون ضمن الهجرة القسرية باعتبار أنهم مهاجرون اقتصاديون تحركوا داخل حدود الدول بهدف تحسين أوضاعهم الاقتصادية وليس لأسباب أمنية وسياسية، و"تظهر الصين بتعداد من مهاجري الداخل يصلون إلى حوالي 240 مليون نسمة وهو ما يعادل تقريبا تعداد المهاجرين الدوليين في المعمورة ككل، ونصف هؤلاء مهاجرين سريين خفية داخل بلادهم ذاتها، وهم يحملون تسمية هو كو Hu Kou ريفي وهي وضعية ترتبط بالحقوق الاجتماعية أو حقوق الولادة، لأنه لا يبقى للريفي أي حقوق إذا قرر الهجرة إلى المدينة من دون ترخيص أو بسبب الأعمال الكبرى، والنتيجة هي أن الرفيين يتكدسون في أحشاء الحضارة الصينية محرومين من كل حق بما في ذلك ارتياد أطفالهم المدرسة، وهم يشكلون يد عاملة مكتومة متدنية الأجر (برتران بادي ودومنيك فيدال، 2016، ص181)، والصين لا تعتبر الدولة الوحيدة التي تمنع الهجرة الداخلية فمثلا الاتحاد السوفياتي كان يمنع الهجرة الداخلية، إلا أنها ألغيت منذ سنة 1994، وعادة ما نجد هذا النمط من الهجرة الداخلية في الدول ذات الكثافة السكانية العالية كالهند والبرازيل ونجيريا مثلا.

اللاجئون: هم ألئك الذين تضطرهم أحداث العنف والنزاع أو الحرب على الخروج من بلده إلى بلدان أخرى سواء كانت مجاورة أو بعيدة هربا من العنف حفاظا على حياتهم وهؤلاء تمثل اتفاقية جنيف لسنة 1951 والبروتكول الملحق بها لسنة 1967 الإطار الدولي لحمايتهم، حيث تعرف هذه الأخير اللاجئ "بأنه كل شخص يوجد خارج بلد جنسيته بسبب خوف له ما يبرره من التعرض للاضطهاد على أساس عرقه أو دينه أو جنسيته أو انتمائه إلى فئة اجتماعية أو رأي سياسي" (أيمن زهري، 2016، ص3)، وتتضمن هذه الاتفاقية (جنيف سنة 1950) "عدم إبعاد المهجرين قسرا إلا أنه ليس كل طالبي اللجوء يحصلون على وضعية قانونية كلاجئين، إذ أن الإحصائيات تشير إلى أنه من بين 40 مليون شخص يجدون أنفسهم كلاجئين لا يستفيد إلا 10 ملايين من الوضعية القانونية كلاجئين في حين يبقى البقية بلا حق لا هم لاجئين ولا هم مطرودون أو مبعدون" (برتران بادي ودومنيك فيدال، 2016 ص177)، باعتبار أن اتفاقية جنيف تمنع أي دولة من طرد المهجرين قسر أي بسبب الحروب أو أوضاع العنف المهددة لحياتهم.

المهجرون البيئيون: إن التغيرات البيئية كالتصحر والجفاف والفيضانات وانفجار البراكين والأعاصير وارتفاع منسوب مياه البحر وحتى تراجع المساحات المزروعة والمأهولة بالسكان أو حتى زوال الغابات هي في ذات الوقت "سبب ونتيجة للنزوح واللجوء البيئيين، فالهجرة البيئية بإعتبارها أحد أهم تداعيات التغيرات المناخية، فاللاجئون البيئيون هم ألئك الأفراد الذين يضطرون إلى مغادرة محل إقامتهم الأصلية مؤقتا أو بصفة دائمة نتيجة تدهور بيئي شديد يهدد بقائهم أو كان يؤثر بدرجة خطيرة على نوعية حياتهم" (أحمد علي سالم وآخرون، 2017، ص238)، وبالرغم من أن الهجرة الداخلية أي النزوح أو اللجوء البيئي كظاهرة هي قديمة جدا، إلا أن هذه التسمية المهجرون البيئيون أو اللاجئون البيئيون تعتبر حديثة حيث "ظهرت منذ 15 سنة كهجرة قسرية إلا أنهم إلى يومنا هذا لا يتمتعون بالوضعية القانونية، ويقدر فريق الدراسة

والإستعلام حول المناخ GIEC عددهم بـ40 مليون شخص يعيشون في الجنوب وأغلبهم نازحين أي مهاجرو الداخل"(برتران بادي ودومنيك فيدال، 2016، ص178) ولا توجد إحصائيات حول اللاجئين البيئيين أي الذين تجاوزوا حدود بلدهم أو حتى توجهوا نحو دول الشمال لأسباب بيئية.

ولعل من النتائج الأساسية لتغيرات المناخ أن مسألة اللجوء والنزوح البيئيين أدى إلى تصاعد أعمال العنف خاصة عندما يتعلق بسبب مناخي دائم كالجفاف على خلاف الأسباب العارضة كالكوارث الطبيعية غير المستمرة، وعليه توصل الباحثون إلى وجود علاقة بين موسم الجفاف وازدياد أحداث العنف، وبالتالي أهمية السياق الاجتماعي والسياسي في تصعيد أعمال العنف كمحصلة وإن كان هذا العامل لا يظهر بشكل مباشر فقد أحصى "المجلس الأوربي في هذا الاطار سبعة صراعات ترتبط بمشكلات التغيرات البيئية وهي الصراع على الموارد والصراعات الحدودية والإقليمية والهجرات البيئية ومشكلات إرتفاع مستوى منسوب سطح البحر وتداعياتها الاقتصادية والأمنية، وأزمات إنعدام السيطرة والتطرف، ومشكلات الحصول على الطاقة والوقود وصعوبة التوافق على المعايير" (أحمد علي سالم وآخرون، 2017، ص234)، ويمكن أن تظهر الهجرة البيئية كحلقة مفرغة فسلوك الإنسان والاستغلال غير العقلاني للطبيعة والبيئة وما أفرزه أدى إلى ظاهرة الاحتباس الحراري بل أكثر من ذلك فالاستغلال غير العقلاني للموارد الخام والباطنية في بعض الدول أثر هو الآخر على البيئة وخاصة الجفاف والتصحر في دول العالم الثالث ودول إفريقيا جنوب الصحراء بشكل خاص، وانكشاف الطبيعة في ذات الوقت يؤدي إلى موجات الهجرة واللجوء ليؤثر الإنسان في البيئة فيتأثر هو الآخر بإختلالاتها، وهناك جهود دولية لتقنين وضعية هؤلاء أو توفير الحماية لهم من خلال اتفاقية دولية متعددة الأطراف، حيث تم في هذا الاطار "اجتماع لفريق عمل يعمل في جنيف منذ سنة2011 من خلال مبادرة نانسن Nansen لإيجاد حل لهذه المشكلة"(برتران بادي ودومنيك فيدال، 2016، ص178)، خاصة أن كل التوقعات والدراسات المستقبلية تشير إلى أن أعداد هؤلاء أي المهاجرون البيئيون سوف يزداد خلال السنوات القادمة.

المهاجرون من لا وطن لهم: يقدر عددهم في العالم بحولي 13 مليون من المهجرين من لا وطن لهم ولا حقوق، وقد جاء سابقا جواز سفر نانسن في الماضي من أجل منفي الامبراطوريات الكبرى وضحايا المجازر غداة الحرب العالمية الأولى (الأرمن والروس)، إلا أن اليوم تعداد عديمي الوطن مرتفع خاصة في بنغلاديش ومينمار، حيث لا تقبل السلطات وجودهم لأسباب سياسية (البنغاليون الذين أيدوا باكستان في حرب استقلال بنغلاديش) أو لأسباب عرقية وسلالية أعراق لا يعترف بها الدستور في بورما، وبما أنه لا دولة لهؤلاء فإنه محكوم عليهم بالنفي أو التيه في بلادهم ذاتها"(برتران بادي ودومنيك فيدال، 2016، ص178)، وهؤلاء لا وضعية قانونية لهم ولا وجود لأي جهود أو مبادرات ذات أهمية تسعى لإيجاد حل لهؤلاء من خلال الاعتراف بهم في بلادهم وتسوية وضعيتهم، أو حتى منحهم وضعية قانونية كلاجئين مثلهم مثل لاجئي الحروب والنزعات باعتبارهم أيضا يتعرضون لشتى أنواع الاضطهاد.

ب. الهجرة الطوعية أو الاختيارية: يعتبر المهاجرون الطوعيين ألئك الذين يتنقلون من الجنوب نحو الشمال بحثا عن حياة أفضل أغلبهم شباب "ويقدر هؤلاء بأكثر من 240 مليون حسب إحصائيات سنة2015 وهو العدد الذي تضاعف عدة مرات منذ سنة 1975"(برتران بادي ودومنيك فيدال، 2016، ص179)، ويعود السبب الأساسي لهذا النوع من الهجرة إلى الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وحتى السياسية في دول الجنوب بشكل خاص وتشمل هذه الهجرة ثلاث أنواع من المهاجرين:

الهجرة الطلابية(هجرة الأدمغة): يعرف هذا النوع من الهجرة بهجرة العقول أو نزيف العقول أو الأدمغة Brain Drain كمصطلح أطلقته الصحافة البريطانية على خسائرها من هجرة الأدمغة

والكفاءات العلمية في نهاية الأربعينات من القرن20، بسبب هجرة المهندسين والأطباء والعلماء من بريطانيا نحو الولايات المتحدة الامريكية بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية"(محمد ربيع، د.س، ص11)، فالكثير من الدول تقلق بشكل كبير من خسارة رأس المال البشري خاصة أن تدفق المهاجرين يأخذ اتجاها واحدا من دول الجنوب نحو دول الشمال، طبعا هناك "جدل كبير حول تداول العقول ودورانها في العالم على اعتبار أنه إن لم يكن هناك إمكانية لاستخدام الأشخاص من ذوي الكفاءات العالية في بلدهم فمغادرتهم لن تخرب اقتصاده، فهجرة الكفاءات لا يكون فقط بحثا عن رواتب أعلى في دول الشمال، ولكن أيضا بسبب ظروف العمل والمعيشة في الجنوب التي تعاني من التخلف والفقر حيث أي تطور له يكاد يكون منعدم"(ستيفن كاستلز ومارك ميللر، 2013، ص168)، لذا فهم يقدمون كفاءتهم لبلد آخر أكثر تقدما يستمر في سلب الموارد البشرية لدول الجنوب، كما أن فرضية حقيقة وجود تداول ودوران للعقول في العالم تبقى محل شك خاصة اليوم في ظل ازدياد الهوة بين الشمال والجنوب، وضمن هذا الإطار ظهر مصطلح "الهجرة المتداولة أو الهجرة الدائرية كإشارة إلى الهجرة المؤقتة والتي تعني انتقال المهاجرين إلى المنطقة التي تستقبلهم لبضعة أشهر أو سنوات ثم يعودون ثانية إلى بلادهم، وعادة ما يتضمن هذا النوع من الهجرة ما يعرف بـ"برامج هجرة العمالة المؤقتة أو الموسمية أو العمالة الزائرة وهي مصممة لمعالجة الاحتياجات الاقتصادية لكل من دولة المنشأ والدول المقصودة بالهجرة(ستيفن كاستلز ومارك ميللر، 2013، ص171-172)، أو حتى الهجرة لأغراض التموين أم اكتساب الخبرة، باعتبار أن هذا النوع من الهجرة عادة ما يعود بالفائدة على كل الأطراف الدول المرسلة والمستقبلة وحتى المهاجر ذاته.

هجرة العمال ذوي الكفاءة: ويمكن أن نميز في هذين النوعين بين المهاجرين بطريقة نظامية أي من خلال الحصول على تأشيرة ويقومون بتمديد إقامتهم بطريقة غير نظامية ليتحولوا إلى مهاجرين غير شرعيين بسبب عدم حصوله على تمديد للإقامة في بلد المهجر بطريقة قانونية، أو حتى الهجرة غير الشرعية: الهاراغا harragas: وهذه التسمية تعبر عن الهجرة غير الشرعية من دول شمال إفريقيا (المغرب والجزائر وليبيا وتونس) خاصة أو من ألئك الذين لا يحملون وثائق أو غير القانونين، وعادة ما يجتازون الحدود نحو أوربا عبر زوارق الموت حيث "تقدر حصيلة القتلى في البحر الأبيض المتوسط من هؤلاء حوالي "3000 مهاجر على اللأقل ماتوا في البحر خلال سنة2014"(برتران بادي ودومنيك فيدال، 2016، ص179)، وعادة هذا النوع من المهاجرين أقل حظا في الحصول على أدني الحقوق في البلد الذي هاجروا إليه وهي الفئة التي يسهل استغلالها كيد عاملة.

إن التميز بين هذه الأنواع الثلاث من الهجرة الطواعية لا يعني بالضرورة أن الهجرة الطلابية وهجرة العمال وذوي الكفاءة تتم بصفة نظامية وقانونية إذ قد نجد ضمن الهاراغا أي المهاجرين غير الشرعيين طلبة وذوي الكفاءة والمؤهلات المهنية وحتى بطالون وعديمي المستوى التعليمي والمهني.

الهجرة الاقتصادية: تحتل الهجرة بسبب العوامل الاقتصادية في إفريقيا أهمية كبيرة ففي "سنة 2006 كانت هناك 39 دولة إفريقية ضمن 50 دولة من أقل الدول نموا في العالم مع وجود 70% من مواطني بعض الدول الإفريقية يعيشون على أقل من دولار لليوم، ولهذا أصبحت الهجرة سبيلا للهرب من الفقر المدقع وفي سنة 2005 تم إحصاء 17 مليون مهاجر دولي من إفريقيا منهم 3ملايين لاجئين" ويدخل ضمن هذا النوع من الهجرة غير المقننة إمكانية طلب اللجوء من طرف المهاجرين أو اللاجئين لأسباب إقتصادية إلا أنه لا بد من الاشارة إلى أنه إلى يومنا هذا لا يزال هناك نوع خاص من الهجرة الإقتصادية تعرفه "منطقة الساحل الإفريقي(مالي والنيجر وبوركينافاسو وتشاد) من خلال الهجرة التقليدية المعتمدة على دورات هطول الأمطار

والجفاف"(ستيفن كاستلز ومارك ميللر، 2013، ص347-256) والتي تدخل ضمن ما يعرف بالهجرة البيئية وإن كان إلى يومنا هذا لم يتم إدراج المهاجرون لأسباب بيئية ضمن اتفاقية جنيف لسنة1951 باعتبارهم لاجئين لهم حقوق تضمنها هذه الاتفاقية مثلهم مثل للاجئي الحروب والنزاعات.

3.حدود تقاطع مفهومي الهجرة واللجوء والمفاهيم المرتبطة بهما:

تلتقي الهجرة القسرية بالهجرة الاختيارية ضمن ما يعرف "بعوامل الطرد" التي عادة ما ترتبط بالأوضاع في البلد الأصلي سواء كانت أوضاع تشكل خطرا على حياة الفرد أو المواطن في بلده من خلال الحروب والنزاعات والعنف أو حتى لأسباب بيئية قاهرة، وبالتالي تعتبر هجرة قسرية أي عوامل طرد مهددة لحياة الفرد، بالإضافة إلى عوامل أخرى ترتبط بالعوامل الإقتصادية والاجتماعية وحتى الجغرافية والديموغرافية أو ما يمكن أجمالها في الإختلالات التنموية المزمنة، وبالتالي هجرة اختياريه وهو ما يعني أن عوامل الطرد مرتبط بظروف معيشية قاسية بغض النظر عن تأثيرها إذا كان يصل إلى تهديد حياة الفرد أو لمجرد ارتباطه ببحث الفرد عن فرص أفضل في مكان أفضل، في حين تتمثل "عوامل الجذب"(Austria Wolfang Lutz, 1996, p342) والتي تكون عادة في البلد المستقبل أو المهاجر إليه أوضاع أفضل سواء اقتصادية أو اجتماعيا أو حتى تعليمية أو حتى ظروف عمل أفضل مما تدفع خاصة فئة الشباب إلى الهجرة، ويمكن أن تتقاطع الهجرة واللجوء ضمن المصطلحات التالية:

الهجرة المختلطة: هي التي تجمع بين مختلف أنواع المهاجرين السابقين وحتى من دول مختلفة "فالعديد من حركات الهجرة تشمل نوعين من المهاجرون لدوافع اقتصادية واللاجئون السياسيون مما جعل المفوضية العليا للاجئين التابعة للأمم المتحدة تتحدث عن تدفقات الهجرات المتنوعة والمختلطة ككل، وهو ما جعل الهجرة ظاهرة معقدة جدا في أسبابها وطرقها وحتى في كيفية التعامل معها أو معالجتها، فالهجرة المختلطة تشمل المهاجرين واللاجئين وطالبي اللجوء والعمال المهاجرين والقصر بذويهم وبدونهم والمهاجرون البيئيون وضحايا الاتجار بالبشر، وغيرهم من المهاجرين أيا كانت أسباب تحركهم وهجرتهم سياسية أو اقتصادية أو بيئية أو ثقافية، كما تطلق تسمسية "**الشتات** على تجمعات من المهاجرين المستقرين في المهجر ويرى الباحثون أن وجود الشتات يشجع على الهجرة، وأنه لم يكن هناك وجود لشتات إلا بعد سنة 1960 باعتبار أن قبل تلك السنة كان الشتات ضئيل العدد، ولعل أهمية الشتات تكمن في تقليل تكاليف الهجرة خاصة عندما كانت الحدود مفتوحة أمام المهاجرين خلال تلك السنوات، إلا أن علماء الاجتماع يؤكدون أنه "كلما زاد عدد الشتات غير المندمجين تقلصت الثقة بهم، كما أنه كلما زاد حجمهم تباطئ معدل الاندماج "(بول كوليير، 2016، ص48-110) وهو ما أصبح عاملا من عوامل تعزيز الكراهية للأجانب ورفضهم من السكان الأصليين في بلد المهجر.

في الأخير فإن الهجرة الدولية بشكل عام بغض النظر إن كانت قسرية أو طواعية بطرق قانونية أو غير قانونية فإنها بالضرورة تعكس اللامساواة في الحق في الحركة والتنقل بغض النظر عن طبيعتها فإلقاء نظرة بسيطة على مسألة حرية التنقل من خلال النقاط التالية يوضح لنا هذه النتيجة:

مسألة حرية التنقل بدون تأشيرة: إن حرية التنقل بدون تأشيرة تلخص لنا هذه النتيجة فمثلا "يحق للشخص إذا كان ذو جنسية دنمركية التنقل في 164 دولة في حين إن كان روسيا فله حرية التنقل في 94 بلدا في حين تتقلص فرص حرية التنقل في دول العالم الثالث بشكل عام وفي الدول التي تمثل مصدرا للهجرة كدول إفريقيا خاصة الواقعة جنوب الصحراء، وكذا بنغلاديش"(برتران بادي ودومنيك فيدال، 2016، ص175-176) مثلا، وبصفة عامة فإن المهاجرين من دول الشمال يتمتعون بحرية كبيرة للتنقل نحو أي دولة من العالم وبالكثير من

التسهيلات كاليابان واستراليا وأمريكا...إلخ، وهذا التفاوت في حرية التنقل يعكس التفاوت واللامساواة في طبيعة الهجرة الدولية، في ذات الوقت هناك بعض الدول التي تسهل منح الجنسية للمهاجرين وهي الدول التي تتميز بقدرتها على استيعاب التنوع والاختلاف في حين أن هناك دول أخرى تصعب حصول المهاجرين على الجنسية وهي عادة الدول التي تتخوف من تأثير التنوع على هويتها وأوضاعها الداخلية خاصة الدول غير القادرة على التعامل مع الاختلاف والتنوع الثقافي.

الوضعية الاجتماعية للمتنقل: إن الوضعية الاجتماعية للمتنقل تلخص لنا هي الأخرى نفس النتيجة على اعتبار أن "الأغنياء حتى في الدول الفقيرة يجدون صعوبات أقل في الخروج وحتى الإقامة خارج بلادهم لمدة تزيد عن ثلاث أشهر خاصة إذا كانوا يحملون معهم رأسمال لشراء شقة للسكن أو حتى لإقامة مشروع ما...بحيث يستفيدون من الحصول على رخص اقامة نظامية في العديد من البلدان المضيفة"(برتران بادي ودومنيك فيدال، 2016، ص176)، أليس من حق الفقراء أيضا التنقل بكل حرية عبر الحدود؟ باعتبار أن تلك الدول تشجع ذاك النوع من الهجرة المرتبط بجلب الأموال، فمثلا تفرض "اليابان قيود صارمة على المهاجرين في حين هناك بعض المدن الذي وصل عدد المهاجرين إليها أكثر من 95% في دبي مثلا(بول كولبير، 2016، ص18).

أصحاب للمؤهلات العليا: وذات الشيء ينطبق على أصحاب المؤهلات العلمية والمعرفية من دول الجنوب، بحيث يعتبرون محل ترحيب من دول الشمال بل أكثر من ذلك بعض الدول تتبع سياسة انتقائية لاجتذابهم كما أنهم يتمتعون بتسهيلات للحصول على التأشيرة وتنقلهم وهو ما يعرف لدى دول الجنوب بهجرة الأدمغة "كأستراليا وكندا اللذان تطلبان مستويات تعليمية عالية في اختيارها لنوعية المهاجرين"(بول كولبير، 2016، ص19).

إن الإشكال الذي يطرح حول الهجرة الطوعية أو الاختيارية سواء كانت نظامية أي شرعية أو هجرة غير نظامية غير شرعية هي أن الهجرة تتم دائما من الجنوب نحو الشمال، كما أن نسبة كبيرة من المهاجرين هم من يملكون إمكانيات للهجرة أو كفاءات علمية أو يد عاملة مؤهلة وهو ما يجعل السؤال المركزي الذي لا بد من طرحه هو "ما هي تأثيرات الهجرة على ألئك الذين يبقون في بلدانهم من الضعفاء متروكين في وطنهم ولمصيرهم، أليس بالإمكان اعتبار الهجرة نفسها هجمة استعمارية مضادة"(بول كولبير، 2016، ص18-19)، أم هي تحرك إيجابي قد يعود على طرفي المعادلة دول مصدرة ومستقبلة بالفائدة الاقتصادية والاجتماعية المتكافئة من خلال ما يعرف بتداول العقول بدلا من هجرهم لبلدانهم بصفة نهائية.

كما أن "التقسيم القديم للدول على أنها إما مصدرة أو مستقبلة للمهاجرين أثبت تآكله وعدم جدواه فمعظم الدول على حد سواء يمرون بكلا التجربتين تصدير واستقبال للمهاجرين، في نفس الوقت أخذت دول أخرى دورا مهما كمناطق عبور للمهاجرين فالهجرة العالمية هي جزء من الثورة العابرة المتخطية للحدود الوطنية" (ستيفن كاستلز ومارك ميللر، 2013، ص48)، إلا أن عادة الدول المتقدمة ظلت في الكثير من الأوقات دول مستقبلة خاصة الولايات المتحدة وكندا وأستراليا ونيوزيلندا مثلا، كما أن أغلب دول إفريقيا جنوب الصحراء باستثناء جنوب إفريقيا شكلت دائما دول مصدرة للهجرة، كما تعتبر الكثير من الدول كدول مصدرة ومناطق عبور في ذات الوقت كدول شمال إفريقيا وبعض الدول الأوروبية كاليونان وإسبانيا والكثير من دول أوربا الشرقية والوسطى إلا أن أهم ما في كل هذا أن "الهجرة الإقليمية أكبر سبع مرات من الهجرة إلى باقي أنحاء العالم بالرغم من الضجة الإعلامية المثارة حول زيادة الهجرة الإفريقية نحو أوربا(ستيفن كاستلز ومارك ميللر، 2013، ص306)، ولعل أهم ما في الأمر أنه ولوقت قريب لم

تكن الحكومات "تنظر إلى الهجرة الدولية كقضية سياسية أساسية بحيث كان يتم تقسيم المهاجرين إلى فئات يتم التعامل معهم ضمن أقسام إدارية متنوعة، وفي سنة1986 عقدت منظمة التنمية والتعاون الاقتصادي(OECD) أول مؤتمر دولي حول الهجرة الدولية وعن ضرورة وجود اتفاق بين حكومات الدول المصدرة والمستقبلة للهجرة لتحديد حقوق المهاجرين، إلا أن هذا الطرح رفض من طرف الولايات المتحدة الأمريكية ودول الشمال المتقدم، كما أن الجمعية العامة للأمم المتحدة تبنت اتفاقية في سنة1990 بشأن حقوق العمال المهاجرين، إلا أنها لم تدخل حيز التنفيذ إلى غاية2003 ومعظم الموقعين عليها دول مصدرة للهجرة، وبالرغم من وجود منظمات دولية كالمفوضية السامية لشؤون اللاجئين في الأمم المتحدة ومكتب العمل الدولي من أجل العمال المهاجرين، ولكن إلى يومنا هذا لا توجد مؤسسة تتحمل المسؤولية الشاملة من أجل تعاون عالمي لرصد حقوق المهاجرين"(ستيفن كاستلز ومارك ميللر، 2013، ص57) بغض النظر عن طبيعة الهجرة أو نوع المهاجر سواء كانت طوعية أو قسرية يحتل المهاجر في أغلب الأحيان درجة ثانية أو حتى درجة دنيا على جميع المستويات في دولة المهجر.

وهذا ما يعني أن الهجرة الآمنة والقانونية والمنظمة تخضع لاعتبارات اللامساواة التي تكرست بل وتزداد ترسخا في العلاقة بين الشمال والجنوب، خاصة في ظل تزايد موجات الهجرة نحو الشمال لأسباب اقتصادية واجتماعية أكثر منها لأسباب أمنية خاصة بالطرق غير الشرعية، باعتبار أن الهجرة لأسباب مرتبطة بالحروب والنزاعات السياسية مكفولة من الناحية القانونية وفقا لاتفاقية جنيف لسنة 1951 والبروتكول الملحق بها لسنة 1967، كما أن حركة الهجرة بشكل عام تتم من المستعمرات السابقة إلى الدول التي استعمرتها بصفة مكثفة، إلا أن الطرح المناقض لهذا الطرح هو عولمة الدخول والخروج عن طريق الهجرة الآمنة والقانونية (أو سياسة الباب المفتوح أمام المهاجرين، وذلك بأن تصبح "الهجرة من دولة لأخرى منتشرة بما يكفي لتلاشي الهوية والانتماء فتكون هناك حقا مجتمعات وعائلات عابرة للقوميات(بول كولبير، 2016، ص12) باعتبار أن أي إنسان يمكن أن يكون مواطنا عالميا، قد يبدوا هذا الطرح مثاليا وغير قابل للتحقيق خلال المستقبل المنظور.

خاتمة:

تعبر ظاهرتي الهجرة واللجوء عن حركة اجتماعية بدوافع أمنية وسياسية وحتى اقتصادية لتصبح رهينة العوامل الإنسانية في الدول المستقبلة خاصة بالنظر إلى ظاهرة اللجوء باعتبارها هجرة قسرية مؤقتة في الأصل، إلا أنها قد تصبح دائمة خاصة في ظل الحروب والصراعات الطويلة، مثل اللاجئين الفلسطينيين منذ سنة 1948 والذين لا يزالون إلى يومنا هذا مبعثرين في مخيمات اللجوء في دول الجوار أو بعيدين عن وطنهم بسبب استمرار الصراع، وبالرغم من أن عدد اللاجئين والمهاجرين لأسباب قسرية هي في الأصل مرتبطة بتهديد الإنسان لأخيه الإنسان، إلا أن الطبيعة أيضا أصبح لها دور في ظهور الهجرة القسرية وتحديدا اللجوء البيئي وإن كان إلى يومنا هذا لم يتم تقنين وضعية هؤلاء كمهاجرين قسرين أو لاجئين يتمتعون بحقوق اللاجئين لأسباب سياسية أو أمنية، ومن المتوقع أن يزداد عدد هؤلاء بشكل كبير خاصة في ظل تقلبات الطبيعة المفاجئة من جهة، وكذا نتيجة الظواهر غير الطبيعية التي تسبب فيها الإنسان كالاحتباس الحراري مما انعكس على جودة حياته الإيكولوجية على هذه الأرض وإن كانت الدول الصناعية الكبرى تتحمل المسؤولية الكبرى في ذلك، ولعل أكثر الهجرات تطرفا إن صح التعبير تلك الهجرة التي تتم بطرق غير شرعية، وكذا هجرة الأدمغة خاصة أن هذين النوعين من الهجرة لها تبعات مؤلمة إحداها ترتبط بالهجرة غير الشرعية والتي تتسبب في كثير من الأحيان في فقدان المهاجرين لحياتهم في عرض البحر خاصة البحر الأبيض المتوسط، أما الثانية وهي هجرة الأدمغة والتي تتسبب في فقدان الدولة لرأسمالها البشري والذين يتركون بقية الشعب يتخبط في

أوضاع دنيا وهو ما يحول دون نهوض الأمم وتقدمها، ويبقى في نهاية هذه الدراسة أن نشير إلى أنه بالرغم من تقنين الهجرة القسرية من خلال تقنين ظاهرة اللجوء إلا أن عدد قليل من اللاجئين يستفيدون من وثائق اللجوء في الدول المستقبلة ويبقى أغلب اللاجئين دون أي وضعية قانونية كمشردين على هذه الأرض.

قائمة المراجع:

1. أحمد علي سالم وآخرون(2017)، الانسان البيئة: مقاربات فكرية واجتماعية واقتصادية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
2. أيمن زهري(2016)، "الهجرة الدولية والتحركات السكانية في المنطقة العربية: دور البرلمانيين والمجالس التشريعية"، ورقة سياسات، ع2.
3. برتران بادي ودومنيك فيدال(2015)، أوضاع العالم 2016: عالم اللامساواة، مؤسسة الفكر العربي، بيروت.
4. بول كولبير(2016)، الهجرة كيف تؤثر في عالمنا، تر: مصطفى ناصر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
5. جوي ميللر، سياسة أوغندة اتجاه النازحين داخليا، نشرة الهجرة القسرية، رقم 78، على الرابط: www.fmreview.org/FMRpdfs/FMR78/FMR78Brookings.pdf
6. خالد محمد دفع الله(2016)، "استجابة البحوث للسياسات: حالة بحوث الهجرة القسرية في السودان"، سياسات عربية، ع19، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة.
7. زيغمونت باومان(2016)، الأخلاق في عصر الحداثة السائلة، تر: سعد البازعي وبثينة الابراهيم، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي.
8. ساري حنفي(2015)، "الهجرة القسرية في الوطن العربي اشكاليات قديمة جديدة"، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
9. ستيفن كاستلز ومارك ميللر(2013)، عصر الهجرة، تر: منى الدروبى، المركز القومي للترجمة، القاهرة.
10. محمد ربيع، د.س، هجرة الكفاءات العلمية، على الرابط: https://repository.nauss.edu.sa/bitstream/handle/123456789/56389
11. Austria Wolfang Lutz(1996), The future population of the world, ed, the international institute for applied systems analysis,
12. Laidouni N,Alvarez-Dardet C(2016),"Public health lesson for refugee reception the example of Sidi Bulgayz", J Epidemiol Community Health, Vol 70, No10.
13. Global Trends Forced Displacement in 2015,UNHCR Global Trends, P2.in: www.unhcr.org/statistics.

الأسرة الجزائرية وإشكالية تقبل التجديدات الرقمية دراسة سوسيولوجية لاتجاهات عينة من أرباب الأسر نحو تكنولوجيات الاتصال الحديثة بين الريف الحضر.

The Algerian family and the problematic of accepting the digital innovation : Sociological study of attitudes of a sample of parents towards the use of modern communication technologies between rural and urban.

أ. محمد عادل زيتوني، جامعة أبو القاسم سعد الله - الجزائر

ملخص: تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن مدى إقبال الأسرة الجزائرية على الأنترنت والوسائط التكنولوجية لاستخدامه، المتمثلة في الحاسوب بنوعيه (الثابت والمحمول)، الهاتف الذكي واللوحة الإلكترونية، والفروق في هذا الإقبال في ضوء متغير مكان الإقامة (ريف، حضر)، وذلك اعتمادا على كل من المنهج الوصفي التحليلي والمنهج المقارن، إذ تم استهداف الأسر المقيمة بكل من بلدية "تاكسنة" بولاية جيجل كنموذج عن المجتمع الريفي، وبلديتي الجزائر الوسطى وجيجل كنموذج عن المجتمع الحضري، أين تم سحب 200 أسرة عن طريق معاينة عشوائية بمجموعة من المدارس الابتدائية، باستخدام أداة الاستبيان. إضافة الى القيام بمعاينة عرضية عن طريقة تقنية المقابلة، بهدف تعويض الاستمارات غير المسترجعة، وكذا غير القابلة للتحليل الإحصائي. أما فيما يخص المعالجة الإحصائية للبيانات، فقد تم استخدام كل من اختبار "ستيودنت" للعينات المستقلة، تحليل التباين الأحادي وتحليل التباين الثنائي.

الكلمات المفتاحية: اتجاهات، الأسرة الجزائرية، التجديدات الرقمية.

Abstract: The aim of this study is to determine the rate of use of the Internet and the various communication tools and devices (smart phone, tablet and computer) in the family and the differences at these uses according to the variable of place of residence (rural, urban). on a descriptive and comparative method, this study targeted the rural families residing in the municipality of Texenna (wilaya of Jijel) as a model of rural society, and families of the municipality of Algiers center as well as the municipality of Jijel , as a model of urban society. Where 200 families were removed, using random sampling in primary schools using a questionnaire, as well as accidental sampling for the purpose of compensating questionnaires that were not retrieved or not susceptible to statistical analysis .

Keywords: Attitudes, Algerian Family, Digital Renovations.

الإشكالية:

لقد شهد العالم منذ منتصف القرن الماضي ثورة تكنولوجية غير مسبوقة نُقل على إثرها المجتمع الإنساني إلى عصر جديد، من عصر الصناعة إلى ما بعد الصناعة والذي سمي بعصر المعلومات، وإذا كان اختراع الكمبيوتر في حوالي منتصف القرن الماضي يعد العامل الأساسي لحدوث هذه الثورة التكنولوجية، فإن اكتشاف الأنترنت يعتبر طفرة تقنية في مجال الاتصالات، كانت كفيلة بنقل العالم إلى حقبة تاريخية جديدة، من عصر المعلومات إلى عصر الوسائط المعلوماتية، ولنطلق عليه "عصر الأنفوميديا"(فرانك كيلش، 2000، ص11).

لقد عرفت الأنترنت منذ ظهورها تطورا كبيرا في خصائصها، وظائفها وتطبيقاتها، وأصبحت تتمتع بتنوع خدماتي كبير استطاعت من خلاله أن تستهوي جماهير عريضة من الأفراد عبر العالم. كما أدت هذه التقنية الى تغييرات عميقة في أنماط الحياة، وفي وطرق عمل وتسيير العديد من النظم والمؤسسات في المجتمع.

ومنذ العقد الأخير من القرن الماضي، أظهرت الجزائر جهودا كبيرة في محاولة منها لتطوير مجال التكنولوجيا الحديثة للمعلومات والاتصالاتNTIC، وذلك من خلال تعزيز البنية التحتية لهذا القطاع، ومحاولة تعميم استخدام الأنترنت وتقنيات الاتصال الحديثة في مختلف المؤسسات والقطاعات العمومية. كما حاولت تطوير سوق الاتصالات ورفع نسبة الاشتراك في الأنترنت لدى الأفراد والأسر، من خلال خلق العديد من البرامج والاستراتيجيات الاجتماعية، على غرار مشروع "أسراتيك "Ousratic الذي أطلقته الحكومة الجزائرية سنة 2005 ورغم هذه المحاولات المختلفة للنهوض بقطاع الاتصالات في الجزائر، ظلت هذه الأخير تعاني فجوة رقمية كبيرة بالنظر إلى التطور الذي شهدته البلدان المجاورة في هذا المجال، ناهيك عن الدول المتقدمة.

ولم يعرف قطاع تكنولوجيا الاتصالات الحديثة في الجزائر انتعاشا مثل الذي عرفه في الأربع سنوات الأخيرة، بعد جهود معتبرة من طرف الحكومة في تطوير هذه التكنولوجيات من خلال إطلاق خدمات الأنترنت اللاسلكي G3 وG4، مما ترتب عنه ارتفاع نسبة الاشتراك في الأنترنت من 10.111 مليون سنة 2014 إلى 18.583 مليون سنة 2015، كما ارتفعت كثافة الأنترنت من 25.60% عام 2014 إلى 46% سنة 2015، وبلغ عدد المشتركين في الأنترنت اللاسلكي3G 16.319مليون، أي ما نسبته 87.81% من نسبة الاشتراك الإجمالية في الأنترنت، كما ارتفع عدد استخدام الأنترنت المنزلي ADSL إلى 1.838 مليون مشترك(Observation du marché de l’internet en Algérie, 2015).

ورغم الدور الكبير الذي يلعبه التطور على مستوى الإمكانات القاعدية والبنية التحتية لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات في رفع نسبة اشتراك الأفراد في الأنترنت، تبقى للعوامل والمتغيرات الديموغرافية، الاجتماعية، الثقافية والنفسية أهميتها التي لا يجب الاستهانة بها، من حيث قدرتها على التأثير في نسب استخدام الأنترنت في أي منطقة من العالم. فلقد أثبتت العديد من الدراسات أن بعض العوامل الديموغرافية كالسن، والاجتماعية مثل: المستوى الاجتماعي، المستوى التعليمي، تلعب دورا هاما في تشكيل اتجاهات الأفراد سواء بصفة دائمة أو مؤقتة نحو استخدام تكنولوجيات الاتصال الحديثة على غرار تقنية الأنترنت، مما يؤثر في نسب استخدامها وانتشارها في أي مجتمع (Annabelle Boutet et Jocelyne Tremenbert, 2008, p6) كما أكدت دراسات أخرى أن بعض العوامل السوسيوثقافية تلعب دورا بارزا في تقبل أو رفض هذه التكنولوجيات على المستوى المجتمعي Niveau sociétal، إذ كشفت أن بعض المجتمعات المحلية تتبنى التجديدات والمبتكرات، كما يحدث فيها التغير الثقافي بسرعة وفي نطاق واسع يمس كثيرا من مظاهر الحياة، ونجد هذا خاصة في المجتمعات الحضرية التي تسود فيها ثقافة تتميز بالمرونة، نظرا لعوامل مختلفة إيكولوجية، اقتصادية، وسوسيو-ديموغرافية، مما يجعل من

المدينة هيئة اجتماعية مفتوحة على المستحدثات والتغيرات بمختلف أنواعها(سامية حسن الساعاتي، 2008، ص85)، على عكس المجتمعات الريفية الصغيرة، المتجانسة والمنغلقة، التي تتسم بالمحافظة، التقليد ورفض التغير وكل جديد، غريب ومغاير لما اعتادت عليه، ويرجع ذلك أساسا الى الثقافة الريفية النمطية التي تتميز بذهنية تحريمية متشبثة بالتقاليد والشكليات المتوارثة. ومما ينمي لديها هذه الثقافة، أنها غالبا ما تكون محرومة من أسباب الحضارة، التطور، الخدمات والتعليم(سعد الصويان، 2005)، وانطلاقا مما تقدم تتحدد إشكالية هذه الدراسة في الإجابة عن السؤالين التاليين:

1- ما مدى إقبال الأسرة الجزائرية على تكنولوجيات الاتصال الحديثة؟

2- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة 0.05 في إقبال الأسرة الجزائرية على الأنترنت والوسائط التكنولوجية لاستخدامه المتمثلة في: جهاز الحاسوب بنوعيه (الثابت والمحمول)، جهاز الهاتف الذكي وجهاز اللوحة الإلكترونية تعزى لمتغير مكان الإقامة (ريف، حضر)؟

1- إشكالية تقبل ورفض التكنولوجيا الحديثة للاتصال:

يشترك في الأنترنت اليوم ملايين الأفراد عبر العالم، هذه التقنية العجيبة نظرا للتنوع الخدماتي الكبير الذي تتيحه، استطاعت أن تستهوي جماهير عريضة من مختلف الشرائح والفئات الاجتماعية والعمرية. وتختلف نسب الاشتراك في الأنترنت من بلد لبلد، من مجتمع لآخر ومن أسرة لأسرة، حسب العديد من العوامل والمتغيرات. ففي دراسة إحصائية لمركز البحث لدراسة وملاحظة ظروف الحياة CREDOC في 2007، وُجد أن أكثر العوامل تأثيرا في استخدام الأفراد للأنترنت بفرنسا هي: السن، المستوى التعليمي، مستوى دخل الأسرة، وطبيعة العمل. إذ كشفت هذه الدراسة أن نسبة استخدام الأفراد الذين تتراوح أعمارهم بين 12 و17 سنة للأنترنت تبلغ 93%، مقابل 9% فقط من الأفراد الذين تتراوح أعمارهم من 70 سنة فما فوق. كما وُجد أن نسبة استخدام الأنترنت لدى الأسر التي يزيد دخلها عن 3.100 أورو قد بلغت 87% مقابل 42% بالنسبة للأسر التي تنخفض مداخيلها الشهرية عن 900 أورو، وكشفت كذلك عن ارتفاع نسبة الاشتراك في الأنترنت لدى الأفراد الحاصلين على شهادات جامعية الى 90%، مقابل 20% من الأفراد غير الحاصلين على شهادات عليا. وتلعب طبيعة العمل دورا كبيرا في استخدام الأنترنت، إذ وجد أن ما نسبته 96% من الإطارات السامية يستخدمون الأنترنت (Annabelle Boutet et Jocelyne Trémenbert, 2009, pp69-100)، من جهته نشر الديوان الفيديرالي للإحصائيات السويسري OFS، دراسة حول استخدام الأسر للأنترنت في سويسرا سنة 2010، إذ وجدت أن حجم الأسرة، دخلها المادي، معدل عمر أفراد الأسرة والمستوى التعليمي للآباء تلعب دورا كبيرا في تحديد نسبة استخدام الأنترنت بين الأسر السويسرية. فلقد كشفت هذه الدراسة أن نسبة الأسر الفتية، أي التي يقل عمر أكبر فرد فيها عن 50 سنة، قد بلغت 90%، مقابل 33% من الأسر التي يتراوح عمر أكبر فرد فيها من 70 سنة فما فوق. كما بلغت نسبة الأسر ذات الدخل المرتفع المتصلة بالأنترنت 83%، بينما تنخفض نسبة الأسر ضعيفة الدخل المتصلة بالأنترنت الى أقل من 70%. وبلغت نسبة الأسر المشتركة في الأنترنت حيث يتمتع أحد الآباء أو كليهما بمستوى جامعي 90% مقابل 41% من الأسر التي لا يمتلك فيها الآباء أو أحدهما شهادة عليا (Yves Froidevaux, 2012, p8)، وأكدت دراسة إحصائية أخرى لجمعية (Fondation) Travail-Université FTU على دور هذه العوامل في تحديد نسب اشتراك الأسر في الأنترنت ببلجيكا، إذ كشفت أن 96% من الأسر ذات الدخل المرتفع تستخدم الأنترنت في المنزل، مقابل 68% من الأسر ذات الدخل المنخفض. كما كشفت أن نسبة الاشتراك في

الأنترنت لدى الأسر التي يتمتع فيها الآباء بمستوى جامعي بلغت 99% مقابل 79% من الأسر المشتركة التي لا يتمتع الآباء فيها بمستوى تعليمي عال(FTU, 2014, p2).

وفي دراسة إحصائية تعتبر الأولى من نوعها في الجزائر قامت بها مؤسستي IDEATIC وMed&Com حول استخدام الأنترنت في الجزائر سنة 2009، أجريت باستخدام استمارة إلكترونية شارك في ملئها 5944 مستخدم للأنترنت، كشفت أن نسبة الاشتراك في الأنترنت في الجزائر في ارتفاع كبير ومستمر، إذ قدر عدد المشتركين في الأنترنت في سنة 2009 بحوالي 4.5 مليون مشترك، كما صرح 75% من المستخدمين أنهم مدمنين على استخدام الأنترنت. وكشفت هذه الدراسة عن أثر بعض العوامل السوسيو-ديموغرافية في نسبة استخدام الأنترنت في الجزائر، كالجنس إذ وُجد أن الرجال أكثر استخداما للأنترنت 74.2% مقارنة بالنساء 25.8%، كما ترتفع نسبة الاستخدام لدى فئة العمرية التي تتراوح بين 20 و50 سنة 61.5%، بينما تنخفض لدى الأفراد الذي تزيد أعمارهم عن 50 سنة 16.7%، وتنخفض جدا لدى الشريحة العمرية الأقل من 19 سنة 9%. ووجد أن 66.2% من مستخدمي الأنترنت في الجزائر متحصلين على شهادات عليا، كما تبين أن أكثر من ثلثي المستخدمين موظفين 69.1%، و19% من الطلاب، و11.9% عاطلين عن العمل (المتقاعدين، النساء الماكثات في البيت وما إلى ذلك) (IDEATIC & Med&Com, 2009, p2)

بالمقابل ركزت بعض الدراسات رغم قلتها على إشكالية العزوف عن استخدام التكنولوجيا الحديثة للاتصال Les non-usages des TIC في محاولة منها للكشف عن أهم العوامل المؤدية إلى عدم استخدام هذه التكنولوجيات على غرار الأنترنت. ومن بين الدراسات التي أجريت في هذا الصدد: دراسة المنظمة الوطنية للإحصاء بكندا، والتي أجرت بحثا ميدانيا سنة 2005 حول الأفراد الذين يمتنعون عن استخدام الأنترنت، واستطاعت في النهاية أن تصنف غير المستخدمين للإنترنت إلى ثلاثة فئات وهي:

الممتنعون عن الاستخدام Les non-utilisateurs radicaux: وهم الأفراد الذين تزيد أعمارهم عادة عن 65 سنة، كما يتميزون بمستوى دخل متواضع جدا، وهؤلاء لا يرون أي جدوى من استخدام الأنترنت حتى ولو توفرت لهم الظروف الملائمة لاستخدامه، ويحتمل جدا أن هذه الفئة لن تستخدم الأنترنت أبدا.

غير المستخدمون نسبيا Utilisateurs potentiels distants: تتراوح أعمارهم عادة بين 55 و65 سنة، ولا يملكون الظروف المساعدة على استخدام الأنترنت، كالقدرة المادية على استخدامه، إضافة إلى عدم إلمامهم بكيفية استخدام الأنترنت والحاسوب، وهؤلاء قد يظهرون استعدادا لاستخدام الأنترنت في المستقبل في حالة تحسن حالتهم المادية أو استفادتهم من تكوين في مجال الإعلام الآلي واستخدام الأنترنت.

شبه المستخدمين Les quasi-utilisateurs: وهم الأفراد الذين لا يستخدمون الأنترنت بسبب عدم القدرة المادية، أو يعيشون في مناطق لا تستفيد من الربط بالانترنت كالمناطق الريفية والجبلية، لكنهم يريدون استخدام الأنترنت في حالة توفر الظروف المساعدة على استخدامه. (Annabelle Boutet et Jocelyne Tremenbert, 2008, p76)

كما قامت فرقة بحث أمريكية بقيادة Lenhart سنة 2003، بدراسة حول استخدامات الأنترنت في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث أسفرت هذه الدراسة عن تصنيف غير المستخدمين للإنترنت إلى أربعة نماذج:

المتهربون Evaders: وهم الأفراد الذين يعيشون في بيئة أسرية واجتماعية تتوفر بها الأنترنت، كما يستخدمها أفراد أسرهم وأصدقائهم بشكل دائم ومستمر، غير أنهم اختاروا عدم

استخدام هذه التقنية، فمنهم من يحتج بعدم حاجته الأنترنت، ومنهم من يتحجج بعدم توفر الوقت لتعلمها أو استخدامها.

المنقطعون أو المنسحبون Dropout: وهم الأفراد الذين كانوا يستخدمون الأنترنت في وقت مضى ثم انقطعوا عن استخدامها بصفة نهائية، وأغلبهم صرحوا أنهم انقطعوا بسبب عطل في جهاز الحاسوب أو في الأنترنت، ومنهم من صرح بأنه لم يحبب هذه التقنية.

أصحاب الاستخدام المتقطع Intermittent users: وهم الذين يستخدمون الأنترنت كلما دعتهم الفرصة لذلك، أي أنهم لا يستخدمون الأنترنت بصفة دائمة ومنتظمة، بل يستخدمونه عند الحاجة فقط. أو هم الذين انقطعوا عن استخدام الأنترنت لفترة طويلة نوعا ما ثم عادوا لاستخدامه مرة أخرى.

غير المستخدمين تماما Truly unconnected: وهم الأفراد الذين يعيشون في محيط أسري واجتماعي معزول عن استخدام الأنترنت، أو الذين لم يستخدموا الأنترنت في حياتهم أبدا (Annabelle Boutet et Jocelyne Tremenbert, 2008, p76).

وجاء في تقرير لمركز البحث لدراسة وملاحظة ظروف الحياة CREDOC في سنة 2016 حول واقع استخدام تكنولوجيا الاتصال بفرنسا، أن حوالي 10/1 من المواطنين الفرنسيين لا يستخدمون الأنترنت في المنزل، وترتفع نسب عدم الاشتراك خاصة لدى النساء بنسبة 57%، الأشخاص المسنين بنسبة 43%، الأشخاص الذين يعيشون بمفردهم بنسبة 61% وأصحاب المستويات التعليمية المتدنية بنسبة 39%، وكشفت هذه الدراسة أن فئة غير المشتركين تعتبر الأقل توفرا على الأجهزة والوسائط المعلوماتية والاتصالية المختلفة، إذ كشفت أن ما نسبته 45% من غير المشتركين في الأنترنت لا يملكون خطا هاتفيا، و25% لا يملكون هاتف محمول و84% لا يملكون جهاز حاسوب. كما جاء في هذا التقرير أن 50% من غير المشتركين يرجعون سبب عدم استخدامهم للأنترنت الى عدم أهميتها بالنسبة لهم، أي أنهم لا يجدون فائدة من استخدامها، وهو السبب الأكثر ترددا في سنوات 2010 و2011، و25% منهم يعزون سبب عدم اشتراكم لعدم امتلاكهم لكل أو أحد التجهيزات اللازمة لاستخدام الأنترنت على غرار جهاز الحاسوب أو الهاتف الذكي أو عدم امتلاك خط هاتفي (Patricia Croutte et Sophie Lautié, 2016, p44)

وأسفرت دراسة لـــ Selwyn قام بها في "ويلز" Wales وبريطانيا عام 2006، أن أكثر العوامل المؤثر في عدم استخدام الأنترنت تتمثل في فقدان الأهمية أو الحاجة الى استخدام الأنترنت، عدم الإلمام بكيفية استخدام الحاسوب والأنترنت، عوائق الاستخدام كانعدام أو قلة الوقت، التقدم في العمر، سوء الحالة الصحية وأخيرا عدم توفر الربط بالأنترنت L'absence d'accès. (Annabelle Boutet et Jocelyne Trémenber, 2008, p79)

ومن خلال ما تقدم يمكن تصنيف الأفراد في علاقتهم بالأنترنت الى فئتين رئيسيتين:

الأنترنتيون Les internautes: ويقصد بهذا المصطلح كل فرد يستخدم الأنترنت، سواء بصفة دائمة أو متقطعة، ولا يمتنع بأي حال من الأحوال من استخدامه بصفة قطعية. وتندرج هذه الفئة ضمن فئة أوسع منها وهي فئة الأفراد المحبين للتكنولوجيا عامة Technophiles، ويقصد بهذا المصطلح "كل فرد يحب ويشجع استخدام التكنولوجيات الجديدة، كما يستخدمها بحماسة في عمله وأوقات فراغه" (René Crescent et Richard Langlois,2004,p60)، وتنقسم فئة الأنترنتيون بدورها إلى صنفين وهما:

المعتدلون: أي الذين يستخدمون الأنترنت بطريقة معتدلة من حيث حجم الاستخدام، أي أنهم في غالب الأحوال لا يسرفون في استخدم الأنترنت، بحيث لا يؤثر حجم اتصالهم بالشبكة عادة على القيام بنشاطاتهم الاجتماعية المختلفة.

المدمنون: وهي فئة مستخدمو الأنترنت الذين يسرفون جدا في استخدامها من حيث الزمن الذي يقضونه في تصفح الشبكة أو اللعب بالألعاب الإلكترونية أو الشبكية التي يتيحها الأنترنت. بحيث يؤثر ذلك على القيام بنشاطاتهم الاجتماعية المختلفة. وتعرّف ظاهرة الإدمان على الأنترنت Cyberdépendance بأنها "استخدام التقنيات أو وسائل الاتصال المتاحة من طرف الأنترنت، بحيث يؤدي هذا الاستخدام إلى مشاكل اجتماعية، نفسية، دراسية ووظيفية مما يولد شعورا بالضيق لدى الفرد". (Valérie Van Mourique, 2016, p5)، ويطلق على الأفراد المدمنين أو المهووسين بعالم المعلوماتية والأنترنت مصطلح "الغيك" Geek، ويعود أصل هذه الكلمة إلى القرن 16م، إذ كانت تستخدم في اللهجة البريطانية بمعنى الأهبل Fou، وفي بداية القرن 20م كانت تستخدم لوصف البهلوانيين في السرك، ومنذ سنة 1950 أصبح المصطلح يطلق على الطالب المجتهد، الدؤوب، المنطوي على نفسه، الذي يكرس كل وقته للنجاح والتفوق في مجال معين (Jason Tocci, 2009, p18) أما الاستعمال الحالي لمصطلح Geek فقد أصبح يشير إلى الشاب المهووس بعالم الكمبيوتر، الأنترنت والألعاب الإلكترونية، أو الشخص المولع باستخدام الحاسوب، الأنترنت، ألعاب الفيديو، والتجديدات التقنية(Holly Smale, 2014, p1)

اللاأنترنتيون Les non-internautes: وهم الأفراد الذي لا يستخدمون الأنترنت سواء بصفة مؤقتة أو بصفة دائمة وقطعية، وتنقسم هذه الفئة بدورها صنفين وهما:

غير الممانعون: تمثل هذه الفئة الأفراد الذين لا يستخدمون الأنترنت، لعدم توفر إمكانية استخدامه لديهم، سواء كانت هذه الإمكانيات مادية مثل عدم توفر الأجهزة ومعدات المختلفة كجهاز الحاسوب، الهاتف الذكي، الربط بالشبكة والقدرة المالية. أو كانت صحية مثل المرض وكبر السن، أو معرفية كعدم الإلمام بالمعارف المتعلقة بالإعلام الآلي أو اللغات الأجنبية، مما يحول دون إمكانية استخدام الأنترنت، غير أنهم مستعدين لاستخدامها في حال توفر الإمكانيات اللازمة لذاك.

الممتنعون: وهم الذين يتعمدون الامتناع عن استخدام الأنترنت بالرغم من توفر إمكانيات استخدامه لديهم سواء المادية، الصحية أو المعرفية، وقد يرجع ذلك إلى قناعة شخصية بعدم الحاجة للأنترنت، أو بسبب الخوف، وتسمى هذه الظاهرة "رهاب التكنولوجيا" Technophobie أي الخوف من استخدام التكنولوجيات الحديثة، وقد يعتبر ذلك مرضا نفسيا مثله مثل أمراض الرهاب على غرار مرض "رهاب الأماكن الضيقة أو المغلقة" Claustrophobie، كما يمكن أن يعزى إلى ضعف أو نقص في المعرفة، الى موانع ثقافية أو عقائدية أو إلى عوامل إيديولوجية مثل "الأنجلوفوبيا"Anglophobie (Yves Lasfargue, 1990, pp16-21)

2- الإجراءات المنهجية للدراسة:

من المعروف أن طبيعة الموضوع وميدان بحثه هما اللذان يحددان بل ويفرضان نوع المنهج المستخدم في البحث. كما يمكن للباحث أن يستخدم عدة مناهج وطرق متكاملة تعينه على تحقيق هدفه العلمي(عبد الباسط محمد حسن، 1979، ص255)، ولقد تبين أن المنهج الملائم والمناسب لسبر أغوار هذا الموضوع هو المنهج الوصفي، أو كما يسمى في بعض المراجع بالمنهج الوصفي التحليلي، كما اعتمدنا كخطوة ثانية، على المنهج المقارنMéthode comparative، والذي يعتبر من أهم المناهج في العلوم الاجتماعية ومنها علم الاجتماع الحضري، رغم قلة استخدامه من طرف الباحثين المتخصصين في هذه الحقول. ولقد تمت المقارنة في هذه الدراسة

بين عينة من الأسر الريفية وأخرى من الأسر الحضرية، بهدف معرفة ما إذا كانت توجد فروق معنوية في إقبال الأسر على الأنترنت في ظل متغير مكان الإقامة (ريف، حضر).

أما فيما يتعلق بتقنيات البحث فقد تبين انطلاقا من اعتبارات عدة أن الأدوات الملائمة والمناسبة لجمع البيانات في هذه الدراسة هي الاستبانة، بالإضافة إلى ما تسمى بالمقابلة المنظمة، أو كما تسمى في بعض مراجع المنهجية باستمارة المقابلة Questionnaire d'entretien، وهي عبارة عن استبانه تقام أو تتم عن طريق المقابلة، أي أن الباحث هو الذي يقوم بطرح أسئلة الاستبانة على المبحوثين، ومن ثم يقوم بتدوين إجاباتهم على الاستمارة، أو عن طريق مساعدتهم وتوجيههم أثناء عملية ملء الاستمارة. ولقد تم تطبيق أداة الاستبانة عن طريق توزيع استمارات على عينة من التلاميذ ببعض المؤسسات التعليمية التي اختيرت بطريقة عشوائية بالمجال المكاني للدراسة كما سيتبين لاحقا. وتم تطبيق استمارة المقابلة عن طريق الطرح الشفوي للأسئلة المدونة في الاستمارة على الآباء والأمهات، ثم تدوين إجاباتهم على الاستمارة، أي أن الطالب هو الذي يقوم بقراءة الأسئلة على المبحوثين كما هي مدونة في الاستمارة، ويستمع لإجاباتهم ثم يدونها بنفسه، وتارة عن طريق مرافقة وتوجيه المبحوثين أثناء عملية إجابتهم عن أسئلة الاستمارة.

ولقد تبين أن المعاينة الملائمة والمناسبة لهذه الدراسة تتمثل في المعاينة العشوائية، إضافة إلى الاستعانة بالمعاينة العرضية Echantillonnage accidentel، والتي تعرف بأنها عملية "سحب عينة من مجتمع البحث حسبما يليق بالباحث"، ويتم اللجوء إلى هذا الصنف من المعاينة عندما لا يكون أمامنا أي خيار، أي عندما لا نستطيع منذ البداية إحصاء مجتمع البحث المستهدف ولا انتقاء أو اختيار العناصر بطريقة عشوائية. (Maurice Angers, 1997, p237)

ولقد كان انتقاء عناصر العينة العشوائية عن طريق مسح شامل لكل المدارس الابتدائية لبلدية تاكسنة (ولاية جيجل)، والبالغ عددها ثلاث مؤسسات، وتتمثل في كل من مدرسة رويبح عبد الرحمان، مدرسة بوعموشة محمود ومدرسة الإخوة بوطاجين، حيث قمنا بمسح كل تلاميذ السنوات الخامسة بهذه المؤسسات والبالغ عددهم 92 تلميذ، أما بالنسبة لبلدية الجزائر الوسطى، فقد قمنا بسحب عشوائي لمدرستين ابتدائيتين، تمثلتا في كل من مدرسة الاستقلال الواقعة بنهج الحرية، ومدرسة حديقة الحرية الواقعة بحديقة الحرية كريم بلقاسم، حيث سحبنا من كل مؤسسة قسما من أقسام السنة الخامسة بطريقة عشوائية، وبلغ حجم العينة 95 تلميذ. أما طريقة انتقاء عناصر العينة العرضية، فقد كان بطريقة "الفرز الموجه" Tri Orienté وهو إجراء غير احتمالي للمعاينة، موجه عن طريق نوع من التشابه مع مجتمع البحث المستهدف، أي يقوم الباحث باختيار العناصر التي تبدو جزءا من المجتمع المبحوث (Maurice Angers, 1997,p239)، وبما أن المعاينة العرضية تعتبر من المعاينات غير الاحتمالية، فإنها لا تخضع لأي معيار سوى المكان والتعرض العابر(محمد تومي البستاني، 1975، ص123)، وبالتالي فان الباحث في هذه الحالة هو من يقوم بتحديد حجم العينة كما يراه مناسبا لطبيعة الدراسة وأهدافها، وبما يتوافق مع إمكانياته المتاحة. وعليه، فقد قمنا بسحب عينة عرضية من مجتمع البحث بهدف تعويض الاستمارات غير المسترجعة عن طريق المعاينة العشوائية، وكذلك تعويض الاستمارات غير القابلة للتحليل الإحصائي، إضافة إلى محاولة رفع حجم العينة للحصول على قدر أعلى من التمثيلية. وكانت طريقة هذه المعاينة تارة عبر التجول في المناطق والأحياء المذكورة في المجال الجغرافي للدراسة، واستوقاف الأشخاص التي تبدو عليهم سمات أرباب الأسر، أو التوجه إليهم قصد ملء الاستمارات، مع مرافقة الطالب لهم أثناء عملية الملء بهدف شرح كيفية الإجابة على الاستمارة، وتفسير بعض الأسئلة والعبارات المستعصية على المبحوثين، أما فيما يخص المعالجة الإحصائية للبيانات فقد تم استخدام الاختبارات التالية:

اختبار التوزيع الطبيعي للبيانات "كولمجروف-سمرنوف" Kolmogorov-smirnrov لمعرفة ما إذا كانت البيانات تتبع التوزيع الطبيعي أم لا. اختبار ستيودنت للعينات المستقلة Test t pour échantillons indépendants. وذلك عن طريق برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS، إصدار رقم 22.

3- استخدام الأسر لجهاز الحاسوب ونوعه في المنزل حسب مكان الإقامة:

لقد بلغت نسبة الأسر المستخدمة لجهاز الحاسوب في العينة سواء أحد النوعين أو كلاهما معا 73.5%، ترتفع النسبة في الحضر 84% عن الريف 63%. وبلغت نسبة الأسر التي تستخدم جهاز حاسوب من النوع الثابت فحسب 27% تزيد في الريف 28% عن الحضر 26%. أما الأسر التي تستخدم جهاز حاسوب من النوع المحمول فقد بلغت نسبتها 19% ترتفع في الحضر 21% عن الريف 17%. في حين بلغت نسبة الأسر التي تستخدم كلا النوعين معا 27.5% ترتفع في الحضر 37% عن الريف 18%.

نستنتج من خلال هذه المعطيات أن أغلب الأسر سواء في الريف أو الحضر تستخدم جهاز الحاسوب، هذا الأخير الذي أصبح من الأجهزة الضرورية في كل منزل، فهو يستخدم لأغراض عدة كالدراسة، التسلية، اللعب، الترفيه وغير ذلك، إلا أن الأسر الحضرية تعد الأكثر إقبالا على استخدام جهاز الحاسوب في المنزل، وقد يرجع ذلك إلى عدة عوامل أهمها ارتفاع المستوى المعيشي للأسرة الحضرية مقارنة بالأسرة الريفية، والذي قد يعزى بدوره لعدة أسباب من بينها ارتفاع نسبة النساء أو الأمهات العاملات في الحضر، مما يساهم في رفع وتحسين مداخيل الأسرة وبالتالي إمكانية اقتناء مثل هذه التجهيزات التكنولوجية والكماليات بمختلف أنواعها.

ويتبين أن قيمة t لإجابات الآباء حول استخدام جهاز الحاسوب ونوعه في المنزل، عند درجة حرية 192.422 ومستوى الدلالة 0.05 بلغت 1.292 وهي أقل من قيمة t الجدولية التي تساوي 1.96. كما أن القيمة الاحتمالية Sig.(bilatéral) تساوي 0.198 وهي أعلى من مستوى الدلالة 0.05 مما يدل على عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في استخدام الأسر لجهاز الحاسوب في المنزل ونوعه تعزى لمتغير مكان الإقامة (ريف، حضر).

نستنتج من خلال هذه البيانات أنه لا توجد فروق جوهرية بين الأسرتين الريفية والحضرية من حيث استخدام جهاز الحاسوب في المنزل ونوعه، وقد يرجع ذلك إلى الأهمية الكبيرة التي أصبح يحتلها الحاسوب في حياة الفرد والأسرة عامة، فقد أصبح شيء لا غنى عنه في مختف النشاطات الحياتية على غرار العمل، الدراسة، الترفيه وغير ذلك، مما جعل الأفراد يقبلون بقوة على اقتنائه للاستفادة من خدماته المتنوعة، خاصة مع انخفاض أسعاره في الآونة الأخيرة، لاسيما الأجيال القديمة منه، مما جعل هذا الجهاز في متناول مختلف الشرائح الاجتماعية.

4- استخدام جهاز الهاتف الذكي وعدده في إطار الأسرة حسب مكان الإقامة:

تستخدم أكثر من نصف الأسر في العينة، أي ما نسبته 59.5% جهاز الهاتف الذكي، تزيد في الحضر 67% عن الريف 52%. وتبين أن 16% من الأسر لا تستخدم سوى جهاز هاتف ذكي واحد في إطار الأسرة، تزيد في الريف 18% عن الحضر 14%، أما الأسر التي تستخدم جهازي هاتف ذكي في إطار الأسرة، فقد بلغت نسبتها 20.5% ترتفع في الحضر 26% عن الريف 15%. وبلغت نسبة الأسر التي تستخدم ثلاث أجهزة هاتف ذكي في إطار الأسرة 9.5% تزيد في الحضر 10% عن الريف 9%. أما الأسر التي تستخدم أربع أجهزة هاتف ذكي فأكثر، فقد بلغت نسبتها 13.5% ترتفع في الحضر 17% عن الريف 10%.

نستنتج من خلال هذه المعطيات أن الأسر الحضرية أكثر إقبالا على استخدام جهاز الهاتف الذكي في إطار الأسرة مقارنة بالأسرة الريفية، وقد يرجع ذلك الى عدة عوامل، أهمها تفتح المدن

والحواضر على الكماليات بمختلف أنواعها من مستحدثات وتكنولوجيات، على عكس البيئات الريفية التي لا يزال العديد منها يعاني عزلة شديدة، بل ويفتقر حتى إلى أبسط الحاجيات والمرافق الضرورية، إضافة إلى ارتفاع المستوى المعيشي للأسرة الحضرية مقارنة مع الأسرة الريفية، والذي قد يعود بدوره إلى عدة أسباب على غرار ارتفاع نسبة النساء العاملات في الحضر، مما قد يساهم في رفع مداخيل الأسرة الحضرية، وبالتالي إقبالها على اقتناء مثل هذه الأجهزة، كما قد يرجع إلى ارتفاع المستوى التعليمي في الحضر، مما يكمن الأفراد من استخدام مثل هذه الأجهزة خاصة وأن استعمالها معقد ويتطلب بعض الإلمام باللغات الأجنبية وحتى الإعلام الآلي، ورغم كل ذلك نلاحظ انتشارا معتبرا لجهاز الهاتف الذكي بين الأسر الريفية، وقد يعزى ذلك إلى عوامل عدة أهمها انحسار العديد من الفوارق بين الريف والحضر، نتيجة التطور الكبير في تكنولوجيات النقل والمواصلات، مما سهل الاحتكاك بين مجتمعي القرية والمدينة اجتماعيا، ثقافيا، اقتصاديا وغيرها من المجالات، إضافة إلى دور وسائل الإعلام المختلفة في الترويج لمثل هذه التكنولوجيات الحديثة وخدماتها المتنوعة.

ولقد بلغت قيمة t لإجابات الآباء حول استخدام جهاز الهاتف الذكي وعدده في إطار الأسرة عند درجة حرية 108.062 ومستوى الدلالة 0.05 : 1.551- وهي أقل من قيمة t الجدولية التي تساوي 1.96. كما أن القيمة الاحتمالية Sig.(bilatéral) تساوي 0.252 وهي أعلى من مستوى الدلالة 0.05 مما يدل على عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في استخدام الأسر لجهاز الهاتف الذكي وعدده في إطار الأسرة تعزى لمتغير مكان الإقامة.

نستنتج من هذه المعطيات أنه لا توجد فروق جوهرية في استخدام جهاز الهاتف الذكي وعدده في إطار الأسرة في ضوء متغير مكان الإقامة (ريف، حضر)، وقد يعود ذلك إلى الانتشار الكبير الذي عرفه هذا الجهاز في الآونة الأخيرة سواء في القرى أو المدن، نظرا للخدمات المتنوعة التي يتميز بها، على غرار الإبحار في الأنترنت، التصوير وما إلى ذلك، مما جعل الأفراد وخاصة فئة الشباب يقبلون على اقتناء هذا الجهاز، لاسيما مع تراجع أسعاره، وكذلك انتشار الأجهزة ذات العلامات المقلدة، مما ساهم بشكل كبير في انتشار هذا الجهاز وجعله في متناول مختلف طبقات المجتمع.

5- استخدام جهاز اللوحة الالكترونية وعدده في إطار الأسرة حسب مكان الإقامة:

يستخدم ما نسبته 43.5% من الأسر في العينة جهاز اللوحة الالكترونية، ترتفع في الحضر 66% عن الريف 21%. وبلغت نسبة الأسر التي تستخدم جهاز لوحة الكترونية واحد فقط في إطار الأسرة 30.5% ترتفع في الحضر 41% عن الريف 20%. أما الأسر التي تستخدم جهازي لوحة الكترونية فقد بلغت نسبتها 9.5% تزيد في الحضر 19% عن الريف 0%. في حين بلغت نسبة الأسر التي تستخدم ثلاث لوحات إلكترونية في إطار الأسرة 1.5% ترتفع في الحضر 3% عن الريف 1%. أما الأسر التي تستخدم أربعة لوحات إلكترونية فأكثر فقد بلغت نسبتها 2% ترتفع في الحضر 3% عن الريف 1%.

نستنتج من خلال هذه المعطيات أن الأسرة الحضرية أكثر إقبالا على استخدام جهاز اللوحة الالكترونية مقارنة بالأسرة الريفية، وقد يعزى ذلك إلى عدة عوامل أهمها ارتفاع المستوى المعيشي للأسرة الحضرية، مما يسمح لها باقتناء مثل هذه الأجهزة وغيرها من الأمور الكمالية، إضافة إلى انفتاح المدن على التكنولوجيات والمستحدثات بمختلف أنواعها، مما يساعد على انتشار مثل هذه الأجهزة في البيئات الحضرية. كما قد يرجع الى ارتفاع المستوى التعليمي لدى الحضريين مما يمكنهم من استخدام مثل هذه الأجهزة التي تتطلب كما ذكرنا سابقا إلماما بمجموعة من المعارف كاللغات الأجنبية والإعلام الآلي.

وبلغت قيمة t لإجابات الآباء حول استخدام جهاز اللوحة الالكترونية وعدده في إطار الأسرة، عند درجة حرية 195.987 ومستوى الدلالة 0.05 : 6.218 وهي أكبر من قيمة t الجدولية التي تساوي 1.96، كما أن القيمة الاحتمالية Sig.(bilatéral) تساوي 0.000 وهي أقل من مستوى الدلالة 0.05 مما يدل على وجود فروق ذات دلالة إحصائية في استخدام الأسر لجهاز اللوحة الالكترونية وعددها في إطار الأسرة تعزى لمتغير مكان الإقامة.

نستنتج من خلال هذه البيانات أن توجد فروق جوهرية في استخدام الأسر لجهاز اللوحة الالكترونية وعدده في إطار الأسرة تعزى لمتغير مكان الإقامة لصالح الحضر، أي أن الأسر الحضرية أكثر إقبالا على استخدام هذا الجهاز مقارنة بالأسر الريفية، وقد يعود ذلك إلى عوامل متنوعة على غرار ارتفاع المستوى المعيشي للأسرة في الحضر، مما يسمح باقتناء مثل هذه الأجهزة، إضافة إلى ارتفاع المستوى التعليمي للآباء الحضريين، مما يمكنهم من استخدام هذا الجهاز، لاسيما وأن استعماله يتطلب إلماما ببعض المعارف المتعلقة باللغات الأجنبية والإعلام الآلي.

6- أسباب عدم استخدام جهازي الهاتف الذكي واللوحة الالكترونية في إطار الأسرة حسب مكان الإقامة:

صرح ما نسبته 23.9% من الآباء في العينة أن عدم اقتناعهم بأهمية كل من جهازي الهاتف الذكي واللوحة الإلكترونية يعد من أسباب عدم استخدامهم لهما في إطار الأسرة، ترتفع هذه النسبة في الحضر 40% عن الريف 15%. واعترف ما نسبته 9% من الآباء أنهم لا يعرفون كيفية استخدام هذه الأجهزة مما حال دون اقتنائهم لها، تزيد النسبة في الريف 12.2% عن الحضر 2.7%. كما أفاد 56.1% من الآباء أن الأسعار الباهظة لهذه الأجهزة تعد من أسباب عدم استخدامهم لها، ترتفع نسبتهم في الريف 65.7% عن الحضر 37.8%، في حين صرح 59.3% من الآباء أن تخوفهم من الآثار السلبية المحتملة لهذين الجهازين يعد من الأسباب التي دفعتهم إلى عدم استخدامهما في إطار الأسرة، ترتفع في الحضر 71% عن الريف 53.3%. وفي الأخير اعترف ما نسبته 8.1% من الآباء أنهم لا يملكون أي فكرة عن هذين الجهازين، مما حال دون استخدامهم لهما، ترتفع هذه النسبة في الحضر 10.8% عن الريف 8.1%.

نستنتج من خلال هذه البيانات أن الأسرة الجزائرية تمتنع عن استخدام جهازي الهاتف الذكي واللوحة الإلكترونية في إطار الأسرة لأسباب متنوعة، أولها مرتبة الخوف من آثارها السلبية على الأبناء، مما يشير إلى وعي الأسرة الجزائرية بالأخطار المحتملة لهذه الأجهزة على تربية الأطفال، لاسيما الأسرة الحضرية، وقد يرجع ذلك لارتفاع المستوى التعليمي للآباء والأمهات في الحضر عنه في الريف. كما يعتبر غلاء هذه الأجهزة من بين أهم دوافع عدم اقتناء الأسر لها، وخاصة في الريف، وقد يعزى ذلك إلى انخفاض الدخل والمستوى المعيشي للأسرة في الريف مقارنة بالحضر. ويعتبر عدم الاقتناع بأهمية هذه الأجهزة من أهم أسباب عدم اقتناء الآباء لها، والذين لا يرون جدوى من استخدامها سواء لهم أو لأبنائهم، بل يعتبرونها من الكماليات، أي من الأشياء غير الضرورية والتي يمكن الاستغناء عنها، ونجد هذا الاتجاه خاصة لدى الأسر ضعيفة الدخل والتي لم تأمن بعد ضرورياتها. ثم يأتي عدم المعرفة بكيفية استخدام هذين الجهازين كأحد أسباب عدم اقتناء الآباء لها، وخاصة بالمناطق الريفية أين ينخفض المستوى التعليمي للآباء والأمهات بشكل ملحوظ مقارنة بالحضر، كما سُجلت نسبة معتبرة من الآباء الذين لا يعرفون قط مثل هذه الأجهزة، سواء بالمناطق الريفية التي لا يزال بعضها يعاني عزلة شديدة وهوة رقمية كبيرة، وحتى في الحضر.

وبلغت قيمة t لاستجابات الآباء نحو أسباب عدم استخدام جهازي الهاتف الذكي واللوحة الإلكترونية عند درجة حرية 114 ومستوى الدلالة 0.05 : 0.102، وهي أقل من قيمة t الجدولية التي تساوي 1.96. كما أن القيمة الاحتمالية (Sig.(bilatéral تساوي 0.919 وهي أعلى من مستوى الدلالة 0.05 مما يدل على عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في استجابات الآباء نحو أسباب عدم استخدام جهازي الهاتف الذكي واللوحة الالكترونية في إطار الأسرة تعزى لمتغير مكان الإقامة، غير أنه سجلت فروق ذات دلالة إحصائية في استجابات الآباء نحو العبارتين التاليتين:

العبارة رقم 01: "لست مقتنعا بأهميتها"، إذ بلغت قيمة t لاستجابات الآباء نحو هذه العبارة عند درجة حرية 95 ومستوى الدلالة 0.05: 3.255- وهي (بعد إهمال الإشارة السالبة) أكبر من قيمة t الجدولية التي تساوي 1.96، كما بلغت القيمة الاحتمالية (Sig.(bilatéral: 0.002 وهي أقل من مستوى الدلالة 0.05 مما يدل على وجود فروق ذات دلالة إحصائية في استجابات الآباء نحو هذه العبارة تعزى لمتغير مكان الإقامة (ريف، حضر).

العبارة رقم 03: "أسعارها الباهظة"، إذ بلغت قيمة t لاستجابات الآباء نحو هذه العبارة عند درجة حرية 93 ومستوى الدلالة 0.05: 2.902 وهي أكبر من قيمة t الجدولية التي تساوي 1.96. كما بلغت القيمة الاحتمالية (Sig.(bilatéral: 0.005 مما يدل على وجود فروق ذات دلالة إحصائية في استجابات الآباء نحو هذه العبارة تعزى لمتغير مكان الإقامة (ريف، حضر).

نستنتج من هذه المعطيات أن الأسرة الجزائرية تميل الى رفض مثل هذه التكنولوجيات الحديثة للمعلومات والاتصالات، وخاصة بسبب ما يمكن أن تؤدي إليه من آثار سلبية على تربية الأبناء وعلى الأسرة عامة، وهذا يشير من جهة الى الوعي الذي تتمتع به الأسرة الجزائرية وحرصها الكبير على تربية الأبناء وعلى تنشئتهم السليمة، كما يشير من جهة أخرى الى الفجوة المعلوماتية التي لازال يعاني منها المجتمع الجزائري، فانتشار التحديثات عندما يكون في مراحله الأولى، يقابل عادة بالرفض والتخوف من طرف بعض أفراد المجتمع، وذلك خوفا من التغير الاجتماعي والثقافي الذي يمكن أن تحدثه هذه التكنولوجيات الحديثة على مستوى القيم، العادات، التقاليد وثقافة المجتمع عامة، وهو ما نصت عليه نظرية انتشار المبتكرات لروجرز كما رأينا سابقا، كما يعد انخفاض المستوى المادي للأسرة من أهم العوامل المؤثرة في عدم استخدام الأسر لهذه التكنولوجيات الحديثة، وخاصة في الريف أين ينخفض المستوى المادي للأفراد والأسر بشكل ملحوظ مقارنة بالحضر. كما اتضح أن أكثرية الأسر في العينة تستخدم الأنترنت، إلا أن الأسر الحضرية تعد الأكثر إقبالا عليه مقارنة بالأسر الريفية، وقد يعزى ذلك إلى عدة عوامل أهمها توفر شبكات الهاتف بالمناطق الحضرية، والتي تعتبر من المستلزمات الأساسية لاستخدام الأنترنت المنزلي، وقد يعود كذلك إلى ارتفاع المستوى المعيشي للأسرة الحضرية مقارنة بالأسرة الريفية، كما قد يعزى إلى ارتفاع المستوى التعليمي للأولياء الحضريين وبالتالي ارتفاع الوعي المعلوماتي لديهم، أي الوعي بدور الأنترنت وتكنولوجيات المعلومات والاتصالات الحديثة في الحياة التعليمية واليومية للأبناء والأسرة بشكل عام.

7- استخدام الأسرة للأنترنت في المنزل ونوعه حسب مكان الإقامة.

يستخدم ما نسبته 64.5% من الأسر في العينة أحد نوعي الأنترنت، ترتفع في الحضر 81% عن الريف 48%. وبلغت نسبة الأسر التي تقتصر على استخدام الأنترنت المنزلي 39% تزيد في الحضر 57% عن الريف 21%. أما الأسر التي تستخدم الأنترنت اللاسلكي في إطار الأسرة، أي عبر تقنية الجيلين الثالث أو الرابع، فقد بلغت نسبتها 25.5% ترتفع في الريف 27% عن الحضر 24%.

نستنتج من خلال هذه المعطيات أن أكثرية الأسر في العينة تستخدم الأنترنت، إلا أن الأسر الحضرية تعد الأكثر إقبالا عليها مقارنة بالأسر الريفية، وقد يعزى ذلك إلى عدة عوامل من بينها توفر شبكات الهاتف الثابت في المناطق الحضرية، والتي تعتبر من المستلزمات الأساسية لاستخدام الأنترنت المنزلي، والتي لا تتوفر بشكل كاف في العديد من القرى، وقد تنعدم تماما في بعض المناطق الريفية، بل وحتى في بعض المناطق الحضرية لا تزال العديد من الأسر محرومة من خدمة الربط الهاتفي، بسبب التشبع واستنفاد كل الأرقام، فلقد أعلنت وكالات اتصالات الجزائر عبر عدد من مناطق وبلديات الجزائر العاصمة والولايات الكبرى، أن العديد من المواطنين ينتظرون تزويدهم بالشبكة منذ أزيد من سنتين على غرار مناطق بوزريعة، برج البحري، الكاليتوس وبعض مدن الولايات الكبرى والداخلية مثل قسنطينة، عنابة، البليدة وغيرها(إيمان كيموش، 2013)، مما أدى بالعديد من الأفراد والأسر في الريف والحضر على حد سواء إلى استخدام الأنترنت عن طريق شرائح الجيل الثالث والرابع. وقد يعود إقبال الأسرة الحضرية على استخدام الأنترنت الى ارتفاع مستواها المعيشي مقارنة بالأسرة الريفية، مما يتيح لها إمكانية استخدام مثل هذه التكنولوجيات وغيرها من الكماليات بمختلف أنواعها، كما قد يعزى إلى ارتفاع المستوى التعليمي للأولياء الحضريين وبالتالي ارتفاع الوعي المعلوماتي لديهم، أي وعيهم بدور الأنترنت وتكنولوجيات المعلومات والاتصالات الحديثة في الحياة التعليمية واليومية للأبناء والأسرة بشكل عام.

وبلغت قيمة t لإجابات الآباء حول استخدام الأنترنت في المنزل عند درجة حرية 198 ومستوى الدلالة 0.05 : 6.199 وهي أكبر من قيمة t الجدولية التي تساوي 1.96، كما أن القيمة الاحتمالية Sig.(bilatéral) تساوي 0.000 وهي أقل من مستوى الدلالة 0.05 مما يدل على وجود فروق ذات دلالة إحصائية في استخدام الأسر للأنترنت بنوعيه (سلكي، لاسلكي) في إطار الأسرة، تعزى لمتغير مكان الإقامة، نستنتج من خلال هذه المعطيات أنه توجد فروق جوهرية في استخدام الأسر في العينة للأنترنت في المنزل تعزى لمتغير مكان الإقامة(ريف، حضر)، وهذه الفروق لصالح الحضر، بمعنى أن الأسر الحضرية أكثر إقبالا على استخدام الأنترنت في المنزل مقارنة بالأسر الريفية، وقد يرجع ذلك الى عدة عوامل أهمها توفر المدن والمناطق الحضرية على المنشآت القاعدية والبنى التحتية لتكنولوجيا الاتصالات، على غرار شبكات الهاتف الثابت، والتي تعتبر من المستلزمات الأساسية لاستخدام الأنترنت المنزلي، والتي لا تتوفر بشكل كاف في العديد من القرى، بل قد تنعدم تماما في بعض المناطق الريفية. كما قد يعود الى ارتفاع المستوى المعيشي للأسرة الحضرية، مما يتيح لها إمكانية استخدام الأنترنت وما الى ذلك من الكماليات المختلفة، وقد يعزى كذلك إلى ارتفاع المستوى التعليمي للأولياء في الحضر، وبالتالي ارتفاع وعيهم بأهمية استخدام الأنترنت وخدماته المتنوعة.

8- أسباب عدم استخدام الأسر للأنترنت في المنزل حسب مكان الإقامة:

لقد صرح ما نسبته 39.4% من الآباء أن عدم امتلاكهم لجهاز الحاسوب في المنزل يعد من أسباب عدم استخدامهم للأنترنت، ترتفع هذه النسبة في الريف 40.3% عن الحضر 37.5%. وأفاد ما نسبته 58.8% من الآباء أنهم لا يستفيدون من خدمة الربط الهاتفي مما حال دون استخدامهم للأنترنت في المنزل، تزيد هذه النسبة في الريف 65.5% عن الحضر 43.7%، كما اعترف 13.2% من الآباء أن عدم إلمامهم بمجال الاستخدام الإعلام الآلي يعد من أسباب عدم استخدامهم للأنترنت في المنزل، ترتفع هذه النسبة في الريف 17.7% عن الحضر 3.2%. وصرح ما نسبته 43.5% من الآباء أن كلفة استخدام الأنترنت الغالية تعتبر من أسباب عدم استخدامهم لها في المنزل، ترتفع في الريف 44.8% عن الحضر 40.6%. واعترف 53% من

الآباء أن خوفهم من الانعكاسات السلبية للأنترنت على المستوى الدراسي للأبناء يعد من أسباب عدم استخدامهم لها في المنزل، ترتفع هذه النسبة في الحضر 74.2% عن الريف 43.5%. كما اعترف 58.8% من الآباء أنهم يتخوفون من الانعكاسات السلبية للأنترنت على قيم الأبناء والأسرة، مما حال دون استخدامهم لها في المنزل، تزيد هذه النسبة في الحضر 74.2% عن الريف 49.1%. في حين أفاد ما نسبته 13.7% من الأسر أن عاداتهم وتقاليدهم لا تسمح باستخدام الأنترنت في المنزل، ترتفع في الريف 16.7% عن الحضر 7.2%.

نستنتج من خلال هذه المعطيات الميدانية أن الأسرة الجزائرية تمتنع عن استخدام الأنترنت في المنزل لأسباب عديدة أهمها: عدم استفادتها من خطوط الهاتف الثابت لاسيما في بعض المناطق الريفية التي لا تزال تعاني عزلة شديدة وفجوة رقمية معتبرة، بل ونجد هذا المشكل حتى في الحضر، إذ لازالت العديد من المدن سواء الصغرى أو الكبرى في الجزائر تعاني من عدم توفر خطوط الهاتف الثابت نتيجة التشبع واستنفاد كل أرقام الهاتف، وذلك بسبب طلبات السكان وإقبالهم المتزايد على الاشتراك في الأنترنت. كما عبر أكثر من نصف الآباء غير المستخدمين للأنترنت عن تخوفهم من استخدام الأنترنت في المنزل، خاصة على القيم الثقافية والاجتماعية للأسرة، نظرا لما يتميز به الأنترنت من قدرة كبيرة على الغزو الثقافي ونشر قيم العولمة، وذلك عن طريق الاحتكاك والتواصل الاجتماعي الذي قد يحصل بين الأفراد من مختلف المجتمعات والثقافات، والذي تتيحه العديد من المواقع لاسيما مواقع التواصل الاجتماعي، وهذا في الحقيقة يعكس النزعة المحافظة للأسرة الجزائرية سواء بالريف أو الحضر، كما نلاحظ عزوف العديد من الأسر عن استخدام الأنترنت في المنزل بسبب تخوفهم من انعكاساته السلبية على مستواهم الدراسي، وذلك لما يتيحه الأنترنت من مواقع وخدمات ترفيهية متنوعة مثل مواقع الألعاب ومواقع التواصل الاجتماعي على غرار موقع يوتيوب، فيسبوك وغيرها، خاصة وأن الأطفال يميلون بطبعهم إلى اللعب والترفيه، مما قد يلفت ويشتت تركيزهم، ويهدر أوقاتهم على حساب القيام بواجباتهم المدرسية، وبالتالي قد يتأثر مستواهم الدراسي سلبا. إن عزوف الأسر عن استخدام الأنترنت بسبب تخوفهم من انعكاساته السلبية على مستواهم الدراسي إنما يعكس تمتع الأسرة الجزائرية بوعي تربوي عال وحرصهم الشديد على نجاح وتفوق أبناهم في حياتهم الدراسية. ويعد عدم توفر القدرة المادية على استخدام الأنترنت في المنزل أو حتى على اقتناء الحاسوب من أهم الأسباب التي تحول دون استخدام الأنترنت المنزلي، وخاصة في الريف أين ينخفض المستوى المعيشي للأسرة بشكل ملحوظ مقارنة بالحضر. كذلك تعد عدم المعرفة والإلمام بكيفية استخدام الحاسوب والأنترنت من أهم أسباب عدم استخدام بعض الأسر للأنترنت، ويرجع ذلك أساسا إلى انخفاض المستوى التعليمي للآباء، وخاصة بالمناطق الريفية. ونكتشف كذلك من خلال هذه المعطيات، النزعة المحافظة للأسرة الجزائرية وخاصة الريفية، بسبب نظرتها السلبية للأنترنت، واعتباره شيئا مهددا لقيم، عادات، تقاليد وثقافة الأسرة والمجتمع عامة، نظرا لما يحويه ويوفره من مضامين ومواد قد تعتبر دخيلة على مجتمعنا، كما قد تساهم في تغيير ما هو سائد به من قيم، عادات وتقاليد.

وبلغت قيمة t لاستجابات الآباء نحو أسباب عدم استخدام الأنترنت في المنزل في مجملها عند درجة حرية 105 ومستوى الدلالة 0.05 : 0.485- وهي أقل من قيمة t الجدولية التي تساوي 1.96. كما أن القيمة الاحتمالية Sig.(bilatéral) تساوي 0.609 وهي أعلى من مستوى الدلالة 0.05 مما يدل على عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في استجابات الآباء نحو أسباب عدم استخدام الأنترنت في المنزل في مجملها تعزى لمتغير مكان الإقامة. غير أنه سجلت فروق ذات دلالة إحصائية في استجابات الآباء نحو العبارات التالية:

العبارة رقم 02: "ليس لدينا خط هاتفي"، إذ بلغت قيمة t لاستجابات الآباء نحو هذه العبارة عند درجة حرية 97 ومستوى الدلالة 0.05: 2.540 وهي أكبر من قيمة t الجدولية التي تساوي 1.96. كما بلغت القيمة الاحتمالية (Sig.(bilatéral: 0.013 وهي أقل من مستوى الدلالة 0.05 مما يدل على وجود فروق ذات دلالة إحصائية في استجابات الآباء نحو هذه العبارة تعزى لمتغير مكان الإقامة (ريف، حضر).

العبارة رقم 05: "أخاف من آثارها على المستوى الدراسي للأبناء"، إذ بلغت قيمة t لاستجابات الآباء نحو هذه العبارة عند درجة حرية 98 ومستوى الدلالة 0.05: 2.330- وهي (بعد إهمال الإشارة السالبة) أكبر من قيمة t الجدولية التي تساوي 1.96. كما بلغت القيمة الاحتمالية (Sig.(bilatéral: 0.022 وهي أقل من مستوى الدلالة 0.05. مما يدل على وجود فروق ذات دلالة إحصائية في استجابات الآباء نحو هذه العبارة.

العبارة رقم 07: "عاداتنا وتقاليدنا لا تسمح بذلك"، إذ بلغت قيمة t لاستجابات الآباء نحو هذه العبارة عند درجة حرية 93 ومستوى الدلالة 0.05: 2.000 وهي أكبر من قيمة t الجدولية التي تساوي 1.96، كما بلغت القيمة الاحتمالية (Sig.(bilatéral: 0.048 وهي أقل من مستوى الدلالة 0.05 مما يدل على وجود فروق ذات دلالة إحصائية في استجابات الآباء نحو هذه العبارة تعزى لمتغير مكان الإقامة (ريف، حضر).

نستنتج مما سبق أن بعض الفروق سواء المادية أو المعنوية بين المجتمعين الريفي والحضري لا تزال ظاهرة للعيان، إذ نلاحظ ارتفاعا كبيرا في نسبة الأسر الريفية التي لا تملك خطا هاتفيا، نظرا للعزلة الكبيرة التي لا تزال تعاني منها العديد من المناطق الريفية بالجزائر، مما حال دون استفادتها من العديد من الخدمات، على رأسها الأنترنت المنزلي، وهذا ما يعكس أحد أهم الفروق المادية بين الريف والحضر. كما نلاحظ انتشار النزعة المحافظة بين الأسر الريفية، وذلك بسبب نظرتها التشاؤمية والسلبية تجاه الأنترنت، نظرا لما يمكن أن يؤدي إليه من تغير في القيم، المبادئ، العادات والتقاليد السائدة، ويعزى انتشار هذه النزعة المحافظة في المجتمع الريفي إلى طبيعة الذهنية الريفية التحريمية، المتشبثة بالتقاليد والشكليات المتوارثة. ومما ينمي لديها هذا النمط من التفكير المنغلق على حد قول أحد الأنثروبولوجيين، أنها غالبا ما تكون محرومة من أسباب الحضارة، التطور، الخدمات والتعليم (سعد الصويان، 2005).

خلاصة:

نستخلص من خلال ما سبق أن هناك فروق جوهرية في إقبال الأسرتين الريفية والحضرية على استخدام الأنترنت لصالح الأسرة الحضرية، أي أن هذه الأخيرة أكثر إقبالا على استخدام الأنترنت، ويرجع ذلك إلى عدة عوامل، على رأسها توفر الربط الهاتفي في المدن، مما يسمح باستخدام الأنترنت المنزلي ADSL، إضافة إلى ارتفاع المستوى المعيشي للأسرة الحضرية، مما يمكنها من استخدام الأنترنت في المنزل وغير ذلك من الكماليات المختلفة، كما يلعب ارتفاع المستوى التعليمي للآباء في الحضر دورا هاما في اكتساب ما يسمى بالوعي المعلوماتي، أي الوعي بأهمية استخدام الأنترنت وبخدماتها المتنوعة. كما أن الأسرة الحضرية أقدم من الأسرة الريفية من حيث استخدام الأنترنت، وذلك لأن التجديدات وخاصة التكنولوجية منها تظهر وتنطلق في المدن عادة، بسبب توفر المنشآت القاعدية والبنى التحتية اللازمة، مما يجعل هذه التكنولوجيات تنتشر فيها بوتيرة أسرع مقارنة مع الريف. أما من حيث استخدام الوسائط والأجهزة التكنولوجية المختلفة لاستخدام الأنترنت على غرار الحاسوب بنوعيه الثابت والمحمول، الهاتف الذكي واللوحة الإلكترونية، فلا توجد فروق جوهرية في استخدام جهازي الحاسوب بنوعيه والهاتف الذكي، بين الأسرتين الريفية والحضرية، نظرا للانتشار الكبير الذي عرفه هذين الجهازين، في حين سُجلت فروق جوهرية في استخدام جهاز اللوحة الإلكترونية بين

الريف والحضر لصالح الأسرة الحضرية. أما بالنسبة لأسباب عدم استخدام الأنترنت فتتعدد وتختلف حسب الريف والحضر، فنجد أن ما يقارب ثلاث أرباع الأسر الريفية لا تستخدم الأنترنت بسبب عدم توفر الخطوط الهاتفية، كما نلمح نوع من التخوف تجاه استخدام الأنترنت من طرف الأسر في العينة، وخاصة الأسرة الحضرية، لا سيما على المستوى الدراسي للأبناء، مما يعكس ارتفاع الوعي التربوي للأسرة الحضرية. كما نكتشف وجود نوع من النزعة المحافظة والرفض للأنترنت، خاصة لدى الأسرة الريفية، وذلك بحجة أن عادات وتقاليد المجتمع لا تسمح بذلك، والذي يعود إلى طبيعة الثقافة الريفية والتي تتميز حسب بعض النظريات السوسيولوجية بالجمود، الماضوية، والتشبث بالموروثات، وذلك خوفا من اندثار وتغير القيم والعادات السائدة في المجتمع. وهذا يؤكد ما جاءت به نظريات الفروق الريفية-الحضرية، التي تنص على وجود فروق متعددة الجوانب بين كل من المجتمعين المحليين الريفي والحضري، من هذه الفروق ما هو مادي، كتوفر المدن على العديد من الخدمات، المنشآت والبنى القاعدية في مختلف المجالات، بينما قد تكون بصفة أقل في المناطق الريفية، كما قد تكون هذه الفروق ثقافية أي تتعلق بالخصائص السوسيوثقافية المميزة لكل من النموذجين، إذ تشير نظريات الفروق الريفية-الحضرية إلى أن لكل من المجتمعين المحليين الريفي والحضري نسق علائقي وسوسيوثقافي خاص بكل منهما، أو بمعنى آخر ثقافة فرعية Subculture سائدة بكل منهما، بحيث تتميز بالجمود، الاستقرار، بطء التغير والمحافظة Conservatisme في المجتمع الريفي، في حين تتميز بالتفتح، التحرر، المرونة وسرعة التغير في المجتمع الحضري. كما أكدت ذلك نظرية روجرز لانتشار المبتكرات، حين تطرق روجرز لإشكالية تقبل ورفض التجديدات وعناصر انتشار المبتكرات، إذ ذهب إلى أن عمليتي الانتشار والتبني مرتبطتان لارتباط الفرد بالجماعة، كما أشار إلى أهمية الاتصال في عملية التغير الاجتماعي، باعتباره أحد العناصر الأساسية الأربعة المكونة لعملية الانتشار والمتمثلة في (الابتكار) فكرة جديدة، وسيلة تكنولوجية وما الى ذلك، (قنوات الاتصال) الشخصية، الجماهيرية، الجيران، الأقارب، قادة الرأي الى غير ذلك، (الوقت اللازم للانتشار) وأخيرا (التركيبة الاجتماعية)(فضيل دليو، 2010، ص63)، أو النسق الاجتماعي، ويعد هذه الأخير من أهم عناصر عملية الانتشار، إذ يشير إلى مجموعة من الأفراد يتباينون ويتفاضلون وظيفيا، وهم معنيون بحل مشاكل جمعية أو بتحقيق هدف جمعي، ومن الواضح أن الأفراد هم الذين يمثلون هذا النسق الاجتماعي الذي قد يتكون من جميع القرويين أو المزارعين في منطقة، أو الأطباء في المجتمع المحلي، أو أبناء قبيلة من القبائل. وتكمن أهمية النسق الاجتماعي كأحد عناصر عملية الانتشار في أن الجماعة لها دور كبير وأثر بالغ على قرار الفرد بالنسبة لتبنيه واستخدامه لتجديد أو ابتكار معين، فقد نجد مثلا أن الفرد قد يكون راغبا في تبني واستخدام شيء جديد، لكنه لا يستطيع أن يفعل ذلك حتى يلحق به الآخرون، كما قد نجد أن هناك بعض الأفكار أو التجديدات التي يتقبلها الأفراد ويستخدمونها بناء على قرار الجماعة، أي أن النسق الاجتماعي عامل هام من حيث اتخاذ قرار تقبل التجديدات أو رفضها. لذلك فإنه لا يمكن دراسة عملية الانتشار دون الإحاطة بالنسق أو البناء الاجتماعي الذي يتخذ الفرد موقعا فيه. وفي فحصنا للنسق الاجتماعي ودراسته، لابد من الاهتمام بالمعايير المتضمنة في الثقافة العامة أو الفرعية لكل مجتمع، والتي تحدد أنماط السلوك المتواترة والظاهرة لأعضاء النسق الاجتماعي، فالمعيار في النسق الاجتماعي أو ثقافته قد تكون تقليدية، لا تشجع تبني التجديدات، قبولها واستخدامها، كما هو الحال في المجتمعات الريفية والتقليدية، كما قد يكون معيارا عصريا يشجع هذا التبني، التقبل والاستخدام، مثلما نجده في المجتمعات الحضرية الحديثة. وفي هذا الصدد يضرب روجرز مثال شهده في هولندا حيث لاحظ مجتمعيين محليين زراعيين لا تزيد المسافة بينهما عن خمسة أميال، لاحظ أن هناك تناقضا حادا بين معايير هذين المجتمعين أو الثقافة

الفرعية لكل منهما، فإحداهما تقليدية والأخرى تجديدية، فسكان إحدى هذين المجتمعين يتبنون ويتقبلون التجديدات الزراعية، بينما لا يفعل ذلك أعضاء المجتمع الآخر بفارق عشرين عاما. ونستنتج من خلال هذا المثال أنه حتى المجتمعات ذات الطبيعة الواحدة، مثل المجتمعات المحلية الريفية أو الحضرية، قد تتفاوت فيما بينها من حيث مستويات التقليد أو التجديد، نظرا لأسباب وعوامل عديدة قد تكون جغرافية مثل درجة قربها وبعدها من المدن أي موقعها على المتصل الريفي-الحضري، كما يمكن أن ترجع لأسباب ثقافية، دينية، أيديولوجية وغيرها. ويلعب عنصر الوقت أو الزمن حسب نظرية روجرز دورا هاما في عملية تبني المبتكرات، فالفرد حينما يتلقى معلومات حول تجديد معين فإنه وفقا لظروف معينة قد يقرر استخدامه وتبنيه، إلا أن هذه العملية قد تأخذ وقتا يفكر فيه، يتردد ثم يحسم ويقرر سواء بالتقبل أو الرفض.

قائمة المراجع:

1. إيمان كيموش(2015)، اتصالات الجزائر تبيع خطوط زبائنها لمشتركين جدد بحجة التشبع: نفاذ أرقام الأنترنت على مستوى الوكالات التجارية يخلق أزمة، جريدة الفجر [على الخط]، 2013/05/20، [تاريخ الاقتباس: 2015/06/12 20:30]، متوفر على: http://www.al-fadjr.com/ar/index.php?news=226302?print
2. رحيم يونس كرو الغزاوي(2008)، مقدمة في منهج البحث العلمي، دار دجلة، ط1، الأردن.
3. سامية حسن الساعاتي(2008)، الثقافة والشخصية: دراسة في علم الاجتماع الثقافي، دار الفكر العربي، ط4، القاهرة.
4. سعد الصويان(2015)، التطرف علة باطنية، [على الخط]، 14 جوان 2005، [تاريخ الاقتباس:2015/02/15 20:30]، متوفر على: http://www.saadsowayan.com/html/Articles/A06.htm
5. عبد الباسط محمد حسن(1979)، أصول البحث الاجتماعي، مكتبة وهبة، ط1، القاهرة.
6. فرانك كيلش(2000)، ثورة الأنفوميديا: الوسائط المعلوماتية وكيف تغير عالمنا وحياتك، ترجمة حسام الدين زكريا، سلسلة عالم المعرفة، رقم 253، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
7. فضيل دليو(2010)، التكنولوجيا الجديدة للإعلام والاتصال: المفهوم، الاستعمالات، الآفاق، دار الثقافة، ط1، عمان.
8. محمد بومخلوف(2001)، التحضر: التوطين الصناعي وقضاياه المعاصرة الفكرية، التنظيمية، العمرانية والتنموية، دار الأمة، ط1، الجزائر.
9. محمد تومي البستاني(1975)، مناهج البحث الاجتماعي، دار الثقافة، بيروت.
10. Annabelle Boutet et Jocelyne Tremenbert, Les recherches sur les usages des TIC à l'épreuve de la problématique des non-usages d'internet et de l'informatique : Réflexions méthodologique sur les indicateurs de l'exclusion dite numérique, Môle Armoricain de recherche sur la société de l'information et les usages d'internet (Marsouin), Novembre 2008.
11. Annabelle Boutet et Jocelyne Trémenbert, Mieux comprendre les situations des non-usages des TIC : Le cas d'internet et de l'informatique, Lavoisier/ Les cahiers du numérique, vol 5, 1/2009.
12. FTU (Association pour une Fondation Travail-Université), Qui fait quoi sur internet ? Analyse des inégalités sociales dans l'utilisation de l'internet en Belgique en 2014, [En ligne], 8 avril 2015, [Consulté le 15/11/2016 à 20h30], disponible sur : www.Ftu.be/ep
13. Holly Smale, Geek girl, traduit en français par Valérie Le Plouhinec, Editions Nathan, Paris, 2014.

14.IDEATIC & Med&Com, Etude sur les Usages et Perceptions des Internautes du Web Algérien (WebDialn@™), Dossier de Presse, septembre 2009.
15.Jason Tocci, Geek cultures : Media and identity in the digital age, Doctoral dissertation in communication, University of Pennsylvania, 2009.
16.Maurice Angers, Initiation à la méthodologie des sciences humaines, Édition Casbah, Alger, 1997.
17.MIDEATIC & Med&Com.
18.Observation du marché de l'internet en Algérie, année 2015, Autorité de Régulation de la Poste et des Télécommunications, [En ligne],[Consulté le : 03/09/2016 à 21h] , disponible sur : http://www.arpt.dz/fr/doc/obs/etude/2015/Observatoire_Internet_2015.pd
19.Patricia Croutte et Sophie Lautié,Le baromètre du numérique2016, rapport réalisé au CREDOC pour (CGE), (Arcep) et l'agence numérique, p44. [En ligne], [Consulté le : 03/010/2016 à 20h], disponible sur : www.credoc.fr/pdf/Rapp/R333.pdf
20.René Crescent et Richard Langlois, La technologie : une culture, des pratiques et des acteurs, Editions Multimondes, Canada, 2004.
21.Valérie Van Mourique, La cyberdépendance : Malades de l'ère numérique, Centre Dollard-Cormier, [En ligne], [Consulté le : 15/08/2016 à 23h], disponible sur : http://ftq.qc.ca/wp- content/uploads/ftqimport/8343.pdf
22.Yves Froidevaux, Internet dans les ménages en Suisse : Résultat de l'enquête omnibus TIC 2010, Office fédéral de la statistique (OFS), Neuchâtel, 2012.
23.Yves Lasfargue, Les exclus de l'informatique, Revue terminal, n°51, octobre-novembre 1990.

الصراع البيئي -الإنمائي بين التشاؤم والتفاؤل
Environmental-developmental conflict between optimism and pessimism

أ.د. علي مجيد الحمادي، جامعة البصرة- العراق

ملخص: أستيقظ الإنسان متأخرا مرعوبا بما قدمت يداه في الخوض في غمار البناء الحضاري والمادي الذي أفتقر لحلقة حيوية هامة تمثلت بعملية التوازن العقلاني بين سلسلة الإنجازات الحضارية ومكونات الوسط الذي يضم مفردات هذه السلسلة والقائمين بها والمتجسد بالتكوين البيئي ومقتنياته، فقد اندفع الإنسان عبر القرون الثلاثة الأخيرة نحو تأمين إحتياجاته اللامتناهية من الأشياء متناسيا ضرورات المحافظة على نظافة المنزل الذي أسكنه الله تعالى فيه حتى جاءت ردود الأفعال واشتد الصراع بين المنزل وساكنيه، وقد جاء بحثنا ليسلط الضوء على الضائقة الفكرية الإنمائية التي عجزت عن إدارة هذا الصراع بصورة متوازنة رشيدة طيلة سنين عديدة ،ومحاولات تكفير الإنسان عن ممارساته الخاطئة بحق البيئة وبعد فوات الأوان، ولأجله فقد عمدنا إلى معالجة فكرية للبيئة والمضاد البيئي من جهة، والكشف عن آلية تطور الفكر الإنمائي الإنساني وقدرته على التعاطي مع ضرورات التوازن بين الدوافع الطموحة لأعمال التنمية ومتطلبات ديمومة البيئة والحياة ، ومغادرة التركيز على الأداء البيئي باتجاه دمج الإقتصاد في البيئة، وتنتهي هذه الورقة بمجموعة من الإستنتاجات والتوصيات التي تؤمن الهدف من إعدادها. وقد اخترنا مجلة العلوم الإجتماعية لنشر هذه الورقة لتناسب محتواها مع توجهات هذه المجلة ورصانتها العلمية وقدرتها على إيصال هذه المادة لمساحة أوسع من المجتمعات البشرية.

الكلمات المفتاحية: البيئة، المضاد البيئي، البيئانية، التنمية البشرية، التنمية الإنسانية، التنمية المستدامة

Abstract: The human being awakened in a momentary moment, terrified of what he had given his hands in the process of civilizational and physical construction, which lacked a vital circle, which was the process of rational balance between the series of cultural achievements and the components of the medium that includes the vocabulary of this series and its makers. His endless needs of things forget the necessities of maintaining the cleanliness of the house where God dwelled until the reactions came and the conflict between the house and its occupier intensified. Our research came to highlight the developmental intellectual distress that was unable to manage this conflict in a balanced manner rational for many years, and attempts to atone for the wrong man exercising the right environment and too late. The purpose of this study is to address the environment and the anti-environment on the one hand, and to reveal the mechanism of development of human development thinking and its ability to deal with the necessary balance between the overambitious motives for development work and the requirements of sustainability of the environment and life on the other hand, and leaving the focus on environmental performance towards integrating the economy into the environment. Conclusions and recommendations that ensure the goal of preparing them.We chose the journal of social sciences to publish this paper to fit its content with the orientations of this journal and its scientific strength and ability to deliver this material to a wider area of human societies.

Keywords: Environment, Anti-Environment , Environmentalism, Human Development, Humane Development, Sustainable Development.

مقدمة:

قد نلقي باللائمة على بعض الأنماط الإنمائية العالمية في تسببها لصور مختلفة من التلوث،بعدما تناست محتوى العلاقة الفطرية والأزلية بين الإنسان وبيئته، والأدهى من ذلك أن الإنجازات الإنمائية ذاتها دالة في المضامين البيئية، بيد إن هذه الإنجازات الكنود اختارت سبيل الصراع مع هذه الحاضنة المعطاء بديلا عن التعايش الآمن والخلاق معها، الأمر الذي انتهى بخلق بيئة متصدعة متفاقمة المشاكل بعيدة الأثر والتأثير، لم تسلم من أضرارها بقاع من هذه الأرض لم يدركها التصنيع والتطوير، ألا أن ذلك لا يثنينا عن مقابلة الضغط البيئي بمزيد من الأفكار والبرامج والسياسات الداعمة لتحسين نوعية المعيشة وخفض معدلات الفقر والسعي لرفع مستوى الكفاءة البيئية لأساليب الإنتاج والإستهلاك والإيثار لصالح الأجيال القادمة، وعليه سنحاول أن نكشف عن حقيقة العلاقة أو الصراع بين الإنسان والطبيعة وانعكاس ذلك على الواقع البيئي العالمي ومحاولات الإنسان المتأخرة في التكفير عن خطيئته والعمل على الإرتقاء ببيئته دون الإستغناء عن مناهج التنمية التي تنطوي على همم الإنسان في التقدم واجتهاده لتحسين نمط الحياة بوصفه إمكان لم يتحقق بعد وهكذا المستقبل، الذي يتطلب إستطلاع الإحتمال الإنمائي المستدام الذي يمكن من تمكين القدرات الوطنية للأفراد والمؤسسات بما يكفل تأمين أهداف التنمية المستدامة ومصالحة البيئة المنكوبة.

مشكلة البحث:

إن الأطر الفكرية الضيقة للأنماط الإنمائية التاريخية القائمة أساسا على مبدأ تعظيم الأرباح درجت على الإستخفاف باستحقاقات البيئة وامتلأت بمفاهيم الإستبداد بها والدفع باتجاه التعامل غير المنصف مع بعديها الطبيعي والإجتماعي، فقد تمخضت الأنماط التاريخية، فولدت إنجازات مظاهرها تدفع للإنبهار، ولكن أساساتها تشكو التصدع وتنذر بالإنهيار، وتتصاعد وتائر الهدم البيئي ووسائل الإساءة لمنزل الإنسان مع كل إنجاز، حرم مساحة واسعة من البشر من التمتع بثمار تلك الإنجازات، بل ظلوا ينؤون بحمل تكلفة باهظة متواصلة وبخاصة مجتمعاتنا العربية التي تدفع فاتورة التعدي العالمي على النظم البيئية والأيكولوجية دون أن تنعم بالقواعد المادية الصناعية المتكاملة التي استأثرت بها المجتمعات الأكثر تقدما، الأمر الذي أفقد بريق تلك الإنجازات، فهل من فواق؟.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن حقيقة العلاقة أو الصراع بين الإنسان والطبيعة وإنعكاس ذلك على الواقع البيئي العالمي ومحاولات الإنسان المتأخرة للإرتقاء ببيئته.

فرضية البحث: لقد بنى الإنسان علاقته مع الطبيعة على أساس التحدي والإنتصار في عقله، ومن ثم في عمله وما يجسده يوميا.

منهجية البحث: انتهجت هذه الدراسة الأسلوب التحليلي والطرح النظري المعاصر، بناءً على مقتضيات ومنطق النظرية الإقتصادية والأفق الموضوعي القائم على الشواهد والحقائق الداعمة لأهداف هذه الدراسة.

المبحث الأول: مقدمة في مفهوم البيئة والفكر البيئي:

يقابل مفهوم البيئة Environment من الناحية اللغوية المنزل، فعندما يقال تبوأ منزلاً أي نزله وتمكن فيه(الرازي، 1983، ص68)، كما جاء في قول الحق "وَاذكروْا إذ جَعلكُم خُلفآء مِن بَعدِ عاد وبوّأكُم في الارضِ تتخذونَ منْ سهُولِها قصوراً وتنحتونَ الجبال بيوتا فاذكروا آلاءَ اللهِ ولا تعثوْا في الارضِ مفسدينَ "(قرآن كريم،سورة الأعراف، آية74)، ومن هنا يمكن أن يستدل المفهوم الشامل للبيئة، والوقوف على النقص الذي يكتنف بعض تعريفاتها، فقد ذهب أحدهم إلى

القول بأن البيئة تشمل "كل شيء محيط بالإنسان " ولكن هذا التعريف يركز على الجوانب الطبيعية والمادية المحيطة بالإنسان دون النظر إلى أن الإنسان نفسه هو جزء من هذه البيئة كما وصفته الآية الكريمة في انه يتفاعل مع مكوناتها الصلبة والناعمة دون ان يجرح نعومة حريرها أو ليهد من شموخ أوتادها، ولابد من الإعتقاد بمسألة التفاعل البناء بين مكونات البيئة بصورة مبكرة لتفادي ما آلت إليه الأمور من إختلال في العلاقة بين هذه المكونات والذي تلخصت نتيجته بما عبرت عنه الآية الكريمة من فساد.

على أية حال، يمكننا الاتفاق إلى حد ما مع التعريف الذي تبنته الأمم المتحدة بشأن البيئة والذي تضمن بأنها " رصيد الأموال المادية والإجتماعية المتاحة في وقت معين وفي مكان معين لإشباع إحتياجات الإنسان وتطلعاته (U.N,Conference,1972)، فهي بالتالي مجال يتعايش فيه الإنسان مع عناصر البيئة الأخرى الحية وغير الحية التي تساعده على تأمين إحتياجاته المختلفة على اساس من التأثير والتأثر، وهو ما ينسجم مع مضمون علم التبيؤ Ecology ذي الأصول الإغريقية والذي يقتصر على دراسة التركيبة البيولوجية لعناصر الطبيعة المختلفة ومهامها وعلاقاتها البينية المتشابكة.

وعلى الرغم من إعتقادنا بأن الإنسان هو الغاية، بيد إنه يبقى عنصرا أو وسيلة شأنه شأن المكونات البيئية الأخرى، وما يدل على ذلك إستعارة الإنسان للعديد من سبل حياته وطرائق تفكيره من كائنات حية أخرى كالنمل والنحل والجياد على حد ما أشار إليه علماء الاجتماع، واستلم دروسا وعبر من بعضها الأخر كالغراب والعنكبوت كما أفصح عن ذلك الذكر الحكيم وأستمد هممه وخياله من مكونات غير حية كشمم الجبال العاليات ، وأمواج البحر المتلاطمات، وقد فاضت قرائح شعرائنا بالتغني بذلك، إن ما أستهدفه في هذه السطور هو التخلي عن فكرة إستبداد الإنسان بالبيئة رغم إعتقادنا بأنه أغلى مكوناتها، وهذه الفكرة لشديد الأسف قد درج عليها الكثير من الأفكار والدراسات التاريخية والتي يمكن تشخيصها من خلال المفردات التي إستخدمتها تلك الدراسات كالتصدي للطبيعة، ومواجهة الطبيعة، والإنتصار عليها، وتحدي، تلك المفاهيم التي تكرست في أذهان العديد من الأجيال ودفعتهم للتعامل بصورة غير منصفة مع البيئة كما سيلي توضيحه في فقرة لاحقة من هذه الدراسة.

فما هو حري بالذكر أن للبيئة بعدين هامين (الخطيب،2000 ،ص55) أولاهما: البعد الطبيعي Natural Dimension والمتضمن كافة مظاهر الوجود المادي بما في ذلك الماء والتربة والفضاء والكائنات الحية المحيطة بالإنسان، وثانيهما البعد الإجتماعي Social Dimension وينطوي على مجموعة النظم والعلاقات التي تحدد أنماط حياة المجاميع البشرية فيما بينها في شتى جوانب هذه الحياة الإقتصادية والسياسية والقانونية ناهيك عن القيم الأخلاقية والروحية والسلوكية، ومن هذا فأن النظام البيئي Ecosystem يتمثل بأية مساحة من الطبيعة وما تحويه من كائنات حية ومواد غير حية في تفاعل بعضها مع بعض ومع الظروف البيئية وما يتمخض عن ذلك من تبادل بين المكونات الحية وغير الحية، وهناك امثلة عديدة على مثل هذا النظام كالغابة والنهر والبحيرة.

وتجدر الإشارة إلى أن البيئة تنشطر إلى أربعة أنواع مختلفة أولها: البيئة البيوفيزيائية Biophysical Environment والمتمثلة بالكائنات الحية وغير الحية، وهي أشد الأنواع قربا من الطبيعة. وثانيها، البيئة المشيدة Constructed Environment التي أقامها الإنسان مثل القرى والمدن والمراكز التجارية وكافة صور البنية التحتية Infrastructure المادية منها والمعنوية .وثالثها : البيئة الثقافية Cultural Environment وتتضمن مخرجات العقل المتمثلة بالعلوم والمعرفة والفنون وعادات الإنسان وتقاليده، ورابعها : البيئة الإقتصادية Economic Environment المعبر عنها من خلال قنوات النشاط الاقتصادي المرتبطة باستخدام عناصر

البيئة والمفاضلة والاختيار بين بدائل حماية البيئة والمحافظة عليها طبقا لمعايير واسس إقتصادية.

ومما تقدم فان البيئة وسط تميز بالتنوع والوفرة في كل ما يستعان به لتأمين قيام وإستمرارية الحياة الكريمة لبني الإنسان وعلى مدى العصور، ولكن بغى بعض عناصر هذه البيئة على بعضها البعض حتى أصبح التوازن هشا في الأنظمة البيئية والأيكولوجية "ظهرَ الفسادُ في البرِ والبحرِ بما كسبتْ أيدي النّاسِ (قرآن كريم، سورة الروم، اية41)، إن ظاهرة الإبتعاد عن حالة التوازن هذه لم تنعكس على واقع التعايش العملي واليومي للبيئة وما يفرزه من نقص مستمر في الأموال والثمرات ومظاهر الرفاه والسلامة، بل أمتد ذلك التأثير إلى دائرة الفكر البيئي العالمي والفضاء الفلسفي لمسمى البيئة، حيث أتجه التركيز إلى كيفية التعامل مع القادم الجديد الذي تجاهل الناس أسباب صيرورته وهو من صنعهم، وأعني المضاد البيئي Anti-Environment المتمثل بالتلوث Pollution، حيث أستيقظ المجتمع البشري متأخراً مرعوباً ببعض حصاد أعماله ليهتم من خلال مفكريه بما يطلق عليه بعلم البيئة Environment Science الذي يتناول بالدراسة الأنظمة والأدوات التي تعين على تشخيص المشاكل البيئية وتحليلها وتقصي تبعاتها وآثارها الإقتصادية والإجتماعية والإستراتيجية والصحية ومحاولة وضع المعالجات الكفيلة بمواجهتها، بعد أن كان العمق النظري للبيئة يقوم على علم التبيؤ فقد كانت فترة السبعينات من القرن الماضي انطلاقة ذلك العلم والبدء بالتفكير بما يسمى بنوعية المعيشة Quality of Living، كبديل لخيار مستوى المعيشة Standard of Living الغاية التي دفعت بالعديد من المجتمعات لإستنزاف موارد البيئة وتشويهها وإحداث الخلل بتوازنها، وما تجدر ملاحظته إن التفكير باتجاه البديل الجديد قد تجسد في صورة مكافحة تلوث المياه والهواء وتدهور نوعية التربة والتصحر وتلوث بيئة العمل والبيئة الحضرية، فهذه تمثل مرحلة من مراحل تطور الفكر البيئي القائمة على المحافظة على مكونات البيئة وعناصرها والإرتقاء بها ومنع تدهورها أو تلوثها ضمن الحدود الآمنة من حدوث التلوث.

وقد شجع هذا المد الفكري على ظهور بعض المذاهب Doctrine والتجمعات الخاصة بحماية البيئة مثل "البيئانية " Environmentalism التي هي ليست مجرد موقف سياسي او قضية يجري تبنيها من منظور المصلحة العامة فحسب، بل إنها تمثل للمشاركين فيها أكثر من ذلك ، فقد تصبح رعاية وتكريسا يستغرق جل وقت الحياة، فهي من الممكن أن تكون عقيدة أو ما يقوم مقامها (نيوتن، 2006، ص136) وكذلك انتشار ما يسمى بالـStewardship والتي تعني "القهرمانية" وهي مستعارة من الأشراف على الخدمات أو المشرف على الخدم Stewart – القهرمان- الذي لا يملك القصر ولكنه يعمل على ترتيبه وتنظيمه بإخلاص Richard T.) (Wright,2005,p206 وقد انبثقت عن تلك الإتجاهات والمشاعر الموالية للبيئة والوعي بما ستؤول إليه الأوضاع البيئية، حزمة من الإجراءات الرادعة لمصادر التلوث تمثلت بالسياسة البيئية Environment Policy التي قوامها الأدوات التعليمية والتثقيفية الهادفة إلى زيادة معدلات الوعي بأهمية المحافظة على البيئة ، وتوجيه أنماط الاستهلاك بصورة منتجة ومراعية للظروف البيئية، وحث المؤسسات الحكومية والخاصة على حد سواء لتطوير وتوسيع عمليات إعادة الإستخدام والتدوير Recycling ، ويمكن أن تحقق هذه الأدوات أهدافها من خلال تقديم المحاضرات وإعداد الندوات التثقيفية والمعسكرات الشبابية وإستخدام وسائل النشر على الإنترنت والصحافة وبرامج التلفزيون والإذاعة، وتتحمل مؤسسات المجتمع المدني في العادة جل المسؤولية في هذا المجال، ناهيك عن الأجهزة الإعلامية والتعليمية.

وكذلك هناك مجموعة أخرى من الأدوات اللازمة لتنفيذ السياسة البيئية هي الأدوات التشريعية والمؤسسية وما تنطوي عليه من قوانين حماية البيئة وتحديد الهيئات او المؤسسات التي تضمن

تطبيقها(بابكر، 2004، ص42)، وأخيرا الأدوات التنظيمية المباشرة والمتمثلة بعمليات التدخل الحكومي لمعالجة الخلل السوقي في غياب أسواق السلع البيئية وتزايد التأثيرات الخارجية للفعاليات الإقتصادية المسببة للتلوث، وتبنى هذه المجموعة من الأدوات على أساس إستخدام الأوامر والتحكم والتنظيم القائم على أساس التحديد المباشر للمستويات الدنيا للتكنولوجيا المستخدمة في الفعاليات الإقتصادية المسببة للتلوث، وما أن جاء العقد العاشر من القرن المنصرم حتى اتجه الفكر البيئي لتغيير الآلية المطلوبة لحماية البيئة، لتنسجم مع التطلعات التنموية للعديد من المجتمعات وبالذات النامية منها، فقد تراجع التركيز على مصادر التلوث وسبل مكافحته والحد من التنمية بوصفها إحدى هذه المصادر لصالح الإهتمام بما يطلق عليه بـ "علم إقتصاديات البيئة " الذي يمارس دورا فاعلا في تحديد الإستخدام الأكفأ للموارد بالصورة التي تضمن إستدامة التنمية من خلال الإسترشاد بالإعتبارات البيئية في عمليات صنع القرارات المتعلقة بتحقيق إنجازات هذا النوع من التنمية التي سيلي توضيحها لاحقا.

المبحث الثاني: الحلقة المفقودة في الفكر الإنمائي:

عبر السنوات الخمسين الماضية، تعرض علم إقتصاد التنمية للعديد من التغيرات . فقد تحول التأكيد من النمو في متوسط الناتج الوطني الإجمالي (GNP) إلى خلق الإستخدام، وإعادة توزيع الدخل،إلى الحاجات البشرية الأساسية، وإلى التكيف الهيكلي والتنمية المستدامة، ففي فترة الخمسينات والستينات من القرن الماضي كانت تعرف التنمية الإقتصادية من خلال النمو في الناتج القومي الإجمالي GNP أو متوسط الناتج القومي GNP per Capita . وقد كان عزم الأمم المتحدة أن يكون معدل النمو المستهدف 5% في الناتج القومي الإجمالي للدول الأقل تطورا بالنسبة لعقد التنمية في الستينات من القرن المنصرم، ولأجل تحقيق معدل النمو المستهدف، أقترح الاقتصاديون في هذه الدول (LDCs) تصنيعا سريعا Rapid Industrialization موازيا للتمدن Urbanization، إن وجهة النظر هذه قد قامت على أساس نظرية Rostow لمراحل النمو، الذي بموجبه تسير التنمية بمسار خطي موازي خلال عدد من المراحل، والمرحلة الأكثر أهمية والتي استحوذت على خيال أبناء الدول الأقل نموا هي مرحلة الإنطلاق".Take –off (مصطفى، وأحمد، 1990، ص170)، وعلى الرغم من إن مشاكل الفقر، والإستخدام، وتوزيع الدخل ذات أهمية، ولكنها أعطيت أهمية ثانوية، ويعتقد إن المكتسبات أو العوائد من نمو الناتج القومي الإجمالي GNP سوف تقطر Trickle Down على الفقراء في هيئة الإستخدام المتزايد وفرص الدخل.

إن وجهة النظر الخطية قد دعمت من قبل أراء نيركسة Nurkse في الحلقات المفرغة Vicious circles للإدخارات الأقل، والأسواق الصغيرة، والضغوط السكانية . لقد كان معتقدا بأن إزالة الحلقات المفرغة هذه ستطلق قوى طبيعية يمكن أن تقود إلى نمو أعلى، ولأجل هذا،أوصى Rosenstein بالدفعة القوية Big Push، وكذلك Nurkse بالنمو المتوازن وهكذا Hirschman بالنمو غير المتوازن وLebienstein بالجهد الأدنى الحدي Critical Minimum Effort، غير إن التأكيدات الأكبر قد ألقيت على المساعدات الدولية لتجهيز العناصر المفقودة "Missing Components "في هيئة رأس مال، وقدرات تنظيمية فنية، والصرف الأجنبي.

إن تقديرات David Morawetz،جاءت كنتيجة لتبني إستراتيجيات التنمية هذه ، فأن متوسط الناتج القومي الإجمالي في الأقطار النامية قد نما بمعدل متوسط 3-4 % سنوياً خلال الفترة 1950-1975 .إن هذا كان أبعد مما تحقق من نمو في الأقطار المتقدمة Developed Countries أو في الأقطار الأقل نموا في أي فترة مقارنة ابتداءً من 1950، وقد تجاوز الأهداف

الرسمية والتوقعات الخاصة، إلا إن متوسط الناتج القومي الإجمالي قد فشل في حل مشاكل الفقر، والبطالة واللامساواة في هكذا أقطار.

فإذا أخفقت الدولة في حل واحدة أو إثنين من هذه المشاكل فإن عملية الدعوة لتحقيق التنمية ستكون أمراً مستغرباً، حتى وإن تضاعف متوسط دخل الفرد، وقد أقر Robert McNamara محافظ البنك الدولي في شباط 1970 فشل معدل نمو GNP كمؤشر للتنمية الإقتصادية في الدول الأقل نموا، معلنا إن تحقيق معدل نمو قدره 5% في الـ GNP يمثل إنجازا كبيرا، ولكن معدل النمو المرتفع لم يجلب تقدما مقنعا في المجال التنموي في الأقطار النامية حيث يسود سوء التغذية ومعدلات الوفيات المرتفعة،والعمر المتوقع المنخفض وسيادة الأمية وتواصل البطالة ونموها وسوء توزيع الدخل والثروة(UNDP,2006, p6-14) وتسند الشواهد المعاصرة حتى في الأقطار المتقدمة ما ذهبنا إليه، إذ أن الناتج القومي في ألمانيا بوصفها دولة صناعية متقدمة قد تضاعف بين السنتين 1973 و2000 بالوقت الذي إزداد معه عدد العاطلين من 273 ألف عام 1973 إلى مابين أربعة إلى خمسة ملايين عامل عاطل عام 2000 (أفهيلد، 2007، ص45)، فمنذ السبعينات،تحولت التأكيدات من معدل نمو GNP إلى نوعية Quality عملية التنمية، مثل الإنخفاض المتتابع في الفقر المطلق، واللامساواة، كل هذه الأمور المرتبطة بعملية التنمية قد أعطت إنتباها لثلاث إستراتيجيات مكملة لبعضها: زيادة الإستخدام، وتخفيض سوء توزيع الدخل والثروة وتغطية الإحتياجات الإنسانية الأساسية، وحري بالذكر إن الدول الأقل نموا قد حققت معدلات مرتفعة للإنتاج الصناعي والنمو الإقتصادي خلال الخمسينات والستينات ، لكن معدلات النمو هذه فشلت في خلق إستخدام كاف، فقد أوصى Arthur Lewis بأن مشكلة البطالة في الـ LDCs يمكن أن تحل أوتوماتيكيا مع إنتقال العاملين ذوي الحد الأدنى للمعيشة والذين لا يمتلكون أرضاً إلى الأجور العالية في الصناعات الرأسمالية المتحضرة، إن هذه العملية تزيد اللامساواة في المراحل المبكرة للنمو، بيد إنه عندما تكتسب عملية النمو زخما Momentum، فان العمال الريفيين المستخدمين سيتم إستيعابهم في قطاع رأسمالي حديث، وهكذا فأن كلاً من البطالة واللامساواة ستتم إزالتهما، إن وجهة نظر Lewis قد سادت في الأقطار الأقل نموا أكثر من عقدين، لكنها فشلت في حل مشكلة البطالة لثلاثة إعتبارات مهمة :أولها،زيادة السكان وقوة العمل بإعتبارها دالة في السكان بمعدل أبعد من المتوقع وثانيها، الفجوة بين الأجور في القطاع الرأسمالي وأجور حد الكفاف كانت أعلى مما أفترضه Lewis نظراً لفوارق الأجور وتأثيرات إتحاد التجارة في المناطق الحضرية، وثالثها، إن الدول الأقل نموا قد تبنت تكنولوجيات تساعد على تعويض العاملين في القطاع الرأسمالي الحضري Urban Capitalist Sector وزادت إنتاجية الفرد دون أن تزيد وظائف إضافية.

هكذا فأن الحديث عن الإنتاجية بمفردها والعمل على زيادتها لم يعد حالة مستساغة إقتصاديا حيث أن هذه الزيادة تعني زيادة عدد الوحدات المنتجة من قبل العامل الواحد في وحدة الزمن (الساعة) وبالتالي فان هذا يعني عدم الحاجة لساعات عمل جديدة وبالذات في حالة ثبات أو تراجع الطلب على المخرجات المعنية.

لقد تأثر التفكير بعدم عدالة الدخل والتنمية بمنحنى Kuznets' U-Shaped Curve، فقد اقترح Kuznets بأن تجربة الدول المتقدمة تاريخيا أثبتت بأنه كان هناك ميلاً لتزايد عدم عدالة الدخل أولاً، وثم تنخفض كأقطار تطورت من مستوى منخفض، وينخفض معها التلوث أيضا، (Field, 2002,p412) طبقا لذلك، من المعتقد بأن درجة عالية من سوء توزيع الدخل قد تكون ذات أثر مقبول على النمو الإقتصادي في المراحل المبكرة من التنمية، وبعد أن تكتسب التنمية زخماً فأن منافعها بصورة تلقائية تبدأ بالتقطير لمجموعات الدخل الأقل على المدى البعيد، كذلك إن منهجية التنمية قد أكدت تعظيم معدل نمو الإقتصاد من خلال بناء رأس المال، والبنية التحتية

Infrastructure والطاقة الإنتاجية للإقتصاد وترك توزيع الدخل بدون تدخل، فقد كانت مثل ركوب حصان التنمية الإقتصادية وترك حصان العدالة الإقتصادية ليتغذى بنفسه، فقد كان A.Lewis مسانداً رئيساً لهذه الإستراتيجية، وقد خطط العملية من خلال تفاوتات الدخل ألتي قادت الى النمو الإقتصادي في القرن التاسع عشر في إنجلترا،غرب أوربا، ومطلع القرن العشرين في اليابان، وقد أوصى بنفس الشيء بالنسبة ل.LDCs كما أكد بأن الإدخارات الطوعيةVoluntary Saving قد شكلت حصة كبيرة من الدخل القومي حيثما عدم عدالة توزيع الدخل موجودة وإن الأرباح كانت الحصة الكبيرة نسبيا من الدخل القومي، مع التطور فإن القطاع الحديث ينمو أسرع من القطاع التقليدي والحصة النسبية للأرباح في الدخل القومي سوف تتزايد.

إن هذه قد إتجهت لتديم تفاوتات الدخل في المدى البعيد، عندما زادت فرص الإستخدام في مختلف الجوانب، كما أن القطاع التقليدي قد تطور أيضا، وتوزيع الدخل آخذ بالتوازن، إن هذه كانت عملية تلقائية وكانت فقط أثراً جانبياً للإقتصاد.

على الرغم من النقص وعدم القدرة على المقارنة والجدل بخصوص إستخدام مؤشرات عدم المساواة، فأن عدداً من الدراسات التجريبية اكتشفت بأن تفاوتات الدخل أصبحت واسعة في غالبية الـ LDCs وقد أقنعت واضعي السياسة والاقتصاديين في الـ LDCs والتنظيمات الدولية بأن مستويات المعيشة للفقراء جدا في هكذا أقطار قد تراجعت في كلا الناحيتين النسبية والمطلقة، إن عدم القناعة بمنهجيات النمو المرتبطة بالإستخدام وتوزيع الدخل، دفعت المفكرين للتحول باتجاه الحاجات الإنسانية الأساسية Basic Human Needs للإرتقاء بسعادة الإنسان، وبخاصة تلك المتعلقة بالفقراء(Jhingan, 1997, pp.22)، فالمهمة الأولى للبنك الدولي في الدول الأقل نموا كانت في كولومبيا عام 1950 التي حددت أهدافها بصيغة مواجهة الإحتياجات الإنسانية . لكن هذا الهدف لم يؤخذ به بسبب تعددية الأهداف التخطيطية في الـ LDCs في تلك السنوات المبكرة . لقد ناصرت منظمة العمل الدولية ILO، بأية حال، في المؤتمر العالمي للاستخدام 1976، مفهوم " إستراتيجية الإحتياجات الأساسية " "Basic Needs Strategy ".

وقد كانت الهند الأولى بين الدول الأقل نمواً في تبني هذه الإستراتيجية لخطة خماسية في 1974، بعد مضي سنتين على قرار ILO، إن إستراتيجية الحاجات الإنسانية الأساسية وضعت أهمية بالغة في تزويد الحاجات المادية الأساسية بما في ذلك الصحة، والتربية، والماء، والغذاء، والملبس، والمأوى، إن إستراتيجية الحاجات الأساسية لها ثلاث مكونات، أولها، إنها إستهدفت رفع الإنتاجية والدخول للفقراء في المدينة والريف في الأقطار الأقل نموا من خلال أساليب إنتاج كثيفة العمل Labour –Intensive Techniques ومن خلال تجهيزهم بالحاجات الأساسية، ثانيها، إنها أعطت إهتماما لإزالة الفقر من خلال تقديم الخدمات العامة كالتعليم، ومياه الشرب، والصحة، وثالثها، الخدمات العامة الممولة بوساطة الحكومة، علما أن الحد من الفقر من أهم وسائل معالجة المشكلات البيئية(Steer,1996 ,p4) ولكن من حيث الواقع ، كان التركيز فقط على الجزء الثاني المتمثل بتجهيز الخدمات العامة الأساسية.

كنتيجة، إن إستراتيجية الحاجات الأساسية قد أنتقدت كوصفة لـ" أحسب التكلفة وأستلم Count، "Cost and deliver" فأحسب الفقراء، وتكلفة كمية الخدمات العامة المطلوبة وتسليمها إليهم، إنها قد أخذت بالاعتبار كنشاط حكومي من القمة إلى القعر، كما إنها انتقدت لعدم تجهيزها الفقراء بأصول منتجة Productive Assets ورأس مال.

وفي مطلع الثمانينات حينما إنخفضت معدلات النمو في الدول المتقدمة، وإرتفعت أسعار النفط،وظهرت أزمة المديونية في الأقطار النامية وتراجع معدلات التبادل التجاري دفع بإستراتيجية الإحتياجات الأساسية إلى الخلف، فالعديد من الأقطار أتجه نحو برامج التكيف الهيكلي والإستقرار Stabilization and Adjustment، مبدئيا، إن مقاييس الإستقرار هذه

مدعمة من قبل صندوق النقد الدولي IMF والبنك الدولي WB والهادفة إلى تخفيض الأجور ورفع معدلات الإنتاجية، لكن هذه المقاييس قادت إلى الكساد Recession في بعض الأقطار . والأكثر من ذلك، إنها كانت مقاييس للفترة القصيرة الأمد وبتحريض من البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، تحول العديد من الأقطار النامية إلى برنامج التكييف الهيكلي للأمد الطويل، إنه برنامج مصمم محليا لتحقيق إصلاحات من خلال سياسات التحرير، والتكييف والخصخصة Privatization، إن هذا البرنامج قد تطلب تخفيض دور الدولة، وإزالة المساعدات، وتحرير الأسعار، وفتح الإقتصادات للتدفقات المالية والتجارة الدولية.

إن هذه تتضمن مقاييس لخفض العجز المالي Fiscal Deficit، كما إن نمو التجارة الدولية وتحريرها وفتح الإقتصادات العالمية سار بمنأى عن أهم الأهداف الإنمائية في الدول الصناعية المتقدمة ذاتها وبخاصة في مجال الإستخدام، بل إن ذلك ترك آثارا غير حسنة على سوق العمل فقد تراوح متوسط العاطلين بين 8-10 مليون عامل في دول OECD وبين العامين 1950 و1973 في حين نجد إن ذلك المتوسط يتراوح بين 30 -35 مليون عامل بين العامين 1995 و2000 (أفهيلد، ص43) علما إن حجم التجارة الدولية قد تضاعف بأحجام غير معهودة خلال فترة التسعينات من القرن الماضي والعقد الأول من القرن الحالي .فقد بلغ ذلك الحجم نحو 8 ترليون دولار عام 1990 كما أصبح نحو 14 ترليون دولار عام 2003 وأكثر من 20 ترليون دولار عام 2005، إن الحقيقة التي يمكن أن نسلط الضوء عليها، هي إن الإقتصاد العالمي آخذ بالترابط مع الأيام، فالتجارة الدولية،وتدفق رؤوس الأموال وتنمية الطاقة جميعا خيوط في نسيج الروابط الإقتصادية والمصالح المشتركة بين البلدان وإن إنقطاع خيط واحد منها يعرض الخيوط الاخرى للخطر(البنك الدولي، 1979، ص117)، الأمر الذي يحتّم على المجاميع الدولية المختلفة في العالم تحمّل دورها في إنجاح مهمة التجارة الدولية بوصفه القطاع الذي يمثل خلاصة الأنشطة الإقتصادية للمجتمعات، فكان غاية في الضرورة أن تبذل الدول الصناعية المتقدمة جهوداً خاصة للحد من الحماية كتسهيل فتح أسواقها أمام البلدان النامية لتعينها على تحقيق معدلات أعلى من الإستخدام من خلال دعم قطاع التصدير، وهي بنفس الوقت تمثل أرباحاً للدول الصناعية عبر الإستفادة من السلع الرخيصة Cheap Goods على الأمد الطويل ، وكذلك كان على البلاد النامية أن تقاوم من جانبها الإغراء القاضي باعتماد سياسات تجارة موجهة للداخل وتعمل على توسيع نشاط التصدير(البنك الدولي، 1979، ص116)، وخلال فترة التحرير، والتكييف والخصخصة أكد الإقتصادي Sen على مفهوم ترقية القابليات البشرية، وطبقا له، فإن محتوى رفاهية الإنسانية هي حرية الإختيار Freedom of Choice من خلال تطوير قابليات الأفراد لكسب مستويات أعلى من الصحة، والمعرفة وإحترام النفس والقدرة على المشاركة بنشاط في حياة المجتمع، إن مستوى المعيشة في المجتمع يجب ألا يُحكم بمتوسط دخل الفرد وعرض السلع الخاصة ولكن من خلال قابليات المجتمع، ونقصد، ما يمكن أن يعمله أو لا يعمله وهناك حزمة من السلع التي تساعد على خلق المؤهلات مثل التخلص من المجاعة Starvation والجوع وسوء التغذية والمشاركة في الحياة الجماعية Communal Life والحماية من العوامل الطبيعية بشكل كاف(مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية الأونكتاد، 2003) فالتوسع في هذه القابليات والمؤهلات يتضمن حرية الاختيار(Sen, 1989) وقد ضم البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة UNDP وجهة نظر Sen في تقريره الأول عن التنمية البشرية 1990، فالإرتفاع في الدخل لم يكن نفس الشيء كما في الزيادة في القابليات البشرية، فإلى جانب الدخل المرتفع، يضاف للأفراد الفقراء قيمة أعلى على تغذيتهم الكاملة، وزيادة مستوى أمان ماء الشرب، وتسهيلات طبية أفضل، ومدارس أفضل للأطفال، ومواصلات ميسرة، ومأوى مناسب، وسبل الرزق الآمنة،ووظائف منتجة ومقنعة.

فالتنمية البشرية هي مفهوم شامل Comprehensive وذو مساحة واسعة ويتعلق أكثر بالنمو الإقتصادي والحاجات البشرية الأساسية وتطلعات البشر ومواجهة حرمان الفقراء، وتبقى التنمية البشرية تماما ضرورية لأنها تعني أفراداً أصحاءً ومتعلمين يمكنهم المساهمة أكثر في النمو الإقتصادي من خلال الإستخدام المنتج والزيادة في الدخل، فالتنمية البشرية والنمو الإقتصادي مترابطان بشكل وثيق. في الواقع، إن واضعي السياسة يجب أن يعطوا إهتماما أكثر لنوعية النمو لأجل دعم التنمية البشرية في كل جوانبها(الحمادي صيف، 2008، ص161).

ولم تتوقف المحافل الدولية عند الترويج لمفهوم التنمية البشرية بفعل بعض التحفظات الواردة على هذا المفهوم، حيث أن مقياس التنمية البشرية HDI ليس مؤشرا شاملا للتنمية الإنسانية، كما إنه مركب من نتائج التنمية على الأجل البعيد، فليس بمستطاعه أن يقيس الإنجازات الإنسانية على الزمن القصير . وكذلك هو مقياس متوسط يخفي سلسلة من صور التفاوت والإختلاف داخل البلدان المختلفة، وبالتالي فهو لا يقدم الصورة المتكاملة للتنمية الإنسانية، ألا أنه يبقى رغم بساطته، ذي شمولية أكثر مقارنة بمؤشر متوسط دخل الفرد، وتأسيسا على ما تقدم، إتجهت جهود المنظمات الدولية وفي مقدمتها UNDP في مطلع التسعينات من القرن الماضي نحو وضع مفهوم إنمائي يطلق عليه بالتنمية الإنسانية Humane Development الذي يتضمن خيارات أوسع . فبالوقت الذي ركزت فيه التنمية البشرية على رأس المال البشري Human Capital واعتبار الإنسان مدخلا في عملية التنمية، تركز التنمية الإنسانية على الإنسان كمنتفع من ثمار التنمية، ناهيك عن نظرتها له كأداة فيها، فهي مقاربة Approach شاملة تنطوي على مؤشرات العمر المتوقع عند الولادة، ومعرفة القراءة والكتابة بين البالغين، ومعدلات الإلتحاق بالمؤسسات التعليمية، فضلا عن نصيب الفرد في الـ GDP، وخيارات إضافية أخرى تتلخص بحريات الإنسان وحقوقه ورفاهيته(برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، 2002، ص13) ومن الاضافات الهامة في الفكر الإنمائي إستخدام الوكالة الدولية للبيئة والتنمية مفهوما جديدا يدعى بالتنمية المستدامة (*) "Sustainable Development" عام 1987 والتي عرفت بأنها مواجهة إحتياجات الأجيال الحالية دون المساومة على إحتياجات الأجيال المقبلة.

إن التنمية الإقتصادية يجب أن تكون مستدامة،بمعنى أن تكون مستمرة "Keep going " ففي أواخر الثمانينات توضح للإقتصاديين بأن التنمية الإقتصادية تدمر البيئة، فهنالك التلوث ونضوب الموارد مع عمليات التنمية الإقتصادية، فالفقراء هم من يعاني أكثر من المخاطر البيئية من خلال التلوث، والوسائل الصحية الرديئة، ومياه الشرب الملوثة، والعجز في الخدمات الأساسية الأخرى بسبب عمليات التصنيع والتحضر، فالبيئة الملوثة لا تهدد صحة ورفاهية الفقراء ولكن تؤثر أيضا على أبنائهم، لذلك فان مواجهة إحتياجات الفقراء في الأجيال الحالية هي ضرورية للمحافظة على إحتياجات الأجيال المقبلة . هكذا تحول الإهتمام والتأكيد على التنمية المستدامة لتوازي التنمية البشرية، وركز البعض في تعريف التنمية المستدامة على ربطها بالدخل "إستخدام الموارد في الوقت الحاضر يجب ألا يقلل من الدخل الحقيقي في المستقبل"، فهدف كهذا صعب المنال إذا كانت مسببات تحقيقه تعمل بمقتضى الآلية التقليدية القائمة على إعتبارات المنافع والتكاليف، ونماذج المدخلات والمخرجات في الأمد القصير، بل يتطلب ذلك وضع إستراتيجية تركز على قياس الترابط بين مجموعة العلاقات التي تشتمل على معطيات الإقتصاد وإستخدام الطاقة والعوامل البيئية والإجتماعية بصفة شاملة ومستديمة(أبو زنط وغنيم، 2009، ص4)، فالتنمية المستدامة ذات أبعاد إقتصادية وإنسانية وإجتماعية وتقنية وإدارية وبيئية تهدف أساسا الى المحافظة على رأس المال البشري والقيم الإجتماعية والإستقرار النفسي، وحق الأفراد في ممارسة الديموقراطية في المساواة والعدل(قاسم، 2007، ص20)، ويمكن تلمس إرتباط هذا النوع من التنمية بمؤسسات المجتمع المدني من خلال بعض المؤشرات الدالة على ذلك والذي في

مقدمتها مؤشر التحكم بالإنفجار السكاني، وتحقيق الأمن الغذائي، ودعم برامج تنظيم الأسرة والتخفيف من حدة الفقر وتطوير دور المرأة ومساهمتها في المجتمع، والحد من إستنزاف الموارد الطبيعية المتاحة، والنفايات وإعادة التدوير، ومكافحة التصحر،وقضية الطاقة، وإقامة المحميات والإزدهار السياحي(قاسم، 2007، ص159)، وفي الختام نشير إلى إن تحقيق التنمية المستدامة لا يتم من خلال إستراتيجية لدولة أو إقليم معين بل، يرتبط ذلك بإعادة النظر في النظام الإقتصادي الدولي الذي يفترض أن يكون معززا للتعاون وتبادل الخبرات في مجال التنمية والبيئة، هذا فضلا عن وجود نظام سياسي مؤمن بمشاركة الأفراد في إتخاذ القرار، وآخر إقتصادي يعتمد على الذات ويحقق فائضا،ونظام إنتاجي يتمسك بالاعتبارات البيئية،ونظام إجتماعي وتعليمي ينسجم مع الخطط الإنمائية وطرق تنفيذها ويعمل على ترسيخ القيم والتقاليد البيئية ومستلزمات إنجاح التنمية المستدامة(ابراهيم،-WWW.Univ

Chlef.dz/topic/doc/mdm)، ومن أهم ما يمكن أن نخلص إليه في هذه الفقرة أن هناك حلقة ضرورية في سلسلة أفكار أهل الإختصاص قد فقدت عبر سنين طويلة تمثلت بغياب الموازنة بين تحقيق الأهداف الإنمائية الساعية لتطمين إحتياجات المجتمع البشري من جهة والنتائج السلبية المحتملة الوقوع من ممارسة هذا النشاط الإنساني غير المتكامل والذي أفضى إلى معاناة مستمرة للبشرية بأسرها والمتجسدة بفساد البيئة وتلوثها.

(*) لقد تم تناول بعض المسميات البديلة التي لم تلق قبولا مثل التنمية الإيكولوجية لكي تهتم بالمقاييس الإيكولوجية والتوازن البيئي، والتنمية العضوية التي تعنى بتطوير جميع قطاعات الإقتصاد والمجتمع بصورة متوازنة . وتم التأكيد على مفهوم التنمية المستدامة .

المبحث الثالث :- الصراع البيئي الإنمائي

قد يتوصل المرءُ بعد دراسته لتاريخ العلاقة بين البيئة وبني الإنسان، إلى حقيقة مفادها إن الطبيعة هي من بدء الصراع مع الإنسان، وإلا كيف يفسر حدوث بعض عوامل الطبيعية مثل الزحف الجليدي والبراكين والفيضانات والصواعق في زمن كان فيه الإنسان يستجدي رحمة الطبيعة، لما فيه من ضعف وقلة حيلة عندما كان لا يبغي سوى بعض الكلأ لسد رمقه او كهف صغير يأوي إليه، ولكننا نقول ما هو رد فعل هذا الإنسان على إضطهاد الطبيعة له ؟ يتفق العديد من فلاسفة التأريخ وعلى رأسهم كارل ماركس بأن الناس كانوا أمة واحدة من حيث الوسيلة والنصيب في العهد البشري الأول وأعني ما أطلق عليه بالحياة المشاعية البدائية، ولكن التفاوت النسبي في المقدرة العقلية قد أكسب فريقا منهم تميزا على أقرانه من حيث تطوير الوسيلة التي يعتمدها في نشاطه الإقتصادي، الأمر الذي يتبعه تحسن في نصيبه من ذلك النشاط، وقد أصبحت الزراعة ميدانا خصبا للتجسيد العملي لتلك المقدرة، ونعود نتساءل هل إن الإنسان نسي نفسه عندئذ كونه الكائن العاقل الوحيد بين مكونات البيئة المختلفة ؟ صراحة قد يكون ذلك، فهو لكي يزرع على سبيل المثال كان يجتث الغابات الأمر الذي سبب إنجرافا في التربة وهو لاشك أمر مضر بالطبيعة والبيئة إذ أن قابلية الأرض على إستيعاب المزيد من مياه الأمطار قد انخفضت وهذه أضرار ولكنها قد لا تشكل إلا نسبة ضئيلة مما يفعله الإنسان في أيامنا هذه، ويمكن وضعها في إطار مفهوم ما يدعى بالبيئة المتسامحةTolerant Environment التي قد يمكنها إعادة توازنها بعد ما لحقها من أذى، وقد نتفق إلى حد ما مع فكرة نسيان الإنسان لنفسه وغلبة عواطفه عليه، إذ كان ذلك الأذى بمثابة تفريغ لما يكمن في عقله الباطن تجاه الطبيعة كما أشرنا لذلك من مفاهيم في الفقرة الأولى من هذه الدراسة، ناهيك عن تحقيق هدفه في تأمين إحتياجاته المختلفة،" فالحرب تبدأ في عقول الناس"، وقد يبدو ذلك مقبولا أكثر إذا تذكرنا بأن تفاوت المستوى العقلي والفكري لدى البشر قد دفع الى إستعباد الإنسان لأخيه الإنسان، وولادة ما يطلق عليه بالنظام

العبودي، إذن، هذا يدفعنا للإعتقاد بان الخطيئة يتحملها الإنسان رغم بدء الطبيعة بمهاجمته، بوصفه المكون الذي زانه الله عقلا .

ومن هنا فقد بنى الإنسان علاقته مع الطبيعة على أساس التحدي والإنتصار في عقله، ومن ثم في عمله وما يجسده يوميا، إذ أنطلق من فكرة إن الطبيعة ند لابد من تسخيره ومقارعته، والوسط الذي يعمل على إستغلاله ونهبه لتحقيق رغباته، كما إنه نظر إلى التنمية بأنها الوسيلة التي توصله إلى ذلك، مجردا إياها أبلغ معانيها الإنسانية والإجتماعية والإقتصادية وزاغت عيناه وتمسك عقله بفكرة مطلقة تمثلت بتحقيق أكبر الأرباح وأعظمها وهو ما يمثل أهم العوامل التي أفضت إلى خراب الطبيعة والبيئة. فالرأسمالية الدولية لا تتردد يوما في تلوث أي وجه من أوجه البيئة من أجل الأرباح العالية بما في ذلك الملوثات الصناعية والكيمياوية والإشعاعات النووية، وحركة قطعاتها الحربية، وإضرامها الحروب، والتي تشكل جميعا مصادر إبادة وتهديد للمقومات البيئية برمتها، وما يدعم ما ذهبنا اليه أيضا إن إمتلاك الإنسان لناصية العلم وقوى الإبتكار في ميدان جديد تمثل بالنشاط الصناعي أثر قيام الثورة الفكرية Renaissance Revolution ومن ثم الثورة الصناعية الأولى The First Industrial Revolution بعد منتصف القرن الثامن عشر في أوربا، دفعه لممارسة نموذجا إنمائيا مهددا للبيئة ومشجعاً لتلوثها بصور مختلفة بما في ذلك الأبخرة والغازات السامة المنبعثة من المصانع المتوطنة داخل المدن وإستخدامه للوقود واللقيم المساعد على ذلك، وإلقاء الفضلات الملوثة في المياه العذبة والبحار وإستعمال المبيدات الكيمياوية، دون أن يأبه بما سيؤول إليه مستقبل البيئة والحياة (Wright,p9) ورغم سوء مثل هذه المظاهر البيئية التي أفرزتها الثورة الصناعية الأولى، ألا إننا يمكن أن نضع مثل هذه المظاهر ضمن دائرة ما يعرف بمفهوم البيئة الطيعة Obedient Environment المتضمن قدرة النظام البيئي على التأقلم مع أفعال المجتمع البشري وإمكانية عودته إلى حالة توازنية جديدة قد تختلف عن سابقتها(الخولي،2002، ص105)، ولم يتوقف الإنسان عند ثورته الصناعية الأولى، بل حقق ثورة صناعية ثانية أطلق عليها بثورة البتروكيمياويات Petrochemical Industries قوامها البترول ومشتقاته، في الخمسينات من القرن الماضي، وذلك ما زاد من مشاكل البيئة تعقيدا، ولحقتها ثورة إلكترونية Electronic Revolution ثالثة في أواخر الستينات ومطلع سبعينات القرن الماضي، عملت على تردي الأوضاع البيئية بصفة لا تطاق وبلغت معدلات التلوث البيئي حدودا غير مسبوقة، حيث ثبت تآكل طبقة الأوزون بدرجة واضحة في القطب الجنوبي وتراكم الغازات الملوثة مثل غاز ثاني أوكسيد الكربون CO_2 وغاز الميثان CH_4، فهذا التطور الخطير في مظاهر البيئة وإتساع نطاق التلوث يمكن أن يقع ضمن المفهوم المسمى بالبيئة غير المتسامحة Intolerant Environment الذي يعكس عدم قدرة النظام البيئي على تعويض الضرر الذي لحق به من جراء أعمال التنمية الهادفة إلى أكبر إنتاج وأعظم ارباح فحسب! ونقصد من ذلك إن الحالة لم يعد يمكن التستر عليها، لاسيما وإن فهم حماية البيئة يبدو مختلفا عند الدول الصناعية، إذ إنها تعتبر التلوث هو الدافع الرئيس لتسليط الضوء على موضوع حماية البيئة، ولا تمنح مسالة إستخدام مصادر الثروة الطبيعية مثل تلك الأهمية، ومن الناحية الأخلاقية والإنسانية فقد كان من المحتم أن تمارس دول الغرب الصناعي واجباتها في حماية البيئة المتصدعة بفعل نماذجها الإنمائية المسرفة واللامخططة بيئيا، ونحن نعلم بأن بُعد التنمية يختلف عن حدود الأثر البيئ، فربما تحدث التنمية لدولة أو منطقة معينة وتنعكس وفوراتها على هذه الدولة بالدرجة الأولى، ولكن حدود التلوث البيئي في منطقة ما يمكن أن يمتد بأضراره إلى بقاع مختلفة من العالم . كما أكدت ذلك الشواهد المعاصرة إذ أن الغازات المنبعثة من محطات توليد الكهرباء في الولايات المتحدة تسمم العديد من البحيرات النقية العذبة في السويد وتهتك بالثروة السمكية فيها، على مبدأ المثل القائل " الخير يخص والشر يعم"، وكأنها عولمة للتلوث

وإقليمية للتنمية! على أية حال، شهدت فترة سبعينات القرن الماضي توجها واضحا بشأن حماية البيئة حيث أنعقد أول مؤتمر للأمم المتحدة للبيئة في ستوكهولم عاصمة السويد عام 1972 بفعل الضغوطات الشعبية التي مارستها مؤسسات المجتمع المدني عالميا، وقد ركز العديد من الدول النامية على المفهوم الشامل للبيئة الذي ينطوي، على كيفية إستخدام مصادر الثروة الطبيعية، على خلاف المفهوم الضيق الذي أكدت عليه دول الغرب الصناعي كما أشرنا لذلك آنفا . فالقضية لدى الدول النامية لا تتلخص بالتلوث،بل اكتسبت أطرا إقتصادية وإجتماعية وإنسانية . وما يدل على ذلك ما صرحت به إنديرا غاندي في إن الفقر هو أكبر ملوث للبيئة (Lee& Gooldand,1986,No.4) كما أعربت الصين عن ترحيبها بالتلوث المتحقق من إستخدام مادة DDT من أجل القضاء على مرض الملاريا، وهكذا البرازيل التي لا تأبه بالتلوث إذا جاء من التقدم الصناعي، فهذه الدول تفصح عن إفتقارها للمستوى المعيشي والصحي والإنمائي الملائم.

عموما يبدو أن أفكار المجموعتين تلتقي إلى حد ما مع ما تحدثنا عنه من تطور في مفاهيم التنمية منذ منتصف القرن الماضي والذي أكد على زيادة الدخل والإنتاج وتطوير التكنولوجيا المستخدمة، وزيادة معدلات الإستخدام، وتأمين الإحتياجات الأساسية للبشرية كما مر بنا في الفقرة الثانية من هذا البحث، وهذه المفاهيم تقوم على أساس إستنزاف الموارد المتاحة وتؤكد حالة الصراع التأريخية القائمة بين الإنسان والطبيعة دونما النظر إلى مستقبل ذلك الصراع .

وعلى مستوى الفكر الإنمائي، فقد كان جل الإهتمام بما يطلق عليه بالأداء البيئي Environmental Performance الذي يتمثل بمسألة التحكم بالتلوث وإعتماد السبل التي تساعد على تحقيق ذلك مثل ترشيد إستخدام الموارد إنسجاما مع نظرية حدود النمو التي تعد من النظريات العاملة على معالجة التلوث البيئي والتي تعتقد بإمكانية توقف النمو عند حد خطر تفاقم مشكلة التلوث، وألا يُنظر إلى الموارد المتاحة والتقدم التكنولوجي بأنهما الحل الشافي لمشكلة الإقتصاد العالمي، دون أن يوازي ذلك برامج للسيطرة على التلوث وحماية البيئة، فهي تفترض بعض الفروض الأساسية أهمها: ثبات معدل الزيادة الطبيعية للسكان، وثبات حجم رأس المال الصناعي، وثبات معدلات الإنتاج عند حده الأدنى، وتحديد نسبة رأس المال إلى السكان في كل مجتمع وفترة زمنية معينة، وكان لهذه الإفتراضات المتضمنة ثبات أهم المؤشرات الإقتصادية والسكانية الأثر الكبير في إعتبار نظرية حدود النمو نظرية متشائمة، مؤمنة بمستقبل غير مرغوب في حالة إستمرار عوامل فساد البيئة وفشل النظام البيئي في إستيعاب وتحمل مظاهر التلوث(الخطيب، 2000، ص221)، وكأن هذه النظرية تقوم على أساس المفاضلة بين التنمية والبيئة، فالشعور بالتشاؤم والإحباط دفع المفكرين للتحرك باتجاه مقابل أدى إلى ولادة ما يعرف بنظرية التنمية المستدامة Sustainable Development التي تقوم على أساس دمج الإقتصاد في البيئة، وألا تتم بمعزل عن السياسات الإقليمية و الدولية للمحافظة على التوازن البيئي، وتنطلق من قواعد أساسية منها الحفاظ على الموارد الطبيعية، وتناسب حجم السكان مع حجم إنتاجية البيئة، ومعالجة الفقر، والحد من سوء توزيع الدخل، وعدم تسخير التكنولوجيا لزيادة الإنتاج فحسب، بل أن تراعي الإعتبارات البيئية وتفادي التلوث وتفضيل التكنولوجيا النظيفة لحماية البيئة، وتتطلب ألا يكون الإنتاج الحالي على حساب إحتياجات الأجيال القادمة، إن هذا التطور في منهجية الفكر التنموي قد حول التركيز من جانب العرض بما يتضمن من وفرة في عرض مصادر الطاقة والمياه إلى تحسين إستهلاكهما، بمعنى الإنتقال من الأداء البيئي إلى الإستدامة البيئية(فاخر، 2008، ص90) التي تركز على جانب الطلب من خلال رفع الكفاءة البيئية لطرق الإنتاج والإستهلاك في المجتمع وحماية البيئة للعقود القادمة، (*) وهنا قد أقر الإنسان بخطيئته وأن البيئة منزل له والتنمية وسيلة لتحسين معيشته وبيئته على حد سواء، ولكن الشواهد تحدثنا بأن كثيرا من تفاصيل هذه الأفكار وتطبيقاتها لا زالت نقش على الماء، نتيجة

لتشبث الإنسان بما قدمت يداه أو أخذت فريق منهم العزة بالإثم، بيد أن عزائنا هو في قول الحق "ولتكنْ منكم أمةٌ يدعون إلى الخيرِ ويأمرونَ بالمعروفِ وينهونَ عن المُنكر"(قرآن كريم، سورة عمران،آية 104).

(*) وقد انعقد مؤتمر ريودي جانيرو في البرازيل 1992 كقاعدة للتعاون بين الدول بإتجاه تحقيق تنمية مستدامة،كما عقدت الأمم المتحدة مؤتمر القمة العالمي للتنمية المستدامة في جوهانسبورغ 2002،بقصد تنفيذ ما تبقى من الأنشطة التي وردت في جدول الأعمال بإعتبار إن الحد من الفقر وتغيير أنماط الإنتاج والإستهلاك المنفلتة وحماية الموارد هي أهداف أساسية ومشتركة لتحقيق التنمية المستدامة، وعقدت اللجنة العالمية للتنمية المستدامة دورتها السابع عشرة لمراجعة التقدم المتحقق في مجال الطاقة لأغراض التنمية المستدامة،وتلوث الهواء، وتغير المناخ والتنمية الصناعية.

إستنتاجات :

(1) يبق الإنسان هو المسئول عن ذلك الصراع بوصفه المكون العاقل الوحيد بين المكونات البيئية.

(2) لقد أستيقظ المجتمع البشري متأخراً مرعوباً ببعض حصاد أعماله ليهتم من خلال مفكريه بما يطلق عليه بعلم البيئة.

(3) لقد بنى الإنسان علاقته مع الطبيعة على أساس التحدي والإنتصار في عقله،ومن ثم في عمله وما يجسده يوميا.

(4) لقد كان للنموذج الإنمائي الصناعي الغربي الأثر الكبير في تردي أوضاع البيئة عالميا نتيجة لأستهدافه تحقيق أعظم الأرباح،ومن بعدها رفع معدلات مستوى المعيشة لفترة زادت عن قرنين من الزمن، دون الإكتراث بالإعتبارات البيئية.

(5) لقد بدأت الثورة الصناعية الأولى القائمة على الفحم بإلحاق الضرر في أوجه البيئة المختلفة، وساعدت الثورة الصناعية الثانية التي قوامها البتروكيماويات وهكذا الثورة الصناعية الثالثة ذات الوقود النووي على تعميق ذلك الضرر وتعقيد معالجته.

(6) تناسى المجتمع البشري وبالذات المجتمعات الصناعية المتقدمة كون إن آثار التنمية تختلف عن حدود التلوث الذي يمكن أن تتسع لدول وأقاليم أخرى، في حين أثر التنمية غالبا ما يكون في إطار دولة أو منطقة معينة بالدرجة الأولى.

(7) يبدو أن مفهوم حماية البيئة يختلف بين المجتمعات الصناعية المتقدمة ومجموعة الدول النامية فقد أعتبرت المجموعة الأولى إن التلوث هو الدافع الرئيس لتسليط الضوء على مسألة حماية البيئة، بالوقت الذي ينطوي فيه هذا المفهوم على كيفية إستخدام مصادر الثروة الطبيعية فهو يكتسب طابعا إقتصاديا وإجتماعيا وإنسانيا.

(8) لقد تحول إهتمام الفكر الإنمائي خلال الربع قرن الأخير من دائرة الأداء البيئي إلى فضاء الإستدامة البيئية التي تركز على رفع الكفاءة البيئية، وتتسع لتشتمل على ذلك الأداء.

(9) يعد التوجه نحو مفهوم التنمية المستدامة نقطة تحول مركزية في الفكر الإنمائي البيئي، وخروجا من الشعور الإحباطي المتولد عن نظرية حدود النمو، بإتجاه المنهجية المتفائلة للتنمية المستدامة القائمة على دمج الإقتصاد مع البيئة.

وفي ضوء الإستنتاجات أعلاه، نوصي بضرورة تقدير حجم الأضرار التي لحقت ببيئة الأقطار النامية بما فيها أقطارنا العربية ويتم تعويضها من قبل الدول الصناعية المتقدمة بوصفها المسبب في خلق ذلك التلوث،دونما تحصل تلك الاقطار على أية وفورات أو إنجازات تنموية حقيقية من

إتباع الدول المتقدمة لنموذج النمو الصناعي المسرف واللامخطط بيئيا، وتُوكل مهمة إدارة وتنفيذ هذا الإجراء لوكالة دولية متخصصة، كما نوصي بضرورة إعادة النظر بالقوانين والتعليمات الخاصة بالإعتبارات البيئية لمشروعات الإستثمار الأجنبي المباشر في البلاد العربية والنامية نتيجة لإنتقال الكثير من هذه الإستثمارات إلى هذه البلدان بقصد التخلص من القيود المالية والقانونية التي تفرضها الدول المتقدمة على المشروعات المضرة ببيئتها، ونؤكد ضرورة إستخدام التكنولوجيا النظيفة في المشروعات الإقتصادية الجديدة، والتوسع بالعمليات الإحلالية نحو هذا النوع من التكنولوجيا، ولابد من دعم وتشجيع بعض مؤسسات المجتمع المدني وفي مقدمتهم البيئانيين للضغط بإتجاه حماية الأنظمة البيئية المساعدة على الحياة من التقهقر والتصدي لمخاطر فقدان التنوع الحياتي.

قائمة المراجع:

1. أماني عبد العزيز فاخر(2008)، التنمية المستدامة البيئية في الدول النامية، المجلة المصرية للتنمية والتخطيط، م16،ع1، القاهرة.
2. أسامة الخولي(2002)، البيئة وقضايا التنمية والتصنيع، عالم المعرفة،ع285، الكويت.
3. البنك الدولي(1979)، تقرير عن التنمية في العالم.
4. برنامج الأمم المتحدة الإنمائي(2002)، تقرير التنمية الإنسانية العربية، القاهرة، مصر.
5. هورست أفهيلد(2007)، اقتصاد يغدق فقرا، عالم المعرفة،ع335، الكويت.
6. ليزا نيوتن(2006)، نحو شركات خضراء،عالم المعرفة، ع249، الكويت.
7. ماجدة وغنيم أبو زنط،عثمان محمد غنيم(2009)، التنمية المستديمة من منظور الثقافة العربية الإسلامية، مجلة دراسات، م36،ع1.
8. محمد بن أبي بكر الرازي(1983)، مختار الصحاح، مكتبة النهضة، بغداد.
9. محمد مدحت مصطفى وسهير أحمد(1999)، النماذج الرياضية للتخطيط والتنمية الإقتصادية، مكتبة شعاع، الإسكندرية.
10. مصطفى بابكر(2004)، السياسات البيئية، سلسلة دورية تعنى بقضايا التنمية في الأقطار العربية،ع25، المعهد العربي للتخطيط، الكويت.
11. مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية(الأونكتاد)(2003)، تقرير التجارة والتنمية، تراكم رأس المال والنمو والتغير الهيكلي، واشنطن.
12. نهى الخطيب(2000)، إقتصاديات البيئة والتنمية، مركز دراسات واستشارات الإدارة العامة، جامعة القاهرة.
13. عبدالله محمد إبراهيم، التوجه المنظمي نحو التنمية WWW.Univ-Chlef.dz/topic/doc/mdm
14. علي مجيد الحمادي(2008)، ملاحظات حول إرادة التغيير ومنهجية التنمية الإقتصادية المعاصرة، مجلة شؤون عربية، ع24.
15. خالد مصطفى قاسم(2007)، إدارة البيئة والتنمية المستدامة في ظل العولمة المعاصرة، الدار الجامعية، الإسكندرية، مصر.
16. A.K. Sen, (1989), Development Capability Expansion", Journal of Development Planning, (19).
17. A . Steer,(1996),"Ten Principles of the New Environmentalism", Finance &Development ,No.4,Dec.
18. B.C, Field, (2002),"Environmental Economics", McGraw Hill, USA.
19. G.Lee &R.Goold, (1 986),"Economic Development and Environment", Vol.(33),NO.4.
20. M.L.Jhingan,(1997),"The Economics of Development and Planning" ,32,nd,Delhi.
21. Richard,T. Wright,(2005)," Environmental Science", International Edition 9th, Prentice Hall.
22. UNDP, (2006),"Global Partnership for Development", Annual report.

تجديد الخِطاب الدِّيني عند عبد الكريم سروش. مُقاربة نقدية للدَّين والتَّدين.

.Renewing the religious discourse at Abdolkarim Soroush
A critical approach to religion and religiosity

أ. سامي سنوسي ـ جامعة الجزائر2 – أبو القاسم سعد الله.

ملخص: إن التجديد في الفكر الإسلامي قد أصبح واجبا على المفكرين، لأن الحضارة الإنسانية قد بلغت حدًّا لا يتسنى للمسلم المعاصر أن يسايره بمنطق التفكير التراثي، وفي هذا الإشكال يرى عبد الكريم سروش ــ وهو أحد المجددين الإسلاميين المعاصرين ــ بضرورة التحديث في طريقة فهمنا للدين والتدين، لأن الدين عنده يعني الثبات والصمت، أما التدين فيعني التغير والمرونة والتجدُّد، وبهذا، لا سبيل إلى التغني بامتلاك الحقيقة، أو الانتماء للفرقة الناجية، بل أضحى الإسلام بعالميته الخاتمة المُستوعبة يُبيِّن ركيزتين لابد منهما، تطور المعرفة الدينية كسائر المعارف البشرية، والإيمان بالتعددية الدينية، وهذا إقرارٌ بتحدي الدين الإلهي المطلق للتدين البشري النسبي.

الكلمات المفتاحية :التجديد، الدين، التدين، المعرفة الدينية، التعددية الدينية، عبد الكريم سروش.

Abstract: The renewal of Islamic thought has become a duty of thinkers, because human civilization has reached the extent that contemporary Muslims can not be reconciled with the logic of heritage thinking, and in this problem, Abdolkarim Soroush, one of the modern Islamic innovators, sees the need to modernize our understanding of religion and religiosity, Because religion according to him means stability and silence, but religiosity means change and flexibility and renewal, and thus can not be praised for the possession of the truth, or belonging to the surviving group, but Islam with its globalized conclusion shows two pillars: the development of religious knowledge as other human knowledge, and believing to a religious pluralism, and this is the challenge of the absolute approval of the divine religion to the relative human religiosity.

Keywords: Renewal, religion, religiosity, religious knowledge, religious pluralism**.**

مقدمة:

لقد شهدت الحضارة الإنسانية المعاصرة عودة سؤال الدين من جديد و بإلحاح، ليس فقط عند الغرب الذي عرف الدين عنده استبعادا بعد مركزية العلم التجريبي، بل حتى عند المسلمين الذين ما فتئوا يفارقون الدين والتدين، وبهذا التوصيف، تجلت أهمية الموضوع الذي نحن بغرض بيان هندسته الإشكالية وتاليا مضمونه المعرفي.

لقد تبين أن سؤال الدين قد تمركز من جديد في الفلسفات الإنسانية المعاصرة، وهذا دال على الفراغ الأنطولوجي الذي راود الإنسان منذ القديم، هذا من جهة، ومن جهة ثانية، عودة سؤال الدين وكيفية التدين دال كذلك على أهمية الفلسفة كنائبة عن الدين عند الغرب، زمن مركزية العلم منذ عصر الأنوار، ولكن السؤال يتبادر أكثر عند المسلمين، وهاهنا تجلت أهمية الموضوع، لهذا اخترنا عبد الكريم سروش.*

عبد الكريم سروش من المصلحين الإيرانيين المعاصرين، الذي دعا إلى نقد المعارف الدينية التراثية، والكف عن التغني بقداستها، واعتبر بدوره أن الإسلام أو الدين هو فقط القرآن معارف فهي مجرد اجتهادات بشرية قد تخطئ وقد تصيب .ونحن هاهنا نطرح الإشكال :لماذا أعاد عبد الكريم سروش تجديد الفكر الديني ؟ وكيف يرى بدوره الدين والتدين ؟ سواء أكان ذلك من الوجهة النظرية أم التطبيقية. وفي كلمة أين تظهر معالم تجديد الخطاب الديني في منظور سروش؟

1. ضبط المفاهيم:

في مفهوم الدين :لا أحد ينكر أن تعريف الدين بشكل جامع مانع من الصعوبات المعرفية في الفكر الإسلامي المعاصر، لاسيما وقد أعيد طرح سؤاله في المحافل الفكرية، والمؤسسات الدينية من جديد، وليس من قبيل الغرابة أن يحدث هذا والبشرية على درجة عالية من الأيديولوجيا، بل وهناك من احتكر الدين حتى أضحى بالنسبة له أيديولوجيا، ولما تفاوتت تعريفات الدين حسب الخلفيات المؤَسّس عليها من اجتماعية، واقتصادية، وأخلاقية، وسياسية وغيرها، ارتأينا في تقديرنا، أن نوجز تعريفه كالتالي: "الدين في الاصطلاح يعني الإيمان بخالق الكون والإنسان، وبالتعاليم والأحكام العملية الملائمة لهذا الإيمان"(إبن منظور، 1981، مادة د) يظهر أن التعريف جامع للأديان السماوية مانع للأديان الأرضية، لأن الذي لا يؤمن بالخالق يطلق عليه اللّاديني.

القبض والبسط/ التدين.

القبض لغة: القبض خلاف البسط، قبضه، يقبضه قبضا، والانقباض: خلاف الانبساط، وقد انقبض وتقبّض، وانقبض الشيء صار مقبوضا، وتقبضت الجلدة في النار أي انزوت، وفي أسماء الله تعالى "القابض" وهو الذي يمسك الرزق وغيره من الأشياء عن العباد بلطفه وحكمته ويقبض الأرواح عند الممات(ابن منظور، 1981، مادة د) البسيط لغة: "بسْط الشيء نشره وتوسيعه، فتارة يتصور منه الأمران معا وتارة يتصور منه أحدهما، ويقال بسَط الثوب نشَره، ومنه البساط.

---

*__نبذة عن السيرة الفكرية لعبد الكريم سروش:__ عبد الكريم سروش، واسمه الحقيقي (حسين حاج فرج دباغ)، ولد يوم عاشوراء عام1945 بمدينة طهران، ودرس في مدرسة القائمية، الإبتدائية في طهران، ثم انتقل لإتمام الثانوية في مدرسة مرتضوي، ودرس في الجامعة فرع الصيدلة، وبعدها اقترحت عليه منحة دراسية في جامعة لندن لدراسة فرع الكيمياء التجريبي فوافق، وفي الوقت نفسه واصل دراسته في علم التاريخ وفلسفة العلوم في الجامعة نفسها، ومع انطلاق الثورة في إيران عاد سروش إلى بلده، ونشر كتابه: "قيمة المعرفة"، كما عين مديرا لمؤسسة الثقافة الإسلامية، ثم دخل جامعة طهران فنال شهادة الدكتوراه في الفلسفة الإسلامية، ويعمل في العديد من الجامعات في أمريكا وبريطانيا وألمانيا كما أنه لازال منشغلا بتأليف الكتب،(انظر: العقل والحرية: عبد الكريم سروش، ص6-8).

قال تعالى:﴿ **وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ** ﴾**(البقرة، الآية245)** وقوله:﴿ **وَزَادَهُ بَسْطَةً فِيْ الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ** ﴾**(البقرة، الآية247)** أي سَعةً (عبد الكريم سروش، 2002، ص21)، اسم لكل ما يلتمس عليه الجزاء،" حسنا أي صليه به نفسه من دون منٍّ ولا أذى و"الله يقبض ويبسط القبض: التقدير، والبسط التوسيع، وفيه وعيد بأنّ من بخل في البسط يوشك أن يبدل بالقبض ولهذا قال وإليه تُرجعون (فيحسن للمحسن ويعاقب البخيل، وهذا نفس ما ذهب إليه الزمخشري(محمد عبد الله الشوكاني، 2003، ص39)، جار الله بأن القبض هو القتر والبسط هو السّعة(عبد الكريم سروش، 2002، ص21)، هذا القبض والبسط عند الله حول مدى قبض وبسط العباد للأرزاق التي أنعم بها عليهم، أما بالنسبة إلى مضمونها ومعناها عند عبد الكريم سروش فهي على حد تعريفه: "إن نظرية قبض الشريعة وبسطها ترى إلى المعرفة الدينية كواحدة من المعارف **التفسير :**من ذا الذي يقرض الله " وأصل القرض البشرية، وتسعى في المرحلة الأولى إلى:

أ /كشف أولية الفهم الديني وكيفيته.

ب /توضيح أوصاف المعرفة الدينية إلى سائر المعرف البشرية.

ج /تجديد العلاقات القائمة بين المعرفة الدينية وثباتها تاريخيا، وبناء على هذا فإن أهم وجوه نظرية القبض والبسط هو وجهها التفسيري الإبستمولوجي(عبد الله نصري، دس، ص164).

فإذا أسقطنا هذه المبادئ على الآية الكريمة أعلاه، نجد أن الدين رزق في أصله على كل الناس فهو ثابت ودائم وتعاملنا معه بالقبول أو الإعراض هو التدين، فهو متغير وغير دائم وهذه الثنائية الإلهية /الإنسانية، تسمى القبض والبسط في الشريعة في جوهرها، أما عند عبد الكريم سروش فيقصد وجهها الابستيمولوجي المعرفي تماما كعالم الطبيعة يهمه وصف الظاهرة دون تعليلها أيديولوجيا أو ميتافيزيقيا، وبالتالي سنتطرق إلى تطبيقات هذه النظرية في أهم مقولاتها الدين والتدين.

2. الدين في ذاته والدين في ذواتنا.

إن الدين عند عبد الكريم سروش ثابت لا يعرف النقص، ولا يطرأ عليه التغيير مهما تعرض لمقولات الزمان والمكان، فهو خالد خلود مبدئه نفسه" أن الشريعة عبارة عن مجموعة من الأركان والأصول والفروع المنزلة على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إضافة إلى سير الأولياء وسننهم والدين كامل، أي أن الله ـ عز وجل ـ نزل كل ما هو لازم لسعادة البشر وهدايتهم، فالدين من هذا المنطلق لا نقص فيه(عبد الكريم سروش، 2002، ص29-30)، وفضلا عن ذلك الدين في منظور سروش صامت مثله مثل الطبيعة، خرساء، وبهذا الوصف شبه الدين بالحبل الذي لا اتجاه له من الناحية العملية التطبيقية(عبد الله نصري، دت، ص165) ولهذا قال ـ **تعالى:** ﴿**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ** ﴾**(آل عمران،** الآية103).

فهذا بيان ساطع لا ينكره إلا الكافر أو المنافق، أما ذو السليقة النقية، والفطرة السليمة يدرك أن الدين كامل بكمال مريده .وعندما نتكلم عن الدين ننظر إلى مصاديقه، فالدين الإسلامي دين كامل لا نقص فيه ولا يُتصوَّر فيه أي نقص(كمال الحيدري، 2009، ص48).

وبهذا الكمال" فالشريعة صامتة لا تتكلم إلا حين يوجه الناس إليها الأسئلة منتظرين أجوبتها، ولا تهتم إلا إذا أدخلوها في ثنايا عقولهم وأسكنوها مع غيرها من الساكنين"، إن الدين وإن كان صامتا، غير مصاب بالعيّ والحصر، وإذا تكلم فإنما يقول كلامه هو وليس كلام الآخرين(عبد الكريم سروش، 2002، ص32)

فالمُلاحظ المتبصِّر لكلام سروش في تعامله مع الشريعة يجده يمنهج معطياتها في قالبين، قالب مطلق ثابت هو الأصل وهو الشريعة الواجبة الوجود، استنادا إلى وجوب الوجود لموجدها، ثم هي ممكنة الوجود أو موجودة بالفعل، لما يُخرجها الذين أُنيطوا بها من وجودها بالقوة إلى وجودها بالفعل، وهذه السيرورة التي تضفي صيرورة على ظاهر الشريعة وليس باطنها، هي ما

يسميه سروش بالفهم البشري التاريخي المستمر للشريعة، الذي لا يُنقص من الشريعة شيئا يقول الله سبحانه: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا اَلذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾(**الحجر، الآية9**) بل تصبح الشريعة بهذا الكتاب المكنون الدائم التكشف والتجلي، من عالم الغيب نحو عالم الشهادة.

إذن الدين في ذاته عند عبد الكريم سروش مفارق، لا يمكن ممارسته على الإطلاق وبصورة كاملة في الطبيعة، بمعنى لا يمكن أن يجسّد الكامل على الناقص، ولا الطاهر على المدنس، أو بمعنى آخر لا سبيل إلى القول بضرورة تطبيق الدين كما طبقه النبي ـصلى الله عليه وسلم ـ، كونه لو كان الأمر كذلك" جعلنا الباري سبحانه وتعالى كلنا أنبياء أو أولياء له صالحين، بل رحمنا بفطرة الخطيئة ومن ثم هناك سبيل إلى فهم الدين إلى حد ما وهذا الحد عند سروش لم يولد بعد بمعنى لم يدرك بعد، ولذلك طريق البحث مفتوح والسباق إلى الحقيقة مازال ساري المفعول(عبد الكريم سروش، 2002، ص313).

يصرح سروش أن المعرفة الدينية هي الحاصلة من الكتاب والسنة، ولما يستخدم مصطلح الفهم الديني فهو يريد منه الفهم الحاصل من الكتاب والسنّة كذلك(محمد شقير، 2008، ص24)، و ينتقل عبد الكريم سروش من الدين الصامت إلى المعرفة الدينية المتكلِّمة، يقول":وأما المعرفة الدينية فهي فهم الناس المنهجي والمضبوط للشريعة، ولها كما لغيرها من المعارف في مقام التحقق هوية جمعية وجارية، وبتوضيح آخر يمكن أيضا ملاحظة المعرفة الدينية كالمعرفة الأخرى في مقامين :مقام يجيب أو مقام التعريف، ومقام يوجد أو مقام التحقق(عبد الكريم سروش، 2002، ص29).

ابتداء يصنف سروش الفهم الديني مع سائر الفهوم البشرية، كالرياضيات في فهم الكون الكمي والطب في فهم علل المرض الصحة و...الخ، ومن ثمة فهي دائمة البحث والتنقيب، كونها معرضة لمقولات النسبية دائما" ففي مقام التعريف، المعرفة كاملة خالصة وصادقة أي ما يجب أن تكون عليه أما في مقام التحقق فهي ما أنتجه العلماء وأعلنوا عنه، وهي موضوع التعلم والتعليم، وهي ناقصة حتما وكثيرة الأخطاء(عبد الكريم سروش، 2002، ص29)، لذلك يؤكد سروش على أن الدين حق لجميع البشر، فتجسدت المعرفة الدينية بشكل جمعي كذلك" إذن المعرفة الدينية جهد إنساني لفهم الشريعة، مضبوط ومنهجي وجمعي ومتحرِّك، ودين كل واحد هو عين فهمه للشريعة، أما الشريعة الخالصة فلا وجود لها إلا لدى الشارع عز وجل .

فإذا كانت هذه هي المعرفة الدينية فإن سروش يخصها بالتكامل والاختلاف، وهو ما شهده الفقه وعلم الكلام كأبرز معرفتين دينيتين تطورتا في تراثنا الإسلامي، واستنتج كذلك التفسير وعلم الحديث وعلم الأخلاق والتصوف، فلا يمكن الادعاء مطلقا أن فهم الناس للقرآن قد بلغ حده الأقصى، قد استطاعوا تدبر كل مكنونه واستنبطوا مراميه(عبد الكريم سروش، 2002، ص30).

الآن ولما عرفنا أن سروش يُوحِّد بين المعرفة الدينية وسائر المعارف البشرية، نجده في إحدى محطاته الابستيمولوجية يَعقد مقاربة تشبيهية بين المعرفة الدينية، والمعرفة التاريخية يقول: "المعرفة التاريخية معرفة بلا موضوع، أي أنه من غير الممكن إيجاد موضوع يستطيع المؤرخون أن يتكلموا على أعراضه الذاتية، ودون وسائط، فالمواد لا تنظم في المعرفة التاريخية حول الموضوع، وإنما حول أسئلة المؤرخين التي هي نتاج نظرياتهم الذهنية(عبد الكريم سروش، 2002، ص31).

وذلك إنما في وجوه أهمها، النسبية لكلا المعرفتين، التاريخية والدينية كونهما في تغير دائم فهما معرضتين لقضاء الزمان والمكان، ثم أنَّ المؤرخ وعالم الدين يتوجب عليهما ـــ لكي ينجحا في عملهما التأريخي والديني ـــ أن يفقها سائر المعارف البشرية، فكلما كان زاده المعرفي أوفر، كان إنتاجه في مجاله هذا أعمق وأثمر" وما لم يكن في ذهن المؤرخ صورة كاملة ومتوازنة عن

الإنسان والمجتمع - أي علم الإناسة والاجتماع- لن يتمكن من كتابة تاريخ موزون وموثوق، وعلى هذا النهج فإن المعرفة الدينية تتكئ على المعلومات الخارجية(عبد الكريم سروش، 2002، ص34)، على هذا الأساس يكون الدين في ذواتنا هو المعرفة الدينية في ذاتها، والمتَّسمة بالتغير والسيرورة المصحوبة دوما بصيرورة، ولهذا يمكننا الحكم أن عبد الكريم سروش عقد مقاربة بين المعرفة الدينية والتاريخية من أجل توضيح التداخل بينهما، أو بعبارة أخرى أوضح، المعرفة الدينية بحكم بشريتها هي تاريخية إلى حد بعيد.

وتاليا سنوضح ما يراه عبد الكريم سروش حول تطبيقات نظريته في المعرفة الدينية، فمعروف عندنا في ثقافتنا الإسلامية، أن التراث الإسلامي زاخر بالمعرفة كالفقه وعلم التوحيد ـ الكلام ـ والعرفان، والتفسير والحديث والأخلاق، فتطبيقا لتغيُّرية المعرفة الدينية، لا فقه كامل شهده المسلمون ولا علم الكلام ولا تفسير، وهو بهذا يؤكد على أمل الاجتهاد الإنساني في خلق وتنظير لفقه جديد وكلام جديد؛ أو بمعنى آخر أن ما أنتجه الأوائل من علماء السلف الصالح، هو اجتهاد مرهون بأسئلة زمانهم، ولا مبرر لدينا أن نأتي بأجوبة لأسئلة ذلك الزمان، لنجيب بها عن أسئلة زماننا اليوم، فهذا إنما حسب محك النظر يحيلنا إلى استنباطين :

-أن هؤلاء الأوائل مجتهدون فعلا وهو كذلك والدليل ما ورّثوه لنا.

-أو أننا نحن اعتقدنا أنهم ورثوا لنا أجوبة زمانهم وزماننا، وهذا هو الغلط فنحن نتساءل هل منعنا الأوائل عن الاجتهاد؟ لماذا لا نجيب عن هذا السؤال؟ حينئذ ندرك أن الخذلان أصابنا نحن الخلف وليس السلف، بالعكس السلف خطى خطوات ولم يخطوا كل الخطوات، لأن حكمة الله عز وجل اقتضت إلا أن توزع حكمة تطوير المعرفة الإنسانية عبر جميع أطوارها ،"ففي بلادنا أيضا حيث يظهر كل هذا الكلام عن الحداثة والتقليد، والتصلب الذي يظهره قوم للتراث، والعشق الذي يلعنونه للنقاء الديني، وشرَع آخرون في تجديد الأفكار وفهم الجذور فهما جديدا، ليس أكثر من أن لدى الفريقين كليهما ردَّة فعل على هجوم الآراء والمعارف الوافدة، وأن كليهما قد أدرك السيل القادم لن يترك منزله القديم على حاله من الاستقرار والسكون السابقين(عبد الكريم سروش، 2002، ص36).

فهذا وصف لما يحدث للمعرفة الدينية في بيئتها المعاصرة، تأثرا ببيئة إسلامية أصيلة من جهة، وبيئة غربية دخيلة من جهة ثانية، والموقف المحتار للبيئة المتأثرة من الجهتين ثالثة، ومما تقدم الكلام عنه حول القبض والبسط في الشريعة نستنتج، أن مبنى القبض والبسط هي بنية منطقية منهجية، وأن المعرفة الدينية معرفة بشرية، وأن الدين الكامل هو عند الشارع ـ سبحانه وتعالى ـ وبهذا تصبح الشريعة كالطبيعة صامتة تنتظر من المتدين الأسئلة والبحث فيها، فهي إذن تاريخية، وتقع بذلك سُنّة الاختلاف المؤدية إلى نتيجة مدارها، انفتاح باب الفقه والكلام والتفسير وغيرها من العلوم الدينية.

3. اعتراضات نقدية على نظرية سروش في المعرفة الدينية.

إن عبد الكريم سروش في نظريته المعرفية قد أعطى دفعا نقديا لجمهور المجددين في الفكر الديني المعاصر، وخاصة عندما رفع القداسة المُفرطة عن المعارف الدينية بشتى أنواعها، وتاليا سوَّاها بسائر المعارف البشرية، وأعطاها منطقا تاريخيا خاضعا للتطور والتكامل المستمرين، وهنا أُستُبين أن أكثر المطالب التي بنى عليها سروش، دعواه تقوم على مجرد نظرية ألسنية(عبد الكريم سروش، 2002، ص92) والناتجة ـ في تقديرنا ـ من تأثر الرجل بالهيرمينوطيقا الغربية القائلة بحتمية تغير القراءات البشرية للنصوص، لاسيما المقدسة.

وفي اعتراض آخر على تشبيه الشريعة بالطبيعة من حيث الصمت، بان أن الشريعة كلام في أصلها، والكلام يعني إلى حد مناقض غير الصمت، وعليه تصبح الشريعة مُتكلّمة لكشف صمت الطبيعة ومساعدة الإنسان على بلوغ سعادته المعاشية والمعادية، **"وحتى يتضح دور الكلام**

نفرض أن للطبيعة القدرة على الكلام وتستطيع أن تتحدث عن أسرارها(صادق لاريجاني، 2008، ص111)، كما أن التفريق بين الدين والمعرفة الدينية، من الناحية النظرية، لا يعدو أن يطرح إشكالية كبيرة من الناحية العملية لأن هذا الأمر ليس جوهريا في أصله والفلاسفة والمناطقة قد اشتهروا بالتمييز بين الوجود الذهني للمعلوم والوجود الخارجي له(صادق لاريجاني، 2008، ص112).

هذا والباحث في الطبيعة فإنه يواجهها مباشرة أما الباحث في الحقيقة الدينية فإنه يجد كلاماـ وحْيًا/نصًّا ـ يتكلم عنها، ثم أن المعرفة هي غير الفهم، لأن المعرفة ليست دائما تحصيلية، أما الفهم فهو حضوري بشكل دائم في الذهن .و بهذا نخلص إلى أن أغلب الاعتراضات على نظرية القبض والبسط في الشريعة قاربت بين النص المقدس-الشريعة- والفهم البشري، وحاولت الإبقاء على قداسة الدين وكماله، مقابل المعارف البشرية، واصفة مقالات سروش بمجرد اجتهادات تتطلب المناقشة وإعادة الدراسة، لكنها تمثل دمغة كافية للفكر الديني الإسلامي المعاصر.

4. في التعددية الدينية والصراطات المستقيمة.

ما ألفناه في ثقافتنا هو أن الأديان نوعان: أديان سماوية موحى بها وأخرى أرضية غير موحى بها، وفي هذه وتلك توجد مذاهب تعد وتحصى، وقد لا تعد ولا تحصى، وانقسم المفكرون في تفسير التعددية الدينية إلى أقسام منهم من يقول أن سرّ التَّعدد إنما يعود إلى حصة كل دين ـــ بما يحوي من نحل ـــ من الحقيقة، ففسر الفريق الأول:"أن ديننا(يخص أي متكلم عن دينه) هو الهداية الحقة، وباقي الأديان كلها على ضلالة(مالك وهبي العاملي، 2008، ص25).

وقال الفريق الثاني" أن طريق أي متدين إنما يوصله إلى المطلوب، لكن هذا لا يعني أنه ينفي الآخرين من الوصول إلى مطلبهم، من خلال تدينهم بدين يخالف أديان الآخرين، أما الكلام في رأيهم عن الحقيقة الكاملة فهي في دين واحد(أحمد واعظي، 2003، ص54).

كما قرر الفريق الثالث:"أن كثرة الديانات والتدينات، إنما هي واقعة حقيقية ويتحدث أفرادها عن التجارب الدينية المختلفة والأصيلة، وعن الصراطات المستقيمة وعن الحقائق المتعددة وليس عن الحقيقة الواحدة(عبد الكريم سروش، 2001، ص119).

هذه بعض التفسيرات لتعدد الأديان، لكن الإشكالية الآن، تتمحور حول تعدد الرؤى في تفسير التعددية الدينية، والمؤدية إلى خدش الإيمان والاعتقاد الدينيين؟ بمعنى هل يمكن البحث عن حقيقة أخرى خارج الدين المتديَّن به؟ وهل إيجادها يعني التخلي عن بعض حقائق الدين الأصلي؟ أم هذا يؤدي إلى تفسير الحقيقة بحقائق؟

ليس هناك أي إبهام في المدلول اللغوي لمصطلح" البلورالية/"بلوراليسم لأن(plural)، تعني الكثرة والجمع. والبلورالية تعني القبول بهذه الكثرة والتعدد، وهذا المصطلح في الحقيقة مستمد من الثقافة الغربية، وخصّ بالضبط معنى تعدد مهام رجل الكنيسة، والتعددية الدينية هي نظرية كلامية في علم الإلهيات المسيحي في مجال تعدد الأديان، تؤمن في جوهرها بتعدد السبل إلى الحقيقة وبهذا المنطق لا تنفي أي صراط أو مذهب بل ترى فيه طريقا إلى النجاة، وهو نوع من الهداية لأن الحقّ أكبر من يكون له طريق.

بناء على نظرية القبض والبسط، يطبق عبد الكريم سروش جوهرها على قارة التعددية الدينية وهو ميدان يقبل واقع كهذا أو واقع آخر، إذن" تعني أطروحة البلورالية: الاعتراف برسمية التعدد والتنوع في الثقافات والأديان واللغات والتجارب البشرية، والبلورالية، أي التعددية بالشكل الموجود حاليا تعدُّ من نتاجات الحضارة الجديدة، وتبحث في مجالين مهمين: أحدهما في مجال الأديان والثقافات، والآخر في المجال الاجتماعي، فهناك بلورالية في المعرفة الدينية، وبلورالية في المجتمع، أي الدين البلورالي والمجتمع البلورالي(مصباح اليزدي، دس، ص3).

فهذا بيان أبجدي لوجود تعددية في الديانات والثقافات في العالم، وكل منها لها مقولاتها، وحضارتها المحتكمة ـ طبعا ـ لمعايير كلية أو مرصوصة مع سائر التعدديات" كما أنه يوجد ارتباط وثيق بينهما، المجتمع والدين؛ بمعنى أن الأشخاص الذين يذهبون إلى القول بالتعددية على المستوى الثقافي والديني، لا يمكنهم التّنكُّر لمقولة التعددية الاجتماعية(محمد حسين زاده، 2013، ص151)، لهذا يستند سروش إلى توضيح أن سُنَّة الاختلاف موجودة منذ وجود المجتمعات الأولى في التاريخ؛ بمعنى أينما يكون المجتمع إلاّ وتتشَّكل فيه تعدّدية كمفهوم يصدق على عدة قضايا سواء تعلق الأمر بالدين أو غيره، "ورغم أن فكرة البلورالية أو التعددية تبدو جديدة من حيث اللفظ إلاّ أنها تمتد في أعماق تاريخ الفكر البشري، ليس على مستوى تاريخ الفكر الإسلامي فحسب، بل تمتد جذورها في التاريخ الفكري للبشرية أيضا، ومن الطبيعي أن يحظى الطابع الإسلامي في هذه القضية ـ بالنسبة لنا ـ بجاذبية أكبر، ولذلك أسعى إلى تركيز الكلام على هذه الزاوية، وأختار من الثقافة العامة الدين، وأسلط الضوء عليه بشكل خاص(عبد الكريم سروش، 2009، ص11)، وركز إذن سروش الكلام حول التعددية الدينية وذلك لأن أطروحة" التعددية الدينية "في الأصل تعتمد على دعامتين إحداهما التنوع في الأفهام بالنسبة للمتون الدينية، والأخرى التنوع في تغييرنا للتجارب الدينية(عبد الكريم سروش، 2009، ص12).

بهذا يبني عبد الكريم سروش نظريته في التعددية الدينية أو البلورالية الحقيقية في الواقع المشهود في سائر المواضع دون الدين نفسه، وقلنا يسندها على مبادئ ومباني أهمها:

تعدد الفهوم للدين: لقد ميز في القبض والبسط بين الدين في ذاته والأصل الثابت، والدين في فهمنا وهو الفرع المتغير، وإجمالا كان حديثنا في نظرية القبض والبسط هو أن فهمنا للمتون والنصوص الدينية متنوع ومتعدد بالضرورة، وهذا التنوع والتعدد لا يقبل الاختزال إلى فهم واحد، وليس هذا الفهم متنوعا ومتعددا لفهم النصوص الدينية وتفسيرها سواء في الفقه أو الحديث أو القرآن من خلال الاستعانة بمسبوقاتنا الفكرية(عبد الكريم سروش، 2009، ص12).

إذن ما ذهب إليه سروش حسب تعدد الفهوم يشهد له تاريخ العلوم الأخرى غير الدينية، فنحن نشهد في تاريخ الرياضيات أنه عرف محطات ابستمولوجية تحوّلية كبرى، جعلت كل جيل رياضي ينكر أن الرياضيات التي سبقته في جيل آخر كانت تجيب عن مسائلهم الجديدة، لكن سروش يقول: هو ذاك ما توصل إليه العقل الإنساني آنذاك، ولابد على العقل المقبل أن يحكم ويغيِّر ويبني، ولا يجب عليه إطلاقا أخذ الزاد الموَّرث له هكذا دون تمحيص، فزمانه غير زمان سالف العقول، وخلاصة المبدأ الأول أنه يقوم على الفهم الدائم التحول للمتون المتينة للدين" وهذه الظاهرة هي التي تحفظ للنص طراوته وتضمن خلوده، إن رأسمال الأديان يتمثل في هذه العبارات النافذة إلى القلب، والعميقة في المعنى والأبدية على مستوى الزمان، بحيث أنها تمنح كل شخص يقرؤها مضمونا جديدا، ولو لا ذلك لفرغت من محتواها وتلاشت(عبد الكريم سروش، 2009، ص12)، وهذا الأمر شهده المسلمون في أوائل ظهور هذا الدين الأخير مع كثرة الفرق، ودلّ ذلك على كثرة الفهوم ومحاولات الفهم على الأقل، وهو ما أكد سنة الاختلاف كواقع فكري أنتج فلسفة المناظرة والحوار.

تعدد وتنوع تفاسير التجارب الدينية. فالتجربة الدينية عبارة عن مواجهة الأمر المطلق والمتعالي، وهذه المواجهة تتجلى بأشكال عديدة وصور مختلفة، فتارة بصورة رؤيا وأخرى بسماع صوت معين، وثالثة برؤية ملامح وألوان، ورابعة على شكل إحساس باتصال النفس بعظمة عالم الوجود، وأحيانا تشعر النفس بانقباض وظلمة، وأحيانا أخرى بانبساط ونُورانية(عبد الكريم سروش، 2009، ص12)، ما يسقطه سروش يؤكد مرة أخرى أن نسبة التعدّد تنشأ في ذواتنا، فمرة نشعر بشيء إلى درجة عالية من الاهتمام، وتارة ثانية ينقصُ ذلك الشعور إلى ما دون اهتمامنا به، وهذا على التجارب الدينية، وكل هذا يعني أن التجربة الدينية هي تجربة

الاستجابة للحقيقة النهائية، وأن الخبرة الدينية عبارة عن إدراك العالم وتأويل الظواهر(عبد الكريم سروش، 2009، ص3)، فلا مناص من القول بسُنّة الاختلاف لاسيما إذا تعلق الأمر بالحقيقة المقدّسة.

ومن المبنى الأول والثاني منطقيا يتشكل المبنى الثالث، الذي هو سر الصراع والحروب الدائمة بين البشرية لدلالة على التعدد ولدلالة على جوهر خفي أراد الاختلاف، ولا سبيل لمناقشة كيف يتجسد هذا التعدد" وهو أن كل تزاحم وصراع يقع في هذا العالم فالغرض منه إخفاء سر مهم وجوهرة ثمينة، فالعارف الحافظ للسر لا ينبغي أن ينخدع بهذه الظواهر، وعليه أن يترك الناس مشغولين بالنزاع والصراع، ليترك على مستوى استخراج الكنز واكتشاف الأسرار واستلام الجوهرة الثمينة(عبد الكريم سروش، 2009، ص17).

والمَبنى الرّابع يلخص في أبيات لجلال الدين الرومي:

إن الصاحب يعلم بوجود الكنز في الخرائب.

فلا تظن سواءً أنه وضع النعل معكوسًا بلا غرض.

إن الحقيقة غارقة في دوامة حقيقة أخرى.

وهذا هو السبب في التفرق سبعين فرقة بل مائة فرقة.

إنّ دليل على تغيُّر التعدد نفسه" إن المشكلة في نظر مولوي ليست في أن فئات من الناس لم تدرك الحقيقة، وبقيت في وادي الضلالة، بل في أن الحقائق المكشوفة لهم كثيرة جدًّا ولذلك بقوا محتارين بين هذه الحقائق، ويعيشون عالم الجذبة، وأجواء الكثرة والتعدد في اختيار الحقائق فبدل ما أن نصف الضلالة فوق الضلالة نجد الحقيقة المتراكمة.

لقد ذكرنا أربعة مباني مهمة وتبقى الأخريات مضمرة في الأربعة الأولى، كونها منبثقة منها وكذلك سنعالجها في صورة تطبيقات للتعددية، في مقولة الهداية، والحق، والعقل .ويلخص سروش كلامه بشأن التعددية في أن الله أول واضع لبذورها في العالم .يقول الله عز وجل: ﴿ **قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا** ﴾ **(الإسراء، الآية 84)**، والشاكلة كل ما يُشَكِّل الأخلاق المألوفة، وإلى هنا نكون قد وضحنا ـــ في تقديرنا ـــ المباني والمعاني البلورالية الدينية، لكي نلج إلى تطبيقات ذلك في تبيان حال المتدين فيها ـ الصراطات المستقيمة(عبد الكريم سروش، 2009، ص33).

في هذا المنحى نورد قصيدة أو حكاية، سماها سروش حكاية موسى والراعي، التي تمثل المتكلم" موسى عليه السلام" والرجل العامي "الراعي" وإليك القصيدة:

يقول الراعي:

أين أنت حتى أخدمك دائما.

أخيط رداءك وأمشط شعر رأسك.

أغسل ثوبك وأنظف شعرك من الحشرات.

أسقيك اللبن يا حبيبي.

وأقبل يديك وأمسح على قدميك.

وعندما تريد أن تنام أوسد فراشك.

يا من أفديه بجميع غنمي.

يا من في ذكراه نصف لساني(عبد الكريم سروش، 2009، ص35-36)، أما موسى ـ عليه السلام ـ فقد وجد في هذه الكلمات إشارات إلى الكفر والتشبه لله بالخلق:

"أيها الراعي :لقد أصبحت مدبرا * و قبل أن تصبح مسلما أصبحت كافرا

فما الكفر الذي ينطـــــق بـــــــــــــــــر *ضع في فمك قطنة وكف عن الـهـــــراء

فإن رائحة كفرك أفسدت العالم * وقد أحيا كفرك الشيطان الخلائق
إن الذي يحتاج إلى اللبن هو من كان في نشوء ونمو*ومن يحتاج الخدم ولباس هو من له أقدام
فتألم الراعي وذهب وانصرف من هناك فعاتب النبي موسى عليه السلام(عبد الكريم سروش، 2009، ص34).

أنت فرقت بيني وبين عبدي بهذا الكلام.
لقد أرسلتك لتصل بعبادي.
وليس الغرض أن تبعدهم عني، عليك أن تعمل على إزالة معالم الفراق.
فإن أبغض الأشياء عندي الطلاق، أنا لم أمرك بشيء فيه نفعي.
بل ما فيه نفع لعبادي.
نحن لا ننظر إلى شكل المقال بل ننظر إلى القلب والحال(عبد الكريم سروش، 2009، ص187).

هذه الحكاية تبرز ثقافتنا السطحية الحاكمة على القضايا التعبُّدية بتسرع، فالملاحظ أن هذه المحاورة تبين أن النبي موسى ـ عليه السلام ـ حكم ظاهريا على ألفاظ الراعي، في حين هو ذلك ما توصل إليه اجتهاده في الكلام مع الذات المقدسة الرفيعة الشأن، مقابل تلك الألفاظ التي استقبحها موسى ـ عليه السلام ـ بحكمة يدرك الألفاظ التي يخاطب بها الله تعظيما لقدرته على كل شيء لذلك" هل تتوقع أن يتحدث الناس جميعا مع الله بلسان واحد ويعيش الجميع تجارب عرفانية ودينية متشابهة؟ إن هذا الراعي يمتلك الإيمان المحض ومحض الإيمان وهو حقيقة التجربة الدينية، لكن الخلل يكمن في بيانه وتفسيره لهذه التجربة(عبد الكريم سروش، 2009، ص188)، وأورد سروش هذه الحكاية كدليل على أن الكثرة مقابل الوحدة، هي كثرة الطرق إلى الحقيقة الواحدة، وكل تلك الطرق محقة وهو ما أراد موسى ـ عليه السلام ـ أن يكفِّر فيها الراعي كون الطريق الذي يسلكه هو لا يسلكه موسى عليه السلام، رغم أن جميع الأديان حافلة بأدبيات الحقيقة الإلهية، التي هي وراء أي إدراك، وتلك الحقيقة الجامعة لكل الحقائق تسمى"الحق(عبد الكريم سروش، 2009، ص188-189).

فالله واحد والخلائق كثيرة، والسّرُّ في التنوّع والتعدد في إيماننا بالله نفسه، دليل كلامي على أن الله أراد أن يسلك إليه عبادُه طرق متعددة، كون التوحيد ذلك المسلك في طريق واحد هو نقصان من الذات الواحدة وتحييزها لجهة واحدة، في حين هو في كل مكان خلقه، حتى في الذوات الإنسانية المفكرة" إن التجارب الدينية متنوعة ومتعددة بعدد أفراد البشر، وكل إنسان يملك فهما خاصا عن الله تعالى، وبعبارة عرفانية إن الله تعالى يتجلى لكل إنسان بنحو من الأنحاء، وكل هذه التجليات محترمة، ومقدسة، والدين الإلهي يقرر صحة هذه التجليات بأجمعه(عبد الكريم سروش، 2009، ص187)، ويؤصل هذا النحو كل تجربة إيمانية كون الكافر يكفِّر ويغطي عن الطريق الذي جعله الله متجليا للإتباع.

فما أشار إليه سروش شهادة الواقع الإنساني، منذ ظهور الإنسان نفسه، فالله كمعنى وذات مقدسة واحد، وكتسمية، تتعدد أسماؤه إلى ما لانهاية، لأن اليونانيين في منظورهم الجمالي اسمه الجمال المطلق، وفي منظورهم الغائي أسموه الغاية لكل شيء، كونه المبدأ لكل شيء والمسلمين أسموه الخالق، والقوي، والعزيز، والرحيم استنادا إلى الصفات التي ترد منه عز وجل، وهكذا عند كل الخلائق، فكل ما في السموات والأرض من خلق الله، فمنطقيا كيفما يصنع إلا وهو في إتقان الصنع الإلهي، لا مخرج له عنه، وهاهنا كل الطرق التي يسلكها تكون مقاربة أو عين الصراط المستقيم، فالصراطات إذن إلى الله، بقدر الصراطات من الله إلى العباد، وبعبارة أخرى الطرق إلى الله الواحد بقدر الطرق منه إلى عباده.

المتدين بين العقلانية، الهداية، والحقانية.

من خلال المحاورات والمناظرات التي اهتم بها قراؤه، اهتم طبعا بتحليل مقولات التعددية من جهة، والاحتمالات المفترضة من طرف المناظرين له من جهة ثانية، وبدأ أول ما بدأ بمسالة العقلانية، حيث طلب من المتحاورين معه، أن يشاركوه معالجة الموضوع أولا من الخارج، أي الانسلاخ من التوجهات الشخصية، والاحتكام إلي مقولات المنطق والفلسفة" وفي هذا الحال سيكون سؤالنا بهذه الصورة: ما موقفنا من الكثرة الموجودة فعلا على مستوى الأديان والمذاهب؟ فهل يصح الاعتقاد بأن كل واحد منها يمثل طريقا للنجاة و الهداية ؟ وفي مقام العمل هل يجب علينا أن نتعامل مع أتباع هذه الأديان من موقع التسامح أم لا ؟(وجيه قانصو، 2007، ص148).

هذه المعالجة يدرجها سروش من خارج الدين، كونها تطرح كل الأديان بما فيها الإسلام تحت محك النظر، مع الإقرار بالتنوع والاختلاف الحقيقي على مستوى الأديان يقول: "هنا أرغب في إضافة ملاحظة وهي أن موضوع التعددية، من حيث أن مباني البلورالية والتعددية جميعها مقتبسة من خارج الدين، بمعنى أن بحث العقلانية والنجاة وجوهر الدين والهداية و"تفسير التجربة الدينية" وتغير النص "وأمثال ذلك جميعها مقتبسة، من خارج دائرة الدين، وعند ما يقوم أساس التعددية على هذه المباني، فإن الجزم قهرا ومنطقا، يكون بحثا من خارج الدين(عبد الكريم سروش، 2009، ص189).

وهنا يحلل سروش موضوع المعالجة وقد رفعه إلي أفق المفهوم، لأن ذلك يحميه من الأدلجة التي تترجم المعرفة بالعقيدة أو العلم بالعقيدة(عبد الكريم سروش، 2009، ص79)، من جهة، ويعممه من جهة ثانية، وأما إذا حصّله ــ وضعه ــ في الماصدق فإنّه يقيده بالأدلجة من جهة، ويخصصه من جهة ثانية، فمنطقيا كما أشار سروش في القبض والبسط، الدين يعتمد في فهمه على المعارف البشرية الأخرى، وهى من خارجه، ومن ثمة يُحتكم إلى معالجة موضوع التعددية من خارج الدين كذلك(عبد الكريم سروش، 2009، ص81)، والعقل في منظور سروش من أهم القوالب التي تعالج الدين من الخارج، وهنا يذكرنا بالمعتزلة التي قدمت الفهم العقلي عن النص الوحيوي، كون الدين ذاته خطاب للعقل البشري و"أن تاريخ العقل والعقلانية في المجتمعات البشرية ونظرة الإنسان للعقل، والأخطاء التي تورط فيها العقل البشري وأشكال الصراع الفكري والسجال الذي لا ينحل والكشوفات بالنسبة إلي العلة والدليل، فتحت الباب على معرفة حدود العقل، ومقدار قابليته على فهم الحقائق، وهذا التواضع العقلاني يؤثر قطعا على فهم الإنسان للدين(عبد الكريم سروش، 2014، ص139)، ومن هذا يندرج الدليل على أن الإنسان في تجاربه العقلانية كلها سلسلة ظنون، بمعنى كل ما توصل إليه العقل الإنساني قابل للتغير ومن ثمة لا دليل جازم عندنا حول الحقيقة من وجهة العقل، وينتج بالذات حقانية أهل العقول كلهم، حتى لو تعلق الأمر بالدين" على هذا الأساس لا يمكننا منح الحقانية لنظرية أو عقيدة معينة بسهولة، ولا يمكن إثبات بطلانها بسهولة كذلك(عبد الكريم سروش، 2002، ص21).

وفوق هذه المقولات يقول سروش أن الإنسان المعاصر بالأخص تدينه معلل ومعيشي، وفي التدين المعيشي يرتدي الله ثوب الشارع والمقنن الصارم في طبيعة أحكامه الشرعية التي لابد من طاعتها، وعليه يبتعد فهم الدين ههنا إلى حدود الرؤية الأسطورية المُفارقة(عبد الكريم سروش، 2009، ص84.83) أكثر مما هو مُدلَّل، بمعنى أننا إذا استجوبنا المتدين حول اختياره لهذا الدين يعلل ذلك بالوراثة والحقانية، ولو طلبت منه الاستدلال على ذلك يعترض، ولا يتسنى له صناعة الأدلة" ولذلك نرى أن الأدلة لها دور في عالم المعرفة، وكذلك العلل أيضا، وأحيانا تكون الأدلة قوية إلى درجة أنها تدحض وتعزل جميع أدلة الطرف المقابل، ليبق رأي واحد في الذهن(عبد الكريم سروش، 2009، ص84).

وهذا النمط العقلاني يتوجب حضوره عند عالم الكلام المعاصر، الذي يجادل الطرف الآخر بالتي هي أحسن، وهذا الأنموذج لم يُصنع بعد، ولعل عالم الكلام الأصيل يُرجع مقالاته أساسا إلى الحوار التعليلي وليس الحوار التدليلي، ولقد بين ذلك عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني في كتابه "ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة "بقوله" قبول النتائج التي توصل إليها الأدلة القاطعة، أو الأدلة المرجحة إذا كان الموضوع مما يكفي منه الدليل المرجح، وإلا كانت المناظرة من العبث الذي لا يليق بالعقلاء أن يمارسوه(عبد الكريم سروش، 2009، ص53-54).

وهذا إنما تبيان لزيغ دور المناظرة في غالب أهدافها وأ قصد من هذا، أن المتناظرين يكون في حسبانهم وجوب الانتصار على الخصم سواء تعلق الأمر بالمناظِر أو المناظَر، وحينها يفقد كلاهما غاية المناظرة، وهي الانتصار إلى الحق الذي قد يكون عند أحد هما أو يجانبهما معا.

ولهذا ركز سروش على الدليل وليس العلة، لأن العلة فردية، ولكل علة انتمائه على حدة، أما الدليل فمشترك بين المتناظرين ومن ثمة لا يستطيع البتة أحدهما الانتصار للدليل لوحده.كون الدليل ينظر للحق في أصله وبالتالي ينتصر للدليل على حساب التعليل، الذي يرفع المتدين من درجة التدين التقليدي إلى التدين المعرفي و" الواقع أنه يجب علينا في هذا المجال التفكيك بين التدين الذي ينطلق من موقع التقليد وبين التدين الذي ينطلق من موقع التحقيق، فالتعددية من شأن التدين من النمط الثاني لا من الأول(عبد الكريم سروش، 2009، ص90.89)، الذي يفضى به إلى التحليل الكلامي المستدل" وان كنتم تقصدون الإيمان المدلَّل، فإن البحوث الكلامية هي مصدر هذا الإيمان فغلق باب علم الكلام من أجل بعض النواقص والآفات ليس له مسوغ عقلاني، وأن هؤلاء كسحق الورد ونتف أوراقها بسبب وجود الشوك في عودها(عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، 2009، ص369).

هنا نتوصل مع سروش إلى أن المتدين أيا كان دُينه، له نصيب من الحق قياسا على نصيبه من العقل، فما موقع هذين النَّصيبين من الهداية الإلهية؟ المُتدين كما أشار سروش منحصرٌ بين العقلانية والحقانية، ولكن ما هو الحق في الدين ؟ إن الحق ـــ على أية حال ـــ هو ما طابق الواقع في كلا المعنيين إلا أن الحق في الأديان يلازم الهداية أيضا، فِعلا الواقع ما نقول إن هذا الدين حق لزيد" يعني "الدين الهادي لزيد" لا أن هذا الدين باطل وأتباعه ضالون أو معذورون(عبد الكريم سروش، 2009، ص91)، وهنا يوضح سروش أن أمر الهداية يشمل المتدين في عقلانيته وحقانيته كونها ـــ الهداية ـــ هي المسيِّرة لذلك من الخفاء، إلاَّ أن تكون نية الإنسان المتديِّن طمس الحق والعقل، رغم نورهما يقول الله عز وجل: ﴿ **وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا** ﴾ **(الإسراء، الآية 72).**

خاتمة:

من التحليل السابق، والذي حاولنا فيه عرض رؤية سروش في تجديد منطق الفهم الديني وطريقة تفعيل التدين، نستنبط أنه ركز على تجديد منحيين، الأول نظري والآخر تطبيقي عملي، أما الأول فهو إعادة الاعتبار للمعرفة الدينية، ورفع القداسة عنها وتحيين الفرص لإدخال مناهج جديدة عليها، وأما المنحى الثاني فهو طرح سؤال التعددية الدينية، و أحقية المتدينين كلهم في توجهاتهم، وهذا من سنة الاختلاف التي أرادها الله ـ سبحانه ـ" والخلاصة أن الهداية كانت عبارة عن التحرك على الصراط للوصول إلى الحق، وهذا الصراط يمكنه أن يوصل الإنسان إلى المقصود سواء في هذا العالم أو في ذاك العالم، وبالتالي يحصل هذا الإنسان على السعادة والنجاة في نهاية الأمر.

إن الهداية إذن، من حق كل المخلوقين كونهم مهتدون بالفطرة أو بالقوة، إلاّ أن المعترض لذلك يكون من وحي الشيطان أو النفس، ولهذا فالهداية أشبه ما تكون بالرزق أو الرّازقية، إذ كل الناس يرتزقون من الرزق المنزَّل، كذلك فكل الناس مهتدون، والعقل كجوهر في الإنسان، من مقولات

الهداية التي لا ينكرها إلا جاحد النعمة أو الكافر، لأن ذلك صراط إلى صراط آخر يصله غالبا العرفاء) المتصوفة(، وهو يفوق العقل، ويكشف عنه بالنبوة ويُتخَذ بالإيمان .وبهذا يكون عبد الكريم سروش متكلما جديدا ـ حسب اجتهادنا ـ لأنه طرق مسائل تعلقت في غالبها بالعقيدة التي تمثل جوهر الدين.

قائمة المراجع:

1. القرآن الكريم. رواية حفص عن عاصم.

أولا: مصادر عبد الكريم سروش:

2. عبد الكريم سروش(2002)، القبض والبسط في الشريعة، تر، دلال عباس، ط1، دار الجديد، بيروت. لبنان.
3. عبد الكريم سروش(2009)، الصراطات المستقيمة، تر، أحمد القبانجي، ط1، منشورات الجمل، بيروت، لبنان.
4. عبد الكريم سروش(2014)، أرْحب من الايديولوجيا، تر، أحمد القبانجي، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان.
5. عبد الكريم سروش(2009)، العقل والحرية، تر، أحمد القبانجي، ط1، منشورات الجمل، بيروت، لبنان.

ثانيا: قائمة المراجع:

6. ابن منظور(1981)، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر.
7. أحمد واعظي(2003)، نقد نظرية القبض والبسط، تعـ، محمد زراقط، ط1، دار الهادي، بيروت، لبنان.
8. كمال الحيدري(2009)، الثابت والمتغير في المعرفة الدينية، ط1، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت. لبنان.
9. مالك مصطفى وهبي العاملي(2008)، دور العقل في تشكيل المعرفة الدينية، ط2، دار الهادي، بيروت، لبنان.
10. محمد عبد الله الشوكاني(2003)، زيدة المعاني من تفسير الشوكاني، ط1، دار الفجر الاسلامي ، بيروت، لبنان.
11. محمد شقير(2008)، دراسات في الفكر الديني ـ فلسفة الدين والكلام الجديد، ط1، دار الهادي، بيروت، لبنان.
12. محمد حسين زاده(2013)، مدخل في نظرية المعرفة وأسس المعرفة الدينية، تر، سيد حيدر الحسيني، ط1، دار الهدى للدراسات الحوزوية، السعودية.
13. مصباح اليزدي، عبد الكريم سروش وآخرون(دس)، بين الطريق المستقيم والطرق المستقيمة، تر، حيدر حب الله، دار الهادي، بيروت، لبنان.
14. صادق لاريجاني(2008)، المعرفة الدينية، في نقد نظرية د.سروش، تر، محمد شقير، ط1، دار الهادي، بيروت، لبنان.
15. عبد الله نصري(دس)، الدين بين الحدود والتوقع، ترجمة، أحمد العبيدي، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، بيروت، لبنان.
16. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني(2009)، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ط10، دار القلم، دمشق، سوريا.
17. عبد الكريم سروش(2001)، التعددية الدينية، مجلة المنطلق الجديد، العدد3، دار الجديد، بيروت .
18. وجيه قانصو(2007)، التعددية الدينية عند جون هيك، المرتكزات المعرفية واللاهوتية، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان.

وسائل الإعلام الاجتماعي كآلية لدعم التسويق السياحي
Social media as a mechanism for marketing tourism

د.كلثوم حمدي، المركز الجامعي تمنراست – الجزائر
أ. زينب حمدي، المركز الجامعي تمنراست - الجزائر

ملخص: الإعلام الجديد أو وسائل الإعلام الاجتماعية أصبح لها دورا بارزا وهاما في العديد من جوانب السياحة إضافة إلى ذلك الدور الهام من خلال تعزيز السياحة من خلال مساعدة مقدمي الخدمات السياحية في التركيز على أفضل الممارسات من خلال تلك التغريدات عبر التويتر أو من خلال التعليقات عبر الفيسبوك أو منصات التواصل الاجتماعي الأخرى التي يحصلون عليها من السياح والجمهور عبر وسائل الإعلام الاجتماعية وسنحاول من خلال هذه الورقة البحثية توضيح بعض الإحصائيات المتعلقة بوسائل الإعلام الاجتماعي وكذلك كيف يمكن لهده الأخيرة أن تساهم في تسويق ناجح للسياحة.

الكلمات المفتاحية: وسائل الإعلام الاجتماعي، تسويق، تسويق السياحي.

Abstract: New media or social media have played an important and important role in many aspects of tourism as well as the important role of promoting tourism by helping tourism providers focus on best practices through Twitter, Facebook, The other social networking aids they receive from tourists and the public through the social media, and we will try through this paper to clarify some statistics on the social media as well as how the latter can contribute to the successful marketing of tourism.

Keywords: Social Media, Marketing, Tourism Marketing.

مقدمة:

أدركت دول العالم ما تقدمه السياحة من تنمية شاملة على مستوى جميع الأصعدة، فأصبح موضوع هذا القطاع وتحقيق استدامته الشغل الشاغل للبلدان المهتمة بهذه الصناعة بل ولكافة دول العالم(موقع انترنيت رقم01)، فلا نستطيع أن ننكر أن السياحة هي الآن قطاع رئيسي في الاقتصاد العالمي مع ظهور وجهات جديدة تستمر في النمو في بيئة تسمى "مفرطة التنافسية"(Anne-sophie etienne, 2013, p08)، في الواقع الذي تلعب فيه وسائل الإعلام الاجتماعية دورًا كبيرًا في السياحة لا سيما في صنع القرار وإنشاء الحملات التسويقية والتواصل مع العملاء حيث كان الانترنيت واحدًا من أقوى عناصر المنافسة في قطاع السياحة إذ بدأت وسائل الإعلام الاجتماعية المستخدمة كنهج تسويقي جديد ضمن تقنيات الإنترنت المتنامية من قبل قطاع السياحة، كما تعتمد السياحة على توسيع نطاق الرسالة اللفظية، فالآراء والتوصيات والتعليقات على المنصات الاجتماعية مثل فيسبوك ولينكد إن وتويتر تتيح للعملاء مشاركة الاقتراحات والنصائح.

لقد أحدثت التكنولوجيا المتطورة بسرعة كبيرة والاتجاهات والتطورات الحديثة القادمة تحولا تاما في وجه صناعة السياحة التي تعد أحد العوامل الهامة في تغيير وجه صناعة السياحة، ففي السنوات الأخيرة كان هناك نمو مذهل في قطاع الأعمال من خلال وسائل الإعلام الرقمية بالإضافة إلى التوسع الشامل للسياحة العالمية، وبالتالي يلعب الإعلام الاجتماعي دورًا أساسيًا في صناعة السياحة.

كما برزت أهمية هذه الشبكات في صناعة السياحة بما يسمى السياحة الالكترونية التي باتت ضرورة في أيامنا هذه فهو من جهة يتميز بسرعته ومن جهة أخرى أصبح الحل لخفض نفقات التسويق والدعاية التقليدية مثل طباعة البروشورات والحملات الترويجية التي تصل تكاليفها إلى ملايين، كما أن التسويق الالكتروني هو الطريقة الأنجع والتي تتوافق مع متغيرات العصر خاصة وأن رواد شبكات التواصل الاجتماعي أصبحت في كل مكان ويزيد روادها عن الملايين فعلى سبيل المثال وصل عدد مستخدمي الفيس بوك إلى ما يزيد عن 800 مليون ناشط والذين يعتمدون في بحثهم على أفضل البرامج وأرخص الأسعار سواء عند اختيارهم الفنادق أو خطوط الطيران(موقع انترنيت رقم3)، إن منصات وسائل التواصل الاجتماعي تسمح للأفراد بالتفاعل مع بعضهم البعض، وبناء علاقات اجتماعية على الإنترنت وتتصف هذه بخاصية تجعلها من أكثر وسائل التسويق فاعلية، وهي خاصية المشاركة أو إعادة تغريد للمنشورات التي يطرحها المسوق إذا كان العميل مهتما بالمنشور، هذا الأمر يسمح بانتشار الرسالة التي يريد المسوق إيصالها بشكل كبير، وعلى مستوى واسع في وقت قصير ودون أدنى عناء إذا ما تم استخدام هذه الوسائل بالشكل الصحيح(حلا بلال بهجت، 2016، ص520).

تتميز الدولة الجزائرية بمقومات سياحية هائلة، وبرغم من توفير هده المقومات السياحية إلا أن غياب الترويج لهدا المجال يجعله ينكمش ولا يحقق المطلوب من خلال التعريف بمنتجات السياحية وعليه لابد من الاهتمام بوسائل التواصل الاجتماعي والتي تعتبر المنصة الأكثر استغلال من طرف أفراد المجتمع حيث يمكن الاعتماد عليها في المجال السياحي منتجاتا السياحية لتحفيز السياح على زيارتها لما فيها من وسائل جذب سياحية، و الزيادة من الحركة السياحية على المستوى المحلي و بشكل خاص على المستوى الدولي.

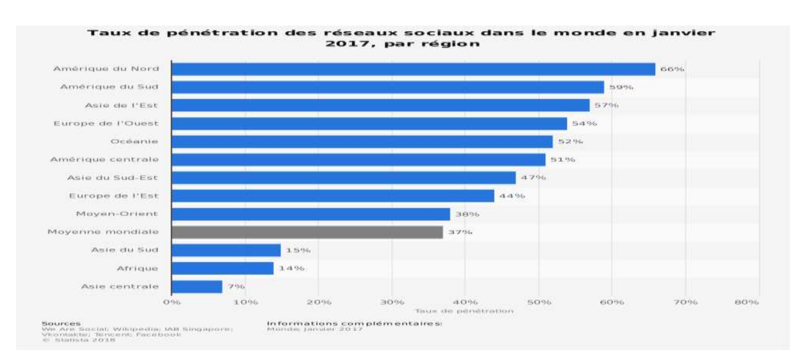
1. تعريف وسائل الإعلام الاجتماعي:

تعرف وسائل الإعلام الاجتماعي على أنها منظومة من الشبكات الإلكترونيّة التي تسمح للمشترك فيها بإنشاء موقع خاص به، ومن ثم ربطه من خلال نظام اجتماعي إلكتروني مع

أعضاء آخرين لديهم الاهتمامات والهوايات نفسها أو جمعه مع أصدقاء الجامعة أو الثانوية (راضي زاهر، 2003، ص23)، كما تعرف بأنها عملية التواصل مع عدد من الناس"أقارب، زملاء أصدقاء..."، عن طريق مواقع وخدمات الكترونية، توفر سرعة توصيل المعلومات عن طريق واسع، فهي مواقع لا تعطيك معلومات فقط بل تتزامن وتتفاعل معك أثناء إمدادك بتلك المعلومات، وبذلك تكون أسلوب لتبادل المعلومات بشكل فوري عن طريق شبكة الانترنيت(المقدادي خالد عساف يوسف، 2013، ص24).

أما الشهيري فيعرفها بأنها منظومة من الشـبكات الالكترونية التي تسمح للمشترك فيها بإنشاء موقع خاص به ومن ثم ربطه من خلال نظام اجتماعي الكتروني مع أعضاء آخرين لديهم نفس الاهتمامات والميول، أو جمعة مع أصدقائه(الشهري علي فايز، 2008، ص12).

شكل رقم (01) معدل تغلغل الشبكات الاجتماعية العالمية في جانفي 2017 حسب المنطقة.



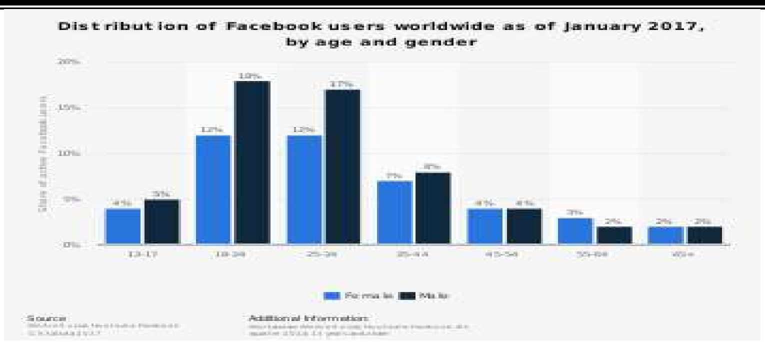
Source : https://fr.statista.com/statistiques/570671/media-sociaux-taux-de-penetration-globale-en--par-region/

تظهر هذه الإحصائية معدل اختراق وسائل الإعلام الاجتماعية في جانفي 2017، حسب المنطقة من العالم خلال هذه الفترة كانت أمريكا الشمالية في المرتبة الأولى مع معدل اختراق وسائل الإعلام الاجتماعية من 66٪، تليها أمريكا الجنوبية مع 59٪ حيث بلغ متوسط معدل الانتشار الكلي 37٪، في حين نجد أن فيسبوك هو الشبكة الاجتماعية الأكثر شعبية في العالم مع أكثر من ملياري مستخدم نشط شهريا

1.1 أنواع وسائل الإعلام الاجتماعي:

الفيسبوك: هو موقع الكتروني للتواصل الاجتماعي، أي انه يتيح عبره للأشخاص العاديين والاعتباريين كالشركات، أن يبرز نفسه وان يعزز مكانته عبر أدوات الموقع للتواصل مع أشخاص آخرين ضمن نطاق دلك الموقع أو عبر التواصل مع مواقع تواصل أخرى، وإنشاء روابط تواصل مع الآخرين(نصر مهاب نصر، 2010، ص10).

شكل رقم (02) يوضح توزيع مستخدمي فيسبوك في جميع أنحاء العالم اعتبارًا من أفريل 2018 حسب العمر والجنس

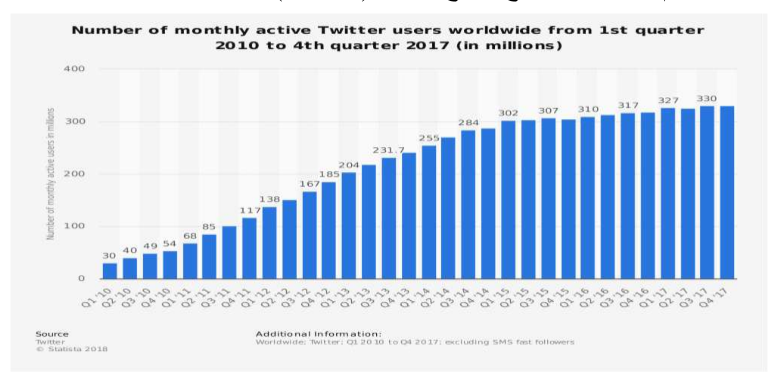


Source : https://www.statista.com/statistics/376128/facebook-global-user-age-distribution/

توضح هذه الإحصائية توزيع مستخدمي فيسبوك النشطين في جميع أنحاء العالم اعتبارًا من أفريل 2018 مصنفة حسب الفئة العمرية والجنس خلال فترة الدراسة وجد أن 12٪ من مستخدمي فيسبوك الفاعلون على مستوى العالم كانوا من النساء اللواتي تتراوح أعمارهن بين 18 و 24 عامًا.

تويتر: هو شبكة اجتماعية يستخدمها ماليين الناس في جميع أنحاء العالم للبقاء على اتصال مع أصدقائهم وأقاربهم وزملاء العمل، من خلال أجهزة الحاسب الآلي الخاصة بهم والهواتف النقالة، وتسمح واجهة تويتر بنشر رسائل قصيرة تصل إلى 140 حرفا، ويمكن القراءة من قبل مستخدمي الموقع، ويمكن للمستخدم أن يعلن متابعته، ألحد الشخصيات، وفي هده الحالة يبلغ هدا الشخص في حال ما اذا هده الشخصيات قد مشاركة جديدة(أسامة غازي المدني، 2015، ص400).

شكل رقم (03) يوضح عدد مستخدمي تويتر النشطين شهريًا في جميع أنحاء العالم من الربع الأول من عام 2010 إلى الربع الرابع 2017 (بالملايين)



Source :https://www.statista.com/statistics/282087/number-of-monthly-active-twitter-users/

توضح هذه الإحصائية خطًا زمنيًا مع عدد مستخدمي تويتر النشطين شهريًا في جميع أنحاء العالم اعتبارًا من الربع الرابع من عام 2017، بلغ متوسط خدمة التدوين المصغّر 330 مليون مستخدم نشط شهريًا في بداية عام 2017، وصل تويتر إلى 327 وحدة.

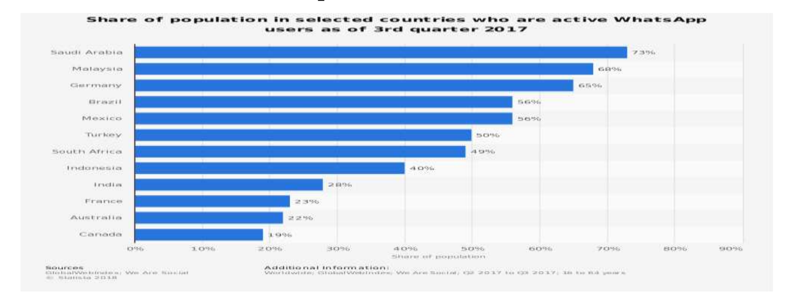
الواتساب: هو برنامج تواصل اجتماعي وشأت ودردشة، قائم على الاتصال بالشبكة العنكبوتية "الانترنيت" عن طريق الهاتف المحمول، ويعتمد على رقم الهاتف الشخصي، أي أن كل رقم

هاتف له مستخدم واحد فقط في الواتس أب ولذلك فإن كل من هم على قائمة أسماء هاتفك ولديهم البرنامج سيكون بإمكانك مراسلتهم بمثل الرسائل العادية عبر الواتس أب(موقع انترنيت رقم4).

شكل رقم (04) حصة السكان في بلدان محددة من مستخدمي وتساب النشطين اعتبارًا من الربع الثالث 2017.

Source -internet-user- https://www.statista.com/statistics/291540/mobile

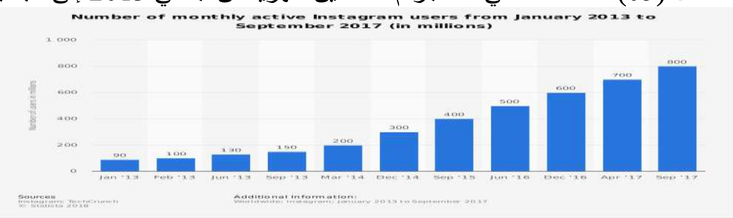




تعطي هذه الإحصائية معلومات عن شعبية تطبيق المراسلة المحمول وتساب في الأسواق الرائدة عبر الإنترنت في جميع أنحاء العالم اعتبارًا من الربع الثالث من عام 2017. وفقًا لبيانات الاستطلاع حيث كان 65٪ من السكان في ألمانيا يستخدمون الوتساب، في إندونيسيا استخدم 40٪ من السكان الوتساب. وكانت المملكة العربية السعودية أكبر حصة من سكانها ليكونوا أكثر المستخدمين نشاطًا في واتساب، حيث بلغت حصة السكان 73٪.

انستجرام: هو تطبيق مجاني لتبادل الصور، يتيح لمستخدمه التقاط صورة، وإضافة فلتر رقمي إليها، ومن ثم عرضها ونشره دعاء عمر محمد، 2015، ص36).

شكل (05)عدد مستخدمي انستجرام النشطين شهرياً من جانفي 2013 إلى سبتمبر 2017 (بالملايين).

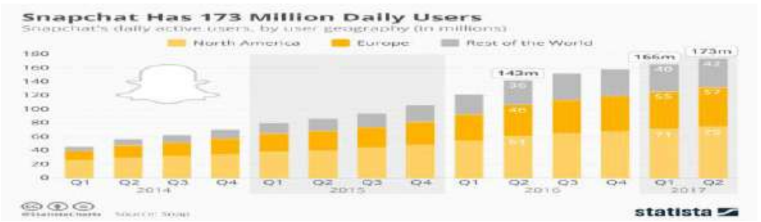


Source :https://www.statista.com/statistics/253577/number-of-monthly-active-instagram-users/

توفر هذه الإحصائية معلومات عن عدد مستخدمي انستجرام النشطين شهريًا اعتبارًا من سبتمبر 2017 وبحلول ذلك الشهر، بلغت شبكة مشاركة الصور المتنقلة بشكل رئيسي 800 مليون مستخدم نشط شهريًا، بزيادة من 600 مليون مستخدم في ديسمبر2016 يعتبر انستجرام واحد من الشبكات الاجتماعية الأكثر شعبية في جميع أنحاء العالم.

سناب شات: السناب شات هو تطبيق خاص بالرسائل المصورة ويتيح هذا التطبيق لمستخدميه التقاط الصور المنوّعة، وتسجيلات الفيديو، بالإضافة إلى قدرة المستخدم على إضافة نصوص ورسومات، وإرسالها إلى القائمة الخاصّة بالتحكم في المتلقين.


شكل رقم شكل (06) يوضح المستخدمين النشطين عبر سناب شات يوميا في جميع أنحاء العالم 2014-2017.



Source:http://www.businessofapps.com/data/snapchat-statistics/

عندما ننظر إلى نمو سناب شات جغرافيًا في الفترة 2014-2017 فإننا نشهد أسرع توسع لقاعدة المستخدمين في أمريكا الشمالية، معظمهم في الولايات المتحدة حيث يقفز 26 مليون شخص على عربة وسائط اجتماعية جديدة في بداية عام 2014 و 68 في النهاية من عام 2016، شهدت أوروبا معدل نمو أبطأ حيث بدأ 14 مليونًا فقط في أوائل عام 2014، وبلغت 52 مليونًا في نهاية عام2015 . تغلق بقية دول العالم السباق مع انضمام 6 ملايين شخص إلى موقع التواصل الاجتماعي في جميع أنحاء العالم في بداية عام 2014 و 39 مليون شخص في الربع الرابع من عام 2017.

2. تعريف التسويق السياحي:

1.2 تعريف التسويق: الوظيفة التي تقوم بربط المستهلك و الزبون والجمهور بالتسويقيين من خلال المعلومات التي يتم استخدامها لتحديد و تعريف الفرص و المشاكل التسويقية وتوليد وتنقيح وتقييم العمال التسويقية لقياس الإنجازات وتحسين وفهم الإجراءات التسويقية(شفيق حداد، 1998، ص228).

تعريف السياحة: السياحة هي جميع أشكال السفر والإقامة للسكان غير المحليين، و هي عبارة عن انتقال الأفراد خارج الحدود السياسية للدولة التي يعيشون فيها مدة تزيد على أربع وعشرين ساعة وتقل عن عام واحد، على أن لا يكون الهدف من وراء ذلك الإقامة الدائمة أو العمل أو الدراسة أو مجرد عبور الدولة الأخرى(عثمان محمود غنيم، 2003، ص22-23).

أما تعريف السياحة من الناحية الاقتصادية: فهي مهمة السياحة لا تتضح فقط من وجهة نظر السائحين و لكن من الوجهة المالية إي من جهة الأموال الوفيرة التي ينفقها السائح وينتفع بها أولئك الذين ينتقل إليهم السائح و يتجول في بلداتهم و تكون الفائدة مباشرة لصناعة الفنادق و غير مباشرة عن طريق المصاريف التي ينفقها السائح لإشباع رغباته سواء من اجل التعليم أو المتعة (خالد قاشي وآخرون، 2013، ص141)

الشكل رقم (07) يوضح أنواع وسائل الإعلام الاجتماعية المستخدمة للسفر و أغراض سياحية
(Sourcem,Rashmi Gururaja,p26)

How social media works for travel players

Travel Players

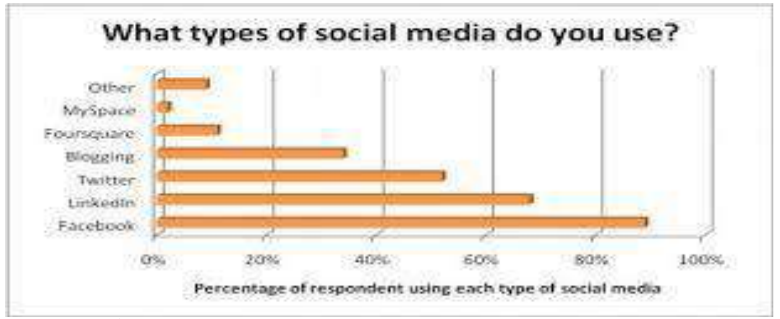
Distribute information | Upload photos/videos | Promote brands/products | Sell travel services | Receive feedback

Social Media

Upload photos/videos | Share experiences | Write reviews | Ask questions | Book travel services

Travellers

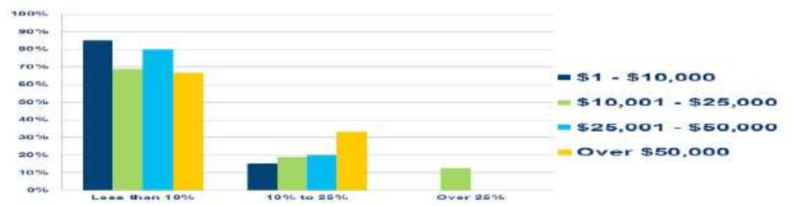
شكل رقم (08) يوضح أنواع وسائل الإعلام الاجتماعية المستخدمة في السياحة.
(Sourcem,Rashmi Gururaja,p25)



التسويق السياحي: يقصد به النشاط الإداري والفني الذي تقوم به المنظمات والمنشآت السياحية داخل الدولة وخارجها للتعرف على الأسواق السياحية الحالية والمرتقبة والتأثير فيها بهدف تنمية الحركة السياحية الدولية القادمة منها(فؤادة عبد المنعم البكري، 2007، ص15).

شكل رقم(09) يوضح ميزانية المخصصة لتسويق

Percentage of Total Budget Dedicated To Social Media



Source :http://fredericgonzalo.com/en/2014/07/31/social-media-challenges-in-destination-marketing//

يتضح لنا من خلال الشكل الموضح أعلاه أن لميزانيات التسويق الرقمي ما يقرب من 76٪ من الوجهات تخصص أقل من 10٪ من إجمالي ميزانياتها التسويقية لوسائل الإعلام الاجتماعية بغض النظر عن حجم ميزانية التسويق الرقمي.

تعريف التسويق عبر المواقع أو الشبكات الاجتماعية: عرف التسويق بأنه استخدام شبكات التواصل الاجتماعي والمدونات والويكي وأي أدوات مشاركة أخرى على الإنترنت بهدف التسويق أو البيع أو العلاقات العامة أو خدمة الزبائن، هذه الأدوات تتيح للزبائن إمكانية التفاعل مع الشركات التجارية بدلاً من أن يكونوا مجرد هدف لوسائل أحادية الاتجاه من تلك الشركات، كما أنها تتيح للمنظمات إمكانية فتح قنوات اتصال مع هؤلاء الزبائن والتواصل معهم بشكل تحاوري(سعود صالح، 2011، ص23).

2.2 أهمية التسويق السياحي عبر وسائل الإعلام الاجتماعي: تظهر أهمية التسويق السياحي عبر وسائل الإعلام الاجتماعي في:

- وسيلة اتصال جديرة بالثقة لربط الأفراد بعضهم ببعض بواسطة الانترنيت.
- سهولة وبساطة نقل المعلومات إلى كل مكان وسرعة تلقيها وإعطاء الفرصة لإجراء مقارنات لأسعار الخدمات السياحية(اونيس فاطمة الزهراء، 2016، ص73).
- تأثير بشكل كبير على الآليات والمناهج المتبعة في إدارة الأعمال التسويقية للمقصد من جهة، وعلى السائح وقراراته من جهة أخرى.
- إمداد المسافر بطرق جديدة للبحث عن واكتشاف المعلومات وتقييمها عن المقصد السياحي والرحلة.
- الانتقال بعميل من مجرد مستهلك سلبي إلى منتج ومستهلك أجابي.
- تزويد المسافر بقنوات الآمنة للحجز وشراء منتجات الرحلة.
- تبادل ونشر المعلومات المتعلقة بالرحلات والبرامج السياحية السابقة(محمد محمد فراج عبد السميع، 2012، ص14).

3.2. أسس عامة لنجاح التسويق عبر مواقع التواصل الاجتماعي:

تأهيل وتدريب فريق التسويق: هناك عدد من التدابير والإجراءات التي يجب إتباعها لتحقيق نجاح فريق التسويق في التواصل عبر وسائل الإعلام الاجتماعي، والتي من أهمها، تأهيل فريق العمل وتمكينه وتملكه للبيانات والمعلومات عن الموضوعات التي سيتم التواصل بشأنها ومناقشتها مع الجمهور عبر وسائل الإعلام الاجتماعي، امتلاك الفريق لمهارات اللغة أو التواصل مع الآخرين، زيادة وعي الفريق بوسائل الإعلام الاجتماعي وتأهيله على استخدام أدوات التواصل الموجودة بها، تدريب وإقناع الموظف بضرورة البقاء على اتصال مع الجمهور عبر وسائل الإعلام الاجتماعي خارج أوقات العمل الرسمية، والتعامل مع المواقف التي قد تتطلب الرد أو أي إجراء آخر على مدار اليوم ينبغي(محمد فراج عبد السميع، 2012، ص17).

تنويع الأدوات التسويقية عبر مواقع التواصل الاجتماعي: حيث يساعد تقديم المعلومات عبر الأدوات الالكترونية على تقديمها بشكل أفضل وبسرعة أكبر(بسيوني عبد الحميد، 2008، ص27).

القناعة التامة للإدارة العليا: لا يكفى فقط اتخاذ القرار ببدء حملة التسويق عبر مواقع التواصل الاجتماعي بل يجب أيضاً أن تكون إدارة المؤسسة مقتنعة تماماً بأهمية التسويق عبر مواقع التواصل الاجتماعي، لأن مدى قناعة المسئولين سوف تنعكس على حجم المخصصات المالية للإنفاق ووضع الموضع برمته ضمن أولويات الإدارة (محمد محمد فراج،2012، ص17).

القناعة التامة للإدارة العليا: لا يكفى فقط اتخاذ القرار ببدء حملة التسويق عبر مواقع التواصل الاجتماعي بل يجب أيضاً أن تكون إدارة المؤسسة مقتنعة تماماً بأهمية التسويق عبر مواقع التواصل الاجتماعي لأن مدى قناعة المسئولين سوف تنعكس على حجم المخصصات المالية للإنفاق.

.((Leonard, M, 2009)

4.2 تأثير وسائل الإعلام الاجتماعي على تسويق السياحي: لقد غيرت وسائل الإعلام الاجتماعية بشكل جذري الطريقة التي تتواصل بها العديد من الشركات مع الخصائص الديمغرافية المستهدفة وتسوقها بالنسبة لقطاع السفر والضيافة، على وجه الخصوص، حيث أدى ارتفاع الإنترنت وزيادة شعبية القنوات الاجتماعية إلى تغيير التسويق عبر السفر من الطريقة التي يبحث بها المسافرون عن وجهات محتملة للأنشطة التي يشاركون فيها بمجرد وصولهم، أثرت الطرق الجديدة التي يستخدمها المستهلكون وسائل الإعلام الاجتماعي لاتخاذ قرارات الشراء على التسويق السياحي من البداية إلى النهاية وفيما يلي هناك خمس طرق لتأثير وسائل الإعلام الاجتماعي على تسويق سياحي:

تحويل أبحاث السفر: إن التأثير الأكثر عمقاً الذي شهدته وسائل الإعلام الاجتماعية على صناعة السياحة حتى الآن هو إضفاء الطابع الديمقراطي على المراجعات عبر الإنترنت حيث يدخل المسافرون اليوم عبر الإنترنت للبحث عن وجهات السفر وأماكن الإقامة المستقبلية عند حجز السفر، يخطط 89٪ من الأجيال لأنشطة السفر استنادًا إلى المحتوى الذي نشره أقرانهم عبر الإنترنت(موقع انترنيت رقم04)

الارتفاع في المشاركة الاجتماعية : لطالما أحب الأشخاص مشاركة الصور ومقاطع الفيديو التي تم التقاطها في رحلاتهم حيث أن ما فعلته وسائل الإعلام الاجتماعية هو تسهيل وتوسيع قدرة الأشخاص على مشاركة تجارب السفر مع جمهور أوسع من أي وقت مضى، ومن جهة أخرى نجد أنه يشارك أكثر من 97٪ من جيل الألفية الصور ومقاطع الفيديو الخاصة برحلاتهم عبر الإنترنت، مما ينشئ شبكة مؤثرة من المحتوى من نظير إلى نظير يعمل على إلهام الضيوف المحتملين(موقع انترنيت رقم04)

- إمداد المسافر بطرق جديدة للبحث عن واكتشاف المعلومات وتقييمها عن المقصد السياحي والرحلة(محمد محمد فراج، 2012، ص14)
- الانتقال بالعميل من مجرد مستهلك سلبي إلى منتج ومستهلك ايجابي (نفس المرجع)
- تبادل ونشر المعلومات المتعلقة بالرحلات والبرامج السياحية السابقة. على الجانب الآخر فإن المقاصد والمؤسسات السياحية غيرت وأعادت صياغة وتعريف نماذج أعمالها لكي تتمكن من تلبية احتياجات وتوقعات هذا النمط الجديد من المسافرين، من خلال (البلوشي فتيحة، 2011):
- عرض المعلومات والخدمات والتسهيلات بطريقة جذابة ومتطورة.
- إعادة صياغة منظومة الأعمال التقليدية (الداخلية والخارجية).
- القناعة بأن المسافرون وما يتواصلون خلاله من شبكات التواصل الاجتماعي لهم قدرة عالية على تعظيم الصورة الذهنية للمقصد والمنتج السياحي.
- القناعة بأن المسافرين يمكن أن يروجوا للمقصد من خلال تفاعلهم مع الآخرين عبر شبكات التواصل الإجتماعي.
- كما أن التواصل مع المسافرين بعد الرحلة يمنح الفرصة لتحسين الرحلات المستقبلية من خلال التغذية المرتدة وتحسين عمليات إدارة شكاوى العملاء مما ينعكس على تنمية وتطوير المنتجات الجديدة.

5.2. مزايا التسويق عبر شبكات التواصل الاجتماعي: إن وجود شبكة الإنترنت قد ساعد على تقصير المسافة بين المؤسسة المسوقة والعملاء وقد جعلت الاتصال أكثر حيوية وفعالية بين الأطراف مع استخدام التقنيات الحديثة في برامج الوسائط المتعددة والصوت والصورة الحية. أن شبكة الإنترنت تساهم بإيصال المعلومات إلى رجل البيع الذي يكون مكلفاً في بلدٍ بعيدةٍ عن المركز؛ بحيث يتيسر له الحصول على المعلومة السريعة عبر شبكة الإنترنت من مركز الشركة

الأم التي يعمل لحسابها، من بين أهم مزايا التسويق عبر وسائل الإعلام الاجتماعي نجد(خري عبد الناصر، دس، ص07):

زبون يتكلم (يبدي رأيه): بما أن التسويق الحديث يعتبر الزبون القاعدة الأساسية في كافة عملياته وبرامجه الإنتاجية والتسويقية، ويركز على ضرورة إشراكه ضمن الإستراتيجيات والبرامج المخططة من طرف الشركات، وبذلك يكون الزبائن والشركات قد استفادا من شبكات التواصل الاجتماعي من خلال الحوار التواصل والحوار الدائم الذي تتيحه مختلف الشركات خلال هاته المواقع، فهي تسمح للزبون بالتكلم بحرية تامة وكذا إبداء رأيه وبدون قيود عن المنتجات والخدمات التي تقدمها الشركة.

الزبون يثق بالشركة: إن أهم ما تسعى إليه كل الشركات جاهدة هو خلق الثقة بين الشركة والزبون، أو بتعبير آخر كسب ولاء ورضا الزبون، وهو ما نجده ضمن إستراتيجية التسويق عبر شبكات التواصل الاجتماعي، وهو ما يكون من خلال " أثر المصدر" المعروف في التسويق بأنه عامل نفسي يؤثر في سلوك الزبون، أي أن الزبون هنا يمكن أن يتأثر بالرسالة ويتقبلها من المصدر "أ" ولا يتقبل نفس الرسالة من المصدر "ب"، فمثلا يمكن للزبون عند تصفحه لصفحة تابعة لشركة ما على الفيسبوك أو تويتر أو غيرها من شبكات التواصل الاجتماعي، أن تواجهه عديد التعليقات والردود عن منتج ما بأنه ذو جودة عالية أو أن المنتج رديء، وبذلك يصدق الزبون ما يقوله هؤلاء عن المنتج مما يتأثر على قراره الشرائي بالإيجاب أو السلب، في حين أنه لا يصدق ما تقوله الشركة حول منتجاتها، أي أنه يتقبل ما يقوله الزبائن عن المنتج ولا يتقبل ما تقوله الشركات عن منتجاته.

خاتمة:

وفي الأخير يمكننا أن نقول أن لوسائل الإعلام الاجتماعي تأثيرات عميقة على السياحة، إضافة إلى هدا نجد السياحة الالكترونية أصبحت ضرورة ملحة فمن جهة نجد أن لها دور كبير في سرعة نقل المعلومات ومن جهة أخرى أصبح الحل لخفض نفقات التسويق و الدعاية التقليدية مثل طباعة البروشورات والحملات الترويجية التي تصل تكاليفها إلى ملايين، كما أن التسويق الالكتروني هو الطريقة الأنجع و التي تتوافق مع متغيرات العصر.

قائمة المراجع:

1. أسامة غازي المدني(2015)، دور شبكات تواصل الاجتماعي في تشكيل الراي العام جامعة السلطان قابوس، مجلة الأدب و العلوم الاجتماعية.
2. البلوشى فتحية(2011)، مقال بعنوان "احتيال إلكتروني احذروه"، مجلة الاتحاد الالكترونية.
3. الشهري علي فايز(2008)، الشبكات الاجتماعية لم تعد للمراهقين، جريدة الرياض ع 14776.
4. المقدادي خالد عساف يوسف(2013)، ثورة الشبكات الاجتماعية،ط1، دار النفائس للنشر، الأردن.
5. اونيس فاطمة الزهراء(2016)، إشكالية التسويق السياحي في الجنوب، مذكرة للحصول على شهادة ماجستير، جامعة وهرن، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم تسيير0.
6. بسيونى عبد الحميد(2008)، تنمية وبناء الدولة، الحكومة الإلكترونية، الطبعة الأولى دار الكتب العلمية القاهرة، مصر.
7. حلا بلال بهجت(2016)، اثر تسويق باستخدام وسائل التواصل الاجتماعي المجلة الأردنية، إدارة الأعمال، م12، ع3.
8. خالد قاشي وآخرون(2013)، أهمية التسويق السياحي للنهوض بقطاع السياحة مجلة الإدارة والتنمية للبحوث والدراسة ع 02.
9. دعاء عمر محمد(2015)، وسائل التواصل الاجتماعي وتأثيرها على الأسرة، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، الفقه والتشريع، كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية.

10.راضي زاهر(2003)، استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي، مجلة التربية، عدد 15، جامعة عمان الأهلية، عمان.
11.سعود صالح كاتب(2011)، الإعلام الجديد و قضايا المجتمع، التحديات والفرص مداخلة ضمن المؤتمر العالمي الثاني للإعلام الإسلامي، جامعة الملك عبد العزيز جدة.
12.شفيق حداد، نظام السويدان(1998)، أساسيات التسويق، الطبعة الأولى، دار الحامد الأردن.
13.عثمان محمود غنيم و بنيتا نبيل سعد(2003)، التخطيط السياحي في سبيل تخطيط مكاني شامل ومتكامل، الطبعة الثانية، دار صفاء للنشر والتوزيع.
14.فؤادة عبد المنعم البكري(2007)، التسويق السياحي وتخطيط الحملات الترويجية في عصر تكنولوجيا الاتصالات عالم الكتب، القاهرة.
15.محمد محمد فراج عبد السميع(2012)، دور مواقع تواصل الاجتماعي في تسويق مصر كمقصد سياحي، كلية السياحة والفنادق، جامعة الفيوم.
16.نصر مهاب نصر(2010)، الفيسبوك صورة المثقف وسيرته العصرية، وجوه المثقف على الفيسبوك هل تعيد إنتاج صورته، جريدة الفيس الكويتية اليومية، ع 13446، 2010/11/3.
17.خري عبد الناصر، التسويق عبر وسائل التواصل الاجتماعي، تاريخ الاطلاع 2018/04/22 على الخط:file:///C:/Users/TAM2016/Desktop/Article_KHERRI%20(1).pdf
18.عبود زرقين، دور وسائل الإعلام في تحقيق التنمية المستدامة، ورقة بحثية مقدمة في منتدى الإعلام والاقتصاد، 2016، ص02، تاريخ الاطلاع 2018/04/21، على الخط: https://samc.ksu.edu.sa/sites/samc.ksu.edu.sa/files/imce_images/bhth-ymn_llmy_0.pdf
19.عوني ناصر قعوار، السياحة والتواصل الاجتماعي، تاريخ الاطلاع 2018/04/21، على الخط: http://www.abouna.org/content/
20.Anne-sophie etienne(2013), le web social dans la communication touristique des marques temtoriales, master tourisme et hÔtellerie.
21.Sourcem, Rashmi Gururaja, Impact of Social Media on Tourism and Hospitality, Department of Front Office, Faculty of Hospitality Management and Catering Technology
22.Juliet Carnoy**,** Marketing manager at Pixlee, Date of view 27/05/2018, On-line: https://www.entrepreneur.com/article/286408.

الموارد المائية بواحات تافيلالت بالمغرب بين إكراهات الندرة وإشكالية التدبير "دراسة حالة واحة الجرف"

Water resources at the "Tafilalet" oases between scarcity constraints and management problem. Study of the "Gorf" oasis state

أ.ليلى مزور، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب، ظهرالمهراز، فاس المغرب
أ.صباح بوصفيح، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب، ظهرالمهراز، فاس المغرب
أ. محمد باباخويا، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب، ظهرالمهراز، فاس المغرب

ملخص: تشكل ندرة الماء في واحات تافيلالت، التي تقع جنوب شرق المغرب، إكراها حقيقيا يزيد من حدته تبذير المورد وصعوبة تجدده، لا سيما في واحة الجرف موضوع هذه الدراسة، مما يؤدي إلى بروز تحديات بيئية خطيرة على رأسها تراجع الأراضي المسقية وزحف الرمال، وهو ما يؤثر بشكل مباشر على مداخيل الساكنة المحلية وعلى حجمها الذي يتراجع باعتبار أن المجال طارد للسكان. يرتهن مصير واحة الجرف، وواحات تافيلالت بشكل عام، بإشراك الساكنة في البرامج التنموية، وبمدى التنسيق بين الفاعلين في قطاع الماء، وفعالية التدابير المتخذة للحفاظ على هذا الموروث الطبيعي والثقافي والحضاري، وضمان استدامته.
الكلمات المفتاحية: المغرب، تافيلالت، واحة الجرف، ندرة الماء، السقي، الترمل، التبذير، التدبير

Abstract: Water scarcity in the" Tafilalet" oases that are located in the South East of Morocco constitutes a real constraint and what increases its severity is the resource squandering and the difficulty of its renewal especially at the" Gorf" oasis that is the subject of this study. This leads to emergence of serious environmental challenges primarily the decline of irrigated lands and the sand crawling in the oasis. This directly affects the local residents' incomes and their size which decreases considering the area repellent to the population. The fate of the"Gorf" oasis and the" Tafilalet" oases generally depends on involving the population in the development programs, the coordination between the actors in the water sector and the effectiveness of the measures taken to preserve this natural, cultural and civilizational heritage and also to ensure its sustainability.
Key words: Morocco, "Tafilaet", the" Gorf " oasis, water scarcity, irrigation, sand crawling, waste of water, management.

مقدمة:

تمتد الواحات المغربية في النطاق شبه الجاف الشرقي والجنوبي الشرقي والأوسط من المغرب على 15% من المساحة الإجمالية للبلاد، ما يمثل 115.563 كلم2، وتؤوي حوالي 1,7 مليون نسمة (5,3% من الساكنة الإجمالية للمملكة)، ويعتبر الماء بهذه المجالات المحرك الأساسي لعجلة التنمية، والمتحكم في مجمل التحولات الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية، كما يعد دعامة أساسية لهذه المجالات التي ترتكز عليه في الفلاحة المسقية.

يتميز عالم الواحات بخبرة تاريخية غنية في إعداد المجالات الزراعية السقوية، حيث يمكن اعتبار أحواض الجنوب الشرقي المغربي، وواحات تافيلالت تحديدا، وواحة الجرف موضوع هذا المقال بشكل خاص، مجالا نموذجيا لطرح ومعالجة المسألة المائية في علاقاتها بالمعطيات الطبيعية والبشرية، ذلك أن هذه الواحة تشكل منظومة بيئية ترتكز في توازنها الايكولوجي على عنصر الماء الذي يعتبر الرابط الحقيقي والفعلي بين الإنسان والأرض بهذه المنطقة وأساس التوازن الفعلي في المنظومة الواحية، إلا أنه أصبح يواجه إكراهات ترتبط بتزايد الطلب على مياه السقي، والتباين المسجل في حمولات الأودية من موسم لآخر بفعل التغيرات المناخية التي تؤثر بشكل كبير على هذا المجال الذي يطبعه الجفاف، مما ينعكس سلبا على الموارد المائية، وعلى مياه الري الزراعية، وبالتالي على الوضع الاقتصادي للساكنة المحلية.

يدور هذا الموضوع حول ثلاث محاور: يتناول المحور الأول الخصائص الطبيعية والبشرية لواحة الجرف بإقليم الراشدية، ويعالج المحور الثاني تقنيات وأنظمة السقي بالواحة، أما المحور الثالث فيقدم تقييما للتدابير المتخذة في شأن الموارد المائية والآفاق المستقبلية للواحة.

يأخذ البحث في موضوع الماء أهمية كبرى بالنسبة للمغرب حيث أصبحت ظاهرة الجفاف بنيوية. ويعتبر مجال تافيلالت، بالنظر إلى الخصوصيات التي يتميز بها طبيعيا وثقافيا، مجالا مثاليا لدراسة موضوع الماء، ورصد الظواهر الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبيئية المرتبطة به، ومتابعة وتقويم السياسة المائية في أفق تحصين المكتسبات وتجاوز الصعوبات، ذلك أن هذا المجال يضم أكبر مجال واحي في المغرب، بل وفي شمال إفريقيا بحيث يمتد على حوالي 40 ألف هكتار، كما أنه يعرف تحولات عميقة.

يرتكز هذا المقال على نتائج عمل امتد من شهر يوليوز 2016 إلى شهر أبريل 2017، وتضمن بحثا ميدانيا شمل 100 فلاح بواحة الجرف، وتناول التدبير المستدام للموارد المائية بالواحة، والوضعية الاقتصادية والاجتماعية للسكان، وقد تم الاعتماد على مستوى أدوات العمل على برنامج SPSS و EXCEL لمعالجة المعطيات المحصلة من المصالح الإدارية ونتائج العمل الميداني، كما تم الاعتماد على برنامج ARCGIS.

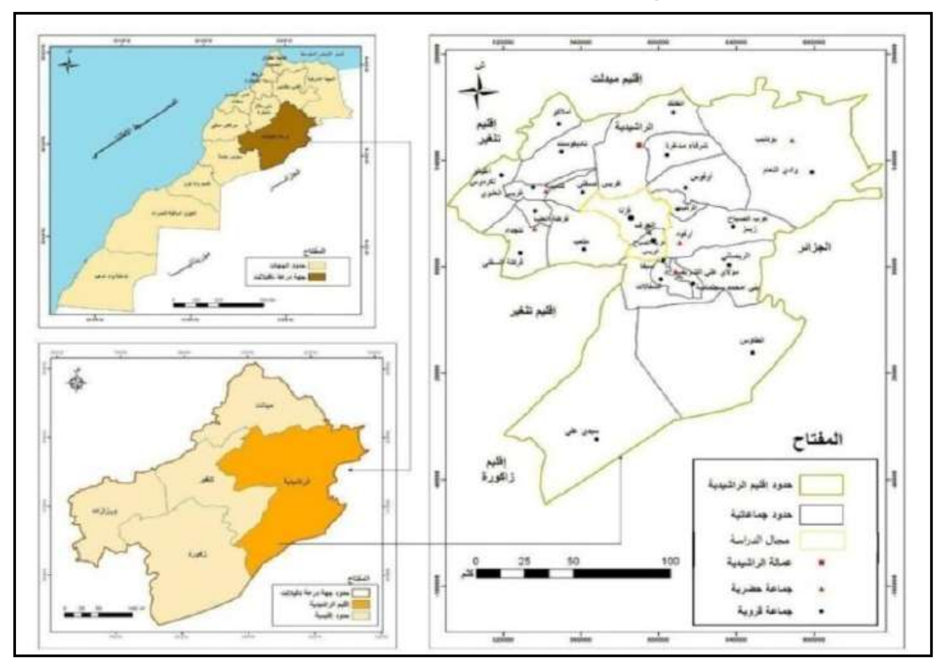
I. واحة الجرف بتافيلالت: الخصائص الطبيعية والبشرية:

1. تعريف الواحة: تعَرف الواحة بكونها "وسطا بيومناخيا تمت تنميته انطلاقا من موقع طبيعي موجود مسبقا، ويحدث قطيعة **مع** الجفاف المحيط به بتغيير الظروف المناخية على مستوى الأرض وفي الطبقات الدنيا من الجو، وهي تتمتع بظروف مناخية ملائمة (MAINGUET M., 2003,p111). وتشتهر الواحة بأشجار النخيل، إلا أن هذا المعيار ليس ضروريا، وقد واكب انتشار الإسلام" نخيل التمر"، ويظهر أن أكثر من 99% من 4.226000 طن من التمر الذي أنتج في العالم سنة 1995 تم في المجالات الجغرافية التي تغلب عليها الديانة الإسلامية (GREINER D.1998).

2. واحة الجرف: موقع جغرافي هامشي: تنتصب واحة الجرف فوق السهل شبه الصحراوي لواحة تافيلالت الكبرى التي تنتمي لجهة درعة- تافيلالت حسب التقسيم الجهوي الجديد للمغرب، وتمتد من الضفة اليمنى لواد غريس شمالا إلى جبال أكنات جنوبا، "وذلك على مساحة تقدر ب

11000 هكتار على شكل منخفض رسوبي يغلب عليه طابـــع الانبســـاط، (MARGAT J.,1962, p.53)، أما إداريا، فهي تنتمي إلى إقليم الراشدية التابع لجهة درعة تافيلالت والذي يضم أكبر واحات المغرب، وهي واحة زيز بمنطقة تافيلالت التي ينتمي إليها مجال هذه الدراسة:

خريطة رقم 1: موقع واحة الجرف ضمن إقليم الراشدية بجهة درعة- تافيلالت



المصدر:عبد الإله عبد اللاوي 2016

تقع واحة الجرف على بعد 25 كلم من مدينة أرفود، على الطريق الجهوية الرابطة بين أرفود وتنجداد، وهي تنقسم إلى جماعة حضرية بالجرف المركز، وجماعتين قرويتين وهما: جماعة "عرب الصباح غريس"(حنابو) شرقا، وجماعة "فزنا" غربا.

3.الخصائص الطبيعية لواحة الجرف بإقليم الراشدية بمنطقة تافيلالت: يُحَدِّد الموقع الجغرافي لواحة الجرف جنوب شرق المغرب خصائصها المناخية.

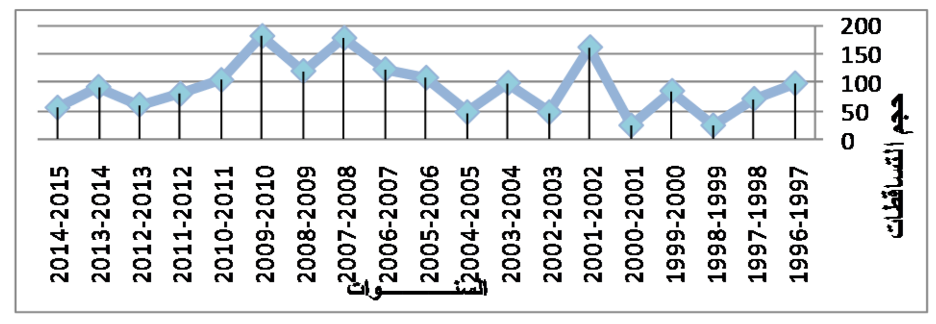
1.3 تساقطات قليلة وغير منتظمة في الزمان والمكان: يتميز النظام المطري بمجال تافيلالت بعدم الانتظام في الزمان والمكان: "فإذا كانت التساقطات بالشمال تصل إلى 250 ملم، فإنها تنزل إلى أقل من 45 ملم في الجنوب بأرفود" (My Ahmed SLIMANI Abderrahmane MAHBOUB,2018).

1.1.3 نظام مطري سنوي متقلب: يتميز بوجود فترة جافة قد تدوم ثمانية أشهر، وأخرى مطيرة نسبيا تدوم أربعة أشهر تقريبا، كما أن المنطقة قد تتعرض لتساقطات عنيفة في فترة وجيزة لا تتعدى 24 ساعة، بإمكانها أن تسجل 30% من المجموع السنوي للتساقطات، وهو ما حدث خلال فيضانات واد غريس وواد وزيز سنة 1965.

2.1.3 نظام بيسنوي غير منتظم: أصبح الجفاف بمنطقة تافيلالت ظاهرة بنيوية، وقد ارتفعت نسبة حدوث الجفاف من 12,5 % إلى 37,5 % خلال سنوات 1940 و 1979 و 1980

و1995 و1996 و2002، و2007 على التوالي(حسن الكتمور، 2017، ص10)، والمبيان التالي يوضح عدم الانتظام البيسنوي للتساقطات بالمنطقة:

مبيان رقم1: معدل التساقطات السنوية بمحطة الجرف ما بين 1996و2015



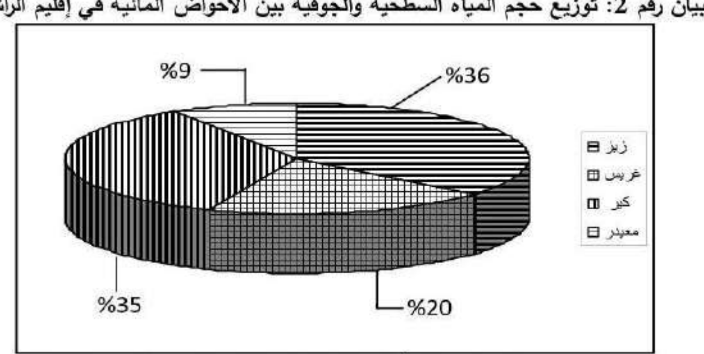
المصدر: الملحقة الهيدرولوجية بأرفود،2014

نلاحظ وجود سنوات يميزها العجز وأخرى تتعدى فيها التساقطات الكميات المعتادة: وقد انخفض حجم التساقطات المطرية في مجموع واحات تافيلالت بنسبة تتراوح ما بين 10%و40%، مع انخفاض في عدد الأيام الرطبة والمطيرة بنسبة تتراوح مابين 5% و30%(حسن الكتمور، 2017، ص8).

إن استمرار فترات مطيرة فعليا يبقى غير مؤكد على العموم، وتظل التساقطات محدودة بالنسبة للزراعة والجريان والتسرب.

2.3 موارد مائية سطحية أهمها وادَي زيز وغريس: يعتبر حوض زيز- غريس إلى جانب حوض كير- معيدر من بين الأحواض المائية الأساسية بإقليم الراشيدية، وهي أحواض تحتضن 815 مليون م^3(611 سطحية و 204 جوفية)، وتتوزع هذه الموارد المائية المحدودة بشكل متفاوت جدا بين حوض زيز - غريس وباقي الأحواض المائية الأخرى:

مبيان رقم 2: توزيع حجم المياه السطحية والجوفية بين الأحواض المائية في إقليم الراشدية



المصدر: وكالة الحوض المائي زيز- كير – غريس، 2018

يمتد حوض زيز غريس فوق مساحة جغرافية شاسعة تفوق 27500 كلم^2، ويتميز بمحدودية الموارد المائية بحيث لا تتجاوز 452 مليون م^3: منها 337 مليون م^3 كمياه سطحية، بما يمثل

55 % من المياه السطحية بالحوض، وما يزيد عن 54% من مجموع المياه الجوفية بالحوض التي تقدر بـــــ115 مليون م^3.

2.3. 1 واد غريس: واد موسمي له دور محوري في السقي وتغذية الفرشات الباطنية: تبلغ مساحة الحوض مع روافده (تودغة، فركلة، تاردة) "12702كلم^2، ويتميز التصريف السنوي لواد غريس بفصلين من الجريان القوي هما: فصل الخريف والربيع، وتقل مياهه في فصلي الشتاء والصيف، و" يتوفر الحوض على حوالي 17,18% من المياه السطحية بالأحواض التي تنتمي لإقليم الراشدية، بما يعادل 105مليون م^3، بصبيب يصل إلى 1,30 م^3/ الثانية بتاديغوست"(عبد العزيز باحو، 2018).

2.3. 2 واد البطحاء: الأهمية والتحديات: هو واد موسمي ضعيف الجريان ينطلق من جبال أكنات على شكل ثلاث فروع رئيسية تَتَّحِد وتدخل إلى واحة الجرف بعد "أن يكون قد قطع حوالي 60 كلم على مساحة تقدر ب 200 كلم مربع"(RUHARD J., 1977,p33)، وتكمن أهمية هذا المجرى في كونه يغذي الفرشة الباطنية التي تعتمد عليها الخطارات.

رغم أن حوضي غريس وواد البطحاء المحلي يتوفران على إمكانيات مائية متواضعة ومحدودة، ويتميزان بالشح والهشاشة والتذبذب الشديد، إلا أن دورهما الاقتصادي والاجتماعي يظل جد مهم.

3.3 موارد مائية جوفية مهمة بعضها يصعب استغلاله: يتراوح عمقها ما بين 8 و50 مترا، ويتم استغلالها من خلال الضخ الآلي والخطارات (وكالة الحوض المائي زيز – غريس - كير– الراشيدية، 2016)، وهي تتغذى من مياه الفيض المتسربة من السطح على طول الأودية، وتزداد نسبة تركز الأملاح المعدنية بها من العالية(1غرام في اللتر في فزنا والعشورية)، إلى السافلة (8 غرام في اللتر في البوية وحنابو) لأن الفرشة قريبة من السطح، مما يعرضها للتبخر، فتتركز بها الأملاح (المركز الجهوي للاستثمار الفلاحي، ملحقة أرفود، 2016).

4. الموارد البشرية تعد الركيزة الأساسية للاقتصاد المحلي:

تعرف واحة الجرف تراجعا في عدد ساكنتها التي تعتمد بالأساس على النشاط الفلاحي.

1.4 تراجع واضح لساكنة المنطقة بفعل الهجرة: يحتضن إقليم الراشدية418451 نسمة حسب إحصاء سنة 2014، أي 25,6% من ساكنة جهة درعة- تافيلالت، بمعدل كثافة سكانية تقدر ب 9,7 نسمة في الكم^2. وتنتمي واحة الجرف لهذا الإقليم، وتعرف ساكنتها معدل خصوبة مرتفع (4,6 طفل لكل امرأة مقابل 2,1 كمعدل وطني)، إلا أن ذلك لا ينعكس إيجابا على مستوى التزايد السكاني الذي تراجع من 21.323 نسمة سنة 1994 إلى 21.176 نسمة حسب الإحصاء العام للسكان والسكنى للمغرب لسنة 2014، ويعزى هذا التراجع إلى الهجرة القوية: الداخلية والخارجية التي تعرفها المنطقة لأسباب لعل أبرزها ضعف المؤهلات والتجهيزات والاستثمارات، وتوالي سنوات الجفاف، وتعتبر مداخيل الهجرة دعامة للاقتصاد المحلي.

2.4 الفلاحة الركيزة الأساسية للاقتصاد لواحة الجرف: ينخرط معظم سكان واحة الجرف في القطاع الفلاحي، ويرجع ذلك إلى طبيعة الواحة التي تعتمد على الفلاحة كركيزة للاقتصاد المحلي. ورغم ضعف المردودية، فإن الفلاح الجرفي يعمل على تكثيف الإنتاج وتنويعه، ويمكن التمييز داخل المشهد الزراعي بين ثلاث مستويات:

المستوى الأول: ويشمل الزراعات التحتية كالحبوب من قمح، وشعير، وذرة؛ والزراعات الكلإية، وخاصة الفصة التي تمتد طيلة السنة باعتبارها المورد الأساسي لتغذية الماشية التي تعتبر موردا مكملا بالنسبة لجميع الفلاحين. و" يسمح تنوع هذه الزراعات المعيشية المنتقاة، بسبب عدم تزامن نضجها، بالحصول على إنتاج ومداخيل طول السنة(TROIN J.-F., 2002, p414).

المستوى الثاني: ويضم أشجار الزيتون التي يبلغ عددها 20.000 شجرة، وأشجار الفواكه كالتين والرمان والتفاح، وهي توفر مدخولا على طول الموسم الفلاحي.

المستوى الثالث: ويضم أشجار النخيل التي يبلغ عددها 80.000 نخلة تقريبا، وهي تشكل الركيزة الأساسية لغذاء السكان بالمنطقة، بل وتتعدى ذلك إلى توفير المتطلبات من بناء وطبخ وتدفئة وكلأ للماشية، كما أن دورها البيئي جد مهم من خلال مساهمتها في تلطيف الجو للمزروعات الأخرى.

إذا صمد المشهد الزراعي بواحة الجرف سنين طويلة، فإن صورته تغيرت اليوم: فشجر النخيل أصبح ضحية لمرض فطري" البيوض" بفعل الاستعمال المفرط للماء، وهي إشكالية لا تقتصر على واحة الجرف، بل " تأثرت بها ¾ الواحات المغربية، بحيث ماتت بالمغرب ما بين 10 و12 مليون شجرة، و3 مليون بالجزائر، وخاصة" دقلة النور" التي تعرف إقبالا كبيرا، وقد انتشر مرض البيوض بالجزائر على إثر امتداد الرساتيق الواحية بعد قانون الولوج إلى الملكية العقارية بالجزائر(MAINGUET M., 2003, p122) ، ويؤدي استتباب هذا المرض في واحة الجرف إلى الإخلال بتوازنها، وتفاقم أزمة هذا الإرث الواحي كمورد اقتصادي، ويتعقد الأمر مع:

- وجود ملكيات فلاحية صغيرة، وهي ظاهرة تتكرس يوما بعد يوم بفعل عامل الإرث الذي يؤدي إلى تقسيم الملكية بين الورثة، بل يزداد الأمر تعقيدا عندما تكون الأرض في ملكية شخص، والمغروسات التي توجد فوقها في ملك شخص أو أشخاص آخرين؛
- نزوع الفئات الشابة نحو الهجرة التي انتقلت من ظاهرة استثنائية في الماضي إلى "ضرورة اجتماعية واقتصادية يقوم عليها مستقبل استمرار الأسرة بالواحة، وسلوكا من أجل تعويض وتغطية الحاجات المعيشية"(لحسن تاوشيخت، 1993، ص7)، كما أنها أصبحت مدخلا للاستثمار في القطاع الفلاحي والعقاري: فالمغاربة القاطنون بالخارج، وخاصة بأوربا، يعملون على إدخال تقنيات الضخ الآلي واعتماد الأدوات العصرية، مما يعكس الدور المهم للهجرة في التحولات التي تشهدها الواحة في القطاع الفلاحي.

يعتبر الماء العنصر الذي تتمحور حوله الحياة بالواحة لاعتماد الاقتصاد المحلي على الفلاحة ولندرته أيضا، لذا فهو يخضع لتدبير خاص، سواء على مستوى التقنيات المستعملة أو أنظمة السقي التي تنم عن براعة وإبداع الفلاح الواحي.

II. تدبير متنوع للماء وأنظمة سقي متعددة:

اشتهرت ساكنة الواحات منذ العصور القديمة بتدبيرها الرشيد للماء، وبأنظمة سقي جد دقيقة.

1. تدبير متنوع مع ميول أكثر فأكثر نحو استعمال آلات الضخ:

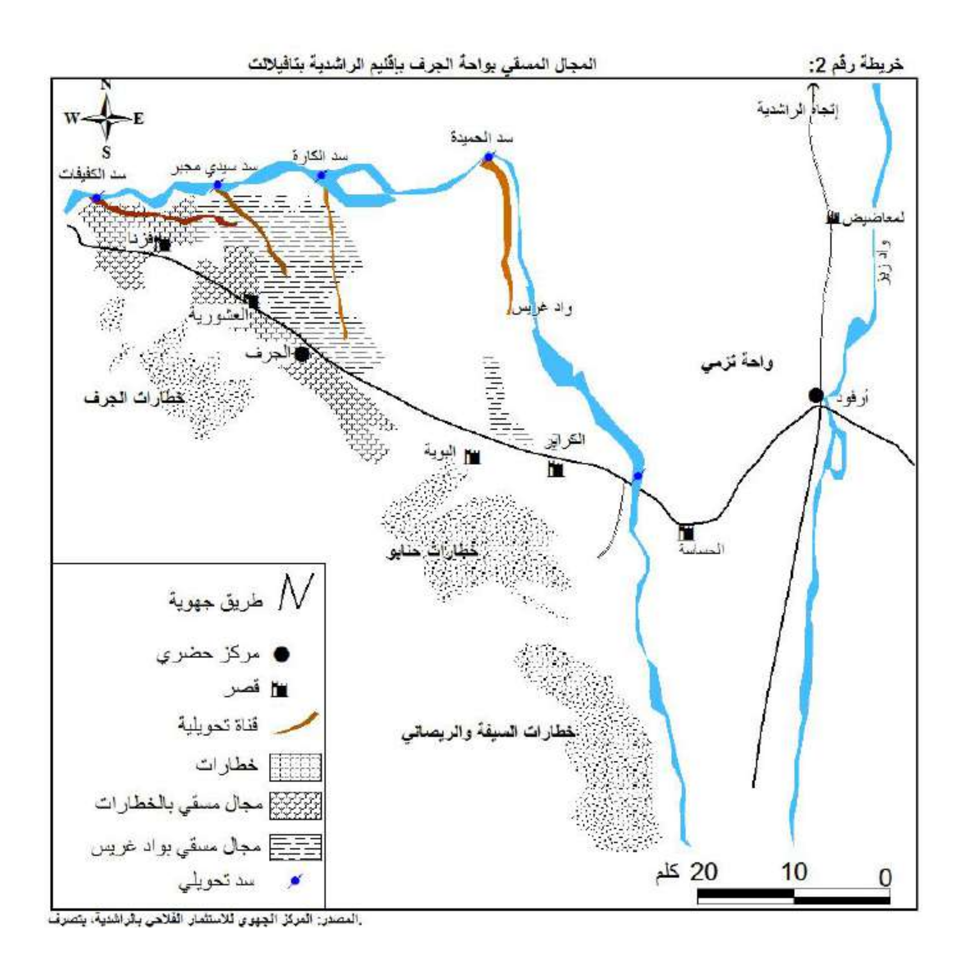
1.1 تدبير باعتماد تقنيات تقليدية: تعتمد ساكنة الواحات في سقيها للأراضي على تقنيات مستوحاة من طبيعة هذا المجال الجاف.

1.1.1 "أغرور" تقنية تقليدية للري تعرف تراجعا كبيرا: هي تقنية تقليدية قديمة تقوم على استخراج من 20 إلى 30 لترا من الماء / الثانية انطلاقا من الآبار، ثم تفرغ على سطح الأرض، فتسير في قنوات ترابية نحو الحقول، وقد اعتمد سكان الواحة على هذه التقنية لمدة طويلة، إلا أنها أصبحت اليوم متجاوزة وغير قادرة على تلبية الحاجات المتزايدة للفلاحة بالواحة.

2.1.1 سواقي الفيض نظام يجب تعميقه وتثمينه في استغلال مياه واد غريس: تتميز واحة الجرف بقلة الموارد المائية السطحية، ويعتبر واد غريس المصدر الأساسي الذي استطاعت ساكنة الواحة استغلال مياهه منذ وقت مبكر، وذلك من خلال إنشاء حواجز وسواقي تقليدية لتحويل كميات مهمة من المياه. وإذا كانت هذه الحواجز تنجز بجذوع الأشجار والتربة المحلية، فإنه ابتداء من أواخر الثمانينات من القرن الماضي تمت تقوية أربعة سدود(الكفيفات، سيدي

مجبر، الكارة، ولحميدة) لتحويل 41 مترا مكعبا من الماء في الثانية، وذلك إلى جانب هيكلة وتحديث جزء مهم من القنوات التحويلية (ساقيات الواد، والجمجامة، والكارية والعكريشية) بهدف استرجاع المياه الضائعة والمتسرب منها لسقي 3327 هكتار(المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي بالراشدية، 2016).

يمكن التمييز داخل واحة الجرف بين أربع قطاعات سقوية وهي كالتالي:



قطاع فزنا: يسقى بواسطة سد لكفيفات، ويتم تحويل 12 م3 / الثانية لسقي مساحة تصل إلى 880 هكتار؛

قطاع العشورية الجرف: يسقى بواسطة سد سيدي مجبر حيث يتم تحويل 9 م3 / الثانية عبر ساقية الواد التي تعتبر من أهم سواقي مياه الفيض بواحة الجرف، وهي تسقي أكثر من 1146 هكتار، ويقدر طول هذه الساقية ب 10 كلومترات، من سد سيدي مجبر بجماعة فزنا إلى المجال الزراعي لبلدية الجرف بالمنطقة الزراعية المسماة العكريش، مرورا بغابة العشورية. ويتم توزيع الماء حسب أيام الأسبوع لأنه يهم مجموعتين بشريتين مختلفتين (العشورية والجرف): يومان ونصف في الأسبوع للعشورية، وأربع أيام ونصف للجرف؛

قطاع الكارة: يسقى بسد الكارة الذي يحول 12 م3/ الثانية عبر ساقية العكريشية لسقي مساحة تقدر ب 1220هكتار، غير أنه لا يحول كامل سعته لأن جل القنوات لم تكتمل عملية تهيئتها، بما في ذلك القناة الرئيسية التي لا زالت تحتاج إلى حوالي 4 كلمترات من التهيئة، في حين لم تتم تهيئة جميع القنوات الفرعية البالغ عددها 3 قنوات والتي تحتاج كلها إلى6 كلمترات ليتمكن الفلاحون من الاستفادة من المياه المحولة من سد الكارة في حالات الفيض؛

قطاع الولجة وسهل باوباو: يسقى بسد لحميدة حيث يتم تحويل 9 م3 / الثانية لسقي مساحة تقدر ب 181هكتار.

مكنت السدود والسواقي المنجزة من سقي مناطق لم يكن يصلها ماء الفيض وكانت في أغلبها أراضي بور توجد بها معظم الحيازات ويساعد ماء الفيض على إخصابها من خلال التوضعات، ومع ذلك فإنها اليوم تواجه عدة مشاكل لأن سواقي الفيض التي انطلق بناؤها منذ مدة لم تكتمل بعد، مما يجعل نسبة تغطية متطلبات المشارات الفلاحية جد ضعيفة. ويتفاقم الوضع مع قلة عمليات الصيانة بسبب تراجع دور القبيلة، والقفز على الأعراف المحلية التي اعتمدت لعدة قرون، هذا فضلا عن أن عدم التحكم في العديد من السواقي سواء الرئيسية أو الثانوية يفرض التقليل من المياه المحولة خوفا من اكتساح مياه الفيض لبعض المباني والإسطبلات، وهو ما ينجم عنه حرمان العديد من الحقول من مياه السقي، وحدوث تنافس قوي وحاد وعنيف أحيانا في نفس الوقت على نسبة قليلة من المياه المعبأة بواسطة السدود والقنوات التحويلية، مما يجعل بعض الفلاحين يعتمدون على مياه الضخ خلال فترات الفيض.

3.1.1 الخطارات: بنية فكرية واجتماعية تقليدية لا زالت تقاوم في واحة الجرف: الخطارة وتسمى أيضا بالقناة، والفجارة، هي تقنية تقوم على تصريف، عبر قنوات باطنية، مياه مدفونة في الأرض إلى أن تخرج إلى السطح عن طريق الجاذبية (DEMANGEOT J., BERNUS E., 2001,p215)، وتستعمل هذه التقنية في بقية دول المغرب العربي، وفي مصر، وإيران، وأفغانستان إلى تركستان في الشرق، وتضمن هذه " **المياه الخفية** " استثمار ما يزيد عن 1مليون هكتار في العالم(BALLAND D. et al, 1992). وتعتبر الخطارة محور التماسك والتضامن الاجتماعي داخل القبيلة وداخل أفراد الأسرة الواحدة، وعاملا مهما في استقرار ساكنة المنطقة نظرا لدورها الاقتصادي في السقي. وتقوم الخطارة على تدبير محكم ومتكامل قائم على العرف وينخرط بموجبه جميع ذوي الحقوق في صيرورة واحدة حفاظا على وحدة القبيلة. ويتم تسيير هذه المنظومة المائية من قبل تنظيم خاص يترأسه: شيخ الخطارة الذي يهتم بفض النزاعات؛ ومجلس مصغر ينوب عن كل عائلة مالكة للماء في الخطارة، وتتمثل مهمته في جمع "الفريضة"[1] من مالكي حصص الماء في الخطارة، والسهر على صرفها لتغطية أعمال الصيانة؛ ومراقبون لتوزيع الماء وتنظيم الأعمال الجماعية عند الحاجة (محمد باباخويا،2017، ص62). ويعود الاهتمام بهذه التقنية العبقرية للتحكم في الموارد المائية الجوفية وتعبئتها إلى كون عدد كبير من

1- الفريضة هي قيمة مادية أو معنوية تقدم لإصلاح الخطارة في حالة تعرضها للردم أو خلال عملية الصيانة، وهي تتلاءم مع عدد النوبات التي يمتلكها الشخص في مياه الخطارة.

الخطارات أصبح مهدد بالاندثار، بل منها ما اندثر على الرغم من فعاليتها النادرة في تثمين وعقلنة استغلال الموارد المائية في وسط يشكو من شحها بفعل الجفاف وضغط التحولات السوسيواقتصادية والمجالية التي يعرفها.

أهمية خطارات الجرف بتافيلالت: تبدو الخطارة بواحة الجرف بشكل عام ذات أهمية مقارنة مع باقي مجال تافيلالت لأنه لا تزال بالواحة خطارات "حَيَّة" تلعب دورا اقتصاديا واجتماعيا: فامتلاك الحق في مياه الخطارات يشكل في حالات كثيرة موردا هاما يدعم مداخيل الأسرة عن طريق بيع الحق أو كرائه. وتزداد هذه الأهمية في حالة العشورية، والجرف، و"البوية"، وحنابو لكون الخطارة تشكل مصدرا رئيسيا للسقي إلى جانب الضخ، عكس حالة فزنا التي أصبحت تعتمد بشكل كلي على الضخ الآلي لموت الخطارات لوجودها في عالية الواحة(انظر الخريطة رقم 2: المجال السقوي بواحة الجرف)، وللضخ المتواصل للفرشات الباطنية مما أدى إلى مَحْوِ الخَطَّارَة من ثقافة الأجيال.

ويتوفر مجال الجرف على69 خطارة، ما يمثل 11,22 % من مجموع الخطارات الموجودة في منطقة نفوذ المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي لتافيلالت، ويمتلك هذه الخطارات5091 مالك، وهي توزع مياهها على 914 دَور، بما يعادل 1828 نوبة(ليلى مزور، محمد باباخويا، 2018، ص73)، وتتفاوت أهمية هذه الخطارات: فمنها ما أصبح في عداد الماضي بحكم الجفاف والإهمال، ومنها ما يتأرجح بين الغياب والرجوع: فـ21 خطارة فقط هي التي لا زالت تشتغل لسقي حوالي 1730 هكتار. و تستمد خطارات الجرف مياهها من الفرشة الرباعية التي تتغذى من مياه واد غريس والبطحاء، ومن التساقطات المطرية المحلية على قلتها. وتعاني هذه الفرشة من تواتر الجفاف كل 10 أو 20 سنة على أبعد تقدير، مما يجعل الصبيب يتذبذب بين الصعود والنزول: فخلال موسمي 2000/1999 و2001/2000 لم تستغل سوى 20 خطارة، بصبيب لم يتجاوز 71 لترا/الثانية (ليلى مزور، محمد باباخويا،2018، ص74).

يعرف صبيب الخطارات بواحة الجرف تذبذبا وتراجعا واضحا، وعدم استقرار ارتباطا بتراجع الفرشة الباطنية المائية، مما يؤثر بشكل مباشر على مساحة الأراضي الزراعية، وبالتالي على المردودية الاقتصادية للفلاحة المسقية : ذلك أن 43% من مساحة الواحة لم تعد مزروعة، و8% تعاني من التملح، و2% غزاها العمران، كما غزت الرمال 12% من الأراضي، وهو ما يمثل 401,5هكتار(ليلى مزور& محمد باباخويا، 2018، ص77). ورغم أن الوكالة اليابانية للتعاون الدولي "JICA" قامت، بتنسيق مع المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي لتافيلالت، بإعادة ترميم مجموعة من الخطارت بواحة الجرف في إطار تمويلها لبعض المشاريع الصغرى المحلية بالمغرب خلال الفترة الممتدة ما بين سنتي 2003 و 2005، فإن الخطارات تواجه عدة صعوبات تعيق دورها في تأدية وظائفها الاجتماعية والاقتصادية والبيئية، وذلك بفعل تداخل مجموعة من العوامل الطبيعية والبشرية التي تهدد بزوال هذا التراث العالمي.

أمام عجز تقنية "أغرور"، وعدم قدرة الخطارة على تغطية الطلب على الماء بسبب الجفاف وتراجع مستوى الفرشة، أصبح الفلاح الجرفي يعتمد أكثر فأكثر على الضخ الآلي بشقيه: الخاص والمشترك، فمتى ظهرت هذه التقنية بواحة الجرف؟ وما هي أسباب انتشارها؟ وما هي أبرز انعكاساتها على ما بقى من موارد مائية؟

2.1 الضخ الآلي بواحة الجرف: السياق العام والانعكاسات: ترجع أوائل محطات الضخ الآلي بواحة الجرف إلى بداية الخمسينات من القرن الماضي، حيث قامت سلطات الحماية الفرنسية سنة 1952 بإنشاء أول محطة عمومية بمنطقة فزنا. ومع استفحال الجفاف، وعجز الخطارات عن تلبية الطلب على الماء، وتزايد الهجرة إلى الخارج وما رافقها من تحويلات مالية إلى المنطقة،

انتشرت المضخات بوتيرة سريعة، وبدأنا نتحدث عن ثورة المضخات في المجال المحاذي لواد غريس، خاصة منذ بداية الثمانينات من القرن الماضي.

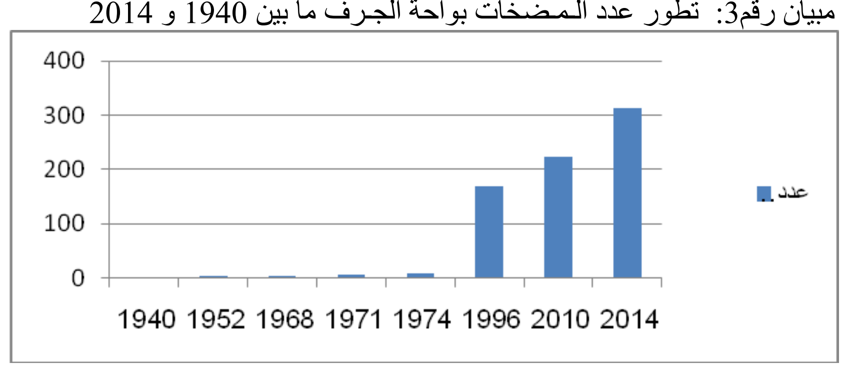
1.2.1 المضخات المشتركة: توزيع غير متوازن ما بين العالية والسافلة:

أنشأت الدولة مضخات عمومية في المنطقة، وذلك في إطار مشروع تنمية الواحات، ثم تم تحويل ملكيتها إلى الساكنة المالكة للأرض وأصبحت مشتركة، وتأسست على إثر ذلك جمعيات بدأت تعمل على تدبير شؤون الآبار والأثقاب. ويتميز التوزيع الذي عرفته المضخات المشتركة بواحة الجرف بضعف التوازن بين العالية والسافلة، حيث تم الاعتماد عليها مبكرا في العالية (فزنا)، بينما لم تعرف السافلة هذا النوع إلا في أواسط السبعينات من القرن الماضي، وهو ما يفسر موت العديد من الخطارات بجماعة فزنا(العالية)، عكس السافلة بواحة الجرف حيث لا تزال بعض الخطارات "حَيّة".

إذا كانت محطات الضخ في بدايتها عمومية ويتم تسييرها من طرف المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي، فإن النتائج الإيجابية التي حققتها دفعت الساكنة المحلية إلى إحداث مضخات أخرى جماعية أو فردية.

2.2.1 المضخات الخاصة: تنافس متزايد على الماء وتراجع العرف الذي يعتبر المورد ملكا جماعيا: بدأت محطات الضخ الخصوصية بالظهور في نهاية عقد السبعينات وبداية الثمانينات من القرن الماضي، حيث عرف هذا النوع انتشارا واسعا بواحة تافيلالت ككل بعد إنجاز سد الحسن الداخل ومنعه المياه من تغذية الفرشات الباطنية السطحية. وفي ظل هذا الوضع، وتراجع دور القبيلة، وتزايد عائدات الهجرة الداخلية وسيما الخارجية، تم تعويض تقنية أغرور بالضخ الآلي، مما أدى إلى حدوث منافسة قوية على الماء، وتراجع العرف الذي يَعْتَبِرُ الماء بهذه المجالات ملكا جماعيا، والمبيان التالي يوضح تزايد وتيرة الاعتماد على المضخات الآلية بواحة الجرف من سنة 1940 إلى سنة 2014.

مبيان رقم3: تطور عدد المضخات بواحة الجرف ما بين 1940 و 2014



المصدر: المركز الفلاحي بالجرف، 2014

يوضح المبيان أعلاه وتيرة تزايد عدد المضخات الآلية منذ ظهورها سنة 1952: فإذا كانت الفترة الممتدة ما بين 1974و1996 تميزت بزيادة 160 مضخة جديدة، بما يعادل 7 مضخات كل سنة، فإن الفترة الممتدة ما بين سنتي 1996 و 2014 شهدت زيادة بمعدل 22 مضخة جديدة، حيث وصل العدد الإجمالي سنة 2014 إلى 312 مضخة: 239 تشتغل بالوقود، و13 بالطاقة الكهربائية، و42 بالطاقة الشمسية(محمد باباخويا، 2017، ص80). وتتوزع المضخات الآلية

بواحة الجرف بشكل غير متوازن: فهي تستعمل بشكل كبير على جنبات واد غريس والعالية (فزنا) حيث أصبحت المصدر الرئيسي للسقي، بينما في الوسط والسافلة يتم الجمع بين الخطارة والضخ الآلي بنسب متفاوتة. وفي ظل هذا التحول الذي تعرفه واحة الجرف في مجال الاعتماد على الضخ الآلي، وحدة الجفاف وتزايد الضغط على الفرشة الباطنية السطحية، يتجه الفلاحون نحو تعبئة المزيد من المياه الجوفية عبر تعميق الآبار، وهو ما يؤثر بشكل سلبي على منسوب الفرشات الباطنية: فقد شهدت واحة الجرف تغيرات عديدة خلال الفترة الممتدة ما بين سنة 1959 وسنة 2014، وهي كالتالي:

- من سنة 1959 إلى سنة 1965، كان منسوب الماء الباطني بواحة بالجرف يتراوح ما بين 10 و17 مترا،
- من سنة 1965 إلى سنة 1971، انخفض مستوى الفرشة إلى أكثر من 20 مترا بسبب الجفاف وإنشاء سد الحسن الداخل على واد زيز الذي تسبب في توقف تزويد الفرشة المائية بفيضانات هذا الواد،
- خلال عقد الثمانينات إلى منتصف التسعينات، ازداد تراجع الفرشة المائية نتيجة الجفاف الذي عرفه المغرب بين 1979 و1984،
- من سنة 2006 إلى سنة 2009، عرفت المنطقة ارتفاعا في مستوى الفرشة المائية تجاوز 19 مترا،
- من سنة 2010 إلى سنة 2017، تراجعت الفرشة بشكل كبير نتيجة الجفاف(خاصة سنة2015)، والاستغلال المفرط، وأصبح عمق الآبار يلامس 50 مترا (وكالة الحوض المائي لزيز- كير- غريس، الراشدية، 2017)،

وارتباطا بهذه الظروف الصعبة، تراجعت المساحة المسقية من 4010 هكتار إلى 2500 هكتار، وذلك ما بين سنتي 1980 و2004 (مركز الاستثمار الفلاحي لتافيلالت بواحة الجرف)، مما ساهم في استفحال ظاهرة الترمل التي تزيد حدتها مع الضغط البشري، بحيث اكتسحت الرمال 98 هكتارا من سنة 1979 إلى سنة 1987، وتمثل هذه المساحة 4% من مجموع مساحة الواحة(محمد الميلودي،2012، 35-/http://www.tanmia/-2012-09-20-09-11)، وهي مساحة مهمة في هذا المجال الهش، ويرتبط الترمل بعملية التصحر الناجمة عن الإفراط في الاستغلال الفلاحي، وترك السكان للصيانة المنتظمة التي كانوا يقومون بها في الماضي حفاظا على وسطهم، إلى جانب قرب الفرشة من السطح وتبخر مياهها، مما يسهم في تكون قشرة ملحية على سطح الأرض.(تروان ج.-ف.، 2006، ص401)، وهي ظاهرة تتم معاينتها كلما اتجهنا نحو سافلة الواحة.

2. طرق سقي متعددة يفرضها حجم الحصص المائية ونوعية المزروعات:

تختلف طرق السقي التقليدية بواحة الجرف بحسب نوعية المزروعات، والحصص المائية، والمساحة التي يمتلكها كل فلاح، وتختلف أيضا بتنوع الفصول، وحاجات المزروعات إلى الماء، وكثافة الأنظمة الزراعية.

1.2 السقي بالكمون: نظام مكلف يسرع عملية السقي: يقوم الفلاح في البداية بتهيئة الحقل على شكل أحواض طويلة تسمى محليا ب" كمون"، ويتراوح عرض كل حوض ما بين 3 و5 أمتار، وطوله ما بين 15 و18 مترا، وتتصل هذه "الكمامين" بمجرى مائي صغير يسمى "مصرف"، وأثناء السقي يفتح الفلاح كل كمون من جهة المصرف واضعا حدا لمجرى الماء بواسطة حاجز ترابي يسمى "الربطة"، ويدخل الماء إلى الكمون ويَجري داخله بشكل طولي حتى يغمره بأكمله. ويُستعمل السقي بالكمون لسقي الحبوب (القمح، الشعير، الذرة..)، والمزروعات الكلئية بالنسبة

للفلاحين الذين لا يملكون سوى حصص مائية قليلة ومساحة زراعية صغيرة لأنها تساعد على تسريع عملية السقي واستغلال أكبر مساحة ممكنة، غير أنه في المقابل متعب ومكلف جدا.

2.2 السقي بواسطة الأحواض: نظام غير مكلف يعمل على هدر الماء: تتكون الأحواض من مجموعة من "الكمامين" التي تُزال الحواجز بينها لتشكل حوضا كبيرا، ويتراوح عرض كل حوض ما بين 10 و12 مترا، وطوله ما بين 15 و20 مترا. ويَستعمل الفلاحون الذين يمتلكون مساحة زراعية واسعة وحصصا مائية مهمة هذه الطريقة في السقي بهدف سقي المزروعات الكلئية، كالفصة والصورغو التي تستهلك كمية كبيرة من الماء، لأنها غير متعبة وغير مكلفة، وتتميز هذه الطريقة في السقي بكونها تساعد على امتصاص التربة والمزروعات للمياه بشكل جيد، إلا أنها تعرض الماء للتبخر.

3.2 السقي بواسطة الربطة: نظام يوفر حاجات النبات من الماء ويتطلب تهيئة كبيرة: تتم تهيئة الأرض في هذا النمط من السقي على شكل أحواض طويلة تقسم على شكل مربعات متصلة فيما بينها وتفصلها حواجز ترابية يصل علوها إلى 20 سنتمترا، ويقوم الفلاح بربط الحوض بالماء فينتقل الماء داخل الحوض من مربع إلى آخر حتى نهاية الحوض، ويمكن أن تتخذ الأحواض عدة أشكال. ويتميز نظام السقي بالربطة بالمساعدة على امتصاص الماء حتى تستفيد منه المزروعات(الطماطم والفلفل والملوخية و....)، وهو يسهم في تغذية الفرشات الباطنية، ولكن يعرض في نفس الوقت الماء لتبخر كبير، كما أنه يتطلب مساحة كبيرة ووقتا طويلا للإعداد.

3. عوامل متداخلة تتحكم في تنوع وتعدد أنظمة السقي:

يرتبط تنوع طرق السقي المعتمدة من طرف الفلاحين بعدة عوامل، منها ما يتعلق بالأرض وأنواع المزروعات، ومنها ما يتعلق بكمية الماء المعبأة للسقي، والحصص المائية التي يمتلكها كل فلاح، بالإضافة إلى تغير الفصول، وكثافة الأنظمة الزراعية.

1.3 دور مساحة الاستغلاليات في تحديد مصدر ونظام السقي: يخضع نظام السقي بشكل كبير لمساحة وحجم الاستغلاليات، حيث تشير المعطيات الكمية المحصلة من الاستمارة الميدانية إلى أن 51% من الفلاحين الذين يمتلكون ما بين هكتار وثلاث هكتارات يعتمدون على مياه الضخ الآلي والخطارات، ثم تنزل هذه النسبة إلى 40% بالنسبة للفلاحين الذين يعتمدون على مياه الخطارات، و تقل المساحة الزراعية لهذه الفئة عن 1هكتار. أما ما بقي من الفلاحين(9%) فيمتلكون أكثر من 3 هكتارات، وهم يعتمدون في نفس الوقت على الخطارات والضخ الآلي ومياه الفيض، وتنتشر استغلاليات هؤلاء على هوامش الواحة. ويقول أحد المستجوبين " بأنه يسقي أرضه بالخطارة فقط لأن مياه الفيض لا تصل إليه بسبب ضعف صيانة القنوات. وبخصوص الآبار، لا يوجد أي بئر قريب يمكن أن يعتمد عليه لسقي أرضه. وعلى هذا الأساس، فإذا كانت الخطارة ميتة[2] فإنه يشتغل كمياوم في الواحة أو يهاجر إلى إحدى المدن لمزاولة أي نوع من الأنشطة".

2.3 نوعية المزروعات وعلاقتها بنظام السقي: تختلف أنواع المزروعات التي يعتمدها الفلاحون، وهي تنقسم إلى ثلاث مجموعات أساسية: الحبوب(القمح، الشعير، الذرة و..)، والمزروعات العلفية (الفصة، الصورغو و..)، والخضروات (الجزر، اللفت، الفلفل و..)، وتضاف إلى ذلك الأشجار وفي مقدمتها النخيل والزيتون. ويختلف نظام السقي على طول السنة الفلاحية بحسب المزروعات: فكل نوع يتميز بنظام سقي خاص من حيث المدة، والكمية، وطريقة

2- الخطارة الميتة هي التي توقفت عن أداء دورها، وقد تتوقف نهائيا عن العمل بسبب الترمل أو تتوقف بشكل مؤقت بسبب تراجع منسوب الفرشة المائية.

السقي: فمنتوج الفصة على سبيل المثال يسقى كل 15 يوما في الصيف، وكل 21 يوما في فصل الشتاء، على أساس نصف نوبة[3] في الهكتار في الصيف و4/1 نوبة في الشتاء.

3.3 حصة الفلاح من الماء محدد رئيسي في نظام السقي: يؤثر اختلاف حصص الماء من فلاح لآخر بشكل كبير على نظام السقي بالواحة، وقد أظهر البحث الميداني أن 6% من المستجوبين يمتلكون نوبة كاملة، و15% يمتلكون نصف نوبة، بينما تصل نسبة من يمتلكون رُبع نوبة وثُمُن نوبة إلى 79%. وينعكس الاختلاف على مستوى الحصص المائية بشكل كبير على نوعية نظام السقي المعتمد: فالفلاحون الذين يمتلكون حصصا مائية مهمة تتجاوز نصف نوبة أو ما يعادل 6 ساعات يستعملون طريقة السقي بالحوض الكبير، في حين يستعمل الفلاحون الذين يمتلكون ربع وثمن النوبة (1 ساعة) تقنية السقي "بالكمون".

4.3 نظام السقي وعلاقته بتغير الفصول: تُحَدَّد نوعية السقي بتغير الفصول داخل السنة الفلاحية: فخلال الربيع والصيف حيث يرتفع الطلب على الماء، يلجأ الفلاحون إلى الاقتصاد في استعمال الماء بتكثيف السقي في مجال محدد يضمن لهم ما يلزم من منتوجات، وقد يلجأون في بعض الحالات إلى تبادل حصصهم المائية مع غيرهم ليتمكنوا من سقي مزروعاتهم في أوقات متقاربة زمنيا، أقلها مرة واحدة في الأسبوع.

يمكن القول أن النشاط الفلاحي بواحة الجرف يرتكز على أنظمة متنوعة للسقي انطلاقا من المياه السطحية والباطنية، وقد سمحت بخلق نطاقات سقوية، إلا أنها بحاجة إلى التثمين والدعم.

III- الموارد المائية تدبير متجاوز وضياع مستمر:

تعمل الأنظمة التقليدية للسقي، رغم تعددها، تحت ظروف مناخية قاسية، مما يؤدي إلى ضياع كميات كبيرة من المياه عن طريق التبخر، بل وإتلاف عدد كبير من الأراضي الصالحة للزراعة بسبب الغسل الذي تتعرض له التربة، مما يضعف قدرتها الإنتاجية سنة بعد أخرى.

1. شبكة سقي متدهورة ومُتَجَاوَزَة تسهم في ضياع الماء: تتعرض مياه الخطارات منذ خروجها إلى السطح بمحاذاة القصر لكثير من الضياع على مستويات مختلفة وفي ظروف متنوعة: فمعظم قنوات التوزيع مكشوفة، مما يجعل المياه تتعرض للتبخر تحت تأثير درجة الحرارة المرتفعة، خصوصا في فصلي الربيع والصيف.

1.1 إغراق الحوض نظام متجاوز يسهم في تبخر المياه بشكل أكبر: تتسبب طريقة السقي التقليدية التي تقوم على إغراق الأحواض بالماء في ضياع أحجام مرتفعة من هذا المورد الحيوي، وهي لا تراعي حاجات المحاصيل الزراعية من الماء ولا حاجات التربة، وإذا أسهمت في تغذية الفرشات الباطنية عبر التسرب، فإن قدرا هاما يتعرض للتبخر، مما يحول دون استفادة النباتات من الماء.

2.1 الاعتماد على مزروعات مستهلكة للماء يعمق إشكالية الخصاص المائي: يعاني تدبير الموارد المائية بالواحات من إشكالية ما أصبح يعرف داخل الأوساط المحلية ب"عملية تصدير الماء"، وذلك من خلال اعتماد بعض الفلاحين على زراعة البطيخ الأحمر "الدلاح" مستفيدين من سرعة إنتاجه مقارنة مع المناطق الأخرى، مما يؤدي إلى تراجع الفرشات الباطنية بشكل كبير. ومن خصائص هذه " الفاكهة أن 92 % من وزنها ماء، وتحتاج لـ 95 لترا من الماء للكيلوغرام الواحد، وتستهلك 6000 متر مكعب من الماء في الهكتار الواحد باستعمال السقي بالتنقيط"، وقد تحتاج إلى أكثر من ذلك في مناطق أخرى حسب نوعية التربة"(المركز الجهوي للاستثمار الفلاحي بالراشيدية، 2016). ويُصِرُّ بعض موظفي المصالح الفلاحية وبعض الفلاحين على أن هذه الفاكهة أقل استهلاكا للماء، حيث يرون وبلغة الأرقام أنها أقل استهلاكا للماء من

3- للتذكير فالنوبة هي 12 ساعة حاليا.

بعض المزروعات المحلية كالفصة والقمح والحناء: "فالفصة تستهلك 20ألف م^3 للهكتار الواحد، أي أربعة أضعاف ما يستهلكه هكتار واحد من "الدلاح"، أما الكيلوغرام الواحد من الحناء فيستهلك 455 لتر من الماء، وكيلوغرام واحد من القمح يكلف 195 لتر من الماء كي ينضج" (المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي بالراشيدية،2016)، فإن الأمر صحيح إذا تعلق بعدد اللترات لكل كيلوغرام واحد من هذه المنتوجات، ثم إن هذه الزراعات تسقى طول السنة بينما "الدلاح" لا يدوم سقيه سوى أربعة أشهر فقط، غير أن مشكلة زراعة البطيخ الأحمر تكمن في المساحات التي يستحوذ عليها: "فضيعات البطيخ الأحمر تقترب من التهام 2000 هكتار من المساحة الفلاحية بإقليمي الراشدية وزاكورة، مما يعني أن هذه الزراعة تكلف هذه المنطقة ما يقارب 12 مليون م^3 من الماء سنويا (المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي بالراشيدية، 2016).

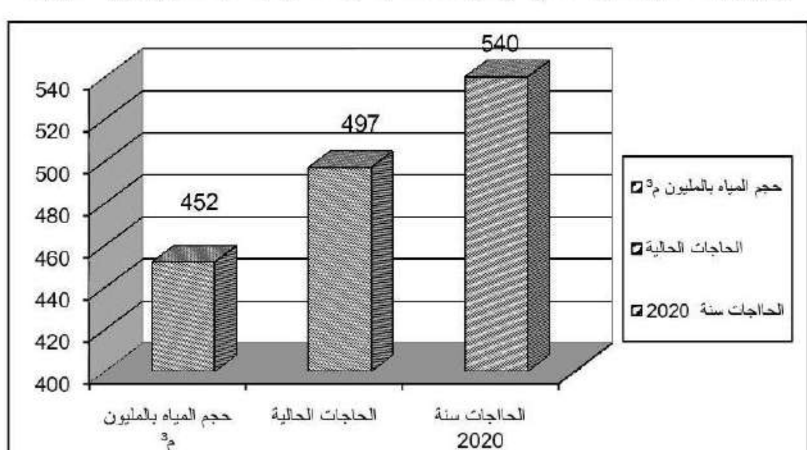
3.1 التنقيب عن الماء: خروقات وتجاوزات كثيرة: تتعرض واحة الجرف لعملية حفر الآبار بدون ترخيص رغم أنها محظورة قانونيا: فالحفر يتم ليلا وتتغاضى عنه السلطات، أكثر من ذلك فإنه يتم منح رخص حفر آبار عميقة لغير ذوي الحقوق، كما لا تخضع عمليات الحفر للمراقبة.

4.1 قانون الماء 36-15: قانون عام لا يراعي التباينات والاختلافات المجالية المغربية: تقوم فلسفة القانون الجديد للماء 36-15 على مجموعة من المقتضيات نذكر منها: تعزيز المكتسبات التي تحققت بفضل قانون 10-95، وتطوير الحكامة في قطاع الماء من خلال تبسيط المساطر، وتنظيم مهنة حفر الأثقاب و... وإذا كانت حداثة القانون لا تسمح بَعدُ بالحكم على مدى فعاليته وتأثيره على المنظومة الواحية، فإن البعض يرى أنه قانون عام بينما مناطق الواحات لها خصوصيات تفرض اتخاذ إجراءات خاصة بها بما يستجيب لحاجات السكان وتطلعاتهم.

2. آفاق الموارد المائية بواحات تافيلالت: يعرف الماء بأحواض الجنوب الشرقي من المغرب وضعا حرجا بسبب التراجع والانخفاض المستمر لهذا المورد في وقت يزداد فيه الطلب، خاصة في المجال الفلاحي. ويُتوقع أن يستمر نقص الماء بالواحات المغربية في أفق سنة 2020، مع بلوغ الحاجات من هذا المورد حجم 1528,8 مليون م^3 مقابل 1329,6 مليون م^3 المعبأة، أي بعجز يقدر بـ 199,2مليون م^3 (حسن الكتمور،2017، ص4).

وعلى مستوى حوضي زيـز- غريس، يُرتقب عجز بـمستوى 88- مليون م^3، مع بلوغ الحاجات 540 مليون م^3 في أفق سنة 2020، وهو ما يوضحه المبيان التالي:

مبيان رقم 4: حجم العجز المائي في أفق 2020 بالمتر المكعب بالنسبة لحوض زيز- غريس



المصدر: وكالة الحوض المائي زيز – كير – غريس، 2018

يظهر أن حوضي زيز وغريس يعرفان مسبقا عجزا بمستوى 45 مليون م3، مما يفرض ترشيد استعمال الماء في مختلف القطاعات الاقتصادية، سيما القطاع الفلاحي، وتكشف المقارنة ما بين حوضي زيز و غريس وبقية الأحواض الأخرى المغربية بأن الحوضين يحتلان المرتبة ما قبل الأخيرة، بحيث لا يتوفران سوى على 452 مليون م3، ما يمثل 4,46 % من الموارد المائية بالأحواض المغربية. أما على مستوى متوسط نصيب الفرد من الماء داخل الحوضين، فإن النسبة لا تتعدى 587,39 م3 للفرد، وهو دون المعدل العالمي والوطني، 1000 م3 /الفرد/السنة، و750 م3 على التوالي(عبد العزيز باحو، 2018)، وهو ما يجعل الحوضين يدخلان ضمن دائرة الفقر المائي، ويرتقب أن تتفاقم الوضعية في المستقبل، مما قد يؤدي إلى احتدام التنافس بين مختلف المستعملين للمورد، وهو ما يتطلب الاقتصاد في الماء، وحسن تدبير الرصيد المتوفر.

خاتمـــــة

تعتبر الواحات المغربية، سيما واحة الجرف بمنطقة تافيلالت، منطقة فاصلة بين شمال المغرب وعمقه الصحراوي. وإذا عبرت الحقول اليانعة- التي تخترقها- لمدة طويلة عن انتصار الإنسان على الطبيعة، فإنها أصبحت الآن ترزح تحت ضغوط كثيرة وقاهرة: طبيعية وبشرية لعل أبرزها تواتر الحالات القصوى للمناخ، والترمل، والتصحر، واستغلال الموارد بشكل يتعدى طاقاتها، مما ينعكس سلبا على مداخيل الساكنة التي أصبح معظمها يعاني من الفقر والتهميش، ويعتمد على تحويلات أبناء المنطقة بالخارج والداخل، وكلها أوضاع تستوجب:

- حماية الواحة وتأهيلها بالاهتمام بمصادر المياه من حيث التعبئة والتوزيع والاستغلال من جهة، وإعادة النظر في أنماط استغلال الأرض لمختلف المزروعات من جهة أخرى، وهو ما يفرض بالضرورة الاقتصاد في الماء وحسن تدبير الرصيد المائي عبر توفير بنية تحتية لتحويل المياه انطلاقا من السدود التحويلية عبر قنوات لإيصال المياه لمختلف النقط البعيدة بالواحة، خاصة وأنه لا تُحَوَّل سوى نسبة صغيرة من قدرة السدود التحويلية الأربعة في حين تضيع نسبة كبيرة من المياه، كما يجب العمل على تجهيز القنوات الثانوية والثلاثية بتقنيات عصرية للتحكم في كمية المياه المتدفقة عبرها تفاديا لجلب كميات تفوق الحجم المطلوب من الماء، ويلزم مع ذلك تهيئة السدود وصيانتها المستمرة للتخفيف من الضغط القوي على الموارد المائية الجوفية

أثناء حملات الفيض ولو لأسابيع قليلة. ولقد أبانت الخطارة كتراث مادي بالمجالات الواحية عن فعالية نادرة في تثمين وعقلنة استغلال الموارد المائية المتاحة، لذا يلزم رد الاعتبار لهذه المنظومة مع ما يتطلبه من خلق ديناميكية جماعية ينخرط بموجبها جميع ذوي الحقوق في صيرورة واحدة، والزيادة في تغذية فرشاتها التي تعتبر أحد أنواع التدبير المستدام بالواحات. ويعتبر الاستمرار في ممارسة السقي السطحي واعتماد شبكة السقي الترابية مدخلا هاما يجب الحفاظ عليه لكن بشكل يضمن حاجات النبات من الماء، والنقص من التبخر، وتغذية الفرشات الباطنية التي أصبحت تعاني من الآثار الجانبية لسد الحسن الداخل والضخ الآلي، وهي بادرة قد تقلل من الرطوبة في الجو، وبالتالي من آفة البيوض.

- نهج حكامة جديدة تأخذ بعين الاعتبار الإمكانات المتاحة مع التوفيق بين ما هو تقليدي وعصري، وحظر الزراعات المستنزفة للماء، وتوفير التجهيزات والمرافق الاجتماعية الضرورية بهدف تحويل المجالات الواحية سيما واحة الجرف من مجالات طاردة للسكان إلى مجالات تعمل على تثبيتهم لأنها مهددة بأن تصبح في غضون عقدين من الزمن صحراء قاحلة، وتقوم الحكامة الجيدة أيضا على العمل على الإشراك الفعلي للساكنة المحلية حتى تتبنى المشاريع المنجزة والمقترحة من أجل تحقيق تنمية حقيقية ومستدامة.

- إدماج العامل التربوي بأبعاده التحسيسية، والتأطيرية، والتواصلية، والتكوينية لبناء وعي بيئي حقيقي بأهمية الماء كعنصر مهيكل لهذه المجالات الهشة.

قائمة المراجع:

1. أغزاف عبد الرحمان(1993)، مساهمة في دراسة طبقة المياه الجوفية بتافيلالت، مجلة المجال والمجتمع بالواحات المغربية، سلسلة ندوات 6، كلية الآداب، مكناس.

2. الحسني علي(2015)، الموارد المائية بواحة تلفيلالت: الإكراهات الهيكلية والرهانات المستقبلية، مجلة واحات المغرب، ع 3، الراشدية.

3. الطايعي مبارك(2008)، البنيات الزراعية والبنيات الاجتماعية، وأفق الاستمرار والانقطاع في الواحات المغربية، واحة تافيلالت نموذجا، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط.

4. الكتمور حسن(2017)، التغيرات المناخية وإشكالية مياه الري في المجالات الواحية، دراسة حالة واحات زاكَورة، منشورات مختبر الأبحاث والدراسات الجغرافية والتهيئة والخرائطية، ط1، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس- فاس، سلسلة: منشورات مختبرات البحث.

5. المولودي محَمد(2012)، الترمل بواحة تافيلالت، -http://www.tanmia/-2012-09-20-09 .11/-35

6. باباخويا محمد(2017)، التدبير المستدام للموارد المائية لواحة الجرف بمنطقة تافيلالت ، بحث لنيل شهادة الماستر في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز- فاس.

7. باحو عبد العزيز(2018)، التشخيص المجالي للموارد المائية بواحات درعة تافيلالت: الإمكانات والإكراهات المناخية، حالة الموارد المائية والتغيرات المناخية بواحات حوض زيز (تافيلالت)، مداخلة في إطار ندوة دولية بعنوان: الرأسمال البشري والتسويق الترابي أساس التنمية المستدامة بالواحات والمناطق الجبلية: مقاربات إفريقية ونماذج عالمية هشة، المركز الدولي للدراسات والأبحاث الاستراتيجية في الحكامة المجالية والتنمية المستدامة بالواحات والمناطق الجبلية، ورزازات، المغرب.

8. تاوشيخت لحسن(1993)، واحة تافلالت بين الأمس واليوم، مجلة المجال والمجتمع بالواحات المغربية، سلسلة ندوات 6، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس.

9. عبد اللاوي عبد الإله(2016)، دراسة زحف الرمال بسهل تافيلالت، حالة منطقة الجرف، مقاربة كارطوغرافية، بحث لنيل شهادة الماستر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية.

10.عبدلاوي عبد الغني(2010)، عصرنة أنظمة السقي وانعكاساتها الاقتصادية والبيئية بتافيلالت، "واحة الجرف نموذجا"، بحث لنيل شهادة الماستر في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الانسانية ظهر المهراز- فاس.
11.علوي عبدلاوي أحمد(1996)، مدغرة واد زيز، إسهام في دراسة المجتمع الواحي خلال العصر الحديث، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط.
12.قسطاني محمد(2005)، الواحات المغربية قبل الاستعمار "غريس نموذجا"، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط.
13.مزور ليلى& باباخويا محمد(2018)، الخطارات بواحات تافيلالت بين حكامة الموروث وآفاق الاستدامة، دراسة حالة واحة الجرف، مجلة المجال والتنمية، ع2، مارس 2018، المركز المتوسطي للأبحاث والدراسات المجالية والاجتماعية والبيئية، الرباط، المغرب.
14.ميوسي محمد(2002)، تافيلالت من أطروحة التراجع إلى أطروحة التحول، بحث لنيل دكتوراه الدولة في الجغرافيا، بحث مقرون، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط.
15.الإحصاء العام للسكان والسكنى للمغرب، 2014.
16.منغرافية بلدية الجرف،2004.
17.BALLAND D. et al (1992), Les eaux cachées, Université de Paris – Sorbonne, Publication du Département de Géographie n° 19, Paris.
18.DEMANGEOT J., BERNUS E.(2001), Les milieux désertiques, Armand Colin, Paris.
19.GREINER D.(1998), « Le marché de la datte, produit de rente des oasis : enjeux, diversité, tensions », Revue Sécheresse, 9, N°2, Spécial oasis, p.p.155-170.
20.MAINGUET M.(2003), Les pays secs, Environnement et développement, Ellipses Edition Marketing S.A., Paris.
21.MARGAT J.(1962), Mémoire explicatif de la carte hydrogéologique de la plaine du Tafilalet, éd. Service Géologique du Maroc, Rabat .
22.SLIMANI My A., MAHBOUB A.(2018), Adaptation aux changements climatiques dans la zone d'action du bassin hydraulique Guir, Ziz Ghris, Errachidia. Le capital humain et le Marketing territorial, vecteurs du développement durable dans les oasis et les zones de montagnes: Approches africaines et modèles vulnérables mondiaux. Le Centre International des Etudes et des Recherches Stratégiques de Gouvernance Spatiale et Développement Durable dans les oasis et les Montagnes. Ouarzazate. Maroc.
23.RUHARD J.(1977), Ressources en eau du Maroc. Domaines atlasiques et sud atlasiques. Notes et mémoires du Service Géologique n° 231, éditions du Service Géologique du Maroc, Rabat, Maroc, Tome 3.
24.TROIN J.-F., 2002, Maroc. Régions, pays, territoires, éd. Maisonneuve & Larose, Paris.

المصالح الإدارية:

- المركز الجهوي للاستثمار الفلاحي، ملحقة الرشيدية.
- الملحقة الهيدرولوجية بأرفود.
- وكالة الحوض المائي زيز– أغريس - كير – الرشيدية

آليات الدورة الهوائية الطولية وعلاقتها بالتساقطات المطرية القصوى في شمال المغرب

MERIDIAN ATMOSPHERIC CIRCULATION (MAC) AND EXTREME RAINFALL IN NORTHERN MOROCCO

أ.عصام بوعيش، مختبر التحولات البيئية وإعداد التراب، جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء-المغرب

د. محمد سعيد قروق، مختبر التحولات البيئية وإعداد التراب، جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء-المغرب

ملخص: يتأثر مناخ المغرب خلال العقود الأخيرة بدورة هوائية طولانية، التي تتجسد بالقسم الشمالي من الكرة الأرضية، فبحكم موقعة الجيو-مناخي بين نطاقين مناخين مختلفين من حيت الخصائص الجوية، ووجوده ضمن عروض الآلة المناخية المضطربة، التي تؤثر بشكل واضح على مختلف أنماط الحياة الاقتصادية داخل البلاد. فمن الشمال نجد هبوب تيارات وكتل هوائية رطبة، محملة باضطرابات جوية عادة ما تكون عميقة على مستوي الوسط (وصول الضغط إلى مستويات قياسية (989hPa)، في مقابل صعود كتل هوائية جافة وحارة من الجنوب، وهيمنة المرتفع الأصوري، الذي يتخذ من عروض المحيط الأطلنطي مجالا خصبا لنشوئه (مرتفع جوي دائم وديناميي) - فالقيم المطرية القصوى بشمال المغرب، مرتبطة بشكل وثيق مع أنماط الحركات الجوية الطولية خاصة، التي تضع مجال الدراسة، تحت رحمة الأودية الباردة /الرطبة/العميقة، والأعراف الجافة/الحارة. الهدف من هذه الدراسة، يتمثل أساسا في تحليل القيم المطرية القصوى بشمال المغرب، عبر توظيف آلية إحصائية، ومنهجية ديناميكية لعشر محطات رصدية شمولية، ولفترة زمنية تبدأ من 2010 وتنتهي عند حدود سنة 2017.

الكلمات المفتاحية: الدورة الهوائية الطولية، القيم المطرية القصوى، شمال المغرب

Abstract: During the last decades, Morocco is under the influence of a new predominant Meridian hemispheric Atmospheric Circulation (MAC). And according to its position in geo-climate between two systems climate more different in terms of the atmospheric conditions of a part, and its presence in the climate machine disrupted, which affect the normal state of the hydrological systems in our country. In the north, of cold valleys and disturbed, on the entire region of the North Africa and Western Europe. And South toward the poles by ridges warm and stable. Then the main objective of our work and attempts to explain the extreme precipitation in the northern Morocco. In the present work, we propose a double statistical methodology and dynamic and other interactive, has, for the period from 2010 to 2017.

Keywords: Meridian Atmospheric Circulation, Extreme Precipitation, Northern Morocco.

مقدمة:

عرف علم المناخ تطورا ملموسا خلال العشرية الأخيرة، خاصة بإدماج التكنولوجيات الحديثة في عملية التنبؤات المستقبلية لعناصر التساقط المطري والحرارة. فقد ركزت جغرافية الطقس والمناخ على دراسة العناصر والظواهر التي تحدث في الغلاف الجوي وطبيعة العلاقة القائمة بينهما، فضلاً عن التأثير المتبادل الذي تعكسه على خصائص وعناصر البيئة بشكل عام والإنسان بشكل خاص، وهذا ما دفع الإنسان إلى دراسة تلك العناصر والظواهر فيها، بحيث أصبح الفصل بينهما أمرا في غايةً من الصعوبة، إذ أنهما يرتبطان في العناصر أولا، والمكان والزمان ثانياً، إلا أن التوسع والتقدم في دراستهما أعطاهما سمة الاستقلال في التخصص والتأثير ومجال البحث.

خاصية التراكم الحراري داخل الأوساط البحرية والمحيطات، أضحت من السمات الأساسية لتحريك عجلة البحث المناخي، خاصة مع بداية سنة 2005. فظاهرة استمرار تنقل الكتل الهوائية الحارة والجافة بشكل عمودي نحو شمال الكرة الأرضية، في مقابل نزوح فوري لكتل هوائية باردة محملة بالتساقطات المطرية على المنخفضات، والثلوج على المرتفعات، من المواضيع المهمة التي دفعت الباحثين والدارسين للاشتغال على مثل هكذا مواضيع، التي تمتاز بالدينامية، وتأثيرها على جل المناطق الواقعة، في مناطق شمال الكرة الأرضية، فالعناصر المناخية لم تعد تتطور وفق النظام المعتاد (الدورة الهوائية، التساقطات المطرية، الحرارة، الظواهر الفصلية...)، بل أصبحت تعرف مسار جديدا يتأطر تحت نظام الدورة الهوائية الطولية.

في إطار الدورة الهوائية الطولانية، وعلاقتها بشمال المغرب (الذي يمثل 75%من مجموع التراب الوطني المغربي)، حيث يوجد ضمن نطاق مناخ انتقالي غير مستقر، فيخضع للنظام المناخي الجاف والحار من الجهة الجنوبية، فهو يكون تحت سيطرة الكتل الهوائية الاستوائية والمدارية، كما يتميز عموما بارتفاع درجة الحرارة طيلة السنة، وتشمل التيارات الهوائية للمناطق الواقعة بين نطاقي الضغط المرتفع فيما وراء المدارين، ونطاق الضغط المنخفض الاستوائي، ونطاق هبوب الرياح التجارية. لكن شمالا، يتلقى شمال المغرب كتل هوائية باردة ومحملة بالرطوبة دو أصل قطبي، فهذا الوضع يجعل مجال الدراسة يعيش نوع من اللا استقرار الجوي. فالعناصر الجوية المتحكمة في الأحداث المناخية الكبرى (ENSO: ظاهرة النينو أو التذبذب الجنوبي)، خاصة بهذه المنطقة مثل "النينيو" (El Nino)، التي تتميز بخصائص جوية مهمة وموجبة من الذبذبة الشمالية الأطلنطية (ONA)، غير أن استقرار الجفاف يكون (العجز المطري) نتيجة هيمنة الدورة الهوائية العرضية (CAZ) خلال فصل البرودة الفلكية (الشتاء). في مقابل ذلك نجد "النينيا" (El Nina) التي تتميز بالمؤشر السلبي للذبذبة الشمالية الأطلنتية والدورة الهوائية الطولية، مع تزامن وفرة التساقطات المطرية والثلجية داخل شمال المغرب (Bouaicha R, 2010, p12-13).

انطلاقا من الخصائص الهندسية (أعراف حارة وأودية باردة: الشكل رقم 5) للدورة الهوائية الطولية، فالمغرب يتأثر بهذه الوضعية بشكل عام، وخاصة منها المجاري المائية الكبرى التي تعد السند الأساسي للتنمية الاقتصادية في البلاد.

I.قاعدة البيانات ومنهجية الدراسة:

1.1 مصدر المعطيات:

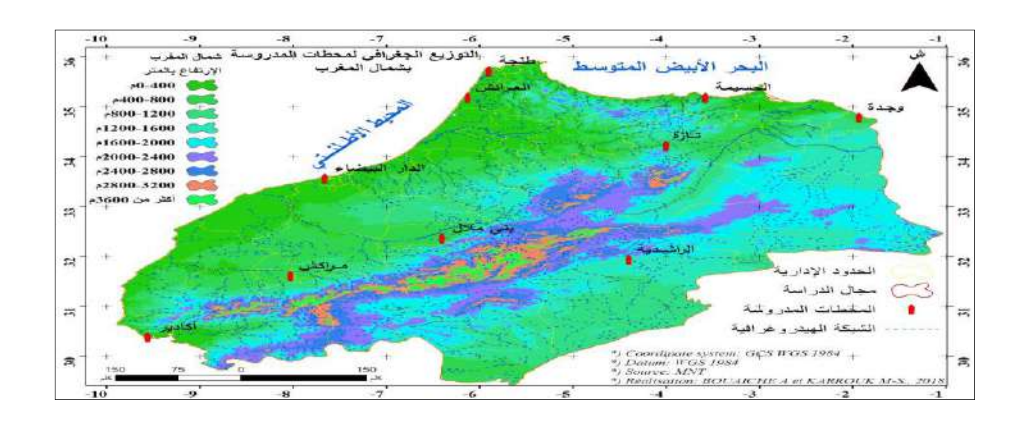
المعطيات المستخدمة في هذا العمل، تم تحصيلها انطلاقا من شبكات الرصد المناخي بالمغرب، وعلى رأسها المديرية الوطنية للأرصاد الجوية، وباقي المصالح الإدارية المتدخلة في عملية تسجيل المعطيات المناخية، بمختلف أنواعها (الحرارة، الرطوبة، مدة التشميس والتساقطات

المطرية...)، بما فيها وكالات الأحواض المائية، ومصالح المياه والغابات، والمندوبيات الإقليمية لوزارة الفلاحة، التابعة أساسا إلى منطقة الدراسة (وكالة الحوض المائي لسبو، أبو رقراق، اللكوس)، إضافة إلى المعطيات المتعلقة بدينامية الغلاف الجوي والتي تم استخلاصها عبر مواقع متخصصة أهمها.(www.wetter3.de , www.wettrzentrale.de) فالهذف من هذه المعطيات الجوية، يكمن أساسا في رصد دينامية الغلاف الجوي، و شكله الطولي في القسم الشمالي من الكرة الأرضية. و مدي تأثيره على البيئة و الإنسان بالمغرب الشمالي. فالإحصائيات المدرجة في هذا المقال، شملت التساقطات المطرية القصوى، منها الشهرية واليومية لعشرة محطات (10)، موزعة بشكل منتظم داخل المجال الترابي لمنطقة الدراسة (الجدول رقم 1)، منها محطات شمولية وأخري مطرية (الخريطة رقم 1)، ولفترة زمنية ممتدة من 2010 إلى غاية 2017.

الجدول رقم 1: المحطات المدروسة وأهم خصائصها الجغرافية

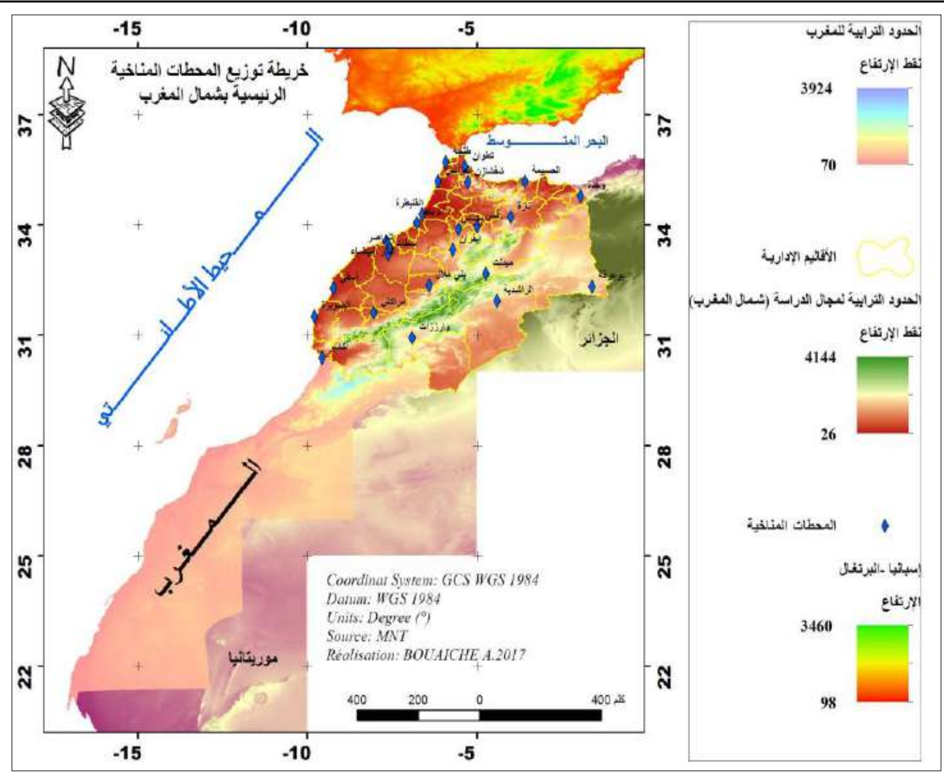
المحطة	نوعها	فترة الرصد	المجال المناخي	X	Y	Z
طنجة	شمولية	2010-2017	شبه الجزيرة الطنجية	35.71	-5.9	21
العرائش	شمولية	2010-2017		35.18	-6.13	47
تازة	شمولية	2010-2017	محطات الجبلية	34.11	-4	510
الحسيمة	شمولية	2010-2017		35.18	-3.58	50
البيضاء	شمولية	2010-2017	المناطق الأطلنتية	33.56	-7.66	62
مراكش	شمولية	2010-2017		31.61	-8.03	466
بني ملال	شمولية	2010-2017		32.36	-4.6	468
وجدة	شمولية	2010-2017	المنطقة الشرقية	34.78	-1.93	470
أكادير	شمولية	2010-2017	الجنوبية والجنوبية الشرقية	30.38	-9.56	23
الراشدية	شمولية	2010-2017		31.93	-4.4	1110

الخريطة رقم 1: خريطة توزيع محطات الدراسة بشمال المغرب



2.1. الإطار الجغرافي لمجال الدراسة:

مجال الدراسة يغطي مساحة مهمة من التراب الوطني، حيث يمثل أكثر من 75% من مجموع المساحة الإجمالية، بما يناهز 335000 كلم^2، وينحصر في زاوية جغرافية مهمة، ما بين 30° و36° درجة شمالا و1°-10° درجة غربا (الخريطة رقم 2)، فهو مجال شاسع، يتميز بكونه نقطة الانتقال بين المنطقة المعتدلة والمنطقة الاستوائية. كما ينفتح على واجهتين بحريتين، المحيط الأطلنطي غربا، والبحر الأبيض المتوسط شمالا. تضاريسا يهيمن على المشهد الجغرافي لشمال المغرب، خاصية الوحدات التضاريسية المتباينة، من الجبال مرورا بالتلال والهضاب، وصولا حتى السهول: فجبال وتلال الريف والأطلسين المتوسط والكبير (4000-3000م)، هي من الوحدات المهمة داخل المجال، لكونها تحتضن 3/1 من ساكنة المغرب (الخريطة رقم 2)، تنتشر هذه الارتفاعات على طول المحور الشمالي الشرقي والجنوبي الغربي، والذي يقسم المجال إلى صنفين: الجزء الغربي والشمالي، يتميز بارتفاعات مهمة ويتأثر بالتيارات المضطربة الشمالية الأطلسية. والجزء الشرقي الذي يتأثر بالتيارات الجافة والحارة، دو أصل جنوبي شرقي (كتل هوائية صحراوية)، غير أن متوسط التساقطات المطرية السنوية، يعرف انحدارا تدريجيا في الكمية المسجلة من الشمال نحو الجنوب، ومن الغرب في اتجاه الشرق. عنصر التساقط المطري على مستوي الإحصائيات يعرف تباين واختلاف في التوزيع، سواء المجالي أو الزماني، فما مقداره 1300 ملم/ سنة نجدها مسجلة في الشمال خاصة بالمرتفعات الجبلية. هذا العامل يساهم بشكل كبير في إغناء الحقينة المائية، سواء كانت سطحية أو باطنية، في حين نجد معدل 150 ملم/سنة بالمناطق الجنوبية الصحراوية. أما فيما يتعلق بالفترة الزمنية لموسم التساقطات المطرية، ووفق التقسيم السنوي للفصول الأربعة، فهو نسبيا يتميز بفترة طويلة من شتنبر-أكتوبر إلى أبريل-ماي خلال هيمنة الدورة الهوائية العرضية. أما أثناء نشاط الدورة الهوائية اللاعرضية، فيمكن لفترة التساقطات المطرية أن تعرف تغيرا في موعد الهطول، فإما أن تكون مبكرة (مثال سنة 2018) أو متأخرة (مثال سنة 2015)، الأمر الذي يجعلنا أمام خاصية تداخل الفصول (هيمنة فصلين فقط على مدار السنة: فصل حار يتميز بارتفاع درجات الحرارة: مثال لسنة 16/2015 وفصل بارد يتميز بوفرة التساقطات المطرية مثال سنة 2018/2017).



الخريطة رقم 2: الإطار الجغرافي لمجال الدراسة

3.1. منهجية الدراسة:

تتطلب الدراسات المناخية في علاقتها مع العوامل التضاريسية، وأثرها على الموارد الطبيعية، أساسا منها المائية. منهجية خاصة تجمع بين نمطين مختلفين، ما يقع في الأجواء العليا (الغلاف الجوي)، ونتائجها على أرض الواقع (الآثار). لذلك فقد اعتمدنا في هذا المقال على منهجية تضم العناصر التالية:

أ) **المنهجية الديناميكية**: الهذف منها يكمن في دراسة، وتحليل مقاطع الغلاف الجوي والوقوف على تمثلات الدورة الهوائية الطولية في القسم الشمالي من الكرة الأرضية. وأثرها على المغرب خلال فصلي البرودة (الشتاء) والحرارة (الصيف) الفلكية. خاصة أثناء الفترة الزمنية الممتدة من سنة 2010 إلى 2017.

ب) **المنهجية الوصفية الإحصائية**: تم الاعتماد على هذه المقاربة، بغية الوقوف على العناصر الإحصائية للتساقطات المطرية المسجلة خلال الفترة الممتدة من 2010 إلى غاية 2017، باستعمال مجموعة من العمليات والأدوات الإحصائية الدقيقة.

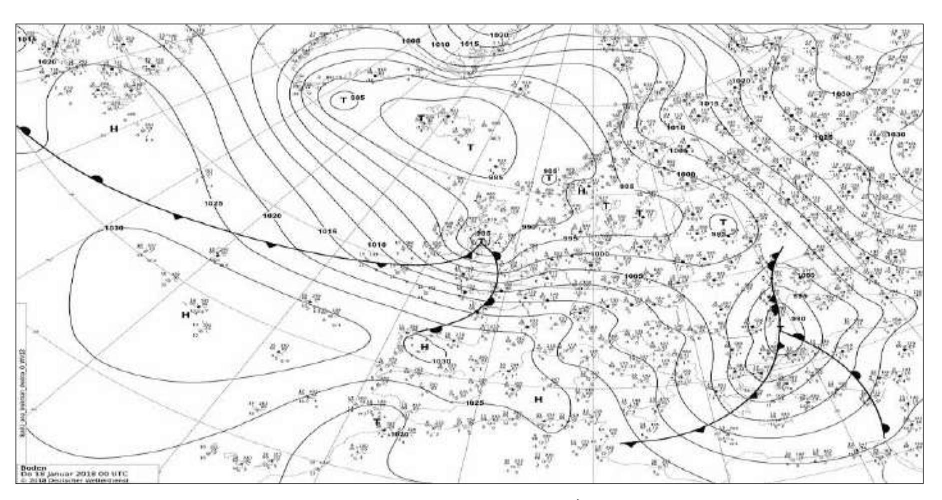
ت) **المنهجية التفاعلية النسقية**: والتي تعتبر من أحدث المقاربات المستخدمة في مجال الدراسات المناخية، إذ تتبني بدورها عنصر النمذجة المناخية، إذن فهي تجمع بين المنهجين السابقين (كيف تأثر التساقطات المطرية على وفرة وندرة الموارد المائية بشمال المغرب؟).

II. نتائج ومناقشات

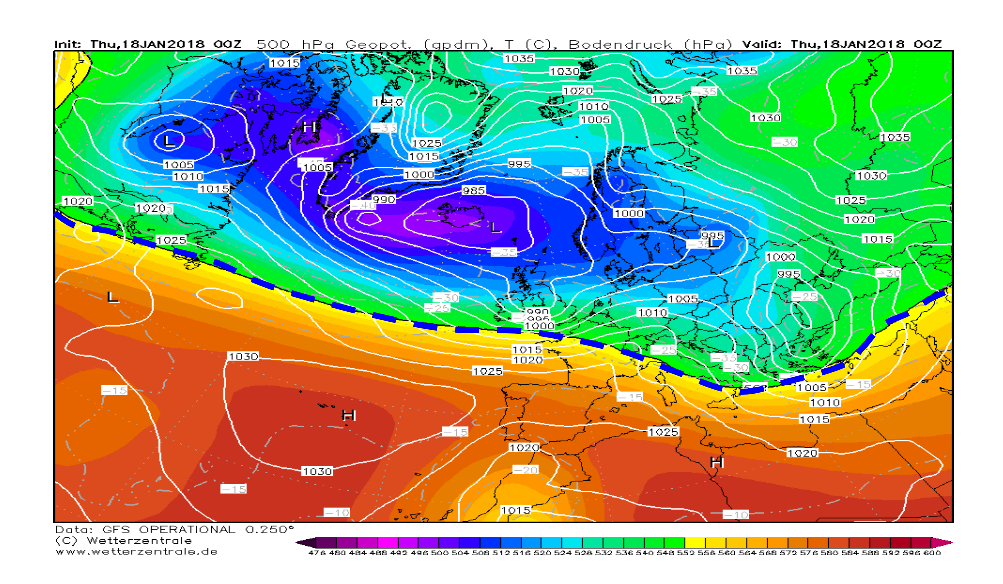
1.2.آليات الدورة الهوائية الطولية في القسم الشمالي من الكرة الأرضية، وعلاقتها بالتساقطات المطرية في شمال المغرب.

1.1.2. الدورة الهوائية في الحالة العادية:

الدورة الهوائية في القسم الشمالي من الكرة الأرضية، تتصف بالتفاوت وكذا التداخل على مستوي الأنظمة الفصلية، سواء كانت عرضية أو طولية، غير أن الغلاف الجوي أثناء مرحلة انسيابه بشكل عرضي (الشكل رقم 1 و2)، والذي يتميز خلال هذه الفترة بحضور فصل بارد، سيما عند وجود تدرج طاقي مرتفع القيمة إما في منطقة الفائض (المنطقة التي تتوفر على درجة حرارة مرتفعة وعادة ما تمثلها النطاقات الحارة)، ومنطقة العجز الطاقي يمثلها القطب الشمالي نظرا لانخفاض درجة الحرارة فيه. فبوجود هذا التنوع والاختلاف بين النطاقات المناخية على سطح الأرض، من شأنه أن يُسهم في التكافؤ الجوي. فانسياب الكتل الهوائية بشكل سريع من الغرب في اتجاه الشرق، الأمر الذي يساهم في الفصل بين المناطق ذات طبيعة باردة والمناطق الدافئة. خاصة على مستوي الجبهات القطبية، وصولا حتى شمال البحر الأبيض المتوسط. أما بالنسبة للحالة الجوية الثانية (دورة هوائية طولية)، فخلال الفترات الحارة وبموازاة وجود تدرج طاقي منخفض وضعيف، تتميز فيه التيارات الهوائية بالبطء مع تجسيد منحى تموجي وملتوي، بشكل طولي، يأخذ مسار شمال-جنوب (من القطب الشمالي وصولا حتى شمال إفريقيا)، ثم جنوب –شمال(انطلاقا من الوسط وصولا إلى شمال الكرة الأرضية)، وبالتالي خلق نشاط مكثف لنقل الطاقة لمختلف مناطق خطوط العرض (الشكل رقم 6 و7).



الشكل رقم 1: خريطة الطقسية للأجواء العليا، وضعية يوم 18 يناير 2018.نموذج لدورة الهوائية العرضية



الشكل رقم 2: خريطة الضغط الجوي عند مستوي 500 hPa يوم 18 يناير 2018 نموذج لدورة الهوائية العرضية

خلال مرحلة البرودة الفلكية (فصل الشتاء)، تعمل الضغوط المدارية الشبه المرتفعة (المرتفع الأصوري) على دفع التيارات من الغرب في اتجاه الجنوب. وبالتالي تحجب ولوج الاضطرابات الجبهة القطبية من الوصول إلى مناطق شمال إفريقيا وإيبيريا، هذا الوضع يجعل المناطق المعنية تعيش حالات من الجفاف، وبالتالي قد يتأثر الإنسان والموارد المائية خاصة إذا استمر لفترة طويلة (مثال سنة 2015)، غير أن أثناء تراجع المرتفع الأصوري، فاسحا المجال أمام الاضطرابات الجوية القادمة من الشمال والمحملة بالرطوبة، مما قد يُسهم في إغناء حقينه الموارد المائية سواء السطحية أو الجوية بشمال المغرب.

2.2 شمال المغرب، مجال جغرافي متنوع يتأثر بالتيارات الطولية، ويقع بين نطاقين مناخيين مختلفين.

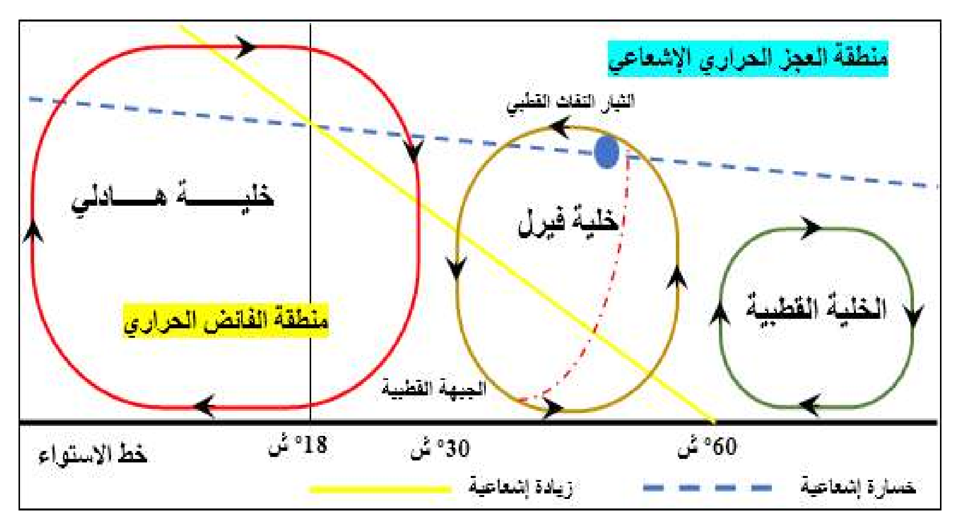
1.2.2 نشأة الدورة الهوائية الطولية في القسم الشمالي من الكرة الأرضية.

على عَكس الدورة الهوائية العرضية، أصبح القسم الشمالي من الكرة الأرضية، يعرف دورة هوائية لا عرضية (طولانية)، وبالتالي تفوق الطولية على الدورة العرضية من حيث التردد خاصة خلال فصل الشتاء. أساسا مع بداية العقد الأول من القرن الواحد والعشرين (2005). فهذه الدورة الهوائية الجديدة، ستفرض كذلك تغير ملامح توزيع الحصيلة المائية على سطح الأرض. فلهذا السبب تعتبر، البيئة هي قمة هرم المنظومات، فكل خلل بها، يؤدي الحال إلى اختلال باقي العناصر الأخرى، هذا الوضع أصبح نتيجة حدوث الإحترار الأرضي، والتي ستستقر معه ميزانية طاقية شمسية جديدة مغايرة للوضع التي كانت عليه (الشكل رقم 3)، غير أن هذه الميزانية الطاقية، تتميز بكونها موجبة (قروق محمد سعيد، 2003)، مما أفضى إلي رفع

درجات حرارة الغلاف الجوي والمحيطات، واللذان يمكن اعتبارهما بمثابة الذاكرة المناخية. فكما هو معلوم يتصف الوسط البحري بقدرته الكبيرة على امتصاص الإشعاع، وتدويره بشكل عمودي وأفقي. ونفس الأمر بالنسبة للغلاف الجوي لكن بدرجة ثانية. وعليه فقد استقر على الأرض دورة مناخية طولية خلال فصل الشتاء، نتيجة وجود عاملين أساسيين:

+ **الوسط البحري** /المحيطي (المائي) أصبح يعرف درجة حرارة موجبة (حرارة عالية ومرتفعة)

+ **الوسط القاري** (الصخري) ليس له نفس قدرة المحيط في الاحتفاظ بالإشعاع الشمسي. ومن هنا يمكن أن ستنتج الاختلاف القائم بين الوسطين معا على مستوي درجة الحرارة.



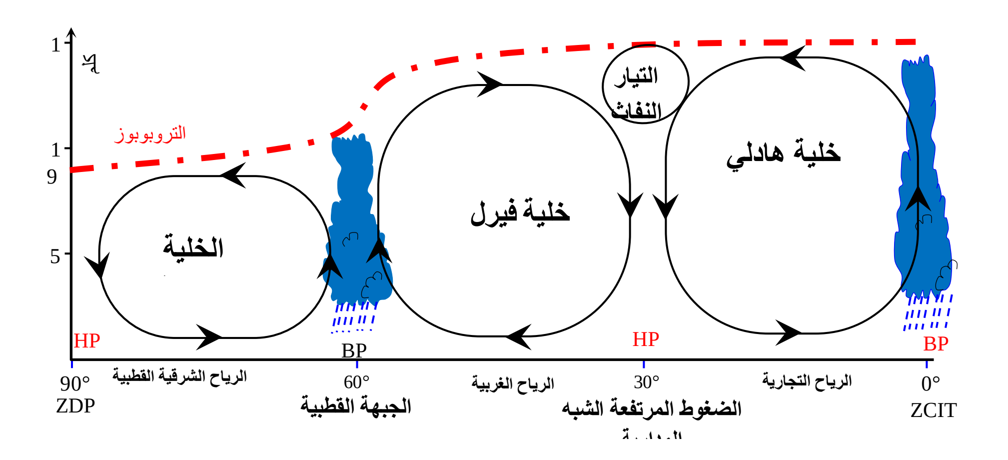
الشكل رقم 3: مقطع طولي من خلايا الغلاف الجوي والفرق في الحصيلة الطاقية الإشعاعية خلال فصل الشتاء. (Karrouk Mohammed Saïd, 2003, 2011 pp 348)

إذا، فهذه الوضعية ستفرض على الدورة الهوائية العامة، أن تتخذ شكلا هندسيا جديدا يغلب عليه طابع الالتواء والتموج، وبوجود اختلاف بين القارة والمحيط على مستوي درجات الحرارة، باعتبار أن المحيط يمثل المحطة الموجبة في هذه المعادلة، ستندفع (الحرارة المحيطية)، نحو شمال الكرة أرضية وتلامس القطب الشمالي، مما سيجعل في المقابل الضغوط المدارية الشبه المرتفعة (هي عبارة عن تراكم للهواء بفعل الطاقة الكبرى ويمكن تسميته بالمرتفع الأصوري الذي يتخذ من عروض المحيط الأطلنتي مقرا دائما له، كما يتميز بالدينامية) تتمدد نحو الشمال. ومن هنا، فهذه الحصيلة الطاقية الشمسية الموجبة في المحيطات ستعطي بنية هوائية جديدة بشكل طولي، فعوض نشاط هذه الكتل من الغرب نحو الشرق، أصبحت تعمل وفق مسار جديد من الجنوب نحو الشمال ومن الشمال في اتجاه الجنوب.

2.2.2 وَقعُ الدورة الهوائية الطولية على شمال المغرب.

تعتبر الدورة الهوائية الطولية، التي تتسم بالتبادلات الطولانية والحركات العمودية/ الرأسية للكتل الهوائية، من الجنوب نحو الشمال ومن الشمال في اتجاه الجنوب (الشكل رقم 4)، عوضا من الغرب بتجاه الشرق (الدورة العرضية) الأكثر شيوعا خلال العقد الأول من القرن الواحد والعشرين (أساسا مع بداية سنة 2005)، بالنصف الشمالي من الكرة الأرضية. فهذه الوضعية

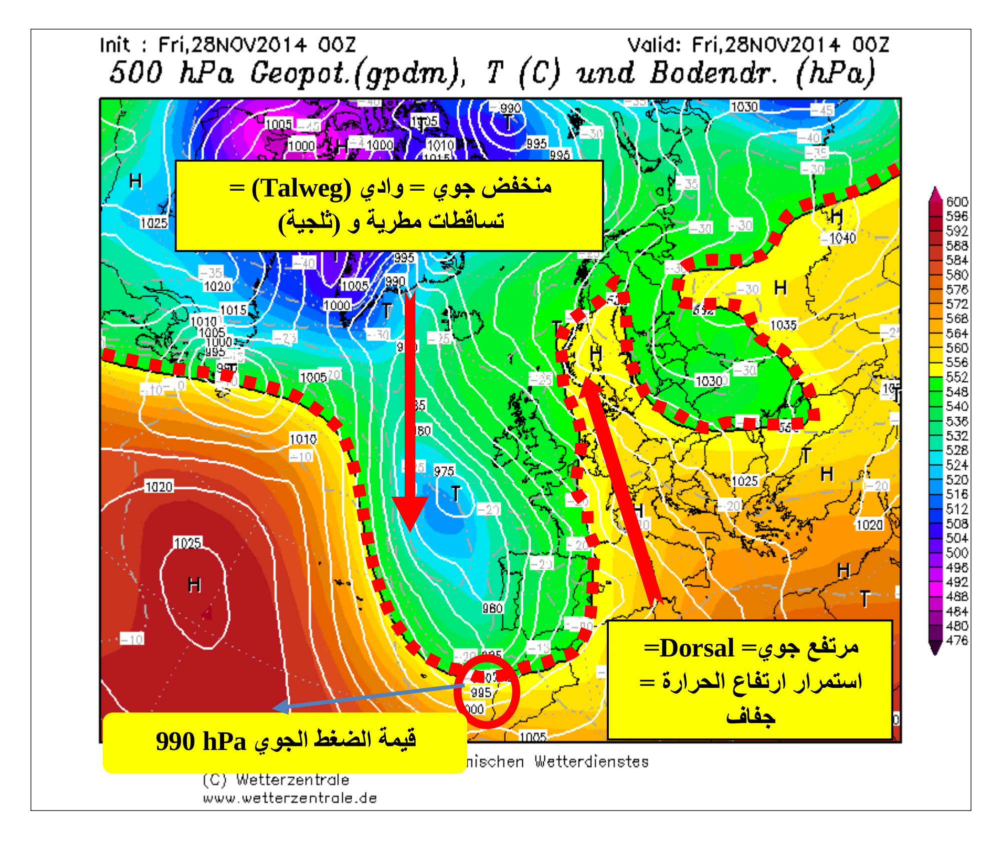
أنتجت توزيع جديد للحصيلة الطاقية-الحرارية على مستوي الأرض، بزيادة اتساع المناطق الحارة البيمدارية (الشكل رقم 3) ونزوحها نحو القطب الشمالي، خاصة على مستوي المحيطات والبحار، الأمر الذي أدي إلى انكماش وتراجع المنطقة القطبية وانتشارها في المجال القاري أساسا عند موسم البرودة الفلكية (يقصد بموسم البرودة الفلكية، فصل الشتاء).



الشكل رقم 4: الدورة الهوائية الطولية في النصف الشمالي من الكرة الأرضية خلال فترة الإعتدال.

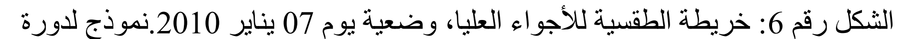
هذا الوضع يفرض دورة هوائية جديدة، بهيمنة التيارات الهوائية الطولية على النظام الشمولي للدورة العامة. فالتدفقات الغربية أجربت المرتفعات الجوية بالمنطقة الاستوائية، على الاندفاع نحو المناطق القطبية. متجاوزة كذلك المنخفضات الجوية التحقطبية. فهذه النشاطات الجوية العميقة، خلفت ظواهر مناخية ملموسة أهمها: وجود أعراف جوية حارة ومستقرة، متبوعة بأودية جوية عميقة وباردة متجسدة في (Talweg). حيث يصل مداها إلى شمال إفريقيا وغرب أوروبا. الأمر الذي سينتج معه حدوث فيضانات (مثال سنة 2014 بوسط وجنوب المغرب عند وصول الضغط الجوي المنخفض أدني مستوياته وقد قدر بـ 989 هيكتوباسكال في المركز، كما اعتبر امتداد للمنخفض الإسلندي العميق)، أو سقوط أمطار على شاكلة ثلوج (مثال نهاية سنة 2017 وبداية سنة 2018 بمختلف أرجاء المغرب: الوسط ومرتفعات الريف والأطلس والهضاب العليا الشرقية)، خلال فصل الشتاء مما يُغني الحصيلة المائية السطحية والباطنية بالبلاد.

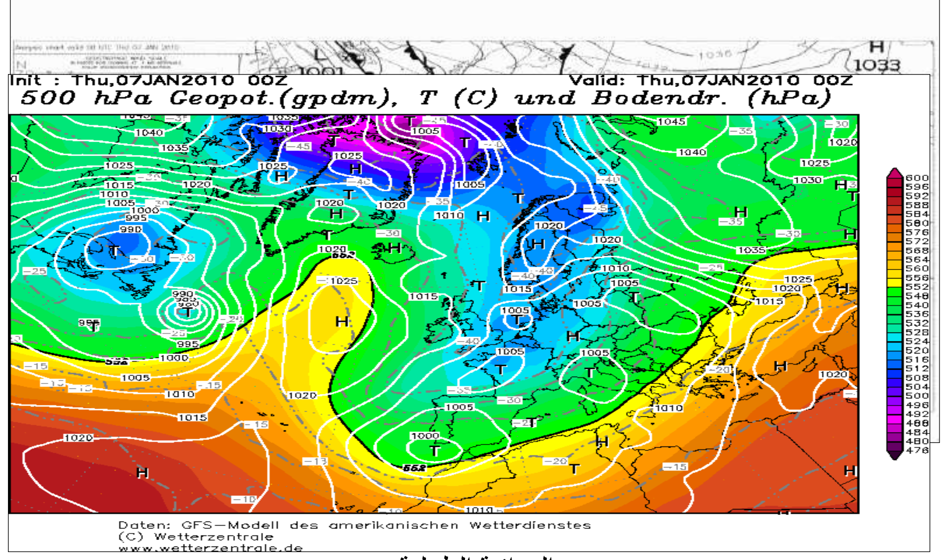
خاصية توالي الأعراف الجافة /والحارة من جهة، ثم الأودية الباردة/ والرطبة (الشكل رقم 5)، يفرض تفاعلات مختلفة على مستوي حصيلة الموارد المائية. كما يتجلى ذلك في الحالات الاستثنائية العنيفة وما يصاحبها من رطوبة جوية خلال هذه المرحلة. وترجمتها إلى تساقطات طوفانيه ومهولة خاصة أثناء فترة الفصول الاعتدالية (حالة كوارث فصل الخريف خلال سنة 2014 بالمغرب)، كما يمكن لهذه الدورة الهوائية الطولية، أن يترتب عنها حدوث جفاف قوي وعنيف بغض النظر عن كون الجفاف بنيوي بالمغرب، إلا أن الأعراف الحارة والساخنة، وكذا استمرارها خارج الفترات الزمانية المخصصة لها (يسمي بالجفاف المهيكل)، قد يؤدي إلى وقوع شح على مستوي الأودية الكبرى، واستنزاف الفرشات المائية الباطنية، عن طريق حفر الآبار وغيرها من السلوكيات المضرة بالمورد المائي. لكن ما يمكن ان تجدر الإشارة إليه هو كون هذه الظواهر المناخية (الحرارة والتساقطات المطرية) قد تتعدي القيم المعتادة وتصبح من الدرجة المتطرفة الأمر الذي يجعلنا نطلق عليها اسم القصوى.



الشكل رقم 5: خريطة جوية عند مستوي 500 هيكتوبسكال ليوم 28 نونبر 2014، الساعة 00h00. تُجَسدُ مظهري توالي الأعراف/الحارة والأودية الباردة بالقسم الشمالي من الكرة الأرضية. (المصدر: http://www.wetterzentrale.de)

الشروط الجوية المصاحبة للدورة الهوائية الطولية. تضع النصف الشمالي من المغرب تحت ميكانيزمات الجفاف الحاد (يدعي بالجفاف المهيكل)، والرطوبة الموجزة والشديدة، واختلافها سواء من الناحية الزمانية أو المجالية، بيد أن هذا التباين يساهم في تغير الحصيلة المائية بالمجال وتوزيعها مما يستدعي معه الأمر إلى التفكير بشكل جدي في حماية وتدبير الموارد.


الشكل رقم 6: خريطة الطقسية للأجواء العليا، وضعية يوم 07 يناير 2010.نموذج لدورة



الهوائية الطولية

الشكل رقم 7: خريطة الضغط الجوي عند مستوي 500 hPa يوم 07 يناير 2010. على الساعة السادسة. نموذج لدورة الهوائية الطولية

3.2 تحليل اتجاه مؤشرات التساقطات المطرية القصوى بشمال المغرب

1.3.2 التوزيع المجالي للتساقطات المطرية القصوى بالمحطات المدروسة في شمال المغرب

لتحليل التساقطات المطرية القصوى بمجال دراستنا، تَم أولا الاستناد إلى تعريف هذه الظاهرة (القصوى)، التي أصبحت تُميز عنصر التساقط المطري خاصة، مع بداية سنة 2005 نتيجة تزايد التراكم الحراري في المحيطات، ومع ظهور أنماط الدورة الهوائية الطولية بالقسم الشمالي من الكرة الأرضية، وترددها بشكل ملحوظ خلال فصل الشتاء، وبالتالي فقد تَغَيَرَ نظَامُ تهاطل الأمطار بعدما أن كانت فقط ظواهر استثنائية، يعيشها مجال الدراسة بين الفنية والأخرى. فالقيم المطرية الشاذة/المتطرفة/ القصوى حديث هذا المقال، تُعتبر وفقا للعديد من الدراسات الحديثة، أحداث مناخية تعدت قيمة عتبة معينة. وغالبا ما يكون لهذه العتبة قيمة مادية وبيولوجية (Rohli and Keim, 1994 ; DeGaetano, 1996)، واستنادا إلى التوزيع الإحصائي الإجمالي لهذه القيم(distribution statistique globale) ، يمكن أن تستمر هذه الأحداث الطقسية المتطرفة، لعدة أيام متجاوزة بذلك العتبة الزمنية والرقمية المحددة لها خلال النظام المناخي المألوف. فعلى المستوي الإحصائي، ظهر ثلة من الخبراء والعلماء في إطار مجموعات علمية، من أجل وضع عتبات إحصائية لعنصر التساقط المطري القصوى وكذلك الحرارة، إلا اننا سنقتصر في هذا

العمل على التساقطات المطرية القصوى. ومن أهمها نجد فريق خبراء كشف عتبات ومؤشرات التغيرات المناخية Expert Team (ET) on Climate Change Detection and Indices ETCCDI. والذي ارتكز على 27 مؤشر بشكل إجمالي كما هو مبين في الجدول أسفله رقم 2 (المؤشرات ستخص فقط التساقط المطري والذي يمثل 12 مؤشر مما مجموعه 27 مؤشر)(Khomsi Kenza, 2014, p 218) .

الجدول رقم 2: مؤشرات وخصائص الظواهر المناخية القصوى من خلال فريق ETCCDI

اسم المؤشر	معنى المؤشر	المصدر
prec90p	90% من إجمالي التساقطات المطرية (ملم/اليوم).	Stardex
R5d	أعلى مجموع من التساقطات المطرية خلال 5 أيام.	Stardex
SDII	مؤشر بسيط للتكاثف اليومي: كمية التساقطات المطرية المتوسطة في يوم ممطر.	ETCCDI
R90T	النسبة المئوية من إجمالي الأمطار انطلاقا من الأحداث المطرية المتراكمة والتي تكون أكثر من 90 في المائة.	Stardex
R90N	عدد الأحداث الإجمالية للتساقطات المطرية < 90% من الأحداث الممطرة.	Stardex
RX1day	أكبر عدد من التراكمات المطرية خلال يوم واحد	ETCCDI
RX5day	الحد الأقصى للتراكمات المطرية خلال 5 أيام.	ETCCDI
R10mm	أيام هطول الأمطار القصوى: بحيث يكون عدد هطول الأمطار أكثر من 10 ملم في اليوم الواحد.	ETCCDI
R20mm	أيام هطول الأمطار القصوى: بحيث يكون عدد هطول الأمطار أكثر من 20 ملم في اليوم الواحد.	ETCCDI
CWD	الحد الأقصى لعدد أيام المطر على التوالي $RR \geq 1$ mm	ETCCDI
R95pTOT	الأخطار الناجمة عن عدد أيام الرطبة أكثر من 90%	ETCCDI
R99pTOT	الأخطار الناجمة عن عدد أيام الرطبة جدا أكثر من 95%	ETCCDI
Stardex : **STA**tistical and **R**egional **d**ynamical **D**ownscaling of **EX**tremes for **E**uropean **R**egions		

استنادا إلى المؤشرات المبرمجة في الجدول أعلاه، والمتعلقة بدراسة عتبات التساقطات المطرية القصوية في شمال المغرب، واهم تطرفاتها. تم اختيار فقط 4 مؤشرات أساسية للقيام بهذه العملية. (Filahi Saïd, 2015, pp468) فجل المعطيات الإحصائية، وعمليات حساب هذه المؤشرات يمكن العثور عليها انطلاقا من الموقع الإلكتروني التالي: (http://etccdi.pacificclimate.org/indices_cal.shtml)

المؤشرات السلبية تبقي محدودة، فيما يخص الحد الأقصى للتراكمات المطرية، خلال يوم واحد (RX1day). باستثناء محطتي طنجة بشبه الجزيرة الطنجية وبني ملال (الجدول رقم 3)، مسجلة بذلك توجها منخفضا بقيمة (-0.0)- (-1.2) ملم. ونفس الأمر بالنسبة لمؤشر الحد الأقصى للتراكمات المطرية خلال 5 أيام بمحطة طنجة. الأخطار الناجمة عن عدد أيام الرطبة أكثر من 90% وأكثر من 95% عرفت اختلافا وتباينا من محطة إلى أخرى، (الجدول رقم 3)، خاصة بالمحطات الرصدية المتمركزة أساسا بالشرق، والجنوب الشرقي من مجال الدراسة. أما فيما يتعلق بمؤشر بسيط للكثافة اليومية، فكمية التساقطات المطرية المتوسطة في يوم ممطر SDII. فقد تميزت بوضعية إيجابية في مجمل المحطات (الجدول رقم3).

الجدول رقم 3: التحليل الإحصائي لمؤشر RX1day، RX5day،R95p وSDII في بعض المحطات الرصدية بشمال المغرب خلال الفترة الممتدة من 2010 إلى 2017.

اسم المحطة	اسم المؤشر المعتمد في التحليل الإحصائي للتساقطات المطرية القصوى							
	RX1day		RX5day		R95p		SDII	
طنجة	-1.2--0.0	⬇	-2.6-0.0	⬇	-4.0-0.0	⬇	0.3--0.9	⇧
العرائش	0.0-1.9	⇧	2.4-5.1	⇧	9.0-35.8	⇧	0.3--0.9	⇧
الحسيمة	4.0-6.7	⇧	5.1-10.8	⇧	9.0-35.8	⇧	0.3--0.9	⇧
وجدة	0.0-1.39	⇧	0.0-2.4	⇧	-4.0-0.0	⬇	-0.4--0.2	⬇
الراشدية	1.9-4.0	⇧	0.0-2.4	⇧	-4.0-0.0	⬇	-0.4--0.2	⬇
تازة	0.0-1.9	⇧	0.0-2.4	⇧	9.0-35.8	⇧	0.3--0.9	⇧
بني ملال	-1.2--0.0	⬇	5.1-10.8	⇧	-4.0-0.5	⬇	0.01-0.3	⇧
البيضاء	1.9-4.0	⇧	5.0-2.6	⇧	9.0-35.8	⇧	0.3--0.9	⇧
مراكش	4.0-6.7	⇧	5.1-10.8	⇧	9.0-35.8	⇧	0.3- -0.9	⇧
أكادير	4.0-6.7	⇧	5.1-10.8	⇧	9.0-35.8	⇧	0.3--0.9	⇧
مفتاح الرموز:اتجاه سلبي للمؤشر (ملم) ⬇ اتجاه إيجابي للمؤشر (ملم) ⇧								

بناء على ما سبق ذكره، ومن أجل تحقيق نتائج إحصائية رصينة، متعلقة بالتساقطات المطرية القصوى في شمال المغرب. وبعد الاعتماد على مجموعة من المؤشرات الرياضية في تحديد عتبات التساقط المطري القصوى (الجدول رقم 3). سنعمل كذلك على تحليل هذا العنصر وفق مقاربة إحصائية متنوعة، ولمدة زمنية كما تمت الإشارة إليها في بداية هذا العمل، تصل إلى 7 سنوات (2010-2017). باستخراج الحالات المطرية القصوية، وعبر تبني طريقة التحليل الترددي Méthode d’analyse fréquentielle . فهذه الطريقة تعمل وفق نسب مئوية متعلقة بحالات السنوات المطيرة. فنسبة التساقطات المطرية بدون تجاوز 85%، تطلق على السنة

الرطبة جدا (تردد رطوبة قصويه). في مقابل أن تردد معدل أقل من 15% هو بالنسبة للسنوات الجافة. بحيث سيتم تطبيق هذه الطريقة سواء تعلق الأمر بالمدي السنوي أو الشهري .(Tramblay Y, 2012, p 114).

فطبقا للجدول رقم 4، التساقطات المطرية القصوى، تعرف نشاطا قويا سواء على مستوي البيئية الجهوية أو حتى المحلية. فمن خلال الفترة الزمنية المدروسة، الأحداث المناخية (المطرية) القصوى، تهم بشكل أساسي المناطق الوسطى والجنوبية والشرقية والشمالية من مجال الدراسة. ومن بين السنوات التي عرفت تردد قوي لهذه الأحداث المتطرفة نجد خلال سنة 2010 خاصة فصل الشتاء (يناير)، ثم خلال سنة 2014 أساسا بالمناطق الوسطي والجنوبية، من مجال الدراسة. حيث خلفت خسائر مادية وبشرية مهمة على إثرها تم تصنيف مدينة كلميم، كمجال "منكوب" خلال فصل الخريف (نونبر). الجدول رقم 4 يعطي فكرة عامة عن حجم هذه العناصر المطرية القصوى.

الجدول رقم4: تحليل التساقطات المطرية القصوى بشمال المغرب وبعض حالاتها الجوية

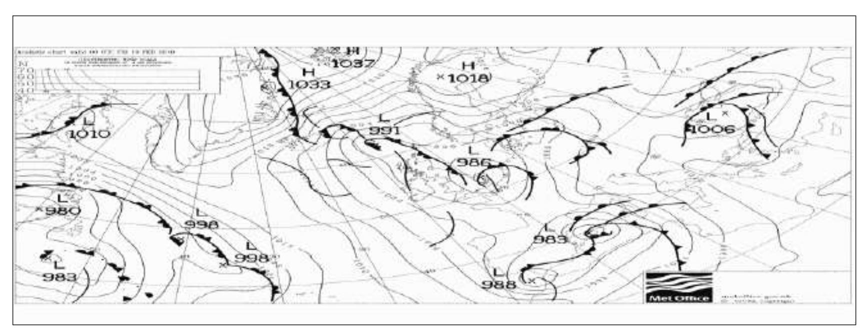
المحطة	يناير 2010 (الخريطة 3 و4)		نونبر 2014(الخريطة 5 و6)		تفسير المؤشر
المؤشر	P**	R/N*(الخريطة 3)	P**	R/N*	P** : مجموع التساقطات المطرية الشهرية. R/N* : Rapport à la normale du mois
طنجة	187.6	3.7	195.6	3.6	
العرائش	159.2	2.5	300	8.6	
الحسيمة	140.2	2.6	34.2	1.3	
وجدة	59.1	1.7	40.9	1.8	
الراشدية	17.4	1.2	20.5	1.1	
تازة	215.4	4.3	95.8	2.3	
بني ملال	87	2.1	127.1	10.1	
البيضاء	131.6	3.4	215.2	8.9	
مراكش	68.7	2.8	141	4.2	
أكادير	93	2.5	299	4.6	

للتصديق على ماهية، وآثر التساقطات المطرية القصوية، فلابد من دراسة قيم الأجواء العليا، بالاعتماد على الخرائط الجوية بجميع أنواعها، سواء التي توجد عند مستوى 500 hPa، أو التي عند مستوى السطح. حيث تعتبر هي المسؤولة عن نشاط الظواهر المطرية المتطرفة، خاصة في ظل بروز دورة هوائية طولية، والتي تم تحصيلها من مواقع إلكترونية متعددة أهمها: www.wetterzentrale.de

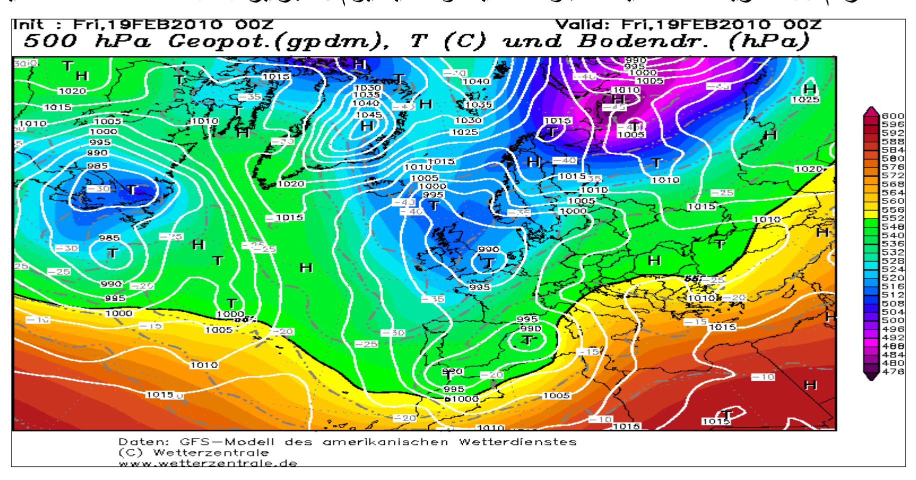
وعلاقة بموضوع الدراسة فقد وقع الاختيار على حالتين، تندرج ضمن النطاق الزمني للدراسة. إحداهما خلال سنة 2010 والأخرى بمعية سنة 2014. وكان السبب وراء اختيار هذه السنوات نابع من الآثار والخسائر المادية والبشرية، التي خلفتها هذه الحالات المناخية (المطرية) المتطرفة في مجال الدراسة، حيث وصلت فيها كمية التساقطات المطرية الشهرية إلى مستويات قياسية لم يتم تسجيلها إلا نادرا (الجدول رقم 4)، ناهيك عن تسجيل نقط ضغطية في الخرائط الجوية، لم يتم تسجيلها خلال القرن العشريين.

وضعية 19 فبراير 2010 (الشكل رقم 8 و9):

تظافرت مجموعة من العوامل الجوية، التي كانت مسؤولة عن حدوث جملة من الخسائر المادية والبشرية، في عدد من مناطق مجال الدراسة. تعزى هذه الحالة الجوية إلى سلسة من الاضطرابات الشمالية، التي وجهها المنخفض الجوي المستقر فوق البحر الأبيض المتوسط الغربي. والمرتبط على مستوي الأجواء العليا، بدورة طولية شمالية تكون على إثرها وادي (Talweg) جوي عميق، امتد من شرق كريلاند وايسلندا إلى شمال المغرب والذي كان يتحرك بداخله هواء قطبي بارد جدا (باحو عبد العزيز،2015، ص19). وقد استمرت هذه الاضطرابات طيلة شهر فبراير (من 19 إلى 22 فبراير 2010). بيد أن شهري نونبر ودجنبر من نفس السنة (2010)، تميز بنشاط سلسة من الاضطرابات العاصفية المرتبطة بتشكل منخفض جوي، فوق خليج "قاديس" نتيجة الاحتكاك بين كتلتين هوائيتين مختلفتين من حيث الخصائص الجوية: كتلة قطبية باردة جدا قادمة من الشمال والشمال الشرقي، مع كتلة مدارية قادمة من الجنوب والجنوب الغربي. ومما زاد من عنف هذا الاحتكاك تشكل وادي جوي في الأجواء العليا، والذي تسرب عبره هواء أركتي بارد جدا، قادم من البلدان الإسكندنافية وشمال سيبيريا (الشكل 8 و9). أما الفترة الممتدة من 23 إلى 29 دجنبر 2010، فقد ميزتها حالات جوية مهمة، ناتجة عن حدوث دورة شبه نطاقية فوق عروض المغرب. مما أدي إلى تعاقب سلسة من الاضطرابات الجوية الغربية، والجنوبية الغربية والشمالية الغربية القادمة من وسط المحيط الأطلنطي، مما تسبب في هطول أمطار قصويه، نتج عنها حدوث فيضانات في مختلف أرجاء مجال الدراسة ووصول نسبة ملء السدود إلى 87.99%، الأمر الذي أدي إلى إغناء حصليه الموارد المائية السطحية والباطنية. في مقابل ذلك نجد أن توالي الأحداث المناخية خاصة منها المطرية المتطرفة، ترتبط بشكل جلي بالدورة الهوائية الطولية، التي تتجسد بالقسم الشمالي من الكرة الأرضية. حيث تعرف مختلف المناطق الواقعة بشمال افريقيا وأوروبا الشرقية، تأثرا بارزا خلال فصل البرودة الفلكية، مما ينتج عنه إما استمرار ظاهرة الصقيع، أو هيمنة فيضانات نتيجة تردي أوضاع البنية التحتية. كما يمكن وقوع نوع من الجفاف المهيكل، الذي يتجاوز الفترة المخصصة له ضمن الإطار المناخي السنوي خاصة في النطاق المتوسطي (رباعية الفصول).



الشكل رقم 8: الخريطة الطقسية للأجواء العليا، وضعية يوم19فبراير 2010 عند منتصف الليل



الشكل رقم 9: خريطة الضغط الجوي عند مستوى hPa500 ، ليوم 19 فبراير 2010، الساعة 00h00

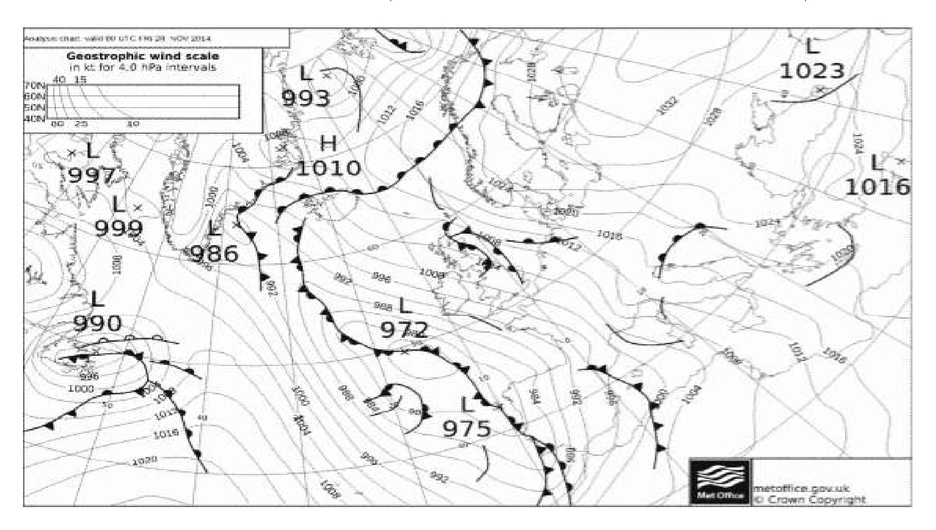
وضعية 28 نونبر2014(الشكل رقم 10 و11)

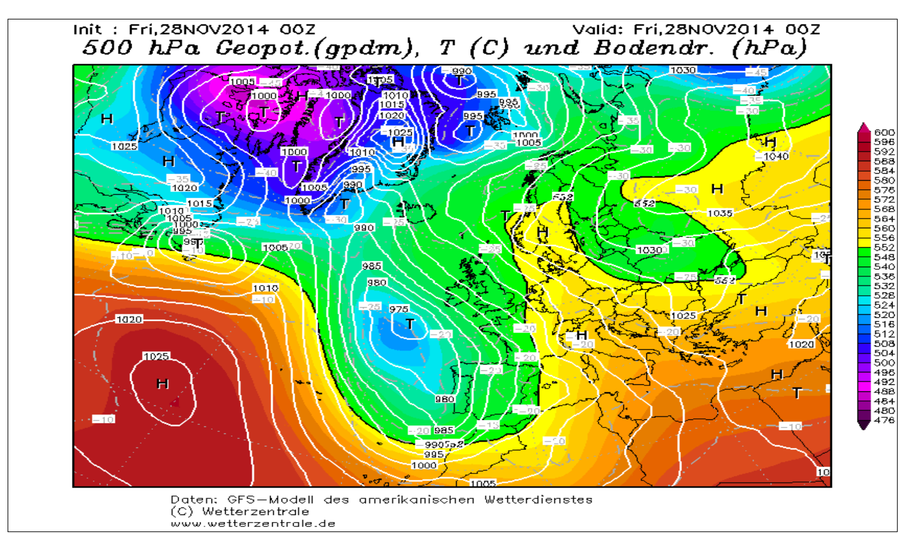
بالرجوع إلى الأجواء العليا، والقيام بتحليل ودراسة مسار الكتل الهوائية ونشاط الجبهات الجوية عبر الأقمار الاصطناعية المتاحة. يتبين لنا أن الفترة الزمنية (2014/11/28) جد نادرة وقوية خاصة في ظل نشاط الدورة الهوائية الطولية. إذ يلاحظ انكماش وتراجع مرتفع الأزور نحو الجنوب الغربي. حيث أصبح في حالة منعزلة عن مرتفع جوي مستقر فوق الأجواء العليا لأروبا الشرقية وروسيا. هذا الأخير منع منخفض جوي يدعى " اكسندرا ‘‘المتمركز فوق المحيط الأطلنطي من التحرك نحو الغرب في إطار دورة هوائية نطاقية، وأجبره على التحرك نحو الجنوب في اتجاه المغرب على شكل كتل هوائية رطبة وباردة، في إطار وادي جوي عميق الدي يعتبر امتداد للمنخفض الإسلندي بلغ فيه الضغط الجوي أدني مستوياته، حيث كانت قيمته 989 hPa في المركز. غير أن هذه القيمة المنخفضة لا يعرفها المغرب إلا مع نشاط الدورة الهوائية الطولية، وفوق ايسلاندا والجزر البريطانية (رمان عبد اللطيف، 2015، ص 13) .حالة 28 نونبر 2014 تميزت كذلك بتدفق قطرة هوائية جد باردة، نحو وسط وجنوب المغرب بفعل انخفاض سرعة التيار النفاث، وانثنائه نحو الجنوب على شكل مقعر. وهي وضعية جوية

متطرفة، ناتجة عن خلل في نظام الدينامية الهوائية المرتبطة بالذبذبة الشمالية الأطلنتية(ONA)، حيث نادرا ما تصل القطرة الهوائية الباردة إلى هذه المستويات الدنيا من خطوط العرض. فهذه الوضعية خلفت مجموعة من الآثار أهمها، تساقطات مطرية مهولة بوسط وجنوب المغرب.

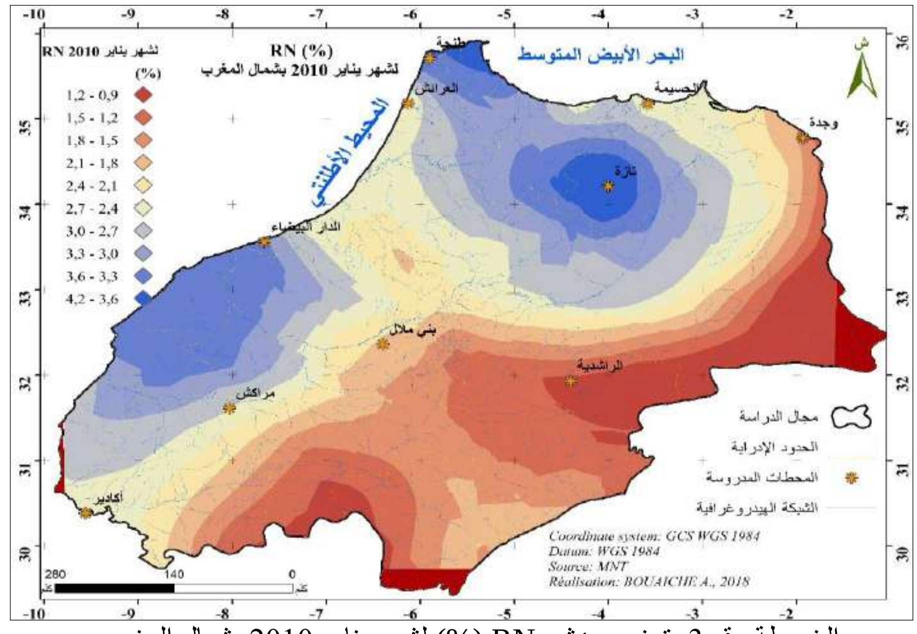
والتي أصبح يعرفها المغرب بين الفنية والأخرى كلما ظهرت أنماط الدورة الهوائية الطولية، في القسم الشمالي من الكرة الأرضية (الشكل رقم 10 و11).

الشكل رقم 10: الخريطة للأجواء العليا، وضعية يوم 24 نونبر 2018، الساعة 00h00



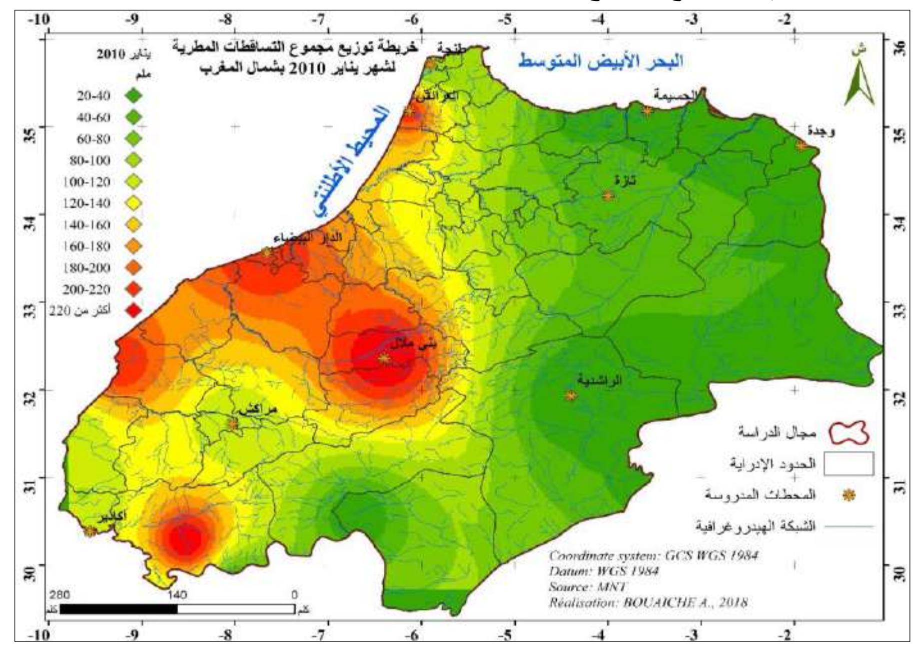


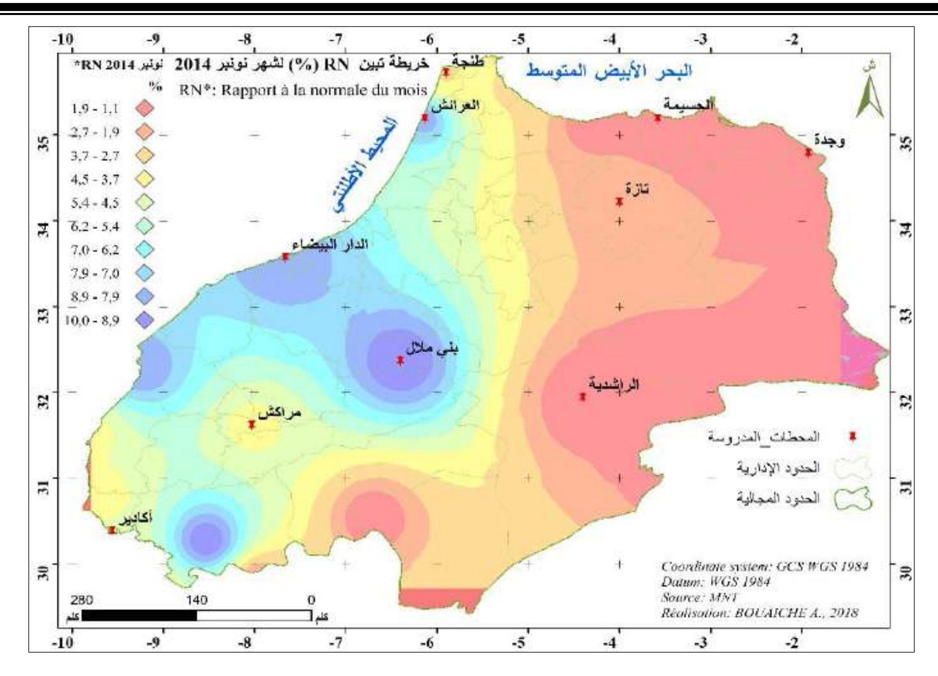
الشكل رقم 11: الخريطة الضغط الجوي عند مستوى 500 hPa، وضعية يوم 28 نونبر 2014، الساعة 00h00



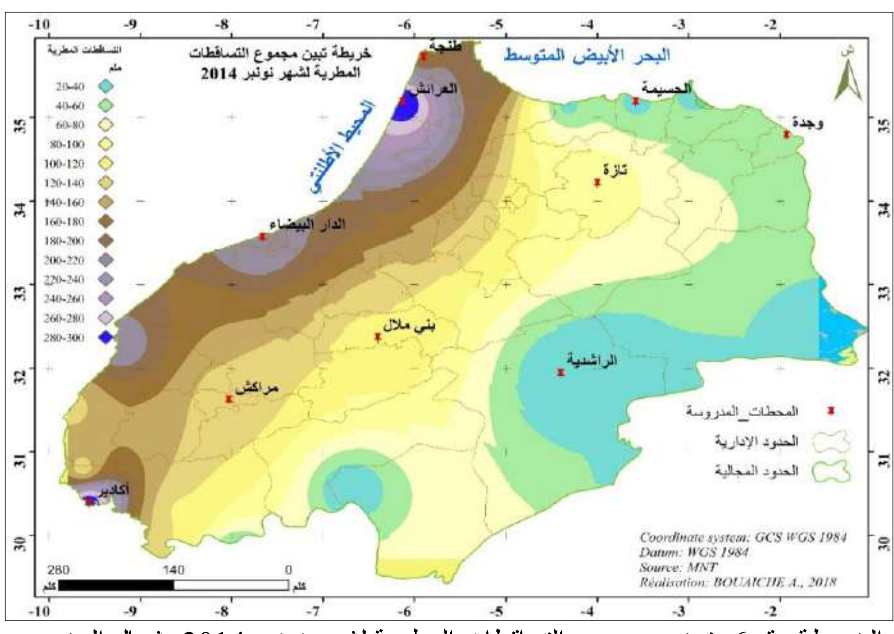
الخريطة رقم 3: توزيع مؤشر RN (%) لشهر يناير 2010 بشمال المغرب

الخريطة رقم 4: توزيع مجموع التساقطات المطرية لشهر يناير 2010 بشمال المغرب





الخريطة رقم 5: توزيع مؤشر (%) RN لشهر نونبر 2014 بشمال المغرب



الخريطة رقم 6: توزيع مجموع التساقطات المطرية لشهر نونبر 2014 بشمال المغرب.

خاتمة

تغيرت سمات الدورة الهوائية العامة، وأصبحت تتخذ الشكل الطولي بالقسم الشمالي من الكرة الأرضية خلال فصل الشتاء حيث أصبحت تتردد بشكل أكثر ما هو عرضي. هذا التغير أثر

بشكل واضح على التوزيع المجالي والزماني للحصيلة المائية فوق سطح الأرض. نتيجة الاختلاف الواضح في كمية الطاقة الإشعاعية الواصلة إلى الأرض والمختزنة فيها. هذه الدورة الهوائية الجديدة أضحى يترتب عنها مجموعة من الأحداث المناخية، التي يمكن وصفها بالمتطرفة وعلى رأسها التساقطات المطرية. فمجال الدراسة (شمال المغرب)، يتأثر كغيره من المناطق الجغرافية الأخرى بهذه الظواهر، والتي يمكن أن تكون إيجابية (إغناء المجال بالموارد المائية بنوعيها) أو سلبية (استمرار الجفاف، واستنزاف الموارد المائية). فتوالي الأعراف الحارة والأودية الباردة من السمات الأساسية للدورة الهوائية الطولية. غير أنه عند هيمنة النوع الأول، يمكن لمجال دراستنا أن يتأثر بارتفاع درجات الحرارة خلال مدة زمنية معية (الجفاف المهيكل)، أما إدا تجاوز الفترة الزمنية المخصص له (الجفاف المزمن) فسيؤثر لا محال عن أنماط الحياة الاقتصادية والاجتماعية. لكن عند بروز الأودية الرطبة، هذا الوضع يؤدي إلى تهاطلات مطرية مركزة في الزمان والمكان، وظهور مجالات جغرافية يطغى عليها مشهد الفيضانات، كما هو الحال لسنة 2014 بوسط وجنوب المغرب.

قائمة المراجع:

1. عبد العزيز باحو (2015)،" الخصائص الهيدرومناخية لبعض الفيضانات الكارثية وعلاقتها بدينامية الطقس والدورة الهوائية بالمغرب"، ملخصات الملتقي الوطني الرابع للجغرافيين المغاربة حول موضوع "دروس كوارث خريف 2015 بوسط وجنوب المغرب ."جامعة محمد الخامس-الرباط .كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكدال-الرباط.

2. عبد اللطيف رمان (2015)، "التساقطات المطرية الاستثنائية التي عرفها وسط وجنوب المغرب في شهر نونبر 2014، أسبابها والنتائج المترتبة عنها من خلال نموذج مدينة أكادير"، ملخصات الملتقي الوطني الرابع للجغرافيين المغاربة حول موضوع" دروس كوارث خريف 2015 بوسط وجنوب المغرب ."جامعة محمد الخامس-الرباط .كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكدال-الرباط.

3. Bouaicha, R. Benabdelfadel, A. (2010). "Variabilité et gestion des eaux de surface au Maroc". *Sécheresse*, 21, 1-5.

4. DeGaetano, A. T. (1996) "Recent Trends in Maximum and Minimum Temperature Threshold Exceedences in the Northeastern United States". Journal of Climate 9:1646-1660.

5. Filahi Saïd, (2015)" Tendance et variabilité des évènements extrêmes au Maroc". XXVIIIe Colloque de l’Association Internationale de Climatologie، Liège 2015.

6. Karrouk M-S, (2003). "Dynamique des climats du Maroc", Thèse de doctorat d’état, Faculté des lettres et des sciences humaines Ben m’scik, Université Hassan II- Casablanca.

7. Karrouk, M.S, (2003 ; 2011). "Dynamique des climats du Maroc : genèses, évolutions et développement des phénomènes, espaces, et milieux climatiques". Éditions universitaires européennes, südwestdeutscher verlag fur hochschulschriften gmbh & Co. kg, ISBN : 978-613-1-55761-3, Sarrebruck.

8. Khomsi Kenza. (2014), "variabilité hydroclimatique dans les bassins versants du bouregreg et du tensift au Maroc : moyennes, extrêmes et projections climatiques". Thèse de doctorat. Faculté des Sciences Mohamed V. Rabat, pp 250.

9.Rohli, R. V. Keim, B. D. (1994), "Spatial and Temporal Caractéristiques of Extreme-High-Summer-Temperature Events in the South-Central United States". *Physical Geography*15:310-324.
10.Tramblay Y., Badi W., Driouech F., El Adlouni S., Neppel L., Servat E., (2012). "Climate change impacts on extreme precipitation in Morocco", Global Planet. Change, 82-83, 104-114.

العلاقات الحضرية الريفية: حالة إقليم جرسيف

The rural urban relations : Guercif province's case

أ. امحمد بودواح، جامعة بن طفيل- المغرب

أ. محمد شعبان، جامعة بن طفيل- المغرب

ملخص: ينصب هدا المقال في دراسة العلاقات الحضرية الريفية بين مدينة جرسيف واقليمها والتي تؤدي إلى ظهور جغرافية خاصة ثلاثية الأبعاد: المركز، التيارات، دائرة النفوذ، وذلك من أجل تحديد دور مدينة جرسيف في تنظيم مجالها الإقليمي، من هذا المنطلق سأحاول من خلال المحور الأول التعرف على الأصل الجغرافي لسكان مدينة جرسيف من خلال تيارات الهجرة داخل الإقليم والاقتصار في المحور الثاني على دراسة إشعاع الأنشطة الخدماتية داخل إقليم جرسيف نفسه والتمييز فيها بين إشعاع الخدمات العمومية والخدمات الخدمات الخاصة، ثم في المحور الأخير تحديد دائرة نفود مدينة جرسيف وإبراز دورها في تنظيم المجال.

الكلمات المفاتيحة: المركز، التيارات، دائرة النفود، الاستقطاب

Abstract: This article studies the relations between Guercif city and its province which lead to the emergence of a special geography with three dimensions: the center, cureents, influence circuit in order to determine the role of Guercif city in the organization of its provincial sphere.

From this point,I will try in the first topic to define the geographical origin of Guercif population taking into account the migration streams within the province, and to focus in the second topic on the study of the flourishing service activities within the province of Guercif itself be they public or private. The last topic will be devoted to determine Guercif city's influence circuit and clarify its role in the organization of the sphere.

Keywords: center, currents, influence circuit /circuit flout, polarization.

مقدمة:

تعتبر ظاهرة العلاقات الحضرية الريفية من الظواهر القديمة التي رافقت تطور البشرية بشكل عام. "ولا تقتصر فقط على الدول الصناعية، لكن أيضا موجودة في الدول النامية خصوصا مع بداية الخمسينيات من القرن الماضي، عندما شهدت هذه الدول الانفجار الديمغرافي، ايقاعا حضريا يطغى علية الطابع الفوضوي ثم تأثير الهجرة القروية " (Aourik Mohamed,1985,p91)وبالتالي فإن تعقد الظاهرة الحضرية وتشعب تدخلاتها وما رافقه من إختلالات وتباينات، " جعل المدينة في صلب انشغالات المؤسسات والهيئات دوليا ووطنيا، لأنها أصبحت تجسد رهانات متعددة اقتصادية، اجتماعية، تدبيرية استراتيجية، فالمدينة كيان حضري يضم عدة وظائف ومجال قادر على استقطاب استثمارات وخلق مناصب شغل وإحداث تمازج اجتماعي وهذا مرتبط بإشعاع المدينة وقدراتها في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والخدماتية بحيث أن مجهودات تأهيل المدينة تشكل عاملا فعالا في تحويلها لمركز جدب واستقطاب"(حميد القستلي، 2013 ص119)، أما بالنسبة لمدينة جرسيف فهي تتمتع بأهمية إقليمية متواضعة من خلال ما تقدمه من وظائف وخدمات لمناطق نفوذها، إضافة إلى التجاذب مع المراكز الحضرية الأخرى، بحكم موقعها الجغرافي المتميز على الطريق الوطنية رقم 06 والتي تربط شرق المملكة مع غربها وكونها المركز الحضري الوحيد في إقليم شاسع يتكون من تسع جماعات قروية، مما أكسب المدينة أهمية كبرى داخل الإقليم ككل. فكيف تساهم إذن مدينة جرسيف في تنظيم مجالها الإقليمي؟

I. جرسيف قطب جدب ديمغرافي نشيط

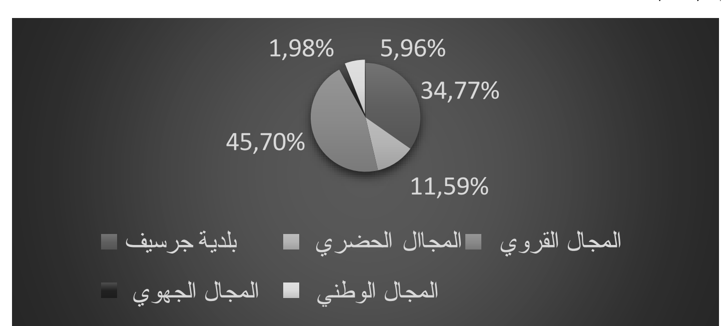
لا يقتصر إهتمام العلاقة الوظيفية بمركز المدينة فقط بالمجال الحضري لكن بكامل الإقليم وهي تعد صفة إضافية للأدوار التي تقوم بها مكونات النظام المركزي وتسمح طبيعة هده العلاقة من إعادة ترتيب المراكز تبعا للخصوصيات الاجتماعية والحضرية. (فؤاد بن غضبان، 2013، ص35) هكذا أصبحت الدراسات الحديثة لا تفصل بين المدينة والمركز القروي فهناك استمرارية، وإذا كان هذا التصور مقبول في الدراسات الغربية بحكم التشابه الكبير بين المركز الحضري والقروي من حيث نمط العيش والبنيات التحتية، ففي بلادنا أعتقد أن التمييز واقع محسوس فهناك تباين صاروخي بين الظاهرتين إلى درجة أن القرية أصبحت مجال طرد ونفور للسكان نتيجة المعاناة التي يعيشونها، وبصدد العلاقة بين المدينة والبادية كشكلين محددين لتقطيع المجال

"تحدثنا الأدبيات الماركسية عن طبيعة معينة لهذه العلاقة، علاقة استغلال المدينة للبادية عبر تراكم الرأسمال المادي والبشري والرمزي في المدينة واستيلاء هذه الأخيرة على فائض القيمة على حساب البادية"(قيس مرزوق ورياشي، 1988، ص63)، فالتميز يعتمد على معايير بنيوية تفصل بين الريف والمدينة فكل ظاهرة لها خصوصيتها من حيث نمط الحياة والتجهيز والعقليات والمشاكل الاجتماعية والاقتصادية أما بالنسبة لمدينة جرسيف فهي تعتبر من المدن المغربية المتوسطة التي تتميز بموقع جغرافي متميز كما أشرنا إلى ذلك سابقا مما يجعل منها قبلة لمجموعة من السكان النازحين من الأرياف المجاورة وكذلك من المجال الجهوي للمدينة وحتى الوطني ولو بنسب ضعيفة.

1. الأصل الجغرافي لسكان مدينة جرسيف

يعبر الأصل الجغرافي لسكان مدينة جرسيف عن مدى إرتباط ساكنة الأرياف المجاورة بالمدينة وكذا لما توفره المدينة من نشاط لهذه الساكنة من جهة ثم كإفراز موضوعي للصراعات القبلية التي كانت سائدة بين قبائل المنطقة.

الرسم رقم (01): الأصول الجغرافية للساكنة المكونة لمدينة جرسيف



المصدر: الجماعة الحضرية لمدينة جرسيف

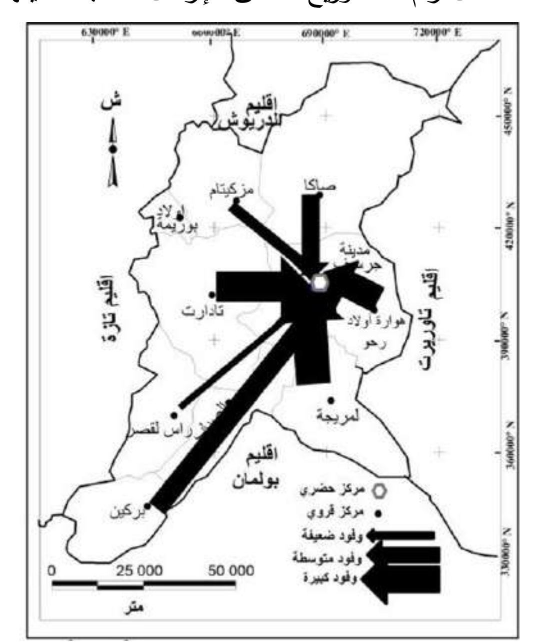
نلاحظ من خلال هذه المعطيات (الرسم رقم 1 أعلاه) أن أغلب سكان المدينة هم في الأصل من البوادي المجاورة والتي تشكل لهم مدينة جرسيف منطقة جذب للبحث عن مصدر رزقهم وتحسين ظروف معيشتهم حيث يمثلون45.70% من مجموع سكان المدينة، بينما نسبة 34.77% أي ثلث السكان فقط هم في الأصل من مدينة جرسيف وهو ما يرهق كاهل المدينة

التي تصبح مطالبة بتوفير حاجيات الوافدين وضمان العيش الكريم لهم أما المجال الجهوي والوطني فتبقى نسبهم ضعيفة % 1.98 ثم 5.96% على التوالي.

2. تيارات الهجرة داخل إقليم جرسيف

خلال دراستنا لظاهرة الهجرة داخل إقليم جرسيف إعتمدنا على دراسة ميدانية قامت بها الوكالة الحضرية لجرسيف سنة 2011 وهنا سنقوم فقط بالاعتماد على معطيات جاهزة قمنا بجلبها من الوكالة الحضرية لجرسيف.

الشكل رقم01: توزيع مناطق الإرسال حسب أهميتها



المصدر: دراسة ميدانية للوكالة الحضرية بجرسيف.

يتبين من خلال الشكل رقم (01) أسفله أن جماعة لمريجة القروية هي التي تتصدر القائمة في نسبة الهجرة القروية إلى مدينة جرسيف بنسبة 24.3% من مجموع الوافدون على مدينة جرسيف، ثم تليها جماعة تادارت بنسبة 19.9% من مجموع الوافدون على المدينة أما جماعة هوارة أولاد رحو فتاتي في المرتبة الثالثة ثم بعد ذلك جماعة بركين بنسبة 16.2%، صاكا 11%، راس لقصر 1.5% أن وجود جماعات قروية وهي مناطق إرسال مهمة لمدينة جرسيف دليل واضح على عدم وجود أنشطة مدرة للدخل في هذه الجماعات مما يحتم على سكان هذه المناطق الهجرة إلى المدينة للبحث على موارد أخرى لتحسين مستواهم الاقتصادي.

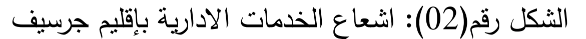
وبالتالي فإن مناطق الطرد الكبيرة هي جماعة لمريجة، تادارت، هوارة أولاد رحو أما مناطق الطرد المتوسطة هي بركين، صاكا أما مناطق الطرد الضعيفة هي جماعة مزكيتام ثم صاكا أما جماعتي الصباب وأولاد بوريمة فلم تسجل فيها أية نسبة للنزوح القروي خلال سنة 2011. هذا النزوح القوي في بعض الجماعات يرجع إلى عدم توفر فرص الشغل وبالتالي ارتفاع مهول لنسب البطالة بهذه الجماعات، هذا لا يعني أن الجماعات الأخرى توفر فرص الشغل وإنما هي مسألة الارتباط بأرض الأجداد ومجموعة من العادات والتقاليد المرتبطة بذلك.

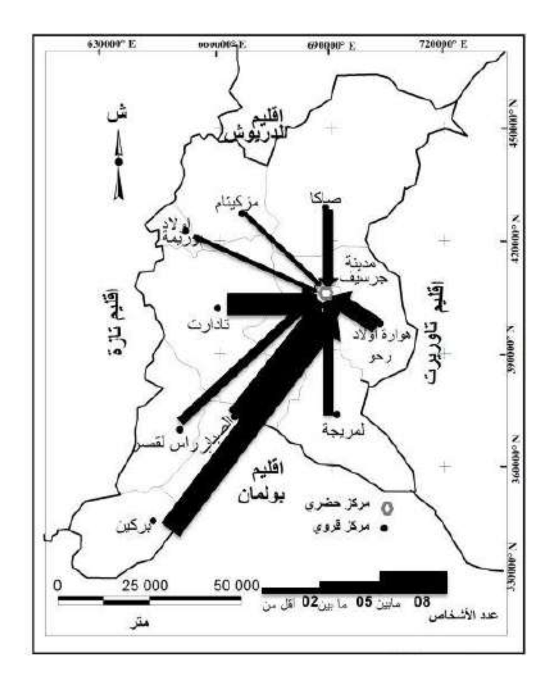
II. إشعاع الأنشطة الخدماتية بمدينة جرسيف

تلعب أنشطة القطاع الثالث دورا هاما في تنظيم الحياة الاقتصادية والاجتماعية داخل المدينة لما تقدمه من خدمات لسكانها لا سواء الخاصة أو العامة منها، وبالتالي فهي تلعب بذلك دورا مهما في تنظيم المجال من خلال ما ترسمه من تيارات بين المراكز التي تتواجد فيها هذه الخدمات والأماكن التي يتواجد فيها مستعملي الخدمة أو المستفيدين منها وبالتالي فهي تساهم في تنظيم المجال من خلال المراكز التي تحتوي أو تؤطر هذه الخدمات هذه الأنشطة تشكل مقياس لوضع ترتيب المدن وتعكس قدرة أي مدينة على تنظيم مجالها فكلما استطاعت المدينة أن تكون شاملة في خدماتها إلا وزادت استقلاليتها عن غيرها من المدن واتسعت رقعة إقليمها"(الرفاص محمد، 2000، ص28)، وتتطلب معرفة الصورة المثلى لتوزيع مراكز الخدمات بالشكل الدي يحقق تطلعات الدول ورغبات الأفراد لمعرفة العديد من الجوانب ذات العلاقة المباشرة بهذا الحقل من الدراسة والتي أوضحها jakly، وهي: التوسط في توزيع الخدمة، إمكانية الوصول إلى الخدمات، الأمثلية في أهمية الخدمة اللامركزية في توزيع الخدمة(فؤاد بن غصبان، 2013، ص17).

1.إشعاع الأنشطة الخدماتية العمومية: هي جميع الخدمات التي ترتبط بالوظيفة المالية للدولة وتعتبر خدمات في خدمة العموم لأن السكان هم الذين يتحملون مصاريفها بطريقة غير مباشرة أي الضرائب وبما أن هذا القطاع لا يؤدي عنه المستعملون مباشرة فإنه يتواجد في أماكن مختلفة من حيث مستويات العيش، ومن أجل تشخيص وتحليل هذا النوع من الخدمات في مدينة جرسيف إرتأينا دراسة ثلاثة أنواع منها: الخدمات الإدارية، الخدمات الصحية ثم الخدمات التعليمية.

1.1 إشعاع الخدمات الإدارية: الخدمات الإدارية نقصد بها الخدمات الإدارية المتعلقة بمختلف الوزارات (الإدارات العامة والإدارات المتخصصة)(Michel. Rochefort, 1976, p09) وبإعتبار مدينة جرسيف مركز حضري صغير، إن لم نقل متوسط فإنه لا يتوفر على أكبر الإدارات التي تمثل السلطة العمومية من وزارات وإدارات عامة لذلك من أجل تشخيص واقع هذه الخدمات الإدارية اعتمدنا على عمالة جرسيف وبالضبط مصلحة العمل الاجتماعي وقمنا بالاطلاع على عدد الأفراد الذين تم استقبالهم مدة أسبوع واحد· من أجل الاستفادة من خدمة هذه المصلحة كما يبين ذلك الشكل أسفله.


الشكل رقم(02): اشعاع الخدمات الادارية بإقليم جرسيف



المصدر: بحث ميداني 2015

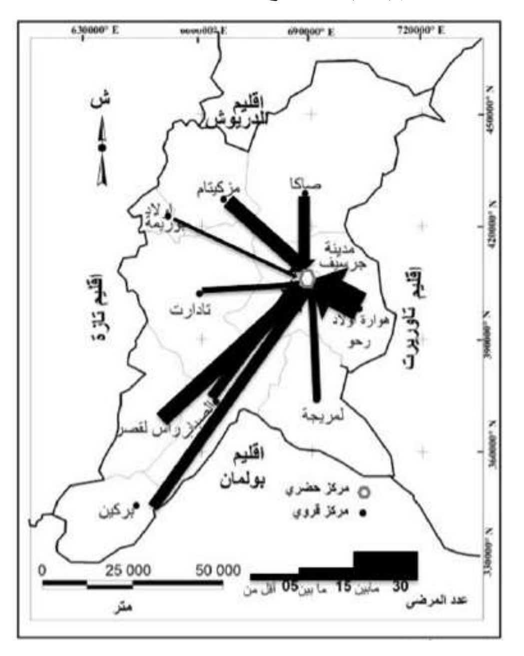
من خلال الشكل رقم(02) نلاحظ أن جماعة بركين وهي أبعد جماعة تقريبا عن مدينة جرسيف هي التي تتصدر القائمة ب 8 أشخاص أي بنسبة 16,3% من مجموع الأشخاص ثم بعد ذلك جماعة تادارت بنفس النسبة الأولى، وبعد ذلك هوارة أولاد رحو والصباب 6 أشخاص بالجماعة أي بنسبة 12,2% من مجموع الأشخاص الذين تم استقبالهم خلال أسبوع في هذه

المصلحة، أما باقي الجماعات فتبقى نسبها ضعيفة ومحصورة ما بين 10% بجماعة لمريجة و4% بجماعة أولاد بوريمة.

2.1 إشعاع الخدمات الصحية العمومية. (المستشفى الاقليمي لجرسيف): الخدمات الصحية مطلب أساسي لكل إنسان في الحياة، تسعى المجتمعات الإنسانية إلى تحقيقه هما اختلفت نضمها السياسية والاقتصادية وتعتبر الخدمات الصحية سلعة اقتصادية غير ملموسة شانها شان السلع الخدمية الأخرى، (فؤاد بن غضبان، 2013، ص191)، أما بالنسبة لمدينة جرسيف فإن الخدمات الصحية العمومية المتمركزة بمدينة بها وهوامشها تشكل عاملا ديناميكيا للإشعاع الحضري، ورغم وجود مستوصفات ومراكز صحية بالوسط القروي والتي تقتصر على تقديم بعض العلاجات الوقائية البسيطة للسكان، فإن السكان يلجئون إلى تلبية حاجياتهم الإستشفائية بالمركز الحضري في حالة الأمراض المستعصية رغم تواضع التجهيز الصحي العمومي بالمدينة حيث لا تتعدى الطاقة الاستيعابية للمستشفى الإقليمي لجرسيف 45 سريرا و14 طبيبا متخصص، لكن هذا يبقى أفضل حال على التجهيز الصحي الموجود في الجماعات القروية المحيطة بالمدينة والتي لا تتعدى ممرضا واحد بكل مستوصف الموجود بالجماعة، يستخلص من ذلك أن الخدمات الصحية بالوسط القروي هي خدمات متواضعة ولا تستجيب لحاجيات الساكنة القروية وهو ما يدفع بها التوجه صوب المستشفى الاقليمي بجرسيف أو صوب المصحات الخاصة. ومن أجل تتبع ذلك قمنا خلال يوم واحد من مقابلة 150 مريضا وذلك في مصلحة الاستشارة الخارجية الموجودة بالمستشفى وقمنا باستجوابهم ومعرفة أصولهم الجغرافية، يظهر من خلال الشكل رقم(03) أن تيارات المرضى تتسم بخاصية القرب من المستشفى الإقليمي حيث يتضح أن الوسط الحضري يتصدر قائمة المرضى بـ 50 مريضا أي حوالي ثلث الأشخاص الذين تمت مقابلتهم ثم في المرتبة الثانية جماعة هوارة أولاد رحو ب 30 مريضا بنسبة 20% من المستجوبين نظرا لكونها تحيط بالمدينة من كل الجوانب في حين تأتي جماعة راس لقصر ب 17 مريضا أي بنسبة 11,33%من مجموع المستجوبين بعد ذلك جماعة صاكة وبركين بنفس العدد 10 مرضى لكل جماعة أي بنسبة 6,6% من المستجوبين لكل جماعة أما الجماعات الأخرى فتبقى نسبهم ضعيفة محصورة بين 2% و3,5% من نسبة المستجوبين. يعكس توزيع انحدار المرضى حسب الجماعات القروية تباينا ملحوظا، فالجماعات القروية والقريبة والمحيطة بمدينة جرسيف هوارة اولاد رحو يفد منها 30% من مجموع المرضى وراس لقصر 17% ومزكيتام 11% في حين يفد من الجماعات البعيدة عن المدينة مثل أولاد بوريمة 3% والصباب 8% وبركين وصاكة 10%

لكل واحدة ولمريجة 6% وتادارت 5% رغم قربها لكن تبقى أحسن حال من الجماعات الأخرى حيث تتوفر على مستوصف متطور نسبة ما على الجماعات القروية الأخرى.


الشكل رقم(03): اشعاع الخدمات الصحية العمومية



المصدر: المستشفى الإقليمي جرسيف 2015

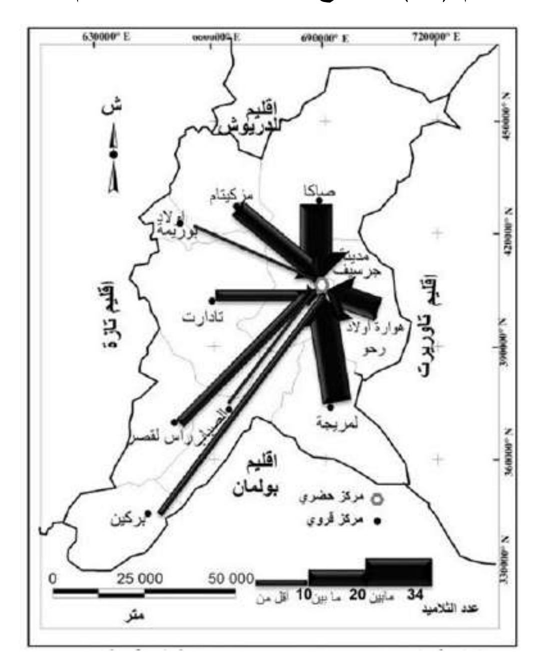
3.1 إشعاع الخدمات التعليمية: تعد الخدمات التعليمية من أهم الخدمات الموجهة للسكان بالدرجة الأولى لأنها تمكن الأفراد من تأدية أدوارهم الاجتماعية في الحياة بكفاءة فالتعليم هو الركيزة الأساسية لتقدم وتطور المجتمعات وهو أساس التنمية فالعلاقة بينهما تبادلية فالتنمية تحتاج لقوى عاملة مدربة ومؤهلة وتحتاج كذلك لكفاءة علمية من مختلف التخصصات لدفع عجلتها ،(فؤاد بن غضبان، 2013، ص173) هكذا تبقى خدمة التعليم من الخدمات الأساسية التي تعد ركيزة عامة من ركائز التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وهي خدمة إنتاجية تؤثر باستمرارية عملية الإنتاج وتطويرها بصورة غير مباشرة، وبالتالي تخطيط الخدمات التعليمية يعتمد على معايير تستند على هذه الخدمات كما ونوعا وتوزيعها المكاني وإن هذه المعايير ستعتمد في قياس مستوى الحاجة لها مستقبلا.

ولذلك ارتأينا تشخيص الخدمات التعليمية في مدينة جرسيف وتحليلها من أجل إبراز الأصول الجغرافية للتلاميذ المستفيدين من هذه الخدمة. لهذا الغرض اخترنا دراسة ثانوية الزرقطوني

التأهيلية والاعتماد على الأصول الجغرافية للتلاميذ الوافدة هذه السنة على هذه المؤسسة أي تلاميذ الجذوع المشتركة لمعرفة إشعاع هذه الخدمات التعليمية داخل إقليم جرسيف ثم بعد ذلك دائرة نفوذها.

ثانوية الزرقطوني التأهيلية تأسست سنة 1985 تتوفر على ثمانية وأربعين أستاذا وخمسة حراس عامين بالإضافة إلى مدير الثانوية ونضيرها. ثم على واحد وثلاثون قاعة للتعليم العام وسبع قاعات مختصة خلال زيارة ميدانية قمنا بهذا لثانوية الزر قطوني بعد إذن السيد المدير وبمساعدتهم قمنا باستخلاص الأصول الجغرافية للتلاميذ الجدد الوافدة على هذه الثانوية من جميع مناطق الإقليم من خلال الاطلاع على ملفات التلاميذ وأسماء الإعداديات التي كانوا يتابعون فيها دراستهم وبعد الاطلاع على سجلات التلاميذ الجدد الوافدة على هذه الثانوية اتضح أنه من بين 275 تلميذ وتلميذة جدد هناك 164 تلميذ وتلميذة أصولهم الجغرافية من مختلف الجماعات القروية للإقليم. كما هو موضح في الجدول أعلاه و100 تلميذ وتلميذة أصولهم الجغرافية من مدينة جرسيف أما 11 تلميذ وتلميذة المتبقية فإن أصولهم خارج إقليم جرسيف.

الشكل رقم (04): اشعاع الخدمات التعليمية بإقليم جرسيف



المصدر: النيابة الإقليمية للتربية والتكوين جرسيف2015

نلاحظ من خلال الخريطة رقم (04) أن اشعاع الخدمات التعليمية جد متباين بحيث نجد ثلاث جماعات ترابية هي التي تعتبر مناطق إرسال قوية بالنسبة للتلاميذ أما باقي الجماعات الأخرى فتبقى نسبها جد ضعيفة لعدة أسباب سنوضحها فيما بعد.

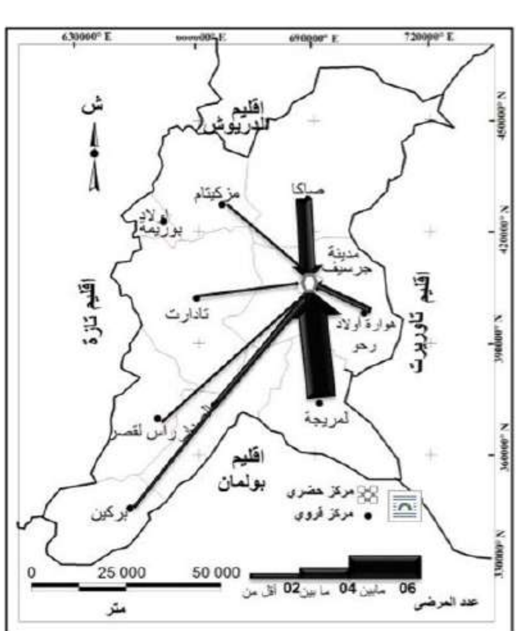
بالنسبة لجماعة صاكا وهي التي تتصدر القائمة بحيث ترسل سنويا 34 تلميذ إلى الثانوية التي شملتها الدراسة أما المرتبة الثانية فتحتلها جماعة لمريجة بـ 32 تلميذا أما جماعة هوارة أولاد رحو فتأتي في المرتبة الثالثة بـ 30 هذه النسب تفسرها غياب أي ثانوية للتعليم الثانوي بالنسبة لجماعة صاكا وجماعة لمريجة أما بالنسبة لهوارة أولاد رحو فهي أقرب جماعة بالنسبة للمدينة وتحيط بها من جميع الجهات، أما باقي الجماعات فتبقى نسبها ضعيفة نظرا لتوفر اغلبها على ثانويات للتعليم الثانوي، "لان الخدمات التعليمية الدنيا تميل إلى الانتشار مسافات صغيرة، إذ ترتبط بالمجاورات السكنية بالمدينة والمجتمعات المحلية الصغرى بالريف"(فؤاد بن غضبان 2013، ص178)، ويعكس توزيع انحدار التلاميذ حسب الجماعات القروية تباينا ملحوظا حسب القرب من المركز بالإضافة إلى توفر هده الجماعات على مؤسسات التعليم الثانوي من عدمها كلها عوامل تؤدي إلى إختلاف في عدد التلاميذ الوافدين على مدينة جرسيف.

2.إشعاع الأنشطة الخدماتية الخاصة: هي جميع الخدمات التي تضطر إلى أن تأخذ في تموقعها بعين الاعتبار توفر الزبناء وقدراتهم الشرائية لأن المقاولة الخاصة تسعى في تموقعها إلى تحقيق المردودية، إذا هذه الخدمات ترتبط في جغرافيتها بمشاكل لها علاقة مباشرة بالزبناء Michel). (Rochefort, 1976, p13. ومن أجل تشخيص وتحليل هذا النوع من الخدمات ارتأينا دراسة الخدمات الصحية والخدمات البنكية والخدمات التأمينية.

1.2 الخدمات الصحية الخاصة. (عيادة الدكتور زكرياء آيت يشن): تعتبر الخدمات الصحية الخاصة في مدينة جرسيف من الخدمات المتمركزة فقط في وسط المدينة أو بتعبير أدق في مركز المدينة وهي الخدمات المتنوعة ما بين الطب العام والمتخصص. ومن أجل دراسة هذا النوع من الخدمات الخاصة ارتأينا زيارة عيادة الدكتور زكرياء آيت يشن لكون عيادته قريبة من أغلب محطات سيارات الأجرة الكبيرة والتي تربط ما بين مدينة جرسيف وباقي الجماعات القروية التابعة لها. ومن أجل هذا الغرض قمنا بالاطلاع على سجل المرضى الذين تم استقبالهم في هذه العيادة خلال يوم واحد وتمكنا من معرفة أصولهم الجغرافية لمعرفة فيما بعد إشعاع هذا النوع من الخدمة داخل الإقليم ككل رغم أنه يمكن أن نلاحظ دائرة نفوذ الطبيب تختلف عن دائرة الطبيب

الآخر لكن هذا لن يمنعنا من تعميم الدراسة فيما بعد. لأن رغم اختلافها فهي تبقى نسبة متقاربة جدا.

شكل رقم (05): اشعاع الخدمات الصحية الخاصة



المصدر: عيادة الدكتور زكرياء ايت يشن 2015

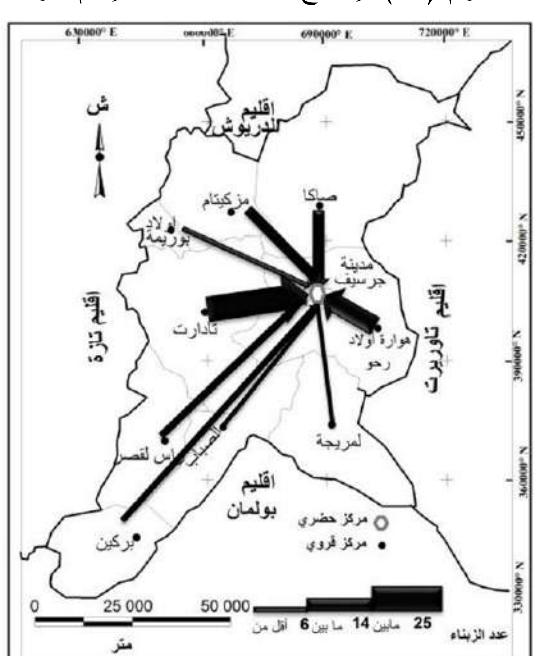
ومن خلال الشكل رقم(05): يتضح أن جماعة لمريجة هي التي تتصدر القائمة ب 6 مرضى ثم جماعة صاكا في المرتبة الثانية بـ 4 مرضى أما الجماعات المتبقية فعدد المرضى الذين تم استقبالهم في هذه العيادة تراوح ما بين مريض واحد ومريضين في حين أن جماعة أولاد بوريمة لم تستقبل منها هذه العيادة أي مريض، ما يلاحظ في هذا النوع من الخدمات أنها تختلف عن باقي الخدمات التي تمت دراستها حيث أن الجماعات القريبة من المركز الحضري يقل فيها عدد المرضى مقارنة مع جماعة لمريجة.

2.2 إشعاع الخدمات البنكية: إن عدد التجهيزات البنكية بمدينة جرسيف لا تتعدى عشر وكالات بنكية بمختلف أنواعها وأغلبها فتحت وكالاتها خلال العقد الأخير، وهذه الوكالات تخضع لتبعية الأبناك المركزية التي مقراتها بالدار البيضاء، "ويمكن تفسير هذه الوضعية بأهمية هذه المدينة التي فرضت نفسها منذ عهد الاستعمار كعاصمة اقتصادية للبلاد وذلك أنها تستحوذ على جل الأنشطة التجارية والصناعية والمالية"(محمد المولودي، 2004، ص399).

ورغم محاولات اللامركزية والتشجيعات بالاستثمار خارجها، فإنها تبقى القطب الأساسي لكل أنواع التمركزات. وهنا نسوق مثالا حيا حول التمركز القوي للحركات المالية المصرفية، " فقد حصلت فيها الدار البيضاء على 46,5% مليار درهم، أي 37,9% من المجموع الوطني"(مديرية إعداد التراب الوطني، 2000، ص111)، وكان بودنا تقييم دينامية الاقتصاد الحضري وحتى الإقليمي لو حصلنا على معلومات من لدن الأبناك ولكن أمام صعوبة بلوغ ذلك تم الاعتماد فقط على وكالة البنك الشعبي الموجودة في وسط المدينة والتي تعتبر من أقدم الوكالات في المدينة من أجل معرفة فقط درجة الاستقطاب هذه الخدمة البنكية للزبائن وبعد ذلك معرفة إشعاعها داخل الإقليم ككل. من أجل بلوغ هذا الهدف قمنا باستمارة ميدانية خلال يوم واحد وتعبئتها قرب الوكالة البنكية عن طريق مقابلات مباشرة مع الأشخاص المترددين على هذه الخدمة ومعرفة فقط أصولهم الجغرافية.

من خلال الشكل رقم(06) أسفله: يتضح أن جماعة تادارت القروية التي تحتل المرتبة الأولى ب 25 شخصا قدموا خلال ذلك اليوم إلى تلك الوكالة البنكية أي بنسبة 20,2% من مجموع الزبائن، ثم في المرتبة الثانية تأتي هوارة أولاد رحو ب 15 شخصا أي بنسبة 12,5% ثم في المرتبة الثالثة جماعة صاكا ب 13 شخصا أي بنسبة 10,8% ثم تأتي بعد ذلك الجماعات القروية الأخرى بنسب ضعيفة تتراوح ما بين 1,6% و 5,8% بكل من جماعة الصباب وراس لقصر، إن احتلال جماعة تادارت وهوارة وصكا ومزكيتام المراتب الأربع الأولى راجع إلى المستوى المعيشي الجيد لهذه الساكنة الناتج عن ارتفاع دخلهم المادي حيث أغلب سكان جماعة تادارت وهوارة اولاد رحو يمتلكون ضيعات فلاحية، في حين جماعة صاكا ومزكيتام لهم عائدات كبيرة بفضل الهجرة إلى دول أوروبا وما يمتازون به من تجارة في المواد المهربة على عكس باقي الجماعات الأخرى. فهي في الغالب مناطق نائية تفتقر إلى أبسط وسائل العيش الكريم بالإضافة إلى بعدها المجالي عن مركز المدينة وصعوبة مسالكها على اعتبارها أنها تتواجد في مناطق جبلية.

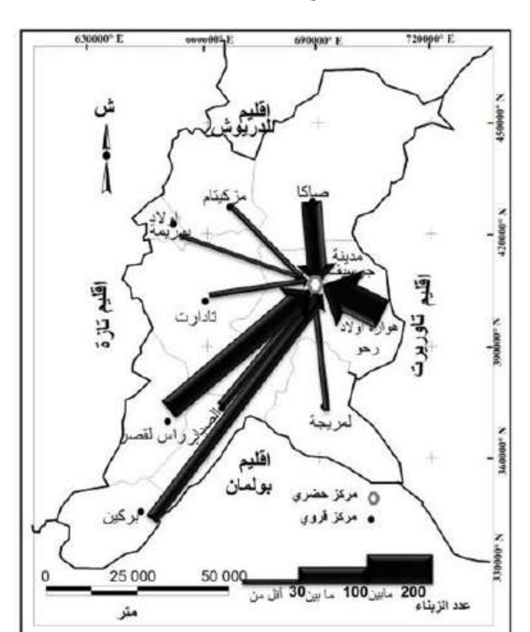
الشكل رقم (06): إشعاع الخدمات البنكية بإقليم جرسيف



المصدر: بحث ميداني 2015

3.3 إشعاع خدمات التأمين: تعتبر الخدمات التأمينية في مدينة جرسيف من بين الخدمات القليلة والنادرة في مدينة جرسيف، حيث لا يتجاوز عدد الوكالات داخل المدينة سبع وكالات تأمينية وهي متمركزة أغلبها في وسط المدينة، ولدراسة هذا النوع من الخدمات، تعمدنا وكالة تأمينات جصب إخوة لأنه تعتبر من بين الوكالات القديمة داخل المدينة وهي التي يمكن أن تعطي تمثيل أكبر داخل الإقليم ككل· من خلال مدير وكالة جصب إخوة للتأمين حصلنا على عدد الزبناء المسجلين في هذه الوكالة لتأمين ممتلكاتهم (سيارات، شاحنات).

الشكل رقم (07): إشعاع الخدمات التأمينية بإقليم جرسيف



المصدر: مدير وكالة جصب اخوة 2015

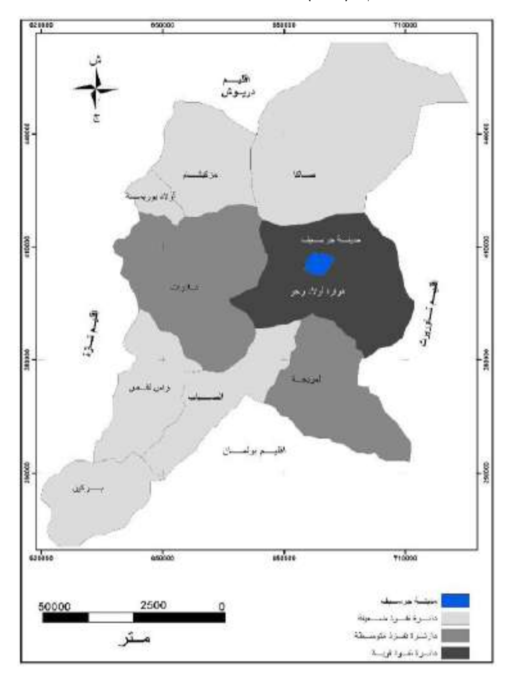
كما هو مبين في الشكل رقم (07) أسفله يتضح أن تأمينات جصب إخوة لها استقطاب واسع من جميع مناطق الإقليم حيث أن هوارة اولاد رحو تأتي في المقدمة ب 200 زبون وراس لقصر وصكا ب 100 زبون لكل واحدة وهي جماعات قروية قريبة من المركز، ثم جماعة بركين والصباب وتادارت يتراوح عدد زبناءها ما بين 90 و65 زبونا، أما الجماعات الأخرى لمريجة ومزكيتام واولاد بوريمة تتراوح ما بين 50 و30 زبونا.

III. دائرة النفود:

تعتبر دائرة النفود في الجغرافية البشرية بشكل عام " امتداد للمجال الذي تمارس فيه الأنشطة البشرية، والتي يمكن أن تكون نتيجة لتدخل فردي أو جماعي، وهي الدليل على الحركات التي تترجمها تيارات السلع، الأشخاص". (Mohamed Souafi,1982,p250,).

1.دائرة نفوذ مدينة جرسيف

الشكل رقم (08): نطاق النفود مدينة جرسيف



المصدر: خلاصة البحث الميداني 2015

تختلف أهمية المدينة حسب موقعها داخل الشبكة الحضرية، وكذلك حسب وزنها الديموغرافي والاقتصادي، فالمدينة تتوفر على مجموعة من الأنشطة التجارية والخدماتية، التي تلعب دورا مهما في تنظيم مجاله، حيث تفرض هذه الأخيرة على مراكز المدينة إيقاعاتها الأساسية حسب قيمتها وأهميتها، وبالتالي فان توفر أنشطة القطاع الثالث داخل المجال المركزي يساهم في تنظيم المجال المحلي أو الجهوي، وذلك عن طريق استقطاب ساكنته المحلية وحتى الساكنة المتواجدة في منطقة نفوذه، فهذا يؤدي بدوره إلى اتساع الرقعة المجالية للمركز حسب نوعية الأنشطة المتمركزة فيه فكلما كانت الأنشطة نادرة كلما عرفت تردد أقصى وبالتالي اتساع دائرة نفوذه ومن خلال ما سبق قمنا بتحديد دائرة نفوذ مركز مدينة جرسيف كما هو واضح في الشكل أعلاه.

1.**تفصيل دائرة نفوذ مدينة جرسيف:** من خلال الشكل أعلاه يمكن تقسيم دائرة نفوذ مركز مدينة جرسيف إلى ثلاث مستويات داخل إقليم جرسيف ككل.

المستوى الأول: يتشكل من المناطق المجاورة او المحيطة بمدينة جرسيف ويتعلق الأمر بجماعة هوارة أولاد رحو وجزء من جماعة تا دارت وصكا ومزكيتام ولمريجة، حيث نلاحظ أن كثافة الاشعاع قوية وبالتالي هناك ارتباط وثيق بين سكان هذه المناطق ومركز المدينة.

المستوى الثاني: يحيط مباشرة بالمستوى الأول ويتكون من مناطق تنتمي إلى أغلب الجماعات الترابية المشكلة للإقليم باستثناء جماعتي بركين وراس لقصر وفي هذا المستوى نلاحظ أن كثافة تأثير مركز المدينة متوسطة مقارنة مع المستوي الأول.

المستوى الثالث: يتشكل من جماعة بركين وراس لقصر والأجزاء البعيدة من جماعتي مزكيتام وصاكة والصباب وهنا نلاحظ أن كثافة تأثير مركز المدينة ضعيف وينعدم في بعض المناطق وهذا راجع إلى منافسة المراكز الأخرى القريبة من هذه المناطق.

2.مدينة جرسيف: دور جهوي ضعيف: القدرة الإستقطابية للمدن تمثل أبرز عوامل هيكلة المجال. وتعكس تيارات الاستقطاب الحضري والبنيات الجهوية الأساسية التي هي بمثابة الترجمة المجالية لمظاهر الحياة الجهوية.

إن الآخذ بالواقع الترابي المعاش للمجموعات البشرية، والذي تترجمه هذه البنيات الجهوية الأساسية، عند تقطيع الإطار الترابي في أفق تدبير شؤون هذه المجموعات، يطرح في الحقيقة مسالة احترام الكيان المجالي للمجتمع وهذا يحيلنا في آخر المطاف على مبادئ أساسية كمبدأ العدالة المجالية، فبالإضافة إلى التخفيف من ظاهرة التفاوتات الجهوية يقتضي هذا المبدأ نوعا من التطابق بين الحدود الإدارية التي يفرضها التقطيع الترابي وحدود ما يمكن أن نسميها بمجالات العيش التي ترسمها مختلف التيارات التي تربط، على الصعيد الجهوي، المدن بعضها ببعض والمدن بالأرياف.

وبالتالي فإن وجود مدن أو مراكز حضرية دينامية بقرب المدن المتوسطة والصغرى يجعل دور هذه الأخيرة محدود في تنظيم مجالها الجهوي، نفس الشيء بالنسبة لمدينة جرسيف فوجودها بين مراكز جد دينامية وجدة في الشرق ثم فاس وتازة في الغرب بالإضافة إلى الناظور في الشمال يجعل دور مدينة جرسيف في تنظيم مجالها الإقليمي ضعيف، وهذا ما يجعل مدينة جرسيف من المدن ذات الاستقطاب الداخلي الغير المكتمل لأنها لا يمكن اعتبارها قطب جهوي لأن اشعاعها لا يغطي مجمل المجال الجهوي الذي يبقى جزئ كبير منه تحت نفوذ قطب أكثر دينامية يتعلق الأمر بمدينة وجدة.

خاتمة:

من خلال دراسة إشعاع الأنشطة الخدماتية والتجارية لمدينة جرسيف إتضح أن هذه المدينة المتوسطة ترسم لنفسها دائرة نفوذ داخل الإقليم ككل، هذه الدائرة تختلف بإختلاف نوع الخدمة بحيث نجد أن دائرة نفوذ الأنشطة الخدماتية العمومية أكثر اتساعا من دائرة نفوذ من الأنشطة الخدماتية الخاصة، لكن في المقابل نجد أن الأنشطة التجارية في مدينة جرسيف ترسم لنفسها دائرة نفوذ أكثر اتساعا حيث إن إشعاع هده الأنشطة يصل إلى جميع الجماعات الترابية المشكلة للإقليم، هذا الإشعاع إن لم نقل دوائر النفوذ هي التي تساهم في تنظيم المجال داخل إقليم جرسيف ككل ولو بشكل ضعيف نظرا إلى تواجد مدينة جرسيف بين وجدة في أقصى الشرق وتازة وفاس من جهة أخرى وبالتالي تجد صعوبة في تنظيمها لإقليمها نظرا لتجاذب مراكز اقوي منها.

قائمة المراجع:

1. حميد القستلي(2013)، حكامة المدن: نحو مستقبل حضري أفضل، ط1، المغرب.
2. الرفاص محمد(دس)، المدينة المغربية بين التدبير المحلي والتنظيم الجهوي، سلسلة ندوات ومناظرات رقم: 85، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط.
3. فؤاد بن غضبان(2013)، جغرافية الخدمات، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، الأردن.
4. فؤاد بن غضبان(2015)، مراكز المدن، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، الأردن.
5. قيس مرزوق ورياشي(1988)، التراتبيات الاجتماعية والتراتبيات المجالية، تطور العلاقات بين البوادي والمدن في المغرب العربي رقم 10، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط.
6. محمد المولودي(2004)، الثنائية الحضرية، أرفود الريصاني البنيات والوظائف وتنظيم المجال الحضري بتافيلالت، بحث لنيل الدكتوراه في الجغرافيا كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس.
7. Aourik (M)(1985) système de production agricole et relation ville-compagne dans l’arrière-pays de ben Slimane, mémoire pour l’obtention de diplôme des études supérieures en aménagement et urbanisme 2 éme promotion.
8. Rochefort M(1976), les activités tertiaires, leur rôle dans l’organisation de l’espace tome1. formes de relation entre activités tertiaires et organisation de l’espace .centre de documentation universitaire & société d’édition d’enseignement supérieur paris.

9. Souafi M(1982), contribution à l’étude de l’organisation urbaine du Gharb Maroc. mémoire pour l’obtention de diplôme des études supérieures en aménagement et urbanisme université paris 1 panthéon Sorbonne.

عوامل التحول في قصور الواحات في الجنوب المغربي

Factors of transformation in the oases palaces (ksoor) in the southern Morocco

أ. عبد الزهر بامحمي، باحث في سوسيولوجيا التحولات الاجتماعية، جامعة محمد الخامس الرباط - المغرب

ملخص: يعالج هذه المقال موضوع التحولات الاجتماعية في قصور الواحات وبشكل خاص قصر تمزموط، فالسمة الأساسية التي تميز الحياة الاجتماعية في القصر بشكل عام، هو: تداخل نظامين أساسيين، أحدهما تقليدي خاضع لنسق للقبيلة، وأخر تحديثي يتمثل في الجمعيات والتعاونيات كمؤسسات عصرية على مستوى الشكل على الأقل. وقد شكل هذه التداخل: الإطار العام للتحليل السوسيو – أنثروبولوجي لدراستنا، هذا التداخل الذي تشكل في سياقات متعددة تاريخية، وسياسية، وكذلك اجتماعية، لها دور كبير في فهم العديد من التحولات الاجتماعية التي عرفتها قبيلة قصر تمزموط والعوامل المساهمة فيها.

الكلمات المفتاحية: التحولات الاجتماعية، القصر، المؤسسات التقليدية، التنظيم الاجتماعي.

Abstract: This article addresses the social changes in the palaces of the oases in particular the palace of Timazmut. The basic theme that characterizes the social life in the palace in general is the flap of two basic systems, one of which is a traditional subject of the tribe. The least was the general framework of the socio-anthropological analysis of our study. This flap formed in various historical, political, and social contexts, has a great role in understanding many of the social transformations that the Kasr-Timazmut tribe has known and the factors contributing to it.

Keywords:Social transformation, palace, traditional institution, social organization.

مقدمة:

عرفت قصور الواحات العديد من التحولات الاجتماعية، هذه الأخيرة التي غيرت من نمط عيش السكان وكذلك طرق تفكيرهم. غير أن فهم هذه التحولات يستوجب منا سبر أغوار العوامل التي ساهمت في هذه التغيرات سيما وأنها لم تعرف قطيعة بين الماضي التقليدي والحاضر الحداثي، وتوضح أوسيت فالنسي من خلال دراستها للمجتمعات المغاربية بشكل عام على أن هذه المجتمعات لم تعرف تطورا في قوى الإنتاج وكذلك على مستوى التقنية إلا مع الفترة الكولونيالية مما يؤكد، تبعية التطور الذي عرفته هذه المجتمعات للدول المستعمرة (Lucette Valensi 1969,p.38)، سنحاول من خلال هذا الإطار، أن نسوق بعض عوامل ومحددات التغير الاجتماعي الذي عرفته واحة تنزولين وعلى وجه الخصوص قبيلة قصر تمزموط.

إشكالية البحث:

التحولات الاجتماعية التي عرفتها قبيلة قصر تمزموط [1] لا تنفصل بشكل من الأشكال عن التحولات الاجتماعية التي عرفها العالم القروي. حيث لعبت العديد من العوامل التي سنأتي لتحليلها بالتفصيل في محاور هذا المقال، دورا كبيرا في تحويل هذا المجال الواحي من مجتمع تقليدي يعتمد على الوسائل التقليدية في كل مناحي الحياة الاجتماعية، إلى مجتمع واحي يختلط فيه التقليدي بالعصري، مجتمع مزيج لم يقطع بعد مع الماضي، لقد أشارت دراسة أحمد البوزيدي من خلال كتابه " درعة بين التنظيم القبلي والحضور المخزني، إلى أهم الخصائص المميزة للواحات في درعة، وأبرز بشكل خاص خصائص واحة تنزولين التي ينتمي إليها مجال دراستنا، والدور الذي لعبته العوامل التاريخية المرتبط بالهجرة التي عرفتها واحة تنزولين في تشكل الاثنيات الاجتماعية المشكلة للقصور في واحة تنزولين.

نهدف من خلال هذه المقال، الوقوف عند مجال قصر تمزموط واستقراء خصوصيات هدا المجال، والتحولات الاجتماعية التي مسته وتأثير هذه التحولات على البنيات الاجتماعية والثقافية، وتندرج إشكاليتنا حول موضوع العوامل المساهمة في التحولات الاجتماعية في واحة تنزولين، نموذج قبيلة قصر تمزموط: في استقراء العوامل المساهمة في التحولات الاجتماعية في القصور ودورها في تغيير نمط عيش وتفكير سكان هذه الأخيرة، وإبراز دور هذه التحولات في التنمية المحلية.

ويمكن أن تتفرع عن هذه الإشكالية العديد من التساؤلات من قبيل:

- ما هي العوامل المساهمة في التحولات التي عرفتها قبيلة قصر تمزموط؟
- ما هي أهم الأنشطة الاجتماعية التي يمارسها السكان في هذه القبيلة ودورها في التحولات الاجتماعية؟
- كيف تنظر كل من الجمعيات التقليدية والتنظيمات الحديثة إلى التحولات الاجتماعية؟

---

[1] تعتبر قبيلة قصر تمزموط من بين قبائل قصور واحة تنزولين التابعة إداريا لجماعة تمزموط، و لعمالة زاكورة، وتضمن مجموعة من الفخذات (أيت كاغو- أيت تشواريت- أيت حمو حدوا- أيت ناصر- أيت أوعلي بالنسبة لقصر تمزموط، وأيت فارس- أيت أعدي- أيت سيدي مو- أيت صدوك - أيت المحجوب بالنسبة لقصر الحد). وإذا كانت قصر "الحد" تستوطن ربوة منيعة على مجرى الوادي (درعه)، فإن قبيلة قصر تمزموط تستوطن منحدر" تلات نخو"(الوحش) إلى "تلات نطمطوط"(المرأة) أعلى مجال دوار الحد مما جعلها عرضة لخطر تدمير فيضان وادي درعه كما حدث سنة1211هـ/1778م1، أو لمياه السيول كما حدث سنة 2009، وتحد قبيلة قصر تمزموط شمالا قصور"واوزكور" و"إشحيحن" و"أيت إكن"، وجنوبا قصر "أيت عيسى"(المعروف اليوم بتاكرسيفت).

فرضيات البحث:

لا يستقيم الموضوع السوسيولوجي إلا بفرضيات أساسية من خلالها يبني الباحث تصورات عامة أو مفاهيم الانطلاق، لقد قمنا ببناء هذه الفرضيات من خلال البحث الميداني الأولي والجدير بالذكر على أن هذه الفرضيات، قد عرفت العديد من التغيرات طيلة البحث الميداني تبعا لمنطق الإشباع la saturation حيث خلصنا إلى هذه الفرضيات التالية :

- ربما، أن العوامل المساهمة في التحولات الاجتماعية التي عرفتها قبيلة قصر تمزموط متعددة ومتشابكة فيما بينها.
- ربما، أن ممارسة السكان المحليين للقصر للأنشطة الاجتماعية، ما زال يتداخل فيه التقليدي بالعصري.
- ربما أن العلاقات الاجتماعية التقليدية مازالت تتحكم في سير تنظيمات الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

1.تقنيات البحث المعتمدة:

إن طبيعة موضوعنا، تستوجب نهجنا لتقنيات البحث الكيفي، ويأتي هدا الاختيار ليعزز المقاربة التي تبنيناها من أجل بناء المفاهيم من طرف الفاعلين أنفسهم ومقارنة هذه المفاهيم مع النظريات السوسيولوجية و الأنثروبولوجية التي سبق وأن حددت هده المفاهيم في دراسات سابقة. ولن يتحقق هذا إلا إذا استدرجنا العديد من التقنيات الكيفية الفعالة التي ستمكننا من جمع أكبر عدد من المعطيات الميدانية الوجيهة لموضوع الأطروحة، في هدا السياق تم اختيارنا للتقنيات التالية:

1.1 المقابلة: وتعتبر من التقنيات الكيفية المعروفة في العلوم الاجتماعية، واستعمالنا لهده التقنية راجع بالأساس إلى طبيعة المعطيات التي نتوخى استقائها من المبحوثين، ومن بينها المعطيات التاريخية حول المنطقة، إذ تعتبر واحة تنزولين بشكل عام وقبيلة قصر تمزموط بشكل خاص، فقيرة من حيث الوثائق التاريخية والسجلات وكذلك الأرشيفات ما عدى بعض المخطوطات والوثائق الموجودة في زاوية تمكروت، لذلك لجأنا إلى المقابلة المفتوحة مع الكثير من المبحوثين الذين تم اختيارهم بإمعان وبناء على " العينة المنتقاة "(Savarese Eric,2006, p11)، ونخص بالذكر بعض شيوخ هده القصور الذين يغادرون واحدا تلو الأخر دون أن تكتب شهاداتهم التاريخية حول " قصر تمزموط ".

لقد التقينا بالبعض من شيوخ هذه المنطقة الذين لازالوا على قيد الحياة واستكشفنا منهم بعض المعطيات التاريخية المرتبطة بالتنظيم التقليدي في المرحلة التاريخية التي عاشوا فيها. كما مكنتنا المقابلة المفتوحة كذلك من الانفتاح على مجالات متعددة من خلال تفاعلنا مع المبحوثين ومشاركتهم تجاربهم. وفي هذا الإطار قمنا بحوالي تمانون (80) مقابلة موزعة بين مختلف الفئات العمرية وكذلك الجنس حيث قمنا بـ 30 مقابلة مع النساء القرويات وذلك بين الفترة 2015-2016.

2.1 المقابلة الجماعية (المجموعة البؤرية) وهي تقنية البحث الكيفي التي ستسمح لنا في معرفة مجموعة من الجوانب حول الموضوع المدروس: لقد اعتمدنا كذلك على المقابلة الجماعية، لأنها أساسية لتسهيل التمحيص المعرفي لبعض المعطيات وعلى وجه الخصوص التاريخية منها، ثم إن التفاعل بين المبحوثين فيما بينهم وفرت لنا بنك من المعلومات، خاصة عندما يتعلق الأمر بالسجال القائم بين الماضي والحاضر من جهة ومن جهة ثانية بين التقليدي والعصري، على اعتبار أن هده الثنائية بين هده المفاهيم محور مقالنا هو مفتاح أساسي لفهم الخيط الناظم بين التنظيمين التقليدي والحديث على ضوء ما يقر به المبحوثين أنفسهم، وبناء على التحليل الآني لهده لمعطيات ومقارنتها، بناء على صيرورة: جمع المعطيات – تحليلها – تمحيصها - بناء

المفاهيم النظرية، وفي هذا الإطار قمنا بـ 40 مقابلة جماعية ضمت العديد من قبائل القصر المجاورة لقبيلة قصر تمزموط، كقصر أفرا وتمنوكالت حيث يمكننا مقارنة بعض التحولات الاجتماعية في هذه القصور.

2.الأرض والتغير الاجتماعي:

يعتبر الأرض من العوامل الأساسية في العملية الاقتصادية في واحات درعة بشكل عام وواحة قصر تمزموط بشكل خاص، إذ لا يمكن تصور الواحات دون أراضي صالحة للزراعة يتجنبها نهر يعتبر منبعا لمد هذه الأرض بالحياة والاستمرار، بالمقابل يعتبر معظم الذين لا يملكون الأرض، دخلاء على هذه الواحة جاءت بهم "الأقدار" حسب تعبير السكان المحليون إلى هذا المكان. الجدير بالذكر أن واحات تنزولين عرفت خلال القرن التاسع عشر العديد من الهجرات والغزوات سواء من طرف الباشا " لكلاوي " الذي احتل درعة خلال سنوات 1925، 1930 (Georges Spillmann, 1936,p 106)، ثم كذلك من طرف قبائل أي عطا وقبائل أي سدرات، الذين استوطن الكثير منهم في واحة تنزولين، هذا بالإضافة إلى توافد الكثير من الهجرات من مختلف الجهات، على سبيل المثال لا الحصر جهة سوس ثم طاطا.

إن استمرار السكان المهاجرين[2] في قصر تمزموط واحتكاكهم بالمجال أدى بالعديد منهم إلى التفكير في امتلاك الأراضي وزرعها كنوع من البحث عن الاعتراف والتواجد الفعلي داخل القصر، خاصة وأن الكثير منهم كانوا يتعاطون التجارة وأعمال البناء التي تدر عليهم مبالغ مهمة تمكنهم من بسط نفوذهم داخل هذه القصور، لكن عملية شراء الأراضي داخل الواحة بشكل عام وخاصة في قبيلة قصر تمزموط التي قمنا بدراستها، يخضع لقواعد وشروط جد معقدة تحول دون تحقيق ذلك، ففي قبيلة قصر تمزموط مثلا من الصعب بمكان على الغريب على هذا القصر الصغير أن يمتلك الأرض، فالعرف السائد هو أن الأرض هوية القبيلة وبالأحرى هوية الفرد داخل القبيلة فالأرض تشكل عاملا أساسيا للمكانة التي يحصل عليها الفرد داخل القبيلة. بل الأبعد من ذلك كان يمنع على الأفراد من نفس العائلة أن يبيعوا الأرض إلى الأفراد الذين لا ينتمون إلى العائلة حتى وإن كانوا من نفس القبيلة، وكان ذلك سببا للعديد من الصراعات بين الأبناء والأعمام حول هذه المسألة، حتى نظرة القبيلة إلى من يبيع أرضه غالبا ما تكون نظرة دونية تنقص من شأن صاحبها، إذن، إذا كان بيع الأرض أو تفويتها من طرف أفراد من العائلة إلى أخر خارج العائلة يعتبر أمرا منبوذا، فكيف يمكن تصور أن يبيع فرد من القبيلة أرضه إلى أخر من خارج القبيلة؟ إنها بالفعل من الأمور التي يستحيل تقبلها في مثل هذه القصور التي تعتبر الأرض جزء لا يتجزأ من حياتها وكينونتها.

إن التغيرات الاجتماعية الذي عرفه قصر تمزموط، والهجرات التي عرفها في فترات تاريخية معينة خاصة في اتجاه المدن الكبرى(مراكش ، الدار البيضاء، الرباط ، أكادير) (Aït hamza Mohamed et B. El Faskaoui, p63) أو نحو الخارج، أدى بالعديد من السكان إلى هجران هذه القصور وبالتالي يهجرون معها الأرض التي كانت جزء من هويتهم، هذه المسألة تعتبر نقطة تحول داخل القبيلة بشكل عام، لاسيما العلاقة بالأرض، حيث أصبحت عملية بيع وتفويت الأراضي من داخل القبيلة أمرا مسموحا به داخل القبيلة، في حين ضل بيع الأرض للذين لا ينتمون للقبيلة مستمرا، إذ على الرغم من كل هذه التحولات لا يجوز لفرد داخل القبيلة أن يبيع الأرض لفرد خارج عن القبيلة مهما كلفه الأمر، انه عرف مازال الناس يحتفظون به إلى اليوم،

---

[2] يجب الإشارة هنا أن واحات تنزولين (التي ينتمي اليها مجال دراستنا) على أنها عرفت هجرات عديدة سواء من قبائل ايت عطا، حيث توسع كنفدرالية أيت عطا في واحات تنزولين، أو من طرف قبائل ايت سدرات الذين جاؤوا هم كذلك لإيجاد موطئ قدم لهم في هذه القصور.

يقول أحد المستجوبين: - محمد 40 سنة[3]- " بيع الأرض داخل القبيلة أمر مسموح به لأن معظم الذين يبيعون الأرض لا يتواجدون داخل القبيلة وبالتالي فهم يسكنون في المدن وفي حاجة إلى مال لشراء المنزل هناك، لذلك كان من البديهي أن تعطى لهم الحرية في بيع الأرض لكن شريطة أن لا يخرج ذلك عن القبيلة وهنا خط أحمر ". [4]

لقد كان للمرحلة الاستعمارية كذلك أثر كبير على المجتمع الواحي بشكل عام، خاصة وأن السمات الغالبة عليه قبل الحماية، العزلة عن العالم الخارجي والاعتزاز بالقيم العليا التي يحتل فيها الإسلام المركز الأساسي، لكن التغلغل الفرنسي أحدث رجة وصدمة قوية في بنيات المجتمع الواحي الذي لم يتعود على هذا الوضع الجديد ولم يستسغه بسهولة، والمقاومات من هنا وهناك دليل على ذلك، لن نخوض هنا في الحدث الاستعماري وحيثياته، لكن ما يهمنا في هذا الإطار هو الصدمة التي أحدثها هذا الحدث على مسار التحولات التي واكبت هذا الحدث الذي رسم ملامح المغرب الجديد، إنها صدمة الاستعمار كما يسميها الأستاذ عبد الله إبراهيم التي ساهمت إلى حد كبير في خلق فجوة بين المجتمعات المستعمرة (بكسر العين) و المجتمعات المستعمرة (بفتح العين) وفي هذا الصدد يقول عبد الله إبراهيم " الاستعمار ليس إلا ظاهرة تاريخية فقط، لحدث عالمي ذي بعد ثوري عملاق، في مراحل التطور البشري العام، وقد كان من أثره أن انقسمت شعوب العالم كله، بين شعوب متقدمة تكنولوجيا وحضاريا، وشعوب أخرى متخلفة، الأولى متحصنة بتكنولوجيتها ورفاهيتها وقوتها العسكرية، والثانية في مجموعها متأزمة وضعيفة وتابعة، فلم يكن من المقدور، والحالة هذه أن يتجاهل الطرفان بعضهما بعضا في العلاقات بينهما، التي لا يمكن أن تكون في أساسها إلا علاقة غير متكافئة، وبالتالي علاقات نزاع ".

إذن، لا يمكن الحديث عن صيرورة التغير الاجتماعي في مجال دراستنا بمعزل عن السياق الاستعماري الذي يعتبر محطة أساسية في تاريخ المنطقة، وهذا الأمر يشي بالدور البارز الذي لعبه الاستعمار في مواجهة بنيات المجتمع الواحي، هذا الأخير الذي لم يكن ليخضع بسهولة للمنطق الجديد الذي يختلف معه اختلافا جذريا، لذلك، ليس من الغريب أن تكلف الإدارة الاستعمارية العديد من الباحثين من مختلف التخصصات في السوسيولوجيا و الأنثروبولوجيا والتاريخ وكذلك الجغرافيا لمعرفة هذا المجتمع وتحليل البنيات الاجتماعية المكونة له، تحليلا علميا قد يسهل فيما بعد عملية تفكيكه والسيطرة عليه كما هو الحال بالنسبة لجورج سبلمان الذي لعب دورا أساسيا في احتلال واحة تنزولي(أحمد البوزيدي، دس، ص536)، وهذا ما تأتى بالفعل حيث تمت دراسة بنيات المجتمع القبلي من مختلف الجوانب من طرف الباحثين الذين كانوا في الحقيقة ينتمون إلى الإدارة الكولونيالية سواء كانوا من الجيش، أو من الباحثين الجامعيين الذي حضورا لأطروحاتهم انطلاقا من دراسة المجتمع القروي المغربي.

---

[3] محمد فلاح يسكن في قصر تمزموط عاش بين المرحلتين، المرحلة التي كان فيها بيع الأرض أمرا غير مسموحا به والمرحلة الأنية، حيث حكى لنا مدا التغير الذي عرفه تمثل الأرض بالنسبة لسكان القصر.

[4] فيما يخص بيع الأرض في قبيلة " تمزموط "، يعتبر الأمر مقبولا من داخل القبيلة حتى وإن كان غير محبد لدى الكثيرين ، على اعتبار أن من يبيع أرضه ينظر إليه نظرة دونية، لكن خارج القبيلة غير ممكن. ويجب الإشارة إلى أن هذه المسألة، أي بيع الأرض إلى أشخاص من خارج القبيلة، هي خاصية تختلف من منطقة لأخرى على طول خط درعة، حيث في بعض القبائل المتواجدة في جماعة تنزولين على سبيل المثال بيع الأرض إلى البرانى أمر مقبول، إذن هذا التنوع في الرؤى راجع إلى التركيبة الاجتماعية والثقافية لهذه القبائل، إذ من خلال دراستنا، خلصنا إلى أن القبائل التي ترتبط بالأرض وتمنع بيعه لغير المنتمين لنفس االقبيلة، هي بالأساس القبائل التي تتشكل من "الاخصان " أو العظام الذين تربط بينهم علاقات النسب والأصل المشترك، حقيقيا كان أو وهميا، بالمقابل القبائل التي تربط بينها علاقات الأرض المشتركة والتقاليد المشتركة باعتبارها تشكلت تاريخيا بسبب الهجرات وتموضعها في أرض مشتركة، لا تجد حرجا في بيع الأرض للبرانى.

3. الأنشطة التجارية وحدود التغيير

من الأنشطة المهمة الموجودة في قصر تمزموط، الأنشطة التجارية المتعددة، لم تكن التجارة في يوم من الأيام مهنة محبذة لدى الجميع، بل كان الكثير من الناس يلجئون إلى الأنشطة الفلاحية والصناعة التقليدية أو الهجرة إلى المدن الكبرى من أجل العمل لضمان القوت اليومي لجميع أفراد العائلة، يكون الابن الأكبر والحالة هذه ضحية، حيث عليه أن يوفر لكل أفراد عائلته مستلزمات الحياة دون أن يهتم بشؤونه الخاصة، حيث يكون خاضعا لمنطق العائلة. إن تراجع المحصول الفلاحي بسبب التقسيم المتوالي للأرض عن طريق الإرث، والجفاف الذي تعيشه هذه الواحة وعوامل التصحر التي اجتاحت العديد من الواحات(الطايع مبارك، 2007، ص200)، أدى بالعديد من الناس إلى اللجوء إلى مجالات أخرى من أجل العمل وتوفير مستلزمات الحياة الضرورية. لذلك لجأ العديد منهم إلى التجارة كنشاط مدر للدخل، وترتكز هذه الأنشطة بالأساس في بيع الخضر، والفواكه في الأسواق الأسبوعية. أو فتح محلات تجارية (بيع المواد الغذائية). يقول " سي العربي [5]55 سنة " أحد المستجوبين في هذا السياق : "إن لجوئنا إلى التجارة هو بسبب تراجع مردودية الفلاحة، في السابق كنا نعتمد على الفلاحة وتربية الماشية، لكن هذه الأمور كلها في تراجع مستمر، الفلاحة لم تعد كافية لتوفير القوت اليومي بسبب الجفاف، وهو ما ينعكس سلبا على تربية الماشية لذلك فالتجارة عمل أوصى به الرسول و كل من يعمل فيها لابد من أن يربح ".

التجارة بناء على ما سبق عامل أساسي في التغير الاجتماعي حيث تنتقل العلاقات الاجتماعية في الواحات وداخل القصور، من علاقات القرابة والعائلة والأخوية والتضامن بين أفراد القصر إلى علاقات رأسمالية يغلب عليها الجانب المادي والربحي، بل في أحايين أخرى تتجاوز هذه العلاقات الأفراد أنفسهم حيث يصبح المال متحكما في هذه العلاقات. فالأسواق الأسبوعية التي يلتقي فيها التجار بزبائنهم معروفين لديهم أو مجهولين، مجال هام للعلاقات الاجتماعية، لكن الأدوار التي كان يلعبها السوق لم تعد بتلك القوة التي كانت عليه في فترة الاستقلال حيث كان السوق يؤدي أدوارا سياسية واجتماعية(Diane Skilly Ponasik1967,p 120).

وفي سياق أخر، يعتبر التوازن الاجتماعي بين المجموعات المكونة لقصر تمزموط ونخص بالذكر هنا كل من فئة الضراوة وايمازغين ثم الشرفاء، عامل أساسي لفهم التحولات على مستوى الأدوار التي تقوم بها كل مجموعة على حدى، فمفهوم التوازن الاجتماعي (Michel Forse, 2000, p278) في هذا الإطار يعد مفهوما مركزيا لفهم الانتقال الذي عرفه قصر تمزموط حيث الانتقال من سلطة الأقلية (امازيغن) إلى سلطة الأغلبية (ضراوة)، ففي فترة تاريخية معينة وبالخصوص فترة حكم لكلاوي لواحة تنزولين، كانت السلطة في يد القائد علي أو لفضايل الذي ينتمي في الأصل لقبائل أيت سدرات فخدة ايت محلي، حيث بسط نفوذه على قصر تمزموط وحسب ما يحكيه العديد من المبوحثين أنه كان من اشد القياد على هذه المنطقة والذي تميز بقسوته في حكم قصر تمزموط وأحفاده اليوم مازالوا في قصر تمزموط. اختلال التوازن الذي حصل في المنطقة وتراجع سلطة القياد أمام بسط المخزن لنفوذه على واحة تنزولين، ساهم بشكل كبير في إعادة التوازن بين امازيغن (الأقلية) و (دراوة الأغلبية)[6] بل استرجاع سلطتها من خلال استرجاع الأراضي التي استولى عليها القائد علي اولفضايل في فترات تاريخية معينة.

---

[5] العربي تاجر محلي، اشتغل مند سنوات في العمل التجاري بعد أن فقد الأمل في الأرض التي لم تعد تحقق له اكتفاءه الذاتي.

[6] ضراوة (دراوة): يطلق عليهم كذلك اسم "الحراطين" يشكلون غالبية سكان قصر تمزموط، يمارسون النشاط الزراعي، يقال أنهم ينحدرون من أصل سوداني، لكن لا توجد أي وثيقة تاريخية تبثث ذلك، ليبقى هذا الاحتمال

4.الصناعة التقليدية في القصر

تعتبر الصناعة التقليدية في واحة تنزولين بشكل عام وقصر تمزموط بشكل خاص موردا أساسيا للعديد من سكان وقصور هذه الواحة(الهادي الهروي، 2008-2009، ص92) وعلى وجه الخصوص قصر تمزموط ، فهو نشاط تقوم به فئات خاصة لها من " اليد ما صنع " كما يقول سكان الواحة، ويجب الإشارة إلى أن الأنشطة الصناعة التقليدية على سبيل المثال، كانت حكرا على بعض الفئات وغالبا ما كانت هذه الفئات تصنف في أدنى الرتب الاجتماعية. حيث ترتكز هذه الصناعات التقليدية لدى اليهود أو الوافدين الغرباء كما هول الحال بالنسبة لـ " الأمزيل " الذين يمتهنون الحدادة في الأسواق(Ali Amahan, 1998, p72) أو اليهود الذين يمتهنون الحرف المرتبطة بالمعادن والصياغة.

انفراد هذه الفئات بهذه الأنشطة خلال فترات تاريخية معينة، جعلها تتسلق المراتب على مستوى التراتبية الاجتماعية بفضل عائدات هذه الأنشطة التي بدت واضحة لدى الكثير من هذه الفئات، حيث بادرت هذه الأخيرة إلى شراء الأراضي، وبناء المنازل وخلق أنشطة تجارية في هذه القصور إلى غير ذلك من الأنشطة التي تنم عن مدى تسلق هذه الفئات للسلم الاجتماعي وتجاوزها بذلك على الأقل من الناحية الاجتماعية تلك النظرة الدونية التي كانت ملتصقة بهم في السابق. لكن مع ذلك مازال الكثير من الفئات التي لم تتقبل هذا التحول، حي تنظر إلى هؤلاء الحرفيين باعتبارهم أقل مستوى منهم، من الناحية الثقافية، ويتضح هذا من خلال بعض التسميات المحلية التي ينعت بها هؤلاء، (الكوفري، لخدمة نتماة(العمل الشاق)) يقول أحد المستجوبين، رشيد 31 سنة : "هذه الأعمال لا يقوم بها سوى الذي لم يجد ما يعمل، أنه عمل مجحف وشاق، أنا شخصيا لن أقبل لنفسي أو لأحد من أبنائي أن يشتغل في هذه الحرف"، يبدو أن الجانب الثقافي المرتبط بالتاريخ الجماعي لهذه المجموعات ما زال حاضرا لدى الكثير من الناس الذين لا يروقهم الاعتراف بمكانة الوافد المستقر الذي أصبح اليوم جزء لا يتجزأ من النسيج الاجتماعي لقصر تمزموط، بل الأبعد من ذلك أن بعض الفئات من الذين يعتبرون أنفسهم من السكان الأصليين أصبحوا اليوم يتجهون لامتهان بعض الحرف التقليدية. من الواضح إذن أن صيرورة التغير الاجتماعي المرتبطة بالأساس ببنية المجتمع الواحي، ذهبت إلى حد كبير في خلخلة الموازين على مستوى التراتبية الاجتماعية من جهة، ثم على مستوى الأنشطة الاقتصادية التضامنية التي تميز هذه الفئات، حيث تشتغل بمنطق" الحنطة" لضمان مصالحها واستمراريتها كنشاط أساسي داخل النسيج الواحي.

5. تربية الماشية وإمكانية التغيير

من الأنشطة الأساسية التي يعتمد عليها الواحيون في قصر تمزموط إلى جانب الفلاحة، تربية الماشية،(Mohamed Elmansour, p 61) هذه الأخيرة عرفت بدورها العديد من التحولات، فبعدما كان الناس يعتمدون على تربية الماشية المحلية والاعتماد على الكفاف، أصبحوا اليوم وبفضل المساعدات التي تقدمها وزارة الفلاحة حسب ما عبر عنه المستجوبين، يعتمدون على أنواع جديدة من تربية الماشية، على سبيل المثال" غنم الذمام"، أما فيما يخص التسويق فهو كذلك من الأمور التي عرفت تحولا بين الماضي والحاضر فبعدما كانت تعتمد على الكفاف أصبحت

ضعيفا أمام العديد من الروايات والقراءات. بل اعتبر الكثير من ممن استجوبناهم من خلال البحث الميداني هذه الرواية كاديولوجية يريد بها الوافدين إلى واحات درعة في مرحلة تاريخية معينة ، طمس هوية هذه الفئة التي يرجح أن تكون أقدم جماعة بشرية استقرت بدرعة، وإلا كيف يمكن إرجاع هذه الفئة إلى أصل سوداني أو جنوب الصحراء بصفة عامة والاعتماد على اللون باعتبار أن كل الفئات ذات البشرة السوداء، فان أصلها من إفريقيا جنوب الصحراء.

اليوم إلى حد ما موجهة نحو التسويق، إن الفعل الاجتماعي الذي يبديه الأفراد نابع بالأساس إلى المنافع والبواعث التي يبتغيها كل فرد معين، يقول أحمد الخلوقي [7] 56 سنة " النتيجة التي حققتها التجربة الأولى حيث قدمت أغنام الذمام للمستفيدين جعلت الجميع ينخرط في هذه العملية، لأن ذلك سيدر عليهم ربحا وسيضمن لهم موردا جديدا، لقد كان لدينا تخوف في البداية من ركب غمار التجربة، لكن عندما بدأ الجميع يلاحظ النتائج تبين بان ذلك مفيد ومن الضروري الاستفادة من ذلك " ومن وجهة نظر ثانية، دخول عمليات جديدة فيما يخص التطبيب البيطري الذي كان في السابق في معظمه تقليديا، لا يرقى إلى المستوى المطلوب، حيث أن الكثير من الناس يضيعون في ماشيتهم بسبب انعدم التطبيب البيطري، لكن اليوم بفضل دخول العمليات البيطرية من طرف وزارة الفلاحة أو من بعض المنظمات غير الحكومية، كل هذا ساهم إلى حد كبير في تغيير النمط التقليدي السائد، ومكن الكثير من الناس من الاستفادة من هذه العملية.

إن ما يلاحظ انطلاقا من هذه العناصر الذي عبر عنها جل المبحوثين، هو مدى فاعلية المجتمع التقليدي في إحداث التغيير والسير نحو التحديث، الملاحظة الأولى التي تفرض نفسها بقوة هي حضور المؤسسات المحلية بما فيها الجمعيات غير الحكومية سواء منها الوطنية أو الدولية، وكذلك الجماعات المحلية ومند وبيات الفلاحة، ودورها الأساسي في إحداث التغيير في الكثير من الأمور المرتبطة بالبنيات الاجتماعية. فالإطار العام على حد تعبير **الكيس دوتوكفيل** يفرض نفسه بقوة من أجل إحداث تغيير في بنيات العالم القروي، صحيح أن الأفراد يعبرون عن بواعثهم وغاياتهم لكن ذلك لا يمكن أن يكون إلا استجابة لذلك الإطار العام الذي تمثله مؤسسات الدولة التي تخضع بدورها للمنظمات الدولية (صندوق النقد الدولي).

6. العرف والتنظيم المجالي

العرف من الأمور الأساسية التي ينبني عليها التنظيم القبلي في قصر تمزموط على وجه الخصوص، كل شيء مرتبط بالعرف، العلاقات الاجتماعية، تنظيم الماء، الأعراس، تنظيم العمل(Lazarev Grigori,2014, p126)، إلى غير ذلك من الأمور الاجتماعية التي يلعب فيها العرف دورا أساسيا، لكن التحولات التي عرفها العالم القروي ودخول المكننة، وظهور العمل المأجور وغيرها من التحولات الاجتماعية التي عرفتها القبائل، غيرت من نمط العيش وأثرت بشكل كبير على البنيات التقليدية التي ينبني عليها العرف، تراجع بعض القيم وبروز قيم أخرى جديدة من السمات الأساسية التي تميز التحول الذي عرفته المنطقة المدروسة، فعندما استفسرنا الكثير من المبحوثين عن " التويزة " كنمط من العمل الجماعي الذي يعزز قيم التضامن والعمل الجماعي، كان جلهم " يتحسر" عن هذه الفترة التي كان فيها العمل الجماعي سائدا، يقول سي العربي 65 سنة (أما اليوم فلم يعد أحد يقبل العمل غير المأجور، ولم يعد أحد قادر على استدعاء أشخاص للعمل لديه دون أن يؤدي لهم ثمن عملهم"، يستطرد محمد جريد 55 سنة " الكل يريد أن يعمل لكن بمقابل معين. السوق ينتظر، الأبناء ينتظرون، الزوجة تنتظر، الكل ينتظر المصاريف" هذه تعبيرات الكثير من المبحوثين." الوقت لم يعد يسعف أحدا في أن يبقى دون أجر يمكنه من ضمان استمراره في الحياة" (ضمن المجموعة البؤرية)، ثم إن دخول التقنيات الجديدة واستعمال الأسمدة التي تزيد من تكاليف العمل الفلاحي كلها عوامل أدت إلى إحداث تغيرات جذرية في العديد من الأمور بما فيها العمل التضامني.

7 أحمد الخلوقي، مدير مدرسة عمومية، وفاعل جمعوي في المنطقة، مشرف على العديد من المشاريع التنموية بشراكة مع منظمات دولية ووطنية.

7. الهجرة عامل للتحول

بالنظر إلى تاريخ الهجرة في قصر تمزموط ، يتضح أنه مسار تراكمي للعديد من التحولات التي عرفتها المنطقة، وفي هذا السياق يجب التميز بين نوعين من الهجرة، الهجرة الداخلية، من البوادي إلى المدن، ثم الهجرة الخارجية من البوادي نحو البلدان الأوروبية، فيما يخص الهجرة الداخلية، يعتبر العامل الديمغرافي في واحات درعة في فترات معينة أساسي لفهم ظاهرة الهجرة، حيث تصل نسبة الخصوبة مثلا إلى 3.3 (مونوفرافية اقليم زاكورة)، فللعائلات في تمزموط استراتيجيات متعددة فيما يخص التدبير الاقتصادي، حيث يتم توزيع الأدوار بين أفراد العائلة بين الفلاحة والشأن المنزلي وغيرها من الأمور الاجتماعية، وفي هذا الإطار تعتبر عملية الدفع بالأبناء للهجرة نحو المدن الكبرى، إستراتيجية أساسية لضمان مورد اقتصادي مستقل عن النشاط الفلاحي، إذن، تأتي مسألة الهجرة كإستراتيجية بالنسبة للعائلات لضمان مورد اقتصادي ثانوي، لذلك تجد لدى كل عائلة فرد أو أكثر من فرد مهاجر في المدن الكبرى، كالرباط الدار البيضاء، مراكش، هذه مسألة أساسية بالنسبة للعائلات داخل الواحات، هذه إلى جانب التمدرس واستكمال الدراسة في الجامعة، لكن بالمقابل في السنوات الأخيرة ولأسباب مرتبطة بالتراجع الكبير في المجال الفلاحي والأنشطة المرتبطة به(Mohamed Benattou, 2014, p52)، ازدادت نسبة الهجرة بين أفراد العائلة الواحدة، حتى أصبحت ظاهرة شاملة لكل أفراد العائلة خاصة الذكور الشباب، في حين أن هجرة الإناث ما زالت ضعيفة بالمقارنة مع الذكور، ويرجع هذا بالأساس إلى الطبيعة الذكورية للمجتمع الواحي، إذن، تجتمع العديد من العوامل لتنتج لنا هجرة قروية قوية، فنقص فرص الشغل، وضعف الإنتاج الفلاحي، ثم ضعف إمكانيات النشاط التجاري، كلها عوامل تشجع هجرة الشباب.

أما فيما يخص الهجرة الخارجية، فيلاحظ أنه في فترات تاريخية معينة قدمت مجموعة ما يعرف ب " موغى "[8] التي قامت بجولة في العديد من مناطق المغرب وواحة تنزولين بشكل خاص، من أجل استقدام اليد العاملة نحو فرنسا، كانت هذه العملية بالنسبة للكثير من شباب هذه المنطقة فرصة من أجل تحسين ظروفهم المعيشية ولعائلاتهم، حيث ساهمت كذلك ظروفهم الاقتصادية الهشة في القصور في الدفع بهم من أجل اتخاذ قرار الهجرة. اليوم وقد مرت سنوات على هذه الهجرة حوالي 20 إلى 30 سنة، نجد أن هؤلاء المهاجرين، على الأقل نسبة كبيرة منهم ، قاموا بالتجمع العائلي regroupement sociale، وهم اليوم يشكلون الجيل الثاني والثالث في فرنسا على وجه التحديد.

8. الهجرة الخارجية والتحولات المجالية

عرف المجال الواحي العديد من التحولات على المستوى المعماري بالخصوص. استقدام الرأسمال المادي أدى بشكل كبير إلى تغيير في الرأسمال الرمزي للواحات، من خلال الملاحظات الميدانية، يتبين بشكل كبير مدى التحول الذي عرفه المجال الواحي، التغير في طرق البناء وغيرها من الوسائل الحديثة التي تستعمل في هذه العملية أثرت بشكل كبير على صورة الواحة. الكثير من المهاجرين على طول خط الواحات الوسطى، قاموا باستعمال الاسمنت في عملية البناء، بل الأبعد من ذلك برزت ثقافة وتصور جديدين فيما يخص عملية البناء حتى بالنسبة للسكان المحليين، حيث يشكل الاسمنت، الوجه الأخر للعديد من البيوت في هذه الواحات.

للتعمق أكثر في الموضوع انتقلنا من مستوى الملاحظة إلى مستوى تمثلات الفاعلين الاجتماعيين، الذي يرون في هذا التحول أمر غير طبيعي بالنظر إلى نتائجه السلبية على صورة

---

[8] تعتبر مجوعة موغى، مجموعة فرنسية جاءت إلى المغرب في الثمانينات، كان هدفها استقدام المهاجرين من المغرب إلى فرنسا، وكان لواحات درعة نصيبها من هذه الهجرة كما يقر بذلك السكان المحليين

الواحات وجماليتها، ويرجع السبب بالنسبة للعديد من المستجوبين، في التأثير الذي حصل في نمط العيش في العديد من القصور خاصة قصر تمزموط الذي لزم بالضرورة هذا التغيير، لقد ساهمت الهجرة التي عرفتها هذه القصور بشكل كبير، حيث أن تأثر سكان الواحة بشكل عام، بنمط عيش المدينة ووسائل عيشهم أدى بشكل كبير إلى تبنيهم تصورات جديدة للمجال الذي يعيشون فيه، استعمال الطين مثلا في عملية البناء التي ميزت الواحات مند قرون مرتبط بالعديد من الأمور المعيشية الأساسية لسكان الواحات، فاستعمال الخشب والوسائل التقليدية في الطهي والطبخ في هذه الواحات والتي كانت منسجمة مع شكل البناء لم يعد قائما اليوم مع ظهور وسائل جديدة، استعمال قنينات الغاز والوسائل الحديثة غير بشكل كبير تصور شكل المطبخ والوسائل الممكن استعمالها، لكن بالمقابل وعلى الرغم من كل هذه التغيرات التي عرفها المجال الواحي مازال العديد منهم يحافظون على الوسائل التقليدية في البناء، كشكل من أشكال المقاومة للتأثير الذي أحدثه نمط المدينة على البوادي المغربية.

9. المسألة اللغوية وحدود التغيير

تعتبر المسألة اللغوية في قصر تمزموط، عامل أساسي في فهم التحولات السوسيو- اجتماعية في هذه القبيلة، من المؤكد أن التحولات التي مست البنيات الاجتماعية لقصر تمزموط شملت أيضا الحقل اللغوي باعتباره حقلا منسجما مع باقي الحقول الاجتماعية الأخرى، إن فهم الهوية الاجتماعية (Hassan Rachik, 2006, p14-66) لمعظم الواحيون مقرون بالدرجة الأولى باللغة المحلية بل الأكثر من ذلك باللكنات أو اللهجات المحلية، ويعتبر المجال الواحي بشكل عام فضاء للعديد من اللغات واللكنات المحلية التي تختلف باختلاف الاثنيات المتواجدة بهذه القصور، فإلى جانب اللغة الأمازيغية والعربية، توجد مجموعة من اللكنات المحلية، " تشلحيت" "تمزيغت"، ثم الحسانية في واحات لمحاميد الغزلان، وتعتبر اللغة العربية – الأمازيغة، نوعا خاصا مميزا للعديد من القصور، حيث تمتزج اللغة العربية الأمازيغية والأمازيغية بالعربية، ويرجع دلك تاريخا إلى التلاقح الذي عرفته بعض القبائل الأمازيغية والقبائل العربية.

قدوم العديد من القبائل خلال فترات تاريخية معينة كقبائل أيت عطا، وقبائل أيت سدرات إلى جانب بعض القبائل العربية التي قدمت من الصحراء، أسهم بشكل جلي في بناء الفضاء اللغوي في قصور تنزولين بشكل عام، حيث تشكل اللغة مجالا للتعبير الهوياتي للعديد من المجموعات والفرق المكونة لقصر تمزموط(Lewis Bradford, 2012, p130)، داخل كل مجال واحي توجد تعبيرا ت ولكنات مختلفة. ففي قصر تمزموط مثلا، وعلى الرغم من أن غالبية الساكنة تتحدث باللغة الأمازيغية، وبالخصوص " تشلحيت" إلا أن هناك (Abdallah Elmountassir, 1999, p14) بالمقابل تواجد لمجموعة من العائلات تتحدث لكنة مختلفة، يعتبرون لغتهم بـ" تمازيغت" وأكيد أن هدا الاختلاف سينعكس بشكل أو أخر على الهوية الجماعية للفرق المكونة لقصر تمزموط.

بالإضافة إلى كل هذا، يمكننا القول أن السوق اللغوية بالواحة المشمولة بالدراسة مسألة أساسية لفهم التحولات الاجتماعية وكذلك الهوية الاجتماعية. يعتبر العديد من الواحيون أن اللغة والثقافة الأمازيغية جزء أساسي من هويتهم إلى جانب الثقافة العربية والإسلامية، بل يسهر الواحيون في الحفاظ على هويتهم الأمازيغية من خلال تواصلهم الدائم باللغة الأمازيغية وتعبيراتها المختلفة، في ضوء الصراع القائم بين الأجيال حول المسألة اللغوية، لاسيما وأن هجرات الشباب الى المدن الكبرى، وتواصلهم الدائم باللغة العربية – أحدث تغييرا على مستوى العديد من التعبيرات اللغوية، لذلك يحاولون التواصل باللغة الأمازيغية للحفاظ على لغتهم التي يعتبرونها هويتهم الجماعية، لا يخفي الواحيون وبالخصوص في " قصر تمزموط " تخوفهم من استيعاب اللغة الأمازيغية من طرف اللغة العربية، على اعتبار التحولات السوسيو – لغوية التي عرفتها

المنطقة، فالعديد من شباب المنطقة يتواصلون في أحايين عدة باللغة العربية مما يشكل تغيرا في النمط التواصلي السائد لدى الجيل الأول (Dubar, Claude, 1996, p120).

ازدواجية اللهجات المحلية التي تميز قصر تمزموط، واختلافها على مستوى التموضعات الاجتماعية يشكل إطارا أساسيا لفهم الظاهرة اللغوية بارتباطها بالمتغيرات الاجتماعية، يشكل التواصل بين هذه المجموعات شكل أساسي للتعايش السلمي، على اعتبار أن اختلاف اللهجتين لا يشكل عائقا في التواصل بين المجموعات، غير أنه يشكل عاملا للتمييز في بعض الأحيان، والدليل على ذلك هو استمرار اللهجتين في التواجد رغم اختلافهما من حيث العدد حيث نجد أن مجموعة " دراوة " مثلا أكثر عددا مقارنة مع مجموعة " إيمازغن "الدين يمثلون أقلية حوالي خمس عائلات، لكن مع ذلك احتفظوا بلهجتهم وهويتهم، فعندما تحتفل المجموعة الثانية مثلا بمناسبات معينة مثل الزواج، نجد أن هناك تباين واختلاف من حيث تقاليد كل مجموعة، مما يبين كذلك الاختلاف اللغوي خاصة عندما يتعلق الأمر بالأغاني والأشعار، حيث تصل في بعض الأحيان إلى مستوى لا فهم المجموعات الأخرى، حيث الإنتاج اللغوي هنا يختلف ويتباين كما قلنا سابقا باختلاف السياق، إذن، تثير اللغة، أو بالأحرى اللهجة التي تتحدث بها المجموعة مكون أساسي للهوية الفردية والجماعية، كما تشكل عاملا أساسيا للانصهار والتلاحم بين المجموعة الواحدة، حيث تشكل الإطار الموحد لها والذي يمثل هوية المجموعة، ثقافيا وعرقيا وكذلك دينيا.

ترتبط المجموعات في قصر تمزموط بشكل خاص بلهجتها المحلية، حيث تتخذ مكانة أساسية لدى هذه المجموعات، إذ تسهر على التواصل الدائم بلهجتها، بل تحسس من يخرج عن هذا السياق بالغريب أو المتكبر الذي خرج عن المجموعة أو غير ذلك من النعوت التي: أن ذلت على شيء فإنما تذل على حرص هذه المجموعات في الحفاظ على هويتها الجماعية.

تشكل اللغة العربية بالنسبة لهذه المجموعات وسيلة تواصل بين الغرباء الذين لا يتحدثون اللغة الأمازيغية، (Lewis Bradford, 2012, p21)، وأنه لمن المفارقة أن نجد أنه على الرغم من اعتبار هذه المجموعات أن هويتها عربية إسلامية أمازيغة، إلا أنهم لا يخفون حرصهم الحفاظ على اللغة الأمازيغية، التي يعتبرونها الأم، والتواصل بين أبناء نفس المجموعة لا يتم في غالبية الأحيان إلا باللغة الأمازيغية، وبالأحرى اللهجة المحلية، بل هناك بعض الأشخاص خاصة من النساء والمسنين الذي لا يجيدون التحدث باللغة العربية، على الرغم من حفظهم لبعض الآيات من القرءان.

10. العائلة في قبيلة قصر تمزموط

تعتبر العائلة في المجتمع الواحي بشكل عام وقبيلة قصر تمزموط بشكل خاص، وحدة أساسية للإنتاج والتنظيم الاجتماعي، أنها بالفعل وحدة متكاملة الأركان، فلكل فرد داخل العائلة دور أساسي يجب أن يقوم به على الشكل المطلوب اجتماعيا. فالأدوار المرتبط بالمنزل (takat) منوطة بالضرورة للنساء، سواء منهن المتقدمات في السن أو غيرهن، ويتم ذلك بشكل منظم، حيث تقوم النساء المتقدمات في السن في تحديد دور كل امرأة في البيت على حدا، إذ غالبا ما تكون زوجات الأبناء من يتكفلن بهذه العملية.

أما فيما يخص الأعمال خارج المنزل فيشترك فيها كل من المرأة والرجل على حد سواء. فالرجال يقومون بالأعمال الفلاحية والزراعة والأعمال الأخرى المرتبطة بالبناء والتسويق. في حين تقوم النساء بجمع المحصول من الأعشاب يوميا لتوفير الغداء اليومي للماشية. تلعب العائلة العديد من الأدوار فهي التي تنقل القيم الجماعية للأفراد (محمد مهدان، 1900، ص41) من خلال آليات التنشئة الاجتماعية، كما تجسد الجماعة وتعتبر مرآة له في نفس الوقت (Sophia Mappa, 1998, p17)، تنتج هذه المؤسسة الكثير من القيم التي تعتبر الأساس التي تنظم من خلالها الجماعة، قد تختلف هذه القيم مع القيم التي تنتجها الدولة بمؤسساتها العصرية في كثير من

المجالات، فإذا كانت الأسرة في المجتمعات التقليدية تحتكم إلى العرف والجماعة والأعيان، فإن القوانين المكتوبة وبقوة العرف، تفسح المجال لهذه المكونات التقليدية لتلعب دورها في مثل هذه الحالات، على سبيل المثال تزويج البنات حتى قبل بلوغها سن الزواج حيث يتم الاتفاق بين العائلات فحسب، دون الرجوع إلى قوانين مدونة الأسرة.

القوانين الوضعية هي من نتاج الدولة الحديثة، ولم تكن من نتاج هذه المؤسسات التقليدية كالأسرة أو الجماعة، الكثير من هذه القوانين لا تتجاوز الرفوف أمام مقاومة ورفض هذه المؤسسات التي تألوا إلى إعادة إنتاج القوانين العرفية من ذاتها ولذاتها، النظام الأبوي الذي ترتكز عليه هذه المؤسسات التقليدية يحاول جاهدا أن يحافظ على نفسه أمام كل الظروف، بالنظر إلى وضعية المرأة في تمزموط، نستشف مدى بعد القوانين الوضعية عن الواقع المعيش للمرأة في القصر، صحيح أن هناك قوانين تحمي وتصون كرامة النساء وحريتهن لكن، أمام هذه الذهنيات والأعراف تصبح هذه القوانين موقوفة التنفيذ.

خاتمة:

لقد تأكد لنا من خلال البحث الميداني كذلك، مدى التغيرات الاجتماعية التي عرفتها واحة تنزولين بشكل عام وقصر تمزموط بشكل خاص، حيث مست كل جوانب الحياة الاجتماعية، فعلى مستوى الاجتماعي خلصنا إلى نتيجة أساسية مفادها، أن التنظيم الاجتماعي التقليدي مازال محافظا على نفسه، من خلال التنظيم المحلي الذي تلعب فيه القبيلة والأعيان دورا أساسيا في اتخاذ القرارات، أما فيما يخص العائلة في القصر فيمكن القول أن التغيرات التي عرفتها خاصة بعلاقتها بالأرض، أثرت بشكل كبير على بنية العائلة وبروز الفرد داخلها، هذا بدوره أدى إلى بروز الأسرة النووية في العديد من العائلات، وهذا من طبيعة الحال سينعكس على وضعية المرأة التي برزت هي كذلك كفاعل أساسي من خلال العمل الذي تقوم به خاصة (العمل المرئي) بمعنى العمل المؤدى عنه، ثم خروجها إلى الفضاء العام من خلال انخراطها في بعض برامج التنمية التي تقوم بها بعض الجمعيات المحلية.

خلصنا كذلك إلى العديد من النتائج، أهمها مرتبطة بالتنظيم القبلي والاجتماعي الذي يميز قصر تمزموط، فعلى الرغم من التحولات التي عرفها هذا القصر، ما زال دور القبيلة حاضرا في التنظيم الاجتماعي للماء، ومازالت الأعراف الاجتماعية المتوارثة عبر الأجيال تلعب دورا أساسيا في التنظيم الاجتماعي، صحيح أن دور القبيلة تراجع بشكل كبير أمام بعض المؤسسات الاجتماعية التي برزت في القصر، كجماعة الدوار مثلا التي عوضت بشكل كبير القبيلة في العديد من المجالات، لكن ذلك يختلف من مجال واحي لآخر.

قائمة المراجع:

1. البوزيدي أحمد (1994)،" التاريخ الاجتماعي لدرعة من مطلع ق 17 إلى مطلع ق 20 م" - دراسة في الحياة السياسية والاقتصادية –بدايات أفاق متوسطية مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء.
2. مهدان محمد(2012)، الماء والتنظيم الاجتماعي دراسة سوسيولوجية لأشكال التدبير الاجتماعي للسقي بواحة تودغى، جامعة ابن زهر، أغادير.
3. الطايع مبارك (2007)البنيات، الزراعية والاجتماعية وأفق الاستمرار والانقطاع في الواحات المغربية واحة تافيلالت نموذجا، بحث لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع، جامعة محمد الخامس – الرباط.

4. Aït hamza Mohamed, EL FASKAOUI Brahim, (2013). Les oasis du Drâa au Maroc, Hommes et migrations [En ligne],1284 | 2010, mis en ligne le 29 mai.
5. Amahan Ali, (1998). Mutations sociales dans le Haut Atlas, les Ghoujdama, édition de la Maison des sciences de l'Homme, Paris.
6. Aron Raymond (1994). Les étapes de la pensée sociologique, Gallimard, Paris.

7. Boukous Ahmed, (1977). Langage et culture populaires au Maroc, publication de l'AMREC, Maroc.
8. Bradford, Lewis (2012). Das Any one here speak tashelhait. Perspectives on environment, identity and social change in south Morocco". College of Liberal Arts & Social Sciences Theses and Dissertations, Chicago.
9. Chatty Dawn, (2006). Nomadic Societies In The Middle East And North Africa, Entering the 21st Century Netherlands. Brill, Boston.
10.Dubar Claude, (1996). La socialisation : construction des identités sociales et professionnelles, Armand Colin, Paris.
11.EL Mansour Mohamed, (1984). Dads, de l'organisation sociale traditionnelle a la domination coloniale XIX éme – Xxéme siecles , Institu Royale de la culture Amazighe, Rabat.
12.Farge Arlette (2013). La domination masculine, dans l'insoumission en héritage, Pierre Bourdieu, (sous la direction d'Edouard Louis), presse universitaire de France, Paris.
13.Forse Michel, (2000). Les théories de changement social, dans, La sociologie, Histoire et idées, coordonné par Philippe Cabin et Hean-françois dortier, Edition sciences Humains. Paris.
14.Guy, Rocher(2012). Introduction à la sociologie générale, l'action sociale, Bibliothèque québécoise, Canada
15.Hart David. M, (2000). Tribe and Society in Rural Morocco first published. Routledge, Royaume-Uni.
16.Lipton Michael, (2005). The Family Farm in a Globalizing World: The Role of Crop Science in Alleviating Poverty. Vision Discussion Paper No. 20, International Food Policy Research Institute, Washington.
17.Mappa Sophia, (1998). Pouvoir et traditionnels et pouvoir d'état en Afrique. Edition Karthala, Paris.
18.Milewski, Françoise & Hélène Perivier, (2011). Les discriminations entre les femmes et les hommes. Presses de sciences politiques, Paris
19.Naamane Guessous, Soumaya (2016). Les femmes dans le Maroc d'hier et d'aujourd'hui. Marsam, Maroc.
20.Remond Aron, (1967). Les étapes de la pensée sociologique. Edition Gallimard. Paris.
21.Savarese Eric, (2006). Méthodes des Sciences sociales, édition Ellipses, Paris
22.Spillmann Georges, (1936). Les ait Atta du Sahara et la pacification du Haut dar. Edition Felix Moncho,Tome 29, Rabat.
23.Valensi Lucette, (1986). Le Maghreb avant la prise d'Alger : question d'histoire, Ed. Flammarion, Paris.

إشكالية إدارة السيولة في المصارف الإسلامية مقارنة بنظيرتها التقليدية
The problem of liquidity management in Islamic banks compared to conventional ones

أ.بن عامر زين الدين، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير جامعة غرداية-الجزائر

ملخص: عملنا من خلال هذه الدراسة على التعريف بالمفاهيم الأساسية للسيولة وأهميتها وواقعها في المصارف الإسلامية، لننتقل بعدها للحديث عن المخاطر عموما وعن مخاطر السيولة بصفة خاصة والناتجة عن عدم الاحتفاظ بالمستوى الأمثل من السيولة، وأنه لابد من إدارتها للتقليل من حدتها وآثارها، وكان ذلك مدخل للتعرف على مشكلة السيولة وواقعها في المصارف الإسلامية وتحليل طبيعة مشكلة إدارتها في المصارف الإسلامية مقارنة بنظيرتها التقليدية، وصولا إلى تحديد درجة حدة مشكلة إدارة السيولة لدى المصارف الإسلامية والتقليدية وأيهما أكثر تعقيدا؟ وكيف أن البنوك المركزية تزيد من حدة مشكلة إدارة السيولة لدى المصارف الإسلامية ؟.

الكلمات المفتاحية: السيولة، إدارة السيولة، المصارف الإسلامية التقليدية و المركزية.

Abstract: We have worked through this study to introduce the basic concepts of liquidity and its importance and its reality in Islamic banks. We then move on to talk about the risks in general and the liquidity risks in particular, which result from not maintaining the optimal level of liquidity and that it must be managed to reduce its severity and effects. The problem of liquidity and its reality in Islamic banks and analyze the nature of the problem of its management in Islamic banks compared to conventional ones, to determine the degree of severity of the problem of liquidity management in Islamic banks and traditional and whichever is more complex, and how central banks increase The problem of liquidity management in Islamic banks.

Key words: liquidity, management liquidity traditional and central Islamic banks.

مقدمة:

إن مشكلة السيولة من المشاكل المعقدة التي تواجه المصارف عامة والإسلامية منها على وجه الخصوص، فقد لازمت منذ نشأتها لطبيعتها و لطبيعة أنشطتها وطبيعة البيئة المحيطة بها، لذلك عملت المصارف الإسلامية على غرار المصارف التقليدية، على إدارة سيولتها للحفاظ على نموها، ربحيتها، سمعتها وبقائها، في ظل مجموعة من المعوقات والمشاكل الشرعية كحرمة بيع الدين رغم أن جزء كبير من أصول المصارف الإسلامية عبارة عن ديون، ومشاكل قانونية أهمها إشكالية رقابة المصارف المركزية الربوية على المصارف الإسلامية، ومشاكل أخرى متعلقة بمحدودية الابتكار في منتجات إدارة السيولة، ومشاكل راجعة للبيئة التي تعمل بها هذه المصارف وأهمها عدم نضج السوق المالية الإسلامية، فهذه المشاكل تعقد وتصعب مهمة المصارف الإسلامية في إدارة سيولتها ناهيك عن كون إدارة السيولة تتم في ظل الأهداف المتناقضة السيولة، الربحية والأمان فإلى أي مدى تعتبر إدارة السيولة أكثر تعقيدا بالنسبة للمصارف الإسلامية مقارنة بنظيرتها التقليدية؟

ما المقصود بإدارة السيولة؟ وما مدى أهميتها بالنسبة للمصارف؟

ما هو واقع السيولة في المصارف الإسلامية؟

ما هو منشأ مشكلة السيولة لدى المصارف؟

ما هي أهم المشاكل البيئية والمالية والشرعية التي تعيق المصارف الإسلامية في إدارة سيولتها؟

وكيف تزيد البنوك المركزية من حدة مشكلة إدارة السيولة لدى المصارف الإسلامية؟

منهجية البحث:

اعتمدنا في بحثنا على المنهج الوصفي التحليلي لوصف مشكلة البحث وصفا دقيقا وتحليل طبيعتها ودرجة حدتها، كما اعتمدنا على المنهج المقارن لمقارنة هذه المشكلة على مستوى المصارف الإسلامية من جهة والتقليدية من جهة ثانية.

أولا: الإطار النظري للموضوع

1- السيولة، تعريفها وأهميتها

1-1- تعريف السيولة:

عرفها صندوق النقد الدولي بأنها "المدى الذي يمكن فيه للأصول المالية أن تباع عند إشعار قصير بالقيمة السوقية"(موقع صندوق النقد الدولي، 2018).

وعرفتها لجنة بازل بأنها "القدرة على تمويل الزيادة في الموجودات والوفاء بالالتزامات عند مواعيد استحقاقها دون تكبد خسائر غير مقبولة"(موقع لجنة بازل، 2018).

ويمكن تعريفها أيضا بأنها القدرة على مواجهة الالتزامات القصيرة الأجل في مواعيد استحقاقها، وعلى الاستجابة لطلبات الائتمان من خلال احتفاظ المصرف بجزء من أصوله في شكل سائل، إضافة إلى أصول شبه سائلة، ومن خلال قدرة المصرف على الاقتراض لمقابلة حركات السحوبات العادية والمفاجئة أو لمنح قروض جديدة(أسامة العاني ومحمد الشويات، 2015، ص7).

وعموما مصطلح السيولة يلفظ ويراد به معاني مختلفة، وهذا الاختلاف راجع لاختلاف الزاوية التي ينظر منها كل باحث لمصطلح السيولة، إلا أن كل تعاريف السيولة تدور حول النقد وما يسهل تحويله إلى نقد دون خسائر رأس مالية.

1-2- أهمية السيولة النقدية بالنسبة للمصارف:

السيولة ضرورية لبقاء المصرف، ويجب أن تبقى متوفرة تحت الطلب لتجنب المخاطرة واحتمال الإفلاس، فالمصرف لا يستطيع أن يتنبأ بدقة بالنفقات الداخلية والخارجية لذلك يكون الاحتفاظ بالحجم الأمثل من السيولة ضروري للبقاء.

إن احتفاظ المصرف بالحجم الأمثل من السيولة يسهل عليه تلبية طلبات السحب والتمويل، فيظهر بمظهر القوي القادر على الوفاء بالتزاماته، فتزيد ثقة العملاء فيه وتزيد مدخراتهم وودائعهم وتزيد قدرة المصرف التنافسية تبعا لذلك، وعلى العكس فإن تأجيل صرف شيك مسحوب أو تأجيل دفع وديعة مستحقة الدفع، يفقد العملاء ثقتهم في المصرف ولو أشيع هذا الأمر لازداد الطلب على الودائع ولأصبحت هنالك أزمة سيولة(أحمد محمد السعيد و إبراهيم عبد الحليم عباده، 2017، ص8).

كما يتجنب المصرف الذي يتمتع بسيولة مناسبة الخسارة الناتجة عن البيع الاضطراري للأصول(جمال أحمد زيد الكيلاني، 2015، ص4).

تعد السيولة المناسبة مؤشر إيجابي على عمل المصرف وتبعده عن الاقتراض المتكرر من المصرف المركزي، فرغم كونه المقرض الأخير إلا أن كثرة الاقتراض منه تقلل من ثقته في المصرف المقترض ومنه إخضاعه لإجراءات الرقابة والمتابعة باستمرار(صابرين بن المبروك الحداد وأحمد سعد الرباطي، 2015، ص9).

وقبل أزمة 2008 كان ينظر لخطر السيولة على أنه أبسط أنواع المخاطر بل تم تجاهلها في بعض الدوائر، أما الآن فالمصارف تتعامل بجدية كبيرة مع السيولة وخطرها، فقد أظهرت أزمة 2008 أن السيولة ضرورية لحسن سير الأسواق المالية والقطاع المصرفي وأن جفاف السيولة يمكن أن يكون بشكل سريع ودائم(موقع لجنة بازل، تقرير بازل3، 2018).

وأهمية السيولة بالنسبة للمصارف الإسلامية أكبر وذلك للاعتبارات التالية(جمال أحمد زيد الكيلاني، 2015، ص5):

- اهتمام المصارف الإسلامية بالأنشطة الاستثمارية التي تتطلب الاحتفاظ بمستوى أعلى من السيولة وهذا يقلل من العائد الإجمالي للاستثمار بسبب السيولة المجمدة.
- قلة البدائل التي تتوافق مع أحكام الشريعة والتي تمكن المصارف الإسلامية من استثمار الفائض وتوفير السيولة في حالة العجز.
- غياب السوق المالية الثانوية أو سوق التداول الإسلامية.
- بالإضافة إلى إشكالية رقابة المصرف المركزي الربوي على المصارف الإسلامية.

2- معنى المخاطرة عموما ومخاطر السيولة خصوصا

2-1- تعريف المخاطرة أو الخطر:

إن مفهوم المخاطرة يختلف باختلاف الزاوية التي ينظر منها للمخاطرة، ويمكن تعريفها بأنها "عدم اليقين بحدوث النتائج المطلوبة واحتمال أن يكون المآل غير مرغوب"(خديجة خالدي، 2011، ص4).

أو هي "احتمال تعرض المؤسسة إلى خسائر غير متوقعة وغير مخطط لها"(حسين بلعزوز، 2005، ص3).

والمخاطرة بالنسبة للمصرف هي "حالة عدم التأكد من استرجاع رؤوس الأموال المقرضة أو تحصيل أرباح مستقبلية متوقعة"(مفتاح صالح، 2009، ص2).

ونحن نرى أن المخاطرة هي الانحراف عما هو متوقع أو مرغوب، فهي مرادفة لعدم التأكد وحقيقة ثابتة يمكن التخفيف من حدتها ولا يمكن إلغائها أو إزالتها.

2-2- تعريف مخاطر السيولة:

هي "عدم قدرة المصرف على الوفاء بالتزاماته النقدية ومواجهة طلبات المودعين، لعدم كفاية السيولة بسبب السحوبات المفاجئة والعالية"(جمال أحمد زيد الكيلاني، 2015، ص6).

وعرفها مجلس الخدمات المالية الإسلامية بأنها "تعرض المؤسسة لخسائر محتملة تنشأ من عدم قدرتها على الوفاء بالتزاماتها، أو تمويل الزيادة في الموجودات عند استحقاقها دون أن تتكبد تكاليف أو خسائر غير مقبولة"(غسان سالم الطالب، 2015، ص6).

ما يعاب على هذين التعريفين لمخاطر السيولة وغيرها كثير، تركيزها على خطر عجز السيولة وإظهاره على أنه هو خطر السيولة ككل، والحقيقة أن عجز السيولة والمتمثل في كون الموجودات النقدية في المصرف غير كافية للوفاء بالتزامات المصرف، ما هو إلا جزء من خطر السيولة والذي يشمل خطر فائض السيولة كذلك، والمتمثل في احتفاظ المصرف وتجميده لسيولة تفوق حاجاته منها، وهذا الفائض لا يقل خطورة عن خطر العجز ولذلك يمكن تعريف خطر السيولة بأنه: احتمال وقوع المؤسسة أو المصرف في حالة عدم القدرة على الوفاء بالالتزامات لشح السيولة لديه، أو العجز عن توظيف السيولة الزائدة عن حاجته، أو بعبارة أخرى احتمال تعرض المصرف للآثار غير المرغوبة والناتجة عن عدم الاحتفاظ بالمقدار الأنسب من السيولة.

3- تعريف إدارة السيولة أو إدارة مخاطر السيولة:

قلنا أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال إلغاء المخاطرة وخطر السيولة لا يخرج عن هذه القاعدة، فمهما كانت الجهود المبذولة كبيرة والتخطيط المرسوم دقيق، فمخاطر السيولة باقية لذلك لابد من إدارتها للحد منها لكي لا يكون لها أثر بالغ على ربحية ونمو وبقاء المصارف، ويمكن تعريف إدارة السيولة بأنها:

عرفها المصرف المركزي الماليزي BNM بأنها "احتفاظ المصرف بتدفقات نقدية كافية لمواجهة سحوبات كبيرة بشكل فجائي أو غير معتاد"(بنك نيجار ماليزيا، 2018).

وعرفتها لجنة بازل بأنها "قدرة المصرف على تمويل الزيادة في الموجودات والوفاء بالالتزامات في مواعيدها وبتكلفة معقولة"(قتيبة عبد الرحمان العاني، 2015، ص6).

وعرفها الخبير الاقتصادي حسن شحاتة بأنها "الاستثمار الأمثل للأموال المتاحة مما يحقق أقصى عائد، والمقدرة على الوفاء بالالتزامات للدائنين عند الحد الأدنى للتكاليف"(حسين شحاتة، 2010، ص14).

فإدارة السيولة يجب أن تعمل في ظل متناقضين، الاحتفاظ بالقدر الأمثل من السيولة التي تحقق الأمان و القدرة على الوفاء بالالتزامات دون إغفال العائد أو الربحية المرضية(سعيد بوهراوة وأكرم لال الدين، 2015، ص8).

أي أن إدارة السيولة أو إدارة مخاطرها تعني أن تستثمر الفوائض المالية دون اكتنازها ودون تضييع للفرص الاستثمارية لتحقيق أقصى ربح ممكن، كل ذلك مع عدم المساس بقدرة المصرف على الوفاء بالتزاماته(أسامة العاني و محمد الشويات، 2015، ص8).

4- تعريف المصارف الإسلامية و المركزية:

4-1- تعريف المصارف الإسلامية:

اختلفت وتعددت التعاريف التي وضعها الباحثون للمصارف الإسلامية لاختلاف الزاوية التي ينظر منها كل واحد منهم لهذه المؤسسات، ونكتفي هنا بذكر تعريف واحد منها:

"هي مؤسسات مالية تقوم بأداء الخدمات المصرفية و المالية، كما تباشر أعمال التمويل والاستثمار في المجالات المختلفة على ضوء قواعد الشريعة الإسلامية وأحكامها، بهدف المساهمة في غرس القيم، المثل والأخلاق الإسلامية في مجال المعاملات، والمساعدة في تحقيق

التنمية الاجتماعية والاقتصادية، ومن ثم تحقيق الحياة الطيبة الكريمة لأفراد الأمة الإسلامية"(إسراء مهدي حميد، 2010، ص369).

2-4-تعريف المصارف المركزية:

المصرف المركزي هو مؤسسة نقدية مركزية تتربع على رأس النظام المصرفي في كل بلد، تقوم بدور بنك البنوك، إصدار النقود الورقية، الرقابة على الائتمان ووضع السياسة النقدية للبلد، وهي وكيل مالي للحكومة(ناصر سليمان، 2005، ص53).

ثانيا- مشكلة السيولة و واقعها في المصارف الإسلامية:

1- مشكلة السيولة عموما:

إن مشكلة السيولة عموما تتأتى من كون المصرف أو أي منشأة اقتصادية تهدف لتحقيق الربح، ويكون ذلك من خلال زيادة الاستثمار إلى حدود معينة إن تجاوزتها المصارف فإن ذلك سيهدد كيانها المالي وقدرتها على السداد، لزيادة حجم الالتزامات التي عليها وتجميد الكثير من أموالها(ضياء الدين الغنيم، 2008، ص18).

أو بعبارة أخرى فإن احتفاظ المصرف بنسب من السيولة تفوق حاجاته يعبر عن عدم الاستغلال الجيد للموارد المالية المتاحة، ولهذا العجز في توظيف الفائض من السيولة المتوفرة آثار سلبية على ربحية وسمعة المصرف رغم أنه يحقق للمصرف درجة جيدة من الأمان وقدرة على الوفاء بالالتزامات، وإذا أرادت المصارف تجنب الآثار السلبية الناتجة عن الاحتفاظ بنسب عالية من السيولة، وقامت بتوظيفها بغية تحقيق أقصى ربح ممكن فإن ذلك يزيد من درجة خطر عجز السيولة(سعدي أحمد حميد الموسوي، 2016، ص3).

فيجب على المصارف أن تتحكم في السيولة والربحية في آن واحد فتكون على استعداد لتلبية طلبات السحب من قبل العملاء أصحاب الودائع، وفي نفس الوقت توظف الودائع فتوظيفها يدر عائدات على المصارف (Karim CHERIF, 2008, p56) وهذا ما يسمى بإدارة الأهداف المتناقضة للمصارف التجارية.

2- واقع السيولة في المصارف الإسلامية:

أكد أغلب الباحثين في مجال الصيرفة الإسلامية أن المصارف الإسلامية تعاني من عجز كبير في استثمار فائض السيولة المتوفرة لديها، حيث لم تستوعب الأدوات الاستثمارية المتاحة لديها هذا الفائض(حسين سعيد، 2016، ص3) وهذا أمر سلبي ينعكس على ربحية المصارف الإسلامية وعوائد الاستثمار لديها(عبد القادر الدويك، 2010، ص13)، وقد تم إثارة وبحث هذا الموضوع في مختلف الملتقيات، الندوات والحلقات الدراسية التي نظمت لبحث المشاكل التي تعاني منها المصارف الإسلامية(حسين شحاتة، 2010، ص20).

وهناك دراسات عديدة أكدت جلها على وجود فائض سيولة غير موظف لدى المصارف الإسلامية، وهذا الفائض يفوق ما لدى المصارف التقليدية من فائض مع ملاحظة أن هذا الفائض أخذ بالتراجع في السنوات الأخيرة.

وسبب وجود هذا الفائض الكبير من السيولة لدى المصارف الإسلامية يعود لجملة من الأسباب، كالاعتماد على الحسابات الجارية التي تحتم على المصرف الاحتفاظ بنسب سيولة عالية لمواجهة السحوبات اليومية و المفاجئة، ومحدودية السوق النقدية مابين المصارف الإسلامية و غياب السوق المالية الثانوية الإسلامية أو سوق التداول ...الخ(أسامة العاني ومحمد الشويات، 2015، ص12).

كما نرى أن المصارف الإسلامية تتعمد الاحتفاظ بمثل هذا الفائض خوفا من العجز لغياب المقرض الأخير، وسنعود بنوع من التفصيل لهذه الأسباب في النقطة الموالية عند الحديث عن طبيعة مشكلة السيولة في المصارف الإسلامية مقارنة بنظيرتها التقليدية.

ثالثا: تحليل طبيعة إدارة مشكلة السيولة في المصارف الإسلامية:

إن مشكلة السيولة أو مشكلة فائض وعجز السيولة في المصارف الإسلامية أشد تعقيدا مما هي عليه في المصارف التقليدية، وهناك جملة من الأسباب والاعتبارات التي على أساسها تم الحكم بأن طبيعة مشكلة السيولة في المصارف الإسلامية أشد تعقيدا، وهي أسباب كثيرة تفرقت في كتابات مختلف الباحثين وجمعها وحصرها الباحثان أسامة العاني ومحمد الشويات ونفصلها ونثريها فيما يلي:

يمكن حصر الجوانب الرئيسية لمشكلة السيولة في المصارف الإسلامية في الآتي(أسامة العاني ومحمد الشويات، 2015، ص11-13): المشاكل المتعلقة بالإطار الشرعي؛ المشاكل المتعلقة بالجانب الابتكاري؛ المشاكل المتعلقة بالبيئة المالية، المشاكل المتعلقة بالجانب القانوني.

1- المشاكل المتعلقة بالجانب الشرعي:

ويمكن إجمالها في وجود ضوابط شرعية يجب على المصرف الإسلامي الالتزام بها والوقوف عند الحلال والحرام وهذا مالا تبالي به المصارف التقليدية، ولا يجب أن يفهم من كلامي أن الشريعة الإسلامية وقفت عائقا أمام المصارف الإسلامية وصعبت من إدارة سيولتها، لكن ما نقصده أن هناك حرية أو مساحة واسعة للمصارف التقليدية مقارنة بالمصارف الإسلامية، كالمطالبة مثلا بعدم التعامل بالربا أو الفائدة أخذا وعطاء، ونظام الفائدة رغم أنه سبب كل أزمات النظام الرأس مالي ككل إلا أنه نظام مرن في إدارة السيولة؛

ومن القيود الشرعية كذلك نجد حرمة بيع الدين رغم أن جزء كبير من أصول المصارف الإسلامية عبارة عن ديون، لكن لا يمكن للمصارف الإسلامية بيع الدين إلا في نطاق ضيق، والمصارف التقليدية بإمكانها بيع الدين والحصول على السيولة اللازمة، وغيرها من الضوابط الشرعية التي تلتزم بها المصارف الإسلامية دون التقليدية؛

بالإضافة لما أشار إليه أسامة العاني ومحمد الشويات عن المشاكل المتعلقة بالجانب الشرعي، نجد كذلك اختلاف الفتاوى حول المنتجات المالية خاصة المنتجات المتعلقة بإدارة السيولة، وبالتالي تتعقد مشكلة إدارة السيولة لدى المصارف الإسلامية من هذا الجانب كذلك، فلابد من توحيد هذه الفتاوى بدل تضاربها وهذا الذي فتح المجال للتلاعب بالشريعة، من قبل بعض المصارف الإسلامية على حساب سمعتها وثقة المتعاملين فيها وفتح المجال واسعا للطعن في مصداقيتها(بوصافي كمال وشيّاد فيصل، 2013، ص21).

وتتعرض المصارف الإسلامية لخطر عدم الامتثال لأحكام الشريعة الإسلامية، حيث إذا لم تلتزم بالمعايير الشرعية في تعاملاتها فإن ذلك سيسيء لسمعة المصارف لدى عملائها مما قد يدفعهم لسحب ودائعهم منها، وفي هذا زيادة لحدة مشكلة السيولة (BEN JEDIDIA KHOUTEM JLASSI MOULDI, 2016, p7).

2- المشاكل المتعلقة بالجانب الإبتكاري:

إن المصارف الإسلامية اعتمدت على الكفاءات البشرية المكونة من طرف المصارف التقليدية أو الكفاءات التي عملت مطولا لدى المصارف التقليدية، مما جعلها تتشرب بأفكار ومبادئ المصارف التقليدية، وبالتالي فإن هذه الكفاءات عاجزة عن تطوير أدوات مالية إسلامية بحثه، قادرة على التخفيف من حدة مشكلة السيولة لديها، وإن ابتكرت أداة فإنها تكون إسلامية المظهر وربوية الجوهر، لأن الابتكار أو التطوير ينطلق من تقليد أداة لدى المصارف التقليدية؛

وقد توصل عبد الرحمان بن حامد بن علي الحامد من خلال رسالة دكتوراه إلى أن سبب انحراف أغلب المصارف الإسلامية عن التطبيقات الشرعية، يرجع إلى سيطرة الفكر المصرفي التقليدي على إدارة المصارف الإسلامية وفقد الخبرة والكفاءة في العمل المصرفي الإسلامي(عبد الرحمان بن حامد بن علي الحامد، 2007، ص3).

وإن وجدت الكفاءات البشرية المتمكنة من فقه المعاملات الإسلامية والعلم بالتقنيات البنكية، فإن المصارف الإسلامية عموما لا تركز على الابتكار والتطوير أو على الأقل لا تطبق الابتكارات والحلول المقترحة من قبل الباحثين ومراكز البحث.

وإن التزام المصارف الإسلامية بمبادئ الشريعة الإسلامية يكون بشكل متفاوت بين مختلف هذه المصارف، حيث يحاول كل مصرف إظهار مدى التزامه بمبادئ الشريعة الإسلامية أكثر من أي مصرف إسلامي آخر، وبالتالي فالحوافز للابتكار منخفضة، فالمصارف الإسلامية بدل أن تتنافس في تقديم أفضل المنتجات التي ترضي العملاء، تتنافس في إظهار الالتزام بالمعايير الشرعية (Anouar Hassoune , 2008, p23)؛

ومن المعلوم أن الفائدة محظورة في الشريعة الإسلامية، وبالتالي لا يمكن للمصارف الإسلامية الاعتماد على أدوات إدارة السيولة التقليدية القائمة على الفائدة، بالإضافة للقيود على بيع الدين ومنع الغرر، ومنه عدم جواز التعامل بالمشتقات التي يظهر فيها الغرر أو الربا، وبالتالي للمصارف الإسلامية عدد قليل من الأدوات والآليات لإدارة مخاطر السيولة(BEN JEDIDIA KHOUTEM JLASSI MOULDI , 2016, p6)، ويبقى السبق للمصارف التقليدية التي تملك عدد هائل من الأدوات المالية والآليات والحلول المختلفة لإدارة السيولة.

3- المشاكل المتعلقة بالبيئة المالية:

إن أهم مشكلة متعلقة بالبيئة المالية هي عدم نضج السوق المالية الإسلامية، والتي لو كانت في المستوى المطلوب لساهمت بفعالية في حل مشكلة السيولة لدى المصارف الإسلامية، من خلال توفير التمويل اللازم في حالة العجز وتوظيف الفوائض المالية وتنشيط حركة الأدوات المالية الإسلامية كالصكوك مثلا، فالسوق المالية الإسلامية التي تأسست سنة 2002 بالبحرين بالتعاون مع كل من ماليزيا، اندونيسيا، السودان، بروناي والبنك الإسلامي للتنمية، لم تحقق بعد الهدف المرجو منها لحداثتها وعدم اكتمال آلياتها وإطارها الشرعي، فالسوق الأولية أو سوق الإصدار تعمل ولكن السوق المالية الثانوية أو سوق التداول محدودة جدا.

وربما قبل الحديث عن السوق المالية الإسلامية يجب أن نتحدث عن ضعف أو محدودية السوق النقدية بين المصارف الإسلامية(أسامة محمد الفولي، 1988، ص2) خاصة التعاملات قصيرة الأجل وبالأخص عندما يتم مقارنتها بالسوق النقدية للمصارف التقليدية، لذلك لابد من تطوير السوقين النقدية والمالية الإسلامية.

4- المشاكل المتعلقة بالجانب القانوني:

وهذه المشاكل يمكن حصرها في إشكالية رقابة المصارف المركزية الربوية على المصارف الإسلامية، وما يلاحظ أن هذه الرقابة توافق طبيعة المصارف التقليدية دون الإسلامية وسنفصل ذلك في الجزء الخامس من هذا البحث.

رابعا: تحليل درجة حدة مشكلة إدارة السيولة لدى المصارف الإسلامية و التقليدية:

رغم كل ما قلناه عن كون مشكلة السيولة أشد تعقيدا بالنسبة للمصارف الإسلامية مقارنة بنظيرتها التقليدية إلا أنه قد يقول قائل غير ذلك، فالمصارف الإسلامية أقل عرضة لعجز السيولة لأنها لا تتعرض للسحوبات المفاجئة، فأغلب ودائع المصارف الإسلامية ودائع استثمارية فهي أهم مصدر للأموال لدى هذه المصارف(جلال محمد عبد الغني عبد ربه، 2013، ص20)، ولا

يحق لأصحابها سحبها إلا في تواريخ محددة، عكس المصارف التقليدية أغلب ودائعها جارية تسحب في أي لحظة.

أضف إلى ذلك أن صاحب الوديعة الاستثمارية في المصرف الإسلامي يعتبر مستثمر يتحمل جزء من الخطر، لمبدأ تقاسم الربح والخسارة ولا يضمن المصرف الإسلامي المبلغ الأصلي ولا الأرباح إلا إذا كان مقصرا، فودائع الاستثمار في المصارف الإسلامية تختلف عنها في المصارف التقليدية التي تضمن أصل الوديعة مع عائد ثابت محدد مسبقا، وأصحاب الحسابات الجارية في المصارف الإسلامية لا يتلقون عوائد على ودائعهم المضمونة (Jean-Baptiste DESQUILBET et Fédi KALAl, 2016, p2) وبالتالي احتمال وقوع العجز من هذه الناحية بالنسبة للمصارف الإسلامية أقل.

مواصلة عند الرأي القائل بأن مشكلة السيولة أقل حدة عند المصارف الإسلامية نقول إذن لا داعي لاحتفاظها بنسب مرتفعة من السيولة مادام احتمال وقوعها في العجز محدود.

وفي المقابل رغم كون ودائع المصارف الإسلامية أغلبها استثمارية لا تتعرض للسحب المفاجئ إلا أن القروض التي تمنحها قروض استثمارية يكون المصرف الإسلامي شريكا فيها، ولن يسترد أمواله إلا إذا وصل المشروع لمرحلة الإثمار أو النجاح أو الربح، وهو ما قد لا يتحقق أصلا وإذا لم يتحقق النجاح فقد المصرف الإسلامي المال والعائد منه، ناهيك عن احتمال خروج المصرف من الشراكة قبل تحقيق الربح(فرحات الصايفي علي، 2018، ص18).

أضف إلى ذلك أن المصارف الإسلامية عمليا تركز على صيغة المرابحة؛ فينشأ لديها عدد كبير من الديون ولا يمكنها التخلص منها بالبيع للمحاذير الشرعية على بيع الديون(خالدي خديجة وغالب عوض الرفاعي، 2018، ص17-18)، كما أنها لا تملك منظومة من التشريعات والمنتجات والمؤسسات تدعمها في مواجهة تحديات السيولة مثلما تملك المصارف التقليدية.

والمصارف التقليدية تحظى بدعم المصرف المركزي ولها سوقين نقدية ومالية نشطة، وللمصارف التقليدية من المنتجات والأدوات مالا تملكه المصارف الإسلامية لإدارة السيولة.

إذن فالمصارف التقليدية لديها قدرة كبيرة على المناورة وحرية أكبر، كل ذلك جعل مشكلة السيولة لديها أقل حدة من مشكلة السيولة لدى المصارف الإسلامية(شوقي أحمد دنيا، 2010، ص10-11).

خامسا: البنوك المركزية تزيد من حدة مشكلة إدارة السيولة لدى المصارف الإسلامية:

إن البنوك المركزية تفرض نسبة احتياطي قانوني على جميع المصارف، وترتبط هذه النسبة بالحالة التي يمر بها اقتصاد البلد من تضخم أو كساد؛ و تخضع المصارف الإسلامية لهذه النسبة أيضا إلا أنه قد يتم تخفيض هذه النسبة مراعاة لخصوصية المصارف الإسلامية من قبل بعض البنوك المركزية، التي تعتمد على الازدواجية في التعامل مع المصارف التقليدية من جهة والإسلامية من جهة ثانية(حسين محمد سمحان، 2016، ص11)، وأما إذا لم تراعي طبيعة المصارف الإسلامية في فرض نسبة الاحتياطي القانوني فإن هذه النسبة مجحفة في حقها، على اعتبار أن قدرة المصارف الإسلامية على توليد النقود محدودة، فالمعروف أن أغلب الودائع لدى المصارف الإسلامية ودائع استثمارية(ناصر سليمان، 2005، ص105 و124)، والمصارف مطالبة باستثمارها لتقديم عوائد لأصحابها في شكل أرباح، وإذا لم يتم استثمارها جزئيا أو كليا فهذا يؤثر على العوائد أو الأرباح، عكس المصارف التقليدية التي تعتبر أغلب الودائع لديها ودائع جارية لا تمنح عليها فوائد وتغطي نسبة الاحتياطي القانوني منها.

وإذا كانت نسبة الاحتياطي القانوني قد وضعت لضمان الودائع فإن المصرف الإسلامي غير مطالب بتقديم عوائد إلا إذا تحقق الربح، بل الودائع الاستثمارية في حد ذاتها إن ضاعت وثبت أن

المصرف الإسلامي غير مقصر فإنه لا يضمن حتى أصل الوديعة، والعميل على علم بهذا أو قبل شروط العمل مع المصرف الإسلامي القائمة على الغنم بالغرم(ناصر سليمان، 2005، ص112).

فيجب تخفيض نسبة الاحتياطي القانوني بالنسبة للمصارف الإسلامية، ليسهل عليها تغطيتها من خلال الودائع الجارية المحدودة لديها دون اللجوء للودائع الاستثمارية؛

إن المصارف المركزية تفرض نسبة سيولة على جميع المصارف بما فيها المصارف الاسلامة، وهذه النسبة مجحفة في حق المصارف الاسلامية فلا يعقل أن تحسب على الودائع الاستثمارية، وكذلك مكونات الأموال السائلة لا تناسب المصارف الاسلامية حيث تتضمن بنودا لا مكان لها في محفظة الأوراق المالية للبنوك الإسلامية، مثل السندات الحكومية، أذون الخزينة والأوراق التجارية المخصومة(أحمد محمد السعد و حمود بني خالد، 2014، ص18).

إن المصارف الإسلامية تحتفظ بنسب سيولة زائدة عن الحاجة تجنبا للتعامل مع المقرض الأخير أو المصرف المركزي لكي لا تقع في الربا(سليمان ناصر، 2004، ص10-13).

كما لا تسمح القوانين في معظم الدول للمصارف التجارية وقد اعتبرت المصارف الإسلامية منها، من المساهمة في رؤوس أموال الشركات بما يزيد عن حقوق الملكية وهذا يتنافى مع طبيعة المصارف الإسلامية القريبة من مصارف الاستثمار(سليمان ناصر، 2004، ص11)؛

تفرض المصارف المركزية رقابة على الائتمان الممنوح من قبل المصارف التقليدية خوفا من توسعها فيه، مما قد يعرضها لأزمة سيولة بالإضافة لإحداث تضخم في الاقتصاد لقدرتها على توليد النقود، وإذا كانت هذه الرقابة على المصارف التقليدية ضرورية فإنها مجحفة في حق المصارف الإسلامية لأنها تقدم استثمارات وليس قروضا(حكيم براضية، 2011، ص48-49).

خاتمة:

إن المصارف الإسلامية ورغم الأهمية الكبيرة التي أولتها للسيولة والمجهودات التي بذلتها لإدارتها، إلا أن مشكلة السيولة أو مشكلة فائض وعجز السيولة في المصارف الإسلامية بقيت أشد تعقيدا مما هي عليه في المصارف التقليدية، وبقيت المصارف الإسلامية تعاني من عجز في استثمار فائض السيولة المتوفرة لديها، ومنه التعرض للآثار السلبية لفائض السيولة والتخوف المستمر من عجزها، لعدة اعتبارات أو أسباب أو مشاكل بداية بصعوبة إدارة الأهداف المتناقضة الربحية؛ السيولة والأمان، ومشاكل أخرى تختص بها المصارف الإسلامية دون غيرها، منها الشرعية و منها القانونية وأخرى متعلقة بالجانب الابتكاري، ومشاكل راجعة للبيئة التي تعمل بها هذه المصارف.

النتائج المتوصل إليها:

1- مصطلح السيولة له معاني مختلفة وهذا راجع لاختلاف الزاوية التي ينظر منها كل باحث لهذا لمصطلح، إلا أن معانيها تدور حول النقد وما يسهل تحويله إلى نقد دون خسائر رأس مالية.

2- مفهوم السيولة في المصارف الإسلامية لا يختلف عن مفهومه في المصارف التقليدية.

3- إن للسيولة أهمية كبيرة لبقاء، ربحية، نمو وسمعة المصارف، وأهميتها بالنسبة للمصارف الإسلامية أشد لعدة اعتبارات.

4- إن مشكلة السيولة عموما بالنسبة للمصارف التجارية تأتي من صعوبة إدارة الأهداف المتناقضة، الربحية، السيولة والأمان.

5- إن المصارف الإسلامية تعاني من عجز كبير في استثمار فائض السيولة المتوفرة لديها وهو أكبر من فائض السيولة لدى المصارف التقليدية، ويرجع ذلك لعدة أسباب أهمها قلة الأدوات المالية لإدارة سيولتها والقيود الشرعية على بعضها، وقلة الابتكار ومحدودية السوق النقدية ما

بين المصارف الإسلامية وغياب السوق المالية الثانوية الإسلامية و غياب المقرض الأخير وغيرها.

6- إن مشكلة السيولة أو مشكلة فائض وعجز السيولة في المصارف الإسلامية أشد تعقيدا مما هي عليه في المصارف التقليدية، لأسباب شرعية، قانونية وأسباب أخرى متعلقة بالجانب الابتكاري والبيئة المالية.

7- إن المصارف المركزية تزيد من حدة مشكلة السيولة لدى المصارف الإسلامية لعدم مراعاتها لطبيعتها وطبيعة عملها.

8- إن المصارف سواء التقليدية منها أو الإسلامية في حاجة دائمة لابتكار منتجات وأدوات مالية جديدة، للأهمية البالغة لمثل هذه الابتكارات بالنسبة للمصارف.

9- إن أهمية ابتكار أدوات وآليات جديد لإدارة سيولة المصارف الإسلامية أكبر لسببين، لأن مشكلة السيولة عندها أكبر مما هي عليه في المصارف التقليدية ولأنها تعاني من شح في هذه الأدوات.

10- وعلى الرغم من إجماع الكل على أهمية التطوير المستمر للمنتجات المالية إلا أن المصارف الإسلامية لم تهتم بالشكل الكافي بذلك مقارنة بالمصارف التقليدية، التي نجدها تولي اهتماما أكبر في هذا الجانب وتنفق مبالغ طائلة لتطوير وابتكار منتجاتها المالية، وكثيرا ما تعمل المصارف الإسلامية على تقليد أو محاكاة المنتجات التي تبتكرها المصارف التقليدية.

11- إن حاجة المصارف الإسلامية للسوق المالية الإسلامية كبيرة وذلك لغياب المقرض الأخير، وضعف السوق النقدية مابين المصارف الإسلامية، وللفوائض المالية الكبيرة التي عجزت عن توظيفها أو لشدة مشكلة السيولة عموما وقلة أدوات إدارة السيولة وعدم تنوعها، كل هذا يجعل من تطوير وتنشيط السوق المالية الإسلامية خصوصا سوق التداول أمرا أكثر من ضروري.

12- إن المشكلة في السوق المالية الإسلامية ليست في سوق الإصدار فهي سوق نشطة شهدت عدد هائل من الإصدارات بعشرات المليارات من الدولارات، ولكن المشكلة تكمن في سوق التداول التي تحتاج لمزيد من العمل من خلال دراسة وتطوير حجم و وظائف وكيفية إدارة هذه السوق.

قائمة المراجع:

1- أحمد محمد السعد وحمود بني خالد(2014)، التحديات التي تواجه المصارف الإسلامية مشكلة السيولة نموذجا، بحث مقدم للمؤتمر الدولي الأول للمالية والمصرفية الإسلامية، كلية الشريعة، قسم المصارف الإسلامية، الجامعة الأردنية، الأردن.

2- أسامة العاني ومحمد الشويات(2015)، إدارة السيولة النقدية للمصارف الإسلامية، بحث مقدم للمؤتمر الدولي الثاني للمالية والمصرفية الإسلامية، حول "إدارة السيولة في المصارف الإسلامية " جامعة النجاح الوطنية – كلية الشريعة الأردن.

3- أسامة محمد الفولي(1988)، تقييم التجربة الماليزية في إقامة أول سوق نقدي إسلامي، مجلة المسلم المعاصر، ع 88، الكويت.

4- إسراء مهدي حميد(2010)، الوساطة المالية في المصارف الإسلامية، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، م 18، ع 2، العراق.

5- جلال محمد عبد الغني عبد ربه(2013)، الاتجاهات الحديثة للمعايير المحاسبية الإسلامية للخدمات المصرفية وتفعيلها لتتواءم مع الواقع الاقتصادي الحالي، بحث مقدم للمؤتمر العلمي الثاني، الخدمات المصرفية الإسلامية بين النظرية والتطبيق، المنظم من قبل كلية إدارة الأعمال، جامعة عجلوان الوطنية، الأردن.

6- جمال أحمد زيد الكيلاني(2015)، مخاطر السيولة النقدية في المصارف الإسلامية، بحث مقدم للمؤتمر الدولي الثاني للمالية الإسلامية حول "إدارة السيولة في المصارف الإسلامية " جامعة النجاح الوطنية – كلية الشريعة الأردن.
7- حسين بلعزوز(2005)، إدارة المخاطر البنكية والتحكم فيها، مداخلة مقدمة إلى الملتقى الوطني حول المنظومة المصرفية في الألفية الثالثة: منافسة- مخاطر- تقنيات، جامعة جيجل- الجزائر.
8- حسين شحاتة(2010)، إدارة السيولة في المصارف الإسلامية المعايير والأدوات، بحث مقدم للمجمع الفقهي الإسلامي في دورته 20، المنعقدة بمكة المكرمة، السعودية.
9- خديجة خالدي(2011)، إدارة المخاطرة في البنوك الإسلامية، بحث مقدم للمؤتمر العالمي الثامن للاقتصاد والتمويل الإسلامي النمو المستدام والتنمية الاقتصادية الشاملة من المنظور الإسلامي، الدوحة قطر.
10- سعيد بوهراوة وأكرم لال الدين(2015)، إدارة السيولة في المصارف الإسلامية الواقع والآفاق، بحث مقدم للمؤتمر الدولي الثامن للمالية والمصرفية الإسلامية، حول "إدارة السيولة في المصارف الإسلامية" جامعة النجاح الوطنية، كلية الشريعة، الأردن.
11- سليمان ناصر(2004)، مشكلة فائض السيولة لدى المصارف الإسلامية والحلول المقترحة لها، بحث مقدم للملتقى الدولي حول الادخار المصرفي والتنمية في البلدان الإسلامية، والمنظم من قبل المجلس الإسلامي الأعلى، فندق الأوراسي، الجزائر.
12- شوقي أحمد دنيا(2010)، إدارة السيولة في المصرف الإسلامي، بحث مقدم للدورة العشرون للمجمع الفقهي الإسلامي، مكة المكرمة، السعودية.
13- صابرين بن المبروك حداد وأحمد سعد الرباطي(2015)، إدارة السيولة بالمصارف الإسلامية الأسس والنظريات، بحث مقدم للمؤتمر الثاني للمالية والمصرفية الإسلامية، حول "إدارة السيولة في المصارف الإسلامية " جامعة النجاح الوطنية – كلية الشريعة، الأردن.
14- ضياء الدين الغنيم(2008)، السيولة والربحية، بحث مقدم ضمن متطلبات الحصول على الماجستير، تخصص إدارة أعمال، كلية الاقتصاد، جامعة دمشق، سوريا.
15-عبد الرحمان بن حامد بن علي الحامد(2007)، تطبيقات التورق المصرفي في المصارف السعودية وآثاره على الاقتصاد، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه، تخصص اقتصاد إسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية.
16- غسان سالم الطالب(2015)، مخاطر السيولة النقدية في المصارف الإسلامية، ورقة مقدمة للمؤتمر الدولي الثاني للمالية والمصرفية الإسلامية، حول إدارة السيولة في المصارف الإسلامية، جامعة النجاح الوطنية، كلية الشريعة، الأردن.
17- قتيبة عبد الرحمن العاني(2015)، اليد الخفية للمصارف الإسلامية في إدارة السيولة، بحث مقدم للمؤتمر الثاني للمالية والمصرفية الإسلامية حول "إدارة السيولة في المصارف الإسلامية"، جامعة النجاح الوطنية، كلية الشريعة، الأردن.
18- مفتاح صالح(2009)، إدارة المخاطر في المصارف الإسلامية، بحث مقدم للملتقى العلمي الدولي حول الأزمة المالية والاقتصادية الدولية والحوكمة العالمية، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير جامعة فرحات عباس سطيف، الجزائر.
19- ناصر سليمان(2005)، علاقة البنوك الإسلامية بالبنوك المركزية، أطروحة دكتوراه، ورقلة، الجزائر.

مقالات منشورة على مواقع الكترونية:

1- أحمد محمد السعيد وإبراهيم عبد الحليم عباده(2017)، معالجة فائض السيولة من خلال أدوات التمويل عقد إل POT نموذجا، ص8 نشر على الموقع التالي: https://www.google.dz/url?sa=t&rct=j&q=&esrc=s&source=web&cd=1&cad=rja&uact=8&ved=0ahUKEwizjtm-8qzRAhXEOBoKHU23AuQQFggcMAA&url=http%3A%2F.
2- حسين سعيد(2016)، إدارة السيولة في المصارف الإسلامية، نشر على الموقع التالي: https://www.google.dz/url?sa=t&rct=j&q=&esrc=s&source=web&cd=2&cad=rja&uact=8&ved=0ahUKEwiOia-H-
3- حسين محمد سمحان(2016)، رقابة البنك المركزي على سيولة المصارف الإسلامية و أثره على توظيف الأموال "دراسة تحليلية لتعليمات البنك المركزي الأردني" نشر على الموقع التالي: https://www.google.dz/url?sa=t&rct=j&q=&esrc=s&source=web&cd=1&cad=rja&uact=8&ved=0ahUKEwiAu_exzsjRAhUHRhQKHRLgDIYQFggYMAA&url=http%3A%2F%2Fiefpedia.com%2Farab%2Fwp-
4- خالدي خديجة وغالب عوض الرفاعي(2018)، مخاطر الاستثمار في البنوك الإسلامية وسبل التقليل منها، نشر على الموقع التالي: http://iefpedia.com/arab/wp-content/uploads/2009/08/%D9%85%D8%A
5- سعدي احمد حميد الموسوي(2016)، القدرة التفسيرية لمؤشرات السيولة في تحليل توجهات ومستويات المخاطرة، دراسة تحليليه لعينه من المصارف التجارية العراقية، نشر على الموقع التالي: https://www.google.dz/url?sa=t&rct=j&q=&esrc=s&source=web&cd=3&cad=rja&uact=8&ved=0ahUKEwi00M.
6- فرحات الصايفي علي(2018)، مخاطر صيغ الاستثمار في المصارف التقليدية والإسلامية دراسة تحليلية مقارنة، نشر على الموقع التالي: http://iefpedia.com/arab/wp-content/uploads/2010/11/%D9%85%D8%AE%D8%A7%D8%B7%D8%B

مواقع الكترونية:

1- الموقع الرسمي للجنة بازل basel.com.mittere/sep2008
2- الموقع الرسمي لصندوق النقد الدولي http/www.inforg/external/pubs/ft/nfs/normal/pdf
3- الموقع الرسمي لبنك نيجارا ماليزيا www.bnm.gov.my/

مراجع باللغة الفرنسية:

1-Anouar Hassoune, 2008, La gestion des risques dans les banques islamiques Le Journal de la Finance Islamique page 23 Paris, https://ribh.files.wordpress.com
2-BEN JEDIDIA KHOUTEM JLASSI MOULDI , 2016, LE RISQUE DE LIQUIDITE POUR UNE BANQUE ISLAMIQUE GESTION Etudes en Economie Islamique page 7. www.irti.org/English/Research/Documents/IES/French/fr003.pdf

3- Jean-Baptiste DESQUILBET et Fédi KALAI, 2016, La banque conventionnelle et la banque islamique avec fonds propres contrat de dépôt et partage du risque de liquidité page 2, https://halshs.archives-ouvertes.fr/hal-/document.

4-Karim CHERIF, 2008 ,LA FINANCE ISLAMIQUE ,Analyse des produits financiers islamiques , Travail de Bachelor réalisé en vue de l’obtention du Bachelor HES Haute Ecole de Gestion de Genève (HEG-GE) Économiste d’entreprise page56.

بنـاء المؤسسات المتعلمة في ظلّ إدارة المعرفة

Establishing Educational Institutions under the light of Knowledge Management

د.جمال بلبكّاي، المدرسة العليا لأساتذة التعليم التكنولوجي سكيكدة- الجزائر
د. بن حجّوبة حميد، جامعة مستغانم- الجزائر

ملخص: تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على إدارة المعرفة والمؤسسات المتعلمة التي تسعى أي مؤسسة إلى التحول نحوها والابتعاد عن الطابع الكلاسيكي، حيث أن اشتداد المنافسة العالمية وسيطرة العولمة بمختلف وسائلها على جميع المجالات، سطّرت توجه المؤسسات اليوم إلى الاهتمام غير المسبوق بإدارة المعرفة، وأصبحت ترى في هذه الأخيرة نقطة قوة وميزة تنافسية لمن يحسن استغلال مواردها عن باقي غيرها من المؤسسات التقليدية، وعليه توصلت الدراسة إلى ضرورة التوجه والانفتاح على البيئة الخارجية للمؤسسات حتى يمكنها المنافسة وتحقيق البقاء والنمو.

الكلمات المفتاحية: المعرفة، إدارة المعرفة، المؤسسات المتعلمة.

Abstract: This study aims to identify the knowledge management and educational institutions that any institution seeks direct to and to be away from the classical stereotype. The global competition and the control of globalization in various means to all areas became great, so these institutions have directed to the unprecedented attention given for knowledge management, believing that knowledge management has a point of strength and a competitive advantage for those who make use of and improve the exploitation of its resources leaving the other traditional institutions. Therefore, this study confirms the necessity of this orientation towards knowledge management and coping up with the external environment of institutions so that they will be able to compete, survive and grow.

Key Words: knowledge, knowledge management, educational institutions.

مقدمة:

في عصر يميزه سرعة التعلم المستمر والبحث عن الأداء المتميز، أصبحت مطالبة بضرورة توفير فرص التعلم المستمر واستخدامه بشكل علمي في تحقيق الأهداف وربط أداء العامل بأداء المؤسسة، والسعي لوضع أسس لتسهيل عملية التعلم، والعمل على التأقلم والتلاؤم مع هذا الوضع الجديد الذي تشتد فيه المنافسة في ميدان الأعمال وازدياد حالة عدم التأكد البيئي، فلم يعد العمل وفق المنظور التقليدي للمؤسسة، وهذا ما جعل ظهور مؤسسات قادرة على التعلم باستمرار، وكذا تكيف ذاتها مع المستجدات والظروف الطارئة، وقادرة على الإفادة والتعلم من خبراتها وخبرة الآخرين، ففي عالم يشهد الانفجار الرقمي والمعرفي لم تعد إدارة المعرفة أمرا مستحبا فقط، وإنما ضرورة حتمية لاستمرار المؤسسة وبقائها في بيئة تنافسية سريعة التغيير والتقلب، وعليه فإن الصراع العالمي في عالم الألفية الثالثة لن يكون صراعا على رأس المال أو المواد الخام الرخيصة أو الأسواق المفتوحة، بل أنه وسيستمر لفترة طويلة صراعاً على المعرفة، وانطلاقا من هنا نطرح الإشكالية الآتية:

ما أهمية إدارة المعرفة في التحول نحو المؤسسات المتعلمة الحديثة انطلاقا من المؤسسات التقليدية؟

تنبثق عن هذه الإشكالية مجموعة الأسئلة الفرعية الآتية :

- ما مفهوم إدارة المعرفة والمؤسسات المتعلمة؟
- هل هناك علاقة واضحة بين إدارة المعرفة وتكوين مؤسسة متعلمة؟
- ما هي مميزات المؤسسات المتعلمة، وما خصائصها؟

أهمية الدراسة:

تأتي هذه الدراسة لتسليط الضوء على مصطلح حديث في ظل تداخل المصطلحات الاقتصادية في العصر الفكري الحديث، وكذا الوقوف على مدلول المؤسسات المتعلمة، التي تعتبر كتوجه حديث لنظيرتها عبر العالم، من أجل إعطاء صورة واضحة وكذا الاستثمار أكثر في العنصر البشري على مستوى هذه الأخيرة، نظرا لما له من مزايا عبرها لتحقيق أهدافه وطموحاته على المستوى الشخص فتحقيق أهداف المؤسسة ككل بصفة عامة، كما تظهر أهمية هذه الدراسة من خلال الوقوف على مدى مساهمة إدارة المعرفة ودورها في عملية التغيير المنظمي الذي يسبق تطبيق أي نظام في المؤسسة.

المنهج المستخدم:

سنعتمد في دراستنا هذه على المنهج الوصفي والمنهج التحليلي، للوقوف على المفاهيم الخاصة بالدراسة ومحاولة تحليلها وإيجاد العلاقة بين متغيرات الدراسة.

هيكل الدراسة:

تم تقسيم هذه الدراسة إلى قسمين، تحدثنا من خلال المحور الأول عن المؤسسات المتعلمة وخصائصها ثم الوقوف على متطلبات التحول لهذه الصفة، في حين تحدثنا في المحور الثاني عن إدارة المعرفة ومدى مساهمتها في التغيير التنظيمي وكذا أهمية هذه الأخيرة في مؤسساتنا اليوم.

المحور الأول: المؤسسات في ظل عصر المعرفة

لقد بدأت فكرة المؤسسات المتعلمة (Learning Organization) منذ السبعينات من القرن العشرين، وتمتد جذور المؤسسة المتعلمة إلى طريقة البحث العلمي ونظرية التنظيم، والتنظيم العضوي. وقد أشار (Senge) حول مسؤولية المؤسسات عن التكيف مع تطورات العالم

المعاصر المليء بالتغيير والفوضى والاضطراب، وأن تحقيق تلك المسؤولية يتطلب تحول المؤسسات إلى مؤسسات تعليمية وتعلمية.

ويرى بعض العلماء أن المؤسسات التي تتبنى مفهوم المؤسسة المتعلمة تسعى إلى توفير فرص التعلم المستمر، واستخدامه في تحقيق الأهداف والتجديد والتفاعل مع البيئة وتمارس نشاطاتها ومهامها في إطار عمليات إدارة معارفها المستمرة والناتجة عن عدم الثبات والاستقرار النسبي لبيئتها(صلاح عبد القادر أحمد النعيمي، 2010، ص163-164).

يمكن توضيح مفهوم المؤسسة المتعلمة من خلال ثلاثة مفاهيم تعبر عن قوة التعلم وتحويل الرؤية إلى واقع (محمد مفضي الكساسبة وآخرون، 2010، ص169):

المؤسسة المتعلمة: ويكون بإمكانها التحول ذاتياً وتتميز بتسهيل التعلم لجميع أعضائها.

المؤسسة المتعلمة: هي التي بإمكانها توسع بشكل مستمر قدرتها على خلق نتائج مرغوبة حقاً. وتوفر المجال للطموح الجماعي، ويتم على مستواها رعاية أنماط التفكير الجديدة والممتدة.

المؤسسة المتعلمة: هي التي تتمتع بخلق المعرفة واكتسابها ونقلها، وتعدل سلوكها بما ينعكس على إيجاد معارف جديدة.

تعريف فولي (Foley):" للمؤسسة المتعلمة جوانب ثقافية متناسبة(رؤى، قيم، طموحات، سلوكيات) تدعم محيط التعلم"(سوسن بنت محمد بن زرعة، 2014، ص91).

كما يمكن تعريفها بأنها: "المؤسسة التي تضع الخطط والأطر التنظيمية والإستراتيجيات والآليات، بهدف زيادة قدرتها على التكيف مع التغييرات السريعة في البيئة ومواجهة التحديات، وتحقيق أهدافها بنجاح من خلال تدعيم وتشجيع عمليات التعلم المستمر والتطوير الذاتي وتبادل التجارب والخبرات داخلياً وخارجياً والتعلم الجماعي والإدارة الفعالة للمعرفة(عبد الناصر حسين رياض زايد وآخرون، 2009، ص4).

وفي تعريف آخر فالمؤسسات المتعلمة هي التي تسعى لتوفير فرص التعلم المستمر واستخدام التعلم في الوصول إلى تحقيق أهدافها، وربط الأداء الفردي بالأداء التنظيمي وتشجيع الحوار والاستفسار، وكذلك التفاعل المستمر مع البيئة(معن العياصرة، خلود الحارثي، 2015، ص32).

وينظر للمؤسسة المتعلمة بأنها المؤسسة التي طورت القدرة على التكيف والتغيير المستمر، لأن جميع أعضائها يقومون بدور فعال في تحديد وحل القضايا المختلفة المرتبطة بالعمل(كامل محمد الحواجرة، 2009، ص7).

دوافع ظهور المؤسسة المتعلمة:

هناك مجموعة العوامل التي تبرز أهمية التعلم بشكل عام وتجعل المؤسسة تكون متعلمة مجتمعة في:

الجودة: إن تحقيق الجودة عامل من العوامل التي تدفع المؤسسة للتعلم والبحث وتطوير وسائلها.

التوجه نحو الخصخصة: إذ تتوجه العديد من الحكومات إلى خصخصة بعض المؤسسات لتمكنها من تحسين أدائها.

التغيير المستمر: اتسام البيئة المحيطة بالمؤسسة بعدم الاستقرار يفرض عليها ضرورة التكيف مع هذه الأخيرة.

التنافس المحلي والإقليمي والدولي: من أجل غزو وكسب العقود والمناقصات الدولية لتنفيذ المشاريع(بلعلى نسيمة فر يال، 2014، ص186-187).

هناك بعض العوامل تتمثل في:

تكنولوجيا المعلومات: إن أحد عناصر التوجه نحو التغيير الإستراتيجي في العالم هو التجديد والإبداع التكنولوجي.

التحول الجوهري في أساليب العمل: لقد تغيرت أساليب العمل جذرياً فلم يعد الموظفون يشغلون المكاتب، وإنما يعملون في الوقت نفسه متقاربين دون أن يتقابلوا.

زيادة تأثير العلماء: أصبح العملاء بما يمتلكونه من قوة تأثيرية في تحديد خطة سير عمل المؤسسات أكثر تأثيرا في تحديد استراتيجية المؤسسات وتنفيذ عملياتها، بالإضافة إلى كونهم مصدر توجيه إدارتها إلى أولوية الجودة من خلال معايير جديدة للأداء.

المعرفة: أصبحت المعلومات أهم مصادر الثروة، وصارت المعرفة أكثر أهمية للمؤسسات من أي موجود آخر من موجوداتها(أسماء سالم النسور، 2010، ص17-19).

متطلبات نجاح المؤسسات المتعلمة:

لتحول إلى مؤسسات متعلمة ينبغي مجموعة من الأسس والمتطلبات تتمثل في:

القوى المحركة: وهي تمثل القاعدة الأساسية في بناء المؤسسات المتعلمة، التي تتطلب أن توفر كل الظروف التي تساعد المورد البشري فيها على تعلم ما هو مفيد.

إيجاد الغرض: إن توفر القاعدة الأساسية للتعلم يدفع الموظفين نحو البحث الذاتي عن تحقيق مقاصد المؤسسة التي يسعى الموظفون فيها نحو إيجاد غرض المؤسسة فيندفعون لإنجاز أعمالهم عن طريق تعلم أشياء جديدة.

الاستفهام: بناء على القوى المحركة لعملية التعلم والتي تدفع الموظفين نحو البحث عن غرض المؤسسة.

التمكين: إن زيادة إدراك الموظفين لرؤية ورسالة المؤسسة يتطلب من المؤسسة أن تتصف بالمرونة.

التقويم: تستطيع المؤسسة أن تتفوق وتحقق المكاسب المطلوبة من النجاح إذا استطاعت تقييم أعمالها باستمرار والاستفادة من التغذية الراجعة للتخلص من الأخطاء على المدى القصير.

الفرق بين المؤسسة التقليدية والحديثة: كيف تتحول المؤسسات لمؤسسة متعلمة؟ وما هو الفرق بين بينهما؟

الفرق بين المؤسسة التقليدية والمؤسسة المتعلمة: توجد خمس فروقات بين المؤسسة المتعلمة والمؤسسة التقليدية وهي:

شكل التنظيم: فالهيكل العمودي للمؤسسة التقليدية لا يسمح بنشر وتوزيع المعرفة، كما في الهيكل الأفقي للمؤسسة المتعلمة الذي يزيل الحدود بين الوظائف والدوائر بالمؤسسة.

طبيعة المهام والوظائف: فالمؤسسة المتعلمة تحول المهام الروتينية إلى أدوار التمكين، أي جعل العاملين قادرين على التصرف والتحرك بفعالية ومرونة بإعطائهم الصلاحيات القانونية وتوفير مصادر القوة الأخرى.

أنظمة الرقابة: تتميز المؤسسات المتعلمة بالانتقال من الرسمية إلى المشاركة بالمعلومات، عبر قنوات الاتصال فيما بين العاملين وبالتالي الوصول إلى التعلم.

إستراتيجية المؤسسة: من خلال إيجاد إستراتيجية الاستخدام الأفضل للموارد والعاملين وتشاركهم في تطوير إستراتيجيتهم، وتتيح لهم فرص تقديم المقترحات، والحلول الأفضل للمشكلات وإتاحة الفرص الأكثر من أجل التعلم.

الثقافة التنظيمية: للمؤسسات المتعلمة مجموعة من القيم والمعتقدات والتفاهمات المشتركة بين أفراد التنظيم، وعندما تؤمن القيم والمعتقدات بقيمة التعلم وتحث عليه وتسعى إلى إشاعته، فإنها تكون عنصرا هاما وإيجابيا في المؤسسة لتتكيف وتتطور(جهاد صياح بنب هاني، 2007، ص5).

التحول من المؤسسة التقليدية إلى المؤسسة التعلمية: يمكن ذكر بعض الخطوات في ما يلي:

تقييم ثقافة التعلم في المؤسسة: يعتبر تقييم ثقافة التعلم في المؤسسة الخطوة الأولى في بناء المؤسسة المتعلمة **تشجيع الإيجابيات:** استخدام كافة الوسائل المساهمة في أحداث تغيير في اتجاهات وسلوكيات الأفراد بالمؤسسة.

توفير بيئة العمل الملائمة: يجب توفير المناخ الذي يدفع الجميع إلى البحث عن السبل التي تمكنهم من القيام بالمهام الموكلة لهم بشكل أفضل.

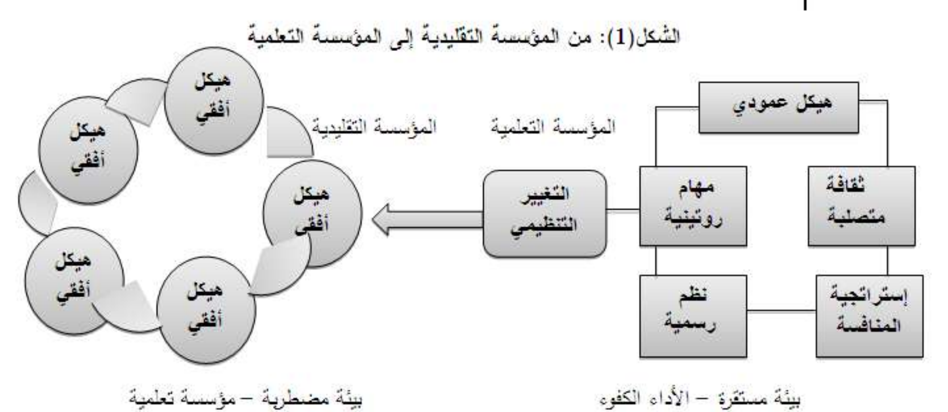
مساعدة الأفراد ليصبحوا مصادر معرفية للآخرين: تتطلب هذه الخطوة أن ينظر أفرادها كل منهم للأخر أنه مصدر للمعرفة تساهم في تحقيق أهداف المؤسسة.

قوة التعلم في العمل: لتصبح المؤسسة متعلمة عليها الحرص على الاستثمار في التعلم التنظيمي.

تحديد الرؤية المشتركة: من خلال التنوع في الآراء والتخلي عن الفردية.

التخطيط الحركي: ويتم من خلاله تحويل الخطط الذهنية إلى نماذج حركية وتقتضي عملية التغيير التنظيمي التحول في المؤسسات من منظمات تقليدية إلى مؤسسات تعلمية تختلف عنها في عناصرها الخمسة الأساسية(سعود بن ذياب الذياب، 2014، ص35-39)، وفيما يلي توضيح ذلك في الشكل(عبد الستار علي وآخرون، 2012، ص334-336):

الشكل(1): من المؤسسة التقليدية إلى المؤسسة التعلمية



المصدر: عبد الستار علي وآخرون، " المدخل إلى إدارة المعرفة"، المرجع نفسه، ص:5.

على المؤسسة أن تتجنب الخوف من التغيير وبالعكس يجب النظر إليه على أنه الطريقة الوحيدة التي يمكن من خلالها استثمار الفرص المتاحة وتحويلها إلى مصدر تنافسي، وبالطبع لا يمكن استثمار هذه الفرص المتاحة وتحويلها إلى مصدر تنافسي، ولا يمكن استثمارها في مؤسسات لا ترقى معرفة العاملين بها إلى مستوى المعرفة العصرية أو حتى مستوى معرفة العاملين بالمؤسسات المنافسة على المستوى المحلي أو العالمي(عزاوي عمر، عجيلة محمد، 2006، ص60).

خصائص المؤسسات المتعلمة: من بين هذه الخصائص نذكر ما يلي:

- حل المشكلات نظاميا والتعلم من الآخرين.
- التعلم من التجارب السابقة ونقل المعرفة.
- ما يميز المؤسسة المتعلمة أنها توفر فرص تعلم مستمرة للعاملين.
- التفاعل والتكيف المستمر مع البيئة الخارجية.
- إتاحة الفرصة للتعلم للجميع وبالتعاون والعمل المشترك في مناخ تنظيمي قابل للتطور باستمرار.
- تصمم الوظائف والأدوار في الهيكل التنظيمي بأساليب تمكن المؤسسة من التطور.

- التعامل مع العاملين في الوظائف ذات الاتصال المباشر مع الجمهور.
- تنمية التباين الإيجابي بين الأفراد(محمد نايف محمد الرفاعي وآخرون، 2013، ص125-126).

فمن الناحية البشرية يشعر العاملين بأنهم يؤدون عملاً صالحا لصالحهم ولصالح المجتمع ككل والشعور بالمسؤولية تجاه ما يكلف به من عمل، وتتاح له فرص التعليم والتعلم المستمر والعمل وفق فرق عمل التعلم والتعاون الجماعي، وهذا ما يعزز ويحفز ثقافة الحوار والتساؤل في المؤسسة، ومن خلال هذا يتولد لدى العاملين إحساس المساهمة في عملية النمو والتقدم التي حققتها المؤسسة(كامل محمد الحواجرة، 2010، ص6)، وهي المؤسسات المتعلمة التي استطاعت توظيف الذكاء والمعرفة في أعمالها وعملياتها وتحقيق البقاء والاستمرارية من توجهاتها، فهي مؤسسات لها قاعدة معرفية مبنية على الإبداع والابتكار وتستطيع أن ترسم استراتيجياتها ضمن سيناريوهات مختلفة تواجهها من البيئة المحيطة بها، وما يميز هذا النوع من المؤسسات أنها:

من خلال ما سبق يمكننا أن نضيف مجموعة من الخصائص:

- السماح للعاملين بمشاركة الآراء والاستماع لاقتراحاتهم.
- الاستجابة لما تفرزه تغييرات البيئة الخارجية.
- من خصائص المؤسسة المتعلمة عامل جاذب كل من يتفق معها في بيئتها المتعلمة.
- الاعتماد على قاعدة معرفية مخزنة تم إنتاجها عبر عميات إدارة المعرفة.
- العمل على تكوين قاعدة معرفية مستمرة ومتجددة في نفس الوقت.
- تعمل المؤسسة المتعلمة على فتح أفاقاً وفرصاً جديدة والاستغلال الأحسن للتعلم من تجاربها وتعاملها مع العملاء(محمد مفضي الكساسبة، 2009، ص25، 26).

المحور الثاني: إدارة المعرفة والمؤسسات المؤسسات المتعلمة:

أخذ مجتمع المعلومات يتحول تدريجيا إلى مجتمع المعرفة حتى أصبح ينظر إلى المعرفة أنها حجر الأساس والمحرك الرئيسي للأداء الاقتصادي.

إدارة المعرفة: يعتبر مصطلح إدارة المعرفة من المصطلحات حديثة النشأة في الحقول المعرفية، ولا زالت قيد التطور والتحديث نتيجة للثورة التكنولوجية والقوة المعرفية، كما أنها الإدارة الواعية لموجودات المؤسسة الأساسية لفرض تحقيق تعلم منظمي متقدم وتحقيق ميزة تنافسية لها(زكريا مطلع الدوري، 2006، ص5).

كما يمكن تعريفها بأنها ذلك النظام الذي يعمل على توليد وتجميع واستخدام المعرفة الشخصية والمنظمية(Little, Stephen Quintas,v2002,vp9).

كما يعبر عنها بأنها:"مختلف المجهودات المبذولة للقائمين على المعرفة من أجل تنظيم وبناء رأس مال المؤسسة من الموارد المعلوماتية(زينب عبد الرحمان السحيمي، 2009، ص4).

وتعرّف إدارة المعرفة بأنها: عملية تتم بموجبها تجميع واستخدام الخبرات المتراكمة من أي مكان في الأعمال(عبد الستار علي وآخرون، 2009، ص27).

وهي بذلك العملية التي تدار بها المعلومات والخبرات للحفاظ عليها وتحقيق ميزة تنافسية للمؤسسة(كامل محمد يوسف الحواجرة، 2010، ص280).

أهمية إدارة المعرفة: كونها تساعد على نشر المعلومات والمعرفة لعمال المؤسسة، وتساعدها على تحقيق الميزة التنافسية(خضير كاظم حمود، 2010، ص58).

كما تبرز في كونها أنها أداة المؤسسات للاستثمار في رأس المال الفكري، ولمواجهة التغييرات البيئية غير المستقرة (محمد فلاق وآخرون،2011، ص515-516)، وتساعد المؤسسة على:

-تخفيض التكاليف للمؤسسة.
-تعزز الأداء المنظمي.
-تحدد متطلبات المؤسسة من المعرفة التي تحتاجها (علي السلمي، 2002، ص206).
أهداف إدارة المعرفة: هناك مجموعة من الأهداف يمكن تلخيصها في:
-تشجيع رأس المال البشري للمؤسسة لمشاركة المعرفة.
-خلق قيمة لعمليات المؤسسة (الداخلية والخارجية)(رزوقي جبر نعيمة، 2008، ص10).
-وقد رأى خضر مصباح أن أهداف إدارة المعرفة تكمن في:
-كونها تركز على مختلف الجوانب الإجتماعية والثقافية والتنظيمية للفرد في المؤسسة.
-وضع بيانات وأدلة خاصة كالأعمال ذات العلاقة بمجتمع المعرفة(خضر مصباح إسماعيل، 2010، ص45).
وهناك من يضيف أهداف أخرى إضافة إلى ما سبق تتمثل في:
-تسليط العمليات والتخلص من الإجراءات المطولة والحد من الروتين.
-تقديم الخدمات المطلوبة في الوقت المناسب للعملاء.
-تحسين صورة المؤسسة وتطوير علاقتها بمثيلاتها.
-تكوين مصدر موحد للمعرفة(جمال يوسف بدير، 2010، ص49-50).
-رفع كفاءة العامل البشري في المؤسسة وتحسين أدائها الكلي (Young– chan lee, Sun- Kyu lee2007, p24).

عمليات إدارة المعرفة:

هناك أربع عمليات أساسية تعتبر حجر الأساس لنظام إدارة المعرفة متمثلة في ما يأتي:
عملية اكتساب وتشخيص المعرفة: تعد العملية الأولى لنظام إدارة المعرفة، حيث يتم من خلالها معرفة نوع المعرفة وتحديد حاجة المؤسسة إليها والبحث عنها، وفي الوقت نفسه التساؤل عن موقع هذه المعرفة، بعدما تم تشخيصها وتحديدها يصبح بإمكان المؤسسة اكتسابها من تلك المصادر، وتعد هذه العملية أكثر أهمية من خلال امتلاك المعرفة اللازمة لتحقيق أهدافها. وقد تكون هذه المصادر داخلية مثل مستودعات المعرفة أو من خلال الخبرات والممارسات وحضور المؤتمرات والندوات أو في شكل بيانات أساسية سواء كانت مالية أو اقتصادية. هذا من جهة ومن جهة أخرى قد تكون من مصادر خارجية، إضافة إلى الأبحاث المنظمية والاستخبارات التسويقية(عبد الستار علي وآخرون، 2009، ص40-41).
عملية تخزين المعرفة: تعتبر هذه المرحلة حلقة وصل بين التقاط المعرفة وعملية استرجاعها، ويتم من خلالها تخزين المعرفة المتحصل عليها بعد توليدها في قواعد بيانية إلكترونية أو في النظم الخبيرة ويتم تشكيل مستودعات للمعرفة(أحمد طرطار، سارة حلمي، 2011، ص6-7).
عملية توزيع المعرفة: يتم من خلالها إيصال المعرفة إلى كل نقطة من نقاط العمل في المؤسسة من خلال مشاركة وتبادل الأفكار والخبرات والمهارات(حسين الحمد، سامر عبد المجيد البشابشة، 2009، ص47).
عملية تطبيق المعرفة: لا تنجح هذه العمليات إلا من خلال استخدام وتطبيق المعرفة الناتجة بداية من التشخيص والاكتساب، التخزين، والنشر. وإن تطبيق المعرفة هو أكثر قوة من المعرفة نفسها وأنه لا يمكن للعمليات السابقة تحسين الأداء المنظمي إلا بتطبيق تلك المعرفة واستخدامها، والهدف منها هو تطبيق المعرفة المتاحة والمؤسسة الناجحة هي التي تستخدم المعرفة في الوقت المناسب(ليلى محمد حسيني أبو العلاء، 2012، ص109).

نماذج إدارة المعرفة: هناك مجموعة من نماذج إدارة المعرفة، ومن بين هذه النماذج نموذج الموئل، حيث قدم هذا الأنموذج"Model" دينس وينوسكاي، ويقوم على أساس المعرفة كالموئل، خبرة متسلسلة بشكل لا نهائي لإدارة المعرفة وتتضمن أربعة مكونات هي:

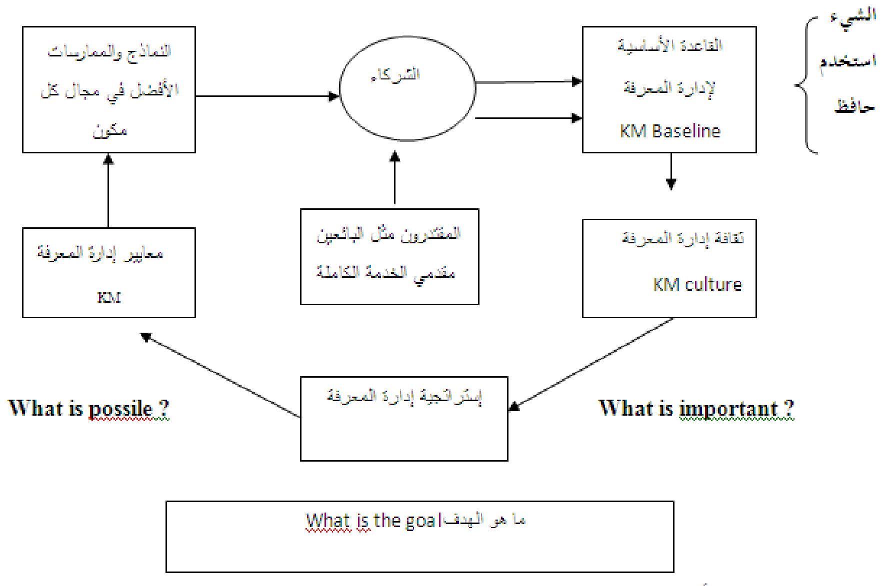
القاعدة الأساس لإدارة المعرفة: وتتمثل بالبيانات والمعلومات المتداولة في الشركة.

ثقافة إدارة المعرفة: وتحدد القيم والاتجاه والتفضيلات، وهي التي تستدعي الإستراجية وتحدد الممارسات والتقنيات الملائمة.

أهداف إدارة المعرفة: وتتمثل في تحسين القدرات واستغلال الموارد والكفاءات.

معايير إدارة المعرفة: وتشير إلى الممارسات الأفضل بالعلاقة مع الزبائن والقدرات المتحققة مقارنة بالمنافسين(أكرم سالم الجنابي، 2013، ص90)، والشكل الآتي يوضح ذلك:

الشكل(2) : أنموذج موئل إدارة المعرفة



المصدر: أكرم سالم الجنابي،" إدارة المعرفة في بناء الكفايات الجوهرية"، المرجع نفسه، ص: 91.

تحديات ومعوقات إدارة المعرفة.

تحديات ومعوقات إدارة المعرفة: هناك مجموعة من العراقيل والمعوقات التي تحول دون تطبيق إدارة المعرفة يمكن ذكر منها ما يلي:

الثقافة التنظيمية: حيث تعتبر الثقافة التنظيمية الركيزة الأساسية لمناخ المؤسسة.

الهيكل التنظيمي: يؤثر هذا الأخير على نقل المعرفة أما بالإيجاب أو السلب.

تكنولوجيا المعلومات(ناصر جاسر الأغا، أحمد غنيم ابو الخير، 2012، ص39-40).

القيادة التنظيمية: وهي مختلف الطرق والأساليب الجديدة التي يجب أن يوفرها القائد القائم على تصميم استراتيجيات إدارة المعرفة وتحديد دور كل فرد أو مجموعة عمل وإشراك العاملين ليضمن القائد وجود رؤية واحدة تسود المؤسسة، إضافة إلى وجود مجموعة من المعوقات:

- عدم توفر البنية التحتية التي تتطلبها عملية تطبيق إدارة المعرفة.

- نقص المهارات والكفاءات المطلوبة.
- قيمة المعلومات التي يتم تحويلها فكلما كانت صحيحة وذات قيمة كلما كان القرار صحيح.
- الصعوبة المرتبطة بحداثة نظام تسيير المعرفة.
- مراعاة ظروف استخدام المعلومة.
- التوفيق في جعل المسيرين يتقبلون نظام إدارة المعرفة لتعارضه والثقافة التنظيمية لبعضهم.

علاقة إدارة المعرفة بالمؤسسة: تساهم إدارة المعرفة بشكل كبير في خلق المعرفة وتطويرها في المؤسسة متمثلة في:

الاشتراكية: وتتم من خلال تفاعل المعرفة الضمنية لشخص ما أو عدة أشخاص فيمكنها أن تصبح معرفة لأفراد آخرين.

التوضيحية: من المعرفة الضمنية إلى المعرفة الواضحة، وتتضمن تحويل المعرفة الضمنية إلى مفاهيم واضحة.

الترابطية: وهي من المعرفة الواضحة إلى المعرفة الواضحة، وتمثل العملية التي من خلالها تجمع وتدمج المفاهيم فيما بينها لتكون حجم من المعارف عن طريق الكلام المشترك(محمد قريشي، سارة مرزوق، 2013، ص13-14).

الاستبطان: من الواضح إلى الضمني حيث أن التطبيق المتكرر لمعرفة ما أو لمهارة سوف يؤدي إلى ترسيخها وتعميقها في تصرفات وذاكرة الفاعلين والمؤسسة ككل، فالاستبطان يخلق المعرفة العلمية(بوشعور راضية، بلمقدم مصطفى، 2005، ص64-65).

كما أنها تؤثر بشكل كبير على الأداء في الأبعاد المختلفة، كالأفراد والعمليات والمخرجات بالإضافة إلى الأداء العام(شاهد عبد الحكيم، 2011-2012، ص107).

تعمل إدارة المعرفة على تحسين العمليات من خلال:

فعالية العمليات: حيث تساعد إدارة المعرفة المؤسسة في جعلها أكثر فعالية في عالم الأعمال عن طريق اختيار وتنفيذ العمليات الأكثر مناسبة وموائمة لأعمالها.

كفاءة العمليات: حيث يمكن أن تكون المؤسسة أكثر كفوؤة من خلال:

- تحفيز العاملين على المشاركة في المعرفة والانفتاح أكثر.
- تجنب الدخلاء الذين يسعون للحصول على المعرفة.
- تقليل الكلفة ذات العلاقة بالاستنتاجات والوصول إلى الأنماط المختلفة من المعرفة القيمة.

الابتكار في العمليات: حيث يمكن للمؤسسة الاستفادة من المعرفة من خلال مساهمة العاملين في إنتاج الحلول المبتكرة(بدروني هدى، 2011، ص8-9).

كما يتمثل دور إدارة المعرفة فيما يلي:

- تقليل التكاليف الإجمالية للعمل عن طريق تقليل تكاليف الإنتاج ومردودات المبيعات وتكاليف سوء التعامل مع التقانات ووسائل العمل.
- زيادة العوائد المالية للمؤسسة عن طريق إنتاج منتجات متقنة وأخرى مبتكرة وسريعة البيع.
- إن تحقيق الإنتاجية العالية يدل على الاستخدام الكفء للمدخلات وإن تطبيق إدارة المعرفة في مجالات الأداء المختلفة يؤدي إلى ابتكارات وطرائق أكثر فاعلية.
- تقود إدارة المعرفة إلى تحقيق الإبداع والابتكار والآتيان بأشياء جديدة وزيادة الوعي الثقافي لدى العاملين من خلال التدريب والتعلم والحوار(سليمان فارس، 2010، ص73).

نتائج الدراسة: توصلنا إلى مجموعة من النتائج، يمكن إجمالها في:

- هناك علاقة وطيدة ومباشرة بين نجاح المؤسسات اليوم وتطبيق المعرفة.
- تضييق الفجوة والعمل على الاستثمار في مواردها والاهتمام أكثر بالبنية التحتية لها.

ـ الاعتماد على المعاملات الإلكترونية وتطوير مواقعها على الأنترنت.
ـ الإنفاق والاستثمار في رأس المال البشري الذي يعتبر مولد للمعارف العلمية والتقنية.
ـ الاعتماد على إستراتيجية واضحة ومدروسة ووضع نماذج وتحديد أطر للتحفيز وفتح الباب للإبداع وتشجيعه.
ـ إعطاء التدريب أهمية بالغة بشكل يجعله أكثر ارتباطا بالتقنيات التي تتضمنها إدارة المعرفة.

خاتمة:

أصبحت إدارة المعرفة المحدد الرئيسي للتفريق بين التقدم وبين التخلف، وفي ظل هذا فعلى المؤسسات اليوم العمل بصورة دائمة على تحقيق النجاح والمحافظة على بقائها واستمرارها في ظل زيادة سرعة خطى التنافس بين المؤسسات العالمية التي تعتمد على الابتكار والإبداع في عصر أصبح أكثر من السابق يفرض عليها ضرورة وضع نظام لإدارة واستغلال ومتابعة مختلف التطورات المعرفية يعرف بـــ" إدارة المعرفة".

قائمة المراجع:

1. أحمد طرطار، سارة حلمي(2011)، أثر تطبيق إدارة المعرفة على وظيفة الإبداع في منظمات الأعمال، مداخلة ضمن الملتقى الدولي حول رأس المال الفكري في منظمات الأعمال العربية في الاقتصاديات الحديثة، جامعة الشلف، الجزائر.
2. أسماء سالم النسور(2010)، أثر خصائص المنظمة المتعلمة في تحقيق التميز المؤسسي دراسة تطبيقية في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي الأردنية، مذكرة ماجستير، كلية الأعمال، تخصص إدارة الأعمال، جامعة الشرق الأوسط.
3. أكرم سالم الجنابي(2013)، إدارة المعرفة في بناء الكفايات الجوهرية، ط1، دار الوراق للنشر والتوزيع، عمان الأردن.
4. بدروني هدى(2011)، إدارة المعرفة كأحد المرتكزات الأساسية في بقاء منظمات الأعمال والرفع من كفاءة أدائها، مداخلة ضمن الملتقى الدولي الخامس حول رأس المال الفكري في منظمات الأعمال العربية في ظل الاقتصاديات الحديثة، كلية العلوم الإقتصادية وعلوم التسيير، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، الجزائر.
5. بلعلى نسيمة فريال(2014)، المنظمات المتعلمة توظيف للذكاء والمعارف، مجلة دراسات اقتصادية، ع1.
6. بوشعور راضية(2005)، بلمقدم مصطفى، دور الموارد اللامادية (المعرفة والمعلومة) في رفع الأداء العام للمؤسسات والاقتصاديات، مداخلة ضمن الملتقى الدولي حول اقتصاد المعرفة.
7. جمال يوسف بدير(2010)، اتجاهات حديثة في إدارة المعرفة والمعلومات، ط1، دار كنوز المعرفة العلمية، الأردن.
8. جهاد صياح بنب هاني(2007)، أساسيات بناء المنظمة المتعلمة في الشركات الصناعية الأردنية دراسة ميدانية على شركات صناعة البرمجيات في الأردن، المجلة الأردنية في إدارة الأعمال، م3، ع4.
9. حسين الحمد، سامر عبد المجيد البشابشة(2009)، أثر إدارة المعرفة في زيادة فاعلية المديرين في الوزارات الأردنية، مجلة الإقتصاد والإدارة .
10. خضر مصباح إسماعيل(2010)، إدارة المعرفة، التحديات والتقنيات والحلول، ط1، دار الحامد، الأردن.
11. خضير كاظم حمود(2010)، منظمة المعرفة، دار صفاء، الأردن.
12. رزوقي جبر نعيمة(2008)، رؤية مستقبلية لذوي اختصاصات المعلومات في إدارة المعرفة، مجلة مكتبة فهد الوطنية، ع22.
13. زكريا مطلع الدوري، عدنان حسين(2006)، إدارة معرفة الزبون وفق منظور التكامل بين إدارة المعرفة وإدارة علاقات الزبون وعلاقتها بدورة حياة الزبون، المؤتمر العلمي حول الجودة الشاملة في ظل

إدارة المعرفة وتكنولوجيا المعلومات، كلية العلوم الإقتصادية والعلوم الإدارية جامعة العلوم التطبيقية الخاصة، عمان، الأردن.
14. زينب عبد الرحمان السحيمي(2009)، جاهزية المنظمات العامة لإدارة المعرفة، مداخلة ضمن الملتقى الدولي للتنمية الإدارية نحو أداء متميز للقطاع الحكومي.
15.سعود بن ذياب الذياب(2014)، مدى توافر متطلبات المنظمة المتعلمة ومجالات تطبيقها بالكلية التقنية بالخرج، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإجتماعية والإدارية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.
16.سليمان فارس(2010)، دور إدارة المعرفة في رفع كفاءة أداء المنظمات دراسة ميدانية على شركات الصناعات التحويلية الخاصة بدمشق"، مجلة جامعة دمشق للعلوم الإقتصادية والقانونية، م26، ع2.
17.سوسن بنت محمد بن زرعة(2014)، مدى توفر خصائص المنظمة المتعلمة في جامعة الأميرة نوره بنت عبد الرحمن من وجهة نظر رئيسات الأقسام الأكاديمية، المجلة الدولية التربوية المتخصصة، م3، ع9.
18.شاهد عبد الحكيم(2012-2011)، أثر إدارة المعرفة على الأداء في المؤسسة دراسة تطبيقية بمؤسسة سوناطراك قاعدة الإمدادات تقرت"، مذكرة ماجستير، تخصص إدارة الأعمال، كلية العلوم الإقتصادية وعلوم التسيير، جامعة عمار ثلجي بالأغواط.
19.صلاح عبد القادر أحمد النعيمي، باسم فيصل عبد نايف(2010)، دور عمليات إدارة المعرفة في بناء المنظمة المتعلمة، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية ع31، جامعة بغداد، العراق.
20.عبد الستار علي وآخرون(2012)، المدخل إلى إدارة المعرفة، ط3، دار المسيرة، عمان.
21.عبد الناصر حسين رياض زايد وآخرون(2009)،المنظمة المتعلمة وتطبيقاتها في المملكة العربية السعودية، ورقة مقدمة ضمن المؤتمر الدولي للتنمية الإدارية نحو أداء متميز في القطاع الحكومي، المملكة العربية السعودية.
22. عزاوي عمر، عجيلة محمد(2006)، مؤسسات المعرفة وثقافة المؤسسات الإقتصادية رؤية مستقبلية، مجلة الباحث، ع4.
23. علي السلمي(2002)، إدارة التميز نماذج وتقنيات الإدارة في عصر المعرفة، دار غريب، مصر.
24. كامل محمد الحواجرة(2009)،" مدى استعداد المنظمة المتعلمة للتغيير التنظيمي، ورقة مقدمة ضمن المؤتمر السابع لكلية الإقتصاد والعلوم الإدارية، تداعيات الأزمة الإقتصادية العالمية على منظمات الأعمال، جامعة الزرقاء.
25. كامل محمد الحواجرة(2010)، المنظمة المتعلمة والاستعداد التنظيمي المدرك للتغيير الإستراتيجي، مجلة علوم إنسانية، ع45.
26. كامل محمد يوسف الحواجرة(2010)، دراسة ارتباط استراتيجيات استثمار رأس المال المعرفي بالأداء التنافسي للمؤسسات، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع2.
27. ليلى محمد حسيني أبو العلاء(2012)، درجة ممارسة عمليات إدارة المعرفة في كلية التربية بجامعة الطائف من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس، المجلة الدولية التربوية المتخصصة، م1، ع4.
28. محمد فلاق وآخرون(2011)، عمليات إدارة المعرفة وتأثيرها في تحقيق الميزة التنافسية (دراسة حالة لمجموعة الاتصالات الأردنيةOrange"، المجلة الأردنية في إدارة الأعمال، م7، ع4.
29.محمد قريشي، سارة مرزوق(2013)، إدارة المعرفة وأثرها في الإبداع الإداري بمركز البحث العلمي والتقني للمناطق الجافة دراسة ميدانية CRSTRA، مداخلة ضمن الملتقى الدولي الأول اقتصاديات المعرفة والإبداع، جامعة سعد دحلب البليدة، الجزائر.
30.محمد مفضي الكساسبة وآخرون(2010)، دور وظائف إدارة الموارد البشرية في المنظمة المتعلمة، المجلة الأردنية في إدارة الأعمال، م6، ع1.
31. محمد مفضي الكساسبة(2009)، تأثير ثقافة التمكين والقيادة التحويلية على المنظمة المتعلمة، المجلة الأردنية في إدارة الأعمال، م5، ع1.
32. محمد نايف محمد الرفاعي وآخرون(2009)، مستوى تطبيق المنظمة المتعلمة ومعوقاتها كما يراها العاملون في المؤسسات العامة الأردنية في محافظة إربد، المجلة الأردنية في إدارة الأعمال، م9، ع1، 2013.

33.معن العياصرة، خلود الحارثي(2015)، درجة ممارسة مديريات المدارس الثانوية بمدينة الطائف لإستراتجيات المنظمة المتعلمة"، المجلة الأردنية في العلوم التربوية، م11، ع1.

34.ناصر جاسر الأغا، أحمد غنيم أبو الخير(2012)، واقع تطبيق عمليات إدارة المعرفة في جامعة القدس المفتوحة وإجراءات تطويرها، مجلة جامعة الأقصى، سلسلة العلوم الإنسانية، م16، ع2.

35. Little, Stephen Quintas(2002), Paul and Ray, Managing Knowledge: Sage Publication.

36. Young– chan lee, Sun- Kyu lee(2007), " capabilities Processes and Performance of Knowledge Management: A Structural Approach", Human Factors and Ergonomics in Manufacturing, Vol17, No 1.

خمس استراتيجيات للقضاء على الفقر في البرازيل بقلم: ريبيكا لي

Five Strategies for Poverty Reduction in Brazil

Rebecca Le

ترجمة: د. سعيد سلمان الخواجة، الأردن

المصدر: مجلة بيرغين للعلوم الانسانية والسياسية تاريخ النشر: 2018/02/23

الموقع الالكتروني: http://www.borgenmagazine.com/poverty-reduction-in-brazil/



ملخص: تهدف هذه المقالة إلى عرض خمس من الاستراتيجيات التي تتبعها البرازيل للحد من مشكلة الفقر. وتشترك عدة منظمات في البرازيل في هذه المهمة علاوة على قيام بعض المنظمات بتوفير الغذاء للطلبة المحتاجين. وإضافة إلى ذلك، فمن خلال توفير الاغذية للأطفال المحتاجين، يستطيع صغار المنتجين تسويق منتجاتهم وبيعها لطلبة المدارس من خلال إدارات المدارس. ورغم زيادة شهرة المسلسلات التلفزونية البرازيلية وتربع العدد من اللاعبين الرياضيين البرازيليين على عرش كرة القدم، مما يدر على البلاد الملايين من الدولارات، إلا أن البرازيل ما زالت تسعى جاهدة للحد من معدلات الفقر وذلك عن طريق تنفيذ العديد من البرامج وتوفير الموارد المختلفة بهدف تحسين الأوضاع المعيشية للسكان وللحد من هذه الظاهرة الخطيرة، ويتم ذلك من خلال تطبيق خمس استراتيجيات من بينها استراتيجية عالم بلا فقر، والبرازيل بدون بؤس، وبرنامج القضاء على الجوع، والبرنامج الوطني للوصول إلى التعليم الفني والعمالة.

الكلمات المفتاحية: القضاء على الفقر، البرازيل، توفير الغذاء للطلبة الفقراء، تسويق المنتجات، تحسن الأوضاع المعيشية للسكان، عالم بلا فقر، البرازيل بدون بؤس، القضاء على الجوع، الوصول إلى التعليم الفني والعمالة.

خمس استراتيجيات للحد من الفقر في البرازيل

23 فبراير 2018

شهدت دولة البرازيل زيادة في الدخل في السنوات الأخيرة من خلال ارتفاعها إلى الشهرة مع المسلسلات البرازيلية ورياضيي كرة القدم الموهوبين. وإلى جانب جميع المواهب التي تقيم في البرازيل، تسعى جاهدة إلى إيجاد طرق للحد من معدلات الفقر لديها عن طريق تنفيذ برامج وموارد مختلفة .يعد الحد من الفقر في البرازيل وسيلة مهمة لتحسين البلد، هذه هي خمس طرق تحاربها البرازيل للحد من معدلات الفقر فيها.

منظمة عالم بلا فقر World Without Poverty:

وهي شراكة تأسست عام 2013 ما بين مركز السياسات الدولية للتنمية الشاملة ومعهد البحوث الاقتصادية التطبيقية ووزارة التنمية الاجتماعية في البرازيل، وقد واصلت منظمة World Without Poverty(عالم بلا فقر) إنشاء العديد من البرامج الاجتماعية الأخرى للمساعدة في الحد من الفقر في البرازيل.

ويقدم برنامج "عالم بلا فقر" تحويلات نقدية حيث يحصل الآباء على بدل شهري مقابل إرسال أطفالهم إلى المدرسة والتأكد من أنهم يحصلون على فحوصات منتظمة للصحة، كما يعمل البرنامج ضمن ثلاثة مسارات، هي: تقديم الإغاثة الفورية للفقر، وتعزيز ممارسة الحقوق الاجتماعية الأساسية، وتوفير الفرص لتنمية الأسر.

ومن ناحية أخرى، فقد ساعدت منظمة Bolsa Familia في تخفيض معدل الفقر من 9.7٪ إلى 4.3٪ خلال 10 سنوات فقط، وبالإضافة إلى حملة منظمة "بولسا فاميليا Bolsa Familia"، فإن حملة "عالم بدون فقر" قد وفرت الأمن الغذائي من خلال برامج شراء المواد الغذائية، وتقديم المساعدة الاجتماعية، والسجلات الموحدة والتي تسمح للحكومة بتحديد الأسر ذات الدخل المنخفض والمحتاجة.

البرازيل بدون بؤس (Brazil Without Misery):

بدأت خطة البرازيل بدون بؤس في عام 2011 حيث صممت لمساعدة العائلات التي يقل دخلها الشهري عن 70 دولارًا للشخص الواحد، وفي غضون أربع سنوات، تمكن البرنامج من تقديم المساعدة لحوالي 22 مليون مواطن برازيلي ممن يعانون من الفقر المدقع، ويعمل برنامج "البرازيل بدون بؤس" من خلال ثلاث مراحل: تقديم المساعدة العامة/الحكومية، وتحسين التعليم والصحة و زيادة فرص العمل وتوليد الدخل .ولا يقتصر عمل "البرازيل بدون لبؤس" على الحد من الفقر في البرازيل، بل يعمل على ضمان حقوق المواطنين البرازيليين.

البرنامج الوطني للوصول إلى التعليم الفني والعمالة:

في سنة 2011 صادق الرئيس ديلما روسيف على القانون رقم 12.513، والذي تضمن خطة وطنية لتأمين الفرص التعليمية التقنية لشعب البرازيل وبما يسمح للشباب البالغين بالحصول على مؤهلات تؤهلهم للحصول على فرص عمل أفضل. ووفقا لذلك، فقد نفذ الرئيس روسيف أيضا شبكة التكنولوجيا الإلكترونية البرازيلية تحت إشراف وزارة التعليم لتوفير التعليم العام المجاني بموجب القانون الديمقراطي، وسيؤدي ذلك إلى توسيع إمكانية حصول الأطفال البرازيليين على التعليم، مما يجلب لهم طريقة جديدة في الحياة والتعلم.

وتتركز الكثير من برامج الحد من الفقر في البرازيل على المستوى الوطني، لكن برنامج الحد من الفقر في المناطق الريفية يركز على الحد من الفقر على المستوى المجتمعي. وبحسب التقارير الصادرة عنً البنك الدولي، فإن هذه الطريقة تقوي وتمكّن الفقراء وتؤدي إلى تطور رأس المال الاجتماعي. وعلاوة على ذلك، فإن البرنامج يركز على المواطنين الفقراء في شمال شرق

البرازيل ويعزز من وضعهم الاجتماعي في المناطق التي اعتادوا على تجاهلها (المناطق المهمشة).

يتيح برنامج الحد من الفقر الريفي للفقراء المشاركة في مجالات مثل الحكومات المحلية ومشاركة أصحاب المصلحة وتقديم المساعدة الفنية وتحقيق الشفافية في عمليات التمويل. وضمن هذا السياق، فإن سماع أصوات أولئك الذين يعيشون في أوضاع اقتصادية صعبة والسماح لهم بالمشاركة في برامج حكومية تمولها الدولة سيساعد على إلهام وتشجيع أولئك الذين فقدوا الأمل. زمن خلال برنامج الحد من الفقر في المناطق الريفية، سيجد الفقراء أنهم يمتلكون صوتًا ويمكن أن يساعدوا في إحداث الفارق المعيشي.

برنامج القضاء على الجوع:

بدأ برنامج "القضاء على الجوع" في البرازيل لتقديم الدعم المالي للمزارعين وتقديم الغذاء لأطفال المدارس، علاوة على تخفيض مشكلة سوء التغذية لدى الأطفال من 12.7 في المائة إلى 3.5 في المائة إضافة إلى خفض معدل وفيات الأطفال الرضع.

ويقوم فرع من برنامج Zero Hunger Program ، وهو برنامج فدرالي لتقديم الغذاء، بشراء المواد الغذائية من المزارع والمرافق الصغيرة والمملوكة للعائلات، وتساعد الخطة المزارع الصغيرة في بناء مخزونها مع تشجيع الأكل الصحي.

من خلال شراء المواد الغذائية من الشركات الصغيرة، وجدت البرازيل وسيلة لتعزيز اقتصادها مع تغذية غالبية السكان. ويفترض في هذا البرنامج تقديم ما لا يقل عن 30 % من الطعام لأطفال المدارس، مما يضمن حصول الأطفال على وجبات غذائية صحية أثناء وجودهم في المدرسة، وبهذا يمكن توفير الفرصة لأصحاب الأعمال الصغيرة والمزارعين للحصول على دخل عن منتجاتهم وتسويقها.

وعلى الرغم من أن الحد من الفقر في البرازيل لم يصل إلى 100 في المائة بعد، إلا أن رئيس وحكومة البرازيل يعملان بنشاط للحد من معدلات الفقر وتلبية احتياجات مواطنيهما. ونتيجة لهذه المبادرات، تمكنت حكومة البرازيل من تخفيض الفقر بشكل كبير في السنوات العشرين الماضية وسيستمر في التراجع طالما ظلت الحكومة البرازيلية توفر الأمل لأولئك الأقل حظاً.

التمثّلات الإجتماعية للأسرة لدى الشباب التونسي

Social representations of the "family" among young Tunisians

د.محمد هديدر، جامعة تونس/تونس

ملخص: يهدف هذا البحث إلى دراسة علاقة الشباب بالأسرة وتحديدا يهتم بالتمثّلات الاجتماعية للأسرة لدى الشباب التونسي وقد اعتمدنا المنهج التجريبي مستندين على الاستبيان كأداة للبحث، وقع اعتماد طريقة الترابط الحر تحت نموذج الترتيب الحر والهرمي مدعّمة بالتحليل الفئوي للمستجوبين من أجل تسهيل الوصول إلى تعقّد التمثّلات الاجتماعية ومعرفة مكوناتها الأساسية، وقد أظهرت نتائج البحث أهمية هيكلة هذه التمثّلات حول أربعة محاور كبرى: الحب كقيمة مرتبطة بالأسرة، الطبيعة الاستبدادية للوالدين، الأسرة كقيمة مركزية في المجتمع التونسي، والدور الذي تلعبّه هذه المؤسسة في نقل القيم و المعايير.

الكلمات المفتاحية: الأسرة، الشباب، التمثلات الاجتماعية، القيم.

Abstract: This research aims to study the family relationship of young Tunisians, more specifically, it is interested in social representations of "family" in young people and those in an experimental approach based on the questionnaire. The associative method under its model of free and hierarchical evocation and supported by a categorical analysis was put to our respondents to promote access to the complexity of their social representations and know the essential components thereof.

Our research results have shown the relevance of structuring these representations around four main themes: love as a value related to the family, the family as a central value in our society, the authoritarian nature of the parents and the role played by this family institution in the transmission of values and norms.

Keywords: family, young, social representations, values.

Après une révolution contre la dictature, l'injustice et la corruption, les tunisiens se trouvent de plus en plus attaché aux valeurs de dignité humaine, de liberté et de démocratie. Cependant cette période post révolutionnaire est traversée par un certain désordre caractérisé par des idiologies extrémistes, un nombre accru de revendications, de nombreux essais d'immigration clandestine, une flambée de violence, un taux d'agressions très élevés, des incivilités et des conflits.

La majorité des tunisiens met en cause les institutions de socialisations primaire, et surtout la famille qui selon eux a du mal à jouer son rôle dans la socialisation des individus (Hdider, 2013).

La Tunisie compte 2605000 familles avec un nombre moyen de personne par ménage de 4.09, la fréquence des conflits entre parents et enfants est de 30%, le nombre de divorce est très élevé dépassant les 12000 cas par ans et la majorité des familles tunisiennes souffrent de problèmes économiques (INS, 2016)[1]. Ces problèmes n'infirme pas la présence de solidarité familiale surtout quand surgissent des problèmes de santé ou des difficultés financières et à l'occasion des grandes manifestations (fêtes, mariages décès…etc.).

Ce travail de recherche étudie les représentations sociales de la famille chez les jeunes, c'est un thème peu analysé par la sociologie en général et surtout par la sociologie tunisienne, d'ailleurs, Martine Barthélémy affirme : « On sait peu de choses sur les représentations sociales de la famille au sein de l'opinion, chacun faisant comme si l'usage commun du mot renvoyait à une représentation universellement partagée » (Barthélémy , 1986, p.697)

La notion de famille reste flou, entre une définition « d'évidence » (Barthélémy , 1986), et une définition individualisée. Lévi-Strauss en se demandant de quelle famille parle-t-on déclare « Si clair semble le mot, si proche de l'expérience quotidienne la réalité qu'il recouvre, que des propos sur la famille ne devraient pas faire mystère » (Lévi-Strauss, 1983, p.64).

Quelles sont alors les représentations sociales des jeunes tunisiens vis-à-vis la famille ?

Comment conçoivent-ils sa place et son rôle dans la société?

Pourquoi selon eux la famille se trouve en difficulté de faire son rôle de socialisation des individus ?

Ce travail cherche à savoir s'il existe une diversité de conceptions de la famille au sein de l'opinion des jeunes, qui sont parmi et en tête des

[1]INS : Institut national de la statistique.

principaux acteurs de la révolution tunisienne de 2011 et qui évoluent toujours dans leur famille avec une jeunesse qui s'allonge de plus en plus.

Méthodologie

Notre collecte de données s'est faite auprès de 104 jeunes du gouvernorat de Nabeul située au nord-est de la Tunisie, agrégeant plusieurs variables dont 68 filles et 46 hommes, 61 d'entre eux appartiennent à des régions urbaines et 43 évoluent dans des régions rurales.

Nous avons opté pour une enquête expérimentale et nous avons choisi de nous appuyer sur la méthode associative sous la forme d'association libre. « ***Pour cerner l'univers sémantique d'une représentation sociale, il peut être utile d'obtenir de l'information, par une technique d'association de mots*** » *(*Doise, Clemence, Lorenzi-Cioldi, 1992, p.26).

Le modèle d'évocation hiérarchisée a été mise auprès de nos enquêtés afin de favoriser l'accès à la complexité de leurs représentations sociales (Vidal, Rateau et Molinier, 2006) et connaître les composantes essentielles de la représentation. Il s'agit d'une technique avec beaucoup d'intérêts et qui, selon Abric, permet rapidement d'avoir « des pistes très sérieuses d'analyse de la représentation et de son noyau central » (Abric, 2003a, p379), en plus elle est peu couteuse et donne accès à une large partie du champ représentationnel.

L'association libre « consiste, à partir d'un mot inducteur (ou d'une série de mot) à demander au sujet de produire tous les mots, expressions ou adjectifs qui lui viennent à l'esprit » (Abric, 2003b, p.66)

Dans notre cas la question était formulée de la manière suivante : quand on vous dit le mot « famille », quels sont les cinq mots ou expressions qui vous viennent spontanément à l'esprit ? .

Les sujets ont répondu en deux phases :

La première celle de l'association libre ou les sujets produisent les cinq mots ou expressions qui leurs viennent à l'esprit, des productions sans aucune contraintes ni d'ordre sémantiques, ni grammatical ni autres. Abric considère que l'association libre avec « Le caractère spontané, donc moins contrôlé, permet d'accéder, beaucoup plus facilement et rapidement (…) aux éléments qui constituent l'univers sémantique du terme ou de l'objet étudié » (Abric, 2003c, p. 63).

La deuxième celle de la hiérarchisation ou les sujets sont appelés à ranger les mots ou syntagmes qu'ils ont déjà produit selon l'importance qu'ils accordent à chaque mot ou syntagme.

L'association libre et la hiérarchisation nous ont permis d'avoir deux indicateurs, l'un de dimension quantitatif et concerne la fréquence d'apparition du mot produit par le sujet et l'autre étant d'avantage

qualitatif, il s'agit de l'importance qu'accorde ce dernier à cet item. Vergés considère qu' « à la propriété quantitative on ajoute une propriété plus qualitative même si elle se présente sous forme numérique » (Vergès, 1994, p.236).

Molinier, Rateau et Cohen-ScaliI (2002, p.142) considèrent que « les critères sur lesquels se base l'analyse prototypique ne permettent qu'un repérage des éléments centraux et non une détermination formelle », ce qui nous a conduit à utiliser d'autres investigations pour confirmer la centralité, nous avons fait appel à une analyse catégorielle qui regroupe selon les mêmes auteurs : « autour des termes repérés les plus fréquents, les items considérés comme proches d'un point de vue sémantique. On crée ainsi des catégories d'items reflétant de quelle manière s'organise la représentation autour des éléments repérés comme les plus saillants » (2002, p.145).

Résultats

La première phase de l'association libre a donné lieu à 506 évocations avec une moyenne de 4.86 évocations par personne, elle a fourni 90 mots différents.

Pour ne pas alourdir l'étude, nous avons retenu seulement 14 mots sur lesquels a porté notre analyse lexicographique, ce sont les mots cités par plus de dix jeunes, une valeur considérée comme fréquence « seuil ». Ces mots représentent 20 % des différents mots et 81% des évocations totales.

Nous avons calculé par la suite la fréquence moyenne qui vaut 22.77 arrondi à 23, et la moyenne des rangs qui est égale à 2.47 arrondi à 2.5.

En se basant sur les fréquences des mots et leurs rangs moyens, les évocations des jeunes ont été placées dans les cases du tableau suivant :

Tableau 1 : Analyse lexicographique des items associés au mot «Famille » selon les réponses des jeunes

Cas ou la fréquence ≥ 23 et le rang moyen <2.5	Cas ou la fréquence ≥ 23 et le rang moyen ≥2.5
Amour 45/1.5 Pouvoir parental 36/2.4 Valeurs 46/1.5 Normes 36/2.1 Education 30/2.2 Mère 27/1.9	Solidarité 27/2.7 Argent 24/2.5
Cas ou la fréquence < 23 et le rang moyen <2.5 Problèmes 16/1.3	**Cas ou la fréquence < 23 et le rang moyen ≥2.5** Noyau de la société 12/4.2 Union 12/2.5 Valeurs religieuses 13/2.8 Attachement 15/3

	Soutien 12/3.5 Affection 20/2.6 Père 16/3.3 Respect 16/3.3 Responsabilité 19/2.8

Le tableau 1 est subdivisé en quatre cases :

La première se trouvant en haut et à gauche est constituée par les items suivant : « Valeurs », « Amour », « Pouvoir parental », « Normes », « Education » et « Mère ». Ces éléments constituent la zone du système central, ce sont les éléments les plus saillants, les plus significatifs dont les fréquences sont élevés et les rangs sont importants.

Les deux autres cases se situant en bas à gauche et en haut à droite, représentent les deux zones potentielles de changement. La première est constituée par les items « Solidarité » et « Argent », caractérisé par des fréquences élevées et des rangs moyens faibles. La deuxième comporte un seul élément : « problèmes » qui a une fréquence faible inferieur à 23 et un rang moyen important. Ces deux zones caractérisées par une fréquence et un rang qui ne vont pas dans le même sens sont proches des éléments centraux et représentent les éléments périphériques.

La quatrième zone du tableau celle de la case se trouvant en bas et à droite, comprend les éléments de la représentation ayant une fréquence faible et un rang non important : « affection », « Responsabilité », « Respect », « Attachement », « Valeurs religieuses », « Soutien », « Union », « Père » et « Noyau de la société » et constituent les éléments contrastés.

Un premier déchiffrage du tableau 1, nous a permis de constater que les éléments « Problèmes », « Valeurs » « Amour » et « Mère » obtiennent la plus grande importance avec respectivement des rangs chacun inferieur à 2 (1.3 - 1.5 - 1.5 et 1.9).

Nous constatons que l'élément « valeurs » par exemple, pourrait être un élément générique pouvant contenir d'autres éléments tel que « normes » et « valeurs religieuses ». Nous remarquons aussi qu'il existe des mots ayant une proximité sémantique nous citons par exemple « Amour »/ « affection » ou « Valeurs »/ « Normes ».

Dans cette première phase nous avons préservé les synonymies et les expressions ayant le même sens. C'est une phase d'analyse qui ne peut permettre qu'un premier repérage des éléments centraux et nécessite une deuxième lecture globale de l'organisation de la représentation celle de l'analyse catégorielle. Il s'agit d'une phase de regroupement des items

proche sémantiquement, des items ayant la même racine, et les synonymies, chacune dans une catégorie.
Selon Moliner, cette double analyse «d'une part, elle permet de traiter directement des données obtenues à partir de la libre expression des individus. D'autre part, elle présente une grande facilité d'emploi et de compréhension» (Moliner, Rateau et Cohen-Scali, 2002)
Les éléments les plus fréquents du tableau constituent les éléments prototypiques et génériques à partir desquels nous construisons des catégories ou sont regroupés autant que possible, les évocations qui ne figurent pas parmi les plus fréquents (items ayant une fréquence inferieur à 10) et qui représentent 19 % du total d'évocations.
Nous avons ainsi crée 9 catégories que nous présentons dans le tableau 2, ou figure le nom de la catégorie, le nombre d'évocations, le rang moyen et le nombre total d'évocations.

Tableau 2 Composition des catégories (Evocations hiérarchisées)

Catégories-nombre d'évocations-rang moyen	Catégories-nombre d'évocations-rang moyen
1 Amour 94/1.77 1 Amour 45/1.5 1 Affection 20/2.6 1 Attachement 15/3 1 Aimer 2/1 1 Bonheur 2/5 1 Emotion 1/2 1 Fidélité 2/4 1 Ambiance 1/3 1 Joie 3/3 .6 1 Générosité 1/5 1 Nostalgie 1/3 1 Tolérance 1/3	Pouvoir parental 43/2.47 4 Pouvoir des parents 36/2.4 4 Parents sévères 1/1 4 Autorité1/3 4 Refus de changement 1/2 4 Handicap pour la réalisation de nos rêves 1/2 4 Education traditionnelle 1/5 4 Manque de compréhension 1/3
	Education 38/2.29 5 Education 30/2.2 5 Savoir faire 1/5 5 Apprentissage 1/3 5 Savoir vivre 3/2.7 5 Transmission des valeurs 1/1 5 Transmission des normes 1/3 5 Transmission du savoir 1/2
2 Argent 39/2.94 2 Argent 24/2.5 2 Aide financier 12/3.5 2 Consultation 1/3 2 Compréhension 1/4 2 Encouragement 1/3 2 Encadrement 2/4.5 2 Protection 2/2 2 Aide 1/5	**Problèmes 25/1.87** 6 Problèmes 16/1.3 6 Tension et ruptures 1/1 6 Problèmes économiques 1 /2 6 Pauvreté 2/3 6 Famille nombreuse 1/4 6 Famille précaire 1/2 6 Violence 1/4

2 Financement 2/3.5 2 Foyer 1/3 2 Sécurité 2 /3.5 2 Stabilité 2/3.5	6 Conflit de génération 2/3.5
Solidarité et entraide 59/2.65 3-Solidarité/Entraide 45/2.62 3 Entraide 18/2.5 3 Cohésion 2/2 3 Coopération 2/4 3 Communication1/5 3 Alliance1/2 3 Interaction 1/3 3 Partage 2/3.5 3 Entente 1/4 3 Union 1/1 3 Lien 1/3 3 Lien social 1/1 3 Lien parental 1/1	**Valeurs 98/1.92** 7 Valeurs 46/1.5 7 Normes 36/2.1 7 Valeurs morales 1/1 7 Valeurs religieuses 13/2. 7 Culture 1/5 7 Traditions 1/2
	La mère 8 Mère 27/1.9 8 Père 12/2.6 8 Frères et sœurs 1/1
	Noyau de la société 17/3.73 9 Noyau de la société 12/4.2 9 La principale école de la société 1/1 9 Structure principale de la société 1/1 9 Première institution de socialisation 1/ 3 9 Unité de base de la société 1/4 9 Entité importante dans la société 1/4

Nous remarquons par exemple, que la catégorie « Problèmes » est construite autour de 8 mots différents : « problèmes» (16 occurrences et un rang moyen de 1.3), « Tension et ruptures», « problèmes économiques », « pauvreté », « famille nombreuse », « famille précaire », « violence » et « conflit de génération », ces items sont cités une ou deux fois avec des rangs moyens qui varient entre premier et quatrième.

Pour voir clairement les choses nous avons élaboré un deuxième tableau récapitulatif qui comporte les neufs catégories et qui nous indique le poids et la qualité de chaque catégorie, le nombre et le pourcentage d'évocations, le nombre de mots différents, le pourcentage des deux premiers rangs, celui de mots génériques et enfin le rang moyen :

Tableau 3 Poids et qualité des catégories, nombre et pourcentage d'évocations, de mots différents, d'évocations des deux premiers rangs, d'items fréquents et rang moyen.

N°	Catégories	Nombre d'évocations	% d'évocations	Nombre de mots différents	% des 2 premiers rangs	% de mots génériques (Items fréquents)	Rang moyen
0	Evocations non catégorisées	53	10.5	16	3	00	4.76
1	Amour	94	18.6	12	60.63	85.10	1.77
2	Argent	39	7.7	12	35.9	61.53	2.94
3	Solidarité	59	11.7	13	59.32	76.27	2.65
4	Pouvoir parental	43	8.5	8	51.16	83.72	2.47
5	Education	38	7.5	7	71.05	78.94	2.29
6	Problèmes	25	4.9	8	76	64.00	1.87
7	Valeurs	98	19.4	6	61.22	83.67	1.92
8	La mère	40	7.9	3	57.5	67.50	2.08
9	Noyau de la société	17	3.3	5	11.76	70.60	3.73
	Total ou moyenne	506	100%	90	-	-	2.5

Nous dégageons du tableau 3 que :
L'analyse catégorielle a touché 453 évocations soit 89.5 % des évocations totales, et 74 mots soit 77 % du total des mots.
Les trois catégories «Solidarité », « Argent » et «Amour sont construites tous les trois avec beaucoup de mots (respectivement 13,12 et 12), la dernière ayant un nombre d'évocation égal à 59, un pourcentage de mots générique important (76.27%) et un rang moyen faible (2.65), pour la deuxième le nombre d'évocation est égal à 63 et le pourcentage de mots prototypiques est faible (61.53%) et le rang moyen n'est pas important (2.95). Alors que la catégorie « Amour » est caractérisée par un nombre d'évocation élevé (94), par le pourcentage de mots générique le plus élevé et par le rang moyen le plus important.
La catégorie « valeurs » se distingue nettement des autres par le nombre d'évocation le plus élevé (98), par un pourcentage élevé de mots génériques et un rang moyen important.

Les critères de centralité à prendre en considération dans l'analyse des représentations sociales sont : La fréquence des mots génériques (exprimé en pourcentage), le rang d'importance et le nombre d'évocation. Moliner, Rateau et Cohen-Scali, et en se référant à l'étude de Verges sur les représentations de l'argent affirment que les éléments qui sont « à la fois fréquents et cités en premier et organisent autour d'eux une catégorie qui est composée à plus de 75% de ces propres termes et qui est significativement produite en premier » (Moliner, Rateau et Cohen-Scali, 2002, p.145), remplissent les critères de centralité.

Nous présentons le tableau suivant qui nous renseigne sur la simulation « rang x fréquence » des catégories. Le nombre d'évocations est indiqué entre parenthèse devant chaque catégorie, suivi du pourcentage de mots génériques et enfin le rang d'importance.

Tableau 4 Simulation "rang x fréquences" des catégories

Cas ou la fréquence ≥ 75 et le rang moyen <2.5	Cas ou la fréquence ≥ 75 et le rang moyen ≥2.5
Amour (94) 85.10% 1.77 Valeur(s) (98) 83.67% 1.92 Pouvoir des parents (43) 83.72% 2.47 Education (38) 78.94% 2.29	Solidarité (59) 76.26% 2.65
Cas ou la fréquence < 75 et le rang moyen <2.5	**Cas ou la fréquence < 75 et le rang moyen ≥2.5**
Mère (40) 67.50% 2.08 Problèmes (25) 64.00% 1.87	Argent (39) 61.53 % 2.94 Noyau de la société (17) 70.60% 3.73

Le tableau 4 montre que seuls les éléments «Amour», « Valeurs », « pouvoir des parents » et « Education », ont une fréquence élevée, un rang d'importance inferieur à 2.5 et portent des catégories composées à plus de 75% de leurs propres termes.

Les autres catégories ne réunissent pas à la fois ces trois critères : fréquence élevée, rang d'importance inferieur au rang moyen et poids des mots prototypiques supérieur à 75.

La catégorie « Solidarité » se caractérise par une fréquence élevée(59), une fréquence en mots génériques forte, mais un rang moyen d'importance faible (2.65).

Et si les catégories « Mère » et « Problèmes » possèdent un rang d'importance inferieur à 2.5, ils n'ont pas tous les deux des proportions de mots génériques à plus de 75%, même si la première a un nombre d'évocations supérieur au tiers de l'effectif du groupe (40, N=104), cette catégorie a changé de case par rapport à l'analyse lexicographique (Tableau1) et a passé de la case des éléments centraux à la case des

éléments périphériques, de même pour la catégorie « Argent » et malgré qu'elle a un nombre élevé d'évocations et parce qu'elle est caractérisée par un rang faible et un pourcentage de mots prototypique inferieur à 75%, quelle a passée de la case des items périphériques a celle des items contrastés.

L'hypothèse de centralité ne pourrait donc être avancée dans notre étude sur les représentations sociales de la « famille » chez les jeunes, que pour les catégories qui répondent aux critères de centralité cités par Moliner. Ces catégories sont : Amour, Valeurs, Pouvoirs des parents et Education.

C'est grâce à cette double analyse lexicographique, prototypique et catégorielle que nous pouvons considérer les quatre catégories citées comme celles qui ont les plus fortes probabilités d'appartenir au noyau central.

Interprétations des résultats

Les étudiants produisent la catégorie « **valeur(s)** » pour définir la « famille » dans deux sens, le premier étant le fait de considérer la famille comme une valeur centrale de notre société, le deuxième concerne la fonction de transmission des valeurs qu'assure la famille.

Cet institution de socialisation primaire est en fait une valeur ancrée en Tunisie, Les tunisiens donnent une très grande importance à la famille et la considère comme la cellule sociale la plus importante qui a pour fonction d'assurer l'équilibre psychique et physique de tous ses membres. Pour cette raison la catégorie « valeur(s) » est repérée dans les opinions de la majorité des jeunes étudiants.

Les étudiants ont produit aussi l'expression « valeurs religieuses » car le maintien des liens familiaux et le fait de remplir les obligations envers la famille est un ordre devin dans la civilisation Arabo-musulmane. Les musulmans doivent respecter cet ordre, ils sont appelés à se préoccuper des autres et surtout des membres de leurs familles, ces derniers doivent retenir leurs attention en premier

Les jeunes étudiants ont évoqué les items « valeurs » et « normes » aussi pour mettre en valeur le rôle crucial que joue la famille dans la transmission des normes, des valeurs, que l'enfant apprend, intériorise et adopte. Dans notre société la famille reste l'instance principale de socialisation, elle reste encore une forte source de solidarité surtout dans les régions rurales ou les relations entre les membres sont denses et intimes, et les liens sont étroits. Les personnes âgées vivent toujours chez leurs enfants et les jeunes habitent chez leur parent même après leur mariage. Cette cohabitation résulte de raisons économiques mais essentiellement des raisons affectives. Selon une étude réalisée auprès de

2000 familles, 69% des personnes interrogées affirment habiter à proximité d'un membre de leur famille, de leurs parents ou de leurs frères ou sœurs. (Bouhdiba, 1996). La famille reste donc une valeur forte pour les jeunes tunisiens, elle est plébiscitée par ces derniers.

La deuxième catégorie du noyau central des représentations de la famille chez les jeunes est « **L'amour** ». Ces derniers ont évoqué le terme « amour » dans un sens large, l'amour entant que valeur liée à la famille, cette institution qui socialise ses enfants à aimer les autres, à aimer leurs parents, leurs frères et sœurs et à être solidaire avec eux et avec les membres de la grande famille. Les relations entre les membres de la famille se basent sur l'amour, ce sentiment d'affection et d'attachement que ces derniers éprouvent entre eux et qui s'exprime par « **la solidarité** »,d'ailleurs cette catégorie de réponse figure dans la case des éléments périphérique et est présente dans 56.73% des évocations des répondants (dont 72.88% appartiennent à des régions rurales) , et comprenant les items tel que « l'entraide » « l'union », « la cohésion », la « coopération »…etc. La solidarité se manifeste dans plusieurs sens, des parents vers les enfants et des enfants vers les parents, et entre les membres de la petite et la grande famille et peut prendre nombreuses formes tel que l'hébergement et la prise en charge des parents, la garde des enfants, l'aide financière et psychologique surtout dans les moments forts tel que les mariages les fêtes, les décès, ….etc.

La troisième catégorie qui a une grande probabilité d'appartenir au noyau central étant : « **Education** » , produite par 36% des jeunes pour dévoiler la fonction de socialisation et le rôle de la famille dans la transmission des valeurs et des normes qui composent la culture de notre société, mais aussi faire montrer que la famille est un lieu de sociabilité ou les enfants apprennent à communiquer et à vivre avec l'autre.

La quatrième catégorie de réponse appartenant au système central de la représentation étant « **pouvoir parental** » et qui comprend les items tels que « Parents sévères », « «Autorité », « Handicap pour la réalisation de nos rêves », « Manque de compréhension », « Refus de changement ». Les jeunes mettent au point le caractère non démocratique qui marque les relations au sein de la famille et la discrimination entre les filles et les garçons. C'est parce qu'ils ont certains droits sur leurs enfants que les parents en abusent parfois ce qui les amènent à un excès de pouvoir. Les jeunes sentent aussi qu'ils sont soumis à l'autorité de leurs parents car ils en dépendent financièrement. D'ailleurs 39 interviewés ont cités la catégorie « **Argent** » , bien qu'elle ne soit pas citée aux premiers rangs,

elle est mentionnée dans les réponses de 37.5% des jeunes, la majorité sont des jeunes hommes et trois quart d'entre eux appartiennent aux régions urbaines, ces derniers définissent la famille par sa fonction de protection de ces membres face aux problèmes économiques, elle constitue pour eux la principale voir la seule source de financement de leurs études et de leurs activités de loisir.

Une autre catégorie citée presque par le même nombre de jeunes que la catégorie « Argent», il s'agit de la catégorie « **Mère** », le tableau 4 montre que 38% des interviewés (40 évocations, dont 28 produites par des jeunes appartenant à un milieu rural), définissent la famille par les membres qui la constituent et principalement par la mère (avec un rang moyen important de 2.08). Selon la même enquête réalisée par le sociologue Abdelwahab Bouhdiba citée ci-dessus, les femmes sont un maillon important de l'entraide familiale, elles veillent sur l'éducation de leurs enfant, elles s'occupent de leurs familles même si elles travaillent ailleurs. Elles sont sources de bonheur et d'amour au sein de leurs maisons, elles occupent une place très importante dans la famille tunisienne, ce sont les mères qui font beaucoup de sacrifices pour leurs enfants. Les jeunes tiennent la mère en haute considération pour des raisons culturelles liées à leur appartenance à l'Islam qui donne de l'importance aux parents et à la mère en particulier. « Un homme vint chez le Messager d'Allah et lui dit: " Ô Messager d'Allah! Quel est celui qui mérite le plus que je lui tienne compagnie ? ". Il dit: " Ta mère ". Il dit: " Et qui encore? " - il dit: " Ta mère ". Il répéta : " Et qui encore? ", il dit: " Ta mère ". Il répéta de nouveau: "Et qui encore?", il dit: " Ton père " ». L'Islam a donné à la mère un statut bien important et particulier, la Tradition Prophétique dit que « Le Paradis est sous les pieds des mères ».

Si les répondants conçoivent la famille tunisienne avec des membres unis et solidaires, comme le noyau principal et le plus important de la société, ou règne le sentiment d'amour et d'affection, ils ne s'empêchent pas de signaler les problèmes qui l'affectent. La catégorie « **problèmes** », se trouvant dans la case des éléments périphériques de la représentation et citées par presque un quart des interviewés, ces derniers évoquent le problème de divorce, surtout que la Tunisie occupe la quatrième place parmi les pays les plus « divorcés » du monde et la différence est très significative en comparant les zones rurales et celles urbaines en faveur de ces derniers. Selon l'ODC[2], Le taux de pauvreté est élevé en Tunisie. L'Institut national de la statistique avec la Banque

[2] ODC : Organisation tunisienne de défense du consommateur.

africaine de développement estimaient le taux de pauvreté à 15,5%, ce taux est variable selon les régions et peut atteindre les 32% dans certaines régions de l'intérieur du pays. Ce sont surtout les jeunes originaires des régions rurales qui considèrent qu'on ne peut pas parler de famille en Tunisie sans citer les problèmes économiques qui l'affectent. Ils citent aussi le problème de violence au sein de la famille qui, selon le ministère des affaires de la de la femme, de la famille de l'enfance et des personnes âgées, est le milieu le plus menaçant et le plus violent pour l'enfant et pour la femme (47.6% des femmes sont victimes de violence tant au niveau psychologique que physique), , il s'agit d'un vrai problème ce qui a poussé les jeunes a évoquer tel catégorie de réponse pour définir la « famille ».

Conclusion

Dans la conception des jeunes, la famille reste toujours la structure qui constitue le véritable ciment de la société, la première et la principale institution de socialisation de chaque individu, la famille est le cadre qui a pour fonction de cultiver l'amour, de partager les joies et les peines, de transmettre les valeurs et les normes de notre société. La mère est un membre exceptionnel dans la famille tunisienne surtout dans les régions rurales. Néanmoins la famille est perçue comme problèmes pour certains jeunes dans le sens ou la violence familiale en Tunisie ne cesse de proliférer, le taux de divorce est très élevé et la pauvreté reste toujours un problème capital. Les jeunes se plaignent aussi de l'attitude autoritaire des parents, ils se trouvent souvent entre la dépendance financière des parents et la recherche de leur autonomie. Dorra Mahfoudh sociologue tunisienne, souligne « Ce sont les jeunes (20-35ans) qui ont plus besoin de la solidarité du groupe familial. Mais ce sont aussi ceux qui la refusent (……) on l'accepte sans la reconnaitre car la dépendance fait difficilement bon ménage avec l'aspiration à l'autonomie » (Mahfoudh, 2002)

Les relations parents /jeunes deviennent parfois tendues surtout que les parents ont vécus dans des familles traditionnelles ou le père détient une certaine autorité, c'est lui qui veille à la sécurité économique de la famille alors que les jeunes cherchent à être autonomes et veulent s'affirmer dans la prise de décision dans la famille.

Malgré les transformations sociales, culturelles et économiques, la famille tunisienne reste imprégnée des valeurs de la famille traditionnelle musulmane (Taamallah, 1984), elle est perçue par les jeunes comme une institution ni moderne ni traditionnelle. Ces derniers parlent de famille

transitionnelle qui se caractérise par une ambivalence et traverse une phase de transition.

Bibliographie

Abric J.C, (2003a), La recherche du noyau central et la zone muette des représentations sociales, in Méthodes d'études des représentations sociales, Abric J.C, (Ed), Ramonville, Editions Erès. 59-79.

Abric, J. C.(2003b) , Méthodologie de recueil des représentations sociales, Pratiques sociales et représentations, sous la direction de Jean Claude Abric, édition 2003, Psychologie Sociale, Presses Universitaires de France, 59-82,1994.

Abric, J.C., (2003c). L'approche structurale des représentations sociales : développements récents. Psychologie et société, 4*, 81-103.*

Barthélémy Martine, Muxel Anne, Percheron Annick, (1986) , Et si je vous dis famille Note sur quelques représentations sociales de la famille In: Revue française de sociologie. 27-4. pp. 697-718.

Bouhdiba, Abdelwahab, (1996), Point de vue sur la famille tunisienne actuelle, Actes du troisième séminaire de sociologie « les mutations actuelles de la famille au Maghreb, Tunis Décembre 1996.

Doise, W., Clemence, A., Lorenzi-Cioldi, F.,(1992) Représentations sociales et analyses de données**.** Grenoble : Presses universitaires de Grenoble.

Dorra Mahfoudh, (2002), La famille tunisienne : Grandes mutations, profonds bouleversements enquête tunisienne sur la santé de la famille. Réalisé par l'Office National de la Famille et de la Population (ONFP) dans le cadre du Projet panarabe de la santé de la famille, septembre 2002.

Hdider,Mohamed,(2013) , La médiation par le sport, la médiation socioculturelle, les Editions SAHAR,Tunis.

Lévi-Strauss CIaude(1983), Le regard éloigné, Pion, Paris.

Moliner P., Rateau P. et Cohen-Scali V., (2002) Les représentation sociales, Pratiques et études de terrain. Rennes, Presses Universitaires de Rennes.

Taamallah ,Khmais, (1984), la famille tunisienne : les problèmes liés aux inégalités socio-économiques ,Colloque de Genève ,Les familles d'aujourd'hui :Association internationale des démographes de langue française AIDELF,17-20 septembre 1984 .

Vergès, P. (1994), Approche du noyau central: propriétés quantitatives et structurales. In *Guimelli, C. (*Ed). Structures et transformations des représentations sociales (pp.233-253).

الإرشاد السياحي بمدينة فاس: بين الإكراهات الهيكلية والآفاق المستقبلية

Tour Guiding in Fes city: Structural Challenges and Prospects

Aarab Hamza, PhD Student, University Sidi Mohamed Ben Abdellah, Faculty of Letters and Human Sciences Dhar El Mehraz, Fes, Laboratory of Heritage and Territory.

ملخص: تعمل خدمة الإرشاد السياحي على تنظيم وإدارة الجولات السياحية بشكل منظم ومُمنهج، ويتكلف بتوفير هذه الخدمات ثلة من المرشدين السياحيين الذين يقدمون مساعدات شتى للسياح من قبيل مرافقتهم وإرشادهم منذ وصولهم وحتى مغادرتهم للوجهة السياحية، كما أنهم مطالبون بإعطاء مختلف الشروحات والمعلومات للقوافل السياحية، وذلك لتقريب صورة المجال المعاين لمخيلة السائح، ولجل هذه الأسباب وغيرها يمكن أن يتضح للباحث في حقل جغرافية السياحة مدى المكانة البارزة التي تتبوؤها مهنة الإرشاد السياحي ضمن سلسلة الخدمات السياحية.

في هذا الصدد، أضحى المرشد السياحي يضطلع بأدوار مهنية حساسة وغاية في الأهمية لا يقوى أحد على تجاهلها، فهي أدوار مكملة لباقي أنشطة البنيات السياحية التي تساهم في تحريك عجلة القطاع السياحي، فيكفي أن نعرف مثلا بأن المرشد هو الذي يقوم بتدبير مختلف الزيارات السياحية، مما يترتب عن ذلك ردود أفعال قد تكون إيجابية أو سلبية، وذلك راجع لأداء المرشد السياحي ومنهجيته الخاصة في التعامل مع الزبناء، الشيء الذي يجعل منه مدخلا للسائح للتعاطي مع شتى مظاهر الحياة الثقافية والاجتماعية الخاصة بالفضاء السياحي.

ومن بين الوجهات السياحية التي ساهم مرشدوها السياحيون في إظهار مميزاتها نجد مدينة فاس باعتبارها قطبا ثقافيا بالنسبة للمغرب، والتي استفادت بشكل أو بآخر من مهنة الإرشاد السياحي لتسويق تراثها الثقافي المحلي الذي وصل صداه للعالم عبر عقود من الزمن، وتبعا لذلك فإن الهدف الأساس لهذا المقال هو مقاربة الواقع المهني للمرشدين السياحيين بمدينة فاس من أجل تأهيل هذه المهنة التي تمارس فوق تراب واحدة من أقدم مدن العالم.

الكلمات المفتاحية: الإرشاد السياحي، السائح، المرشد السياحي، الإرشاد غير المرخص، الجولة السياحية.

Abstract: The profession of tour guiding serves to manage and organize tours in a methodological and effective way. Tour guides are charged of providing these services. They give different types of help to tourists, such as accompaniment and protection since their arrival till the departure. Besides, tour guides provide tourists with a lot of explanations and informations. Because of these and other reasons, it can be obvious to the researcher in the sector of geographical tourism that the profession of tour guiding is of high importance as part of the services provided to tourists.

In this context, tour guides have sensitive professional roles which are undeniable. They can be seen as complementary to the other activities in touristic structures which contribute in the improvement of this sector. As an example, it is enough to know that tour guides are the ones who take

charge of managing the various tours accomplished along with the accompaniment of tourists, and this can be eventually results in either positive or negative reactions according to the work of tour guides and their communication with the visitors. This is what can help tourists cope with the various aspects of cultural and social life that are related to the touristic space.
Among the attractive places that tour guides commercialize, we find the city of Fes as it is considered as a cultural angle for Morocco, and which profit somehow from the profession of tour guiding to commercialize its cultural local heritage which has been known worldwide for a long time. This is why, the main aim of this article is to study the professional reality of tour guides in Fes city as one the oldest cities in the world which has been practicing this profession.

Keywords: Tour Guiding, Tourist, Tour Guide, False Tour Guiding, Tour.

Introduction:

It is always essential to take into account the major role of local tour guides when we discuss tourism development. They have an important contribution in improving this sector and transmitting it from a state of stagnation into liveliness and permanent vivacity. This is why, they have a significant responsibility as far as the nature of their profession is mostly based on both cognitive and operational skills in addition to their direct transaction with tourists, and this eventually makes of this profession a significant impact on touristic product. There are some who owe the competition between tourists to the increase in the international tourism demand, and this is the best example which reflects the extreme importance of these professionals.

In this context, our choice to tackle this issue of tour guiding was not arbitrary, but the professional circumstances of this profession and the value brought by its services quality to the tourist destination are rather what motivate us to delve into this issue. As we all know, the city of Fes contains a great number of tour guides, and there results along with this fact a huge discussion about the profession of tour guiding, especially in the attractive places of the city unlike the academic studies which have tackled this profession in a limited way.

Problematic:

In order to shed light on the reality of this profession, its structural problems as well as its prospects, we are going to start with the following central problematic:

What are the procedures and the efforts done for developing this profession, improving the quality of its services, and protecting it from non-authorized practices regarding the socio-professional characteristics of tour guides? What is the impact of the professional problems of tour guides on tourism sector in Fes city? What is its relationship with the prospects that can be expected for the service of tour guiding?
Based on our field work (Questionnaire included 50 Tourist Guide), we are going to look at the qualitative side of this profession and study its situation and impact on Fes as a scientific capital of Morocco.
The representative sample contains experienced guides who have a wide operational expertise because there are four guides who have been working in this field since 1970s, thirteen guides have joined this profession in 1980, and twenty guides started their job in 1990s. On the other hand, there are thirteen guides who have integrated this field at the beginning of 20th century.

I. Studying the reality of tour guiding in Fes city

People are considered as an important part in managing local tourism, and this requires having an operational expertise and an accumulated experience to successfully commercialize different tourism services. This is actually what makes of tour guiding one of the most important pillars of tourism services that the sector professionals can provide.
Tour guiding is considered as one of the interesting sectors in tourist reception because of the role of tour guides in receiving tourists at their arrival, accompanying them along the whole journey till departure time.

1. Tour guide: various definitions and diverse categories

There is not only one definition which determines the official characteristic of tour guiding. The field and the content of guiding differ from one country to another, for they are determined according to the nature of the circumstances imposed by the geographical and cultural data for the sector of touristic visitations (ادرييف محمد،2016، ص 25). Similarly, its categories differ from one destination to another according to the definitions related to each category of tour guides.

1.1 The definition of tour guiding

We are going to study the most important definitions regarding this concept. For example, tour guide is the person who is responsible for accompanying tourists that are destined to a certain place. He also guides them to visit some historical, cultural and natural places and accompany them to certain attractive urban sites like modern buildings, souks, bazars, scientific and cultural centers and so forth as far as the job of tour guiding

is related to determining the touristic attractions and explaining them to the tourist so as to catch their attention (الرواضية زياد عيد، 2015، ص22) . This is eventually what requires mastering foreign languages and being knowledgeable about the general culture as well as having good appearance and smooth way of communicating with tourists (Zainabi Ahmed Taoufik, 1999, p 250).

1.2 The categories of tour guides in Fes city are divided into two types

The categories of tour guides are related to the changes that the field of guiding has undergone and which have been developed according to the situation of tourism in Morocco. Taking into consideration the policies suggested for improving this sector, it is required to promote the organization of this profession. This is why, in 1968, there has been launched the first royal decree which organizes this profession. It contains two categories of tour guides which are the following (عمران إسماعيل،2004، ص 178)

- National guides or accompaniers are those who can work nationally.
- Local guides are those who are allowed to accompany tourists and guide them only in their regions.

In 1997, there has been launched a royal article number 1.97.05 to legislate the law number 30. 96 and which came with the third category of guides: The guides of mountains. The latter accompany the tourists who are destined to the mountains and help them on their journey. We can also mention the auxiliary guides (بنيحي محمد، 2005، ص 86) as another category of this profession.

In the city of Fes, there are two categories of guides: accompaniers and local guides.

Table (1): the number of accompaniers and tour guides in Fes city in 2017

The categories of guides	The number of accompaniers	The number of local guides	The total
Number	190	185	375
Percentage (%)	51	49	100

Source: Regional Delegation of Tourism, Fes 2017

We can notice in the above table that there is proximity between the number of accompaniers and local guides in Fes city because the difference between them doesn’t exceed five guides. This is what implies that there are a lot of people who work as guides in the city of Fes, who are about 375 tour guides (males and females) in 2017.

The gap in the number of tour guides in Fes is more and more growing according to their gender and this is what we are going to see in the following table:

Table (2): Tour guides according to their gender in Fes 2017

	The number of males	The number of females	The total
Number	320	55	375
Percentage (%)	85	15	100

Source: Regional Delegation of Tourism, Fes 2017

We can deduce from the above table that the number of male tour guides is 320/ 85% whereas the number of females doesn't exceed 55/15%. This reflects the fact that this profession is male dominated because of the specificities and the nature of this profession itself.

2. The gradual development of tour guides' number in Fes city

The highest number of tour guides which is 375 as it is previously mentioned, wouldn't be achieved if this profession didn't go through remarkable changes in Fes and other Moroccan cities as well. This activity was not well accepted for protectorate institutions because of the security and social sensibility it has to control population mobility and coping with foreign tourists. After independence, it has been delegated to municipal councils, for the president of economy department in the municipality is the one who is responsible for giving permit to join this profession (الهشميوي أحمد،2002، ص 78).

Tour guiding has been delegated to the ministry of tourism along with the launch of laws that organize it. Besides, integrating the auxiliary guides to be official has contributed in the growth of tour guides' number during 1980s and 1790s in Fes. Then, the number was fixed in 320 guides in 2000.

Table (3): the number of tour guides in some Moroccan cities in 2017.

City	Number of tour guides	Percentage (%)
Marrakech	685	49
Fes	375	27
Agadir	161	11
Casablanca	93	7
Tetouan	50	4
Rabat	36	2
Total	1400	100

Source: Regional Delegations of Tourism (Marrakech. Fes. Agadir. Casablanca. Tetouan. Rabat)

We can state in relation to the above table that Fes city has an important rank according to the number of tour guides because it is nationally classified as the second after Marrakech. Even if the difference between

these two cities is so high, Fes still has a valuable position concerning this profession. Therefore, if tour guiding is quantitatively more and more growing, how is its position on the qualitative level?

3. The diversity of social and professional characteristics of tour guides in Fes city

Based on our field work, we are going to look at the qualitative side of this profession and study its situation and impact on Fes as a scientific capital of Morocco.

The representative sample contains experienced guides who have a wide operational expertise because there are four guides who have been working in this field since 1970s, thirteen guides have joined this profession in 1980, and twenty guides started their job in 1990s. On the other hand, there are thirteen guides who have integrated this field at the beginning of 20th century.

3.1 The difference in educational and language level for tour guides

Language proficiency and educational level are considered as determinant criteria for the quality of this profession. The guide must not be negligent of the details about a touristic destination; otherwise there will be no need for him. Concerning the linguistic competence, its importance is usually related to the tourists who speak the language targeted. In this context, we are going to introduce in the following table different educational levels of tour guides in Fes.

Table (**4**): the distribution of tour guides according to their education level in Fes city.

Education level	Number	Percentage (%)
Bachelor Degree	174	46
Tourism High Institute Diplomat	13	04
Tour Guide Diplomat	05	01
University level	35	09
Hotel school Diplomat	07	02
Baccalaureate degree	105	28
High school level	17	05
Junior school level	19	05
Total	375	100

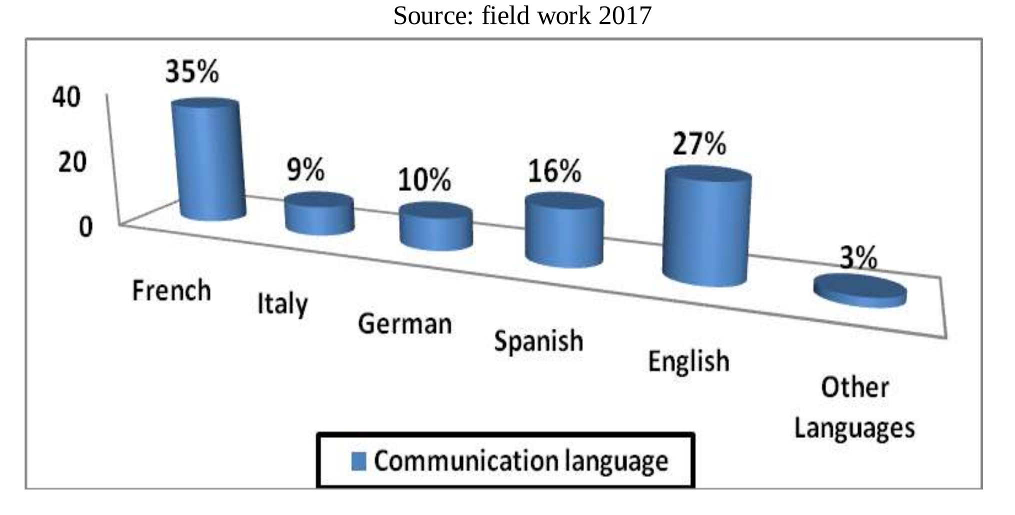
Source: Regional Delegation of tourism, Fes 2017

It seems from this table that the majority of tour guides in Fes got BA degree because they represent 46% followed by baccalaureate level (28%). these two educational levels represent the highest percentage in comparison with other levels. Similarly, we have noticed the same Remarque in the questionnaire results regarding the education level of the guides interviewed for the percentage of university level is 84% in comparison with high school level which represents only 10% and then

followed by both junior and primary school levels which represent about 4% and 2% respectively. These results can be related to the requirements included in the laws which organize this profession; it can sometimes require having BA degree or ISIIT Diplomat. This is what motivates most of people who are interested in this field to pursue their higher education studies; and it is clear in our field work that tour guides in Fes city are known by the diversity of the languages acquired to the extent that some of them reach the proficiency level thanks to their education level and daily practice as well.

Graph (1): the distribution of the tour guides interviewed according to language in Fes, 2017

Source: field work 2017



We can deduce from the above graph that French language is classified as the first for the tour guides interviewed. Then, it is followed by English, Spanish, German, and Italian in addition to other languages like Dutch and Hebrew.

The same results can be deduced from the official statistics of the regional delegation of tourism in Fes for French is ranked as the first acquired communication language for tour guides; it represents about 103 guides (27%) followed by English language (25%) and Spanish (10%). This is related to the great interest of tour guides in the classical tourism market (France, Spain, Germany, Britain …). Hence, they are always motivated to learn fundamental languages regarding the nationality of those tourists who are destined to Fes.

3.2 The seasonal activity for tour guides in Fes city

Like all the professionals in this sector, the tour guide in Fes suffers from the seasonality of this profession. The high season is determinant for the

work of tour guides, and it is usually limited between March and the beginning of June and between September and October. This means, the high activity period of guides does not exceed six months which explains that this profession is seasonable.

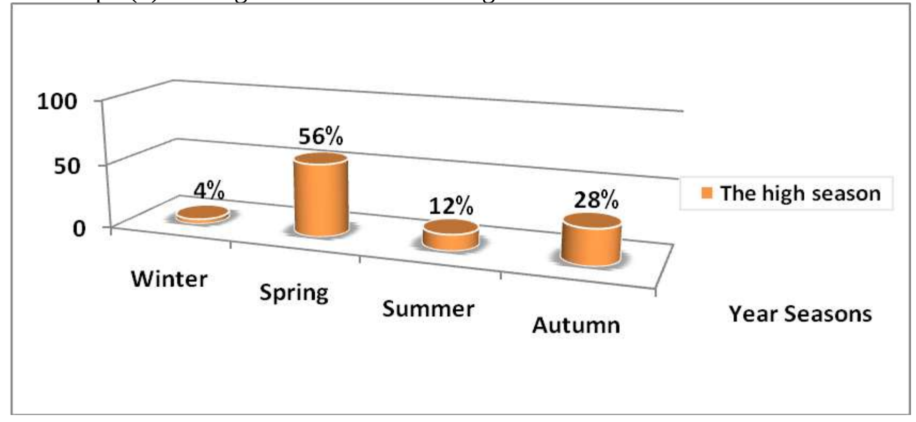
Table (5): The work nature for the tour guides interviewed in Fes in 2017

Work nature	Number	Percentage (%)
Continuous	17	34
Seasonal	33	66
Total	50	100

Source: Field work 2017

It is clearly described in this table that 66% of tour guides work on a seasonal basis in this field which emphasizes the seasonal nature of tour guides' job.

Graph (2): the high seasons for the tour guides interviewed in Fes in 2017



Source: field work 2017

We notice in this graph that autumn and spring represent the high seasons for tour guides: 56% and 28% respectively. This is similar to the high touristic season in Fes and the months related to the highest activity period for guides.

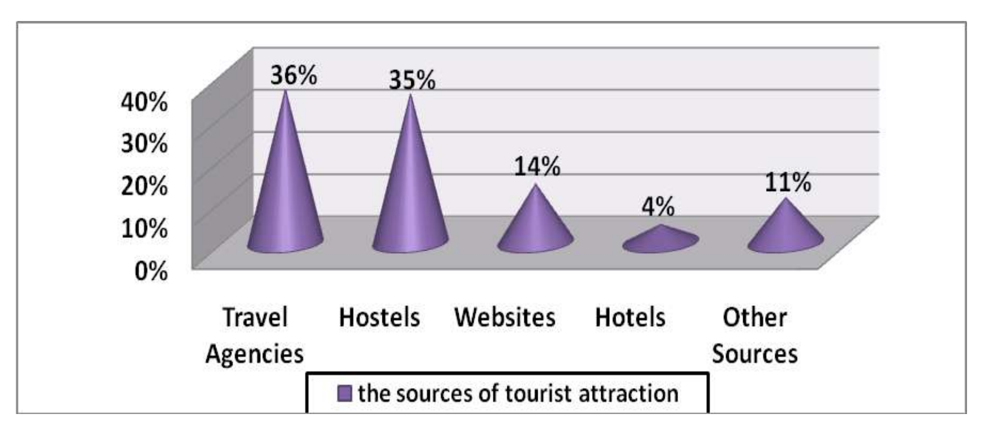
3.3 The different sources to attract tourists for tour guides

Because of their sensitive role, tour guides are considered as the crossing point for all tourism institutions (hotels, travel agencies, restaurants and so forth). This is what helps him profit from these relationships, and the job specificities force him to do so. While some tour guides work with foreign and national travel agencies, there are some others who prefer to work independently without engaging in any institution even if this is illegal (الدكاري عبد الرحمان وهلال عبد المجيد، 2014، ص547) . As the

relationships of tour guides with other institutions are diverse, the sources they rely on to attract tourists are various as well.

Graph (3): the sources of tourist attraction for the tour guides interviewed in Fes

Source: field work 2017



The above graph reflects that the sources of attraction for tour guides are diverse. However, their percentage differs from one source to another because the travel agencies provide tour guides with 36% of clients; then followed by Riads with a small difference which does not exceed 1%. On the other hand, websites are classified as the third (14%) while the rest is distributed among hotels and other sources. Hence, travel agencies are the most important sources for tour guides, and the common percentage is 71%. This can be owed to the growing need of certain travel agencies for the services of tour guides because of receiving a great number of tourists. Hence, the travel agencies are obliged to be always in contact with tour guides who take charge of accompanying tourists to the old Medina, to the extent that some agencies are pushed to sign up a job contract with tour guides to exchange services according to a certain specific benefit between these two parts. The same thing with Riads which have become recently not only a place of accommodation, but they also provide a lot of services to the tourists including guidance as they can themselves sign a job contract with tour guides in order to exchange services with each other.

3.4 The Prices of Tour Guiding in Fes City

The prices of tour guiding are considered as an attempt to organize this profession. The ministry of tourism has tried to organize the prices of this field since the launch of the legal article number 30-96 in 14th of January, 1997, and which determines the prices of both national and local tour guides.

Fes city has not neglected this basis, but it just tried to modify the prices of tour guides' services in the context of a new law which organizes this profession. This is for the purpose of guaranteeing the material rights of tour guides whose accompaniment of tourists can last for half a day or more, with the difference in the number of tourists. Hence, the prices of this profession in Fes are controlled by two main factors which are the length of time that the tour guides spend with tourists and the number of the latter as well. This is clearly described in the following table.

Table (6): The Prices of Tour Guiding in Fes City

Length of time/Number of tourists	Half a day inside the city	All the day inside the city	Accompaniment outside of the city
Individual growth(less than 10 individuals)	250 DH	400DH	500DH
Communal growth(more than 10 individuals)	350DH	600DH	800DH

Source: The Regional Association of Tour Guides in Fes in 2017

It is obvious in this table that the price of tour guiding is about 250 DH for a tour in the old medina which lasts for half a day, and the number of tourists doesn't exceed 10 individuals. On the other hand, when the tour last for one day, the price grows to 400 DH. And in case of accompanying tourists outside of the city, the price arrives to 500 DH. The more the number of tourists grows, the more these prices grow as well.

It is noteworthy that these prices are not always stable for tourists. Tour guides can gain more than what is determined by the law either because of the generosity of tourists or because of the exaggerated prices that tour guides propose. At the same time, tour guides might be obliged to reduce the prices so as to attract tourists or convince travel agencies to accept the price suggested and eventually provide them with more tourists.

We can deduce from the above statements that the profession of tour guiding has a great importance in developing tourism in Fes. Tour guides can provide the visitors with a lot of services which expose them to the history and culture of this city. The surface of Fes city is about 250 hectares, and it is made of more than 9500 streets which make of it the most well known city for passengers in the world. Hence, the tour guides can be considered as ambassadors, and they have the duty of transmitting a lot of messages regarding cultural interaction and religious as well so as to give a good image about this city.

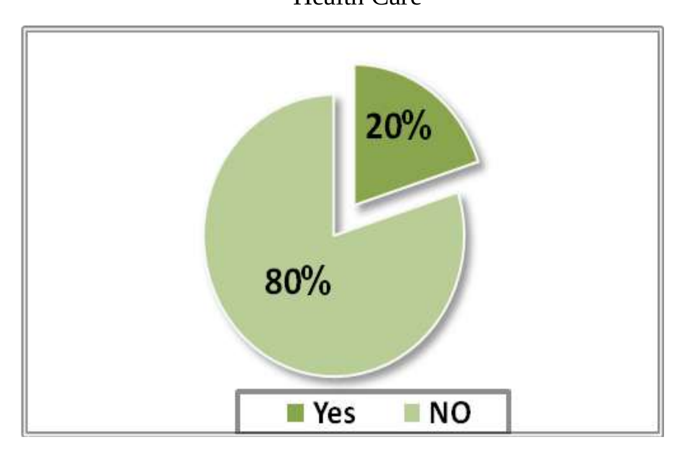
II. The difficulties of Tour Guiding Profession in Fes City

Tour guiding is considered as an essential service in the professional process on which this sector relies. It has been and it is still a free profession which imposes its presence on other professionals in the sector. Because of its professional nature, it faces a set of difficulties and obstacles either socio-economical or professional.

1. The Low Number of Tour Guides who have access to Health Care

We can state that tour guiding is the profession of those who have no profession. The professional circumstances, in which they work, either in Fes or other Moroccan cities, don't give strong guaranties about the conditions of practicing this job in a successful way. This is why, we wonder about the extent to which tour guides in Fes have health care. This is clearly described in the responses of the tour guides interviewed in the following graph:

Graph (4): The Responses of the Tour Guides interviewed according to their access to Health Care



Source: field work 2017

The above graph reveals that 80% of the guides interviewed don't have access to health care. On the other hand, there is only 20% those guides who haves access to health care. This is somehow a terrific result which shows the difficult social situation that these professionals live. Besides, among 375 tour guides, there are only 45 guides who have health care because this process is gone through a contract between tour guides and the company "La MAMDA". In this context, the tour guide who has contract with this company pays a specific amount of money which differs according to the number of memberships in the health care. The latter covers 80% of benefits for the expenses of medicines in addition to

the law which can guaranty the tour guide in case of professional accident. Most of the tour guides interviewed have recognized that they don't get anything from these benefits.

2. Tour Guides undergo a set of embarrassments in their profession

The aspects of embarrassment that tour guides live in Fes city are various. Because of his commitment and concentration with the tourists he accompanies, he usually tries to avoid as much as possible anyone who wants to provoke or embarrass him. Hence, we are going to study the embarrassments that tour guides face in the following aspects:

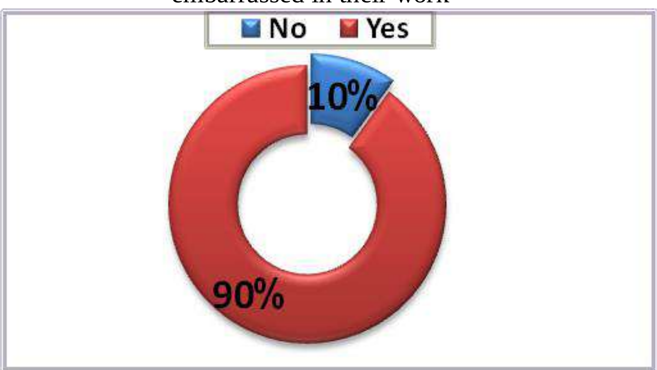
Peddlers: When tourists pass by some shops in the old city, they are usually embarrassed by the peddlers who sell traditional and fake goods as well. They usually try to convince tourists by force in order to buy from them their goods. What is more shocking is that they provoke tour guides if they fail to convince tourists. This is what eventually pushes the latter to calm down and get out of such situations as peacefully as they can.

Beggars: Begging in Fes city is a dangerous problem for tour guides. They usually hate seeing such scenes which give a bad image about this city because the number of beggars is so great in the streets and some of them can embarrass tourists through asking to provide them with some money.

Mentally disordered people: this category has a serious impact on the tourists who keep concentrated on these people so that to avoid any unexpected behavior. Besides, some tourists get scared when they come across such cases to the extent that some of them keep concentrated on these people and they forget about the explanations of the tour guide.

The latter is responsible for the protection of tourists from any danger either psychologically or physically. This responsibility includes the protection from the cheating of peddlers, the embarrassment of beggars, and the possible dangerous behaviors of mentally disordered people. This shows that the responsibility of tour guides is so complex. Hence, the following graph describes the responses of tour guides about the extent to which they are embarrassed in their work.

Graph (5): The responses of the tour guides interviewed according to their being embarrassed in their work



Source: field work 2017

This graph demonstrates that 90% of tour guides confess that they face different aspects of embarrassment while accompanying tourists. On the other hand, there is only 10% proved the contrary. These results reveal the different aspects of embarrassment that tour guides live in Fes city.

3. Non-authorized Guiding

Non-authorized guiding is not limited to Fes city, but it is rather a national and international phenomenon. We can also state that it is structurally related to tourism. The tourism activities are so attractive for some social categories, especially youngsters because of poverty and joblessness as well as social and family oppression. All of these factors and many others push people to work as non-authorized guides.

The Tourism department of the Security State in Fes arrested about 1406 false tour guides in 2011 for the charge of monument and impersonation of the tour guiding profession. The statistics of the security state also demonstrated that the number of false tour guides was decreased to 50% in 2011 in comparison with the same period in 2010 as the number reached almost 2812 false guides. Thus, the police arrested almost 410 false guides between January and February of 2017 (The Statistics of The Tourist Police Service in Fes City, 2017), and they are usually arrested in the historical places, public spheres, and stations.

Despite the decrease in the number of the false tour guides who were arrested, their number is still growing in the whole city as this activity has become widely practiced. What is strange is that there are some false tour guides who have been arrested many times, and despite this, they still cling to this activity because of the benefits they get from tourists and some tourism professionals alike. Additionally, the dream of immigration

to Europe and the development of personal relationships with some tourists, especially female tourists urge this category to work in such non-authorized situation.

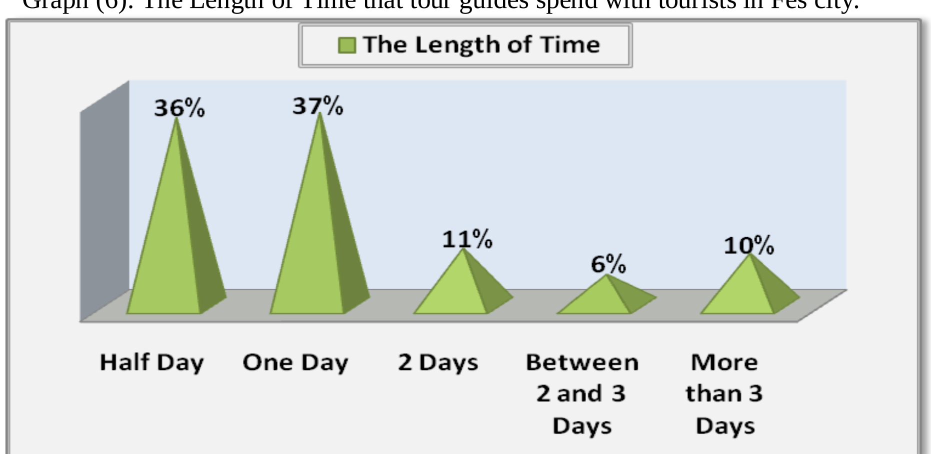
False tour guides coordinate with each other in an effective way. Some shop owners buy motorcycles to help them catch tourists who are destined to Fes (Daoudi Abderrahim, 1994, p 67), especially on the highway between Meknes and Fes as well as on the train stations. Tourists, eventually, can be easily embarrassed and exploited.

Ultimately, this phenomenon has a negative impact on the quality of the services provided to tourists. This push some official tour guides to accuse Tourist Police of not protecting this profession from intruders, for this issue has taken different dimensions in Fes city. As an example, a Korean man of 36 years old was found practicing this activity in a non-authorized way.

4. Shorthand of the tour length of time

The nature of the cultural tours that tour guides accomplish with the visitors of the old city doesn't reflect the tremendous heritage that this city consists of. The length of time they usually spend with tourists doesn't exceed three hours in half a day and six hours for the whole day, and this is not enough for tourists to discover all the places they visit. Therefore, how can tourists visit the old medina where there is almost 12000 historical buildings and 9500 streets in just one day?

Graph (6): The Length of Time that tour guides spend with tourists in Fes city.



Source: field work 2017

It is clear in this graph that 37% of tour guides who accompany tourists for one day whereas 36% of tour guides work only for half a day. This shows that the length of time spent with tourists is so short.

This nature of tours in the old medina doesn't serve the cultural tourism of Fes city. It doesn't encourage tourists to stay here for a long time, and this has a direct impact on the profession of tour guiding. The tours organized to Fes city might be better divided into parts because this can make the length of time longer. Consequently, tour guides benefit at the same time because for the longer tourists stay in the city, the higher the benefits of tour guides are. However, there are some other challenges which can also have a negative impact, such as the weakness of entertainment and amusement.

5. The Weakness of Training for Tour Guides

Tour guides' training is of great importance for promoting the quality of their services. Yet, we have found out, from the responses of some tour guides, that most of them went only through one term of training throughout their entire professional career, and it took two subsequent days in October, 2016. This is actually what let us wonder about the value of tour guides for the tourist product.

It is also noteworthy that the weakness of continuous training is apparent for tourists. We cannot insist that the cultural, cognitive, and moral levels of tour guides are the same, but we can find that some tour guides don't have even the skills of communication, and they are not well knowledgeable about the history and geography of Fes city. On the contrary, there are some exceptions who contribute effectively in explaining the cultural heritage of Fes city.

Even if 76% of tour guides who said that they went through training terms and 24% of them stated that they didn't accomplish any training, they went through only one training term as we have previously mentioned. Some of them accomplished private training terms in order to acquire and develop their cognitive and communicative skills.

6. The Vulnerability of Health Facilities and Signaling

Fes city suffers from many weaknesses on the level of health facilities. It doesn't consist of health conditions which meet the expectations of tourists, especially foreigners. A tour requires providing tourists with rest from time to time. Tourists may sometimes ask for public restrooms which are few and always dirty. This is what causes tour guides to look for appropriate restrooms which are rare in public sphere.

It is also noteworthy to insist on the role of restaurants and cafes in this context. They have to care about health facilities, especially because this doesn't cost much, but they only should take it into consideration as part of the services provided to tourists.

In addition to this problem of health facilities, the streets of Fes city, especially those to which tourists are destined most, are not clean as we always come across waste resulting from houses and handicrafts, and this unfortunately results in disgusting smells because of the absence of trashes in the streets. Some tour guides have claimed that in many instances, foreign tourists keep with them their waste till they find an appropriate place because they rarely come across a trash in public space.

Image (1): The spread of waste in the old medina of Fes

Source: personal photographing (February 6th, 2017)



Such urban scenes distort the image of the old medina, especially because they still rely on animals and hand tools to take waste away. Hence, it is obvious that the work conditions of tour guides are vulnerable.

On the other hand, there is the problem of signaling as far as streets are concerned. Even if there are a great number of signals in the old medina, their quality is still poor as it has been demonstrated by some tourists.

Here, a French tourist confessed that, *"the situation of signals is so bad because we don't know where we are going and this usually push us to ask people in the street to show us the destination we want."* In fact, the weakness of signals doesn't help tour guides do their job in an effective way, but they only rely on their experience in this field.

Image (2): Some Signals in the Old Medina of Fes
Source: Personal photographing (March 22nd, 2017)



In addition to the preceded statements, this profession undergoes structural and legal problems. For example, there is the intrusion of other professionals, the low salary of tour guides, for 62% of the tour guides interviewed have claimed that their salary is so low that it is not enough to afford the necessary services. This shows the extent of the socio-economical problems that tour guides suffer from.

Ultimately, the challenges we discussed before are just part of numerous problems that this profession undergoes in Fes city, and this requires a sense of being responsible and aware of the importance of tourism services.

III. The Limited Expectations of Tour Guiding in Fes City

If the profession of tour guiding doesn't catch the interest of many professionals and institutions, this means it is seen as a free profession independent of their administrative terms of reference except in the context of control, recruitment, and providing tour guides with work permit. Hence, the weakness of administrations' responsibility on the level either of the basic and continuous training or of sensitivity, encouragement, and reconsideration, is one of the obvious reasons why the expectations of this profession are not transparent.

1. The Absence of a Long-term Vision about the Regulated Law of Tour Guiding

We notice in legal articles: 05.12 which appeared in September 4th, 2012 that the regulated law of tour guiding profession consists of some gaps and lapses. Despite the acceptable procedures it came with like permitting tour guides to set up their own companies and coordinate with each other to manage their professional activities in an effective way, and raising the

penalties associated with professional offences in addition to dividing tour guides into two categories. The first is the urban guides and the second is related to the tour guides who work in rural areas. Hence, they have trespassed the past division which has many advantages, such as the absence of discussing the continuous training related to this profession or determining the institutions which are responsible for this.

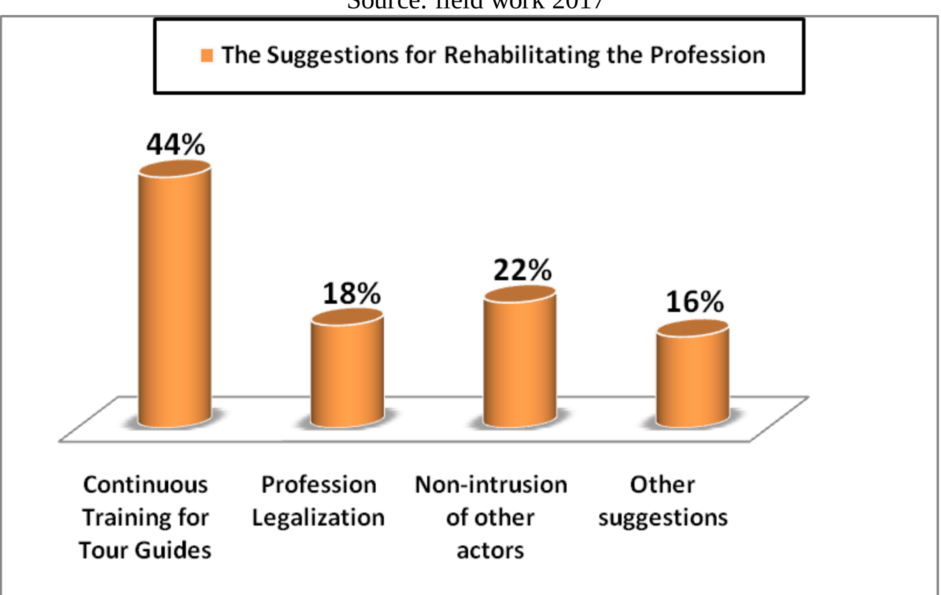
What rather catches our attention in this regulated law is the article number (31) which authorized the recruitment of false tour guides who have operational skills. This contradicts the necessary requirements to practice this profession, for a great number of official tour guides who work in Fes city got BA degree, and they went through both written and oral exam; hence, there is lack of equal opportunities related to this profession. In this context, we can ask some questions: How can we compare between the tour guide who went through subsequent processes of examinations and training and another one who has only knowledge about the old medina? Isn't it a kind of injustice for the official tour guides? Or simply because the high number of false tour guides forces the government to recruit them in the context of a pure sociological approach?

This procedure doesn't take into consideration the quality of the services that tour guides can provide, but it rather focuses on finding an appropriate solution for the phenomenon of false tour guiding. This is what makes the future of this profession ambiguous, regarding the promotion of the quality of its services.

2. The variety of suggestions proposed by tour guides to improve the quality of their services

If the weakness of basic training has a negative influence on the quality of tour guiding services, this is because the programs of continuous training which are expected to be offered to all professionals who work in this sector are rare. Consequently, the results of the tour guides' responses about the possible expectations to promote this profession in the future and this are clearly described in the following graph:

Graph (7): The Suggestations for developing the profession in the future
Source: field work 2017



It is obvious in the above graph that 44% of tour guides see that continuous training tours can contribute greatly in improving this profession in the future, whereas 22% of them state that lack of intruders, such as travel agencies, riads, restaurants, and false guides will develop this profession with time. On the other hand, 18% of them emphasized on the importance of rationing this profession and protecting it from some manipulations, such as determining the prices and demonstrating the nature of punishments for non-authorized practices. Besides, 18% of tour guides proposed other suggestions including the generalization of health coverage for all guides, giving them indemnities during low seasons.

3. The Promotion of Tour Guides' Services through organizing Training terms

After 2016 when a training tour was organized for tour guides, the ministry of tourism decided to coordinate with the professional associations of tour guides to organize yearly training tours for guides. They are obligatory in order to develop the services of tour guides. These tours have been expected to take place in October and November of 2017/2018; and each tour guide must attend 25 hours of training.

This project which came along with the 2020 vision is a qualitative project striving to promote the quality of the services provided to tourists in the future. What requires the organization of training tours is the necessity for improving different skills for tour guides, and these skills

include their knowledge about this field and the way they communicate with foreigners.

4. The Development of Work Strategy is an underlying Necessity for improving Tour Guiding in Fes City

It has become obvious that all tour guides of Fes city must adopt modern techniques to develop their daily professional activities. As far as the tour guide is a field man, he has to master a set of methodological and technical basics which are required for tourist accompaniment:

- The ability of reading maps and the knowledge of technical tools like compass and the global positioning system (GPS).
- Pre-determination of time and the nature of the explanation and the introduction which the tour guide will rely on while having a conversation with tourists, and this requires using a specific speech regarding the age category of tourists.
- The focus on quality rather than quantity in introducing the information. It is preferable to tell the tourists only what is essential. For example, the tourists need to know that Elakhawyin University is the oldest university in the world rather than the general context of its construction and building materials which are not something essential to know especially because the amount of time spent with tourists is so short.
- The ability of distinguishing between the cultural specifications of each historical site through being up to date and knowledgeable about the different sources which studied the explanation and the analysis of these buildings.
- Each guide must have a personal email to facilitate the process of communication between professionals and the guide and between the guide and the tourist.
- Learning new foreign languages (Japanese, Chinese, Russian, Indian, Hebrew…) in accordance with different nationalities that are destined to the city of Fes in order to respond to some special requests for providing tourists who master these languages.

In this context, it clear that the future of the tour guiding profession in Fes is so ambiguous. This is because of its nature, for it is a free job which is affected by the changes that occur from time to time in this field of tourism, and because of its operational circumstances as well. Therefore, it is prerequisite to work on the procedural solutions to rehabilitate this profession financially and morally as well as to make tour guides up-to-date and to get the best out of them.

Conclusion:

After we tackled the profession of tour guiding in Fes city and tried to study its reality and effects on the sector of tourism as a whole, we can state that even if this city is considered as a classical cultural tourist destination and consists of an important number of tour guides with the diversity of their socio-cultural and professional characteristics, yet there exist many problems and obstacles which impede the development of this sector in addition to non-authorized sector which is more and more influencing tour guiding profession. The question of improving the productivity of tourism sector is so limited, and this is more likely owed to the materialistic mentality of some tour guides who make their personal interests above all else.

It is obvious, in this context, that the prospects of tour guiding in Fes city are still ambiguous because of the nature of this profession itself, for it is a free profession which is influenced by the changes occurring from now and then as well as the circumstances of this activity which faces a lot of difficulties, not to mention the poor interest of officials for the promotion of this profession. This is reflected in the weakness of training tours and adopting some technological tools which can tour guides develop the quality of their services. There is also the weakness of the legal element which organizes the profession. This is eventually what damages the cultural touristic product of Fes city more than tour guides.

In this context, it is high time to look for effective procedural solutions which aim at rehabilitating this profession in a way that makes tour guides up-to-date with modern tourism and help them do their best to serve tourists in an effective way.

Bibliography

1. ادرييف محمد (2016)، الإرشاد السياحي بالمغرب مقاربة حول المهنة والواقع والتحديات، مطبعة سليكي أخوين، طنجة، ط1.
2. بنيحي محمد (2005)، قانون السياحة، منشورات المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية، سلسلة نصوص ووثائق، ع 141، دار النشر المغربية- الدار البيضاء، ط1.
3. الدكاري عبد الرحمان و هلال عبد المجيد (2014)، أهمية الإرشاد السياحي في تنشيط القطاع السياحي: حالة "أسيف ملول" بجبال الأطلس الكبير الشرقي، في كتاب: السياحة الجبلية، تثمين الموارد الترابية وتنويع مداخل التنمية، أشغال المنتدى الرابع للتنمية والثقافة بإغزران، إقليم صفرو، منشورات الجماعة القروية لإغزران رقم 4، مطبعة IPN فاس.
4. الرواضية زياد عيد (2015)، الإرشاد السياحي وأدوات إدارة المجموعات السياحية، دار زمزم ناشرون، الجامعة الأردنية، عمان.
5. عمران إسماعيل (2004)، التنمية السياحية بالمغرب واقع وأبعاد ورهانات، دار الأمان، ط1، الرباط.
6. الهشميوي أحمد (2002)، واقع السياحة بجهة فاس- بولمان البنيات والممارسة، عمل غير منشور.
7. Daoudi Abderrahim (1994), « L’organisation et la réglementation du tourisme au Maroc ». 1ère Edition, Imprimerie Fedala, Casablanca.

8. Zainabi Ahmed Taoufik (1999), « Les guides propriétaires de bazars ou L'émergence d'une nouvelle catégorie socioprofessionnelle à Zagora (Maroc) ». In : Le Tourisme Au Maghreb diversification du produit et Développement Local et Régional, Série Colloques et Séminaires n°79, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Rabat.

الإحتراق الوظيفي لدى ممرضي مستشفى خليل عمران ببجاية
Nurse'burnout of Khlil Amrane hospital in Bejaia(Algeria)

أ. مسيكة لعنان جامعة بجاية – الجزائر

ملخص: إن الإحتراق الوظيفي ناتج عن الإجهاد المستمر المتصل بالعمل والتوتر-إنها آخر مرحلة من اللا تكيُّف الناتج عن اختلال التوازن على المدى الطويل بين المتطلبات المهنية وموارد الفرد.من المهنيين الذين يتعرضون للإحتراق الوظيفي: والمهنيين الصحيين نجد الممرضات اللاتي يواجهن ظروف عمل مضنية أثناء ممارسة مهنتهن، يوصف عادة التمريض بأنها ممزقة بين ثلاث وظائف رئيسية: الأفعال الفنية والنظافة، علاقة العمل ووظيفة التنظيم والإدارة، وفي هذه المقام نريد أن نظهر تأثير الإرهاق على صحة الممرضات والسعي لإيجاد العلاج.

الكلمات المفتاحية: الإحتراق الوظيفي، ظروف العمل والمعيشة، التوتر، صحة الممرضات، العلاج.

Abstract: Burnout is a result of persistent work-related stress and ongoing tension - it is the final stage of an adaptation breakdown that results from a long-term imbalance between the professional demands and resources of the individual.

Professionals who could be exposed to negative effects of burnout we cite : nurses. These nurses who are supposed to work with a suffering population that requires adequate and immediate care could encounter binding working conditions during the exercise of their profession.. In this article, we want to show the impact of burnout on the health of nurses and seek to find the cure.

Keys words: Burnout, living and working conditions, stress, health of nurses, cure**.**

Introduction :

Since the beginning of the century, during the last decades and especially with the rapid evolution and mutations in different fields that our societies have known, new forms of malaise and pathologies have appeared and continue to lead to short and long term significant damages both physically and psychologically. These current forms of ill-health known as the diseases of civilization result from the combination of environmental and individual conditions.

In a psychosocial dimension, the individual's conception of work has also been subject to change in recent years. Undoubtedly, work requires all of us a great importance and is a priority to ensure continuity and individual well-being. It can ideally be the place of structuring knowledge and practices, of personal or social valorization, a place of fulfillment but which can become a place of concretizations of disappointments. The working conditions repercussions on the individuals' physical and psychological health have been raised by many researchers namely, exposure to all kinds of nuisances, work organization, communication, schedules ... etc. For instance,the constraints felt in the workplace also affect the well-being of individuals, by altering the quality of the work environment such as workload, cadences and the monotony of tasks as well as the degree of personal autonomy. Moreover, researchers such as Estryn-Behar (1997), Karasek, Dejours (Perréard & al., 2001,) have demonstrated through their studies the link between the role of health risk factors and nature and organization of the professional activity by emphasizing that certain working conditions can alter the physical and psychological functioning of individuals. Examples include shift work, lack of social support, autonomy, job insecurity, and the style of human resource management.

We are talking about the burnout syndrome resulting from persistent work stress and ongoing tension. It is the final stage of a break in adaptation that results from a long-term imbalance between the professional demands and the resources of the 'individual. The burn out exceeds the stress because it results from prolonged chronic tensions, contrary to the stress which is a process of temporary adaptation resulting from temporary tensions. (Elizabeth Grebot, 2008).

Among the professionals who could be exposed to the negative effects of burnout during the exercise of their profession: police officers, firefighters, managers, health professionals (doctor and nurse) but in particular nurses. It seems that they constitute a population at risk for psychological damage at work. These nurses who are supposed to work

with a suffering population that requires adequate and immediate care could encounter binding working conditions during the exercise of their profession. Nursing is commonly described as torn between three major functions cited: the technical and hygiene acts, the relational work and the function of organization and administration. These functions intermingle and collide during work.

In fact, the international literature does not cease to inform us about the pain and suffering caused by the stressful situations that nurses can endure in general and in their working environment, in particular, trying to put value on the impact of stress as well as the implementation of coping strategies to cope with it. (Grosjan & Lacoste, Dubert, by Loriol 2000).

Due to the relational and curative aspect that characterizes the nursing profession in general, nurses are exposed during the exercise of their profession, in addition to repetitive insoluble situations such as lack of means and staffs , are exposed to an overwork. In fact, many studies have highlighted the consequences of the implication to the stressful situations whose accumulations favor the appearance of new forms of pathologies and in particular burn out. This concept first appeared outside the problem of stress, its integration into the theoretical field was carried out following several researches . Standing in the tradition of stress studies, Hans Selye said: "Stress is the salt of life" (quoted by cleric & the bigot, 2001). This phenomenon is massively taken into account from the 1970s in the United States, it is considerably present in professions called "helping relationship". Its causes are multi factorial and most authors (Abaibeau, 1985,) emphasize the relationship between burnout and the accumulation of work stress, and recognize that burnout as a negative internal psychological experience . This is caused by the massive and irregular flow of patients that generates a strong physical and mental stress. The nurses deploy a double effort by performing several tasks at the same time, endangering the lives of patients, the management of the vacuum or massive filling of the service in a random, unpredictable way, leave the caregiver on alert. As well as the contact with the patients and their families sometimes seems disappointing besides ,not recognition, non-complacency and aggressiveness of the patient. Added to this , the contact with suffering and death as a source of stress. As Loriol points out: "*Because of these responsibilities and the constant contact with suffering, death and filth and a professional practice that relies on difficult skills with nurse objectivity is generally perceived as stressful and tiring*." (From Clerc & the Bigot, 2001).

Characteristics of the study population:

In our research, semi-structured interviews were conducted in addition to the Christina Maslach (M.B.I) scale to measure the degree of nurses' exhaustion. We will retain here the most known psycho technical tool, M.B.I. (Maslach Burn out Inventory), created in 1981 and which is based on three axes:

-Exploitation: when the work becomes too painful.

-The dehumanization of the relationship to the other: by giving less time to the patient or by decreasing the relationship that can be compared to abuse. (M.F. Becqué & M. Hans, What do I know ?: Mourning,)

-The diminution of personal fulfillment.

All MBI items are scored using a 7 level frequency scale from "never" to "daily." Initial development had 3 components: emotional exhaustion (9 items), depersonalization (5 items) and personal achievement (8 items). Each scale measures its own unique dimension of burnout. Scales should not be combined to form a single burnout scale. Scales include reverse-scored items. Maslach, Jackson and Leiter (1996) describe item scoring from 0 to 6. While a common convention is to avoid zeros for scales, one should be aware that altering the original 0-6 scores will not align with categories of each scale. There are score ranges that define Low, Moderate and High levels of each component/scale based on the 0-6 scoring. Using a 1-7 scale with the original category ranges will inflate the number of people in the upper 2 categories. Further, comparisons with existing literature may be misleading.

Never (0)
A few times a year or less (1)
Once a month or less (2)
A few times a month (3)
Once a week (4)
A few times a week (5)
Every day (6)

It can also be added the age factor and the person personality (A. Mauranges Manual for caregivers: stress, suffering and violence in hospital settings)

The sample of this research includes 30 nurses 10 men and 20 women, aged between 30 and 55 years old with experience, greater than or equal to 5. Nurses surveyed work sixty percent because it is important that they spend some time in the service. , a person working at sixty percent is more likely to catch a burn out than a person at forty percent.

Definition of burn out

1- the cessation of operation usually of a jet or rocket engine; *also* **:** the point at which burnout occurs.

2-exhaustion of physical or emotional strength or motivation usually as a result of prolonged stress or frustration

1.Feeling of physical and emotional exhaustion, due to stress from working with people under difficult or demanding conditions. Burn out is followed by signs such as chronic fatigue, quickness to anger and suspicion, and susceptibility to colds, headaches, and fevers.

2.Extraordinary dilution of an investor's stockholding position due to a massive issue of new shares by the firm. Also called cram down.

Nursing profession

"The practice of the nursing profession includes the analysis, the organization, the realization of nursing care and their evaluation, the contribution to the collection of clinical and epidemiological data and the participation in actions (Article R. 4311- 1) of the decree of competence of the nursing profession of July 29, 2004. Prevention, screening, training and health education ". In addition, this article that frames this profession also defines the rights and duties of nurses towards society.

The nursing profession is governed by decree of the law of July 29, 204 which stipulates all the rights and duties of this profession as well as by the decree n ° 93-221 of February 16, 1993 Relative to the professional rules of the nurses. The nursing profession is governed by decree of the law of July 29, 204 which stipulates all the rights and duties of this profession as well as by the decree n ° 93-221 of February 16, 1993 Relative to the professional rules of the nurses. During our studies, we refer very often to these decrees. Moreover, during our internships, we can see as a general rule that state-certified nurses also comply. In relation to the theme of this end-of-study work we note, article 10 of the decree n ° 93-221 of February 16th, 1993 relative to the professional rules of the nurses which indicates that "To guarantee the quality of the care which it exempts and the safety of the patient, the nurse or the nurse has the duty to update and perfect their professional knowledge.

Attitudes that nurse must accomplish

1)"Breathe normally":

The nurse will have to respond to this need by observing the patient and providing him with the medical care ordered by the doctor. It is also by installing in strategic positions that he will take care to keep the airway open or taking care not to exhaust the patient with gestures and unnecessary movements.

2)"Drink and eat in the desired position":

It is by assessing the tastes of each patient, by installing them as comfortable as possible during meals and by assessing the need for help from each of them that the nurse will respond to this need.

3)"Eliminate

To allow the evacuation of waste from the body, the nurse will provide the necessary assistance to each patient by assessing the various possible incontinences, the mobility of the patient to move to the toilet and the available technical means.

4)"Move and stay in the desired position":

The nurse must respect and preserve the autonomy of his patients by allowing them to perform the actions that are possible for them. He will evaluate the patient in each of his activities in order to readjust his care.

5)«Sleep and rest »:

Respecting patients' sleep is important to reduce and prevent fatigue. The nurse may, for example, group at best care to disturb his patients as little as possible. During the night and during the afternoon naps, he will take care not to make too much noise) "Choose appropriate clothes- get dressed and undressed": the nurse must respect the patient whatever his outfits clothing. If necessary, he will help his patients to dress and undress while respecting their intimity. Moreover, if the patients do not have clothes, he will provide them with hospital gowns.

6)"Keep one's body temperature within normal limits":

The nurse will take the temperature using a thermometer. He will ensure that the patient is dressed according to its temperature to maintain it in the norm or to bring it closer to the norm and so that the patient is neither too hot, nor too cold. In addition, he will ensure the correct temperature of the room by opening or closing the windows.

7)"Keep one's body clean and neat, and protect one's integuments":

Feeling, being clean, having healthy skin or receiving skin treatment in case of problems is a need of everyone. The nurse will assess the patient's skin condition and provide care if needed. He will help the patient in his hygiene care. Here too, he will respect the privacy of each patient

8)"Avoid dangers and do no harm to others":

Securing the patient by storing any obstacle that may be in his room is one of the roles of the nurse. In addition, he will evaluate the psychic state of the patient so that he cannot put himself in danger or endanger others.

9)"Communicating with others":

The nurse will evaluate each patient's ability to communicate and adapt oneself to each of them. In addition, it will involve interpreters when

needed. The nurse will be ready to listen to the emotions and needs of the patient.

10)Take care to make yourself useful ":

The nurse will be attentive to the occupations of patients to know the state of mind in which they are (anxiety, sadness, despair, good mood, etc ...), it will help his patients to practice the desired activity.

How do Khlil Amrane's nurses perceive burnout?

A feeling of emptiness experienced by a caregiver after having spent a lot of time physically and devotedly without recognition and valorization, who sees his physical strength diminished and his capital of understanding and self-sacrifice exhausted, dried up, it can still work for a while but, relying on his automatisms, because of his physical and psychological sufferings, the nurse becomes incapable of understanding and empathy.

According to Freudenberger (1974), burn-out is a state of distress. It has been defined by Maslach (1998) as "a syndrome of physical and emotional exhaustion, which leads to the development of an inadequate self-image, negative attitudes at work with loss of interest and feelings for patients. "(Quoted by Canouï, 1998). Delbrouck (2003). This pathology affects all professions in fact, it is estimated at 20% of the active population (Chevrier & Renon-Chevrier, 2004,). However, Barbier (2004) argues that burn-out is more relevant to caregivers because they are the direct witnesses of suffering, misery, unhappiness, illness and death. The analysis of the factors favoring this exhaustion revealed that, this syndrome is mainly linked to chronic stress, the origin of which can come from constant stress at work. "By doing the same job for 30 years and staying in the rank, believe me it kills "[Mouloud 50 years old nurse] Given the figures indicating a large percentage of nurses burnout, and knowing its symptoms, we can ask ourselves the question: how professionals affected by this pathology can they assume their responsibilities ? Indeed, according to the Code of Ethics of the International Council of Nurses [CII] (2005) , the nurse has four essential responsibilities: to promote health, prevent illness, restore health and relieve suffering. "But unfortunately, the impact of the stress of the caregivers is perceived by the patients" [Radia 47 years old]. According to C. Maslach (1998), the six characteristics that can lead a person to burnout are: workload, sense of control, recognition, community, justice, respect and values.

The authors are also interested in the different modes of prevention existing: Truchot (2004) distinguishes three levels of prevention: First,

the primary prevention, consisting in eliminating or reducing the sources of burn-out, then intervenes the secondary prevention which relies on relieving the tensions that the individual can feel. Finally, the tertiary prevention mode concerns the treatment of burnout symptoms. At this last stage it is not strictly speaking of prevention but rather a sort of remedy. At each of these levels of prevention we can have an action on the individual (Bouquet, 2006).

In addition to personal and professional damage, burn-out also has a financial impact. It is interesting to note that in the United States, according to Chevrier & Renon-Chevrier (2004), 54% of absenteeism days are due to mental health problems. Financially, there is a big impact on the economy since the cost is several billion francs a year. (Peters & Mesters, 2007). At the organizational level, this pathology reduces job satisfaction, involvement in the organization and performance; it increases the desire to change jobs as well as absenteeism.

Causes of burnout among nurses

1- Psychological causes:

High expectations of oneself for perfectionism and achievement of set goals. The low sense of belonging and self-esteem can result in a nurse with repetitive guilt. "*The chronicity (monotony) of certain situations leads to an extreme adaptation of the suffering resulting in psychological aftermaths'*." [Mrs. Baya, Chief Nurse, 52 years old] Stress (according to Cary Cherniss's transactional vision) stems from an imbalance between the requirements of work and the resources of the individual. It leads to a state of tension, anxiety, emotional fatigue, then a reduction of the initial goal, an idealization of the situation, detached, mechanical attitudes. The author considers this as defensive coping that can lead to burnout. The motivation, according to Ayala Pines, if it is crushed by external pressures, contradictory demands, an unfavorable environment, leads to the impossibility of achieving objectives. For Herbert Feudenberger burnout is "*the loss of motivation for his work*".

2- Environmental causes:

They are related to individual health, family and social relationships, places of life, personal and professional values, beliefs and commitments (Walter Hesbeen, Bernard é, Honor 2002.) "*I have problems with coping, hospital is a place of dirt germs, I cannot find a trick to protect my children from diseases that I am exposed to all the time and accept my work as a nurse* "[Mariam, nurse 32 years].

3-Organizational Causes:

Adverse effects on mental health can be observed if certain occupational situations persist: overwork "*when I work beyond my limits (type 3.8), I become tired which generates exhaustion I cannot manage* "[Malak, 37 years]. Difficulties in communication" *by dint of staying long hours and sometimes at night, we develop a reluctance to talk to others - people outside the medical sphere* "[Nouara 54 years old]. The nurses have no more happiness to work. It is no longer an accomplishment. Work becomes synonymous with constraint. *"If you do not like what you do, you have a hard time loving yourself*" [Ali, 40years]. Poorly defined responsibilities, an imbalance between the efforts made and the recognition obtained "*because nurses in burn out situations often have difficulty concentrating. they find that their attention is more fluctuating. It is a possible manifestation of exhaustion at work* "[Mona, 42].

These situations generate forms a chronic or less intense stress depending on the person and can lead to somatization such as obesity and cardiovascular disease. Moreover, with regard to the nursing population, W. Hesbeen explains that "*every professional, in order to be able to exercise his*" *caring art* ", *needs a space of freedom to be able to be in a quality service*" (Walter Hesbeen , Bernard, Honor 2002) .This type of operation is quite devaluing because these tasks to be performed must be achievable by all. This generates a feeling of loss of professional identity and therefore a real decrease in motivation.

Over time, their work becomes boring, especially if people have had the same professional function for a long time and there are no opportunities to evolve in their function. Boredom can cause wear. This is quite surprising, but a lack of work to do can also lead to burnout. The work is supposed to provoke the feeling of being useful within the service at the hospital. Nurses who work below their potential all the time feel like they are wasting their time and end up being very frustrated. Behaviors that are out of sync with their own personality may result. Nurses feel that the time of the day will not allow them to treat drugs, phone calls ... They can end their day with the feeling of having done nothing. They become more sensitive to the advancement of time. For example, the day can go too fast (*I could not cure everything).* They can no longer plan and organize their work consistently. They can no longer distinguish between priority actions and secondary ones.

Nurses perceive a gap between the controlled behavior of their colleagues and their own internal state. It pushes them to isolate themselves otherwise or think that the problem comes from themselves.

Sometimes nurses do not want to go to work anymore. At the weekend, they may feel anguish at the thought of starting the week again. At an advanced, they cannot get up in the morning, they have probably already reached a stage of exhaustion to take into account quickly.

The nurses also feel signs that may be different, lack of sleep, loss of appetite, back pain, stomachaches .... (Delbrouck, M. 2003).

Strategies against burn out:

If we consider the idea that burn-out signifies the existence of major social dysfunctions, then prevention actions are in essence the most effective. However, whether it is established preventively or a posteriori, the treatment of burn-out pursues the same objectives: eliminate the negative and build instead something positive. In other words, the treatment of burn-out aims to reduce the imbalances noted between the individual and his work, but also to promote professional commitment because it is this commitment that alone will improve the energy, the involvement and effectiveness of the professionals and, consequently, of the private or public enterprise which employs them. Admittedly, the implementation of such strategies is at the moment very expensive and requires on the part of all-employees and employers-patience, investment and mutual respect but it is, for sure, an excellent investment in the medium and long term not only as for the efficiency and profitability of the company but also, and above all, for the well-being of all!

Conclusion:

Sociology has been very interested in the world of work and the world of health. So health is an important factor that allows workers to be and stay in work. "*Risk has become a concern for sociology*" (MarcMormont, 2009), It is fairly well established that adverse work conditions can be harmful and tragic for the health of workers in their workplaces, where there are multiple constraints they suffer and which threaten their state of health one cites in the first place the burnout(M. Lanane and al, 20015)

Burnout is a socio professional phenomenon, characterized by a feeling of loss of control and inability to achieve concrete results at work.

Anyone who is involved daily in a relationship of help with others and is subject to chronic occupational stress, may one day be suffering from burnout syndrome, particularly nurses (Manoukian.A, 2009). Several factors are likely to be at the origin of the development of burnout, namely age, work experience, family situation, not to mention the factors specific to the profession itself, such as type, work overload, and climate. relational, and working condition in general. (Lefebvre, M., Poirot.M, 2011). Our study showed that all nurses on whom we applied MBI scale

suffer from a serious burnout , but every one of them reacts differently . This encourages us to explore other paths of research in which this medical phenomenon can occur and in what domain?

BIBLIOGRAPHY

1. BOUDOUKHA Abdel Halim, « Burn-out et traumatismes psychologique », Dunod, Paris,

2. ANDERS RL, Manai-Pak M. Karoshi, 1992 : eath dfrom overwork- -a nursing problem in Japan? Nurse Health Care.

3. BARBEAU I. (2001). « L'épuisement profesionnel : se brûle-t-on encore ?», Psychologie Québec, 18 (2), 21-25.

4. BIBEAU, G. (1985). Le burn out: 10ans après. Santé mentale du Québec. Consulté le 25 mars 2007 : www.erudit.org-revue-smp-1985-v10-n2-030290ar.

5. BOUDOULHA A.H. (2006). « Etude conjointe du burn out et des troubles de stress post-traumatique dans une population à resques », dans cas des professionnels en milieu carcéral, Lille 3 Charles-de-Gaulle, Villeneuve d'Ascq.

6. BRENNINKMEIER V., VAN YPEREN N.W. et BUUNK B.P. (2001). « I am a better teacher, but other are doing worse: Burn out and perceptions of superiority among teachers », Social Psychology of Education, 43 (3-4), 259-274.

7. CANOUI, P. & MAURANGES, A (2004). « Le syndrome d'épuisement professionnel des soignants : de l'analyse du burn out aux réponses ». Paris : Masson.

8. CHALIFOUR Jacques , 1998, « L'infirmière face à ses deuils-quelques éléments de réflexion » Revue soins janvier/février.

9. COLLIERE ? M-F. « Virginia Henderson : La nature des soins infirmiers ». Ed : Inter Editions, PARIS 1994.

10.CORDES C.L. et DOUGHERTY T.W. (1993). « A review and an integration of research on job burn out », Academy of Management Review, 18 (4), 621-656.

11.CÔTE L., EDWARDS H. et BENOIT N. (2005). « S'épuiser et en guérir : Analyse de deux trajectoires selon le niveau d'emploi », Revue internationale sur le travail et la société, 3 (2), 835-865.

12.CRESSWELL S.L.et EKLUND R.C. (2004). « The athlete burn out syndrome : possible early signs », JOURNAL OF Science and Medicine in Sport, 7 (4), 481-487.

13.DE CLERC, & F. L EBIGOT ? 2001 ? Les Traumatismes psychiques. Paris : Masson.

14.DELBROUCK, M. (2003). « Le burn-out du soignant, Le syndrome d'épuisement professionnel ». Bruxelles : De Boeck & La rcier.

15.DUQUETTE A., Sandhu, B-K, & Beaudet L. (1994). «Factors retated to nursing burn-out. A Review of empirical knowledge. Issues in mental health nursing, 15, 337-358.

16.D. TRUCHOT, 1996 «Burn out en Bourgogne des médecins libéraux », www.zedental.com./extrait/Burn out/player.html.
17.D. TRUCHOT. 2005, Le Quotidien du médecin, p27, n°7752, mai.
18.D. TRUCHOT. Et BADRE D.(2003). « Epuisement professionnel et burn out : concept, modèles, interventions », Paris, Dunod.
19.DE VENTE W., OLFF M., VAM AMSTERDAM J.G.C., KAMPHUIS J.H.et EMMELKP P. (2003). « physiological differnces between burn out patients and healthy controls : blood pressure, heart rate, and cortisol reponses », Occup. Environ. Med., 60 (suppl. I), i54-i61.
20.EDELWICH J. et BRODSKY A. (1980). Bunout : Stages of disillusionment in the Helping Professions, New York, Human Sciences Press.
21.Frederika VAN INGEN, 2002. « Les médecins malades du stress », Impact Médecin, n°20, 16 décembre.
22.GLASS D.C. et MCKNIGHT J.-D. (1996). « Perceived control, depressive Symptomatology, and professional burn out: A review of the evidence », dans Psych Health, 11, 23-48.
23.GREBOT Elisabeth , 2008 stress et burn out au travail Identifier, prévenir, guérir Editions d'Organisation Groupe Eyrolles 61, bd Saint-Germain 75240 Paris cedex 05.
24.HESBEEN .W, « la qualité du soin infirmier, penser et agir dans une perpective soignante », éditions Masson 2002.
25.JAOUT G., KOVESS V. 2004, « Le burn out dans la profession enseignante », Annales médicaux-psychologiques 162, édition larcier.
26.KAHILL S. (1988). « Symptoms of professionnel burn out : A review of the empirical evidence », Canadian Psychology, 76, 523-537.
27.LANANE Massika(2015) « Les mesures de prévention et leur rôle dans la diminution des risques professionnels «in *L'apport des Sciences Sociales à la Santé*, édition Houma ,Algérie, p52.
28.LEITER M.P. et SCHAUFELI W.B. (1996). « Consistency of the burn out consrtuct across occupations », Anxiety, Stress and Coping, 9, 229-243.
29.LIDVAN-GIRAULT N. (1989). « Burn-out : émergence et stratégie d'adaptation. Le cas de la médecine d'urgence », Paris, Université Paris 5-René-Descartes.
30.LISANDRE S., Abbey-HUGUENIN H., BONNIN-SCAON S., Arsène O., & Colomba P. (2008). « Facteurs associés au bue=rn-out chez les soignants en onco-hématologie. Oncologie », 10, 116-124.
31.LORIOL, M. (2000). Le temps de la fatigue. La gestion du mal être au travail. Paris, Anthropos, col. (Sociologiques). Consulté le 13 décembre 2006 : http://socio.enslsh.fr/agregation/corps/corps_fiche_loriol.php
32.MALOUIN. Eryck, « ETHIQUE DE LA RECHERCHE SOCIALE CONSENTEMENT LIBRE ET ECLAIRECONFIDENTIALITE ET VIE PRIVEE », Octobre 2002 Fonds de recherche_sur la société_et la culture Version provisoire Fonds de recherche_sur la société_et la culture ; quebec.

33.MONROE Viviane et Nicole Brunette Reflets, 2001 : revue d'intervention sociale et communataire, vol, n°1, p. 165-191. Pour citer cet article, utiliser l'information suivante : URI : http://id.erudit.org/iderudit/026343ar DOI: 10.7202/026343ar.
34.MORMONT Marc, « Le sociologue dans l'action collective face au risque »,*Développement durable et Territoires*[En ligne], Varia, mis en ligne le 02 novembre 2009, consulté le20-12-2014 à 14h54m,.p1.
35.SHIRROM A., MELAMED S., TOKER S., BERLINER S. et SHAPIRA I. (2005). « Burn out, mental and physical health : Areview of evidence and a proposed explanoratory model », dans Internationnal Review of Industrial and Organizationnal Psychology, 20,269-309.
36.SHIROM A. et EZRACHI Y. (2003). « On the discriminant validity of burn out, depression and anxiety. A re-examination of the burn out measure », dans Anxiety, Stress and Coping, 16 (1), 83-97.
37.SULS J. et BUNDE J. (2005). « Anger, anxiety, and depression as risk factors for cardiovascular disease : the problemes and implications of overlapping affective dispositions », dans Psychological Bulletin, 131 (2), 260-300.
38.RISPAIL Dominique , 2001 : « parler de la mort en IFSI », revue Soins cadre n°37 janvier/mars.
39.THESE Mismisis Olivier, « Formation Continue Et Burn-Out IFSI » Victoria Desjardins-Marseille Promotion: 2003-2006.
40.WESTMAN M. ET ELTZION D. (1995). « Crossover of stress, strain and ressources from spouse to another », dans Journal of Organizational Behavior, 16 (2), 169-181.
41.WOLPIN J., BURKE R.J, 2009. Et GREENGLASS E.R. (1991). « Is job satisfaction as antecedent or a consequence of psychological burn out? », dans Human Relation, 44, 193-209.
42.(53rd national congress of anesthesia and resuscitation, nurses, emergency nurses c 2011Sfar, all rights reserved, FDI and burnout S. Molenda *, F. Ducrocq * Emergency Medical-Psychological Unit, Emergency Department, Samu 59, 5 avenue Oscar Lambert, 59037 Lille Cedex Correspondence author: F. DUCROCQ)
http://www.businessdictionary.com/definition/burn-out.html

Democratic Arabic Center for Strategic,Political and Economic Studies

Berlin- Germany

Journal of social sciences

International, scientific refereed Journal

Legal deposit V.R33616

ISSN 2568-6739